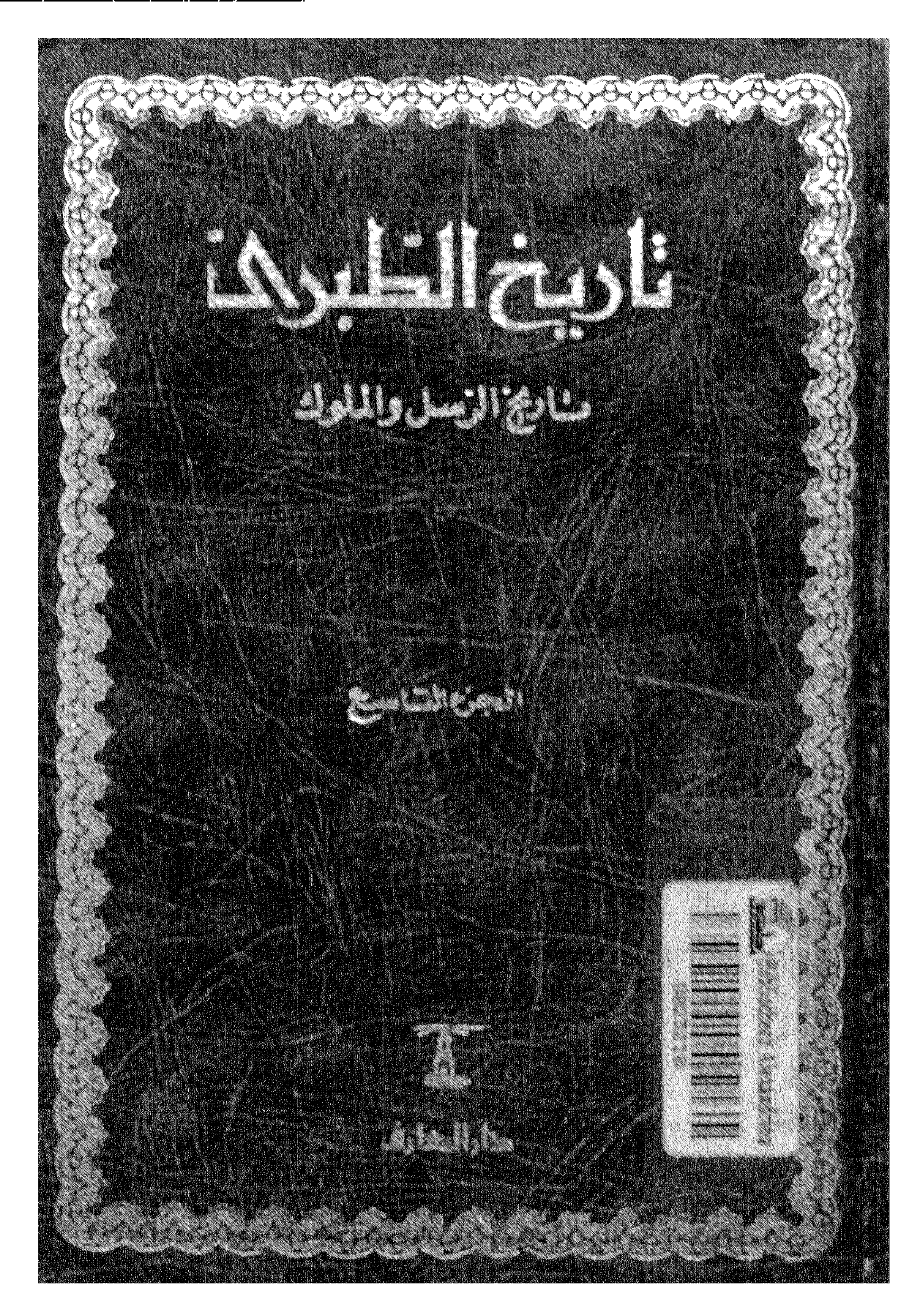

تاريخ الطبري
تاريخ الرسل والملوك
الجزء التاسع
دار المعارف







ذخائر العرب

٣٠

تاريخ الطبرى

تاريخ الرسل والملوك

لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى

٢٢٤ - ٣١٠ هـ

الجزء التاسع

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

الطبعة الرابعة



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان

يبدأ الجزء التاسع من هذه الطبعة بحوادث سنة ٢١٩ هـ ، وينتهى بآخر حوادث سنة ٢٧٠ هـ ؛ وقد اشتمل على جزء من أخبار الخليفة المعتصم ، ثم أخبار الواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز والمهتدى وبعض أخبار المعتمد ؛ من الخلفاء العباسيين ؛ مع ذكر ما وقع فى أعصارهم من حروب وفتوح وفتن وقصص وأشعار ؛ وكان من أهمّ الأحداث التى أوردها المؤلف فى هذا الجزء ، الفتنة التى حمل لواءها دعىّ آل علىّ ، خارجاً على الخلفاء ، وانضم إليه الشذّاذ من العبيد والزنوج والأتراك؛ ودارت وقائعها فى الأهواز والبصرة والأبُلَّة وبغداد ؛ واستمرت أكثر من أربعة عشر علماً ، بدأت بخروج الداعية فى رمضان سنة ٢٥٥ هـ ، وانتهت بمقتله فى صفر سنة ٢٧٠ هـ ، وقد بسط القول فيها بسطاً ؛ مما يجعله عمدة المؤرخين فى هذا الموضوع .

وقد رجعت فى تحقيق هذا الجزء من المخطوطات التى لم يرجع إليها مصححو الطبعة الأوربية إلى ما يأتى :

١ — جزء مصوّر من مكتبة أحمد الثالث بإستانبول برقم ٢٩٢٩ ، محفوظ بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، يوافق الجزء الثانى عشر من تجزئة الناسخ لهذه النسخة ، يقع فى ٢٥٦ ورقة ، يبدأ بحوادث سنة ٢٠٤ ، وينتهى بأثناء الكلام على حوادث سنة ٢٥١ فى خلافة المستعين ، وعليه وقفية المقرّ الأشرف الجمالى محمود الأستادار على مدرسته التى أنشأها بخط الموازنيين بالشارع الأعظم بالقاهرة، وهى الوقفية الموجودة على بقية الأجزاء . وهو جزء مكتوب بخط نسخى واضح مضبوط بالشكل ؛ ويغلب عليه الإتقان والصحة ؛ ويبدو أنه كتب فى

أواخر القرن السادس أو أوائل القرن السابع ؛ فى كل صفحة عشرون سطراً ، وفى كل سطر عشر كلمات تقريباً ؛ وقد رمز إليه بالحرف (ا) ؛ وبالرجوع إلى هذا الجزء أصلح كثير من الأخطاء وأكملت مواضع النقص ؛ مما هو فى الطبعة الأوربية .

٢ ــ جزء مخطوط بدار الكتب برقم ١٦٠٢ تاريخ ، وقد رمز له بالحرف (د) ، وسبق وصفه فى مقدمة الجزء الثامن .

ويلى هذا الجزء ، الجزء العاشر ، وأوله حوادث سنة ٢٧١هـ ، وينتهى بآخر حوادث سنة ٣٠٢هـ ؛ وهو نهاية الكتاب ، وسيلحق به إن شاء الله الفهارس العامة التفصيلية ؛ أما ذيول الكتاب فسيظهر كل ذيل منها مستقلا بفهارسه .

والله ولى التوفيق .

محمد أبو الفضل إبراهيم

رجب سنة ١٣٨٧ هـ
أكتوبر سنة ١٩٦٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

ثم دخلت سنة تسع عشرة ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خلاف محمد بن القاسم العلوىّ]

فمن ذلك ما كان من ظهور محمّد بن القاسم بن عُمر بن علىّ بن الحسين ابن علىّ بن أبى طالب بالطالَقان من خُراسان ، يدعو إلى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فاجتمع إليه بها ناس كثير ؛ وكانت بينه وبين قوّاد عبد الله بن طاهر وقعات بناحية الطالقان وجبالها ، فهُزِم هو وأصحابه ، فخرج هاربًا يريد بعض كُور خُراسان ، كان أهله كاتبوه ؛ فلما صار بنَسا ، وبها والدٌ لبعض مَنْ معه ، مضى الرّجل الذى معه من أهل نَسا إلى والده ليسلّم عليه ، فلما لقى أباه سأله عن الخبر ، فأخبره بأمرهم ، وأنهم(1) يقصدون كورةَ كذا ، فمضى أبو ذلك الرّجل إلى عامل نَسا ، فأخبره بأمر محمد بن القاسم ؛ فذُكر أنّ العامل بذل له عشرة آلاف درهم على دلالته عليه فدلّه عليه ، فجاء(2) العامل إلى محمد بن القاسم ، فأخذه واستوثق منه ؛ وبعث به إلى عبد الله بن طاهر ، فبعث به عبد الله بن طاهر إلى المعتصم ، فقُدِم به عليه يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر ؛ فحبس — فيما ذكر — بسامرّا عند مسرور الخادم الكبير فى محبس(3) ضيّق ، يكون قدر ثلاث أذرع فى ذراعين ، فمكث فيه ثلاثة أيام ، ثم حُوّل إلى موضع أوسعَ من ذلك ، وأجرىَ عليه طعام ، ووُكّل به قومٌ يحفظونه ؛ فلمّا كان ليلة الفطْر ، واشتغل الناس بالعيد والتهنئة احتال للخروج ، ذُكر أنه هرب من الحبس بالليل ، وأنهُ دُلّىَ إليه حبل من كُوّة كانت فى أعلى البيت ، يدخل عليه منها الضّوء ؛ فلما أصبحوا أتوا بالطعام

٣/١١٦٦

(١) ف : « أنهم » بدون واو . (٢) ف : « وجاء » .
(٣) س : « حبس » . د : « مجلس » .

للغداء افتقيد[١] ، فذكر أنه جُعِل لمن دلّ عليه مائة ألف درهم، وصاح بذلك الصائح، فلم يعرَف له خبر .

وفى هذه السنة قدم إسحاق بن إبراهيم بغداد من الجبل، يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلتْ من جمادى الأولى ، ومعه الأسرى من الخرّميّة والمستأمِنة .

وقيل: إن إسحاق بن إبراهيم قتل منهم فى محاربته إياهم نحواً من مائة ألف، سوى النساء والصبيان .

* * *

[ذكر الخبر عن محاربة الزّط]

١١٦٧/٣ وفى هذه السنة وجّه المعتصم عُجيفَ بن عنبسة فى جمادى الآخرة منها لحرب الزُّطّ الذين[٢] كانوا قد عاثوا فى طريق البصرة[٢] ، فقطعوا فيه الطريق ، واحتملوا الغلاّتِ من البيادر بكَسْكَر وما يليها من البَصْرة ، وأخافوا السبيل، ورتّب الخيل فى كلّ سكة من سكك البرُد تركض بالأخبار ، فكان الخبر يخرج من عند عُجيْف ، فيصل إلى المعتصم من يومه ؛ وكان الذى يتولى النفقة على عُجيف من قِبَل المعتصم محمد بن منصور كاتب إبراهيم بن البَخْترىّ ؛ فلما صار عُجَيْف إلى واسط، ضرب عسكره بقرية أسفل واسط يقال لها الصافية فى خمسة آلاف رجل ، وصار عُجَيف إلى نهر يحمل من دجلة يقال له بَرْدُودَا ؛ فلم يزل مقيماً عليه حتى سدّه . وقيل إنّ عُجَيفاً إنما ضرب عسكره بقرية أسفل واسط يقال لها نجيدا ، ووجّه هارون بن نعيم ابن الوضاح القائد الخراسانى إلى موضع يقال له الصافية فى خمسة آلاف رجل، ومضى عُجيف فى خمسة آلاف إلى بَرْدُودا ، فأقام عليه حتى سدّه وسدّ أنهاراً أُخَر كانوا يدخلون منها ويخرجون ، فحصرهم[٣] من كلّ وجه ؛ وكان من الأنهار التى سدّها عجيف، نهر يقال له العروس؛ فلما أخذ عليهم طرقهم حاربهم ، وأسر منهم خمسمائة رجل ، وقتل منهم فى المعركة ثلثمائة

(١) كذا فى ا ، د ، وفى ط : « فقد » .
(٢ - ٢) ابن الأثير : « الذين كانوا غلبوا على طريق البصرة وعاثوا » .
(٣) س : « وحصرهم » .

رجل ، فضرب أعناق الأسرى[1] ، وبعث برءوس جميعهم [2] إلى باب المعتصم ؛ ثم أقام عُجَيف بإزاء الزُّطّ خمسة عشر يومًا ، فظفر منهم بخلْق كثير . وكان رئيس الزُّطّ رجلا يقال له محمد بن عثمان ؛ وكان صاحب أمره ١١٦٨/٣ والقائم بالحرب سَملق ، ومكث عُجَيف يقاتلهم — فيما قيل — تسعة أشهر .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة صالح بن العباس بن محمد .

---

(١) ف : « الأسارى » .

(٢) ف : « برءوسهم » .

ثم دخلت سنة عشرين ومائتين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر ظفر عجيف بالزّط]

فمن ذلك ما كان من دخول عُجيف بالزّط بغداد، وقهره إياهم حتّى طلبوا منه الأمان فآمنهم ، فخرجوا إليه فى ذى الحجة سنة تسع عشرة ومائتين على أنهم آمنون على دمائهم وأموالهم ؛ وكانت عدّتهم[1] — فيما ذُكر — سبعة وعشرين ألفاً ؛ المقاتلة منهم اثنا عشر ألفاً ؛ وأحصاهم عُجَيف سبعة وعشرين ألف إنسان ؛ بين رجل وامرأة وصبىّ ، ثم جعلهم فى السُّفن ، وأقبل بهم حتى نزل الزعفرانيّة ، فأعطى أصحابه دينارين دينارين جائزة ، وأقام بها يوماً ، ثمّ عبّأهم[2] فى زواريقهم على هيئتهم فى الحرب ؛ معهم البوقات ، حتّى دخل بهم بغداد يوم عاشوراء سنة عشرين ومائتين والمعتصم بالشماسيّة فى سفينة يقال لها الزّوّ ، حتّى مرّ به الزّطّ على تعبئتهم ينفخون بالبوقات ؛ فكان أولهم بالقُفْص وآخرهم بحذاء الشماسيّة ، وأقاموا فى سُفنهم ثلاثة أيام ، ثم عُبر بهم إلى الجانب الشرقىّ ؛ فدفِعوا إلى بشر بن السميدع ، فذهب بهم إلى خانقين ، ثم نقلوا إلى الثّغْر إلى عين زربة ، فأغارت عليهم الرّوم ؛ فاجتاحوهم فلم يفلِتْ منهم أحد ، فقال شاعرهم :

١١٦٩/٣

يا أهلَ بغدادَ موتوا دامَ غَيظكمُ ... شوقاً إلى تمرٍ بَرْنِىٍّ وشُهرِيزِ

نحن الذينَ ضربناكمْ مجاهَرَةً ... قَسراً وسُقناكمُ سَوْقَ المعاجيز

لم تشكروا اللهَ نَعماهُ التى سَلفَتْ ... ولم تحوطوا أياديه بتَعزِيز

فاستَنصِروا العبدَ من أبناء دولتِكمْ ... مِنْ يازمانَ ومن بلجٍ ومن تُوز

ومن شِناسَ وأفشِينٍ ، ومن فرجٍ ... المُعلِمِينَ بديباجٍ وإبْريز

(١) ا : « وكان عددهم » .
(٢) ط : « وعبأهم » .

واللابسِى كيمخار الصين قد خَرَطَت أردانَه دَرْزُ بَرْوَازِ الدَّخاريز
والحاملين الشُّكى نِيطتْ علائقها إلى مناطقِ خاصٍ غيرِ مَخروز
يَفرى ببيضٍ من الهندىّ هامَهُمُ بنو بَهِلَّةَ فى أبناءِ فيروز
فوارسٌ خيلُها دُهْم مودَّعــةٌ على الخراطيمِ منها والفراريز ٣/١١٧٠
مسخَّرات لها فى الماءِ أجنِحةٌ كالآبَنوس إذا اسْتحضِرْنَ والشِّيز
متى ترومُوا لنا فى غَمرٍ لجّتِنا حِذْرًا نَصيدُكُمُ صيدَ المعافيزِ
أوِ اختِطافاً وإزهاقاً كما اختُطفت طَيرُ الدِّحال حثاثاً بالمناقيزِ
ليسَ الجلادُ جِلادَ الزطِّ فاعترفوا أكلَ الثَّريدِ ولا شُرْبَ القواقيز
نحن الذين سقينا الحربَ دِرَّتَها ونقنقنا مقاساة الكواليز
لنَسْفَعَنَّكمُ ســفعاً يَذِلّ له ربُ السَّرير ويُشجِى صاحبَ التِّيز
فابكوا على التَّمر أبكى اللهُ أعيُنَكمْ فى كلِّ أضحى ، وفى فطرٍ ونيْروزِ

* * *

[ذكر خبر مسير الأفشين لحرب بابك]

وفى هذه السنة عقد المعتصم للأفشين خيذر[1] بن كاوس على الجبال ، ووجّه به لحرب بابك ؛ وذلك يوم الخميس لليلتين خلتا من جمادى الآخرة ؛ فعسكر بمصلّى بغداد ، ثم صار إلى بَرْزَنْد . ٣/١١٧١

* ذكر الخبر عن أمر بابك ومخرجه :

ذُكر أن ظهور بابك كان فى سنة إحدى ومائتين ، وكانت قريته ومدينته البَذّ ؛ وهزَم من جيوش السلطان ، وقتَل من قوّاده جماعة ؛ فلما أفضى الأمر إلى المعتصم ، وجّه أباسعيد محمدبن يوسف إلى أردَبيل ، وأمره أن يبنى الحصونَ التى خرّبها بابك فيما بين زَنْجان وأردَبيل ، ويجعل فيها الرّجال مسالح لحفظ الطريق لمن يجلب الميرَة إلى أردَبيل ؛ فتوجّه أبو سعيد لذلك ، وبنى الحصون التى خرّبها بابك ، ووجّه بابك سريّة له فى بعض غاراته ، وصيّر أميرهم رجلاً

(١) ط : « حيدر » ، وانظر الفهرس .

يقال له معاوية ؛ فخرج فأغار على بعض النواحى ، ورجع منصرفًا ؛ فبلغ ذلك أبا سعيد محمد بن يوسف ، فجمع الناس وخرج إليه يعترضه فى بعض الطريق ، فواقعه، فقتل من أصحابه جماعة، وأسر منهم جماعة ، واستنقذ ما كان حواه ؛ فهذه أول هزيمة كانت على أصحاب بابك . ووجّه أبو سعيد الرءوس والأسرى إلى المعتصم بالله .

ثم كانت الأخرى لمحمد بن البعيث ؛ وذلك أن محمد بن البعيث كان فى قلعة له حصينة تسمى شاهى ؛ كان ابن البعيث أخذها من الوجْناء بن الرّوّاد، عرضها ٣/١١٧٢ نحو من فرسخين ، وهى من كورة أذْرَبيجان، وله حصن آخر فى بلاد أذربيجان يسمى تبْريز ، وشاهى أمنعهما ؛ وكان ابن البعيث مصالحاً لبابك ، إذا[1] توجهت سراياه نزلت به . فأضافهم ، وأحسن إليهم حتى أنسوا به ، وصارت لهم عادة . ثم إنّ بابك وجّه رجلا من أصحابه يقال له عِصْمة من أصبهبذته فى سرّية ، فنزل بابن البعيث ، فأنزل إليه[2] ابن البعيث على العادة الجارية الغنم والأنزال[3] وغير ذلك ، وبعث إلى عصمة أن يصعد إليه فى خاصّته ووجوه أصحابه ، فصعد فغدّاهم وسقاهم حتى أسكرهم[4] ، ثم وثب على عصمة فاستوثق منه ، وقتل مَنْ كان معه من أصحابه ، وأمره أن يسمّىَ رجلا رجلا من أصحابه باسمه ؛ فكان يُدعى بالرجل باسمه فيصعد ، ثم يأمر به فيضرب عنقه ؛ حتى علموا بذلك ؛ فهربوا. ووجّه ابن البعيث بعصمة إلى المعتصم — وكان البَعيث أبو محمد صعلوكاً من صعاليك ابن الرّواد — فسأل المعتصم عصمة عن بلاد بابك ، فأعلمه طُرقها ووجوه القتال فيها ؛ ثم لم يزل عصمة محبوساً إلى أيام الواثق . ولما صار الأفشين إلى برْزَنْد عسكر بها ، ورمّ الحصون[5] فيما بين برْزَنْد وأردبيل ، وأنزل محمد بن يوسف بموضع يقال له خُشّ ، فاحتفر فيه خندقاً ، وأنزل الهيثم الغنوىّ القائد من أهل الجزيرة فى ٣/١١٧٣ رستاق يقال له أرْشق ، فرمّ حصنه ، وحفر حوله خندقاً ، وأنزل علّوَيه الأعور من قوّاد الأبناء فى حصن ممّا يلى أردَبيل يسمّى حصن النهر ؛ فكانت السابلة

(١) ف : « إذ » . (٢) ف : « وأنزله » ، ابن الأثير : « فأنزل له » .
(٣) ف : « والأموال إلى غير ذلك » . (٤) ف : « سكروا » .
(٥) ابن الأثير : « وضبط الحصون والطرق » .

والقوافل تخرج من أرْدَبيل معها من يُبَذْرِقها[1] حتى تصل إلى حصن النّهر ، ثم يُبَذْرقها صاحب حصن النهر إلى الهيثم الغنوىّ ، ويخرج هَيْثم فيمن جاء من ناحيته حتى يسلمه إلى أصحاب[2] حصن النّهْر ، ويُبَذْرق مَنْ جاء من أردبيل حتى يصير الهيثم وصاحب حصن النهر فى منتصف[3] الطريق ، فيسلّم صاحب حصن النهر مَنْ معه إلى هيثم ، ويسلّم هيثم مَنْ معه إلى صاحب حصن النهر ؛ فيسير هذا مع هؤلاء ؛ وهذا مع هؤلاء . وإن سبق أحدهما صاحبه إلى الموضع لم يَجُزْه حتى يجىء الآخر ؛ فيدفع كلّ واحد منهما مَنْ معه إلى صاحبه ليُبَذْرقهم ؛ هذا إلى أردبيل ، وهذا إلى عسكر الأفشين ، ثم يُبَذْرق الهيثم الغنوىّ مَنْ كان معه إلى أصحاب أبى سعيد ؛ وقد خرجوا فوقفوا على منتصف الطريق ، معهم قوم ، فيدفع أبو سعيد وأصحابه مَنْ معهم إلى الهيثم ، ويدفع الهيثم مَن معه إلى أصحاب أبى سعيد ، فيصير أبو سعيد وأصحابه بمَنْ فى القافلة[4] إلى خُشّ ، وينصرف الهيثم وأصحابه بمن صار فى أيديهم إلى أرْشق حتى يصيروا به من غد ، فيدفعوهم إلى علّويه الأعور وأصحابه ليوصلوهم[5] إلى حيث يريدون ، ويصير أبو سعيد ومَن معه إلى خُشّ ، ثم إلى عسكر الأفشين ، فتلقّاه صاحب سيارة الأفشين ، فيقبض منه مَنْ فى القافلة ، فيؤدّيهم إلى عسكر الأفشين ؛ فلم يزل الأمر جاريًا على هذا ؛ وكلّما صار إلى أبى سعيد أو إلى أحد من المسالح أحدٌ من الجواسيس وجّهوا به إلى الأفشين ؛ فكان الأفشين لا يقتل الجواسيس ولا يضربهم ؛ ولكن يهب لهم ويصلهم ويسألهم ما كان بابك يعطيهم ، فيُضعفه لهم ، ويقول للجاسوس : كن جاسوسًا لنا .

٣/١١٧٤

* * *

[ذكر خبر وقعة الأفشين مع بابك بأرشق]

وفيها كانت وقعة بين بابك وأفشين بأرْشق ، قتل فيها الأفشين من

---

(١) يبذرقها ، أى يخفرها ، وفى ابن الأثير : « يحميها » .

(٢) ف : « لأصحاب » . (٣) ا ، س : « منصف » .

(٤) د ، ف : « ومن فى القافلة » . (٥) س : « ليوصلهم » .

أصحاب بابك خلقًا كثيراً ؛ قيل أكثر من ألف ، وهرب بابك إلى مُوقان ؛ ثم شخص منها إلى مدينته التي تدعى البذّ .

* ذكر الخبر عن سبب هذه الوقعة بين الأفشين وبابك :

ذُكر أن سبب ذلك أن المعتصم وجّه مع بُغا الكبير بمال إلى الأفشين عطاءً لجنده وللنفقات ، فقدم بُغا بذلك المال إلى أردَبيل ، فلمّا نزل أردبيل بلغ بابك وأصحابه خبرُه ، فتهيّأ بابك وأصحابه ليقطعوا عليه قبل وصوله إلى الأفشين ، فقدِم صالح الجاسوس على الأفشين ، فأخبره أنّ بُغا الكبير قد قدم بمال ، وأن بابك وأصحابه تهيّئوا ليقتطعوه قبل وصوله إليك .

وقيل : كان مجيء صالح إلى أبي سعيد ، فوجّه به أبو سعيد إلى الأفشين وهيّأ بابك كميناً في مواضع ، فكتب الأفشين إلى أبي سعيد يأمره أن يحتال ١١٧٥/٣ لمعرفة صحة خبر بابك ، فمضى أبو سعيد متنكّرًا هو وجماعة من أصحابه ، حتى نظروا إلى النيران والوقود في المواضع التي وصفها لهم صالح ، فكتب الأفشين إلى بُغا ، أن يقيم بأرْدَبيل حتى يأتيَه رأيُه ، وكتب أبو سعيد إلى الأفشين بصحّة خبر صالح ، فوعد الأفشينُ صالحاً وأحسن إليه . ثم كتب الأفشين إلى بُغا أن يظهر أنه يريد الرّحيل ، ويشدّ المال على الإبل ويُقطّرها ، ويسير متوجّهًا من أردبيل ؛ كأنه يريد بَرْزَنْد ؛ فإذا صار إلى مسلحة النهر ، أو سار شبيهًا بفرسخين ، احتبس القطار حتى يجوز مَنْ صحب المال إلى بَرْزند ؛ فإذا جازت القافلة رجع بالمال إلى أرْدَبيل . ففعل ذلك بُغا ، وسارت القافلة حتى نزلت النّهر ، وانصرف جواسيس بابكَ إليه يعلمونه أنّ المال قد حُمل ، وعاينوه محمولا حتى صار إلى النهر ، ورجع بُغا بالمال إلى أرْدَبيل ، وركب الأفشين في اليوم الذي وعد فيه بُغا عند العصر من بَرْزند ، فوافى خُشّ مع غروب الشمس ، فنزل معسكراً خارج خندق أبي سعيد ؛ فلما أصبح ركب في سرّ ؛ لم يضرب طبلا ولا نَشر[1] علمًا ، وأمر أن يلفّ الأعلام ، وأمر الناس بالسكوت[2] ، وجدّ في السير ، ورحلت القافلة التي كانت توجّهت في ذلك اليوم من النهر إلى ناحية الهيثم الغنويّ ، ورحل الأفشين ١١٧٦/٣

---

(١) ا ، س : « ولم ينشر » . (٢) ف : « بالسكون » .

من خُشّ يريد ناحية الهيثم ليصادفه فى الطريق ، ولم يعلم الهيثم [بمن كان معه][1] ، فرحل بمَن كان معه من القافلة يريد بها النهر .

وتعبّأ بابك فى خيله ورجاله وعساكره ، وصار على طريق النهر ، وهو يظنّ أن المال موافيه ، وخرج صاحب النهر ببذرق مَن قبَله إلى الهيثم ، فخرجت عليه خيل بابك ؛ وهم لا يشكّون أنّ المال معه ، فقاتلهم صاحب النهر ، فقتلوه وقتلوا مَن كان معه من الجند والسابلة ، وأخذوا جميعَ ما كان معهم من المتاع وغيره ، وعلموا أن المال قد فاتهم ، وأخذوا علَمَه ، وأخذوا لباس أهل النهر ودراريعهم وطرّاداتهم وخفاتينَهم فلبسوها ، وتنكّروا ليأخذوا الهيثم الغنوىّ ومَن معه أيضًا ، ولا يعلمون بخروج الأفشين ، وجاءوا كأنهم أصحاب النهر ، فلما جاءوا لم يعرفوا الموضع الذى كان يقف فيه علم صاحب النهر ، فوقفوا فى غير موضع صاحب النهر ، وجاء الهيثم فوقف فى موقفه ، فأنكر ما رأى ، فوجّه ابن عمّ له ، فقال له : اذهب إلى هذا البغيض ، فقل له : لأىّ شىء وقوفك ؟ فجاء ابن عمّ الهيثم ، فلما رأى القوم أنكرهم لما دنا منهم[2] ، فرجع إلى الهيثم ، فقال له : إنّ هؤلاء القوم لستُ أعرفهم ، فقال له الهيثم : أخزاك الله ! ما أجبنَك ! ووجّه خمسة فرسان من قبله ، فلماجاءوا وقربوا من بابك ، خرج من الخُرّميّة رجلان فتلقّوْهما وأنكروهما ، وأعلموهما أنهم قدعرفوهما ، ورجعوا إلى الهيثم ركضًا ، فقالوا : إنّ الكافر قد قتل علّويه وأصحابه ، وأخذوا أعلامهم ولباسهم ، فرحل هيثم منصرفًا ، فأتى القافلة التى جاء بها معه ، وأمرهم أن يركضوا ويرجعوا ، لئلاّ يؤخذوا ، ووقف هو فى أصحابه ، يسير بهم قليلا قليلا ، ويقف بهم قليلا ، ليشغل الخُرّميّة عن القافلة ، وصار شبيهًا بالحامية لهم ؛ حتّى وصلت القافلة إلى الحصن الذى يكون فيه الهيثم — وهو أرشق — وقال لأصحابه : مَنْ يذهب منكم إلى الأمير وإلى أبى‌سعيد فيعلمهما وله عشرة آلاف درهم وفرس بدل فرسه إن نَفَق فرسه فله مثل فرسه على مكانه ؟ فتوجّه رجلان من أصحابه على فرسيْن فارهين يركضان ، ودخل الهيثم الحصنَ ، وخرج بابك فيمن معه ؛ فنزل بالحصن ، ووضِع له كرسىّ وجلس على شرف

١١٧٧/٣

(١) تكملة من ا . (٢) ا : « فلما رأى القوم ودنا منهم أنكرهم » .

بحيال الحصن ، وأرسل إلى الهيثم : خلّ عن الحصن وانصرفْ حتى أهدمه . فأبى الهيثم وحاربه . وكان مع الهيثم فى الحصن ستمائة راجل وأربعمائة فارس ، وله خندق حَصين . فقاتله ، وقعد بابك فيمن معه ، ووضع الخمر بين يديه ليشربها ، والحرب مشتبكة كعادته ، ولقى الفارسان الأفشين على أقلّ من فرسخ من أرشق ، فساعة نظر إليهما[1] من بعيد قال لصاحب مقدّمته : أرى فارسين يركُضان ركضاً شديداً ، ثم قال : اضربوا الطبل ، وانشروا الأعلام ، واركضوا نحو الفارسين. ففعل أصحابه ذلك ، وأسرعوا السّير ، وقال لهم : صيحوا بهما : لبّيك لبيك ! فلم يزل الناس فى طَلَق واحد متراكضين ، يكسر بعضهم بعضاً حتى لحقوا بابك ؛ وهو جالس ، فلم يتدارك أن يتحوّل ويركب حتى وافته الخيل والناس ، واشتبكت الحرب[2] ، فلم يفلت من رجّالة بابك أحد ، وأفلت هو فى نفريسير ، ودخل مُوقان ، وقد تقطّع عنه أصحابه ، وأقام الأفشين فى ذلك الموضع ، وبات ليلتَه ، ثم رجع إلى معسكره ببرزَنْد ، فأقام بابك بمُوقان أياماً . ثم إنه بعث إلى البَذّ ، فجاءه فى الليل عسكر فيه رجّالة ، فرحل بهم من موقان حتى دخل البذّ ، فلم يزل الأفشين معسكراً ببرْزَند ، فلما كان فى بعض الأيام مرّت به قافلة من خُشّ إلى برْزند ، ومعها رجل من قِبَل أبى سعيد يسمى صالح آبْكش[3] — تفسيره السقاء — فخرج عليه أصبهبذ بابك ، فأخذ القافلة ، وقتل مَنْ فيها ، وقتل مَنْ كان مع صالح ، وأفلت صالح بلا خفّ مع من أفلت ، وقُتل جميع أهل القافلة ، وانتُهب متاعهم ، فقحط عسكر الأفشين من أجل تلك القافلة التى أخذت من الآبْكش ؛ وذلك أنها كانت تحمل الميرة ، فكتب الأفشين إلى صاحب المراغة يأمره بحمل الميرة وتعجليها عليه ؛ فإنّ الناس قد قحطوا وجاعوا[4] ، فوجّه إليه صاحب المراغة بقافلة ضخمة ، فيها قريب من ألف ثَوْر سوى الحمُر والدوابّ وغير ذلك ، تحمل الميرة ، ومعها جند يُبذرقونها ، فخرجت عليهم أيضاً سرّية لبابك ، كان عليها طَرْخان — أو آذين — فاستباحوها عن آخرها بجميع ما فيها ، وأصاب الناسَ ضيق شديد ؛ فكتب الأفشين إلى صاحب السيروَان

١١٧٨/٣

١١٧٩/٣

(١) ا : « يصر بهما » .
(٢) ابن الأثير : « فاشتبكت الحرب » .
(٣) ا : « أركش » .
(٤) س : « وضاقوا » .

أن يحمل إليه طعاماً ، فحمل إليه طعاماً كثيراً ، وأغاث الناس فى تلك السنة ، وقدم بُغا على الأفشين بمال ورجال .

* * *

[ذكر الخبر عن خروج المعتصم إلى القاطول]

وفى هذه السنة خرج المعتصم إلى القاطُول ، وذلك فى ذى القعدة منها .

* ذكر الخبر عن سبب خروجه إليها :

ذكر عن أبى الوزير أحمد بن خالد ، أنه قال : بعثنى المعتصم فى سنة تسع عشرة ومائتين ، وقال لى : يا أحمد ، اشتر لى بناحية سامَرّا موضعاً أبنى فيه مدينة ؛ فإنى أتخوّف أن يصيح هؤلاء الحرميّة[1] صيحة ، فيقتلوا غلمانى ؛ حتى أكون فوقهم[2] ، فإن رابنى منهم ريْب أتيتُهم فى البرّ والبحر ؛ حتى آتى عليهم . وقال لى : خذ مائة ألف دينار ، قال : قلت : آخذ خمسة آلاف دينار ، فكلّما احتجت إلى زيادة بعثت إليك فاستزدت ؟ قال : نعم ؛ فأتيت الموضع ، فاشتريت سامَرّا بخمسمائة درْهم من النصارى أصحاب الدير ، واشتريتُ موضع البستان الخاقانىّ بخمسة آلاف درهم ، واشتريتُ عدّة مواضع حتى أحكمت ما أردت ، ثم انحدرت فأتيته بالصِّكاك ، فعزم على الخروج إليها فى سنة عشرين ومائتين ، فخرج حتى إذا قارب القاطول ، ضُرِبت له فيه القباب والمضارب ، وضرب الناس الأخبية ؛ ثم لم يزل يتقدّم ، وتُضرب له القباب حتى وضع البناء بسامرّا فى سنة إحدى وعشرين ومائتين .

١١٨٠/٣

فذكر عن أبى الحسن بن أبى عباد الكاتب ، أن مسرورًا الخادم الكبير ، قال : سألنى المعتصم : أين كان الرشيد يتنزّه إذا ضجِر من المقام ببغداد ؟ قال : قلت له : بالقاطول ؛ وقد كان بنى هناك مدينة آثارها وسورها قائم ؛ وقد كان خافَ من الجند ما خاف المعتصم ، فلما وثب أهل الشأم بالشأم وعصوا ، خرج الرشيد إلى الرّقة فأقام بها ، وبقيت مدينة القاطول لم تستتمّ ، ولما خرج المعتصم إلى القاطول استخْلَف ببغداد ابنه هارون الواثق .

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « الحربية » . (٢) ابن الأثير : « فأريد أن أكون فوقهم » .

وقد حدّثنى جعفر بن محمد بن بوّازة الفرّاء، أن سبب خروج المعتصم إلى القاطول، كان أنّ غلمانه الأتراك كانوا لا يزالون يجدُون الواحد بعد الواحد منهم قتيلا فى أرباضها ؛ وذلك أنهم كانوا عُجْماً جفاة يركبون الدوابّ، فيتراكضون فى طرُق بغداد وشوارعها ، فيصدمون الرجل والمرأة ويطئون الصبىّ ، فيأخذهم الأبناء فينكسونهم عن دوابّهم ويجرحون بعضهم ؛ فربما هلك من الجراح بعضهم ، فشكت الأتراك ذلك إلى المعتصم ، وتأذّت بهم العامة ؛ فذُكر أنه رأى المعتصم راكبًا منصرفاً من المصلّى فى يوم عيد أضحى أو فطر ؛ فلما صار فى مربّعة الحرَشىّ، نظر إلى شيخ قد قام إليه، فقال له : يا أبا إسحاق، قال : فابتدره الجند ليضربوه ؛ فأشار إليهم المعتصم فكفّهم عنه ، فقال للشيخ : مالك ! قال: لا جزاك الله عن الجِوار خيراً ! جاورتَنا وجئت بهؤلاء العلُوج فأسكنتَهم بين أظهرنا ، فأيتمت بهم صبياننا ، وأرملت بهم نسواننا ، وقتلت بهم رجالنا ! والمعتصم يسمع ذلك كله. قال : ثم دخل داره فلم يُرَ راكبًا إلى السنة القابلة فى مثل ذلك اليوم ؛ فلما كان فى العام المقبل فى مثل ذلك اليوم خرج فصلّى بالناس العيد ؛ ثم لم يرجع [1] إلى منزله ببغداد ؛ ولكنه صرف وجهَ دابته [2] إلى ناحية القاطول ؛ وخرج من بغداد ولم يرجع إليها .

٣/١١٨١

* * *

[ذكر الخبر عن غضب المعتصم على الفضل بن مروان]

وفى هذه السنة غضب المعتصم على الفضل بن مروان وحبسه

* ذكر الخبر عن سبب غضبه عليه وحبسه إياه وسبب اتصاله بالمعتصم:

ذُكر أن الفضل بن مروان – وهو رجل من أهل البَرَدان – كان متصلا برجل من العمّال يكتب له ، وكان حسن الخطّ ، ثم صار مع كاتب كان للمعتصم يقال له يحيى الجُرْمقانىّ ، وكان الفضل بن مروان يخطّ بين يديه ؛ فلما مات الجُرْمقانىّ صار الفضل فى موضعه ؛ وكان يكتب للفضل علىّ بن

٣/١١٨٢

(١) ف : « ثم رجع » . (٢) ف : « وجهه » .

حسان الأنبارىّ ، فلم يزل كذلك حتى بلغ المعتصم الحالُ التى بلغها ؛ والفضل كاتبه ، ثم خرج معه[1] إلى معسكر المأمون ، ثم خرج معه إلى مصر ، فاحتوى على أموال مصر ، ثم قدم[2] الفضل قبل موت المأمون بغداد ، ينفذ أمور المعتصم ، ويكتب على لسانه بما أحبّ[3] حتى قدم المعتصم خليفةً ، فصار الفضل صاحب الخلافة[4] ، وصارت الدّواوين كلها تحت يديه وكنز الأموال ، وأقبل أبو إسحاق حين دخل بغداد يأمره بإعطاء المغنّى والمُلهِى ؛ فلا ينفذ الفضل ذلك ، فثقُل على أبى إسحاق .

فحدثنى إبراهيم بن جهرويه أن إبراهيم المعروف بالهفْتىّ — وكان مضحكاً — أمر له المعتصم بمال ؛ وتقدّم إلى الفضل بن مروان فى إعطائه ذلك ، فلم يعطه الفضل ما أمر به المعتصم ؛ فبينا الهفْتىّ يومًا عند المعتصم ، بعد ما بُنيت له داره التى ببغداد ، واتّخذ له فيها بستان ، قام المعتصم يتمشّى فى البستان ينظر إليه وإلى ما فيه من أنواع الرّياحين والغُروس ، ومعه الهفْتىّ ، وكان الهفتىّ يصحب المعتصم قبل أن تُفضِىَ الخلافة إليه ، فيقول فيما يداعبه : والله لا تفلح أبدًا ! قال : وكان الهفْتىّ رجلاً مربوعًا ذا كُدْنة ، والمعتصم رجلا معرّقًا[5] خفيف اللحم ، فجعل المعتصم يسبق الهفْتىّ فى المشى ؛ فإذا تقدمه ولم ير الهفتىّ معه التفت إليه ، فقال له : ما لك لا تمشى ! يستعجله المعتصم فى المشى ليلحق به ؛ فلما كثُر ذلك من أمر المعتصم على الهفْتىّ ، قال له الهفْتىّ ، مداعباً له : كنتُ أصلحك الله ، أرانى أماشى خليفة ؛ ولم أكن أرانى أماشى فَيْجًا[6] ، والله لا أفلحت ! فضحك منها المعتصم ، وقال : ويلك ! هل بقىَ من الفلاح شىء لم أدركه ! أبعد الخلافة تقول هذا لى ! فقال له الهفتىّ : أتحسب أنك قد أفلحت الآن ! إنما لك من الخلافة الاسم ؛ والله ما يجاوز أمرك أذُنيْك ؛ وإنما الخليفة الفَضْل بن مروان ، الذى يأمر فينفُذ أمره من ساعته ، فقال له المعتصم : وأىّ أمر لى لا ينفذ ! فقال له : الهفتىّ : أمرتَ لى بكذا وكذا منذ شهرين ؛ فما أُعْطيتُ مما أمرتَ به منذ ذاك حبّة !

١١٨٣/٣

(١) س : « معها » . (٢) ف : « خرج » . (٣) س : « ما أحب » .
(٤) ف : « كاتب الخلافة » . (٥) المعرق : الخفيف اللحم .
(٦) الفيج : رسول السلطان على رجله ؛ فارسى معرب .

قال : فاحتجنها على الفضل المعتصم حتى أوقع به .

فقيل : إن أول ما أحدثه فى أمره حين تغير له أن صير أحمد بن عمار الخراسانى زماماً عليه فى نفقات الخاصة ، ونصر بن منصور بن بسام زماماً عليه فى الخراج وجميع الأعمال ؛ فلم يزل كذلك ؛ وكان محمد بن عبد الملك الزيات يتولى ما كان أبوه يتولاه للمأمون من عمل المشمس والفساطيط وآلة الجمازات[1] ويكتب على ذلك مما جرى على يدى محمد بن عبد الملك ، وكان يلبس إذا ٣/١١٨٤ حضر الدار دراعة سوداء وسيفاً بحمائل ، فقال له الفضل بن مروان : إنما أنت تاجر، فما لك وللسواد[2] والسيف ! فترك ذلك محمد ، فلما تركه أخذه الفضل برفع[3] حسابه إلى دليل بن يعقوب النصرانى ، فرفعه ، فأحسن دليل فى أمره ؛ ولم يرزأه شيئاً ، وعرض عليه محمد هدايا ، فأبى دليل أن يقبل منها[4] شيئاً ، فلما كانت سنة تسع عشرة ومائتين — وقيل سنة عشرين ، وذلك عندى خطأ — خرج المعتصم يريد القاطول ، ويريد البناء بسامرا ، فصرفه كثرة زيادة دجلة ؛ فلم يقدر على الحركة ، فانصرف إلى بغداد إلى الشماسية ، ثم خرج بعد ذلك ؛ فلما صار بالقاطول غضب على الفضل بن مروان وأهل بيته فى صفر ، وأمرهم برفع ما جرى على أيديهم ؛ وأخذ الفضل وهو مغضوب عليه فى عمل حسابه ، فلما فرغ من الحساب لم يناظر فيه ، وأمر بحبسه ؛ وأن يحمل إلى منزله ببغداد فى شارع الميدان ، وحبس أصحابه ، وصير مكانه محمد بن عبد الملك الزيات ، فحبس دليلاً ، ونفى الفضل إلى قرية فى طريق الموصل يقال لها السن ، فلم يزل بها مقيماً ؛ فصار محمد بن عبد الملك وزيراً كاتباً ، وجرى على يديه عامة ما بنى المعتصم بسامرا من الجانبين الشرقى والغربى ، ولم يزل فى مرتبته حتى استخلف المتوكل ، فقتل محمد بن عبد الملك .

وذكر أن المعتصم لما استوزر الفضل بن مروان حل من قبله المحل الذى ٣/١١٨٥ لم يكن أحد يطمع فى ملاحظته ، فضلا عن منازعته ولا فى الاعتراض فى أمره

---

(١) الجمازة ، بالضم : مدرعة صوف ضيقة الكمين .
(٢) ف : « والسواد » .
(٣) ف : « فرفع » .
(٤) ف : « يقبلها » .

ونهيه ، وإرادته وحكمه ؛ فكانت هذه صفته ومقداره ؛ حتى حملته الدّالة ، وحرّكته الحُرْمة على خلافه فى بعض ما كان يأمره به ، ومنّعه ما كان يحتاج إليه من الأموال فى مهمّ أموره ؛ فذكر عن ابن أبى دواد أنه قال : كنت أحضر مجلس المعتصم ؛ فكثيرًا ما كنت أسمعه يقول للفضل بن مروان : احمل إلىّ كذا وكذا من المال ، فيقول : ما عندى ، فيقول : فاحتلها من وجه من الوجوه ؛ فيقول : ومن أين أحتالها ! ومَنْ يعطينى هذا القدر من المال ؟ وعند من أجده ؟ فكان ذلك يسوءُه وأعرفُه فى وجهه ؛ فلمّا كثر هذا من فعاله ركبتُ إليه يوماً فقلت له مستخلياً به : يا أبا العباس ؛ إنّ الناس يدخلون بينى وبينك بما أكره وتكره ؛ وأنْت امرؤ قد عرفتُ أخلاقَك ، وقد عرفها الداخلون بيننا ؛ فإذا حُرِّكت فيك بحقّ فاجعله باطلا ؛ وعلى ذلك فما أدع نصيحتَك وأداء ما يجب علىّ فى الحقّ لك ؛ وقد أراك كثيراً ما تردّ على أمير المؤمنين أجوبةً غليظة تُرمضه ، وتقدح فى قلبه ، والسلطان لا يحتمل هذا لابنه ، لا سيما إذا كثر ذلك وغلظ . قال : وما ذاك يا أبا عبد الله ؟ قلت : أسمعه كثيراً ما يقول لك : نحتاج إلى كذا من المال لنصرفَه فى وجه كذا ، فتقول : ومن يعطينى هذا ! وهذا ما لا يحتمله الخلفاء ، قال : فما أصنع إذا طلَب منى ما ليس عندى ؟ قلت : تصنع أن تقول : يا أمير المؤمنين ، نحتال فى ذاك بحيلة ، فتدفع عنك أياماً إلى أن يتهيّأ ، وتحمل إليه بعض ما يطلب وتسوّفه[1] بالباقى ، قال : نعم أفعل وأصير إلى ما أشرتَ به[2] . قال : فوالله لكأنى كنتُ أغريه بالمنع ، فكان إذا عاوده بمثل ذلك من القول ، عاد إلى مثل ما يكره من الجواب . قال : فلما كثُر ذلك عليه ، دخل يوماً إليه وبين يديه حزمة نرجس غضّ ، فأخذها المعتصم فهزّها ، ثم قال : حيّاك الله يا أبا العباس ! فأخذها الفضل بيمينه ، وسلّ

١١٨٦/٣

---

(١) ف : « يطلبه وتسوف » .

(٢) س : « إليه » .

المعتصم خاتمه من أصبعه بيساره ، وقال له بكلام خفىّ : أعطنى خاتمى ، فانتزعه من يده ، ووضعه فى يد ابن عبد الملك .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة صالح بن العباس بن محمد

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك الوقعة التى كانت بين بابك وبُغا الكبير من ناحية هَشْتادسَر ، فهزِم بُغا واستبيح عسكره .

* * *

[ذكر الخبر عن وقعة الأفشين مع بابك فى هذه السنة]

وفيها واقع الأفشين بابك وهزمه .

* ذكر الخبر عن هذه الوقعة وكيف كان السبب فيها :

١١٨٧/٣

ذكر أن بُغا الكبير قدِم بالمال الذى قد مضى ذكره ؛ وأنّ المعتصم وجّهه معه إلى الأفشين عطاءً للجند الذى كان معه ولنفقات[1] الأفشين، على الأفشين، وبالرجال الذين توجّهوا[2] معه إليه ، فأعطى الأفشين أصحابه ، وتجهّز بعد النيروز ، ووجّه بُغا فى عسكر ليدور حول هَشْتادسَر ، وينزل فى خندق محمد بن حميد ويحفره ويُحكمه وينزله. فتوجّه بُغا إلى خندق محمد بن حُميد، وصار إليه ، ورحل الأفشين من بَرْزَند ، ورحل أبو سعيد من خُشّ يريد بابك، فتوافوْا بموضع يقال له درْوذ ، فاحتفر الأفشين بها خندقاً ، وبنى حوله سوراً ، ونزل هو وأبو سعيد فى الخندق مع مَنْ كان صار إليه من المطوّعة ؛ فكان بينه وبين البَذّ ستّة أميال . ثم إن بُغا تجهّز ، وحمل معه الزاد من غير أن يكون الأفشين كتب إليه ولا أمره بذلك ؛ فدار حول هَشْتادسَر حتى دخل إلى قرية البذّ ، فنزل فى وسطها ، وأقام بها يوماً واحداً ، ثم وجّه ألف رجل فى علاّفة له ، فخرج عسكر من عساكر بابك ، فاستباح العلاّفة ، وقتل جميع مَنْ قاتله منهم ، وأسر مَنْ قدر عليه ، وأخذ بعض الأسرى ؛ فأرسل

---

(١) ف : « ولنفقات » .
(٢) ا : « وجهوا » .

٣/١١٨٨ منهم رجلين مما يلي الأفشين ، وقال لهما : اذهبا إلى الأفشين ، وأعلماه[1] مانزل بأصحابكم[2]. فأشرف الرجلان ، فنظر إليهما صاحب الكوهبانية ؛ فحرك العلم ، فصاح أهل العسكر: السلاح السلاح ! وركبوا يريدون البذ ، فتلقاهم الرجلان عريانين ؛ فأخذهما صاحب المقدمة ، فمضى بهما إلى الأفشين ، فأخبراه بقضيتهما ، فقال : فعل شيئاً من غير أن نأمره . ورجع بغا إلى خندق محمد بن حميد شبيهاً بالمنهزم ؛ وكتب إلى الأفشين يعلمه ذلك ، ويسأله المدد ، ويعلمه أن العسكر مفلول ، فوجه إليه الأفشين أخاه الفضل بن كاوس وأحمد بن الخليل بن هشام وابن جوشن وجناحا الأعور السكري وصاحب شرطة الحسن بن سهل — وأحد الأخوين قرابة الفضل بن سهل — فداروا حول هشتادسر ، فسر أهل عسكره بهم ؛ ثم كتب الأفشين إلى بغا يعلمه أنه يغزو بابك في يوم سماه له ، ويأمره أن يغزوه في ذلك اليوم بعينه ، ليحاربه من كلا الوجهين ؛ فخرج الأفشين في ذلك اليوم من درود يريد بابك ، وخرج بغا من خندق محمد بن حميد ، فصعد إلى هشتادسر ، فعسكر على دعوة بجنب قبر محمد بن حميد ، فهاجت ريح باردة ومطر شديد ؛ فلم يكن للناس عليها صبر لشدة البرد وشدة الريح ، فانصرف بغا إلى عسكره ، وواقعهم

٣/١١٨٩ الأفشين من الغد ، وقد رجع بغا إلى عسكره ، فهزمه الأفشين[3] ، وأخذ عسكره وخيمته وامرأة كانت معه في العسكر . ونزل الأفشين في معسكر بابك . ثم تجهز بغا من الغد ، وصعد هشتادسر ، فأصاب العسكر الذي كان مقيماً بإزائه بهشتادسر ، قد انصرف إلى بابك ، ورحل بغا إلى موضعه ، فأصاب خرثياً[4] وقماشاً[5] ، وانحدر من هشتادسر يريد البذ ، فأصاب رجلا وغلاماً نائمين فأخذهما داودسياه — وكان على مقدمته — فساءلهما ، فذكرا أن رسول بابك أتاهم في الليلة التي انهزم فيها بابك ، فأمرهم أن يوافوه بالبذ ، فكان الرجل والغلام سكرانين ، فذهب بهما النوم ، فلا يعرفان من الخبر غير

---

(١) س : « فأعلماه » . (٢) ا ، س : « بصاحبكم » .

(٣) ابن الأثير : « فهزم أصحاب بابك » . (٤) الخرثي : الردىء من متاع البيت .

(٥) القماش : الردىء من كل شىء ، واحده قمش .

هذا ؛ وكان ذلك قبل صلاة العصر . فبعث بُغا إلى داودسياه : قد توسطنا الموضع الذى نعرفه – يعنى الذى كنا فيه فى المرة الأولى – وهذا وقت المساء ، وقد تعب الرّجّالة ، فانظر جبلا حصينًا يسع عسكرنا[1] حتى نعسكر فيه ليلتنا هذه . فالتمس داودسياه ذلك ، فصعد إلى بعض الجبال ، فالتمس أعلاه فأشرف ، فرأى أعلام الأفشين ومعسكره شبه الخيال[2] فقال : هذا موضعنا إلى غُدوة ، وننحدر من الغد إلى الكافر إن شاء الله . فجاءهم فى تلك الليلة سحابٌ وبرْد ومطر وثلج كثير ؛ فلم يقدر أحد حين أصبحوا أن ينزل من الجبل يأخذ ماء ، ولا يسقى دابّته من شدّة البرد وكثرة الثلج ؛ وكأنهم كانوا فى ليل من شدّة الظلمة والضباب . فلمّا كان اليوم الثالث قال الناس لبُغا : قد فنىَ ما معنا من الزّاد ، وقد أضرّ بنا البرْد ؛ فانزل على أىّ حالة كانتْ ؛ إما راجعين وإما إلى الكافر . وكان فى أيام الضّباب . فبيت بابك الأفشين ونقض عسكره ، وانصرف الأفشين عنه إلى معسكره ، فضرب بُغا بالطّبْل ، وانحدر يريد البذّ حتى صار إلى البطْن ، فنظر إلى السماء منجلية ، والدّنيا طيّبة ، غير رأس الجبل الذى كان عليه بُغا ، فعبّى بُغا أصحابه ميمنةً وميسرةً ومقدّمة ، وتقدّم يريد البذّ ، وهو لا يشك أن الأفشين فى موضع معسكره ، فمضى حتى صار بلزق جبَل البذّ ، ولم يبق بينه وبين أن يشرف على أبيات البذّ إلا صعود قدْر نصف ميل ؛ وكان على مقدّمته جماعة فيهم غلام لابن البعيث ، له قرابة بالبذّ ، فلقيتهم طلائع لبابك ، فعرف بعضهم الغلام ، فقال له : فلان ، فقال : من هذا[3] هاهنا ؟ فسمّى له مَنْ كان معه من أهل بيته ، فقال : ادنُ حتى أكلّمك ، فدنا الغلام منه ، فقال له : ارجع وقلْ لمن تعنى به يتنحّى ؛ فإنا قد بيّتنا الأفشين ، وانهزم إلى خندقه وقد هيّأنا لكم عسكرْين ، فعجّل الانصراف لعلك أن تفلت . فرجع الغلام فأخبر ابن البعيث بذلك ، وسمّى له الرجل ، فعرفه ابن البعيث ، فأخبر ابن البعيث بُغا بذلك ، فوقف بُغا شاور أصحابه ، فقال بعضهم : هذا باطل ؛ هذه

١١٩٠/٣

---

(١) أ ، س : « معسكرنا » .
(٢) كذا فى ا ، وفى ط : « الجبال » .
(٣) ساقطة من ف .

خـُدعة ليس من هذا شىء ، فقال بعض الكـُوهبانيـّين : إنّ هذا رأس جبل
أعـرفه ، مـَن صعد إلى رأسه نظر إلى عسكر الأفشين . فصعد بغا والفضل بن ١١٩١/٣
كاوس وجماعة منهم ممن نشط ، فأشرفوا على الموضع ، فلم يروا فيه عسكر الأفشين
فتيقـّنوا[1] أنه قد مضى ، وتشاوروا ، فرأوا أن ينصرف الناس راجعين فى صدر
النهار قبل أن يجنـّهم الليل ، فأمر بـُغا داودسياه بالانصراف ، فتقدّم داود
وجدّ فى السير ، ولم يقصد الطريق الذى كان دخل منه إلى هـَشـْتادسـَر مخافة
المضايق والعـِقاب ، وأخذ الطريق الذى كان دخل منه فى المرّة الأولى ، يدور
حول هـَشـْتادسـَر ، وليس فيه مضيق إلاّ فى موضع واحد .

فسار بالناس ، وبعث بالرّجالة ، فطرحوا رماحهم وأسلحتهم فى الطريق ،
ودخلتـْهم وَحـْشة شديدة ورُعب ، وصار بـُغا والفضل بن كاوس وجماعة
القوّاد فى الساقة ، وظهرت طلائع بابك ؛ فكلما نزل هؤلاء جبلاً صعدته
طلائع بابك ؛ يتراءوْن لهم مرّة ويغيبون عنهم مرّة ، وهم فى ذلك يـَقـْفـُون
آثارهم ، وهم قدر عشرة فرسان ؛ حتى كان بين الصّلاتين : الظهر والعصر ،
فنزل بـُغا ليتوضّأ ويصلـّى ، فتدانت منهم طلائع بابك ، فبرزوا لهم ، وصلى بـُغا ،
ووقف فى وُجوههم ، فوقفوا حين رأوْه ، فتخوّف بـُغا على عسكره أن يواقعه
الطلائع من ناحية ، ويدور عليهم فى بعض الجبال والمضايق قومٌ آخرون ،
فشاور مـَنْ حضره[2] وقال : لست آمن أن يكونوا جعلوا هؤلاء مشغـَلة ،
يحبسوننا عن المسير ، ويقدّمون أصحابهم ليأخذوا على أصحابنا المضايق. ١١٩٢/٣
فقال له الفضل بن كاوس : ليس هؤلاء أصحاب نهار ؛ وإنما هم أصحاب
ليل ؛ وإنما يتخوّف على أصحابنا من الليل ، فوَجـِّهْ إلى داودسياه ليـُسرع
السيرَ ولا ينزل ، ولو صار إلى نصف الليل حتى يجاوز المضيق ، ونقف نحن
ها هنا ؛ فإنّ هؤلاء ما داموا يروْننا فى وجوههم لا يسيرون ، فنماطلهم ونداقعهم
قليلا قليلا حتى تجىء الظلمة ؛ فإذا جاءت الظلمة لم يعرفوا لنا موضعًا ،
وأصحابنا يسيرون فينفذون أوّلا فأوّلا ، فإن أخذ علينا نحن المضيقُ تخلصنا
من طريق هـَشـْتادسر أو من طريق آخر .

---

(١) س : « فتيقن » . (٢) ف : « حضر » .

وأشار غيره على بُغا . فقال : إنّ العسكر قد تقطّع ، وليس يدرك أوّله آخره ، والناس قد رموْا بسلاحهم ، وقد بقى المال والسلاح على البغال ، وليس معه أحد ، ولا نأمن أن يخرج عليه من يأخذ المال والأسير — وكان ابن جويدان معهم أسيراً أرادوا أن يفادوا به كاتباً لعبد الرحمن بن حبيب ، أسره بابك — فعزم بُغا على أن يعسكر بالناس حين ذُكر له المال والسلاح والأسير ، فوجّه إلى داودسياه : حيثما رأيتَ جبلا حصيناً ، فعسكرْ عليه .

فعدل داود إلى جبل مُؤرّب ، لم يكن للناس موضع يقعدون فيه من شدّة هبوطه ، فعسكر عليه ، فضرب مضرباً لبُغا على طرف الجبل فى موضع شبيه بالحائط ؛ ليس فيه مسلك ، وجاء بغا فنزل ، وأنزل الناس وقد تعبُوا وكلّوا ، وفنيت أزوادُهم ، فباتوا على تعبئة وتحارُس من ناحية المصعَد ، فجاءهم العدوّ من الناحية الأخرى ، فتعلّقوا بالجبل حتى صاروا إلى مضرب بُغا ، فكبسوا المضرب ، وبيّتوا العسكر ، وخرج بُغا راجلا حتى نجا ، وجُرح الفضل بن كاوس ، وقتِل جناح السكرىّ ، وقتِل ابن جَوْشن ، وقتِل أحد الأخوين قرابة الفضل ابن سهل ، وخرج بُغا من العسكر راجلاً ، فوَجدَ دابة فركبها ، ومرّ بابن البَعيث فأصعده على هَشْتادسَر ، حتى انحدر به على عسكر محمد بن حُميد ، فوافاه فى جوف الليل ، وأخذ الخُرَّميّة المال والسلاح والأسير ابن جويدان ، ولم يتبعوا الناس ، ومرّ الناس منهزمين منقطعين حتى وافوا بُغا ، وهو فى خندق محمد بن حُميد ، فأقام بُغا فى خندق محمد بن حميد خمسةَ عشر يوماً ، فأتاه كتاب الأفشين يأمره بالرجوع إلى المَرَاغة ، وأن يردّ إليه المدد الذى كان أمدّه به ، فمضى بُغا إلى المراغة ، وانصرف الفضل بن كاوس وجميعُ مَنْ كان جاء معه من معسكر الأفشين إلى الأفشين ، وفرّق الأفشين الناس فى مشاتيهم تلك السنة ، حتى جاء الربيع من السنة المقبلة .

١١٩٣/٣

* * *

[خبر مقتل طرخان قائد بابك]

وفى هذه السنة قُتِل قائد لبابك كان يقال له طَرْخان .

* ذكر سبب قتله :

ذُكِر أنّ طرْخان هذا كان عظيم المنزلة عند بابك ؛ وكان أحد قوّاده، فلمّا دخل الشتاء من هذه السنة، استأذن بابك فى الإذن له أن يشتوَ فى قرية له بناحية المَرَاغة — وكان الأفشين يرصده، ويحبّ الظفر به؛ لمكانه من بابك — فأذن له بابك ، فصار إلى قريته ليشتُوَ بها بناحية هَشْتادسر ، فكتب الأفشين إلى تُرْك مولى إسحاق بن إبراهيم بن مصعب وهو بالمَرَاغة، أن يسرى إلى تلك القرية — ووصفها له — حتى يقتل طرخان، أو يبعث به إليه أسيراً. فأسرى تُرْك إلى طَرْخان ، فصار إليه فى جوف الليل ، فقتَل طرخان وبعث برأسه إلى الأفشين .

١١٩٤/٣

* * *

وفى هذه السنة قدم صول أرتكين وأهل بلاده فى قيود فنُزِعت قيودُهم ، وحمِل على الدوابّ منهم نحو من مائتى رجل .

وفيها غضب الأفشين على رجاء الحضارىّ وبعث به مقيَّداً .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة محمد بن داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس ، وهو والى مكة .

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من توجيه المعتصم جعفر بن دينار الخياط إلى الأفشين مدداً له، ثم إتباعه بعد ذلك بإيتاخ وتوجيهه معه ثلاثين ألف ألف درهم عطاء للجند وللنفقات . ٣/١١٩٥

* * *

[ذكر خبر الوقعة بين أصحاب الأفشين وآذين قائد بابك]

وفيها كانت وقعة بين أصحاب الأفشين وقائد لبابك يقال له آذين .

• ذكر الخبر عن هذه الوقعة وما كان سببها :

ذكر أن الشتاء لما انقضى من سنة إحدى وعشرين ومائتين وجاء الربيع ، ودخلت سنة اثنتين وعشرين ومائتين ، ووجّه المعتصم إلى الأفشين ما وجهه إليه من المدد والمال ، فوافاه ذلك كله وهو ببرزَنْد، سلّم إيتاخ إلى الأفشين المالَ والرّجال الذين كانوا معه وانصرف ، وأقام جعفر الخياط مع الأفشين مدّة ، ثم رحل الأفشين عند إمكان الزّمان ، فصار إلى موضع يقال له كلان روذ، فاحتفر فيه خندقًا ، وكتب إلى أبي سعيد ، فرحل من بَرْزَنْد إلى إزائه على طرف رستاق كلان روذ ، وتفسيره : نهر كبير ؛ بينهما قدر ثلاثة أميال ، فأقام معسكراً في خندق ، فأقام بكلان روذ خمسة أيام ، فأتاه من أخبره أنّ قائداً من قواد بابك يدعى آذين ، قد عسكر بإزاء الأفشين ، وأنه قد صير عياله في جبل يشرف على رُوذ الروذ ، وقال : لا أتحصّن من اليهود — يعني المسلمين — ولا أدخل عيالي حصنًا ؛ وذلك أنّ بابك قال له : أدخِل عيالك الحصن، قال : أنا أتحصّن من اليهود ! والله لا أدخلتهم حصنًا أبداً ، فنقلهم إلى هذا الجبل ، فوجّه الأفشين ظفر بن العلاء السعديّ والحسين بن خالد المدائنيّ من قواد أبي سعيد في جماعة من الفرسان والكوهْبانية ، ٣/١١٩٦

فساروا ليلتهم من كلان روذ ؛ حتى انحدرا فى مَضِيق لا يمرّ[١] فيه راكب واحد إلا بجَهد، فأكثرُ الناس قادوا دوابّهم، وانسلّوا رجلا خلْف رجل، فأمرهم أن يصيروا قبل طلوع الفجر على روذ الرّوذ ، فيعبر الكوهبانية رجّالة ؛ لأنه لا يمكن الفارس أن يتحرّك هناك، ويتسلقوا الجبل؛ فصاروا على[٢] روذ الروذ قبل السّحَر ، ثمّ أمر مَنْ أطاق من الفرسان أن يترجّل وينزع ثيابه، فترجّل عامة الفرسان، وعَبَروا وعبر معهم الكوهبانية جميعاً، وصعدوا الجبل؛ فأخذوا عيال آذين وبعض ولده، وعبروا بهم، وبلغ آذينَ الخبر بأخذ عياله ؛ وكان الأفشين عند توجّه هؤلاء الرجالة ودخولهم المضيق يخاف أن يؤخذ عليهم المضيق، فأمر الكُوهبانية أن يكون معهم أعلام، وأن يكونوا على رءوس الجبال الشواهق فى المواضع التى يُشرفون منها على ظَفَر بن العلاء وأصحابه ؛ فإن رأوا أحداً يخافونه حرّكوا الأعلام ، فبات الكوهبانيّة على رءوس الجبال ، فلما رجع ابن العلاء والحسين بن خالد بمن أخذوا من عيال آذين، وصاروا فى بعض الطريق قبل أن يصيروا إلى المضيق ، انحدر عليهم[٣] رجّالة آذين فحاربوهم قبل أن يدخلوا المضيق، فوقع بينهم قتلى ، واستنقذوا بعض النساء . ونظر إليهم الكوهبانية الذين رتّبهم الأفشين؛ وكان آذين قد وجّه عسكريْن ؛ عسكراً يقاتلهم ، وعسكراً يأخذ عليهم المضيق ؛ فلما حرّكوا الأعلام وجّه الأفشين مظفر بن كيدر فى كردوس[٤] من أصحابه ، فأسرع الرّكْض . ووجّه أبا سعيد خلف المظفّر ، وأتبعهما ببخاراخُذاه ، فوافوْا ؛ فلما نظر إليهم رجّالة آذين الذين كانوا على المضيق انحدروا عن المضيق ، وانضموا إلى أصحابهم ، ونجا ظفر بن العلاء والحسين بن خالد ومَنْ معهما من أصحابهما ، ولم يقتل منهم إلاّ من قتل فى الوقعة الأولى، وجاءوا جميعاً إلى عسكر الأفشين ؛ ومعهم النساء اللواتى أخذوهنّ .

١١٩٧/٣

* * *

(١) ف : « فلا يمرّ » .
(٢) ف : « إلى » .
(٣) ف : « إليهم » .
(٤) الكردوس : القطعة العظيمة من الخيل .

[ذكر خبر فتح البذّ مدينة بابك]

وفى هذه السنة فتحت البذّ مدينة بابك ، ودخلها المسلمون، واستباحوها ؛ وذلك فى يوم الجمعة لعشر بقينَ من شهر رمضان فى هذه السنة .

* ذكر الخبر عن أمرها وكيف فُتحت والسبب فى ذلك :

ذُكِر أنّ الأفشين لما عزم على الدنوّ من البذّ والارتحال من كلان روذ جعل يُزحلف[1] قليلا قليلا — على خلاف زحفه قبل ذلك — إلى المنازل التى كان ينزلها ؛ فكان يتقدّم الأميال الأربعة ، فيعسكر[2] فى موضع على طريق المضيق الذى ينحدر إلى روذ الرّوذ ، ولا يحفر خندقاً ؛ ولكنه يقيم معسكراً فى الحسَك، وكتب إليه المعتصم يأمره أن يجعل الناس نوائبَ كراديس تقف[3] على ظهور الخيل ، كما يدور العسكر بالليل ؛ فبعض القوم معسكرون وبعضٌ وقوف على ظهور دوابّهم على ميل كما يدور العسكر بالليل والنهار مخافة البيات ؛ كى إن دهمهم أمر يكون الناس على تعبية والرّجالة فى العسكر ؛ فضجّ الناس من التعب ، وقالوا : كم نقعد ها هنا فى المضيق ونحن قعود فى الصحراء ، وبيننا وبين العدوّ أربعة فراسخ ، ونحن نفعل فعلاً ؛ كأنّ العدو بإزائنا ! قد استحينا من الناس والجواسيس الذين يمرّون بيننا وبين العدو أربعة فراسخ ؛ ونحن قد متنا من الفزع ؛ أقدم بنا ؛ فإمّا لنا وإما علينا ، فقال : أنا والله أعلم أنّ ما تقولون حقّ ؛ ولكن أمير المؤمنين أمرنى بهذا . ولا أجدُ منه بدّاً .

1198/3

فلم يلبث أن جاءه كتاب المعتصم يأمره أن يتحرّى بدراجة الليل على حسب ما كان ؛ فلم يزل كذلك أياماً ، ثم انحدر فى خاصّته حتى نزل إلى روذ الرّوذ، وتقدّم حتى شارف الموضع الذى به الرّكوة التى واقعه عليها بابك فى العام الماضى ؛ فنظر إليها ، ووجد عليها كُردوساً من الخرّمية ؛ فلم يحاربوه ولم يحاربهم ؛ فقال بعض العلوج : ما لكم تجيئون وتفرّون ! أما تستحيون ! فأمر الأفشين ألاّ يجيئوهم ولا يبرز إليهم أحد ؛ فلم يزل مُواقفهم إلى قريب

(١) يزحلف ، أى يتقدم ، وفى ابن الأثير : « يتقدم » .

(٢) ف : « ويعسكر » . (٣) ابن الأثير : « يقفون » .

من الظهر ، ثم رجع إلى عسكره ، فمكث فيه يومين ، ثم انحدر أيضًا فى أكثر مما كان انحدر فى المرّة الأولى ، فأمر[1] أبا سعيد أن يذهب فيواقِفهم على حسب ما كان واقفهم فى المرّة الأولى ، ولا يحرّكهم ولا يهجم عليهم . ٣/١١٩٩

وقام الأفشين بروذ الرّوذ ، وأمر الكوهبانية أن يصعدوا إلى رءوس الجبال التى يظنون أنها حصينة ، فيتراءوا له فيها ، ويختاروا له فى رءوس الجبال مواضع يتحصّن فيها الرّجالة ؛ فاختاروا له ثلاثة أجبل ، قد كانت عليها حصون فيما مضى ، فخربت فعرفها ، ثم بعث إلى أبى سعيد ، فصرفه يومه ذلك ؛ فلما كان بعد يومين انحدر من معسكره إلى روذ الروذ ، وأخذ معه الكلْغَرّية — وهم الفعلة — وحملوا معهم شِكاء[2] الماء والكعْك ؛ فلما صاروا إلى روذ الرّوذ وجّه أبا سعيد ، وأمره أن يواقفهم أيضًا على حسب ما كان أمره به فى اليوم الأوّل ، وأمر الفعلة بنقل الحجارة وتحصين الطرق التى تسلك إلى تلك الثلاثة الأجبل ؛ حتى صارت شبه الحصون ، وأمر فاحتفر على كلّ طريق وراء تلك الحجارة إلى المصْعد خندقًا ؛ فلم يترك مسلكًا إلى جبل منها إلا مسلكًا واحدًا . ثم أمر أبا سعيد بالانصراف ، فانصرف ، ورجع الأفشين إلى معسكره . قال : فلما كان فى اليوم الثامن من الشهر ، واستحكم الحصر ، دفع إلى الرّجالة كعكًا وسويقًا ، ودفع إلى الفرسان الزّاد والشعير ، ووكّل بمعسكره ذلك مَنْ يحفظه . وانحدروا ، وأمر الرّجالة أن يصعدوا[3] إلى رءوس تلك الجبال ، وأن يصعدوا معهم بالماء ، وبجميع[4] ما يحتاجون إليه ، ففعلوا ذلك ، وعسكر ناحية ، ووجّه أبا سعيد ليواقف[5] القوم على حسب ما كان يواقفهم ، وأمر الناس بالنزول فى سلاحهم ، وألا يأخذ الفرسان سروج دوابهم . ثم خطّ الخندق ، وأمر الفَعَلة بالعمل فيه ، ووكّل بهم مَنْ يستحثّهم ، ونزل هو والفرسان ، فوقفوا تحت الشجر فى ظل يرعوْن دوابهم ، فلما صلى العصر ، أمر الفعلة بالصعود إلى رءوس الجبال التى حصّنها مع الرّجالة ، وأمر الرّجالة أن ٣/١٢٠٠

---

(١) ف : « وأمر » . (٢) الشكوة : وعاء للماء أو للبن من الأدم وجمعها شكاء.
(٣) ف : « بالصعود » . (٤) س : « وجميع »
(٥) س : « ليوقف » .

يتحارسوا ولا يناموا ، ويدَعوا الفَعلة فوق الجبال ينامون ، وأمر الفرسان بالركوب عند اصفرار الشمْس ، فصيَّرهم كراديس وقّفها[1] حيالهم ، بين كلّ كُردوس وكُردوس قَدْر رمية سهم ، وتقدّم إلى جميع الكراديس ألاّ يلتفتنّ كلّ واحد منكم إلى الآخر ؛ ليحفظ كلٌّ واحد منكم ما يليه ؛ فإن سمعتم هدّة فلا يلتفتنّ أحد منكم إلى أحد ، وكلّ كُردوس منكم قائم بما يليه ، فإنه لا بهدّة يأخذ . فلم يزل الكراديس وقوفًا على ظهور دوابهم إلى الصباح ، والرّجالة[2] فوق رءوس الجبال يتحارسون . وتقدّم إلى الرّجالة : متى ما أحسوا فى الليل بأحد فلا يكترثوا ، وليلْزم كلٌّ قوم منهم المواضع التى لهم ؛ وليحفظوا جبلهم وخندقهم فلا يلتفتنّ أحدٌ إلى أحد . فلم يزالوا كذلك إلى الصباح ؛ ثم أمر مَنْ يتعاهد الفرسان والرّجالة بالليل ، فينظر إلى حالتهم ؛ فلبثوا فى حفر الخندق عشرة أيام ، ودخله اليوم العاشر فقسّمه بين الناس ، وأمر القوّاد أن يبعثوا إلى أثقالهم وأثقال أصحابهم على الرفق ، وأتاه رسول بابك ومعه قِثّاء وبِطّيخ وخِيار ؛ يعلمه أنه فى أيامه هذه فى جفاء ؛ إنما يأكل الكعك والسويق هو وأصحابه ، وأنه أحبّ أن يُلطفه بذلك . فقال الأفشين للرسول : قد عرفتُ أىَّ شىء أراد أخى بهذا ؛ إنما أراد أن ينظر إلى العسكر ، وأنا أحقّ مَنْ قبل برّه ، وأعطاه شهوته ؛ فقد صدق ، أنا فى جفاء . وقال للرّسول : أما أنت فلا بدّ لك أن تصعد حتى ترى معسكرنا ، فقد رأيت ما هاهنا ، وترى ما وراءنا أيضًا ، فأمر بحمله على دابة ، وأن يُصعد به حتى يرى الخندق ، ويرى[3] خندق كلان روذ وخندق برزند ، ولْينظر إلى الخنادق الثلاثة ويتأملها ، ولا يخفى عليه منها شىء[4] ليخبر به صاحبه . ففُعل به ذلك ؛ حتى صار إلى برزند ، ثم ردّه إليه[5] ، فأطلقه وقال له : اذهب ، فأقرئه منى السلام — وكان من الخرّمية الذين يتعرّضون لمن يجلب الميرة إلى العسكر — ففعل ذلك مرّة أو مرتين ، ثم جاءت الخرّمية بعد ذلك فى ثلاثة كراديس ، حتى صاروا قريبًا من سور خندق الأفشين يصيحون ، فأمر الأفشين الناس ألا ينطق أحد منهم ، ففعلوا

١٢٠١/٣

(١) ف : « ووقفها ». (٢) س : « والرجال ».
(٣) ا ، ف : « فنظر إلى ». (٤) ف : « شىء منها ».
(٥) ط : « إلى عنده ».

ذلك ليلتين أو ثلاث ليال ، وجعلوا يركضون دوابّهم خلف السور ، ففعلوا ذلك غير مرّة ؛ فلما أنسوا هيّأ لهم الأفشين أربعة كراديس من الفرسان والرّجالة ، ١٢٠٢/٣ فكانت الرّجالة ناشبة ، فكمنوا لهم فى الأودية ، ووضع عليهم العيون ؛ فلما انحدروا فى وقتهم الّذى كانوا ينحدرون فيه فى كلّ مرة ، وصاحوا وجلّبوا كعادتهم شدّت عليهم الخيل والرّجالة الذين رُتّبوا ، فأخذوا عليهم طريقهم.

وأخرج الأفشين إليهم كُردوسين من الرّجالة فى جوف الليل ، فأحسوا أن قد أخذت عليهم العقبة ؛ فتفرّقوا فى عدّة طرق ؛ حتى أقبلوا يتسلّقون[1] الجبال ، فمرّوا فلم يعودوا إلى ما كانوا يفعلون ، ورجع الناس من الطلب مع صلاة الغداة إلى الخندق بروذ الروذ ، ولم يلحقوا من الخرّمية أحداً .

ثم إنّ الأفشين كان فى كل أسبوع يضرب بالطبول نصفَ الليل ، ويخرج بالشمع والنفاطات إلى باب الخندق ، وقد عرف كل إنسان منهم كُرْدوسه ؛ مَن كان فى الميمنة ومن كان فى الميسرة ؛ فيخرج الناس فيقفون فى مواقفهم ومواضعهم . وكان الأفشينُ يحمل أعلامًا سودًا كباراً ، اثنى عشر علمًا يحملها على البغال ؛ ولم يكن يحملها على الخيل لئلا تزعزع ، يحملها على اثنى عشر بغلا ؛ وكانت طبوله الكبار واحداً وعشرين طبلا ؛ وكانت الأعلام الصغار نحواً من خمسمائة علَم ؛ فيقف أصحابه كل فرق[2] على مرتبتهم من رُبْع الليل ؛ حتى إذا طلع الفجر ركب الأفشين من مضربه ، فيؤذّن المؤذن بين يديه ويصلى ، ثم يصلى الناس بغلَس ، ثم يأمر بضرب[3] الطبول ، ويسير ١٢٠٣/٣ زحفًا . وكانت علامته فى المسير والوقوف تحريك الطبول وسكونها ، لكثرة الناس ومسيرهم فى الجبال والأزقة على مصافّهم ؛ كلما استقبلوا جبلا صعدوه ، وإذا هبطوا إلى وادٍ مضوْا فيه ؛ إلا أن يكون جبلا منيعًا لا يمكنهم صعودُه وهبوطه ؛ فإنهم كانوا ينضمون إلى العساكر ، ويرجعون إذا جاءوا إلى الجبل إلى مصافّهم ومواضعهم ؛ وكانت علامة المسير[4] ضرب الطبول ؛ فإن أراد أن يقف أمسك عن ضرب الطبول ؛ فيقف الناس جميعًا من كلّ ناحية على جبل ، أو فى وادٍ أو فى مكانهم ؛ وكان يسير قليلا قليلا ؛ كلما جاءه كوهبانىّ بخبر وقف

(١) س : « يتسللون » .
(٢) ا ، س : « كل قوم » .
(٣) ف : « فيضرب » .
(٤) ا ، س : « السير » .

قليلا ؛ وكان يسير هذه الستة الأميال التى بين رُوذ الروذ ، وبين البذّ ، ما بين طلوع الفجر(١) إلى الضّحى الأكبر ؛ فإذا أراد أن يصعد إلى الرّكوة التى كانت الحرب تكون عليها فى العام الماضى ، خلّف بُخاراخُذاه على رأس العقَبة مع ألف فارس وستّمائة راجل ؛ يحفظون عليه الطريق ؛ لا يخرج أحد من الخُرّمية ؛ فيأخذ عليه الطريق . وكان بابك إذا أحسّ بالعسكر أنه وارد عليه وجه عسكراً له فيه رجّالة إلى وادٍ تحت تلك العقبة التى كان عليها بُخاراخذاه ، ويكمُنون لمن يريد أن يأخذ عليه الطريق .

وكان الأفشين يقف بخاراخُذاه يحفظ هذه العقبة التى وجّه بابك عسكره إليها ليأخذها على الأفشين ؛ وكان بُخاراخذاه يقف بها أبداً، ما دام الأفشين داخل البذّ على الرّكوة ،وكان الأفشين يتقدّم إلى بخاراخذاه أن يقف على وادٍ فيما بينه وبين البذّ شبه الخندق . ١٢٠٤/٣

وكان يأمر أبا سعيد محمد بن يوسف أن يعبُر ذلك الوادى فى كُردوس من أصحابه ، ويأمر جعفراً الخياط أن يقف أيضًا فى كُردوس من أصحابه ، ويأمر أحمد بن الخليل فيقف فى كردوس آخر ؛ فيصير فى جانب ذلك الوادى ثلاثة كراديس فى طرف أبياتهم ؛ وكان بابك يُخرج عسكراً مع آذين ، فيقف على تلّ بإزاء هؤلاء الثلاثة الكراديس خارجًا من البذّ لئلا يتقدّم أحد من عساكر الأفشين إلى باب البذّ . وكان الأفشين يقصد إلى باب البذّ ، ويأمرهم إذا عبروا بالوقوف فقط ، وترك المحاربة ،وكان بابك إذا أحسّ بعساكر الأفشين أنها قد تحركت من الخندق تريده فرّق أصحابه كمناء ؛ ولم يبق معه إلا نُفير يسير ؛ وبلغ ذلك الأفشين ، ولم يكن يعرف المواضع التى يكمُنون فيها . ثم أتاه الخبر بأن الخرّمية قد خرجوا جميعًا ،ولم يبق مع بابك إلا شرذمة من(٢) أصحابه . وكان الأفشين إذا صعد إلى ذلك الموضع بُسط له نِطَع ، ووُضع له كرسىّ ، وجلس على تلّ مشرف يُشرف(٣) على باب قصر بابك ، والناس كراديس وقوف ، مَنْ كان معه من جانب الوادى هذا أمره بالنزول ١٢٠٥/٣

(١) ف : « الشمس » . (٢) س : « مع » .
(٣) ابن الأثير : « ينظر إلى قصر » .

عن دابته ، ومَنْ كان من ذاك الجانب مع أبي سعيد وجعفر الخياط وأصحابه وأحمد بن الخليل لم ينزل لقربه من العدوّ ؛ فهم وقوف على ظهور دوابّهم ؛ ويفرق رجّالته الكوهبانية ليفتشوا الأودية ؛ طمع أن يقع على مواضع الكُمناء فيعرفها . فكانت هذه حالته [١] في التفتيش إلى بعد الظهر ، والخُرّمية بين يدى بابك يشربون النبيذ ، ويزمُرون بالسُّرْنايات [٢] ، ويضربون بالطبول ؛ حتى إذا صلى الأفشين الظهر ؛ تقدم فانحدر إلى خندقه بروذ الروذ ؛ فكان أول من ينحدر أبو سعيد ثم أحمد بن الخليل ثم جعفر بن دينار ، ثم ينصرف الأفشين ؛ وكان مجيئه ذلك مما يغيظ بابك ، وانصرافه [٣] فإذا دنا الانصراف [٣] ، ضربوا بصنُوجهم ، ونفخوا بُوقاتهم استهزاء ؛ ولا يبرح بخاراخذاه من العقبة التى هو عليها ؛ حتى تجوزه الناس جميعًا ، ثم ينصرف فى آثارهم ؛ فلما كان فى بعض أيامهم ضجرت الخُرّمية من المعادلة والتفتيش الذى كان يفتش عليهم ؛ فانصرف الأفشين كعادته ، وانصرفت الكراديس أولا فأوّلا ، وعبر أبو سعيد الوادى ، وعبر أحمد بن الخليل ، وعبر بعض أصحاب جعفر الخياط ، وفتح الخُرّمية باب خندقهم ، وخرج منهم عشرة فوارس ، وحملوا على مَنْ بقى من أصحاب جعفر الخياط فى ذلك الموضع ، وارتفعت الضّجة فى العسكر ، فرجع جعفر مع كُردوس من أصحابه بنفسه ، فحمل على أولئك الفرسان حتى ردّهم إلى باب البذّ ، ثم وقعت الضّجة فى العسكر ، فرجع الأفشين وجعفر وأصحابه من ذلك الجانب يقاتلون ؛ وقد خرج من أصحاب جعفر عدّة ، وخرج [٤] بابك بعدّة فرسان [٤] لم يكن معهم رجّالة ؛ لا من أصحاب الأفشين ، ولا من أصحاب بابك ؛ كان هؤلاء يحملون ؛ وهؤلاء يحملون ؛ فوقعت بينهم جراحات ، ورجع الأفشين حتى طُرح له النطع والكرسىّ ، فجلس فى موضعه الذى كان يجلس فيه ؛ وهو يتلظّى على جعفر ، ويقول : قد أفسد علىّ تعبيتى وما أريد .

١٢٠٦/٣

---

(١) س : « حاله » . (٢) ف : « بالشريانات » .

(٣ – ٣) ف : « إذا انصرف أو دنا الانصراف » .

(٤ – ٤) س : « من أصحاب بابك عدة فرسان بفرسان » .

وارتفعت الضجّة ، وكان مع أبي دُلف فى كردوس قوم من المطّوّعة من أهل البصرة وغيرهم ؛ فلما نظروا إلى جعفر يحارب ، انحدر أولئك المطوّعة بغير أمر الأفشين ، وعبروا إلى ذلك جانب[1] الوادى ؛ حتّى صاروا إلى جانب البذّ ، فتعلّقوا به ، وأثّروا فيه آثاراً ؛ وكادوا يصعدونه فيدخلون البذّ ، ووجّه[2] جعفر إلى الأفشين : أن أمدّنى بخمسمائة راجل من الناشبة ؛ فإنى أرجو أن أدخل البذّ إن شاء الله ؛ ولست أرى فى وجهى كثير[3] أحد إلاّ هذا الكُردوس الذى تَراه أنت فقط — يعنى كردوس آذين — فبعث إليه الأفشين أن قد أفسدتَ علىّ أمرى ، فتخلّص قليلا قليلاً ، وخلّص أصحابك وانصرف . وارتفعت الضجة من المطوّعة حين تعلّقوا بالبذّ ، وظنّ الكُمناء الذين أخرجهم بابك أنها حرب قد اشتبكت ؛ فنعروا ووثبوا من تحت عسكر بُخاراخذاه ، ووثب كمين آخر من وراء الرّكوة التى كان الأفشين يقعد عليها ، فتحرّكت الخُرّمية ، والناس وقوف على رءوسهم لم يزُل منهم أحد ؛ فقال الأفشين : الحمد لله الذى بيّن لنا مواضع هؤلاء .

١٢٠٧/٣

ثم انصرف جعفر وأصحابه والمطوّعة ، فجاء جعفر إلى الأفشين ؛ فقال له : إنما وجّهنى سيّدى أمير المؤمنين للحرب التى ترى ، ولم يوجّهنى للقعود ها هنا ، وقد قطعتَ بى فى موضع حاجتى ما كان يكفينى إلا خمسمائة راجل حتّى أدخل البذّ أو جوف داره ؛ لأنى قد رأيت من بين يدىّ . فقال له الأفشين : لا تنظر إلى ما بين يديْك ؛ ولكن انظر إلى ما خلفك وما قد وثبوا ببخاراخذاه وأصحابه . فقال الفضل بن كاوس لجعفر الخياط : لو كان الأمر إليك ما كنت تقدر أن تصعد إلى هذا الموضع الذى أنت عليه واقف ؛ حتّى تقول : كنت وكنت ... فقال له جعفر : هذه الحرب ؛ وها أنا واقف لمن جاء . فقال له الفضل : لولا مجلس الأمير لعرّفتُك نفسك الساعة ؛ فصاح بهما الأفشين ، فأمسكا ، وأمر أبا دُلف أن يردّ المطّوّعة عن السور ، فقال أبو دُلف للمطوّعة : انصرفوا . فجاء رجل منهم ومعه صخرة ، فقال : أتردّنا

١٢٠٨/٣

---

(١) س ، ف : « الجانب » .
(٢) ف : « وأرسل » .
(٣) ف : « كبير » .

وهذا الحجر أخذته من السور! فقال له: الساعة، إذا انصرفت تَدْرِى مَن على طريقك جالس — يعنى العسكر الذى وثب على بخاراخذاه من وراء الناس. ثم قال الأفشين لأبى سعيد فى وجه جعفر: أحسن اللهُ جزاءَك عن نفسك وعن أمير المؤمنين؛ فإنّى ما علمتك عالمًا بأمر هذه العساكر وسياستها؛ ليس كلّ من حفّ رأسُه يقول: إنّ الوقوف فى الموضع[1] الذى يحتاج إليه خير من المحاربة فى الموضع الذى لا يحتاج إليه، لو وثب هؤلاء الذين تحتك — وأشار إلى الكمين الذى تحت الجبل — كيف كنت ترى هؤلاء المطّوّعة الذين هم فى القُمُص؟ أىّ شىء كان يكون حالهم، ومن كان يجمعهم؟ الحمد لله الذى سلّمهم؛ فقف هاهنا فلا تبرح حتى لا يبقى ها هنا أحد. وانصرف الأفشين؛ وكان من سنّته إذا بدأ بالانصراف ينحدر علم الكراديس وفرسانه ورجّالته، والكُردوس الآخر واقف بينه وبينه قدر رمْية سهم؛ لا يدنو من العقبة، ولا من المضيق؛ حتى يرى أنه قد عبر كلّ مَنْ فى الكردوس الذى بين يديه وخلا به الطريق، ثم يدنو بعد ذلك فينحدر فى الكُردوس الآخر بفرسانه ورَجّالته؛ ولا يزال كذلك؛ وقد عرّف كلّ كُردوس مِن خلف مَنْ ينصرف؛ فلم يكن يتقدم أحد منهم بين يدى صاحبه، ولا يتأخّر هكذا؛ حتى إذا نفذت الكراديس كلها ولم يبق أحد غير بخاراخذاه، انحدر بخاراخذاه وخلّى العقبة. ١٢٠٩/٣ فانصرف ذلك اليوم على هذه الهيئة؛ وكان أبو سعيد آخر من انصرف؛ وكلّما مرّ العسكر بموضع بُخاراخذاه، ونظروا إلى الموضع الذى كان فيه الكَمِين؛ علموا[2] ما كان وُطّئَ لهم، وتفرّق أولئك الأعلاج الذين أرادوا أخذ الموضع الذى كان بُخاراخذاه يحفظه، ورجعوا إلى مواضعهم، فأقام الأفشين فى خندقه بروذ الروذ أيامًا؛ فشكا إليه المطّوّعة الضيق فى العلوفة والأزواد والنفقات، فقال لهم: مَنْ صبر منكم فليصبر، ومَنْ لم يصبر فالطريق واسع فلينصرف بسلام؛ معى جند أمير المؤمنين؛ ومَنْ هو فى أرزاقه يقيمون معى فى الحرّ والبرد؛ ولست أبرح من ها هنا حتى يسقط الثلج. فانصرف المطوّعة وهم يقولون: لو ترك الأفشين جعفراً وتركنا لأخذنا البذّ؛ هذا لا يشتهى

---

(١) س: «بالموضع». (٢) ف: «رجعوا».

إلا المُماطلة؛ فبلغه ذلك وما كثّر المطوّعة فيه، ويتناولونه بألسنتهم وأنه لا يحبّ المناجزة؛ وإنما يريد التطويل؛ حتى قال بعضهم إنه رأى فى المنام، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: قل للأفشين: إن أنت حاربت هذا الرجل وجددت فى أمره وإلا أمرتُ الجبال أن ترجمك بالحجارة؛ فتحدّث الناس بذلك فى العسكر علانية؛ كأنه مستور، فبعث الأفشين إلى رؤساء المطّوعة، فأحضرهم وقال لهم: أحبّ أن تُرونى هذا الرجل؛ فإن الناس يرون فى المنام أبوابًا؛ فأتوه بالرجل فى جماعة من الناس، فسلّم عليه، فقرّبه وأدناه، وقال له: قُص علىّ رؤياك، لا تحتشم ولا تستحيِ؛ فإنما تؤدى. قال: رأيت كذا ورأيت كذا؛ فقال: الله يعلم كلّ شيء قبل كل أحد؛ وما أريدَ بهذا الخَلْق. إن الله تبارك وتعالى لو أراد أن يأمر الجبال أن ترجم أحدًا لرجم الكافر، وكفانا مؤْنته؛ كيف يرجمنى حتى أكفيه مؤنة الكافر كان يرجمه؛ ولا يحتاج أن أقاتله أنا، وأنا أعلم أن الله عز وجل لا يخفى عليه خافية؛ فهو مطّلع على قلبى؛ وما أريد بكم يامساكين! فقال رجل من المطوّعة من أهل الدين: يأيها الأمير، لا تحرمنا شهادةً إن كانت قد حضرت؛ وإنما قصدنا وطلبنا ثواب الله ووجهه؛ فدعْنا وحدنا حتى نتقدم بعد أن يكون بإذنك؛ فلعلّ الله أن يفتح علينا. فقال الأفشين: إنى أرى نيّاتكم حاضرة؛ وأحسب هذا الأمر يريده الله؛ وهو خير إن شاء الله؛ وقد نشطتم ونشط الناس؛ والله أعلم ما كان هذا رأيى؛ وقد حدث الساعة لمّا سمعت من كلامكم، وأرجو أن يكون أراد هذا الأمر وهو خير؛ اعزموا على بركة الله أىّ يوم أحببتم حتى نناهضهم؛ ولا حوْل ولا قوة إلا بالله! فخرج القوم مستبشرين[1] فبشّروا أصحابهم؛ فمن كان أراد أن ينصرف أقام، ومن كان فى القرب[2] وقد خرج مسيرة أيام فسمع بذلك رجع؛ ووعد الناس ليوم، وأمر الجند والفرسان والرّجالة وجميع الناس بالأهبة، وأظهر أنه يريد الحرْب لا محالة. وخرج الأفشين وحمل المال والزاد، ولم يبق فى العسكر بغل إلاّ وُضع عليه محمل للجرحى، وأخرج معه المتطبّبين، وحمل الكعك والسّويق وغير ذلك؛ وجميع ما يحتاج إليه، وزحف

٣/١٢١٠

٣/١٢١١

(١) ف: «متبشرين». (٢) ف: «بالقرب».

الناس حتّى صعد إلى البذّ، وخلّف بخاراخذاه فى موضعه الذى كان يخلّفه[١] عليه على العقبة ، ثم طُرِح النّطع ووُضع له الكرسىّ، وجلس عليه كما كان يفعل ، وقال لأبى دلف : قل للمطّوعة : أىّ ناحية هى أسهل عليكم ، فاقتصروا عليها . وقال لجعفر : العسكر كلّه بين يديك ، والناشبة والنفّاطون ؛ فإن أردت رجالا دفعتُهم إليك ؛ فخذ حاجتك وما تريد ، واعزم على بركة الله ؛ فادنُ مِن أىّ موضع تريد . قال : أريد أن أقصد الموضع الذى كنت عليه ، قال : امض إليه . ودعا أبا سعيد، فقال له : قف بين يدىّ؛ أنت وجميعُ أصحابك[٢] ، ولا يبرحنّ منكم أحدٌ . ودعا أحمد بن الخليل فقال له : قف أنت وأصحابك ها هنا ، ودع جعفراً يعبُر وجميع مَنْ معه من الرجال ؛ فإن أراد رجالا أو فرسانًا أمددناه؛ ووجّهنا بهم إليه؛ ووجّه أبا دلف وأصحابه من المطّوعة؛ فانحدروا إلى الوادى ، وصعدوا إلى حائط البذّ من الموضع الذى كانوا صعدوا عليه تلك المرّة ، وعلقوا بالحائط على حسب ما كانوا فعلوا ذلك اليوم ؛ وحَمَل جعفر حملةً حتى ضرب باب البذّ ؛ على حسب ما كان فعل تلك المرة الأولى ؛ ووقف على الباب ، وواقفه الكفرة ساعة صالحة ؛ فوجّه[٣] الأفشين برجل معه بدرة دنانير ، وقال له : اذهب إلى أصحاب جعفر ، فقل : مَنْ تقدّم ، فاحثُ له ملء كفّك ، ودفع بَدْرة أخرى إلى رجل من أصحابه ، وقال له : اذهب إلى المطوّعة ومعك هذا المال وأطواق وأسورة؛ وقل لأبى دُلَف : كلّ من رأيته محسنًا من المطوّعة وغيرهم فأعطه . ونادى صاحب الشراب ، فقال له : اذهب فتوسّط الحرب معهم حتى أراك بعينى معك السويق والماء ؛ لئلا يعطش القوم فيحتاجوا إلى الرجوع ؛ وكذلك فعل بأصحاب جعفر فى الماء والسويق، ودعا صاحب الكلْغَرِيّة ، فقال له: مَنْ رأيته فى وسط الحرب من المطوّعة فى يده فأس فله عندى خمسون درهمًا ؛ ودفع إليه بَدْرة دراهم ؛ وفعل مثل ذلك بأصحاب جعفر ، ووجه إليهم الكلْغَرِيّة بأيديهم الفئوس ، ووجه إلى جعفر بصندوق فيه أطواق وأسورة ، فقال له : ادفع إلى مَنْ أردت من

١٢١٢/٣

(١) ف : « خلفه » . (٢) س : « أصحابكم » .
(٣) ابن الأثير : « ووجه » .

أصحابك هذا سوى ما لهم عندى ، وما تضمن لهم علىّ من الزيادة فى أرزاقهم والكتاب إلى أمير المؤمنين بأسمائهم. فاشتبكت الحرب على الباب طويلا ، ثم فتح الخُرّمية الباب ، وخرجوا على أصحاب جعفر ، فنحّوهم عن الباب ، وشدّوا على ١٢١٣/٣ المطوّعة من الناحية الأخرى ؛ فأخذوا منهم علَمين وطردوهم عن السور ، وجرحوهم بالصّخر حتى أثّروا فيهم ، فرقّوا عن الحرب ، ووقفوا ، وصاح جعفر بأصحابه ، فبدر منهم نحو من مائة رجل ، فبركوا خلف تِراسهم التى كانت معهم ، وواقفوهم متحاجزين ؛ لا هؤلاء يقدمون على هؤلاء ، ولا هؤلاء يقدمون على هؤلاء ؛ فلم يزالوا كذلك حتى صلّى الناس الظهر ؛ وكان الأفشين قد حمل عرّادات ، فنصب عرّادة منها مما يلى جعفرًا على الباب ، وعرّادة أخرى من طرف الوادى من ناحية المطّوّعة ؛ فأما العرّادة التى من ناحية جعفر ؛ فدافع عنها جعفر حتى صارت العرّادة فيما بينهم وبين الخُرّمية ساعة طويلة ؛ ثم تخلّصها أصحاب جعفر بعد جهد ، فقلعوها وردّوها إلى العسكر ؛ فلم يزل الناس متواقفين متحاجزين ؛ يختلف بينهم النّشاب والحجارة أولئك على سورهم والباب ، وهؤلاء قعود تحت أتراسهم ؛ ثم تناجزوا بعد ذلك ؛ فلما نظر الأفشين إلى ذلك كره أن يطمع العدوّ فى الناس ، فوجّه الرّجالة الذين كان أعدّهم قبله ؛ حتى وقفوا فى موضع المطوّعة ، وبعث إلى جعفر بكُردوس فيه رَجّالة ، فقال جعفر : لست أوتَى من قلة الرّجالة معى رَجال فُرْهٌ[1] ولكنى لست أرى للحرب موضعًا يتقدمون ؛ إنما ها هنا موضع مجال رجل أو رجلين قد وقفوا عليه ، ١٢١٤/٣ وانقطعت الحرب ، فبعث إليه : انصرف على بركة الله ؛ فانصرف[2] جعفر ، وبعث الأفشين بالبِغال التى كان جاء بها معه ، عليها المحامل ؛ فجُعلت فيها الجرحى ومَنْ كان به وهن من الحجارة ولا يقدر على المشى ؛ وأمر الناس بالانصراف ؛ فانصرفوا إلى خَنْدقهم بروذ الرّوذ ، وأيس الناس من الفتح فى تلك السنة ، وانصرف أكثر المطوّعة .

ثم إنّ الأفشين تجهّز بعد جمعتين ؛ فلما كان فى جَوْف الليل ؛ بعث الرجّالة الناشبة ؛ وهم مقدار ألف رجل ، فدفع إلى كل واحد منهم شَكْوة

(١) ا : « فرهة » . (٢) س : « وانصرف » .

وكَعْكاً ، ودفع إلى بعضهم أعلاماً سوداً وغير ذلك ، وأرسلهم عند مغيب الشمس ، وبعث معهم أدلاّء ، فساروا ليلتهم فى جبال منكرة صعبة على غير الطريق ؛ حتى داروا ، فصاروا خلْف التلّ الذى يقف آذين عليه — وهو جبل شاهق — وأمرهم ألاّ يعلم بهم أحد ؛ حتى إذا رأوا أعلام الأفشين وصلّوا الغداة ورأوا الوقعة ، ركّبوا تلك الأعلام فى الرّماح ، وضربوا الطبول ، وانحدروا من فوق الجبل ، ورموْا بالنشاب والصخر على الخُرَّمية ؛ وإن هم لم يروا الأعلام لم يتحرّكوا حتى يأتيهم خبره ؛ ففعلوا ذلك . فوافوْا رأس الجبل عند السَّحر ، وجعلوا فى تلك الشكاء الماء من الوادى ؛ وصاروا فوق الجبل ، فلمّا كان فى بعض الليل وجّه الأفشين إلى القواد أن يتهيئوا فى السلاح ؛ فإنه يركب فى السحر ؛ فلما كان فى بعض الليل ، وجّه بشيراً التركىّ وقوّاداً من الفراغنة كانوا معه ؛ فأمرهم أن يسيروا حتى يصيروا تحت التلّ مع أسفل الوادى الذى حملوا منه الماء ؛ وهو تحت الجبل الذى كان عليه آذين ؛ وقد كان الأفشين علم أنّ الكافر يكمن تحت ذلك الجبل كلّما جاءه العسكر ؛ فقصد بشير والفراغنـــة إلى ذلك الموضع الذى علم أن للخرَّمية فيه عسكراً كامنين ، فساروا فى بعض الليل ؛ ولا يعلم بهم أكثر أهل العسكر . ثم بعث للقوّاد : تأهّبوا للركوب فى السلاح ؛ فإن الأمير يغدو فى السحر ؛ فلمّا كان السَّحَر خرج وأخرج الناس ، وأخرج النَّفاطين والنّفاطات والشمع على حسب ما كان يخرج ، فصلّى الغداة ، وضرب الطبل ، وركب حتى وافى الموضع الذى كان يقف فيه فى كلّ مرّة ، وبُسط له النِّطع ، ووضع له الكرسىّ كعادته .

١٢١٥/٣

وكان بخاراخذاه يقف على العقبة التى كان يقف عليها فى كلّ يوم ؛ فلمّا كان ذلك اليوم صيّر بخاراخذاه فى المقدّمة مع أبى سعيد وجعفر الخياط وأحمد بن الخليل ؛ فأنكر الناس هذه التعبية فى ذلك الوقت ، وأمرهم أن يدنوا من التلّ الذى عليه آذين ؛ فيحدقوا به ؛ وقد كان ينهاهم عن هذا قبل ذلك اليوم ؛ فمضى الناس مع هؤلاء القوّاد الأربعة الذين سمّينا ؛ حتى صاروا حول التلّ . وكان جعفر الخياط مما يلى باب البذّ ، وكان أبو سعيد مما يليه ، وبخاراخذاه مما يلى أبا سعيد ، وأحمد بن الخليل بن هشام ممّا يلى بخاراخذاه ؛

فصاروا جميعًا حَلْقة حول التلّ ، وارتفعت الضجة من أسفل الوادى ؛ وإذا الكمين الذى تحت التلّ الذى كان يقف عليه آذين قد وثب ببشير[1] التركى والفراغنة ؛ فحاربوهم واشتبكت الحرب بينهم ساعة . ١٢١٦/٣

وسمع أهل العسكر ضجّتهم، فتحرّك الناس، فأمر الأفشين أن ينادوا : أيُّها الناس، هذا بشير التركىّ والفراغنة قد وجّهتهم ؛ فأثاروا كميناً فلا تتحرّكوا. فلما سمع الرجّالة الناشبة[2] الذين كانوا تقدموا ، وصاروا فوق الجبل ركبوا الأعلام كما أمرهم الأفشين ؛ فنظر الناس إلى أعلام تجىء من جبل شاهق ؛ أعلام سود، وبين العسكر وبين الجبل نحو فرسخ ؛ وهم ينحدرون على جبل آذين من فوقهم ؛ قد ركّبوا الأعلام ، وجعلوا ينحدرون يريدون آذين ؛ فلمّا نظر إليهم أهل عسكر آذين وجّه آذين إليهم بعض رجّالته الذين معه من الخُرّمية . ولما نظر الناس إليهم راعوهم ؛ فبعث إليهم الأفشين : أولئك رجالنا أنجدتنا على آذين ؛ فحمل جعفر الخياط وأصحابه على آذين وأصحابه، حتى صعدوا إليهم، فحملوا عليهم حملة شديدة، فلبّوه وأصحابه فى الوادى ، وحمل عليهم رجل ممّن فى ناحية أبى سعيد من أصحاب أبى سعيد، يقال له معاذ بن محمد — أو محمد بن معاذ — فى عدّة معه ؛ فإذا تحت حوافر دوابّهم آبار محفورة تدخل أيدى الدوابّ فيها ، فتساقطت فرسان[3] أبى سعيد فيها ؛ فوجّه الأفشين الكِلْغَرية يَقْلعون حيطان منازلهم، ويطمّون بها تلك الآبار ؛ ففعلوا ذلك ؛ فحمل الناس عليهم حَمْلة واحدة ؛ وكان آذين قد هيّأ فوق الجبل عجلا عليها صخر ؛ فلما حمل الناس عليه، دفع العجل على الناس فأفرجوا عنها ، فتدحرجت ؛ ثم حمل الناس من كلّ وجه[4] . ١٢١٧/٣

فلمّا نظر بابك إلى أصحابه قد أحدِق بهم، خرج من طرف البذّ، من باب مما يلى الأفشين ، يكون بين هذا الباب وبين التلّ الذى عليه الأفشين قدر ميل . فأقبل بابك فى جماعة معه يسألون عن الأفشين ، فقال لهم أصحاب أبى دُلف : مَنْ هذا ؟ فقالوا : هذا بابك يريد الأفشين ؛ فأرسل أبو دلف

(١) ف : « لبشير » . (٢) س : « والناشبة » .
(٣) ف : « دواب » . (٤) ف : « جانب » .

إلى الأفشين يعلمه ذلك ؛ فأرسل الأفشين رجلا يعرف بابك ؛ فنظر إليه ، ثم عاد إلى الأفشين ، فقال : نعم هو بابك ؛ فركب إليه الأفشين ، فدنا منه حتى صار في موضع يسمع كلامه وكلام أصحابه ، والحرب مشتبكة في ناحية آذين ، فقال له : أريد الأمان من أمير المؤمنين ، فقال له الأفشين : قد عرضتُ عليك هذا ؛ وهو لك مبذول متى شئتَ ، فقال : قد شئتُ الآن ؛ على أن تؤجّلني أجلاً أحمل فيه عيالي ، وأتجهّز . فقال له الأفشين : قد والله نصحتُك غير مرّة فلم تقبل نصيحتي ؛ وأنا أنصحلك الساعة ، خروجك اليوم في الأمان خير من غد . قال : قد قبلت أيها الأمير ؛ وأنا على ذلك ؛ فقال له الأفشين : فابعث بالرهائن الذين كنت سألتك . قال : نعم ، أما فلان وفلان فهم على ذلك التلّ ، فمُرْ أصحابك بالتوقف . ١٢١٨/٣

قال : فجاء رسول الأفشين ليردّ الناس ، فقيل له : إن أعلام الفراغنة قد دخلت البذّ وصعدوا بها القصور . فركب وصاح بالناس ، فدخل ودخلوا ، وصعد الناس بالأعلام فوق قصور بابك ؛ وكان قد كمّن في قصوره — وهي أربعة — ستمائة رجل ؛ فوافاهم الناس ؛ فصعدوا بالأعلام فوق القصور[١] ، وامتلأت شوارع[٢] البذّ وميدانها من الناس ، وفتح أولئك الكُمناء أبواب القصور ، وخرجوا رجّالة يقاتلون الناس . ومرّ بابك حتى دخل الوادي الذي يلي هشتادسَر ، واشتغل الأفشين وجميع قوّاده بالحرب على أبواب القصور ، فقاتل الخرّمية قتالا شديداً ، وأحضر النفّاطين ، فجعلوا يصبّون عليهم النفط والنار ، والناس يهدمون القصور ؛ حتى قتلوا عن آخرهم . وأخذ الأفشين أولاد بابك ومَن كان معهم في البذّ من عيالاتهم ؛ حتى أدركهم[٣] المساء ، فأمر الأفشين بالانصراف فانصرفوا ، وكان عامة الخرّمية في البيوت ؛ فرجع الأفشين إلى الخندق بروذ الرُّوذ .

فذُكر أن بابك وأصحابه الذين نزلوا معه الوادي حين علموا أنّ الأفشين قد رجع إلى خندقه ، رجعوا إلى البذّ ، فحملوا من الزاد ما أمكنهم حملُه ، وحملوا أموالهم ، ثم دخلوا الوادي الذي يلي هشتادسَر . فلمّا كان في الغد خرج

---

(١) ف : « القصر » . (٢) س : « شارع » . (٣) س : « فأدركهم » .

الأفشين حتى دخل البذّ ، فوقف فى القرية ، وأمر بهدم القصور ، ووجّه الرجّالة يطوفون فى أطراف القرية ، فلم يجدوا فيها أحدًا من العلوج ، فأصعد الكلغريّة ، فهدموا القصور وأحرقوها ؛ فعل ذلك ثلاثة أيام حتى أحرق خزائنه وقصوره ؛ ولم يَدَع فيها بيتاً ولا قصراً إلا أحرقه وهدمه ؛ ثم رجع وعلم أنّ بابك قد أفلت فى بعض أصحابه ؛ فكتب الأفشين إلى ملوك أرمينيّة و بطارقتها يعلمهم أنّ بابك قد هرب وعدّة معه ، وصار إلى واد ، وخرج منه إلى ناحية إرمينيّة ؛ وهو مارّ بكم ، وأمرهم أن يحفظ كلُّ واحدٌ منهم ناحيته ، ولا يسلكها أحدٌ إلا أخذوه حتى يعرفوه . فجاء الجواسيس إلى الأفشين ، فأخبروه بموضعه فى الوادى ؛ وكان واديًا كثير العشب والشجر ، طرفُه بإرمينيّة وطرفُه الآخر بأذرَبيجان ؛ ولم يمكن الخيل أن تنزل إليه ، ولا يُرى من يستخفى فيه لكثرة شجره ومياهه ؛ إنما كانت غيضةٌ واحدة ؛ ويسمّى هذا الوادى غَيْضة . فوجّه الأفشين إلى كلّ موضع يعلم أن منه طريقاً ينحدر منه إلى تلك الغَيْضة ، أو يمكن بابك أن يخرج من ذلك الطريق ؛ فصيّر على كلّ طريق وموضع من هذه المواضع عسكراً فيه ما بين أربعمائة إلى خمسمائة مقاتل ، ووجّه معهم الكُوهبانيّة ليقفوهم على الطريق ، وأمرهم بحراسة الطريق فى الليل لئلا يخرج منه أحد .

وكان يوجّه إلى كل عسكر من هذه العساكر المِيرة من عسكره ؛ وكانت هذه العساكر خمسة عشر عسكراً ، فكانوا كذلك حتى ورد كتاب أمير المؤمنين المعتصم بالذهب مختوماً ، فيه «أمان» لبابك . فدعا الأفشين مَن كان استأمن إليه من أصحاب بابك ؛ وفيهم ابن له كبير ، أكبر ولده ، فقال له وللأسرى : هذا ما لم أكن أرجوه من أمير المؤمنين ، ولا أطمع له فيه[1] أن يكتب إليه وهو فى هذه الحال بأمان ؛ فمن يأخذه منكم ويذهبُ به إليه ؟ فلم يجسر على ذلك أحد منهم ، فقال بعضهم[2] : أيها الأمير ؛ ما فينا أحدٌ يجترئ أن يلقاه بهذا ، فقال له الأفشين : ويحك ! إنه يفرح بهذا ، قالوا : أصلح الله الأمير ! نحن أعرف[3] بهذا منك ؛ قال : فلا بدّ لكم من أن تهبوا لى أنفسكم ، وتُوصلوا

(١) ف : « فيه له » . (٢) ف : « أحدهم » . (٣) س : « أعلم » .

هذا الكتاب إليه . فقام رجلان منهم ، فقالا له : اضمن لنا أنك تُجرى على عيالاتنا ؛ فضمِن لهما الأفشين ذلك ؛ وأخذا الكتاب وتوجّها فلم يزالا يدوران فى الغَيْضة حتى أصاباه ، وكتب معهما ابن بابك بكتاب يُعلمه الخبر ، ويسأله أن يصير إلى الأمان ؛ فهو أسلم له وخير . فدفعا إليه كتاب ابنه ، فقرأه ، وقال : أىّ شىء كنتم تصنعون ؟ قالا : أُسِرَ عيالاتنا[1] فى تلك الليلة وصبيانُنا[2] ؛ ولم نعرف موضعك فنأتيك ، وكنّا فى موضع تخوّفنا أن يأخذونا ؛ فطلبنا الأمان . فقال للذى كان الكتاب معه : هذا لا أعرفه ؛ ولكن أنت يابن الفاعلة ، كيف اجترأت على هذا أن تجيئنى من عند ذاك ابن الفاعلة ! فأخذه وضرب عنقه ، وشدّ الكتاب على صدره مختومًا لم يفضّه ؛ ثم قال للآخر : اذهب وقل لذاك ابن الفاعلة — يعنى ابنه — حيث يكتب إلىّ ؛ وكتب إليه : لو أنك لحقت بى واتّبعت دعوتك حتى يجيئك الأمر يومًا كنت ابنى ؛ وقد صحّ عندى الساعة فساد أمّك الفاعلة . يابن الفاعلة ، عسى أن أعيش بعد اليوم! قد كنت باسم هذه الرياسة وحيثما كنت أو ذكرت كنت ملكًا ؛ ولكنك من جنس لا خير فيه ؛ وأنا أشهد أنك لست با بنى ؛ تعيش يومًا واحدًا وأنت رئيس خير ، أو تعيش أربعين سنة وأنت عبد ذليل !

١٢٢١/٣

ورحل من موضعه ، ووجّه مع الرجل ثلاثة نفر حتى أصعدوه من موضع من المواضع ، ثم لحقوا ببابك ؛ فلم يزل فى تلك الغَيْضة حتى فنى زاده ، وخرج ممّا يلى طريقًا كان عليه بعض العساكر ، وكان موضع الطريق جبلا ليس فيه ماء ؛ فلم يقدر العسكر أن يقيم على الطريق لبعده عن الماء ، فتنحّى العسكر عن الطريق إلى قرب الماء ، وصيّروا كوهبانيّين وفارسين على طرف الطريق يحرسونه ، والعسكر بينه وبين الطريق نحو من ميل ونصف ، كان ينوب على الطريق كلّ يوم فارسان وكوهبانيّان ؛ فبيناهم ذات يوم نصف النهار ؛ إذ خرج بابك وأصحابه ؛ فلم يروا أحدًا ، ولم يروا الفارسين والكوهبانيين ، وظنوا أن ليس هناك عسكر ؛ فخرج هو وأخواه[3] : عبدالله ومعاوية ، وأمه وامرأة له

---

(١) ف : « عيالتنا » . (٢) ف : « وأولادنا » .

(٣) س : « وإخوته » ، ف : « وأخوه » ، ابن الأثير : « وعبد الله أخوه » .

١٢٢٢/٣ يقال لها ابنة الكَلْنْدانيّة . فخرجوا من الطريق ؛ وساروا يريدون إرمينيّة ، ونظر إليهم الفارسان والكوهبانيّان ، فوجّهوا إلى العسكر ، وعليه أبو الساج : إنا قد رأينا فرسانًا يمرّون ولا ندرى[1] مَنْ هم . فركب الناس ، وساروا ، فنظروا إليهم من بُعد وقد نزلوا على عين ماء يتغدّون عليها ؛ فلمّا نظروا إلى الناس بادر الكافر فركب وركب مَنْ كان معه ، فأفلت وأخِذ معاوية وأمّ بابك والمرأة التى كانت معه ، ومع بابك غلام له ، فوجّه أبو الساج بمعاوية والمرأتين إلى العسكر ، ومرّ بابك متوجّهاً حتى دخل جبال إرمينية يسير فى الجبال متكمّنًا ، فاحتاج إلى طعام ؛ وكان جميع بطارقة إرمينيّة قد تحفّظوا بنواحيهم وأطرافهم ، وأوصّوا مسالحهم ألا يجتاز عليهم أحد إلا أخذوه حتى يعرفوه ؛ فكان أصحاب المسالح كلهم متحفظين ؛ وأصاب بابك الجوع ، فأشرف فإذا هو بحرّاث يحرث على فدان له فى بعض الأودية ، فقال لغلامه : انزل إلى هذا الحرّاث ، وخذ معك دنانير ودراهم ؛ فإن كان معه خبز فخذه وأعطه ؛ وكان للحرّاث شريك ذهب لحاجته ؛ فنزل الغلام إلى الحرّاث ، فنظر إليه شريكه من بعيد ، فوقف بالبعد يفرَق من أن يجىء إلى شريكه وهو ينظر ما يصنع شريكه ، فدفع الغلام إلى الحرّاث شيئًا ، فجاء الحراث فأخذ الخبز ، فدفعه إلى الغلام وشريكه قائم ينظر إليه ؛ ويظنّ أنما اغتصبه خبزَه ؛ ولم يظنّ أنه أعطاه شيئاً ، فعدا إلى المسلحة ؛ فأعلمهم أن رجلا جاءهم عليه سيف وسلاح ؛ وأنه أخذ خبز شريكه من الوادى ؛ فركب صاحب المسلحة — وكان فى جبال ابن سُنباط — ووجّه

١٢٢٣/٣ إلى سهل بن سنباط بالخبر ، فركب ابن سنباط وجماعة معه حتى جاءه مسرعًا ، فوافى الحرّاث والغلام عنده ، فقال له : ما هذا ؟ قال له الحراث : هذا رجل مرّ بى ، فطلب منى خبزاً فأعطيته ، فقال للغلام : وأين مولاك ؟ قال : ها هنا — وأومى إليه — فاتبعه فأدركه وهو نازل ؛ فلمّا رأى وجهه عرفه ، فترجل له ابن سنباط عن دابته ، ودنا منه فقبّل يده ، ثم قال له : يا سيّداه ؛ إلى أين ؟ قال : أريد بلاد الروم — أو موضعًا سمّاه — فقال له : لا تجد موضعاً ولا أحداً أعرف بحقك ؛ ولا أحقّ أن تكون عنده منّى ، تعرف موضعى ؛ ليس بينى وبين

---

(١) س : « يدرون » .

السلطان عمل ؛ ولا تدخل على أحد من أصحاب السلطان وأنت عارف بقضيتى وبلدى ؛ وكلُّ مَنْ ها هنا من البطارقة إنما هم أهل بيتك ، قد صار لك منهم أولاد؛ وذلك أن بابك كان إذا علم أن عند بعض البطارقة ابنة أو أختاً جميلة وجّه إليها يطلبها ؛ فإن بعث بها إليه وإلا بيّته وأخذها ، وأخذ جميع ماله من متاع وغير ذلك ، وصار به إلى بلده غصباً .

ثم قال ابن سنباط له : صِرْ عندى فى حصنى ؛ فإنّما هو منزلك ؛ وأنا عبدك ؛ كُنْ فيه شتوتك هذه ثم ترى رأيك . وكان بابك قد أصابه الضرّ والجهد ، فركن إلى كلام سهل بن سنباط ؛ وقال له : ليس يستقيم أن أكون أنا وأخى فى موضع واحد ؛ فلعله أن يُعثَر بأحدنا فيبقى الآخر ؛ ولكن أقيم عندك أنا ، ويتوجّه عبد الله أخى إلى ابن اصطفانوس ؛ لا ندرى ما يكون ؛ وليس لنا خَلَفٌ يقوم بدعوتنا . فقال له ابن سنباط : ولدك كثير ، قال : ليس فيهم خير . وعزم على أن يصيّر أخاه فى حصن ابن اصطفانوس — وكان يثق به — فصار هو مع ابن سنباط فى حِصْنه ، فلما أصبح عبد الله مضى إلى حصن ابن اصطفانوس ؛ وأقام بابك عند ابن سنباط ، وكتب ابن سنباط إلى الأفشين يعلمُه أن بابك عنده فى حصنه . فكتب إليه : إن كان هذا صحيحاً فلك عندى وعند أمير المؤمنين — أيّده الله — الذى تحبّ ؛ وكتب يجزيه خيراً ، ووصف الأفشين صفة بابك لرجل من خاصته ، ممّن يثق به ، ووجّه به إلى ابن سنباط وكتب إليه يعلمه أنه قد وجّه إليه برجل من خاصته ، يحبّ أن يرى بابك ليحكىَ للأفشين ذلك . فكره ابن سنباط أن يُوحش بابك ، فقال للرجل : ليس يمكن أن تراه إلا فى الوقت الذى يكون منكبّاً على طعامه يتغدّى ؛ فإذا رأيتَنا قد دعونا بالغداء فالبس ثياب الطبّاخين الذين معنا على هيئة علوجنا وتعال كأنّك تقدم الطعام ، أو تناول شيئاً ؛ فإنه يكون منكبّاً على الطعام ؛ فتفقّدْ منه ما تريد ؛ فاذهب فاحْكه لصاحبك .

١٢٢٤/٣

ففعل ذلك فى وقت الطعام ، فرفع بابك رأسه فنظر إليه فأنكره ، فقال : مَنْ هذا الرجل ؟ فقال له ابن سنباط : هذا رجل من أهل خراسان ، منقطع

إلينا منذ زمان؛ نصرانىّ . فلقّن ابنُ سنباط الأشروسنىّ ذلك . فقال له بابك : ١٢٢٥/٣
منذ كم أنت ها هنا؟ قال : منذ كذا وكذا سنة ، قال : وكيف أقمتَ هاهنا ؟
قال : تزوّجت ها هنا ، قال : صدقت إذا قيل للرجل : من أين أنت ؟ قال :
مِن حيث امرأتى[1] .

ثم رجع إلى الأفشين فأخبره ، ووصف له جميع ما رأى ثَمّ من بابك .
ووجّه الأفشين أبا سعيد وبُوزبارة إلى ابن سنباط ، وكتب إليه معهما ، وأمرهما
إذا صارا إلى بعض الطريق قدّما كتابه إلى ابن سنباط مع علْج من الأعلاج ،
وأمرهما ألاّ يخالفا ابن سنباط فيما يشير به عليهما . ففعلا ذلك ، فكتب إليهما
ابن سنباط فى المقام بموضع — قد سماه ووصفه لهما — إلى أن يأتيهما رسوله . فلم
يزالا مقيمين بالموضع الذى وصفه لهما ، ووجّه إليهما ابن سنباط بالمِيرة والزاد ؛
حتى تحرك بابك للخروج إلى الصّيْد ، فقال له : هاهنا وادٍ طيب ، وأنت
مغموم فى جوف هذا الحصن ! فلو خرجنا ومعنا بازى وباشق وما يحتاج إليه ،
فنتفرّج إلى وقت الغداء بالصّيد ! فقال له بابك : إذا شئت . فأنفذ ليركبا
بالغداة ، وكتب ابن سنباط إلى أبى سعيد وبوزبارة يعلمهما ما قد عزم عليه ،
ويأمرهما أن يوافياه ، واحد من هذا الجانب من الجبل والآخر من الجانب الآخر
فى عسكرهما وأن يسيرا متكمّنين مع صلاة الصبح ؛ فإذا جاءهما رسوله أشرفا ١٢٢٦/٣
على الوادى ، فانحدروا عليه إذا رأوهم وأخذوهم .

فلما ركب ابن سنباط وبابك بالغداة وجّه ابن سنباط رسولا إلى أبى سعيد
ورسولا إلى بوزبارة ، وقال لكل رسول : جئ بهذا إلى موضع كذا ، وجئ بهذا
إلى موضع كذا ؛ فأشرِفا علينا ؛ فإذا رأيتمونا فقولوا : هم هؤلاء خذوهم ؛ وأراد أن
يشبّه على بابك ، فيقول : هذه خيل جاءتنا ، فأخذتنا ، ولم يحبّ أن يدفعه إليهما
من منزله ؛ فصار الرّسولان إلى أبى سعيد وبوزبارة ، فضيا بهما حتى أشرفا على
الوادى ؛ فإذا هما ببابك وابن سنباط ، فنظرا إليه وانحدرا وأصحابهما عليه ؛ هذا
من ها هنا ، وهذا من ها هنا ، وأخذاهما ومعهما البواشيق ؛ وعلى بابك دُرّاعة
بيضاء وعمامة بيضاء ، وخُفّ قصير . ويقال كان بيده باشق ؛ فلمّا نظر إلى

(١) انظر الأغانى ٢١ : ٢٤١ (ساسى) .

العساكر قد أحدقت به وقف ، فنظر إليهما ، فقالا له : انزل ، فقال : ومن أنتما ؟ فقال أحدهما : أنا أبو سعيد، والآخر : أنا بوزبارة ، فقال : نعم ، وثنى رجله ، فنزل ، وكان ابنُ سنباط ينظر إليه ؛ فرفع رأسه إلى ابن سنباط فشتمه ، وقال : إنما بعتَني لليهود بالشيء اليسير ؛ لو أردت المال وطلبته لأعطيتك[1] أكثر مما يعطيك هؤلاء ، فقال له أبو سعيد : قم فاركب ، قال : نعم . فحملوه وجاءوا به إلى الأفشين ؛ فلما قرب من العسكر صعد الأفشين برزند ، فضربت له خيمة على بَرْزند ، وأمر الناس فاصطفوا صفّين ، وجلس الأفشين في فازة[2] ، وجاءوا به ، وأمر الأفشين ألاّ يتركوا عربيًّا يدخل بين الصفين فرقاً أن يقتله إنسان أو يجرحه ممّن قتل أولياءه ، أو صنع به داهية .

٣/١٢٢٧

وكان قد صار إلى الأفشين نساءٌ كثير وصبيان ؛ ذكروا أن بابك كان أسرهم ؛ وأنهم أحرار من العرب والدهاقين ، فأمر الأفشين فجُعلت لهم حظيرة كبيرة ، وأسكنهم فيها ، وأجرى لهم الخبز ، وأمرهم أن يكتبوا إلى أوليائهم حيث كانوا ، فكان كلّ من جاء فعرف[3] امرأة أو صبيًّا أو جارية ، وأقام شاهدين أنه يعرفها وأنّها حرمة له أو قرابة دفعها إليه ؛ فجاء الناس ، فأخذوا منهم خلقاً كثيراً ، وبقي منهم ناس كثير ينتظرون أن يجيء أولياؤهم .

ولما كان ذلك اليوم الذى أمر الأفشين الناس أن يصطفّوا ، فصار بين بابك وبينه قَدْر نصف ميل ، أنزل بابك يمشي بين الصَّفين في دُرّاعته وعمامته وخفّيه ، حتى جاء فوقف بين يدى الأفْشين فنظر إليه الأفشين ، ثم قال : انزلوا به إلى العسكر ؛ فنزلوا به راكباً ، فلما نظر النساء والصبيان الذين في الحظيرة إليه لَطموا على وجوههم ، وصاحوا وبكوا حتى ارتفعت أصواتهم ، فقال لهم الأفشين : أنتم بالأمس ؛ تقولون أسَرنا ، وأنتم اليوم تبكون عليه ! عليكم لعنة الله . قالوا : كان يحسِن إلينا . فأمر به الأفشين فأدخِل بيتاً ، ووكل به رجالا من أصحابه .

٣/١٢٢٨

وكان عبد الله أخو بابك لما أقام بابك عند ابن سنباط ، صار إلى عيسى

---

(١) ف : « أعطيتك » . (٢) الفازة : بناء للعساكر. (٣) ف : «كان يعرف » .

ابن يوسف بن اصطفانوس؛ فلما أخذ الأفشين بابك، وصيّره معه فى عسكره ووكل به، أعلم بمكان عبد الله أنه عند ابن اصطفانوس ؛ فكتب الأفشين إلى ابن اصطفانوس أن يوجّه إليه بعبد الله ؛ فوجه به ابن اصطفانوس إلى الأفشين ، فلما صار فى يد الأفشين حبسه مع أخيه فى بيت واحد ؛ ووكّل بهما قومًا يحفظونهما .

وكتب الأفشين إلى المعتصم بأخذه بابك وأخاه، فكتب المعتصم إليه يأمره بالقدوم بهما[1] عليه ، فلما أراد أن يسير إلى العراق وجّه إلى بابك فقال : إنى أريد أن أسافر بك ، فانظر ما تشتهى من بلاد أذْرَبيجان ، فقال : أشتهى أن أنظر إلى مدينتى . فوجّه معه الأفشين قومًا فى ليلة مُقْمِرة إلى البذّ حتى دار فيه ، ونظر إلى القتلى والبيوت[2] إلى وقت الصبح ، ثم رده إلى الأفشين ؛ وكان الأفشين قد وكّل به رجلا من أصحابه فاستعفاه منه بابك ، فقال له الأفشين : لمَ استعفيت منه ؟ قال : يجيء ويده ملأى غمَرًا[3] ، حتى ينام عند رأسى فيؤذينى ريحُها . فأعفاه منه .

وكان وصول بابك إلى الأفشين ببرزند لعشر خلوْن من شوال بين بوزبارة وديوداذ .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة محمد بن داود .

---

(١) ف : « بقدومهما » . (٢) ف : « فى البيوت » . (٣) الغمر : ريح اللحم .

٣/١٢٢٩

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر قدوم الأفشين ببابك على المعتصم]

فمن ذلك قدوم الأفشين على المعتصم ببابك، وأخيه ، ذُكر أنّ قدومه عليه به كان ليلة الخميس لثلاث خلَوْن من صفر بسامرّا ، وأنّ المعتصم كان يوجّه إلى الأفشين كلّ يوم من حين فصل من برزند إلى أن وافى سامرّا فرساً وخِلْعة ، وأنّ المعتصم لعنايته بأمر بابك وأخباره ولفساد الطريق بالثلج وغيره ، جعل من سامرّا إلى عقبة حُلْوان خيلا مضمَّرة(١) ، على رأس كلّ فرسخ فرساً معه مُجْرٍ مرتّب ؛ فكان يركض بالخبر ركضًا حتى يؤديه من واحد إلى واحد ، يداً بيد ؛ وكان ما خلْف حُلْوان إلى أذْرَبيجان قد رتّبوا فيه المرْج ؛ فكان يركض بها يوماً أو يومين ثم تبدّل ويصيّر غيرها ؛ ويُحمل عليها غلمان من أصحاب المرْج كلّ دابة على رأس فرسخ ، وجعل لهم ديادبة على رءوس الجبال بالليل والنهار ، وأمرهم أن ينعروا إذا جاءهم الخبر ؛ فإذا سمع الذى يليه النعير تهيأ فلا يبلغ إليه صاحبه الذى نعر حتى يقف له على الطريق ؛ فيأخذ الخريطة منه ؛ فكانت الخريطة تصل من عسكر الأفشين إلى سامرّا فى أربعة أيام وأقلّ ؛ فلما صار الأفشين بقناطر حُذَيفة تلقّاه هارون بن المعتصم وأهل بيت المعتصم ؛ فلما صار الأفشين ببابك إلى سامرّا أنزله الأفشين فى قصره(٢) بالمَطِيرة ؛ فلمّا كان فى جوف الليل ذهب أحمد بن أبى دواد متنكراً ، فرآه وكلمه ، ثم رجع إلى المعتصم ، فوصفه له ، فلم يصبر المعتصم حتى ركب إليه بين الحائطين فى الحيْر ؛ فدخل إليه متنكّراً ، ونظر إليه وتأمله ، وبابك لا يعرفه ؛ فلما كان من غد قعد له المعتصم يوم اثنين أو خميس ، واصطفّ الناس من باب العامّة إلى المطيرة ، وأراد المعتصم أن يُشهره ويريَه الناس ، فقال : على أىّ

٣/١٢٣٠

(١) س : « تضمر بهم » . (٢) س : « بقصره » .

شيء يُحمل هذا ؟ وكيف يُشهر ! فقال حزام : يأمير المؤمنين ؛ لا شيء أشهر من الفيل ، فقال : صدقت ؛ فأمر بتهيئة الفيل ، وأمر به فجُعل فى قَباء ديباج وقلنسوة سمّور مدوّرة ؛ وهو وحده ؛ فقال محمد بن عبد الملك الزيات :

قد خُضِبَ الفيلُ كعاداته يَحملُ شيطانَ خراسانِ

والفيلُ لا تُخضَبُ أعضاؤه إلا لذى شأنٍ من الشانِ

فاستشرفه الناس من المَطيرة إلى باب العامّة ؛ فأدخل دار العامة إلى أمير المؤمنين ، وأحضر جزّاراً ليقطع يديه ورجليه ؛ ثم أمر أن يحضر سيّافه ، فخرج الحاجب من باب العامة ؛ وهو ينادى : نودنود — وهو اسم سياف بابك — فارتفعت الصيحة بنودنود حتى حضر ، فدخل دار العامة ، فأمره[1] أمير المؤمنين أن يقطع يديه ورجليه ، فقطعهما فسقط ، وأمر أمير المؤمنين بذبحه وشقّ بطن أحدهما ، ووجّه برأسه إلى خُراسان ، وصلب بدنه بسامرّا عند العقبة ، فموضع خشبته مشهور ، وأمر بحمل أخيه عبد الله مع ابن شَرْوين الطَّبَرىّ إلى إسحاق بن إبراهيم خليفته بمدينة السَّلام ، وأمره بضرب عنقه ، وأن يفعل به مثل ما فعل بأخيه ، وصلبه ؛ فلما صار به الطبرىّ إلى البَرَدان ، نزل به ابن شروين فى قصر البردان ، فقال عبد الله أخو بابك لابن شروين : مَنْ أنت؟ فقال : ابن شروين ملك طبرستان ، فقال : الحمد لله الذى وفّق لى رجلا من الدّهاقين يتولى قتلى . قال : إنما يتولّى قتلك هذا — وكان عنده نودنود ، وهو الذى قتل بابك — فقال له : أنت صاحبى ، وإنما هذا علْج ، فأخبرْنى ، أأمرت أن تطعمنى شيئاً أم لا ؟ قال : قل ما شئت ، قال : اضرب لى فالوذجة ، قال : فأمر فضُربت له فالوذجة فى جوف الليل ، فأكل منها حتى تملأ ، ثم قال : يا أبا فلان ، ستعلم غداً أنى دهقان إن شاء الله . ثم قال : تقدر أن تسقينى نبيذا ؟ قال : نعم ، ولا تُكثر[2] ، قال : فإنى لا أكثر ، قال : فأحضر أربعة أرطال خمر ، فقعد فشربها على مَهل إلى قريب من الصبح ، ثم رحل

١٢٢١/٣

(١) ف : « فأمر » . (٢) كذا فى ا ، وفى ط : « ولا بكثير » .

فى السَّحَر ، فوافى به مدينة السلام ، ووافى به رأس الجسر ، وأمر إسحاق ابن إبراهيم بقطع يديْه ورجليه ، فلم ينطق ولم يتكلّم ، وأمر بصلْبه فصُلِب فى الجانب الشرقىّ بين الجسريْن بمدينة السلام . ١٢٣٢/٣

* * *

وذكر عن طَوْق بن أحمد، أنّ بابك لما هرب صار إلى سهل بن سنباط فوجّه الأفشين أبا سعيد وبوزبارة ، فأخذاه منه، فبعث سهل مع بابك بمعاوية ابنه[1] إلى الأفشين ، فأمر لمعاوية بمائة ألف درهم ، وأمر لسهل بألف[2] ألف درهم استخرجها له من أمير المؤمنين ،ومنطقة مغرقة بالجوهر وتاج البطرقة ، فبطرق[3] سهل بهذا السبب ، والذى كان عنده عبد الله أخو بابك عيسى بن يوسف المعروف بابن أخت اصطفانوس ملك البَيْلقان .

وذكر عن محمد بن عمران كاتب علىّ بن مرّ ، قال : حدّثنى علىّ بن مرّ ، عن رجل من الصعاليك يقال له مَطر ، قال : كان والله يا أبا الحسن بابك ابنى . قلت : وكيف ؟ قال : كنا مع ابن الروّاد ، وكانت أمه ترتوميذ العوراء من عُلوج ابن الروّاد ، فكنت أنزل عليها ، وكانت مصكّة[4] ، فكانت تخدمنى وتغسل ثيابى ،فنظرتُ إليها يومًا ،فواثبتها بشَبق السفر وطول الغربة ، فأقررتُه فى رحمها . ثم قال : غبْنا غيبة بعد ذلك ،ثم قدمنا فإذا هى تطلبنى[5] ، فنزلت فى منزل آخر ، فصارت إلىّ يومًا ،فقالت : حين ملأتَ بطنى تنزل ها هنا وتتركنى ! فأذاعت أنه منّى ،فقلت : والله لئن ذكرتينى لأقتلنّك ؛ فأمسكتْ عنى ، فهو والله ابنى .

وكان يُجْرَى الأفشينُ فى مقامه بإزاء بابك سوى الأرزاق ، والأنزال والمعاون فى كلّ يوم يركب فيه عشرة آلاف درهم ، وفى كلّ يوم لا يركب فيه خمسة آلاف درهم . ١٢٣٣/٣

وكان جميع من قتل بابك فى عشرين سنة مائتى ألف وخمسة وخمسين

---

(١) ف : « بابنه معاوية » .
(٢) س : « بمائة ألف درهم » .
(٣) كذا فى ا ، وفى ط من غير نقط .
(٤) المصكة : القوية .
(٥) كذا فى ا ، وفى ط : « تطلق » .

ألفا وخمسمائة إنسان . وغلب يحيى بن معاذ وعيسى بن محمد بن أبى خالد وأحمد بن الجُنيد، وأسره وُزريق بن علىّ بن صدقة ومحمد بن حميد الطوسىّ وإبراهيم بن الليث، وأسر مع بابك ثلاثة آلاف وثلثمائة وتسعة أناسى ، واستُنقذ ممّن كان فى يده من المسلمات وأولادهم سبعة آلاف وستّمائة إنسان ، وعدّة مَنْ صار فى يد الأفشين من بنى بابك سبعة عشر رجلا ومن البنات والكنّات ثلاث وعشرون امرأة ، فتوّج المعتصم الأفشين وألبسه وشاحين بالجوهر ، ووصله بعشرين ألف ألف درهم ، منها عشرة آلاف ألف صلة وعشرة آلاف ألف درهم يفرّقها فى أهل عسكره ، وعقد له على السِّند وأدخل عليه الشعراء يمدحونه ، وأمر للشعراء بصلات ، وذلك يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر ، وكان مما قيل فيه قول أبى تمام الطائىّ :

بذَّ الجلادُ البذَّ فهو دفينُ ... ما إنْ به إلّا الوحوش قطينُ[1]

لم يُقْرَ هذا السيفُ هذَا الصّبر فى ... هَيْجاء إلّا عَزَّ هذا الدينُ

قد كان عُذرةَ سُودَد فافتَضَّها ... بالسيفِ فَحْلُ المشرقِ الأفشينُ ١٢٣٤/٣

فأعادها تَعوِى الثعالبُ وسْطها ... ولقد تُرَى بالأمس وهْى عرينُ

هطلتْ عليها من جَماجِم أهلها[2] ... دِيَمٌ أمارَتُها طُلًى وشئونُ

كانت من المُهَجات قبلُ مفازةً[3] ... عسِرًا ، فأضحتْ وهْىَ منه مَعينُ[4]

* * *

[ذكر خبر إيقاع الروم بأهل زبطرة]

وفى هذه السنة أوقع تَوْفيل بن ميخائيل صاحب الروم بأهل زِبَطْرة ، فأسرهم وخرّب بلدهم ، ومضى من فوره إلى مَلَطْية فأغار على أهلها وعلى أهل حصون من حصون المسلمين ؛ إلى غير ذلك ؛ وسبا من المسلمات — فيما قيل — أكثر من ألف امرأة ، ومثّل بمن صار فى يده من المسلمين ، وسَمَل أعينهم ، وقطع آذانهم وآنافهم .

---

(١) ديوانه ٣ : ٣١٦ .
(٢) ديوانه : «جادت عليها» .
(٣) ديوانه . «كانت من الدم قبل ذلك» .
(٤) ديوانه : «غوراً فأمست» .

* ذكر الخبر عن سبب فعل صاحب الروم بالمسلمين ما فعل من ذلك :

ذُكر أنّ السبب فى ذلك كان ما لحق بابك من تضييق الأفشين عليه وإشرافه على الهلاك ، وقَهْر الأفشين إياه ؛ فلما أشرف على الهلاك، وأيقن بالضَّعْف من نفسه عن حربه، كتب إلى ملك الروم تَوْفيل بن ميخائيل بن جُورجس؛ يعلمه أن ملك العرب قد وجّه عساكره ومقاتلته إليه حتى وجَّه خيّاطه — يعنى جعفر بن دينار — وطباخه —يعنى إيتاخ — ولم يبقَ على بابه أحد ؛ فإن أردت الخروج إليه فاعلم أنه ليس فى وجهك أحد يمنعك ؛ طمعاً منه بكتابه ذلك إليه فى أن ملك الروم إن تحرّك انكشف عنه بعض ما هو فيه بصرف المعتصم بعض مَنْ بإزائه من جيوشه إلى ملك الروم، واشتغاله به عنه. ٣/١٢٣٥

فذكر أن تَوفيل خرج فى مائة ألف — وقيل أكثر —فيهم من الجند نيّف وسبعون ألفاً ، وبقيّتهم أتباع حتى صار إلى زِبَطْرة، ومعه من المحمّرة الذين كانوا خرجوا بالجبال فلحقوا بالروم حين قاتلهم إسحاق بن إبراهيم بن مصعب جماعة رئيسهم بارسيس[1]. وكان ملك الروم قد فرَض لهم، وزوّجهم وصيرهم مقاتلة يستعين بهم فى أهمّ أموره إليه ؛ فلما دخل ملك الروم زِبَطْرة وقتل الرجال الذين فيها ، وسبى الذراريّ والنساء التى فيها وأحرقها، بلغ النفير — فيما ذكر — إلى سامرّا ، وخرج أهل ثغور الشأم والجزيرة وأهل الجزيرة إلا من لم يكن عنده دابة ولا سلاح ، واستعظم المعتصم ذلك .

فذكر أنه لما انتهى إليه الخبر بذلك صاح فى قصره النفير ، ثم ركب دابته وسمّط خلفه شكالا وسكة حديد وحقيبة ؛ فلم يستقم له أن يخرج إلا بعد التعبية ، فجلس — فيما ذكر — فى دار العامة ، وقد أحضر من أهل مدينة السلام قاضيها عبد الرحمن بن إسحاق وشعيب[2] بن سهل، ومعهما ثلثمائة وثمانية وعشرون رجلا من أهل العدالة ؛ فأشهدهم على ما وقف من الضياع ؛ فجعل ثلثاً لولده ، وثلثاً لله ، وثلثاً لمواليه . ثم عسكر بغربىّ دجلة ؛ وذلك يوم الاثنين لليلتين خلتا من جمادى الأولى . ٣/١٢٣٦

(١) ا : «باذسيس» . (٢) ابن الأثير : «وشعبة» .

ووجّه عُجيف بن عنبسة وعمراً[1] الفرغانىّ ومحمد كُوتَة[2] وجماعة من القُوّاد إلى زِبَطْرة إعانة لأهلها ، فوجدوا ملك الروم قد انصرف إلى بلاده بعد ما فعل ما قد ذكرناه ، فوقفوا قليلا ؛ حتى تراجع الناس إلى قراهم ، واطمأنّوا . فلما ظفر المعتصم ببابك ، قال : أىّ بلاد الروم أمنع وأحصن ؟ فقيل : عمّورية ، لم يعرض لها أحد من المسلمين منذ كان الإسلام ، وهى عين النصرانية وبُنْكها[3] ؛ وهى أشرف عندهم من القسطنطينيّة .

* * *

[ذكر الخبر عن فتح عمّورية]

وفى هذه السنة شخص المعتصم غازياً إلى بلاد الروم . وقيل كان شخوصه إليها من سامرّا فى سنة أربع وعشرين ومائتين—وقيل فى سنة اثنتين وعشرين ومائتين— بعد قتله بابك .

فذكر أنه تجهّز جهازاً لم يتجهز مثله قبله خليفة قطّ ، من السلاح والعُدد والآلة وحياض الأدَم والبغال والرّوايا والقِرَب وآلة الحديد والنِّفط ، وجعل على مقدّمته أشناس ، ويتلوه محمد بن إبراهيم ، وعلى ميمنته إيتاخ ، وعلى ميسرته جعفر بن دينار بن عبد الله الخياط ، وعلى القلب عُجَيف بن عنبسة .

١٢٣٧/٣ ولما دخل بلاد الروم أقام على نهر اللمِس[4] . وهو على سَلُوقيّة قريباً من البحر ، بينه وبين طرَسُوس مسيرة يوم ، وعليه يكون الفداء إذا فُودى بين المسلمين والروم ، وأمضى المعتصم الأفشينَ خيذر[5] بن كاوس إلى سَرُوج ، وأمره بالبروز منها والدخول من درب الحدَث ، وسمّى له يوماً أمره أن يكون دخوله فيه ، وقدّر لعسكره وعسكر أشناس يوماً جعله بينه وبين اليوم الذى يدخل فيه الأفشين ، بقدر ما بين المسافتين إلى الموضع الذى رأى أن يجتمع العساكر فيه — وهو أنقِرة — ودبّر النزول على أنقرة ، فإذا فتحها الله عليه صار

---

(١) ابن الأثير : « وعمر » . (٢) ابن الأثير : « كوتاه » .

(٣) البنك ، بالضم : أصل الشىء وخالصه .

(٤) ابن الأثير : « السن » .

(٥) ط : « حيدر » ، وانظر الفهرس والتصويبات .

إلى عَمُّورِيَّة ، إذ لم يكن شيء مما يقصد له من بلاد الروم أعظم من هاتين المدينتين ، ولا أحرى أن تجعل غايته التي يؤمّها .

وأمر المعتصم أشناس أن يدخل من درب طَرَسُوس ، وأمره بانتظاره بالصّفصاف فكان شخوص أشناس يوم الأربعاء لثمان بقين من رجب ، وقدّم المعتصم وصيفًا في أثر أشناس على مقدّمات المعتصم ، ورحل المعتصم يوم الجمعة لست بقين من رجب .

فلما صار أشناس بمرْج الأُسقُفّ ، ورد عليه كتاب المعتصم من المطامير يعلمه أن الملك بين يديه ، وأنه يريد أن يجوز العساكرُ اللمِس ، فيقف على المخاضة ، فيكبسهم ، ويأمره بالمقام بمرج الأسقُفّ — وكان جعفر بن دينار على ساقة المعتصم — وأعلم المعتصم أشناس في كتابه أن ينتظر موافاة الساقة ، لأن فيها الأثقال والمجانيق والزّاد وغير ذلك ؛ وكان ذلك بعد في مضيق الدرْب لم يخلُص ، ويأمره بالمقام إلى أن يتخلص صاحب الساقة من مضيق الدّرْب بمن معه ، ويُصحر حتى يصير في بلاد الروم . ١٢٣٨/٣

فأقام أشناس بمرج الأسقفّ ثلاثة أيام ؛ حتى ورد كتاب المعتصم ، يأمره أن يوجّه قائداً من قُوّاده في سريّة يلتمسون رجلا من الروم ، يسألونه عن خبر الملك ومَنْ معه ، فوجّه أشناس عمراً الفرغانيّ في مائتي فارس ، فساروا ليلتهم حتى أتوا حصن قرّة فخرجوا يلتمسون رجلا من حَوْل الحصن ؛ فلم يمكن ذلك ، ونذِر بهم صاحب قُرّة ، فخرج في جميع [1] فرسانه الذين كانوا معه بالقُرّة ، وكمن في الجبل الذى فيما بين قُرّة و دُرّة ؛ وهو جبل كبير يحيط برستاق يسمى رستاق قُرّة ، وعلم عمرو الفرغانيّ أن صاحب قُرّة قد نذِر بهم ، فتقدّم إلى دُرّة ، فكمن بها ليلته ؛ فلما انفجر عمود الصبح صيّر عسكره ثلاثة كراديس ، وأمرهم أن يركُضوا ركضاً سريعاً ، بقدر ما يأتونه بأسير عنده خبر الملك ، ووعدهم أن يوافُوه به في بعض المواضع التي عرفها الأدلاّء ، ووجّه مع كل كُردوس دليلين .

(١) ف : « بجميع » .

وخرجوا مع الصبح ، فتفرّقوا فى ثلاثة وجوه ؛ فأخذوا عدّة من الروم ؛ بعضهم من أهل عسكر الملك ، وبعضهم من الضواحى ؛ وأخذ عمرو رجلاً من الروم من فرسان أهل القرّة ، فسأله عن الخبر ؛ فأخبره أن الملك وعسكره بالقرب منه وراء اللمِس بأربعة فراسخ ، وأنّ صاحب قُرّة نذر بهم فى ليلتهم[1] هذه ، وأنه ركب فكمن[2] فى هذا الجبل فوق رءوسهم ؛ فلم يزل عمرو فى الموضع الذى كان وعد فيه أصحابه ، وأمر الأدلاء الذين معه أن يتفرّقوا فى رءوس الجبال ، وأن يشرفوا على الكراديس الذين وجّههم إشفاقاً أن يخالفهم صاحب قُرّة إلى أحد الكراديس ، فرآهم الأدلاّء ، ولوّحوا[3] لهم ، فأقبلوا فتوافوْاهم وعمرو فى موضع غير الموضع الذى كانوا اتّعدوا له ، ثم نزلوا قليلا ، ثم ارتحلوا يريدون العسكر ، وقد أخذوا عدّة ممن كان فى عسكر الملك ، فصاروا[4] إلى أشناس فى اللّمِس ، فسألهم عن الخبر ، فأخبروه أن الملك مقيم منذ أكثر من ثلاثين يوماً ينتظر عُبور المعتصم ومقدّمته باللّمِس ؛ فيواقعهم من وراء اللّمِس ، وأنه جاءه الخبر قريباً ؛ أنه قد رحل من ناحية الأرمنياق عسكرٌ ضخم ، وتوسط البلاد — يعنى عسكر الأفشين — وأنه قد صار خلفه.

فأمر الملك رجلاً من أهل بيته ابن خاله ، فاستخلفه على عسكره ، وخرج ملك الروم فى طائفة من عسكره يريد ناحية الأفشين ، فوجّه أشناس بذلك الرجل الذى أخبره بهذا الخبر إلى المعتصم ، فأخبره بالخبر ، فوجّه المعتصم من عسكره قوماً من الأدلاّء ، وضمِن لهم لكلّ رجل منهم عشرة آلاف درهم ؛ على أن يوافُوا بكتابه الأفشين ، وأعلمه فيه أنّ أمير المؤمنين مقيم ، فليقم إشفاقاً من أن يواقعه ملك الروم . وكتب إلى أشناس كتاباً يأمره أن يوجه من قِبَله رسولا من الأدلاء الذين يعرفون الجبال والطرق والمشبهة[5] بالرّوم ، وضمِن لكلّ رجل منهم عشرة آلاف درهم إن هو أوصل الكتاب ، ويكتب إليه أن ملك الروم قد أقبل نحوه فليُقم مكانه حتى يوافيه كتاب أمير المؤمنين .

فتوجّهت الرسل إلى ناحية الأفشين ، فلم يلحقه أحد منهم ؛ وذلك أنه كان

(١) ف : « ليلته » . (٢) س : « وكمن » . (٣) س : « فلوحوا » .
(٤) ف : « وصاروا » . (٥) ا : « والمتشبهة » .

١٢٣٩/٣

١٢٤٠/٣

وغل[١] فى بلاد الروم، وتوافت آلات المعتصم وأثقاله مع صاحب الساقة إلى العسكر ، فكتب إلى أشناس يأمره بالتقدّم ؛ فتقدّم أشناس والمعتصم من ورائه ، بينهم مرحلة ، ينزل هذا ويرحل هذا . ولم يرد عليهم من الأفشين خبر ؛ حتى صاروا من أنقرة على مسيرة ثلاث مراحل ؛ وضاق عسكر المعتصم ضيقاً شديداً من الماء والعلف .

وكان أشناس قد أسر عدّة أسرى فى طريقه ، فأمر بهم فضُربت أعناقهم حتى بقى منهم شيخٌ كبير ؛ فقال الشيخ : ما تنتفع[٢] بقتلى ؛ وأنت فى هذا الضيق ، وعسكرك أيضاً فى ضيق من الماء والزاد ، وها هنا قوم قد هربوا من أنقرة خوفاً من أن ينزل بهم ملك العرب ؛ وهم بالقرب منّا ها هنا[٣] ، معهم من المِيرة والطعام[٤] والشعير شىء كثير ، فوجّهْ معى قوماً لأدفعهم إليهم ، وخلّ سبيلى !

فنادى منادى أشناس : مَنْ كان به نشاط فليركب ، فركب معه قريب من خمسمائة فارس ؛ فخرج أشناس حتى صار من العسكر على ميل ، وبرز معه مَنْ نشط من الناس ، ثم برز فضرب دابته بالسوط ، فركض قريباً من ميلين ركضاً شديداً ، ثم وقف ينظر إلى أصحابه خلفه ؛ فمَنْ لم يلحق بالكُردوس لضعف دابته ردّه إلى العسكر ، ودفع الرجل الأسير إلى مالك بن كَيْدر ، وقال له : متى ما أراك هذا سَبْياً وغنيمة كثيرة فخلّ سبيله على ما ضمِنّا له . فسار[٥] بهم الشيخ إلى وقت العتمة ، فأوردهم على واد وحشيش كثير ، فأمرج[٦] الناس دوابّهم فى الحشيش حتى شبعت ، وتعشى الناس وشربوا حتى رَووا ، ثم سار بهم حتى أخرجهم من الغَيْضة ، وسار أشناس مِن موضعه الذى كان به متوجّهاً إلى أنقره .

١٢٤١/٣

وأمر مالك بن كيدر والأدلاّء الذين معه أن يوافُوه بأنقرة ، فسار بهم الشيخ العِلْج بقية ليلتهم يدُور بهم فى جبل ليس يخرجهم منه ، فقال الأدلاء

(١) ابن الأثير : « أوغل » .
(٢) ف : « ما ينتفع » .
(٣) ف : « من هاهنا » .
(٤) ف : « من الطعام وغيره » .
(٥) ف : « وسار » .
(٦) أمرجوا دوابهم : جعلوها ترعى .

لمالك بن كيدر : هذا الرجل يدور بنا ، فسأله مالك عما ذكر الأدلاّء، فقال : صدقوا ، القوم الذين تريدهم خارج الجبل ، وأخاف أن أخرج من الجبل بالليل فيسمعوا صوت حوافر الخيل على الصخر ؛ فيهربوا ، فإذا خرجنا من الجبل ولم نر أحداً قتلنى ، ولكن أدور بك فى هذا الجبل إلى الصبح ؛ فإذا أصبحنا خرجنا إليهم ، فأريتُك إياهم حتى آمن ألاّ تقتلنى . فقال له مالك : ويحك ! فأنْزِلنا فى هذا الجبل حتى نستريح ، فقال : رأيك ؛ فنزل مالك ونزل ١٢٤٢/٣ الناس على الصّخرة ، وأمسكوا لُجم دوابهم حتى انفجر الصبح[1] ؛ فلما طلع الفجر قال : وجّهوا رجلين يصعدان هذا الجبل ، فينظران ما فَوْقه ، فيأخذان مَنْ أدركا فيه ، فصعد أربعة من الرجال[2] ، فأصابوا رجلا وامرأة ؛ فأنزلوهما ، فساءلهما العِلْج : أين بات أهل أنقرة ؟ فسمّوا لهم الموضع الذى باتوا فيه ، فقال لمالك : خلّ عن هذين ؛ فإنا قد أعطيناهما الأمان حتى دلُّونا ، فخلّى مالك عنهما ، ثم سار بهم العِلْج إلى الموضع الذى سمّاه لهم ، فأشرف بهم على العسكر عسكر أهل أنقرة ، وهم فى طرف ملاّحة ، فلما رأوا العسكر صاحوا بالنساء والصبيان ، فدخلوا الملاّحة ، ووقفوا لهم على طرف الملاّحة يقاتلون بالقَنا ، ولم يكن موضع حجارة ولا موضع خيل ، وأخذوا منهم عدّة أسرى ، وأصابوا فى الأسرى عدّة بهم جراحات عتُق[3] من جراحات متقدمة ، فساءلوهم عن تلك الجراحات ، فقالوا : كنا فى وقعة الملك مع الأفشين ، فقالوا لهم : حدّثونا بالقضية . فأخبروهم أنّ الملك كان معسكراً على أربعة فراسخ من اللّمِس ؛ حتى جاءه رسول ، أن عسكراً ضخماً قد دخل من ناحية الأرمنياق ، فاستخلف على عسكره رجلاً من أهل بيته ، وأمره بالمقام فى موضعه ؛ فإن ورد عليه مقدّمة ملك العرب ، واقعه إلى أن يذهب هو فيواقع العسكر الذى دخل الأرمنياق — يعنى عسكر الأفشين — فقال أميرهم : نعم ؛ وكنت ممن سار مع الملك ، فواقعناهم صلاة الغداة فهزمناهم ، وقتلنا رجّالتهم كلّهم ، وتقطعت عساكرنا ١٢٤٣/٣ فى طلبهم ؛ فلما كان الظهر رجع فرسانهم ، فقاتلونا قتالا شديداً حتى حرّقوا

---

(١) س : « الفجر » . (٢) س : « الرجالة » .

(٣) عتق : جمع عاتق ، وهو القديم .

عسكرنا ، واختلطوا بنا واختلطنا بهم ؛ فلم ندرِ فى أىّ كُردوس الملك ! فلم نزل كذلك إلى وقت العصر ، ثم رجعنا[1] إلى موضع عسكر الملك الذى كنا فيه فلم نصادفه ، فرجعنا إلى موضع معسكر الملك الذى خلّفه على اللّمِس ، فوجدنا العسكر قد انتقض ، وانصرف الناس عن الرّجل قرابة الملك الذى كان الملك استخلفه على العسكر ؛ فأقمنا على ذلك ليلتنا ؛ فلمّا كان الغد ، وافانا الملك فى جماعة يسيرة ، فوجد عسكره قد اختلّ ، وأخذ الذى استخلفه على العسكر ، فضرب عنقه ، وكتب إلى المدن والحصون ألاّ يأخذوا رجلاً ممن انصرف من عسكر الملك إلا ضربوه بالسياط ، أو يرجع إلى موضع سماه لهم الملك انحاز إليه ليجتمع إليه الناس ، ويعسكر به ، ليناهض ملك العرب ؛ ووجّه خادماً له خصيّاً إلى أنقرة على أن يقيم بها ، ويحفظ أهلها إن نزل بها ملك العرب .

قال الأسير : فجاء الخصىّ إلى أنقرة ، وجئنا معه ، فإذا أنقرة قد عطّلها أهلها ، وهربوا منها ، فكتب الخصىّ إلى ملك الروم يعلمه ذلك ، فكتب إليه الملك يأمره بالمسير إلى عمّورية .

قال : وسألت عن الموضع الذى قصد إليه أهلها — يعنى أهل أنقرة — فقالوا لى : إنهم بالملاّحة فلحقنا بهم .

قال مالك بن كيدر : فدعوا الناس كلهم ، خذوا ما أخذتم ، ودعوا الباقى ، فترك الناس السبى والمقاتلة وانصرفوا راجعين[2] يريدون عسكر أشناس ، وساقوا فى طريقهم غنماً كثيراً وبقراً ، وأطلق ذلك الشيخَ الأسيرَ مالك ، وسار إلى عسكر أشناس بالأسرى ؛ حتى لحق بأنقرة ، فمكث أشناس يوماً واحداً ، ثم لحقه المعتصم من غد ؛ فأخبره بالذى أخبره به الأسير ، فسُرّ المعتصم بذلك . فلمّا كان اليوم الثالث جاءت البُشرى من ناحية الأفشين يخبرون بالسلامة ، وأنه وارد على أمير المؤمنين بأنقرة .

٣/١٢٤٤

قال : ثم ورد على المعتصم الأفشين بعد ذلك اليوم بيوم بأنقرة ، فأقاموا بها

(١) ف : « ثم رجعوا » .
(٢) س : « ورجعوا منصرفين » .

أيامًا ، ثم صيّر العسكر ثلاثة عساكر : عسكر فيه أشناس فى الميسرة ، والمعتصم فى القلب ، والأفشين فى الميمنة ؛ وبين كل عسكر وعسكر فرسخان ، وأمر كل عسكر منهم أن يكون له ميمنة وميسرة ، وأن يحرّقوا القرى ويخرّبوها ، ويأخذوا مَنْ لحقوا فيها من السَّبْى ، وإذا كان وقت النزول توافَى كلُّ أهل عسكر إلى صاحبهم ورئيسهم ، يفعلون ذلك فيما بين أنقرة إلى عمّوريّة ؛ وبينهما سبع مراحل ؛ حتى توافت العساكر بعمّورية .

قال : فلما توافت العساكر بعمّوريّة ، كان أوّل مَنْ وردها أشناس ؛ وردَها يوم الخميس ضَحْوة ، فدار حولها دَوْرة ، ثم نزل على ميلين منها بموضع فيه ماء وحشيش ؛ فلما طلعت الشمس من الغد ، ركب المعتصم ، فدار حولها دَوْرةً ، ثم جاء الأفشين فى اليوم الثالث ، فقسمها أمير المؤمنين بين القوّاد كما تدور ؛ صيّر إلى كل واحد منهم أبراجًا منها على قدر كثرة أصحابه وقلّتهم ، وصار لكلّ قائد منهم ما بين البرجيْن إلى عشرين برجًا ، وتحصّن أهل عمّوريّة وتحرّزوا . ١٢٤٥/٣

وكان رجلٌ من المسلمين قد أسَره أهل عمّورية ، فتنصّر وتزوج فيهم[1] ، فحبس نفسه عند دخولهم الحصن ، فلمّا رأى أمير المؤمنين ظهر وصار إلى المسلمين ، وجاء إلى المعتصم ، وأعلمه[2] أن موضعًا من المدينة حمل الوادى عليه من مطر جاءهم شديد ، فحمل الماء عليه ، فوقع السور من ذلك الموضع ، فكتب ملك الروم إلى عامل عمّوريّة أن يبنى ذلك الموضع ، فتوانى فى بنائه حتى كان خروج الملك من القسطنطينيّة إلى بعض المواضع ، فتخوّف الوالى أن يمرّ الملك على تلك الناحية فيمرّ بالسور ، فلا يراه بُنِى ، فوجّه خلف الصنّاع فبنى وجْه السور بالحجارة حجراً حجراً ، وصيّر وراءه من جانب المدينة حشواً ، ثم عقد فوقه الشُّرَف كما كان ، فوقّف ذلك الرجل المعتصم على هذه الناحية التى وصف ، فأمر المعتصم فضرب مضربه فى ذلك الموضع ، ونصب المجانيق على ذلك البناء ، فانفرج السور من ذلك الموضع ، فلما رأى أهل عمّوريّة انفراج

(١) ف : « منهم » . (٢) ف ، ا : « وأعلمه » .

السور ، علّقوا عليه الخشب الكبار ، كل واحد بلزق الأخرى ؛ فكان حجر المنجنيق إذا وقع على الخشب تكسر ، فعلّقوا[1] خشبًا غيره ، وصيّروا فوق الخشب البراذع ليترّسوا السور .

١٢٤٦/٣

فلما ألحّت المجانيق على ذلك الموضع ، انصدع السور ، فكتب ياطس والخصىّ إلى ملك الروم ، كتاباً يعلمانه أمر السور ، ووجّها الكتاب مع رجل فصيح بالعربية وغلام رومىّ ، وأخرجاهما من الفصيل ، فعبرا الخندق ، ووقعا إلى ناحية أبناء الملوك المضمومين إلى عمرو الفرغانىّ ، فلمّا خرجا من الخندق أنكروهما ، فسألوهما : من أين أنتما ؟ قالا لهم : نحن من أصحابكم ، قالوا : من أصحاب مَنْ أنتم ؟ فلم يعرفا أحداً من قوّاد أهل العسكر يسمّيانه لهم ، فأنكروهما ، وجاءوا بهما إلى عمرو الفرغانىّ بن أربخا ، فوجّه بهما عمرو إلى أشناس ، فوجّه بهما أشناس إلى المعتصم ، فساءلهما المعتصم ، وفتّشهما ، فوجد معهما كتابًا من ياطس إلى ملك الروم ، يعلمه فيه أن العسكر قد أحاط بالمدينة فى جَمْع كثير ، وقد ضاق بهم الموضع . وقد كان دخوله ذلك الموضع خطأ — وأنه قد اعتزم على أن يركب ، ويحمل خاصة أصحابه على الدوابّ التى فى الحصن ، ويفتح الأبواب ليلاً غفلة ، ويخرج فيحمل على العسكر كائناً فيه ما كان ؛ أفلت فيه من أفلت ، وأصيب فيه مَنْ أصيب ؛ حتى يتخلّص من الحصار ، ويصير إلى الملك .

١٢٤٧/٣

فلما قرأ المعتصم الكتاب أمر للرجل الذى يتكلّم منهما بالعربية والغلام الرومىّ الذى معه ببَدْرة ، فأسلما وخلع عليهما ، وأمر بهما حين طلعت الشمس فأداروهما حول عمورية ، فقالا : ياطس يكون فى هذا البرج ، فأمر بهما فوقفا بحذاء البرج الذى فيه ياطس طويلا ، وبين أيديهما رجلان يحملان لهما الدراهم وعليهما الخلع ، ومعهما الكتاب حتى فهمهما ياطس وجميع الروم ، وشتموهما من فوق السور ، ثم أمر بهما المعتصم فنحّوهما ، وأمر المعتصم أن يكون الحراسة بينهم نوائب ؛ فى كلّ ليلة يحضرها الفرسان ، يبيتون على دوابهم بالسلاح

(١) ف : « فصيروا » .

وهم وقوف عليها؛ لئلا يُفتح الباب ليلاً ، فيخرج من عَمُّورِيَة إنسان ، فلم يزل الناس يبيتون كذلك نوائب على ظهور الدوابّ فى السلاح ودوابهم بسروجها ، حتى انهدم السّور ما بين بُرْجين من الموضع الذى وصف للمعتصم أنه لم يحكم عمله .

وسمع أهل العسكر الوجبة فتشوّفوا ، وظنّوا أن العدوّ قد خرج على بعض الكراديس حتى أرسل المعتصم مَنْ طاف على الناس فى العسكر يعلمهم أن ذلك صوت السور وقد سقط ، فطيبُوا نفساً .

وكان المعتصم حين نزل عَمُّوريّة ونظر إلى سعة خندقها وطول سورها ؛ وكان قد استاق فى طريقه غنماً كثيرة ، فدبّر فى ذلك أن يتّخذ مجانيق كباراً على قدر ارتفاع السور ، يسع[1] كلُّ مِنْجنيق منها أربعة رجال ، وعملها أوثق ما يكون وأحكمه ، وجعلها على كراسيّ تحتها عجل ، ودبّر فى ذلك أن يدفع[2] الغنم إلى أهل العسكر إلى كلّ رجل شاة ، فيأكل لحمها ، ويحشو جلدها تراباً ثم يؤتى بالجلود مملوءة تراباً ؛ حتى تطرح فى الخندق . ١٢٤٨/٣

ففعل ذلك بالخندق ، وعمل دبّابات كباراً تسع كل دبّابة عشرة رجال ، وأحكمها على أن يدحرجها على الجلود المملوءة تراباً حتى يمتلئ الخندق ؛ ففعل ذلك ، وطُرحت الجلود فلم تقع الجلود مستوية منضّدة خوفاً منهم من حجارة الروم ، فوقعت مختلفة ؛ ولم يمكن تسويتها ، فأمر أن يطرح فوقها التراب حتى استوت ، ثم قدّمت دبّابة فدحرجها ، فلما صارت من الخندق فى نصفه تعلقت بتلك الجلود ، وبقى القوم فيها ؛ فما تخلّصوا منها إلا بعد جهد . ثم مكثت تلك العجلة مقيمة هناك ، لم يمكن فيها حيلة حتى فتحت عَمُّوريّة ، وبطلت الدبابات والمنجنيقات والسلاليم وغير ذلك ؛ حتى أحرقت .

فلما كان من الغد قاتلهم على الثُّلْمة ؛ وكان أوّل من بدأ بالحرب أشناس وأصحابه ، وكان الموضع ضَيّقاً ، فلم يمكنهم الحرب فيه ؛ فأمر المعتصم بالمنجنيقات الكبار التى كانت متفرّقة حول السور ، فجمع بعضها إلى بعض ،

(١) ف : « ليسع » . (٢) ف : « على أن يدفع » .

وصيّرها حول الثلمة ، وأمر أن يُرَمّى ذلك الموضع ؛ وكانت الحرب فى اليوم الثانى على الأفشين وأصحابه ، فأجادوا الحرب وتقدّموا . وكان المعتصم واقفاً على دابته بإزاء الثلمة وأشناس وأفشين وخواصّ القوّاد معه ؛ وكان باقى القواد الذين دون الخاصّة وقوفاً رجّالة ، فقال المعتصم : ما كان أحسن الحرب اليوم ! فقال عمرو الفرغانىّ : الحرب اليوم أجودُ منها أمس ، وسمعها أشناس فأمسك ؛ فلما انتصف النهار ، وانصرف المعتصم إلى مضربه ، فتغدّى وانصرف القواد إلى مضاربهم يتغدّون ، و قرب أشناس من باب مضربه ، ترجّل له القواد كما كانوا يفعلون ؛ وفيهم عمرو الفرغانىّ وأحمد بن الخليل بن هشام ، فمشوا بين يديه كعادتهم[1] عند مَضْربه ، فقال لهم أشناس : يا أولاد الزنا ، أيْش تمشون بين يدى[2] ! كان ينبغى أن تقاتلوا أمس حيث تقفون[3] بين يدى أمير المؤمنين ، فتقولون : إن الحرب اليومَ أحسن منها أمس ؛ كان أمس يقاتل غيركم ، انصرفوا إلى مضاربكم .

١٢٤٩/٣

فلما انصرف عمرو الفرغانىّ وأحمد بن الخليل بن هشام ، قال أحدهما للآخر : أما ترى هذا العبد ابن الفاعلة — يعنى أشناس — ما صنع بنا اليوم ! أليس الدخول إلى بلاد الروم أهونَ من هذا الذى سمعناه اليوم ! فقال عمرو الفرغانى لأحمد بن الخليل — وكان عند عمرو خبر — : يا أبا العباس ، سيكفيك الله أمره ، عن قريبٍ أبشر . فأوهم أحمدَ أن عنده خبراً ، فألحّ عليه أحمد يسأله ؛ فأخبره بما هم فيه ؛ وقال : إن العباس بن المأمون قد تمّ أمرُه ، وسنبايع له ظاهراً ، ونقتل المعتصم وأشناس وغيرهما عن قريب . ثم قال له : أشير عليك أن تأتىَ العباس ، فتقدم فتكون فى عداد من مال إليه . فقال له أحمد : هذا أمر لا أحسبه يتمّ ، فقال له عمرو : قد تمّ وفرغ ، وأرشده إلى الحارث السمرقندىّ — قرابة سلَمة بن عبيد الله بن الوضاح ؛ وكان المتولّى لإيصال الرجال إلى العباس وأخذ البيعة عليهم — فقال له عمرو : أنا أجمع بينك وبين الحارث حتى تصير فى عداد أصحابنا ، فقال له أحمد : أنا معكم إن كان هذا الأمر

١٢٥٠/٣

(١) س : «كعاداتهم» .
(٢) بعدها فى ف : «قدامى» .
(٣) س : «يقومون» .

يتم فيما بيننا وبين عشرة أيام ، وإن جاوز ذلك فليس بينى وبينكم عمل ؛ فذهب الحارث ، فلقى العباس فأخبره أن عمراً قد ذكره لأحمد بن الخليل ، فقال له : ما كنت أحب أن يطّلع الخليل على شىء من أمرنا ؛ أمسكوا عنه ؛ ولاتشركوه فى شىء من أمركم ، دعوه بينهما . فأمسكوا عنه .

فلما كان فى اليوم الثالث كانت الحرب على أصحاب أمير المؤمنين خاصّة ، ومعهم المغاربة والأتراك ، والقيّم بذلك إيتاخ ، فقاتلوا فأحسنوا واتسع لهم الموضع المنثلم ؛ فلم تزل الحرب كذلك حتى كثرت فى الروم الجراحات .

وكان قوّاد ملك الروم عند ما نزل بهم عسكر المعتصم اقتسموا البروج ؛ لكل قائد وأصحابه عدّة أبرجة ؛ وكان الموكّل بالموضع الذى انثلم من السور رجلاً من قوّاد الرّوم يقال له وندوا ، وتفسيره بالعربية «ثَور» ؛ فقاتل الرّجل وأصحابه قتالا شديداً بالليل والنهار والحرب عليه وعلى أصحابه ، لم يمدّه ياطس ولا غيره بأحد من الرّوم ؛ فلما كان بالليل مضى القائد الموكل بالثلمة إلى الرّوم ، فقال : إنّ الحرْبَ علىّ وعلى أصحابى ، ولم يبق معى أحد إلاّ قد جُرح ؛ فصيِّرُوا أصحابكم على الثلمة يرمون قليلا ؛ وإلا افتضحتم وذهبت المدينة . فأبوْا أن يمدّوه بأحد ، فقالوا : سلِم السور من ناحيتنا ، وليس نسألك أن تمدّنا ؛ فشأنَك وناحيتَك ؛ فليس لك عندنا مدد . فاعتزم هو وأصحابه على أن يخرجوا إلى أمير المؤمنين المعتصم ، ويسألوه الأمانَ على الذرّية ، ويسلّموا إليه الحصن بما فيه من الخُرْثىّ [1] والمتاع والسلاح وغير ذلك . ٣/١٢٥١

فلما أصبح وكّل أصحابه بجنبى الثلمة ؛ وخرج فقال : إنى أريد أمير المؤمنين ؛ وأمر أصحابه ألا يحاربوا حتى يعود إليهم ؛ فخرج حتى وصل إلى المعتصم ؛ فصار بين يديه ، والناس يتقدّمون إلى الثلْمة ؛ وقد أمسك[2] الرّوم عن الحرب [3] حتى وصلوا إلى السور[3] ، والروم يقولون بأيديهم : لا تَجِيْئوْا ، وهم يتقدّمون ، ووندوا بين يدى المعتصم جالس ؛ فدعا المعتصم

---

(١) الخرثى ، بالضم : أثاث البيت ، أو أردأ المتاع .

(٢) س : «أمسكت الروم» .

(٣ – ٣) س : «حتى وصلت إلى الثلمة» .

٣/١٢٥٢ بفرس فحمله عليه، وقاتل حتى صار الناس معهم على حرف الثلمة، وعبدالوهاب ابن عليّ بين يدى المعتصم، فأومأ إلى الناس بيده: أن ادخلوا، فدخل الناس المدينة، فالتفت وندوا، وضرب بيده إلى لحيته، فقال له المعتصم: مالك؟ قال: جئت أريد أن أسمع كلامك وتسمع كلامى، فغدرتَ بى؛ فقال المعتصم: كلّ شيء تريد أن تقوله فهو لك علىّ، قُلْ ما شئت؛ فإنى لست أخالفك. قال: أيْشٍ لا تخالفنى وقد دخلوا المدينة! فقال المعتصم: اضرب بيدك إلى ما شئتَ فهو لك، وقل ما شئت فإنى أعطيكه. فوقف فى مضرب المعتصم. وكان ياطس فى برجه الذى هو فيه وحوله جماعة من الروم مجتمعين، وصارت طائفة منهم إلى كنيسة كبيرة فى زاوية عمّورية؛ فقاتلوا قتالا شديداً، فأحرق الناس الكنيسة عليهم فاحترقوا عن آخرهم، وبقى ياطس فى بُرْجه حوله أصحابه، وباقى الروم وقد أخذتهم السيوف؛ فبين مقتول ومجروح؛ فركب المعتصم عند ذلك حتى جاء فوقف حذاء ياطس؛ وكان مما يلى عسكر أشناس، فصاحوا: يا ياطس، هذا أمير المؤمنين؛ فصاح الرّوم من فوق البرج: ليس ياطس ها هنا، قالوا: بلى، قولوا له: إنّ

٣/١٢٥٣ أمير المؤمنين واقف، فقالوا: ليس ياطس ها هنا. فمرّ أمير المؤمنين مغضباً، فلما جاوز صاح الرّوم: هذا ياطس، هذا ياطس! فرجع المعتصم إلى حيال البُرْج حتى وقف[1]؛ ثم أمر بتلك السلالم التى هُيّئت، فحمل سُلّم منها، فوضع على البُرْج الذى هو فيه[2]، وصعد عليه الحسن الرّومى — غلام لأبى سعيد محمد بن يوسف — وكلّمه ياطس، فقال: هذا أمير المؤمنين، فانزل على حكمه؛ فنزل الحسن، فأخبر المعتصم أنه قد رآه وكلّمه، فقال المعتصم: قل له فلينزل؛ فصعد الحسن ثانية، فخرج ياطس من البُرْج متقلّداً سيفاً حتى وقف على البُرْج والمعتصم ينظر إليه، فخلع سيفه من عُنقه، فدفعه إلى الحسن، ثم نزل ياطس، فوقف بين يدى المعتصم؛ فقنّعه سوطاً، وانصرف المعتصم إلى مَضْرَبه، وقال: هاتوه، فمشى قليلا، ثم جاءه رسول المعتصم، أن احملوه، فحملوه، فذُهب به إلى مضرب أمير المؤمنين.

---

(١) ف: «فوقف».
(٢) ف: «عليه».

ثم أقبل الناس بالأسرى والسَّبْى من كلّ وجْه حتى امتلأ العسكر ؛ فأمر المعتصم بَسِيل الترجمان أن يميّز الأسرى، فيعزل منهم أهل الشرف والقدْر من الرّوم فى ناحية، ويعزل الباقين فى ناحية ؛ ففعل ذلك بَسِيل. ثم أمر المعتصم فوكّل بالمقاسم قوّاده، ووكل أشناس بما يخرج من ناحيته، وأمره أن ينادى عليه، ووكّل الأفشين بما يخرج من ناحيته، وأمره أن ينادى ويبيع، وأمر إيتاخ بناحيته مثل ذلك ؛ وجعفرًا الخياط بمثل ذلك فى ناحيته، ووكل مع كل قائد من هؤلاء رجلا من قِبَل أحمد بن أبى دواد يحصى عليه، فبيعت المقاسم فى خمسة أيام ؛ بيع منها ما استباع، وأمر بالباقى فضُرِب بالنار، وارتحل المعتصم منصرفًا إلى أرض طَرسوس. ٣/١٢٥٤

ولما كان يوم إيتاخ قبل أن يرتحل المعتصم [1] منصرفًا، وثب الناس على المغنم الذى كان إيتاخ على بيعه، وهو اليوم الذى كان عُجَيف وعد الناس فيه أن يثب بالمعتصم، فركب المعتصم بنفسه ركضًا، وسلّ سيفه، فتنحّى الناس عنه من بين يديه، وكفّوا عن انتهاب المغنم، فرجع إلى مضربه ؛ فلما كان من الغد أمر ألا ينادى على السَّبْى إلا ثلاثة أصوات، ليتروّج [2] البيع، فمن زاد بعد ثلاثة أصوات، وإلا بيع العلْق ؛ فكان يفعل ذلك فى اليوم الخامس ؛ فكان ينادى على الرقيق خمسة خمسة، وعشرة عشرة، والمتاع الكثير جملة واحدة.

قال : وكان ملك الروم قد وجّه رسولا فى أول ما نزل المعتصم على عمّورية فأمر به المعتصم فأنزل على موضع الماء الذى كان الناس يستقون منه ؛ وكان بينه وبين عمّوريَة ثلاثة أميال ؛ ولم يأذن له فى المصير إليه حتى فتح عمّورية، فلما فتحها أذن له فى الانصراف إلى ملك الروم ؛ فانصرف وانصرف المعتصم يريد الثغور ؛ وذلك أنه بلغه أن ملك الروم يريد الخروج فى أثره، أو يريد التعبّث بالعسكر، فمضى فى طريق الجادّة مرحلة ؛ ثم رجع إلى عمّورية، وأمر الناس بالرجوع، ثم عدل عن طريق [3] الجادّة إلى طريق وادى الجَوْر [4]، ٣/١٢٥٥

---

(١) ف : « قبل أن يرحل المعتصم ». (٢) س : « ليتروح ».
(٣) س : « من طريق ». (٤) ا : « الجوز ».

ففرّق[١] الأسرى على القوّاد ، ودفع إلى كلّ قائد من القوّاد طائفة منهم يحفظهم ، ففرّقهم[٢] القوّاد على أصحابهم ، فساروا فى طريق نحواً من أربعين ميلا ؛ ليس فيه ماء ؛ فكان كلّ مَن امتنع من الأسرى أن يمشىَ معهم لشدّة العطش الذى أصابهم ضربوا عنقه ؛ فدخل الناس فى البريّة فى طريق وادى الجور فأصابهم[٣] العطش ، فتساقط الناس والدوابّ وقَتَلَ بعض الأسرى بعض الجند وهرب .

وكان المعتصم قد تقدّم العسكر ، فاستقبل الناس ، ومعه الماء قد حمله من الموضع الذى نزله ، وهلك الناس فى هذا الوادى[٤] من العطش ، وقال الناس للمعتصم : إنّ هؤلاء الأسرى قد قتلوا بعض جندنا ، فأمر عند ذلك بَسيلَ الرومىّ بتمييز مَن له القدْر منهم ، فعزلوا ناحية ، ثم أمر بالباقين فأصعدوا إلى الجبال ، وأنزلوا إلى الأودية فضربَتْ أعناقهم جميعاً ، وهم مقدار ستة آلاف رجل ؛ قتلوا فى موضعين بوادى الجور وموضعٍ آخر .

ورحل المعتصم من ذلك الموضع يريد الثغر حتى دخل طَرسوس ، وكان قد نصب له الحياض من الأدم حول العسكر من الماء إلى العسكر بعمّوريّة والحياض مملوءة ، والناس يشربون منها لا يتعبون فى طلب الماء .

١٢٥٦/٣ وكانت الوقعة التى وقعت بين الأفشين وملك الروم — فيما ذكر — يوم الخميس لخمس بقين من شعبان وكانت إناخة المعتصم على عمّورية يوم الجمعة لستّ خلون من شهر رمضان ، وقفل بعد خمسة وخمسين يوماً .

وقال الحسين بن الضحاك الباهلىّ يمدح الأفشيْن ، ويذكر وقعته التى كانت بينه وبين ملك الروم :

أَثبتَ المَعْصُومُ عزًّا لأَبى ... حَسَنٍ أَثبَتَ من رُكن إضمْ[٥]

كلُّ مجْدٍ دُونَ ما أَثَّلهُ ... لبَنِى كاوُسَ أملاكِ العَجَمْ

إنما الأَفشينُ سيْفٌ سلَّهُ ... قَدَرُ اللهِ بكَفِّ المُعْتصمْ

---

(١) س : « وفرق » . (٢) ف : « وفرقهم » . (٣) س : « وأصابهم » .
(٤) ف : « الموضع » . (٥) ديوانه ٩٩ .

لم يَدَعْ بالبَدِّ من ساكِنة غير أمثالٍ كأمثالِ إرَمْ
ثم أهْدى سَلَماً بابكَهُ رَهْن حجليْنِ نجيًّا للندَمْ
وقَرَا تَوْفيلَ طَعناً صادقاً فضَّ جمْعَيْه جميعاً وهَزَمْ
قُتِلَ الأكثرُ منهم ونجا من نجا لَحْماً على ظَهْرِ وضَمْ

* * *

[ذكر خبر المعتصم مع العباس بن المأمون]

وفى هذه السنة حبس المعتصم العباس بن المأمون وأمر بلعنه .

* ذكر الخبر عن سبب فعله ذلك :

ذُكِر أنّ السبب كان فى ذلك أن عُجيف بن عنبسة حين وجّهه المعتصم إلى بلاد الروم، لمّا كان من أمر ملك الروم بزِبَطْرَة مع عمرو بن أربخا الفرغانىّ ومحمد كوتة، لم يطلق يد عُجيف فى النفقات كما أطلقت يد الأفشين، واستقصر المعتصم أمرَ عُجيف وأفعاله ، واستبان ذلك لعُجَيف ، فوبّخ عُجيف العباس على ما تقدّم من فعله عند وفاة المأمون حين بايع أبا إسحاق وعلى تفريطه فيما فعل ، وشجّعه على أن يتلافَى ما كان منه . ١٢٥٧/٣

فقبل العباس ذلك ، ودسّ رجلا يقال له الحارث السمرقندىّ ، قرابة عبيد الله بن الوضّاح — وكان العباس يأنس به ، وكان الحارث رجلا أديبًا له عقل ومداراة — فصيّره العباس رسوله وسفيره إلى القوّاد ؛ فكان يدور فى العسكر [1] حتى تألّف له جماعة من القواد ، وبايعوه وبايعه منهم خواصّ ، وسمّى لكل رجل من قُوّاد المعتصم رجلاً من ثقات أصحابه ممن بايعه ، ووكله بذلك ، وقال : إذا أمرنا بذلك ؛ فليثب كلّ رجل منكم على من ضمنّاه أن يقتله ، فضمنوا له ذلك ، فكان يقول للرجل ممن بايعه : عليك يا فلان أن تقتُل فلاناً ، فيقول : نعم ، فوكل مَنْ بايعه من خاصّة المعتصم بالمعتصم ومن خاصة الأفشين بالأفشين ، ومن خاصّة أشناس بأشناس ؛ ممّن بايعه من

---

(١) س : « الجماعة » .

الأتراك ، فضمنوا ذلك جميعًا . فلما أرادوا أن يدخلوا الدّرب وهم يريدون أنقرة وعَمّوريّة ، ودخل الأفشين من ناحية مَلَطْية ، أشار عُجيف على العباس أن يثب على المعتصم فى الدّرب وهو فى قلة من الناس ، وقد تقطعت عنه العساكر ، فيقتله ويرجع إلى بغداد ؛ فكان الناس يفرحون بانصرافهم من الغزو ، فأبى العباس عليه ، وقال : لا أفسد هذه الغزاة ؛ حتى دخلوا بلاد الروم ، وافتتحوا عَمّورية ، فقال عُجيف للعباس : يا نائم ، كم تنام ! قد فتحت عَمّوريّة ، والرجل ممكن ، دُسّ قومًا ينتهبون هذا الخُرْثىّ ، فإنه إذا بلغه ذلك ركب بسرعة ، فتأمر بقتله هناك ، فأبى عليه العباس ، وقال : أنتظر حتى يصير إلى الدّرب ، فيخلو كما خلا فى البدْأة ؛ فهو أمكن منه هاهنا . وكان عُجيف قد أمر مَنْ ينتهب المتاع ، فانتُهب بعض الخُرْثىّ فى عسكر إيتاخ . ١٢٥٨/٣

فركب المعتصم وجاء ركضًا ، فسكن الناس ، ولم يطلق العباس أحدًا من أولئك الرجال الذين كان واعدهم ، فلم يُحدثوا شيئًا ، وكرهوا أن يفعلوا شيئًا بغير أمره .

وكان عمرو الفرغانىّ قد بلغه الخبر ذلك اليوم ؛ ولعمرو الفرغانىّ قرابة ، غلام أمرد فى خاصة المعتصم ، فجاء الغلام إلى ولد عمرو يشرب عندهم تلك فى الليلة ، فأخبرهم أن أمير المؤمنين ركب مستعجلاً ؛ وأنه كان يعدو بين يديه ، وقال : إنّ أمير المؤمنين قد غضب اليوم ، فأمرنى أن أسلّ سيفى ، وقال : لا يستقبلك أحد إلا ضربتَه ، فسمع عمرو ذلك من الغلام ، فأشفق عليه أن يصاب ، فقال له : يا بنىّ ، أنت أحمق ، أقلّ من الكينونة عند أمير المؤمنين بالليل ، والزم خيمتَك ؛ فإن سمعت صيحةً مثل هذه الصيحة ، أو شَغَبًا أو شيئًا فلا تبرحْ من خيمتك ؛ فإنك غلام غِرّ ؛ لست تعرف بعدُ العساكر . فعرف الغلام مقالَة عمرو .

وارتحل المعتصم من عَمّوريّة يريد الثغر ، ووجّه الأفشين ابنَ الأقطع فى طريق خلاف طريق المعتصم ، وأمره أن يغير على موضع سمّاه له ، وأن يوافيه فى بعض الطريق ؛ فمضى ابن الأقطع ، وتوجّه المعتصم يريد الثغر ، فسار حتى صار إلى موضع أقام فيه ليُريح ويستريح ، وليسلك الناس من المضيق الذى ١٢٥٩/٣

بين أيديهم . ووافى ابن الأقطع عسكر الأفشين بما أصاب من الغنائم ؛ وكان عسكر المعتصم على حِدة وعسكر الأفشين على حِدة ، بين كل عسكر قدر ميلين أو أكثر ، واعتلّ أشناس فركب المعتصم صلاةَ الغداة يعوده ؛ فجاء إلى مضربه فعاده ؛ ولم يكن الأفشينْ لحقه بعد .

ثم خرج المعتصم منصرفًا ، فتلقاه الأفشين فى الطريق ، فقال له المعتصم : تريد أبا جعفر . وكان عمرو الفرغانىّ وأحمد بن الخليل عند منصرف المعتصم من عيادة أشناس توجها إلى ناحية عسكر الأفشين لينظرا ماجاء به ابن الأقطع من السَّبى فيشتريا منه ما أعجبهما ، فتوجها ناحية عسكر الأفشين ولقيهما الأفشين يريد أشناس — فترجّلا ، وسلّما عليه ، ونظر إليهما حاجب أشناس من بعد ، فدخل الأفشين إلى أشناس ، ثم انصرف ، وتوجّها إلى عسكر الأفشين ، فلم يكن السَّبْى أخرِج بعدُ ، فوقفا ناحية ينتظران أن ينادَى على السَّبْى ، فيشتريا منه ؛ ودخل حاجب أشناس على أشناس ، فقال : إن عمراً الفرغانىّ وأحمد بن الخليل تلقّيا الأفشين ؛ وهما يريدان عسكره ، فترجّلا وسلما عليه ، وتوجها إلى عسكره .

١٢٦٠/٣ فدعا أشناس محمد بن سعيد السعدىّ ، فقال له : اذهب إلى عسكر الأفشين ، فانظر هل ترى هناك عمراً الفرغانىّ وأحمد بن الخليل ! وانظر عند مَن نزلا ، وأىّ شىء قصّتهما ؟ فجاء محمد بن سعيد ، فأصابهما واقفين على ظهور دوابّهما فقال : ما أوقفكما ها هنا ؟ قالا : وقفنا ننتظر سَبْىَ ابن الأقطع يخرج ؛ فنشترى بعضَه ، فقال لهما محمد بن سعيد : وكّلا وكيلاً يشترى لكما ، فقال : لا نحب أن نشترى إلا ما نراه ؛ فرجع محمد ، فأخبر أشناس بذلك ، فقال لحاجبه : قل لهؤلاء الزموا عسكركُم : فهو خير لكم — يعنى عمراً وابن الخليل — ولا تذهبوا ها هنا وها هنا . فذهب الحاجب إليهما ، فأعلمهما ، فاعتمّا لذلك واتفقا على أن يذهبا إلى صاحب خبر العسكر ، فيستعفياه من أشناس ؛ فصارا إلى صاحب الخبر ، فقالا : نحن عبيد أمير المؤمنين ، يضمّنا إلى من شاء ؛ فإنّ هذا الرجل يستخفّ بنا ، قد شتمنا وتوعدنا ، ونحن نخاف أن يقدم علينا ، فليضمّنا أمير المؤمنين إلى من أحبّ .

فأنهى صاحب الخبر ذلك إلى المعتصم من يومه ؛ واتفق الرّحيل صلاة الغداة ؛ وكان إذا ارتحل الناس سارت العساكر على حيالها ، وسار أشناس والأفشين وجميع القوّاد فى عسكر أمير المؤمنين ، ووكّلوا خلفاءهم بالعساكر ؛ فيسيرون بها . وكان الأفشين[1] على الميسرة وأشناس على الميمنة ؛ فلما ذهب أشناس إلى المعتصم ، قال له : أحسِنْ أدب عمرو الفرغانىّ وأحمد بن الخليل ؛ فإنهما قد حمّقا أنفسهما ؛ فجاء أشناس ركضًا إلى معسكره ، فسأل عن عمرو وابن الخليل ، فأصاب عمراً ؛ وكان ابن الخليل قد مضى فى الميسرة يبادر الروم ، فجاءوه بعمرو الفرغانىّ ؛ وقال : هاتوا سياطًا ؛ فمكث طويلاً مجرّداً ليس يؤتى بالسياط ؛ فتقدّم عمّه إلى أشناس ، فكلمه فى عمرو — وكان عمه أعجميًّا — وعمرو واقف ، فقال : احملوه ، فألبسوه قباء طاق ، فحملوه على بغل فى قبّة ، وساروا به إلى العسكر ، وجاء أحمد بن الخليل وهو يركُض ، فقال : احبسوا هذا معه ؛ فأنزِل عن دابته ، وصُيِّر عديلَه ، ودُفعا إلى محمد بن سعيد السعدىّ يحفظهما ؛ فكان يضرب لهما مضرباً فى فازّة وحجرة ومائدة ، ويفرش لهما فرشًا وطيّة ، وحوضًا من ماء وأثقالهما وغلمانهما فى العسكر ؛ لم يحرّك منها شىء ؛ فلم يزالا كذلك حتى صارا إلى جبل الصَّفْصاف .

١٢٦١/٣

وكان أشناس على الساقة ، وكان بغا على ساقة عسكر المعتصم ، فلمّا صار بالصّفصاف ، وسمع الغلام الفرغانىّ قرابة عمرو بحبس عمرو ، ذكر الغلام للمعتصم ما دار بينه وبين عمرو من الكلام فى تلك الليلة ، مما[2] قال له عمرو ؛ إذا رأيت شغْباً فالزم خيمتك ؛ فقال المعتصم لبغا : لا ترحل غداً حتى تجىء أشناس ، فتأخذ منه عمراً ، وتلحقنى به ؛ وكان هذا بالصفصاف .

فوقف بُغا بأعلامه ينتظر أشناس ، وجاء محمد بن سعيد ومعه عمرو وأحمد ابن الخليل ، فقال بغا لأشناس : أمرنى أمير المؤمنين أن أوافيَه بعمرو الساعة ، فأنزِل عمرو ، وجعل مع أحمد بن الخليل فى القبة رجل يعادله ، ومضى بغا بعمرو إلى المعتصم ، فأرسل أحمد بن الخليل غلامًا من غلمانه إلى عمرو ، لينظر ما يصنع به ؛ فرجع الغلام فأخبره أنه أدخل على أمير المؤمنين ، فمكث ساعة

١٢٦٢/٣

(١) س : « والأفشين » .
(٢) ف : « ما » .

ثم دُفع إلى إيتاخ ؛ وكان أمير المؤمنين لما دخل ساءه عن الكلام الذى قاله للغلام قرابته ؛ فأنكر وقال : هذا الغلام كان سكران ؛ولم يفهم ولم أقل شيئاً مما ذكره[1] ، فأمر به فدفع إلى إيتاخ ، وسار[2] المعتصم حتى صار إلى باب[3] مضايق البدندون ، وأقام أشناس ثلاثة أيام على مضيق[4] البدندون ينتظر أن تتخلّص عساكر أمير المؤمنين ؛ لأنه كان على الساقة ، فكتب أحمد بن الخليل إلى أشناس رقعة يعلمه أنّ لأمير المؤمنين عنده نصيحة ، وأشناس مقيم على مضيق البدندون ، فبعث إليه أشناس بأحمد بن الخصيب وأبى سعيد محمد ابن يوسف يسألانه عن النصيحة ؛ فذكر أنه لا يخبر بها إلا أمير المؤمنين ، فرجعا فأخبرا أشناس بذلك ، فقال : ارجعا فاحلفا له : إنى حلفت بحياة أمير المؤمنين ؛ إن هو لم يخبرنى بهذه النصيحة أن أضربه بالسياط حتى يموت ؛ فرجعا فأخبرا أحمد بن الخليل بذلك .

فأخرج جميع من عنده ، وبقىَ أحمد بن الخصيب وأبو سعيد فأخبرهما بما ألقى إليه عمرو الفرغانىّ من أمر العباس ، وشرح لهما جميع ما كان عنده ، وأخبرهما بخبر[5] الحارث السمرقندىّ ، فانصرفا إلى أشناس ، فأخبراه بذلك[6] ، فبعث أشناس فى طلب الحدّادين ، فجاءوا بحدّادَيْن من الجند ، فدفع إليهما حديداً ، فقال : اعملا لى قيداً مثل قيد أحمد بن الخليل ، وعجّلا به الساعة ، ففعلا ذلك ؛ فلمّا كان عنده حبسه ، وكان حاجب[7] أشناس يبيت عند أحمد بن الخليل مع محمد بن سعيد السعدىّ .

١٢٦٣/٣

فلما كان تلك الليلة عند العتمة ذهب الحاجب إلى خيمة الحارث السمرقندىّ فأخرجه منها ، وجاء به إلى أشناس فقيّده ، وأمر الحاجب أن يحمله إلى أمير المؤمنين ، فحمله الحاجب إليه ، واتّفق رحيل أشناس صلاة الغداة ، فجاء أشناس إلى موضع معسكره ، فتلقّاه الحارث معه رجل من قِبَل المعتصم ، وعليه خلع ، فقال له أشناس : مه ، فقال : القيد الذى كان فى رجلى صار فى

(١) س : « ذكر » . (٢) س : « صار » . (٣) ف : « رأس » .
(٤) س : « طريق » . (٥) ف : « خبر » . (٦) ف : « ذلك » .
(٧) ف : « صاحب » .

رجل العباس . وسأل المعتصم الحارث حين صار إليه عن أمره ، فأقرّ أنه كان صاحب خبر العباس ، وأخبره بجميع أمره وجميع مَنْ بايع العباس من القوّاد فأطلق المعتصم الحارث وخلع عليه ، ولم يصدق على أولئك القواد لكثرتهم وكثرة مَنْ سمى منهم .

وتحيّر المعتصم فى أمر العباس ، فدعا به حين خرج إلى الدّرب فأطلقه ومنّاه ، وأوهمه أنه قد صفح عنه ، وتغدّى معه ، وصرفه إلى مضربه ، ثم دعاه بالليل ، فنادمه على النبيذ ، وسقاه حتى أسكره ؛ واستحلفه ألا يكتمه من أمره شيئاً ، فشرح له قصته ، وسمّى له جميع مَنْ كان دبّ فى أمره ، وكيف كان السبب فى ذلك فى كلّ واحد منهم ، فكتبه[1] المعتصم وحفظه ، ثم دعا الحارث السمرقندىّ بعد ذلك ، فسأله عن الأسباب ، فقصّ عليه مثل ما قصّ عليه العباس ، ثم أمر بعد ذلك بتقييد العباس ، ثم قال للحارث : قد رُضتك على أن تكذب ؛ فأجد السبيل إلى سَفْك دمك فلم تفعل ، فقد أفلتّ ، فقال له : يأمير المؤمنين ، لست بصاحب كذب[2] .

٣/١٢٦٤

ثم دفع العباس إلى الأفشين ، ثم تتبّع المعتصم أولئك القوّاد ، فأخذوا جميعاً ، فأمر أن يحمَل أحمد بن الخليل على بغل بإكاف بلا وطاء ، ويطرح فى الشمس إذا نزل ، ويطعم فى كلّ يوم رغيفاً واحداً ، وأخذ عُجيف بن عَنْبسة فيمن أخذ من القوّاد ، فدفع من سائر القواد إلى إيتاخ ، ودفع ابن الخليل إلى أشناس ، فكان عجيف وأصحابه يحملون فى الطريق على بغال بأكُف بلا وطاء ، وأخذ الشاه بن سهل — وهو الرأس ابن الرأس من أهل قرية من خراسان يقال لها سجستان — فدعا به المعتصم والعباس بين يديه ، فقال له : يابن الزانية ، أحسنتُ إليك فلم تشكر ! فقال له الشاه بن سهل : ابن الزّانية هذا الذى بين يديك — يعنى العباس — لو تركنى هذا كنت أنتَ الساعة لا تقدر أن تقعد فى هذا المجلس وتقول لى : يابن الفاعلة ؟ فأمر به المعتصم ، فضُربت عنقه ؛ وهو أوّل من قتل من القواد ومعه صحبه ، ودفع

(١) س : « وكتبه » . (٢) س : « الكذب » .

عُجيف إلى إيتاخ فعلّق عليه حديداً[1] كثيراً وحمله على بغل فى محمل بلا وطاء . ٣/١٢٦٥

وأما العبّاس فكان فى يدى الأفشين ؛ فلما نزل المعتصم مَنْبِج — وكان العباس جائعاً — سأل الطعام، فقُدّم إليه طعام كثير ؛ فأكل فلمّا طلب الماء مُنِع وأدرج فى مِسْحٍ ، فمات بمنبِج ، وصلى عليه بعض إخوته .

* * *

وأما عمرو الفَرغانىّ ، فإنه لما نزل المعتصم بنصيبين فى بستان، دعا صاحب البستان ، فقال له : احفر بئراً فى موضع أومأ إليه بقدر قامة ، فبدأ صاحب البستان فحفرها[2] ، ثم دعا بعمرو والمعتصم جالسٌ فى البستان، قد شرب أقداحاً من نبيذ ؛ فلم يكلمه المعتصم ، ولم يتكلم عمرو حتى مثل بين يديه ، فقال : جرّدُوه ، فجُرّد، وضرب بالسياط ضربة الأتراك ، والبئر تُحفر ؛ حتى إذا فُرِغ من حفرها قال صاحب البستان : قد حفرتها ، فأمر المعتصم عند ذلك فضُرِب وجه عمرو وجسده بالخشب ؛ فلم يزل يُضرب حتى سقط ، ثم قال : جُرّوه إلى البئر فاطرحوه فيها ، فلم يتكلم عمرو ولم ينطق يومه ذلك ، حتى مات فطرح فى البئر ، وطُمّت عليه .

وأما عُجيف بن عنبسة ؛ فلما صار بباعَيْنَاثا ، فوق بلَد قليلا ، مات فى المحمل ، فطُرِح عند صاحب[3] المسلحة ، وأمر أن يُدفن فيها ، فجاء به إلى جانب حائط خرب فطرحه عليه فقُبِر هناك .

وذُكر عن علىّ بن حسن الرّيدانىّ أنه قال : كان عُجيف فى يد محمد ابن إبراهيم بن مُصعب ، فسأله المعتصم عنه ؛ فقال له : يا محمد ، لم يمت عُجيف ؟ قال : يا سيّدى اليوم يموت ، ثم أتى محمد مضربَه ، فقال لعجيف يا أبا صالح ، أىَّ شىء تشتهى ؟ قال أسفيدباج وحَلْوى فالوذج ، فأمر أن يعمَل له من كلّ طعام ؛ فأكل وطلب الماء فمنع ؛ فلم يزل يطلب وهو يسُوق حتى مات ، فدفن بباعَيْناثا . ٣/١٢٦٦

---

(١) ف : « معلق عليه حديد كثير » . (٢) ف : « فحفر » .

(٣) س : « باب المسلحة ».

قال : وأما التركىّ الذى كان ضمن للعباس قتل أشناس متى ما أمره العباس — وكان كريمًا على أشناس ينادمه ولا يحجب عنه فى ليل ولا نهار — فإنه أمر بحبسه، فحبسه أشناس قبَله فى بيت ، وطيّن عليه الباب ، وكان يلقى إليه فى كلّ يوم رغيفًا وكوز ماء ؛ فأتاه ابنه فى بعض أيامه، فكلمه من وراء الحائط ، فقال له : يا بنىّ ، لوكنت تقدر لى على سكّين كنت أقدر أن أتخلص من موضعى هذا ؛ فلم يزل ابنه يتلطّف فى ذلك حتى أوصل إليه سكّينًا ، فقتل به نفسه .

وأما السندىّ بن بختاشه ، فأمر المعتصم أن يوهب لأبيه بختاشه — لأن بختاشه لم يكن يتلطّخ بشىء من أمر العباس — وقال المعتصم : لا يُفجع هذا الشيخ بابنه ؛ فأمر بتخلية سبيله .

وأما أحمد بن الخليل ؛ فإنه دفعه أشناس إلى محمد بن سعيد السعدىّ ، فحفر له بئرًا فى الجزيرة بسامرّا ، فسأل عنه المعتصم يومًا من الأيام، فقال لأشناس : ما فعل أحمد بن الخليل ؟ فقال له أشناس : هو عند محمد بن سعيد السعدىّ ، قد حفر له بئرًا وأطبق عليه ، وفتح له فيها كوّة ليرمى إليه بالخبز والماء . فقال المعتصم : هذا أحسبه قد سمن على هذه الحال ؛ فأخبر أشناس محمد بن سعيد بذلك ؛ فأمر محمد بن سعيد أن يسقى الماء ، ويصبّ عليه فى البئر حتى يموت : ويمتلئ البئر ؛ فلم يزل يصُبّ عليه الماء ؛ والرمل ينشف الماء ؛ فلم يغرق ولم يمتلئ البئر ؛ فأمر أشناس بدفعه إلى غطريف الخجندىّ ، فدُفع إليه ؛ فمكث عنده أيامًا ، ثم مات فدُفن .

١٢٦٧/٣

وأما هرثمة بن النضر الخُتّلىّ ، فكان واليًا على المراغة ؛ وكان فى عداد مَنْ سمّاه العباس أنه من أصحابه ؛ فكتب فى حمله فى الحديد ، فتكلّم فيه الأفشين ، واستوهبه من المعتصم ، فوهبه له ، فكتب الأفشين كتابًا إلى هرثمة ابن النضر يعلمه أنّ أمير المؤمنين قد وهبه له ، وأنه قد ولاّه البلد الذى يصل إليه الكتاب فيه ، فورد به الدينور عند العشاء مقيّدًا ، فطرح فى الخان ، وهو موثَق فى الحديد ، فوافاه الكتاب فى جُنْح الليل ، فأصبح وهو والى الدّينور .

وقُتل باقى القواد ومَنْ لم يُحفظ اسمه من الأتراك والفراغنة وغيرهم، قُتلوا جميعًا .

وورد المعتصم سامرّا سالمًا بأحسن حال ، فسُمّى العباس : اللعين يومئذ ؛ ودفع ولد سندُس من ولد المأمون إلى إيتاخ ، فحبِسوا فى سرداب من داره ثم ماتوا بعدُ .

وجرح فى هذه السنة فى شوال إسحاقُ بن إبراهيم ؛ جرحه خادم له . ١٢٦٨/٣

* * *

وحجّ بالناس فيها محمد بن داود .

ثم دخلت سنة أربع وعشرين ومائتين

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر الخبر عن مخالفة مازيار بطبرستان]

فمما كان فيها من ذلك إظهار مازيار بن قارن بن ونداهرمز بطبرستان الخلافَ على المعتصم ، ومحاربته أهل السفح والأمصار منها .

* ذكر الخبر عن سبب إظهاره الخلاف على المعتصم وفعله ما فعل من الوثوب بأهل السفح :

ذُكر أنّ السبب فى ذلك ، كان أن مازَيار بن قارن كان منافراً لآل طاهر، لا يحمل إليهم الخراج ؛ وكان المعتصم يكتب إليه يأمره بحمله إلى عبد الله بن طاهر ، فيقول : لا أحمله إليه ؛ ولكنى أحمله إلى أمير المؤمنين ؛ فكان المعتصم إذا حمل المازيار إليه الخراج ، يأمر : إذا بلغ المالُ همَذان رجلا من قِبَله أن يستوفيه ويسلّمه إلى صاحب عبد الله بن طاهر ليردّه إلى خراسان ؛ فكانت هذه حاله فى السنين كلها . ونافر آل طاهر حتى تفاقم الأمر بينهم[1] .

وكان الأفشين يسمع من المعتصم أحيانًا كلامًا يدلّ على أنه يريد عزل آل طاهر عن خرُاسان ؛ فلما ظفِر الأفشين ببابك، ونزل من المعتصم المنزلة التى لم يتقدّمْه فيها أحدٌ ، طمع فى ولاية خراسان ، وبلغته منافرة مازيار آل طاهر ، فرجا أن يكون ذلك سببًا لعزل عبد الله بن طاهر ، فدسّ الأفشين الكتب إلى المازيار يستميله بالدّهْقنة ، ويعلمه ما هو عليه من المودّة له ، وأنه قد وُعد ولاية خراسان ؛ فدعا ذلك المازيار إلى ترك حمل خراجه إلى عبدالله ابن طاهر ، وواترَ عبد الله بن طاهر الكتبَ فيه إلى المعتصم ؛ حتى أوحش

١٢٦٩/٣

(١) س : « ذلك » .

المعتصم منه وأغضبه عليه ، وحمل ذلك المازيار إلى أن وثبَ وخالف ، ومنع الخراج ، وضبط جبال طبَرستان وأطرافه .

وكان ذلك مما يسُرّ الأفشين ويُطمعه فى الولاية ؛ فكتب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر يأمره بمحاربة مازيار ، وكتب الأفشين إلى المازيار يأمره بمحاربة عبد الله بن طاهر ، ويُعلمه أنه يقوم له عند المعتصم بما يحبّ ، وكاتبه المازيار أيضًا ؛ فلا يشكّ الأفشين أن المازيار سيواقف عبد الله بن طاهر ويقاومه ، حتى يحتاج المعتصم إلى أن يوجّهه وغيره إليه .

فذُكر عن محمد بن حفص الثقَفِىّ الطبرىّ أنّ المازيار لما عزم على الخلاف ، دعا الناس إلى البيْعة ، فبايعوه كَرْهًا ، وأخذ منهم الرهائن ، فحبسهم فى بُرْج الأصْبَهْبذ ، وأمر أكَرَة الضياع بالوثوب بأرباب الضياع وانتهاب أموالهم ؛ وكان المازيار يكاتب بابك ، ويحرّضه ويعرض عليه النُّصرة . فلمّا فرغ المعتصم من أمر بابك ، أشاع الناس أنّ أمير المؤمنين يريد المسير إلى قَرْماسين ، ويوجّه الأفشين إلى الرىّ لمحاربة مازيار ؛ فلما سمع المازيار بإرجاف الناس بذلك ، أمر أن يمسح البلد ، خلا مَنْ قاطعَ على ضياعه بزيادة العشرة ثلاثة ، ومَنْ لم يقاطع رجع عليه ، فحسب ما عليه من الفَضْل ولم يحسب له النقصان . ١٢٧٠/٣

ثم أنشأ كتابًا إلى عامله على الخراج ، وكان عامله عليه رجلا يقال له شاذان بن الفضل ، نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم ؛ إنّ الأخبار تواترتْ علينا ، وصحّت عندنا بما يرجُف به جُهّال أهل خراسان وطبرستان فينا ، ويولّدون علينا من الأخبار ويحملون عليه رءوسهم ؛ من التعصّب لدولتنا[1] والطعن فى تدبيرنا ، والمراسلة لأعدائنا وتوقّع الفتن ، وانتظار الدوائر فينا ، جاحدين للنعم مستقلّين للأمن والدّعَة والرفاهية والسعة التى آثرهم الله بها ، فما يردُ الرّىّ قائد ولا مشرّق ولا مغرّب[2] ، ولا يأتينا رسول صغير ولا كبير إلا قالوا كيت وكيت ، ومدّوا أعناقهم نحوه ،

(١) س : «بدولتنا» . (٢) كذا فى ا ، وفى ط : « ولا مشرف » ، والوجه ما أثبته من ا .

وخاضوا فيما قد كذّب الله أحدوثتهم ، وخيّب [أمانيهم][1] فيه مرّة بعد مرة ، فلاتنهاهم الأولى عن الآخرة ، ولا يزجرهم عن ذلك تقيّة ولا خشية ، كلّ ذلك نُغْضى عليه ، ونتجرّع مكروهه ، استبقاءً على كافّتهم ، وطلباً للصلاح والسلامة لهم إلحاحاً ؛ فلا يزيدهم استبقاؤنا إلا لجاجاً ، ولا كفُّنا عن تأديبهم إلا إغراء ؛ إن أخّرْنا عنهم افتتاحَ الخراج نظراً لهم ورفقاً بهم قالوا : معزول ، وإن بادرنا به قالوا : لحادث أمر ؛ لا يزدجرون عن ذلك بالشدّة إن أغلظنا ، ولا برفق إن ١٢٧١/٣ أنعمنا ؛ والله حسبُنا وهو ولينا ؛ عليه نتوكل وإليه ننيب . وقد أمرنا بالكتاب إلى بندار آمُل والرّويان فى استغلاق الخراج فى عملهما ، وأجّلناهما فى ذلك إلى سَلْخ تيرماه ؛ فاعلم ذلك ، وجرّدْ جبايتك ، واستخرج ما على أهل ناحيتك كَمَلا ، ولا يَمْضِينّ عنك تيرماه ، ولك درهم باقٍ ؛ فإنك إن خالفتَ ذلك إلى غيره لم يكن جزاؤك عندنا إلا الصلب ؛ فانظر لنفسك ، وحامِ عن مهجتك ، وشمّر فى أمرك ، وتابع كتابك إلى العباس . وإياك والتغرير[2] ؛ واكتب بما يحدث منك من الانكماش والتّشمير ؛ فإنا قد رجونا أن يكون فى ذلك مشغلة لهم عن الأراجيف ، ومانع عن التسويف ؛ فقد أشاعوا فى هذه الأيام أنّ أمير المؤمنين أكرمه الله صائر إلى قَرْماسين ، وموجّه الأفشين إلى الرّىّ . ولعمرى لئن فعل أيده الله ذلك ؛ إنه لممّا يسرّنا الله به ، ويؤنسنا بجواره ، ويبسط الأمل فيما[3] قد عُوِّدنا من فوائده وإفضاله ، ويكبت أعداءه وأعداءنا ؛ ولن يهمل أكرمه الله أمورَه ، ويرفض ثغوره ، والتصرف فى نواحى ملكه ؛ لأراجيف مُرجف بعماله ، وقول قائل فى خاصّته ؛ فإنه لا يسرّب أكرمه الله جنده إذا سرّب ، ولا يندب قواده ١٢٧٢/٣ إذا ندب ؛ إلا إلى المخالف . فاقرأ كتابنا هذا على من ْ بحضْرتك من أهل الخراج ؛ ليبلّغ شاهدُهم غائبَهم ؛ وعنف عليهم فى استخراجه ، ومَنْ هم بكسره . فليُبْد بذلك صفحته ؛ لينزل الله به ما أنزل بأمثاله ؛ فإنّ لهم أسوةً فى الوظائف وغيرها بأهل جرجان[4] والرّىّ وما والاهما ؛ فإنما خفف الخلفاء عنهم خراجهم ، ورُفعت الرفائع عنهم للحاجة التى كانت إليهم فى محاربة أهل

---

(١) من ا .

(٢) ط : « والتعذير » ، وما أثبته من ا .

(٣) ط : « بما » .

(٤) ف : « من أهل » .

الجبال ومغازى[١] الديلم الضُّلّال ؛ وقد كفى الله أمير المؤمنين أعزّه الله ذلك كله ، وجعل أهل الجبال والديلم جنداً وأعوانًا ، والله المحمود .

قال : فلما ورد كتاب المازيار على شاذان بن الفضل عامله على الخراج ، أخذ الناس بالخراج ، فجبى جميع الخراج فى شهرين ، وكان يُجبَى فى اثنى عشر شهراً ، فى كلّ أربعة أشهر الثلث ؛ وإنّ رجلا يقال له علىّ بن يزداد العطار ؛ وهو ممن أخذ منه رهينة ، هرب وخرج من عمل المازيار ، فأخبر أبو صالح سرخاستان[٢] بذلك ؛ وكان خليفة المازيار على سارية ، فجمع وجوه أهل مدينة سارية ، وأقبل يوبّخهم ، ويقول : كيف يطمئنّ الملك إليكم ! أم كيف يثق بكم ! وهذا علىّ بن يزداد ممن قد حلف وبايع ، وأعطى الرهينة ثم نكث وخرج ، وترك رهينته ؛ فأنتم لا تفون بيمين ، ولا تكرهون الخُلْف والحنْث ، فكيف يثق بكم الملك ، أم كيف يرجع لكم[٣] إلى ما تحبون ! فقال بعضهم : نقتُل الرهينة حتى لا يعود غيره إلى الهرب ، فقال لهم : أتفعلون ذلك ؟ قالوا : نعم ؛ فكتب إلى صاحب الرهائن ، فأمره أن يوجّه بالحسن بن علىّ بن يزداد وهو رهينة أبيه ؛ فلمّا صاروا به إلى سارية ندم الناس على ما قالوا لأبى صالح ، وجعلوا يرجعون على الذى أشار بقتله بالتعنيف . ثم جمعهم سرخاستان ، وقد أحضر الرّهينة ، فقال لهم : إنكم قد ضمنتم شيئًا ؛ وهذا الرهينة فاقتلوه ، فقال له عبد الكريم بن عبد الرحمن الكاتب : أصلحك الله ! إنك أجّلت من خرج من هذا البلد شهرين ، وهذا الرهينة قِبَلك ؛ نسألك أن تؤجّله شهرين ، فإن رجع أبوه وإلا أمضيت فيه رأيك .

١٢٧٣/٣

قال : فغضب على القوم ، ودعا بصاحب حرسه — وكان يقال له رستم ابن بارويه — فأمره بصلب الغلام . وإن الغلام سأله أن يأذن له أن يصلّىَ ركعتين ، فأذن له ، فطوّل فى صلاته وهو يُرعَد ، وقد مُدّ له جذع ، فجذبوا الغلام من صلاته ، ومدّوه فوق الجذْع ، وشدّوا حلقه معه حتى اختنق ، وتوفّىَ فوقه ، وأمر سرخاستان أهل مدينة سارية أن يخرجوا إلى آمُل ، وتقدّم

(١) ط : « ولمغازى » . (٢) ا : « شرحاسيان » . (٣) ف : « إليكم ولكم » .

إلى أصحاب المسالح فى إحضار أهل الخنادق من الأبناء والعرب ، فأحضروا ومضى مع أهل سارية إلى آمل ، وقال لهم : إنّى أريد أن أشهدكم على أهل آمل ، وأشهد أهل آمل عليكم ، وأردّ ضياعكم وأموالكم ؛ فإن لزمتم الطاعة والمناصحة زدناكم من عندنا ضعف ما كنا أخذنا منكم . فلما وافوْا آمل جمعهم بقصر الخليل بن ونداسنجان ، وصيّر أهل سارية ناحيةً عن غيرهم ووكّل بهم اللوزجان ، وكتب أسماء جميع أهل آمل حتى لم يخف منهم أحدٌ عليه ، ثم عرضهم بعد ذلك على الأسماء حتى اجتمعوا ؛ ولم يتخلّفْ منهم أحد ، وأحدق الرجال فى السلاح بهم ، وصُفّدوا جميعًا ، ووكّل بكلّ واحد منهم رجلين بالسلاح ، وأمر الموكّل بهم أن يحمل رأس كلّ من كاع عن المشى ، وساقهم مكتّفين حتى وافى بهم جبلا يقال له هُرْمُزْ داباذ ، على ثمانية فراسخ من آمُل وثمانية فراسخ من مدينة سارية ، وكبّلهم بالحديد ، وحبسهم . وبلغت عِدّتهم عشرين ألفًا ، وذلك فى سنة خمس وعشرين ومائتين فيما ذُكر عن محمد بن حفص .

١٢٧٤/٣

* * *

فأما غيره من أهل الأخبار وجماعة ممّن أدرك ذلك فإنهم قالوا : كان ذلك فى سنة أربع وعشرين ومائتين ؛ وهذا القول عندى أولى بالصواب ، وذلك أن مقتل مازيار كان فى سنة خمس وعشرين ومائتين وكان فعله ما فعل بأهل طبرستان قبل ذلك بسنة .

* * *

رجع الحديث إلى الخبر عن قصة مازيار وفعله بأهل آمُل على ما ذكر عن محمد بن حفص . قال : وكتب إلى الدُّرّى ليفعل ذلك بوجوه العرب والأبناء ممن كان معه بمرْو ، وكبّلهم بالحديد ، وحبسهم ، ووكّل بهم الرجال فى حبْسهم ؛ فلمّا تمكن المازيار ، واستوى له أمره وأمْر القوم ، جمع أصحابه ، وأمر سرخاستان بتخريب سُور مدينة آمُل ؛ فخرّبه بالطبول والمزامير ، ثم سار إلى مدينة سارية ؛ ففعل بها مثل ذلك .

١٢٧٥/٣

ثم وجّه مازيار أخاه قوهيار إلى مدينة طَمِيس — وهى على حدّ جرجان من عمل طبرستان — فخرّب سورها ومدينتها ، وأباح أهلها ، فهرب منهم منْ

هرب ، وبُلى مَنْ بُلِىَ . ثم توجّه بعد ذلك إلى طميس سرخاستان ، وانصرف عنها قُوهيار ، فلحق بأخيه المازيار ، فعمل سرخاستان سوراً من طَميس إلى البحر ، ومدّه فى البحر مقدار ثلاثة أميال . وكانت الأكاسرة بنَتْه بينها وبين الترك ؛ لأن الترك كانت تُغير على أهل طبرستان فى أيامها ، ونزل معسكراً بطميس سرخاستان وصيّر حولها خندقاً وثيقاً وأبراجاً للحرس ، وصيّر عليها باباً وثيقاً ؛ ووكّل به الرجال الثقات ؛ ففزع أهل جرجان ، وخافوا على أموالهم ومدينتهم ؛ فهرب منها نفر إلى نيسابور ، وانتهى الخبر إلى عبد الله بن طاهر وإلى المعتصم ؛ فوجّه إليه عبد الله بن طاهر عمّه الحسن بن الحسين بن مُصعب ، وضمّ إليه جيشاً كثيفاً يحفظ جُرجان ، وأمره أن يعسكر على الخندق ؛ فنزل الحسن بن الحسين معسكراً على الخندق الذى عمله سرخستان ، وصار بين العسكريْن عرض الخندق ، ووجّه أيضاً عبد الله بن طاهر حيّان بن جبلة فى أربعة آلاف إلى قُومِس معسكراً على حدّ جبال شروين ، ووجّه المعتصم من قِبَله محمد بن إبراهيم بن مصعب أخا إسحاق بن إبراهيم فى جمع كثيف ، وضمّ إليه الحسن بن قارن الطبرىّ القائد ومَنْ كان بالباب من الطبريّة ، ووجّه منصور بن الحسن هار صاحب دُنْباوند إلى مدينة الرّىّ ليدخل طبرستان من ناحية الرّىّ ، ووجّه أبا الساج إلى اللارز ودنباوند ؛ فلما أحدقت الخيل بالمازيار من كلّ جانب بعث عند ذلك إبراهيم بن مهران صاحب شُرطته وعلىّ بن ربّن الكاتب النصرانىّ ، ومعهما خليفة صاحب الحرس إلى أهل المدن المحتبسين عنده ؛ أنّ الخيل قد زَحفت إلىّ من كل جانب ؛ وإنما حبستكم ليبعث إلىّ هذا الرجل فيكم — يعنى المعتصم — فلم يفعل ؛ وقد بلغنى أن الحجّاج ابن يوسف غضب على صاحب السند فى امرأة أُسرت من المسلمين ، وأدخلت إلى بلاد السنْد حتى غزا السند ، وأنفق بيوت الأموال حتى استنقذ المرأة وردّها إلى مدينتها ؛ وهذا الرجل لا يكترث بعشرين ألفاً ، ولا يبعث إلىّ يسأل فيكم ؛ وإنى لا أقدم على حربه ؛ وأنتم ورائى ، فأدّوا إلىّ خراج سنتين ، وأخلّى سبيلكم ؛ ومن كان منكم شابّاً قويّاً قدمته للقتال ؛ فمن وفّى لى منكم رددت عليه مالَه ، ومَنْ لم يفِ أكون قد أخذت ديته ، ومن كان شيخاً أو ضعيفاً صيّرتُه من الحفظة والبوّابين .

١٢٧٦/٣

١٢٧٧/٣

فقال رجل يقال له موسى بن هرمز الزاهد –كان يقال إنه لم يشرب الماء منذ عشرين سنة – أنا أؤدى إليك خراج سنتين ، وأقوم به ، فقال خليفة صاحب الحرس لأحمد بن الصَّقَيْر : لِمَ لا تتكلم ، وقد كنتَ أحظى القوم عند الأصبهبذ ؛ وقد كنت أراك تتغدّى معه ، وتتكئ على وسادته ! وهذا شيء لم يفعله الملك بأحد غيرك ؛ فأنت أولى بالقيام بهذا الأمر من موسى ، قال أحمد : إنّ موسى لا يقدر على القيام بجباية درهم واحد ؛ وإنما أجابكم بجهل وبما هو عليه وعلى الناس أجمع ؛ ولو علم صاحبكم أنّ عندنا درهماً واحداً لم يحبسنا ؛ وإنّما حبسنا بعد ما استنظف كلّ ما عندنا من الأموال والذخائر ؛ فإن أراد الضياع بهذا المال أعطيناه . فقال له علىّ بن ربَّن الكاتب : الضياع للملك لا لكم ، فقال له إبراهيم بن مهران : أسألك بالله يا أبا محمد ، لمّا سكتّ عن هذا الكلام! فقال له أحمد: لم أزل ساكتاً حتى كلّمني هذا بما قد سمعت.

ثم انصرفت الرسل على ضمان موسى الزاهد ، وأعلموا المازيار ضمانه ، وانضمّ إلى موسى الزاهد قومٌ من السعاة ، فقالوا : فلان يحتمل عشرة آلاف ، وفلان يحتمل عشرين ألفاً وأقلّ وأكثر ، وجعلوا يستأكلون الناسَ أهل الخراج وغيرهم ؛ فلما مضى لذلك أيام ، ردّ مازيار الرُّسل مقتضياً المال ، ومتنجّزاً ما كان من ضمان موسى الزاهد ؛ فلم يَرَ لذلك أثراً[1] ولا تحقيقاً ، وتحقق قول أحمد ، وألزمه الذّنْب. وعلم المازيار[2] أن ليس عند القوم ما يؤدّون ؛ وإنما أراد أن يلقى الشرّ بين أصحاب الخراج ؛ ومن لا خراج عليه من التجار والصناع .

٣/١٢٧٨

قال : ثمّ إن سرخاستان كان معه ممّن اختار من أبناء القوّاد وغيرهم من أهل آمُل فتيانٌ لهم جلَد وشجاعة ، فجمع منهم فى داره مائتين وستين فتًى ممّن يخاف ناحيته ، وأظهر أنه يريد جمعهم للمناظرة ، وبعث إلى الأكرة المختارين من الدّهاقين ، فقال لهم : إنّ الأبناء هواهم مع العرب والمسوّدة ؛ ولست آمَنُ غدرَهم ومكرهم ؛ وقد جمعت أهل الظِّنَّة ممن أخاف ناحيتَه ، فاقتلوهم لتأمنوا ، ولا يكون فى عسكركم ممن يخالف هواه هواكم . ثم أمر بكتفهم

(١) كذا فى ا ، س .

(٢) ف : « وأعلم المازيار » .

ودفعهم إلى الأكرة ليلا ، فدفعوهم إليهم ، وصاروا بهم إلى قَناة هناك ، فقتلوهم وَرَموا بهم فى آبار تلك القناة وانصرفوا . فلما ثاب إلى الأكَرة عقولُهم ندِموا على فعلهم ، وفزعوا من ذلك ؛ فلما علم المازيار أنّ القوم ليس عندهم ما يؤدّونه إليه ، بعث إلى الأكرة المختارين الذين قتلوا المائتين والستين فتًى ، فقال لهم : إنى قد أبحتُكم منازل أرباب الضياع وحُرمهم — إلا ما كان من جارية جميلة من بناتهم ؛ فإنها تصير للملك — وقال لهم : صيروا إلى الحبس فاقتلوا أرباب الضّياع جميعهم قبل ذلك ، ثم حُوزوا بعد ذلك ، ما وهبتُ لكم من المنازل والحُرَم ، فجبُن القوم عن ذلك وخافوا وحذروا فلم يفعلوا ما أمرهم به . ١٢٧٩/٣

قال : وكان الموكّلون بالسّور من أصحاب سرخاستان يتحدثون ليلا مع حَرَس الحسن بن الحسين بن مصعب ، وبينهم عُرْض الخندق ؛ حتى استأنس بعضُهم ببعض ، وتآمروا وحرس سرخاستان بتسليم السور إليهم ، فسلّموه ، ودخل أصحابُ الحسن بن الحسين من ذلك الموضع إلى عسكر سرخاستان فى غَفلة من الحسن بن الحسين ومن سرخاستان ؛ فنظر أصحابُ الحسن إلى قوم يدخلون من الحائط ، فدخلوا معهم ؛ فنظر الناس بعضهم إلى بعض ، فثاروا. وبلغ الحسن بن الحسين بن مصعب ، فجعل يصيح بالقوم ويمنعهم ، ويقول : يا قوم ؛ إنى أخاف عليكم أن تكونوا مثلَ قوم داونْدَان ، ومضى أصحاب قيس بن زنجويه — وهو من أصحاب الحسن بن الحسين — حتى نصبوا العلَم على السور فى معسكر سرخاستان ، وانتهى الخبر إلى سرخاستان أنّ العرب قد كسروا السور ، ودخلوا بغتةً ، فلم تكن له همة إلا الهرب ؛ وكان سرخاستان فى الحمّام ، فسمع الصّياح ، فخرج هاربًا فى غلالة . وقال الحسن بن الحسين حين لم يقدر على رد أصحابه : اللهمّ إنهم قد عصوْنى وأطاعوك ؛ اللهمّ فاحفظهم[1] وانصرهم ، ولم يزل أصحاب الحسن يتبعون القوم حتى صاروا إلى الدّرْب الذى على السور فكسروه ، ودخل الناس[2] من غير مانع حتى استولوا على جميع ما فى العسكر ، ومضى قوم فى الطلب . ١٢٨٠/٣

وذُكر عن زرارة بن يوسف السجزىّ أنه قال : مررتُ فى الطلب ؛ فبينا

(١) س : « فحطهم » . (٢) ف : « ودخلوا » .

أنا كذلك ؛ إذ صرت إلى موضع عن يَسْرة الطريق ، فوجلت من الممرّ فيه ، ثم تقحّمتُه بالرمح من غير أن أرى[١] أحداً ، وصحتُ : من أنت ؟ ويلك ! فإذا شيخ جَسيم قد[٢] صاح «زينهار» — يعني الأمان — قال : فحملت عليه ، فأخذته ، وشددت كتافه ، فإذا هو شهريار أخو أبي صالح سرخاستان ، صاحب العسكر . قال : فدفعته إلى قائدي يعقوب بن منصور ، وحال الليلُ بيننا وبين الطلب ؛ فرجع الناس إلى المعسكر ، وأُتيَ بشهريار إلى الحسن بن الحسين فضرب عنقه . وأما أبو صالح فمضى حتى صار على خمسة فراسخ من معسكره ؛ وكان عليلا ؛ فجهده[٣] العطش والفزع ، فنزل في غَيْضة يمنةَ الطريق إلى سفح جبل ، وشدّ دابته واستلقى ، فبصُر به غلام له ورجل من أصحابه يقال له جعفر بن وَنْدَاميد ؛ فنظر إليه نائماً ، فقال سرخاستان : يا جعفر ؛ شربة ماء ، فقد جهدني العطش ؛ قال : فقلت : ليس معي إناء أغرف به من هذا الموضع ؛ فقال سرخاستان : خذ رأس جُعبتي فاسقني به ؛ قال جعفر : وملتُ إلى عِداد من أصحابي ، فقلت لهم : هذا الشيطان قد أهلكنا فلمَ لا نتقرّب[٤] به إلى السلطان ؛ ونأخذ لأنفسنا الأمان ! فقالوا لجعفر : كيف لنا به ؟ قال : فوقفهم عليه ، وقال لهم : أعينوني ساعة ، وأنا أثاوره ، فأخذ جعفر خشبة عظيمة وسرخاستان مستلقٍ ، فألقى نفسه عليه ، وملكوه وشدّوه كتافاً مع الخشبة ، فقال لهم أبو صالح : خذوا مني مائة ألف درهم واتركوني ؛ فإنّ العرب لا تعطيكم شيئاً ، قالوا له : أحضرها ، قال : هاتوا ميزاناً ، قالوا : ومن أين ها هنا ميزان ؟ قال : فمن أين ها هنا ما أعطيكم ! ولكن صيرُوا معي إلى المنزل ، وأنا أعطيكم العهود والمواثيق أنّي أفي لكم بذلك ، وأوفر عليكم ، فصاروا به إلى الحسن بن الحسين ، فاستقبلتهم خيل للحسن بن الحسين ، فضربوا رءوسهم ، وأخذوا سرخاستان منهم ، فهمّتهم أنفُسهم ، ومضى أصحاب الحسن بأبي صالح إلى الحسن ؛ فلما وقفوه بين يديه ، دعا الحسن قوّاد طبرستان ؛ مثل محمد بن المغيرة بن شعبة الأزديّ وعبد الله بن محمد القُطقُطيّ الضبيّ والفتح بن قراط وغيرهم ؛ فسألهم : هذا سرخاستان ؟ قالوا : نعم ، فقال لمحمد

١٢٨١/٣

(١) س : « أرى » .
(٢) ف : « وقد صاح » .
(٣) ف : « فأجهده » .
(٤) ف : « ألا نتقرب » .

ابن المغيرة ؛ قم فاقتله بابنك وأخيك ، فقام إليه فضربه بالسيف ، وأخذته السيوف فقتل .

* * *

ذكر خبر أبى شاس الشاعر

١٢٨٢/٣

وكان أبو شاس الشاعر ، وهو الغطريف بن حُصين بن حَنَش فتًى من أهل العراق ، رُبِّىَ بخراسان ، أديبًا فَهِمًا ، وكان سرخاستان ألزمه نفسه يتعلم منه أخلاق العرب ومذاهبها ، فلما نزل بسرخاستان ما نزل به ، وأبو شاس فى معسكره ، ومعه دوابّ وأثقال ، هجم عليه قوم البُخاريّة ؛ من أصحاب الحسن ؛ فانتهبوا جميع ما كان معه ، وأصابته جراحات ، فبادر أبو شاس فأخذ جرّة كانت معه ، فوضعها على عاتقه ، وأخذ بيده قدحًا ، وصاح : الماء للسبيل ؛ حتى أصاب غفلة من القوم ، فهرب من مضربه ، وقد أصابتْه جراحة ، فبصر به غلام — وقد كان مرّ بمضرب عبد الله بن محمد بن حميد القَحْطَبىّ الطبرىّ ؛ وكان كاتب الحسن بن الحسين — فعرفوه ، عَرَفَهُ خدمه ، وعلى عاتقه الجرّة وهو يسقى الماء ، فأدخلوه خيمتهم ، وأخبروا صاحبهم بمكانه ، فأدخل عليه ، فحمله وكساه ، وأكرمه غاية الإكرام ، ووصفه للحسن بن الحسين ، وقال له : قل فى الأمير قصيدة ، فقال أبو شاس : والله لقد امّحى ما فى صدرى من كتاب الله من الهول ، فكيف أحسن الشعر ! ووجّه الحسن برأس أبى صالح سرخاستان إلى عبد الله بن طاهر ، ولم يزل من معسكره .

* * *

وذكر عن لمحمد بن حفص أن حيّان بن جَبَلة مولى عبد الله بن طاهر ، كان أقبل مع الحسن بن الحسين إلى ناحية طميس ؛ فكاتب قارن بن شهريار ، ورغّبه فى الطاعة ، وضمن له أن يملّكه على جبال أبيه وجدّه ، وكان قارن من قوّاد مازيار وهو ابن أخيه . وكان مازيار صيّره مع أخيه عبد الله بن قارن ، وضمّ إليهما عدّة من ثقات قوّاده وقراباته ؛ فلما استماله حيّان ؛ وكان قارن قد ضمن له أن يسلم له الجبال ، ومدينة سارية إلى حدّ جُرجان ، على أن يملّكه على جبال أبيه وجدّه إذا وفى له بالضّمان ، وكتب بذلك حيان إلى عبد الله بن طاهر ، سجّل له عبد الله بن طاهر بكلّ ما سأل ، وكتب إلى حيان بأن

١٢٨٣/٣

يتوقّف ولا يدخل الجبل ولا يُوغِل حتى يكون من قارن ما يُستدلّ به على الوفاء؛ لئلا يكون منه مكر؛ فكتب حيّان إلى قارن بذلك، فدعا قارن بعبدالله[١] ابن قارن وهو أخو مازيار، ودعا جميع قوّاده إلى طعامه؛ فلمّا أكلوا ووضعوا سلاحهم واطمأنّوا أحدق بهم أصحابه فى السلاح الشاكّ، وكتّفهم ووجّه بهم إلى حيّان بن جَبَلة، فلما صاروا إليه استوثق منهم، وركب حيّان فى جمعه حتى دخل جبال قارن.

وبلغ مازيار الخبر فاغتمّ لذلك، وقال له القوهيار أخوه: فى حبسك عشرون ألفًا من المسلمين؛ من بين إسكاف وخياط؛ وقد شغلتَ نفسك بهم؛ وإنما أتيت من مأمنك وأهل بيتك وقرابتك[٢]؛ فما تصنع بهؤلاء المحبَّسين[٣] عندك؟ قال: فأمر مازيار بتخلية جميع مَن فى حبسه، ثم دعا إبراهيم بن مهران صاحب شرطته[٤]، وعليّ بن ربّن النصرانيّ كاتبه، وشاذان بن الفضل صاحب خراجه، ويحيى بن الروذ بهار جهبذه؛ وكان من أهل السَّهْل عنده، فقال لهم: إن حرمكم ومنازلكم وضياعكم بالسَّهل، وقد دخلت العرب إليكم[٥]، وأكره أن أشومكم؛ فاذهبوا إلى منازلكم، وخذوا لأنفسكم الأمان. ثم وصلهم[٦]، وأذن لهم فى الانصراف، فصاروا إلى منازلهم وأخذوا الأمان لأنفسهم[٧]. ١٢٨٤/٣

ولما بلغ أهل مدينة سارية أخذ سرخاستان واستباحة عسكره ودخول حيان ابن جبلة جبل شروين، وثبوا على عامل مازيار بسارية — وكان يقال له مهْرِستانى بن شهريز — فهرب منهم، ونجا بنفسه، وفتح الناس باب السجن، وأخرجوا مَن فيه، ووافى حيّان بعد ذلك مدينة سارية. وبلغ قوهيار أخا مازيار موافاة حيان سارية، فأطلق محمد بن موسى بن حفص الذى كان عامل طبرستان من حبسه، وحمله على بغل بسرج، ووجّه به[٨] إلى حيّان ليأخذ له الأمان، ويجعل له جبال أبيه وجدّه على أن يسلّم إليه مازيار، ويوثق

(١) س: «لعبد».
(٢) ا، ف: «وقراباتك».
(٣) ف: «المحتبسين».
(٤) ا، س: «شرطه».
(٥) س: «إليه».
(٦) ف: «ثم دعاهم ووصاهم».
(٧) ف: «لأنفسهم الأمان».
(٨) ا: «ووجهه».

له بذلك بضمان محمد بن موسى بن حفص وأحمد بن الصُّقَير ؛ فلما صار محمد بن موسى إلى حيّان، وأخبره برسالة قوهيار إليه، قال له حيّان: من هذا ؟ يعني أحمد ، قال : شيخ البلاد ، وبقية[1] الخلفاء والأمير عبد الله بن طاهر به عارف ، فبعث حيّان إلى أحمد ، فأتاه فأمره بالخروج إلى مسلحة خُرَّماباذ ٣/١٢٨٥ مع محمد بن موسى . وكان لأحمد ابن يقال له إسحاق ، وكان قد هرب من مازيار ؛ يأوى نهاره الغياض ، ويصيرُ بالليل إلى ضيعة يقال لها ساواشريان ؛ وهى على طريق الجادّة من قدح الأصبهبذ الذى فيه قصر مازيار .

فذكر عن إسحاق ، أنه قال : كنتُ فى هذه الضَّيْعة ، فمرّ بى عدّة من أصحاب مازيار ؛ معهم دوابّ تقاد وغير ذلك ؛ قال : فوثبت على فرس منها هجين ضَخْم ، فركبته عُرْيًا ؛ وصرت إلى مدينة سارية ، فدفعته إلى أبى ، فلمّا أراد أحمد الخروج إلى خُرَّماباذ ركب ذلك الفرس ، فنظر إليه حيّان ، فأعجبه ، فالتفت حيّان إلى اللّوزجان — وكان من أصحاب قارن — فقال له[2] : رأيت هذا الشيخ على فرس نبيل قلّ ما رأيت مثله ، فقال له اللّوزجان : هذا الفرس كان لمازيار ، فبعث حيّان إلى أحمد يسأله البعثة بالفرس[3] إليه ؛ لينظر إليه ؛ فبعث به إليه ، فلما تأمّل النظر وفتّشه[4] وجده مشطّب اليدين ، فزهد فيه ، ودفعه إلى اللّوزجان ، وقال لرسول أحمد : هذا لمازيار ، ومال مازيار لأمير المؤمنين ؛ فرجع الرسول فأخبر أحمد ، فغضب على اللّوزجان من ذلك ؛ فبعث إليه أحمد بالشّتيمة ، فقال اللّوْزجان : ما لى فى هذا ذنب ! وردّ ٣/١٢٨٦ الفرس إلى أحمد ، ومعه برذون وشهريّ [فاره][5] ، فأمر رسولَه فدفعهما إليه . وغضب أحمد من فعل حيان به ، وقال : هذا الحائك يبعث إلى شيخ مثلى فيفعل به ما فعل ! ثم كتب إلى قوهيار : ويحك ! لِمَ تغلط فى أمرك وتترك مثل الحسن بن الحسين عمّ الأمير عبد الله بن طاهر ، وتدخل فى أمان هذا العبد الحائك ، وتدفع أخاك ، وتضع قدرك ، وتحقد عليك الحسن بن الحسين

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط ، ف : « يعرفه » . (٢) ف : « قال » .
(٣) ف : « ليسأله الفرس والبعث به » . (٤) ق : « وقلبه » .
(٥) الشهرى : ضرب من البرازين والتكملة من ا .

بتركك إياه وميلك[1] إلى عبد من عبيده ! فكتب إليه قوهيار : قد غلطتُ في أوّل الأمر ؛ وواعدت الرجل أن أصير إليه بعد غد ؛ ولا آمن إن خالفته[2] أن يناهضنى ويحاربنى ؛ ويستبيح منازلى[3] وأموالى ؛ وإن قاتلته فقتلتُ من أصحابه ، وجرت الدماءُ بيننا وقعت الشحناء ؛ ويبطل هذا الأمر الذى التمسته . فكتب إليه أحمد : إذا كان يوم الميعاد فابعث إليه رجلا من أهل بيتك ، واكتب إليه أنه قد عرضتْ لك علّة منعتْك من الحركة ، وأنك تتعالج ثلاثة أيام ؛ فإن عُوفيتَ وإلاّ صرتَ إليه فى محمل ، وسنحمله نحن على قبول ذلك منك ، والمصير فى الوقت .

وإنّ أحمد بن الصقَيْر ومحمد بن موسى بن حفص كتبا إلى الحسن بن الحسين وهو فى معسكره بطميس ينتظر أمر عبد الله بن طاهر وجواب كتابه بقتل سرخاستان وفتح طميس ، فكتبا إليه أن اركب إلينا لندفع إليك مازيار والجبل[4] ؛ وإلا فاتك ، فلا تقم . ووجّها الكتاب مع شاذان بن الفضل الكاتب ، وأمراه أن يعجل السير .

١٢٨٧/٣

فلمّا وصل الكتاب إلى الحسن ركب من ساعته ، وسار مسيرة ثلاثة أيام فى ليلة ؛ حتى انتهى إلى سارية ، فلمّا أصبح سار إلى خُرّما باذ — وهو يوم موعد قُوهيار — وسمع حيان وقْعَ طبول الحسن ، فركب فتلقّاه على رأس فرسخ ، فقال له الحسن : ما تصنع ها هنا ! ولِمَ توجّه إلى هذا الموضع ، وقد فتحت جبال شروين وتركتها ، وصرت إلى ها هنا ! فما يؤمنك أن يبدو للقوم ، فيغدروا بك ، فينتقض عليك جميع ما عملت . ارجع إلى الجبل ، فصيّر مسالحك فى النواحى والأطراف ، وأشرفْ على القوم إشرافًا لا يمكنهم الغدر ؛ إن همّوا به . فقال له حيّان : أنا على الرجوع ، وأريد أن أحمل أثقالى ، وأتقدّم إلى رجالى بالرحلة ، فقال له الحسن : امض أنت ؛ فأنا باعث بأثقالك ورجالك خلفك ، وبِتِ الليلةَ بمدينة سارية حتى يوافوك ، ثم تبكّر من غد ؛ فخرج حيّان من فوره كما أمره الحسن إلى سارية ، ثم ورد عليه كتاب عبد الله بن طاهر أن

---

(١) ا ، وابن الأثير : « وبميلك » . (٢) س : « إن خالفت » .
(٣) ف : « منزلى » . (٤) س : « والخيل » .

يعسكر بلَبورة — وهي من جبال وَنْدَا هُرْمز، وهي أحصن موضع من جباله، وكان أكثر مال مازيار بها — وأمره عبد الله ألاّ يمنع قارن مِمّا يريد من تلك الجبال والأموال. فاحتمل قارن ما كان لمازيار هنالك من المال؛ والذى كان بأسباندَرَة من ذخائر مازيار، وما كان لسرخاستان بقدح السلتان، واحتوى على ذلك كلّه. ١٢٨٨/٣

فانتقض على حيّان جميع ما كان سنح له بسبب ذلك الفرس، وتوفّى بعد ذلك حيّان بن جبلة. فوجّه عبد الله مكانه على أصحابه محمد الحسين بن مصعب، وتقدّم إليه عبد الله ألاّ يضرب على يدى قارن فى شىء يريده، وصار الحسن ابن الحسين إلى خُرّماباذ، فأتاه محمد بن موسى بن حفص وأحمد بن الصُّقَير، فتناطروا سرًّا، فجزاهما خيراً؛ وكتب هو إلى قوهيار، فوافى خُرّماباذ، وصار إلى الحسن، فبرّه وأكرمه وأجابه إلى كلّ ما سأل، واتّعدا على يوم؛ ثم صرفه وصار قُوهيار إلى مازيار، فأعلمه أنه قد أخذ له الأمان، واستوثق له. وكان الحسين بن قارن قد كاتب قوهيار من ناحية محمد بن إبراهيم بن مصعب، وضمن له الرغائب عن[1] أمير المؤمنين، فأجابه قوهيار، وضمن له ما ضمن لغيره؛ كلُّ ذلك ليردّهم عن الحرب ومال إليه. فركب محمد بن إبراهيم من مدينة آمُل، وبلغ الحسن بن الحسين الخبر.

فذكر عن إبراهيم بن مِهْران أنه كان يتحدّث عند أبى السعدى[2]، فلمّا قرب وكان طريقه على باب مضرب الحسن. قال: فلما حاذيتُ مضربه؛ إذا بالحسن الزوال انصرف يريد منزله. راكب وحدَه، لم يتبعه إلا ثلاثة غلمان له أتراك، قال: فرميت بنفسى، وسلّمت عليه، فقال: اركب؛ فلمّا ركبت قال: أين طريق آرُم؟ قلت: هى على هذا الوادى، فقال لى: امض أمامى، قال: فمضيتُ حتى بلغت درباً على ميلين من آرُم، قال: ففزعت، وقلت: أصلح الله الأمير! هذا موضع مَهُول، ولا يسلكه[3] إلاّ ألف[4] فارس؛ فأرى لك أن تنصرف ١٢٨٩/٣

---

(١) ا، ف: «على أمير المؤمنين». (٢) ا: «الصغدى».
(٣) س: «ولا يدخله». (٤) س: «ألف».

ولا تدخله[1] . قال : فصاح بى : امض ، فمضيت وأنا طائش العقل ؛ ولم نَرَ فى طريقنا أحداً حتى وافينا آرم ؛ فقال لى : أين طريق هُرْمزداباذ ؟ قلت : على هذا الجبل فى هذا الشِّراك ، قال : فقال لى : سرْ إليها ، فقلت : أعز الله الأمير ! الله الله فى نفسك وفينا وفى هذا الخلق الذى معك ! قال : فصاح بى : امض يابنَ اللخناء ، قال : فقلت له : أعزّك الله ! اضرب أنت عنقى ؛ فإنه أحبُّ إلىّ من أن يقتلنى مازيار ، و يلزمنى الأمير عبد الله بن طاهر الذنب.

قال : فانتهرنى حتى ظننت أنه سيبطش بى ، ومضيت وأنا خليع الفؤاد ، وقلت فى نفسى : الساعة نؤخذ جميعاً[2] ، أو نوقَف بين يدى مازيار فيو بّخنى ، ويقول : جئت دليلا علىّ ! فبينا نحن كذلك إذْ وافينا هرمزداباذ مع اصفرار الشمس ، فقال لى : أين كان سجن المسلمين هاهنا ؟ فقلت له : فى هذا الموضع .

قال : فنزل فجلس ونحن صيام ، والخيل تلحقنا متقطعة ؛ وذلك أنه ركب من غير علم الناس ، فعلموا بعد ما مضى ؛ فدعا الحسن بيعقوب بن منصور ، فقال له : يا أبا طلحة ، أحبّ أن تصير إلى الطالقانيّة ، فتلطّف بحيلك بالجيش أبى عبد الله محمد بن إبراهيم بن مصعب هنالك ساعتين أو ثلاث ساعات أو أكثر ؛ ما أمكنك. وكان بينه و بين الطالقانيّة فَرْسخان أو ثلاثة فراسخ ؛ قال إبراهيم : فبينا نحن وقوف بين يدى الحسن ؛ إذ دعا بقَيس بن زَنجويه ، فقال له : امض إلى درب لَبورة ؛ وهو على أقلّ من فرسخ ؛ فابرز بأصحابك على الدّرب . ١٢٩٠/٣

قال : فلما صلّينا المغرب وأقبل الليل ؛ إذا أنا بفرسان بين أيديهم الشّمع مشتعلاً مقبلين من طريق لَبُورة ، فقال لى : يا إبراهيم ؛ أين طريق لبورة ؟ فقلت : أرى نيراناً وفرساناً قد أقبلوا من ذلك الطريق ، قال : وأنا داهش لا أقف على ما نحن فيه ، حتى قربت النيران منا ؛ فأنظر فإذا المازيار مع القوهيار ؛ فلم

---

(١) ا ، س : « ولا تسلكه » . (٢) ف : « كلنا » .

أشعر حتى نزلا ، وتقدم المازيار ، فسلم على الحسن بالإمْرة ، فلم يردّ عليه ، وقال لطاهر بن إبراهيم وأوس البلخى : خذاه إليكما .

وذكر عن أخى وميدوار بن خواست جيلان ، أنه فى تلك الليلة صار مع نفر إلى قوهيار ، وقال له : اتق الله ، قد خلفتَ سرواتنا ؛ فأذن لى أكنُف /١٢٩١ هؤلاء العرب كلّهم ؛ فإن الجند حيارى جياع ، وليس لهم طريق يهربون ، فتذهب بشرفها ما بقى الدهر ، ولا تثق بما يعطيك العرب ؛ فليس لهم وفاء ! فقال قوهيار : لا تفعلوا ؛ وإذا قوهيار قد عبّى علينا العرب ، ودفع مازيار وأهل بيته إلى الحسن لينفرد بالملك ؛ ولا يكون أحد ينازعه ويضادّه .

فلما كان فى السحر ، وجّه الحسن بالمازيار مع طاهر بن إبراهيم وأوْس البلخىّ إلى خرّماباذ ، وأمرهما أن يمرّا به إلى مدينة سارية ؛ وركب الحسن ، وأخذ على وادى بابلك إلى الكانية مستقبلا[1] محمد بن إبراهيم بن مُصعب ، فالتقيا ومحمد يريد المصير إلى هرمزداباذ لأخذ المازيار ، فقال له الحسن : يا أبا عبدالله ، أين تريد ؟ قال : أريدُ المازيار ، فقال : هو بسارية ؛ وقد صار إلىّ ، ووجّهت به إلى هنالك ؛ فبقىَ محمد بن إبراهيم متحيرًا . وكان القوهيار قد همّ بالغدر بالحسن ، ودفع المازيار إلى محمد بن إبراهيم ، فسبق الحسن إلى ذلك ، وتخوّف القوهيار منه أن يحاربه حين رآه متوسّطًا الجبل ؛ إنّ أحمد بن الصُّقير كتب إلى القوهيار : لا أرى لك التخليط والمناصبة لعبد الله بن طاهر ؛ وقد كُتب إليه بخبرك وضمانك فلا تكن ذا قلبيْن ؛ فعند ذلك حذّره ودفعه إلى الحسن ، وصار محمد بن إبراهيم والحسن بن الحسين إلى هرمزداباذ ؛ فأحرقا قصر المازيار بها ، وأنهبا ماله ، ثم صارا إلى معسكر الحسن بخرّماباذ ، ووجّها /١٢٩٢ إلى إخوة المازيار ، فحبسوا هنالك فى داره[2] ، ووكّلَ بهم . ثم رحل الحسن إلى مدينة سارية ؛ فأقام بها ، وحبس المازيار بقرب خيمة الحسن ، وبعث الحسن إلى محمد بن موسى بن حفص يسأله عن القَيْد الذى كان قيّده به المازيار ؛ فبعث به محمد إليه ؛ فقيّد المازيار بذلك القَيْد ، ووافى محمد بن إبراهيم الحسن بمدينة سارية ليناظره فى مال المازيار وأهل بيته ، فكتبا بذلك

(١) ظ : « مستقبل » . (٢) س : « فى دار » .

إلى عبد الله بن طاهر ، وانتظرا أمره ؛ فورد كتاب عبد الله إلى الحسن بتسليم المازيار وإخوته وأهل بيته إلى محمد بن إبراهيم ؛ ليحملهم[1] إلى أمير المؤمنين المعتصم ؛ ولم يعرض عبد الله لأموالهم ، وأمره أن يستصفى جميع ما للمازيار ويحرزه ؛ فبعث الحسن إلى المازيار فأحضره ، وسأله عن أمواله[2] فذكر أنّ ماله عند قوم سمّاهم ، من وجوه أهل سارية وصلحائهم عشرة نفر ، وأحضر القوهيار ، وكتب عليه كتاباً ، وضمنه توفير هذه الأموال التى ذكرها المازيار ؛ أنها عند خزانه وأصحاب كنوزه ؛ فضمن القوهيار ذلك وأشهد على نفسه .

ثم إنّ الحسن أمر الشهود الذين أحضرهم أن يصيروا إلى المازيار ؛ فيشهدوا عليه ؛ فذُكر عن بعضهم ، أنه قال : لما دخلنا على المازيار ، تخوّفت من أحمد بن الصُّقير أن يفزعه بالكلام ، فقلت له : أحبّ أن تمسك عنه ، ولا تذكر ما كنت أشرتَ به ؛ فسكت أحمد عند ذلك ، فقال المازيار : اشهدوا أنّ جميع ما حملتُ من أموالى وصحبنى ستة وتسعون ألف دينار ، وسبع عشرة قطعة زمرد ، وستّ عشرة قطعة ياقوت أحمر ، وثمانية أوقار سلال مجلدة ، فيها ألوان الثياب ، وتاج وسيف من ذهب وجوهر ، وخنجر من ذهب مكلّل بالجوهر ، وحُقّ كبير مملوء جوهراً ؛ وقد وضعه بين أيدينا ، وقد سلمت ذلك إلى محمد بن الصباح ، وهو خازن عبد الله بن طاهر وصاحب خبره على العسكر وإلى القوهيار . قال : فخرجنا إلى الحسن بن الحسين ، فقال : أشهدتم على الرّجل ؟ قال : قلنا : نعم ، قال : هذا شىء كنت اخترته لى ، فأحببت أن يعلم قلّته وهوانه عندى .

١٢٩٣/٣

وذكر عن علىّ بن ربّن النصرانىّ الكاتب أن ذلك الحُقّ كان شرى جوهره على المازيار وجدّه وشهْريار ثمانية عشر ألف ألف درهم ، وكان المازيار حمل ذلك كله إلى الحسن بن الحسين ؛ على أن يظهر أنه خرج إليه فى الأمان ، وأنه قد آمنه على نفسه وماله وولده ؛ وجعل له جبال أبيه ؛ فامتنع الحسن بن

(١) ف : « فحملهم » .
(٢) ف : « ماله » .

الحسين من هذا وعفّ عنه — وكان أعفّ الناس عن أخذ درهم أو دينار — فلما أصبح أنفذ المازيار مع طاهر بن إبراهيم وعلىّ بن إبراهيم الحربىّ ، وورد كتاب عبد الله بن طاهر فى إنفاذه مع يعقوب بن منصور ، وقد ساروا بالمازيار ثلاث مراحل ؛ فبعث الحسن فردّه ، وأنفذه[١] مع يعقوب بن منصور . ثم أمر الحسن بن الحسين القُوهيار أخا المازيار أن يحمل الأموال التى ضمنها ؛ ودفع إليه بغالا من العسكر ، وأمر بإنفاذ جيش معه ؛ فامتنع القوهيار، وقال : لا حاجة لى بهم ؛ وخرج بالبغال[٢] هو وغلمانه ؛ فلما ورد الجبل وفتح الخزائن ، وأخرج الأموال وعبّاها ليحملها ، وثب عليه مماليك المازيار من الديالمة — وكانوا ألفًا ومائتين[٣] — فقالوا له : غدرتَ بصاحبنا ، وأسلمته إلى العرب ، وجئتَ لتحمل أمواله! فأخذوه وكبّلوه بالحديد ؛ فلما جنّه الليل قتلوه ؛ وانتهبوا تلك الأموال والبغال ؛ فانتهى الخبر إلى الحسن ، فوجّه جيشاً إلى الذين قتلوا القوهيار ، ووجّه قارن جيشًا من قِبَله فى أخذهم ؛ فأخذ منهم صاحب قارن عدّة ، منهم ابن عمّ للمازيار، يقال له شهريار بن المَصْمُغان — وكان رأس العبيد ومحرّضهم — فوجّه به قارن إلى عبد الله بن طاهر ، فلما صار بقومس مات ، وكان جماعة أولئك الديالمة أخذوا على السَّفح والغَيْضة يريدون الديلم ، فنذِر بهم محمد بن إبراهيم بن مصعب ، فوجّه من قِبَله الطبرية وغيرهم حتى عارضوهم ، وأخذوا عليهم الطريق ، فأُخذوا ، فبعث بهم إلى مدينة سارية مع علىّ بن إبراهيم ، وكان مدخل محمد بن إبراهيم حين دخل من شَلَنْبَة على طريق الروذبار إلى الورَّيان .

١٢٩٤/٣
١٢٩٥/٣

وقيل : إن فساد أمر مازيار وهلاكه كان من قبل ابن عمّ له يقال له . . .[٤] كان فى يديه جبال طبرستان كلها ، وكان فى يد المازيار السهل ؛ وكان ذلك كالقسمة[٥] بينهم يتوارثونه ؛ فذُكر عن محمد بن حفص الطبرىّ أن الجبال بطبرستان ثلاثة : جبل وَنْداهُرْمز فى وسط جبال طَبَرِستان ، والثانى جبل أخيه

(١) ف : « وبعثه » .
(٢) ف : « وأخذ البغال وخرج » .
(٣) ف : « ومائتى رجل » .
(٤) بياض فى ط ، وفى ا : « ابن عم له كان فى يديه جبال طبرستان » .
(٥) س : « بالقسمة » .

وندااسبْجان [١] بن الأنداد بن قارن، والثالث جَبَل شَرْوين بن سُرْخاب ابن باب؛ فلمّا قوى أمرُ المازيار بعث إلى ابن عمّه ذلك ، وقيل هو أخوه القوهيار ، فألزمه بابه ، وولّى الجبل واليًا من قِبَله؛ يقال له درّى ؛ فلما احتاج المازيار إلى الرجال لمحاربة عبد الله بن طاهر؛ دعا بابن عمه أو أخيه القوهيار؛ فقال له : أنت أعرف بجبلك من غيرك ، وأظهره على أمر الأفشين ومكاتبته له ، وقال له : صرْ في ناحية الجبل ، فاحفظ علىّ الجبل .

وكتب المازيار إلى الدرّىّ يأمره بالقدوم عليه ، فقدم عليه، فضمّ إليه العساكر ، ووجّهه في وجه عبد الله بن طاهر ؛ وظنّ أنه قد توثّق من الجبل بابن عمه أو أخيه القُوهيار ؛ وذلك أن الجبل لم يُظنّ أنه يؤتى منه . لأنه ليس فيه للعساكر والمحاربة طريق لكثرة المضايق والشّجر الذى فيه ، وتوثّق من المواضع التى يتخوّف منها بالدرّى وأصحابه، وضمّ إليه المقاتلة وأهل عسكره ، فوجّه عبد الله بن طاهر عمّه الحسن بن الحسين بن مصعب فى جيش كثيف من خُراسان إلى المازيار ، ووجّه المعتصم محمد بن إبراهيم بن مصعب ، ووجّه معه صاحب خبر يقال له يعقوب بن إبراهيم البوشنجىّ مولى الهادى ، ويعرف بقوْصرّة ؛ يكتب بخبر العسكر [٢] ؛ فوافى محمد بن إبراهيم الحسن بن الحسين ، وزحفت العساكر نحو المازيار [٣] حتى قَرُبوا منه [٣] ، والمازيار لا يشكّ أنه قد توثّق من الموضع الذى تلقّاه الجبل فيه .

١٢٩٦/٣

وكان المازيار فى مدينته فى نفر يسير ، فدعا ابنَ عمّ المازيار الحقد الذى كان فى قلبه على المازيار وصنيعه به وتنحيته إياه عن جبله، أنْ كاتَبَ الحسن ابن الحسين ، وأعلمه جميع ما فى عساكره ، وأنّ الأفشين كاتب المازيار .

فأنفذ الحسن كتاب ابن عمّ المازيار إلى عبد الله بن طاهر ، فوجّه به عبدالله برجل إلى المعتصم ، وكاتب عبد الله والحسن بنَ الحسين ابن عمّ المازيار — وقيل القوهيار — وضمنا له جميع ما يريد ؛ وكان ابن عم المازيار أعلَم عبد الله

---

(١) فى التصويبات : « وندا سيجان » ، وانظر الفهرس .

(٢) ف : « فكتب خبر العساكر » .

(٣—٣) ف : « والمازيار قريب منهم » .

ابن طاهر أن الجبل الذى هو عليه كان له ولأبيه ولآبائه من قِبَل المازيار ، وأن المازيار عند تولية الفضل بن سهل إياه طبرستان انتزع الجبل من يديه ، وألزمه بابه ، واستخفّ به ، فشرط له عبد الله بن طاهر إن هُوَ وثب بالمازيار، ١٢٩٧/٣ واحتال له أن يصير الجبل فى يديه على حسب ما لم يزل ، ولا يُعرَض له فيه ؛ ولا يحارب[1] .

فرضِىَ بذلك ابن عم المازيار ، فكتب له عبد الله بن طاهر بذلك كتاباً ، وتوثّق له فيه ، فوعد ابن عمّ المازيار الحسن بن الحسين ورجالهم أن يدخلهم الجبل ؛ فلمّا كان وقت الميعاد ، أمر عبد الله بن طاهر الحسن بن الحسين أن يَزْحف للقاء الدرىّ ، ووجّه عسكراً ضخماً عليه قائد من قواده[2] فى جوف الليل، فوافوا ابن عمّ المازيار فى الجبل ، فسلّم الجبال[3] إليهمْ ، وأدخلهم إليها ، وصافّ الدرّى العسكر الذى بإزائه ؛ فلم يشعر المازيار وهو فى قصره حتى وقفت الرّجّالة والخيل على باب قصره، والدرّى يحارب العسكر الآخر ؛ فحصروا المازيار ، وأنزلوه على حكم أمير المؤمنين المعتصم .

وذكر عمرو بن سعيد الطبرىّ أن المازيار كان يتصيّد ؛ فوافته الخيل فى الصيد؛ فأخذ أسيراً ، ودُخل قصره عَنْوة ، وأخذ جميع ما فيه ، وتوجّه الحسن بن الحسين بالمازيار ، والدرّىّ يقاتل العسكر الذى بإزائه ،لم يعلم بأخذ المازيار ؛ فلم يشعر إلاّ وعسكر[4] عبد الله بن طاهر مِنْ ورائه ، فتقطعت عساكره ، فانهزم[5] ومضى يريد الدخول إلى بلاد الديلم ، فقتِل أصحابه ، واتبعوه فلحقوه فى نفر من أصحابه ، فرجع يقاتلهم ، فقتِل وأخِذ رأسه ، فبعث به إلى عبد الله بن طاهر . وقدصار المازيار فى يده ، فوعده عبدُ الله ١٢٩٨/٣ ابن طاهر إن هو أظهره على كتب الأفشين أن يسأل أمير المؤمنين الصَّفْح عنه ، وأعلمه عبد الله أنه قد علم أن الكتب عنده . فأقرّ المازيار بذلك ، فطُلبت الكتب فوُجدت ، وهى عدّة كتب ، فأخذها عبد الله بن طاهر ،

---

(١) س : « يحاربه » .
(٢) ف : « من قواد عبد الله بن طاهر » .
(٣) س : « الجبل » .
(٤) ف : « بعسكر » .
(٥) ف : « وانهزم » .

فوجّه بها مع المازيار إلى إسحاق بن إبراهيم ، وأمره ألاّ يخرج الكتب من يده ولا المازيار إلاّ إلى يد[1] أمير المؤمنين ؛ لئلا يُحتال للكتب والمازيار ، ففعل إسحاق ذلك ، فأوصلها من يده إلى يد المعتصم ؛ فسأل المعتصم المازيار عن الكتب ، فلم يقرّ بها ؛ فأمر بضرب المازيار حتى مات ؛ وصلب إلى جانب بابك .

وكان المأمون يكتب إلى المازيار : من عبد الله المأمون إلى جيل جيلان أصبهبذ أصبهبذان بشْوار جرْشاه[2] محمد بن قارن مولى أمير المؤمنين .

وقد ذكر أن بدء وهْى أمر الدريّ ، كان أنه لما بلغه بعدما ضمّ إليه المازيار الجيش نزول جيش محمد بن إبراهيم دُنْباوند ، وجّه أخاه بزرجشْنس ، وضمّ إليه محمداً وجعفراً ابنى رستم الكلاريّ ورجالا من أهل الثغر وأهل الرُّويان ، وأمرهم أن يصيروا إلى حدّ الرّويان والرّىّ لمنع الجيش ؛ وكان الحسن بن قارن قد كاتب محمداً وجعفراً ابنى رستم ، ورغّبهما ؛ وكانا من رؤساء أصحاب الدّرىّ ، فلما التقى جيش الدّرى وجيش محمد بن إبراهيم ، انقلب ابنا رستم وأهل الثغرين وأهل الرُّويان على بزرجشنس أخى الدرّىّ ، فأخذوه أسيراً ، وصاروا مع محمد بن إبراهيم على مقدّمته ؛ وكان الدرىّ بموضع يقال له مُزْن[3] فى تَصْره مع أهله وجميع عسكره . فلما بلغه غدر محمد وجعفر ابنى رستم ومتابعة أهل الثغرين والرّويان لهما وأسر أخيه بزرجشنس . اغتمّ لذلك غمّاً شديداً ، وأذعن أصحابه ، وهمّتْهم أنفسُهم ، وتفرّق عامّتُهم يطلبون الأمان ، ويحتالون لأنفسهم . فبعث الدرىّ إلى الديالمة فصار ببابه مقدار أربعة آلاف رجل منهم ، فرغبهم ومنّاهم . ووصلهم . ثم ركب وحمل الأموال معه ، ومضى كأنه يريد أن يستنقذ أخاه ويحارب محمد بن إبراهيم ؛ وإنما أراد الدخول إلى الديلم ، والاستظهار بهم على محمد بن إبراهيم .

١٢٩٩/٣

فاستقبله محمد بن إبراهيم فى جيشه ؛ فكانت بينهم وقعة صعبة ؛ فلما

---

(١) ف : « إلا لأمير المؤمنين » .

(٢) ط : « بشوار خرشاه » ، وانظر الفهرس والتصويبات .

(٣) ط : « مرو » ، تحريف ؛ وانظر الفهرس .

مضى الدرّى هرب الموكّلون بالسجن ، وكسر أهل السجن أقيادهم ، وخرجوا هاربين ، ولحق كلّ إنسان ببلده . واتّفق خروج أهل سارية الذين كانوا فى حبس المازيار وخروج هؤلاء الذين كانوا فى حبس الدرّىّ فى يوم واحد ، وذلك فى شعبان لثلاث عشرة ليلة خلت منه سنة خمس وعشرين ومائتين فى قول محمد بن حفص . وقال غيره : كان ذلك فى سنة أربع وعشرين ومائتين .

وذكر عن داود بن قحذم أن محمد بن رستُم ، قال : لما التقى الدرّى ومحمد ابن إبراهيم بساحل البحر ، بين الجبل والغَيْضة والبحر ، والغَيْضة متّصلة بالديلم ، وكان الدرّى شجاعًا بطلاً ، فكان[1] يحمل بنفسه على أصحاب محمد حتى يكشفهم ؛ ثم يحمل معارضةً من غير هزيمة ، يريد دخول الغَيْضة ، شدّ عليه رجل من أصحاب محمد بن إبراهيم يقال له فند بن حاجبة ، فأخذه أسيراً واسترجع ، واتبع الجند أصحابه وأخذ جميع ما كان معه من الأثاث والمال والدوابّ والسلاح ، فأمر محمد بن إبراهيم بقتل بزرجشنس أخى الدّرّىّ ، ودُعى بالدرّىّ فمدّ يده فقُطعت من مرفقه ، ومُدّت رجله فقطعت من الركبة ؛ وكذا باليد الأخرى والرّجل الأخرى ، فقعد الدرّى على استه ؛ ولم يتكلم ولم يتزعزع ، فأمر بضرب عنقه . وظفر محمد بن إبراهيم بأصحاب الدرّى فحملهم مكبّلين . ٣/١٣٠٠

* * *

وفى هذه السنة ولّى جعفر بن دينار اليمن .

وفيها تزوّج الحسن بن الأفشين أترنجة بنت أشناس ، ودخل بها فى العمرىّ ، قصر المعتصم فى جُمادى الآخرة ، وأحضر عرسها عامة أهل سامرّا فحُدِّثت أنهم كانوا يغلّفُون[2] العامة فيها بالغالية[3] فى تغار[3] من فضة ، وأن المعتصم كان يباشر بنفسه تفقّد من حضرها . ٣/١٣٠١

وفيها امتنع عبد الله الورْثانىّ بورْثان .

* * *

(١) ف : « وكان » .

(٢) يغلفون : يطيبون ، والغالية : نوع من الطيب .

(٣) فى القاموس : « التيغار : الإجانة » ، ولعل التغار لغة فيه .

[ذكر الخبر عن خلاف منكجور الأشروسنىّ]

وفيها خالف مَنكجور الأشْرُوسنى قرابة الأفشين بأذْرَبيجان .

* ذكر الخبر عن سبب خلافه :

ذُكر أنّ الأفشين عند فراغه من أمر بابك ومنصَرفه من الجبال ولىّ أذْرَبيجان — وكانت من عمله — واليه مَنكجورَ هذا ، فأصاب فى قرية بابك فى بعض منازله مالا عظيماً ، فاحتجنه لنفسه ؛ ولم يعلم به الأفشين ولا المعتصم ؛ وكان على البريد بأذْرَبيجان رجل من الشيعة يقال له عبد الله بن عبد الرحمن ؛ فكتب إلى المعتصم بخبر ذلك المال ، وكتب مَنْكجور يكذب ذلك ؛ فوقعت المناظرة بين مَنْكجور وعبد الله بن عبد الرحمن ؛ حتى همّ منكجور بقتل عبد الله بن عبد الرحمن ، فاستغاث عبد الله بأهل أردبيل ، فمنعوه مما أراد به مَنْكجور ؛ وبلغ ذلك المعتصم ، فأمر الأفشين أن يوجّه رجلا من قبَله بعزل منكجور ، فوجّه رجلاً من قُوّاده فى عسكر ضخم ؛ فلما بلغ مَنكجور ذلك ، خلع وجمع إليه الصعاليك ، وخرج من أردبيل ، فرآه القائد فواقعه ، فانهزم مَنكجُور ، وصار إلى حصن من حصون أذْرَبيجان — التى كان بابك أخربها — حَصِينٍ فى جبل منيع ، فبناه وأصلحه ، وتحصّن فيه ؛ فلم يلبث إلا أقلّ من شهر حتى وثب به أصحابه الذين كانوا معه فى الحصن ، فأسلموه ودفعوه إلى القائد الذى كان يحاربه ؛ فقدم به إلى سامرّا[1] ، فأمر المعتصم بحبسه ، فاتُّهم الأفشين فى أمره . ١٣٠٢/٣

وقيل: إن القائد الذى وُجّه لحرب مَنْكجور هذا كان بُغا الكبير .

وقيل : إنّ بغا لمّا لقى مَنكجور خرج مَنكجور إليه بأمان .

وفيها مات ياطس الرومىّ ، وصُلب بسامرّا إلى جانب بابك .

وفيها مات إبراهيم بن المهدىّ فى شهر رمضان وصلّى عليه المعتصم .

وحجّ بالناس فى هذه السنة محمد بن داود .

---

(١) ا : « سر من رأى » .

ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومائتين

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

فمن ذلك كان قدوم الورْثانىّ على المعتصم فى المحرّم بالأمان .

وفيها قدم بُغا الكبير بمنكجور سامرّا .

وفيها خرج المعتصم إلى السّن ، واستخلف أشناس .

وفيها أجلس المعتصم أشناس على كرسىّ ، وتوّجه ووشّحه فى شهر ربيع الأول .

وفيها أحرق غنّام المرتدّ .

وفيها غضب المعتصم على جعفر بن دينار ، وذلك من أجل وُثوبه على مَنْ كان معه من الشاكريّة[١] ، وحبسه عند أشناس خمسة عشر يوماً ، وعزله عن اليمن ، وولاّها إيتاخ ، ثم رضى عن جعفر ١٣٠٣/٣

وفيها عُزل الأفشين عن الحرس ووليه إسحاق بن يحيى بن معاذ .

وفيها وجّه عبد الله بن طاهر بمازيار ، فخرج إسحاق بن إبراهيم إلى الدّسْكرة ؛ فأدخله سامرّا فى شوال ، وأمر بحمله على الفيل ، فقال محمد بن عبد الملك الزيات :

قد خُضِبَ الفيلُ كعاداتِهِ   يحملُ جيلانَ خُرَاسانِ
والفيلُ لا تخضَبُ أعضاؤهُ   إلا لِذِى شأْنٍ من الشانِ

فأبى مازيار أن يركب الفيل ، فأُدخِلَ على بغْل بإكاف ، فجلس المعتصم فى دار العامة ، لخمس ليال خلوْن من ذى القعدة ، وأمر فجمع بينه وبين الأفشين ؛ وقد كان الأفشين حُبِس قبل ذلك بيوم ، فأقرّ المازيار أنّ

(١) الشاكرية : الأجراء .

الأفشين كان يكاتبه، ويصوّب له الخلاف والمعصية[١]، فأمر بردّ الأفشين إلى محبسه، وأمر بضرب مازيار، فضرب أربعمائة سوط وخمسين سوطاً، وطلب ماء فسُقِيَ، فمات من ساعته.

* * *

[ذكر الخبر عن غضب المعتصم على الأفشين وحبسه]

وفيها غضب المعتصم على الأفشين فحبسه.

* ذكر الخبر عن سبب غضبه عليه وحبسه إياه :

ذكر أن الأفشين كان أيّام حربه بابك ومُقامه بأرض الخرّميّة؛ لا يأتيه هدية من أهل إرمينيَة إلا وجّه بها إلى أشْروسَنَة، فيجتاز ذلك بعبد الله بن طاهر، فيكتب عبد الله إلى المعتصم بخبره؛ فكتب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر يأمر بتعريف جميع ما يوجّه به الأفشين من الهدايا إلى أشْروسنة؛ ففعل عبد الله بذلك؛ وكان الأفشين كلّما تهيّأ عنده مال حمّله أوساط أصحابه من الدنانير والهمايين بقدْر طاقتهم؛ كان الرجل يحمل من الألف فما فوقه من الدنانير في وسطه؛ فأخبر عبد الله بذلك؛ فبينا هو في يوم من الأيام، وقد نزل رُسل الأفشين معهم الهدايا نيسابور وجّه إليهم عبد الله بن طاهر، وأخذهم ففتّشهم، فوجد في أوساطهم همايين، فأخذها منهم، وقال لهم: من أين لكم هذا المال؟ فقالوا: هذه هدايا الأفشين؛ وهذه أمواله. فقال: كذبتم؛ لو أراد أخي الأفشين أن يرسل بمثل هذه الأموال لكتب إليّ يُعلمني ذلك لآمر بحراسته وبَذْرَقته[٢]؛ لأن هذا مال عظيم؛ وإنما أنتم لصوص. فأخذ عبد الله بن طاهر المال، وأعطاه الجند قبَله، وكتب إلى الأفشين يذكر له ما قال القوم، وقال: أنا أنكر أن تكون وجّهتَ بمثل هذا المال إلى أشْروسنة، ولم تكتب إليّ تعلمني لأبَذْرقه؛ فإن كان هذا المال ليس لك فقد أعطيتَه الجند مكان المال الذي يوجّهه إليّ أمير المؤمنين في كلّ سنة، وإن كان المال لك – كما زعم القوم. فإذا جاء المال من قِبَل أمير المؤمنين رددته إليك؛ وإن يكن غير ذلك[٣] فأمير المؤمنين أحقّ بهذا المال؛ وإنما دفعته إلى الجند

٣/١٣٠٤ ٣/١٣٠٥

(١) س: «في المعصية». (٢) البذرقة: الخفارة. (٣) ف: «هكذا».

لأنى أريد أن أوجّهَهم إلى بلاد التّرك .

فكتب إليه الأفشين يعلمه أن مالَه ومال أمير المؤمنين واحد ، ويسأله إطلاق القوم ليمضوا إلى أشروسنة ؛ فأطلقهم عبدُ الله بن طاهر ، فمضوا ؛ فكان ذلك سبب الوحشة بين عبد الله بن طاهر وبين الأفشين .

ثم جعل عبد الله يتتبّع عليه ، وكان الأفشين يسمع أحيانًا من المعتصم كلامًا يدلّ على أنه يريد أن يعزل آل طاهر عن خراسان ، فطمِع الأفشين فى ولايتها ، فجعل يكاتب مازيار ، ويبعثه على الخلاف ، ويضمَن له القيام بالدّفْع عنه عند السلطان ؛ ظنًّا منه أن مازيار إن خالف احتاج المعتصم إلى أن يوجّهه لمحاربته ، ويعزل عبد الله بن طاهر ويولّيه خراسان ؛ فكان من أمر مازيار ما قد مضى ذكره .

وكان من أمر منكجور بأذْرَبيجان ما قد وصفنا قبل . فتحقّق عند المعتصم — بما كان من أمر الأفشين ومكاتبته مازيار بما كان يكاتبه به — ما كان اتهمه به من أمر مَنْكجور ؛ وأنّ ذلك كان عن رأى الأفشين وأمْره إياه به ، فتغيّر المعتصم للأفشين لذلك ؛ وأحسّ الأفشين بذلك ، وعلم تغيُّر حاله عنده ، فلم يَدْرِ ما يصنع ، فعزم — فيما ذكر — على أن يهيّئ أطوافًا فى قصره ، ويحتال فى يوم شغل المعتصم وقوّاده أن يأخذ طريق الموصل ، ويعبر الزاب على تلك الأطواف ؛ حتى يصير إلى بلاد أرمينيَة ، ثم إلى بلاد الخزَر ، فعسر ذلك عليه ، فهيّأ سمًّا كثيرًا ، وعزم على أن يعمل طعامًا ويدعو المعتصم وقُوّاده فيسقيهم[1] ؛ فإن لم يجبه المعتصم استأذنه فى قوّاد الأتراك ، مثل أشناس وإيتاخ وغيرهم فى يوم تشاغل أمير المؤمنين ، فإذا صاروا إليه أطعمهم وسقاهم وسمّهم ؛ فإذا انصرفوا من عنده خرج من أوّل الليل ، وحمل تلك الأطواف والآلة التى يعبرُ بها على ظهور الدوابّ حتى يجىء إلى الزّاب فيعبر بأثقاله على الأطراف ، ويعبُر الدوابُّ سباحةً كما أمكنه ، ثم يرسل الأطواف حتى يعبُر فى دِجْلة ، ويدخل هو بلاد أرمينيَة ؛ وكانت ولاية أرمينيَة إليه ، ثم

١٣٠٦/٣

(١) ف : « فيطعمهم » .

يصير هو إلى بلاد الخزر مستأمناً ، ثم يدور من بلاد الخزر إلى بلاد الترك ، ويرجع من بلاد الترك إلى بلاد أشروسنة ، ثم يستميل الخزر على أهل الإسلام ؛ فكان فى تهيئة ذلك ، وطال به الأمر فلم يمكنه ذلك .

وكان قوّاد الأفشين ينوبون فى دار أمير المؤمنين كما ينوبُ القوّاد ؛ فكان واجن الأشروسنىّ قد جرى بينه وبين من قد اطّلع على أمر الأفشين حديث ؛ فذكر له واجن أنّ هذا الأمر لا أراه يمكن ولا يتمّ ؛ فذهب ذلك الرجل الذى سمع قول واجن ، فحكاه للأفشين . وسمع بعض من يميل إلى واجن من خدم الأفشين وخاصّته ما قال الأفشين فى واجن ، فلما انصرف واجن من النوبة فى بعض الليل أتاه فأخبره أنْ[1] قد أُلقِىَ ذلك إلى الأفشين ، فحذر[2] واجن على نفسه ، فركب من ساعته فى جوف الليل حتى أتى دار أمير المؤمنين ؛ وقد نام المعتصم ؛ فصار[3] إلى إيتاخ ، فقال : إن لأمير المؤمنين عندى نصيحة ، فقال له إيتاخ : أليس الساعة كنتَ ها هنا! قد نام أمير المؤمنين . فقال له واجن : ليس يمكننى أن أصبر إلى غد ، فدقّ إيتاخ الباب على بعض من يُعلم المعتصم بالذى قال واجن ، فقال المعتصم : قل له ينصرف الليلة إلى منزله ، ويبكّر علىّ فى غد . فقال واجن : إن انصرفتُ الليلة ذهبت نفسى ، فأرسل المعتصم إلى إيتاخ : بيّتْه الليلة عندك . فبيته إيتاخ عنده ؛ فلما أصبح بكّر به مع صلاة الغداة ، فأوصله إلى المعتصم ، فأخبره بجميع ما كان عنده ؛ فدعا المعتصم محمد بن حماد بن دَنْقَش الكاتب ، فوجّهه يدعو الأفشين ، فجاء الأفشين فى سواد ، فأمر المعتصم بأخذ سواده ، وحبسه ، فحبس فى الجوسق ؛ ثم بنى له حبساً مرتفعاً ، وسمّاه لؤلؤة داخل الجوسق ، وهو يعرف إلى الآن بالأفشين .

٣/١٣٠٧

وكتب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر فى الاحتيال للحسن بن الأفشين — وكان الحسن قد كثرت كتبه إلى عبد الله بن طاهر فى نوح بن أسد — يعلمه تحامله على ضياعه وناحيته ، فكتب عبد الله بن طاهر إلى نوح بن أسد يعلمه ما كتب به أمير المؤمنين فى أمره ، ويأمره بجمع أصحابه والتأهّب له ؛ فإذا قدم عليه الحسن ابن الأفشين بكتاب ولايته استوثَق منه ، وحمله إليه . فكتب عبد الله بن طاهر

٣/١٣٠٨

(١) ا ، س : « أنه » . (٢) س : « فحذروا » . (٣) ف : « فصاح » .

إلى الحسن بن الأفشين يُعلمه أنه عزل نوح بن أسد، وأنه قد ولاّه الناحية، ووجّه إليه بكتاب عزل نوح بن أسد.

فخرج الحسن بن الأفشين فى قلّة من أصحابه وسلاحه؛ حتى ورد على نوح بن أسد، وهو يظنّ أنه والى الناحية، فأخذه نوح بن أسد، وشدّه وثاقاً. ووجّه به إلى عبد الله بن طاهر، فوجه به عبد الله إلى المعتصم. وكان الحبس الذى بُنِي للأفشين شبيهاً بالمنارة، وجعل فى وسطها مقدار مجلسه؛ وكان الرجال ينوبون تحتها كما تدور.

وذُكِر عن هارون بن عيسى بن المنصور، أنه قال: شهدت دار المعتصم وفيها أحمد بن أبى دُواد وإسحاق بن إبراهيم بن مصعب ومحمد بن عبد الملك الزيات، فأُتِيَ بالأفشين ولم يكن بعد فى الحبس الشديد، فأحضِر قوم من الوجوه لتبكيت الأفشين بما هو عليه، ولم يترك فى الدار أحدٌ من أصحاب المراتب إلا ولد المنصور، وصُرِف الناس.

وكان المناظر له محمّد بن عبد الملك الزيات، وكان الذين أحضِرُوا المازيار صاحب طبرستان والموْبذ والمرزبان بن تركش — وهو أحد ملوك السُّغد — ورجلان من أهل السُّغد؛ فدعا محمد بن عبد الملك بالرَّجُلين، وعليهما ثياب رثة، فقال لهما محمد بن عبد الملك: ما شأنكما؟ فكشفا عن ظهورهما وهى عارية من اللّحْم، فقال له محمد: تعرف هذين؟ قال: نعم؛ هذا مؤذن، وهذا إمام؛ بنَيا مسجداً بأشْروسَنة، فضربتُ[1] كلّ واحد منهما ألف سوط؛ وذلك أن بينى وبين ملوك السُّغد عهداً وشرطاً، أن أترك كلّ قوم على دينهم وما هم عليه؛ فوثب هذان على بيت كان فيه أصنامهم — يعنى أهل أشروسنة — فأخرجا الأصنام، واتّخذاه مسجداً، فضربتهما على هذا ألفاً ألفاً لتعدّيهما، ومنعهما القوم من بيعتهم[2]. فقال له محمد: ما كتاب عندك قد زيّنْتَه بالذهب والجواهر والديباج، فيه الكفر بالله؟ قال: هذا كتاب ورِثْتُه عن أبى، فيه أدب من آداب العجم؛ وما ذكرت من الكفر؛ فكنت أستمتع منه بالأدب[3]، وأترك ما سوى ذلك، ووجدتُه محلى، فلم تضطرنى الحاجة إلى

١٣٠٩/٣

(١) ف: «فضرب». (٢) ا: «بيتهم».
(٣) ف: «أستمع منه الأدب».

أخذ الحلية منه؛ فتركته على حاله ؛ ككتاب كليلة ودمنة وكتاب مَزْدَك في منزلك ؛ فما ظننت أن هذا يخرج من الإسلام .

قال : ثم تقدم الموْبذ ، فقال : إن هذا كان يأكل المخنوقة ، ويحملني على أكلها ، ويزعم أنها أرطب لحماً من المذبوحة ؛ وكان يقتل شاة سوداء كلّ يوم أربعاء [١] ، يضرب وسطها بالسَّيف يمشي بين نصفيها ويأكل لحمها .
٣/١٣١٠ وقال لي يوماً : إني قد دخلت لهؤلاء القوم في كلّ شيء أكرهه ؛ حتى أكلتُ لهم الزيت وركبت الجمل [٢] ، ولَبِسْتُ النعل ؛ غير أني إلى هذه الغاية لم تسقط عني شعرة — يعني لم يَطَّلِ [٣] ولم يختتن .

فقال الأفشين : خبّروني عن هذا الذي يتكلم بهذا الكلام ، ثقةٌ هو في دينه ؟ —وكان الموْبذ مجوسيًّا أسلم بعدُ على يد المتوكل ونادمه— قالوا : لا ، قال : فما معنى قبولكم شهادة [٤] مَنْ لا تثقون به ولا تعدّلونه ! ثم أقبل على الموبذ ، فقال : هل كان بين منزلي ومنزلك باب أو كوّة تطلع عليّ منها وتعرف [٥] أخباري منها ؟ قال : لا ، قال : أفليس كنت أدخلك إليّ وأبثك سري وأخبرك بالأعجمية وميلي إليها وإلى أهلها ؟ قال : نعم ، قال : فلستَ بالثقة في دينك ولا بالكريم في عهدك ؛ إذا أفشيت عليّ سرًّا أسررتُه إليك .

ثم تنحّى الموبذ ، وتقدّم المرزبان بن تركش ، فقالوا للأفشين : هل تعرف هذا ؟ قال : لا ، فقيل للمرزبان : هل تعرف هذا ؟ قال : نعم ، هذا الأفشين ، قالوا له : هذا المرزبان ، فقال له المرزبان : يا مُمَخْرِق ، كم تدافع وتموّه ! قال له الأفشين : يا طويلَ اللحية ، ما تقول ؟ قال : كيف يكتب إليك أهل مملكتك ؟ قال : كما كانوا يكتبون إلى أبي وجدي . قال : فقل ، قال : لا أقول ، فقال المرزبان : أليس يكتبون إليك بكذا وكذا
٣/١٣١١ بالأشروسنية ؟ قال : بلى ، قال : أفليس تفسيره بالعربية «إلى إله الآلهة من

---

(١) س : « أربعة » . (٢) س : « لهم الخيل » .
(٣) س : ابن الأثير : « أخذ شعر العانة » . (٤) ف : « شهادته » .
(٥) س : « أو تعرف » .

عبده فلان بن فلان» ، قال : بلى ! قال محمد بن عبد الملك : والمسلمون يحتملون أن يقال لهم هذا ! فما بقّيت لفرعون حين قال لقومه : ﴿أنا رَبُّكُمُ الأعْلَى﴾[1] ! قال : كانت هذه عادة القوم لأبى وجدّى ، ولى قبل أن أدخل فى الإسلام ، فكرهت أن أضع نفسى دونهم فتفسد علىّ طاعتهم . فقال له إسحاق بن إبراهيم بن مصعب : ويحك يا خيذر[2] ! كيف تحلف بالله لنا فنصدّقك ونصدق يمينك ونُجريك مجرى المسلمين ، وأنت تدّعى ما ادّعى فرعون ! قال : يا أبا الحسين ؛ هذه سورة قرأها عُجيف على علىّ بن هشام ، وأنت تقرؤها علىّ ، فانظر غداً من يقرؤها عليك !

قال : ثم قدّم مازيار صاحب طبرستان ، فقالوا للأفشين : تعرف هذا ؟ قال : لا ، قالوا للمازيار : تعرف هذا ؟ قال : نعم ، هذا الأفشين ، فقالوا له : هذا المازيار ؟ قال : نعم ، قد عرفتُه الآن ، قالوا : هل كاتبته ؟ قال : لا ، قالوا للمازيار : هل كتب إليك ؟ قال : نعم ، كتب أخوه خاش إلى أخى قوهيار ؛ أنه لم يكن ينصر هذا الدّين الأبيض غيرى وغيرُك وغير بابك ؛ فأما بابك فإنه بحمْقه قتيلُ نفسه ، ولقد جهدت أن أصرف عنه الموت[3] فأبى حمقه[4] إلا أن دلاّه فيما وقع فيه ، فإن خالفت لم يكن للقوم مَنْ يرمُونك ١٣١٢/٣ به غيرى ومعى الفرسان وأهل النجدة والبأس ؛ فإن وجّهت إليه لم يبق أحد يحاربنا إلا ثلاثة : العرب ، والمغاربة ، والأتراك ، والعربىّ بمنزلة الكلب اطرحْ له كسرة ثم اضرب رأسه بالدّبوس ؛ وهؤلاء الذّباب — يعنى المغاربة — إنما هم أكَلَة رأس ، وأولاد الشياطين — يعنى الأتراك — فإنما هى ساعة حتى تنفد سهامُهم ، ثم تجول الخيل عليهم جولة فتأتى على آخرهم ؛ ويعود الدين إلى ما لم يزل عليه أيام العجم . فقال الأفشين : هذا يدّعى على أخيه وأخى[5] دعوى لا تجب علىّ ، ولو كنت كتبت بهذا الكتاب إليه لأستميله إلىّ ويثق بناحيتى كان غير مستنكَر ؛ لأنى إذا نصرتُ الخليفة بيدى ، كنتُ بالحيلة أحرَى أن أنصره لآخذ بقفاه ، وآتى به الخليفة لأحظَى به عنده ، كما حظىَ

---

(١) سورة النازعات ٢٤ .
(٢) ط : «حيدر» .
(٣) س : «الموت عنه» .
(٤) ابن الأثير : «لحمقه» .
(٥) ف : «علىّ وعلى أخيه» .

به عبد الله بنُ طاهر عند الخليفة . ثم نحّى المازيار .

ولما قال الأفشين للمرزبان التركَشيّ ما قال، وقال لإسحاق بن إبراهيم ما قال ، زجر ابن أبى دواد الأفشين ، فقال له الأفشين : أنت يا أبا عبد الله ترفع طيلسانك بيدك ، فلا تضعه على عاتقك حتى تقتل به جماعة ، فقال له ابن أبى دواد : أمطهّر أنت ؟ قال : لا ، قال : فما منعك من ذلك ، وبه تمام الإسلام ، والطهور من النجاسة ! قال : أوَ ليس فى دين الإسلام استعمال التقيّة ؟ قال : بلى ، قال : خفت أن أقطع ذلك العضو من جسدى فأموت ، قال : أنت[1] تطعن بالرمح ، وتضرب بالسيف ، فلا يمنعك ذلك من أن تكون فى الحرب وتجزع[2] من قطع قُلفة ! قال : تلك ضرورة تعنينى فأصبر عليها إذا وقعتْ ؛ وهذا شىء أستجلبه فلا آمنُ معه خروج نفسى ، ولم أعلم أن فى تركها الخروجَ من الإسلام ، فقال ابن أبى دواد : قد بان لكم أمره يا بغا — لبغا الكبير أبى موسى التركىّ — عليك به ! ١٣١٣/٣

قال : فضرب بيده بغا على منطقته فجذَبها ، فقال قد كنت أتوقّع هذا منكم قبل اليوم ، فقلَب بغا ذَيْل القَباء على رأسه ، ثم أخذ بمجامع القَباء من عند عنقه ، ثم أخرجه من باب الوزيرىّ إلى محبسه .

* * *

وفى هذه السنة حمل عبد الله بن طاهر الحسن بن الأفشين وأترنجة بنت أشناس إلى سامرّا .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة محمد بن داود .

---

(١) ف : « أن تطعن ».

(٢) ف : « وتفزع ».

ثم دخلت سنة ست وعشرين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[خبر وثوب علىّ بن إسحاق برجاء بن أبى الضحاك]

فمن ذلك ما كان فيها من وثوب علىّ بن إسحاق بن يحيى بن معاذ — وكان على المعونة بدمشق من قبل صول أرتكين — برجاء بن أبى الضحاك ؛ وكان على الخراج ، فقتله ، وأظهر الوسواس ، ثم تكلم أحمد بن أبى دواد فيه ، فأطلق من محبسه ؛ فكان الحسن بن رجاء يلقاه فى طريق سامرّا ، فقال البحترىّ الطائىّ : ٣/١٣١٤

عَفَا علىٌّ بن إسحاق بفتكَتِهِ ... على غرَائِب تِيهٍ كُنَّ فى الحسَنِ[1]
أنْسَتهُ تَنقِيعَهُ فى اللفظ نازلةٌ ... لم تُبقِ فيه سوى التسليمِ للزمن
فلم يكن كابنِ حُجْرٍ حين ثار ولا ... أخى كليبٍ ولا سيفِ بن ذى يزنِ
ولم يُقَلْ لك فى وِترٍ طلبتَ به ... تلك المكارمُ لا قَعْبانِ من لَبنِ

* * *

وفيها مات محمد بن عبدالله بن طاهر بن الحسين ، فصلّى عليه المعتصم فى دار محمد .

* * *

[ذكر الخبر عن موت الأفشين]

وفيها مات الأفشين .

* ذكر الخبر عن موته وما فُعل به عند موته و بعده :

ذكر عن حمدون بن إسماعيل ، أنه قال : لما جاءت الفاكهة الحديثة ، جمع المعتصم من الفواكه الحديثة فى طَبَق ، وقال لابنه هارون الواثق : اذهب

(١) ديوانه ٢ : ٣٠٣ .

بهذه الفاكهة بنفسك إلى الأفشين ، فأدخلها إليه . فحملت مع هارون الواثق
٣/١٣١٥ حتى صعد بها إليه فى البناء الذى بُنى له الذى يسمى لؤلؤة ؛ فحُبس فيه ؛
فنظر إليه الأفشين ، فافتقد بعضَ الفاكهة ؛ [1] إما الإجاص وإما الشاهلوج ؛
فقال للواثق [1] : لا إله إلا الله ، ما أحسنه من طبق ، ولكن ليس لى فيه إجّاص
ولا شاهلوج ! فقال له الواثق : هو ذا [2] ، انصرف أوجّهه به إليك [3] ، ولم
يمسّ من الفاكهة شيئاً ؛ فلما أراد الواثق الانصراف قال له الأفشين : أقرئ
سيدى السلام ، وقل له : أسألك أن توجّه إلىّ ثقة من قبَلك يؤدى عنى ما أقول ،
فأمر المعتصم حمدون بن إسماعيل — وكان حمدون فى أيام المتوكل فى حبس
سليمان بن وهب فى حبس الأفشين هذا ؛ فحدّث بهذا الحديث وهو فيه :

قال حمدون : فبعث بى المعتصم إلى الأفشين ، فقال لى : إنه سيُطَوِّلُ
عليك فلا تحتبس . قال : فدخلت عليه ، وطبق الفاكهة بين يديه لم يمسّ
منه واحدةً فما فوقها ، فقال لى : اجلس ، فجلست فاستمالنى بالدهقنة ،
فقلت : لا تُطوّل ؛ فإن أمير المؤمنين قد تقدم إلىّ ألاّ أحتبس عندك ، فأوجزْ .
فقال : قل لأمير المؤمنين ؛ أحسنتَ إلىّ وشرّفتَنى ، وأوطأت الرّجال عَقِبى ،
ثم قبلْتَ [4] فىّ كلاماً لم يتحقّق عندك ؛ ولم تتدبّرْه بعقلك ؛ كيف يكون
هذا ، وكيف يجوز لى أن أفعل هذا الذى بلغك ! تخبَر بأنى دَسستُ إلى
مَنكجور أن يخرج ، وتقبله ، وتخبَر أنى قلت للقائد الذى وجهته إلى مَنكجور :
لا تحاربه ، واعذِرْ ، وإن أحسست بأحد منا فانهزم من بين يديه ؛ أنت
٣/١٣١٦ رجل قد عرفتَ الحرب ، وحاربت الرجال ، وسُسْتَ العساكر [5] ؛ هذا يمكن
رأس عسكر يقول لجند يلقون قوماً : افعلوا كذا وكذا ؛ هذا ما لا يسوغ لأحد
أن يفعله ؛ ولو كان هذا يمكن ما كان ينبغى أن تقبله من عدوّ قد عرفت
سببه ؛ وأنت أوْلى بى ، إنما أنا عبد من عبيدك ، وصنيعك [6] ؛ ولكن مثَلى
ومثلك يا أمير المؤمنين مثَل رجل ربّى عِجْلا له حتى أسمنه وكَبِر ، وحسنت

(١ – ١) ف : « فقال : ما أرى فيه إجاص ولا شاهلوج ، فقال الواثق » .
(٢) ف : « هوهذا » . (٣) ف : « فأوجه لك » .
(٤) ف : « سمعت » . (٥) ف : « ودبرت العساكر دستها » .
(٦) ف : « وصنيعتك » .

حالـه ، وكان له أصحاب اشتهوا أن يأكلوا من لحمه ، فعرّضوا له بذبح العِجْل فلم يجبهم إلى ذلك ، فاتفقوا جميعاً على أن قالوا له ذات يوم : ويحك ! لمَ تُربّى هذا الأسد ؟ هذا سبُع ، وقد كبر ، والسَّبُع إذا كبر يرجع إلى جنسه ! فقال لهم : ويحك هذا عجل بقر ، ما هو سبع ، فقالوا : هذا سبع ؛ سلْ مَنْ شئت عنه ؛ وقد تقدموا إلى جميع من يعرفونه ، فقالوا له : إن سألكم عن العِجْل ، فقولوا له : هذا سبع ؛ فكلما سأل الرّجل إنساناً عنه ، وقال له : أما ترى هذا العِجْل ما أحسنه ! قال الآخر : هذا سبع ؛ هذا أسد ، ويحك ! فأمر بالعجل فذُبح ؛ ولكنى أنا ذلك العِجْل ، كيف أقدر أنْ أكون أسداً ! الله الله فى أمرى ؛ اصطنعتَنى وشرّفتَنى وأنت سيدى ومولاى ، أسأل الله أن يعطف[1] بقلبك علىّ .

قال حمدون : فقمت فانصرفت ، وتركت الطّبق على حاله لم يمسّ منه شيئاً ، ثم ما لبثنا إلا قليلا ؛ حتى قيل : إنه يموت أو قد مات ؛ فقال المعتصم : أروه ابنَه ، فأخرجوه فطرحوه بين يديه ، فنتف لحيتَه وشعرَه ، ثم أمر به فحمل إلى منزل إيتاخ .

١٣١٧/٣

قال : وكان أحمد بن أبى دواد دعا به فى دار العامة من الحبس ، فقال له : قد بلغ أمير المؤمنين أنك يا خيدر[2] ، أقلف ، قال : نعم ، وإنما أراد ابن أبى دواد أن يشهد عليه ؛ فإن تكشّف نُسب إلى الخرَع ؛ وإنْ لم يتكشف صحّ عليه أنه أقلف ، فقال : نعم ، أنا أقلف ؛ وحضر الدار ذلك اليوم جميع القوّاد والناس ؛ وكان ابن أبى دواد أخرجه إلى دار العامّة قبل مصير الواثق إليه بالفاكهة ، وقبل مصير حمدون بن إسماعيل إليه .

قال حمدون : فقلت له : أنت أقلف كما زعمت ؟ فقال الأفشين : أخرجنى إلى مثل ذلك الموضع ، وجميع القواد والناس قد اجتمعوا ، فقال لى ما قال ؛ وإنما أراد أن يفضحنى ؛ إن قلت له : نعم[3] لم يقبل قولى ، وقال لى : تكشّف ، فيفضحنى بين الناس ؛ فالموت كان أحبّ إلىّ من أن أتكشف

(١) ف : « قلبك » .
(٢) ط : « حيدر » .
(٣) ا : « إن قلت له : لا » .

بين أيدى الناس ؛ ولكن يا حمدون إن أحببتَ أن أتكشّف بين يديك حتى ترانى فعلتُ ؛ قال حمدون : فقلت له : أنت عندى صدُوق ؛ وما أريد أن تكشّف .

فلما انصرف حمدون فأبلغ المعتصم رسالتَه ، أمر بمنع الطعام منه إلاّ القليل ؛ فكان يدفع إليه فى كلّ يوم رغيف حتى مات ؛ فلما ذُهِب به بعد موته إلى دار إيتاخ ، أخرجوه فصلبُوه على باب العامّة ليراه الناس ، ثم طُرِح بباب[1] العامة مع خشبته ؛ فأحرِق وحُمِل الرّماد ، وطرح[2] فى دِجْلة . ١٣١٨/٣

وكان المعتصم حين أمر بحبسه وجّه سليمان بن وهب الكاتب يحصى جميع ما فى دار الأفشين ويكتُبه فى ليلة[3] من الليالى ، وقصر الأفشين بالمطيرة ، فوُجِد فى داره بيت فيه تمثال إنسان من خشب ، عليه حلية كثيرة وجوهر ، وفى أذنيه حجران أبيضان مشتبكان ؛ عليهما ذهب ، فأخذ بعض مَنْ كان مع سليمان أحد الحجرين ؛ وظنّ أنه جوهر له قيمة ؛ وكان ذلك ليلاً ؛ فلما أصبح ونزع عنه شباك الذّهب ، وجده حجراً شبيهاً بالصّدَف الذى يسمى الحبرون ، من جنس الصّدَف الذى يقال له البوق ، من صدف أخرج من منزله صُوَر السماجة وغيرها وأصنام وغير ذلك ، والأطواف والخشب التى كان أعدّها ؛ وكان له متاع بالوزيريّة ، فوُجد فيه أيضًا صنم آخر ، ووجدوا فى كتبه كتابًا من كتب المجوس يقال له زراوه وأشياء كثيرة من الكُتب ؛ فيها ديانته التى كان يدين بها ربه .

وكان موت الأفشين فى شعبان من سنة ست وعشرين ومائتين .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة محمد بن داود بأمر أشناس ؛ وكان أشناس حاجًّا فى هذه السنة ، فولّى كل بلدة يدخلها فدُعى له على جميع المنابر التى

(١) ف : « على باب » .
(٢) ف : « فطرح » .
(٣) ف : « ويكتبه ليلة » .

مرّ بها من سامرّا إلى مكة والمدينة .

وكان الذى دعا له على منبر الكوفة محمد بن عبد الرحمن بن عيسى بن موسى ، وعلى منبر فَيْد هارون بن محمد بن أبى خالد المرورُّوذىّ ، وعلى منبر المدينة محمد بن أيوب بن جعفر بن سليمان ، وعلى منبر مكة محمد بن داود بن عيسى بن موسى ، وسُلّم عليه فى هذه الكُور كلها بالإمارة ، وكانت له ولايتها إلى أن رجع إلى سامرّا .

١٣١٩/٣

ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر خروج أبى حرب المبرقع]

فمن ذلك ما كان من خروج أبى حرب المُبَرقع اليمانىّ بفلسطين وخلافه على السلطان .

* ذكر الخبر عن سبب خروجه وما آل إليه أمره :

ذَكَرَ لى بعض أصحابى ممن ذكر[1] أنه خبير بأمره، أنّ سبب خروجه على السلطان كان أنّ بعض الجند أراد النزول فى داره وهو غائب عنها ، وفيها إما زوجته وإما أخته ، فمانعتْه ذلك ؛ فضربها بسوط كان معه ؛ فاتّقته بذراعها ، فأصاب السوط ذراعها ، فأثّر فيها ؛ فلما رجع أبو حرب إلى منزله بكت وشكَتْ إليه ما فعل بها ، وأرته الأثر الذى بذراعها من ضَرْبه ؛ فأخذ أبو حرب سيفَه ومشى إلى الجندىّ وهو غارّ ؛ فضربه به حتى قتله ؛ ثم هرب وألبس وجهه برقعًا كى لا يعرف ، فصار إلى جبل من جبال الأردنّ ؛ فطلبه السلطان فلم يُعرف له خبر ؛ وكان أبو حرب يظهر بالنهار فيقعد[2] على الجبل الذى أوى إليه متبرقعًا ؛ فيراه الرائى فيأتيه ، فيذكره ويحرّضه على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ويذكر السلطان وما يأتى إلى الناس ويعيبه ؛ فما زال ذلك دأبه حتى استجاب له قوم من حرّاثى أهل تلك الناحية وأهل القرى ؛ وكان يزعم أنه أموىّ ، فقال الذين استجابوا له : هذا هو السفيانىّ ؛ فلما كثرت غاشيته وتبّاعه من هذه الطبقة من الناس ، دعا أهل البُيوتات من أهل تلك الناحية ؛ فاستجاب له منهم جماعة من رؤساء اليمانية ؛ منهم رجل يقال له ابن بَيْهس ، كان مطاعاً فى أهل اليمن ورجلان آخران من أهل دمشق ، فاتّصل الخبر

١٣٢٠/٣

(١) س : « ذكرنا »

(٢) س : « فيصعد » .

بالمعتصم وهو عليل ؛ علّته التى مات فيها ؛ فبعث إليه رجاء بن أيوب الحضارىّ فى زُهاء ألف من الجند ؛ فلما صار رجاء إليه وجده فى عالم من الناس .

فذكر الذى أخبرنى بقصته أنه كان فى زُهاء مائة ألف ؛ فكره رجاء مواقعته وعسكر بحذائه ، وطاوله ؛ حتى كان أوّل عمارة الناس الأرضين وحِراثتهم ، وانصرف مَنْ كان من الحرّاثين مع أبى حرب إلى الحراثة وأرباب الأرضين إلى أرضيهم[1] ، وبقى أبوحرب فى نفر زُهاء ألفٍ أو ألفين ؛ ناجزه رجاء الحرب ، فالتقى العسكران : عسكر رجاء وعسكر المبرقع ؛ فلما التقوْا تأمل رجاء عسكر المبرقع ، فقال لأصحابه : ما أرى فى[2] عسكره رجلاً له فروسية غيره ، وإنه سيُظهر لأصحابه من نفسه بعض ما عنده من الرُّجلة[3] ؛ فلا تعجلوا عليه . قال : وكان الأمر كما قال رجاء ؛ فما لبث المبرقَع أن حمل على عسكر رجاء ، فقال رجاء لأصحابه : أفرجوا له ؛ فأفرجوا له ؛ حتى جاوزهم ثم كرّ راجعًا ، فأمر رجاء أصحابَه أن يُفرجوا له ، فأفرجوا له حتى جاوزهم ، ورجع إلى عسكر نفسه ؛ ثم أمهل رجاء ، وقال لأصحابه : إنه سيحمل عليكم مرّة أخرى ، فأفرِجوا له ؛ فإذا أراد الرجوع فحولوا بينه وبين ذلك ، وخُذُوه . ففعل المبرقع ذلك ، فحمل على أصحاب رجاء ، فأفرجوا له حتى جاوزهم ، ثمّ كرّ راجعًا فأحاطوا به ؛ فأخذوه فأنزلوه عن دابته . ١٣٢١/٣

قال : وقد كان قدم على رجاء حين ترك معاجلة المبرقَع الحرب من قِبَل المعتصم مستحثٌّ ، فأخذ الرسول فقيّده إلى أن كان من أمره ، وأمر أبى حرب ما كان مما ذكرنا ، ثم أطلقه .

قال : فلما كان يوم قدوم رجاء بأبى حرب على المعتصم ، عزله المعتصم على ما فعل برسوله ، فقال له رجاء : يا أمير المؤمنين ؛ جعلنى الله فداك ! وجّهتَنى فى ألف إلى مائة ألف ؛ فكرهت أن أعاجله فأهلِك ويهلك مَنْ معى ، ولا نغنى شيئًا ؛ فتمهّلت حتى خفّ مَنْ معه ، ووجدت فرصة ،

---

(١) ف : « وأرباب الأرض إلى أرضهم » .

(٢) ف : « من عسكره » . (٣) الرجلة : القوة والشجاعة ، وفى ا : « الرجالة » .

ورأيت لحربه وجهًا وقياماً ؛ فناهضته وقد خفّ مَنْ معه وهو فى ضعف ؛ ونحن فى قُوّة ، وقد جئتك بالرجل أسيراً .

١٣٢٢/٣ قال أبو جعفر : وأما غير من ذكرت أنه حدثنى حديث أبى حرب على ما وصفت ؛ فإنه زعم أن خروجه إنما كان فى سنة ست وعشرين ومائتين بالرّملة ؛ فقالوا : إنه سفيانىّ ، فصار فى خمسين ألفًا من أهل اليمن وغيرهم ، واعتقد ابن بيهس وآخران معه من أهل دِمشق ، فوجّه إليهم ، المعتصم رجاء الحضارىّ فى جماعة كبيرة ، فواقعهم بدمشق ؛ فقتِل من أصحاب ابن بيهس وصاحبيه نحواً من خمسة آلاف ؛ وأخذ ابن بيهس أسيراً ، وقتل صاحبيه ، وواقع أبا حَرْب بالرّملة ، فقتل من أصحابه نحوًا من عشرين ألفًا ، وأسر أبا حرب ، فحمِل إلى سامرّا ، فجعل وابن بيهس فى المطبق .

* * *

وفى هذه السنة أظهر جعفر بن مهرجش الكردىّ الخلاف ، فبعث إليه المعتصم فى المحرّم إيتاخ إلى جبال الموصل لحربه ، فوثب بجعفر بعض أصحابه فقتله .

وفيها كانت وفاة بشر بن الحارث الحافى فى شهر ربيع الأول وأصله من مرْو

* * *

[ذكر الخبر عن وفاة المعتصم والعلّة التى مات بها]

وفيها كانت وفاة المعتصم وذلك — فيما ذكر — يوم الخميس ، فقال بعضهم : لثمانى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول لساعتين مضتا من النهار .

* ذكر الخبر عن العلة التى كانت منها وفاته وقَدْر مدّة عمره وصفته :

١٣٢٣/٣ ذُكر أن بدء علّته أنه احتجم أوّل يوم من المحرم ، واعتلّ عندها ، فذكر عن محمد بن أحمد بن رشيد عن زُنَام الزامر ، قال : قد وجد المعتصم فى علته التى توفى فيها إفاقة ؛ فقال : هيّئوا إلى الزلال لأركب ، فركب وركبت معه ، فمرّ فى دِجْلة بإزاء منازله ، فقال : يا زنام ، ازمر لى :

يا منزلا لم تَبْلَ أطلاله حاشى لأَطلالك أن تَبْلَى
لم أبكِ أطلالك لكنَّنى بَكيْتُ عَيْشى فيك إذ وَلَّى
والعيش أوْلى ما بكاه الْفَتى لا بدَّ للمحزون أن يَسْلَى

قال : فما زلتُ أزمر هذا الصوت حتى دعا برطليّة ، فشرب منها قدحاً وجعلت أزمره وأكرّره ؛ وقد تناول منديلا بين يديه ؛ فما زال يبكى ويمسح دموعه فيه وينتحب ؛ حتى رجع إلى منزله ، ولم يستتمّ شرب الرطليّة .

وذكر عن علىّ بن الجعدانة ، قال : لما احتُضر المعتصم جعل يقول : ذهبت الحيل ليست حيلة ، حتى أُصْمِتَ .

وذكر عن غيره أنه جعل يقول : إنى أخذت من بين هذا الخلق .

وذكر عنه أنه قال : لو علمت أنّ عمرى هكذا قصير ما فعلتُ ما فعلت . فلما مات دُفن بسامُرّا ؛ فكانت خلافته ثمانى سنين وثمانية أشهر ويومين. وقيل : كان مولده سنة ثمانين ومائة فى شعبان. وقيل : كان فى سنة تسع وسبعين ومائة ؛ فإن كان مولده سنة ثمانين ومائة فإنّ عمره كله كان ستًّا وأربعين سنة وسبعة أشهر وثمانية عشر يوماً ، وإنْ كان مولده سنة تسع وسبعين ومائة ؛ فإنّ عمره كان سبعًا وأربعين سنة وشهرين وثمانية عشر يومًا . ١٣٢٤/٣

وكان — فيما ذُكر — أبيض أصهب اللحية طويلها ، مربوعًا مشرَب اللون حمرة ، حسن العينين .

وكان مولده بالخُلْد . وقال بعضهم : وُلد سنة ثمانين ومائة فى الشهر الثامن.

وهو ثامن الخلفاء ، والثامن من ولد العباس ، وعمره كان ثمانياً وأربعين سنة.

ومات عن ثمانية بنين وثمان بنات ، وملك ثمان سنين وثمانية أشهر ، فقال محمد بن عبد الملك الزيات :

قد قلتُ إذ غيَّبوك واصطَفَقَت عليك أيدٍ بالتُّرْب والطينِ
اذهبْ فنِعْم الحَفيظ كنتَ على الدّ نيا ونعم الظهيرُ للدينِ
لا جَبرَ اللهُ أمةً فَقَدَتْ مِثلكَ إلا بمثل هارون

وقال مَرْوان بن أبي الجنوب وهو ابن أبي حفصة :

أبو إسحاقَ ماتَ ضحًى فمتنا وأمسينا بهارون حُيينا

لئن جاءَ الخميسُ بما كرهنا لقد جاءَ الخميسُ بما هوينا

* * *

ذكر الخبر عن بعض أخلاق المعتصم وسيره

ذُكِر عن ابن أبي دواد أنه ذكر المعتصم بالله ، فأسهب في ذكره ، وأكثر في وصفه ، وأطنب في فضله ، وذكَر من سعة أخلاقه وكَرَم[1] أعراقه وطيب مركَبِه ولين جانبه ، وجميل عشرته ؛ فقال : قال لي يوماً ونحن بعمُّوريَّة : ما تقول في البُسْر يا أبا عبد الله ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ؛ نحن ببلاد الروم والبُسر بالعراق ؛ قال : صدقت قد وجَّهت إلى مدينة السلام ، فجاءوا بكِبَاستَيْن ، وعلمت أنك تشتهيه . ثم قال : يا إيتاخ ، هات إحدى الكِبَاستين ، فجاء بكباسة بُسْر ، فمدّ ذراعه ، وقبض عليها بيده ، وقال : كُلْ بحياتي عليك من يدِي ، فقلت : جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين ! بل تضعها فآكل كما أريد ، قال : لا والله إلاّ من يدى ، قال : فوالله ما زال حاسراً عن ذراعه ، ومادًّا يده ، وأنا أجتني من العِذْق ، وآكلُ حتى رمى به خالياً ما فيه بُسرة .

قال : وكنت كثيراً ما أزامله في سفره ذلك ؛ إلى أن قلت له يوماً : يا أمير المؤمنين ، لو زاملك بعضُ مواليك وبطانتك فاسترحتَ مني إليهم مرّة ، ومنهم إليّ مرة أخرى ، كان ذلك أنشط لقلبك ، وأطيب لنفسك ، وأشدّ لراحتك ؛ قال : فإنّ سيما الدمشقي يزاملني اليوم ، فمن يزاملك أنت ؟ قلت : الحسن ابن يونس ، قال : فأنت وذاك . قال : فدعوت الحسن فزاملني . وتهيّأ أن ركب المعتصم بغلا ، فاختار أن يكون منفرداً ، قال : فجعل يسير بسير بعيرى ؛ فإذا أراد أن يكلمني رفع رأسه إليّ ، وإذا أردتُ أن أكلمه خفضت رأسي ؛

(١) ف : « وكريم » .

قال : فانتهينا إلى وادٍ ولم نعرف غَوره ؛ وقد خلّفنا العسكر وراءنا ، فقال ٣/١٣٢٦
لى : مكانَك حتى أتقدّم . فأعرف غَوْر الماء وأطلب قلته ، واتبع أنت موضع
سيرى ، قال : فتقدّم فدخل الوادى ، وجعل يطلب قلة الماء ، فمرّة ينحرف
عن يمينه ، ومرّة ينحرف عن شماله ، وتارة يمشى لسَنَنه ؛ وأنا خلفه متبع لأثره
حتى قطعنا الوادى .

قال : واستخرجت منه لأهل الشاش ألفى ألف درهم لكرْى نهرٍ لهم اندفن
فى صدر الإسلام ؛ فأضرّ ذلك بهم ، فقال لى : يا أبا عبد الله ، مالى ولك ؛
تأخذ مالى لأهل الشاش وفَرْغانة ! قلت : هم رعيّتك يا أمير المؤمنين ، والأقصى
والأدنى فى حُسن نظر الإمام سواءٌ .

وقال غيره : إنه إذا غضب لا يبالى مَن قتل ولا ما فعل .

وذكر عن الفضل بن مروان أنه قال : لم يكن للمعتصم لَذّة فى تزيين
البناء ؛ وكانت غايته فيه الإحكام . قال : ولم يكن بالنفقة على شىء أسمح
منه بالنّفقه فى الحرب .

وذكر محمد بن راشد ، قال : قال لى أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم :
دعانى أمير المؤمنين المعتصم يومًا ، فدخلت عليه وعليه صُدرة وشْى ومنطقة
ذهب وخفّ أحمر ، فقال لى : يا إسحاق ، أحببت أن أضرب معك بالصوالجة ؛
فبحياتى عليك إلاّ لبستَ مثل[1] لباسى ؛ فاستعفيتُه مِنْ ذلك فأبى ، فلبست
مثل لباسه ، ثم قُدّم إليه فرس محلاّة[2] بحلية الذهب ، ودخلنا[3] الميْدان ، ٣/١٣٢٧
فلما ضرب ساعة ، قال لى : أراك كسلان ، وأحسبك تكره هذا الزّىّ ، فقلت :
هو ذاك يا أمير المؤمنين ، فنزل وأخذ بيدى ، ومضى يمشى وأنا معه إلى أن صار
إلى حجرة الحمّام ، فقال : خذ ثيابى يا إسحاق ؛ فأخذت ثيابه حتى تجرّد ،
ثم أمرنى بنزع ثيابى ففعلت ؛ ثم دخلنا أنا وهو الحمّام ؛ وليس معنا غلام ؛
فقمت عليه ودلكته ، وتولى أمير المؤمنين المعتصم منى مثل ذلك ، وأنا فى كل
ذلك أستعفيه ، فيأبى علىّ ، ثم خرج من الحمّام فأعطيته ثيابه ، ولبست
ثيابى ، ثم أخذ بيدى ومضى يمشى ؛ وأنا معه حتى صار إلى مجلسه فقال :

---

(١) س : « معى » . (٢) ف : « محلى » . (٣) س : « ودخلت » .

يا إسحاق ؛ جئني بمصلًّى ومخدّتين ، فجئته بذلك ، فوضع المخدّتين ، ونام على وجهه ، ثم قال : هات مصلًّى ومخدّتين ، فجئت بهما ، فقال : ألقِه ونم عليه بحذائي ، فحلفتُ ألاّ أفعلَ ، فجلست عليه ، ثم حضر إيتاخ التّركيّ وأشناس ، فقال لهما : امضيا إلى حيث إذا صحت سمعتما ، ثم قال : يا إسحاق ، في قلبي أمر أنا مفكّر فيه منذ مدّة طويلة ؛ وإنما بسطتك في هذا الوقت لأفشيه إليك ، فقلت : قل يا سيدي يا أمير المؤمنين ؛ فإنما أنا عبدك وابن عبدك ، قال : نظرت إلى أخي المأمون وقد اصطنع أربعةً أنجبوا ، واصطنعت أنا أربعة لم يفلحْ أحدٌ منهم ؛ قلت : ومَن الذين اصطنعهم أخوك ؟ قال : طاهر بن الحسين ؛ فقد[1] رأيتُ وسمعتُ ، وعبد الله بن طاهر ، فهو الرّجل الذي لم يُرَ مثله ، وأنت ، فأنت والله لا يعتاض السلطان منك أبداً ، وأخوك محمد بن إبراهيم ، وأين مثل محمد ! وأنا فاصطنعت الأفشين فقد رأيتَ إلى ما صار أمْرُه ، وأشناس ففشِل آيه[2] وإيتاخ فلا شيء ، ووصيف فلا مغني فيه ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، جعلني الله فداك ! أجيب على أمانٍ من غضبك ، قال : قل ، قلت : يا أمير المؤمنين أعزّك الله نظر أخوك إلى الأصول ؛ فاستعملها ، فأنجبت فروعها ، واستعمل أمير المؤمنين فروعاً لم تنجب إذ لا أصول لها ، قال : يا إسحاق لمقاساةُ ما مرّ بي في طول هذه المدّة أسهلُ عليّ من هذا الجواب .

١٣٢٨/٣

وذكر عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ ، أنه قال : أتيتُ أمير المؤمنين المعتصم بالله يوماً وعنده قينة كان معجَباً بها ، وهي تغنّيه ، فلما سلّمتُ وأخذت مجلسي ، قال لها : خذي فيما كنت فيه ، فغنّت فقال لي : كيف تراها يا إسحاق ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، أراها تقهره بحذْق وتختله برفْق ، ولا تخرج من شيء إلاّ إلى أحسن منه ، وفي صوتها قطع شذور أحسن من نظم الدرّ على النحور ، فقال : يا إسحاق ، لَصفتُك لها أحسن منها ومن غنائها ، وقال لابنه هارون : اسمع[3] هذا الكلام .

وذكر عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ أنه قال : قلت للمعتصم في شيء ، فقال لي : يا إسحاق ؛ إذا نصر الهوى بطل الرّأي ؛ فقلت له : كنت أحبّ

١٣٢٩/٣

(١) ف : « وقد رأيت » . (٢) كذا في ا . (٣) س : « اكتب » .

يا أمير المؤمنين أن يكون معى شبابى ؛ فأقوم[1] مِنْ خدمتك بما أنويه ، قال لى : أوَلست كنت تبلغ إذ ذاك جهدك ؟ قلت : بلى ، قال : فأنت الآن تبلغ جهدك فسيّان إذاً .

وذكر عن أبى حسان أنه قال : كانت أمّ أبى إسحاق المعتصم من مولّدات الكوفة يقال لها ماردة .

وذكر عن الفضل بن مروان ، أنه قال : كانت أمّ المعتصم ماردة سُغديّة ، وكان أبوها نشأ بالسَّواد ، قال : أحسبه بالبَنْدَنيجين .

وكان للرشيد من ماردة مع أبى إسحاق ، أبو إسماعيل ، وأمّ حبيب ، وآخران لم يُعرف اسماهما .

وذكر عن أحمد بن أبى دواد أنه قال : تصدّق المعتصم ووهب على يدى وبسببى بقيمة مائة ألف ألف درهم .

* * *

خلافة هارون الواثق أبى جعفر

وبُويع فى يوم تُوُفِّيَ المعتصم ابنه هارون الواثق بن محمد المعتصم ، وذلك فى يوم الأربعاء لثمان ليال خلون من شهر ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين وكان يكنى أبا جعفر ؛ وأمه أمّ ولد رومية تسمى قراطيس .

وهلك هذه السنة توفيل ملك الروم وكان ملكه اثنتى عشرة سنة وفيها ملكت بعده امرأته تذورة[2] ، وابنها ميخائيل بن توفيل صبىّ .

* * *

١٣٣٠/٣ وحجّ بالناس فيها[3] جعفر بن المعتصم ، وكانت أم الواثق[4] خرجت معه تريد الحج ، فماتت بالحيرة لأربع خلوْن من ذى القعدة ودفنت بالكوفة فى دار داود بن عيسى .

---

(١) ف : « وأقوم » .

(٢) ط : « تدورة » .

(٣) س : فى هذه السنة » .

(٤) ف : « امرأة الواثق » .

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من الواثق إلى أشناس أن توّجه وألبسه وشاحين بالجوهر في شهر رمضان .

وفيها مات أبو الحسن المدائنيّ في منزل إسحاق بن إبراهيم الموصليّ .

وفيها مات حبيب بن أوس الطائيّ أبو تمام الشاعر .

وفيها حجّ سليمان بن عبد الله بن طاهر .

وفيها غلا السعر بطريق مكة ، فبلغ رطل خبز بدرهم وراوية ماء بأربعين درهماً . وأصاب الناس في الموقف حرّ شديد ثم مطر شديد فيه برد ، فأضرّ بهم شدّة الحر ، ثم شدة[1] البرد في ساعة واحدة ، ومُطروا بمنًى في يوم النحر مطراً شديداً لم يروا مثله ، وسقطت قطعة من الجبل عند جمرة العقبة فقتلت[2] عدّة من الحاج .

وحجّ بالناس في هذه السنة محمد بن داود .

---

(١) ف : « وشدة » .

(٢) ف : « وقتلت » .

ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر الخبر عن حبس الواثق الكتّاب وإلزامهم الأموال]

فمن ذلك ما كان من حبس الواثق بالله الكتّاب وإلزامهم أموالا ، فدفع أحمد بن إسرائيل إلى إسحاق بن يحيى بن معاذ صاحب الحرس ، وأمر بضربه كلّ يوم عشرة أسواط ؛ فضربه — فيما قيل — نحواً من ألف سوط ، فأدّى ثمانين ألف دينار . وأخذ من سليمان بن وهب كاتب إيتاخ أربعمائة ألف دينار ، ومن الحسن بن وهب أربعة عشر ألف دينار . وأخذ من أحمد بن الخصيب وكتّابه ألف ألف دينار ، ومن إبراهيم بن رَباح وكتّابه مائة ألف دينار ، ومن نَجَاح ستين ألف دينار ، ومن أبى الوزير صلحًا مائة ألف وأربعين ألف دينار ؛ وذلك سوى ما أخذ من العمّال بسبب عمّالاتهم . ونصب محمد بن عبد الملك لابن أبى دواد وسائر أصحاب المظالم العداوة ، فكُشفوا وحُبسوا ، وأجلس إسحاق بن إبراهيم ؛ فنظر فى أمرهم وأقيموا للناس ولقوا كلّ جهد. ٣/١٣٣١

* ذكر الخبر عن السبب الذى بعث الواثق على فعله ما ذكرت بالكتّاب فى هذه السنة :

ذكر عن عزُّون بن عبد العزيز الأنصارىّ ، أنه قال : كنّا ليلةً فى هذه السنة عند الواثق ، فقال : لست أشتهى الليلة النبيذ ؛ ولكن هلمّوا نتحدث الليلة ؛ فجلس فى رِواقه الأوسط فى الهارونىّ فى البناء الأول الذى كان إبراهيم ابن رَبَاح بناه ؛ وقد كان فى أحد شِقّى ذلك الرّواق قُبّةٌ مرتفعة فى السماء بيضاء ، كأنها بيضة إلا قدْر ذراع — فيما ترى العين — حولها[1] فى وسطها ساج منقوش مغشّى باللازوَرْد والذّهب ، وكانت[2] تسمّى قبة المنطقة ؛ وكان ذلك الرواق يسمّى رواق قبّة المنطقة . ٣/١٣٣٢

(١) ف : « حواشا » . (٢) س : « فكانت » .

قال : فتحدّثنا عامة الليل ، فقال الواثق : مَنْ منكم يعلم السبب الذى به وثب جدّى الرشيد على البرامكة فأزال نعمتهم ؟ قال عزّون : فقلت : أنا والله أحدّثك يا أميرَ المؤمنين ، كان سبب ذلك أن الرشيد ذُكرت له جارية لعوْن الخياط ، فأرسل إليها فاعترضها ، فرضىَ جمالها وعقلَها وحسن أدبها ، فقال لعون : ما تقول فى ثمنها ؟ قال : يا أميرَ المؤمنين ، أمر ثمنها واضح مشهور ؛ حلفتُ بعتقها وعتق رقيقى جميعًا وصدقة مالى الأيمان المغلظة التى لامخرج منها لى ، وأشهدت علىّ بذلك العدول ألاّ أنقص ثمنها عن مائة ألف دينار ، ولا أحتال فى ذلك بشىء من الحيل ، هذه قضيتها . فقال أمير المؤمنين : قد أخذتها منك بمائة ألف دينار ، ثم أرسل إلى يحيى بن خالد يخبره بخبر الجارية ، ويأمره أن يرسل إليه بمائة ألف دينار ، فقال يحيى : هذا مفتاح سوء ؛ إذا اجترأ فى ثمن جارية واحدة على طلب مائة ألف دينار فهو أحْرَى أن يطلب المال على قدر ذلك ؛ فأرسل يخبره أنه لايقدر على ذلك ، فغضب عليه الرّشيد، وقال : ليس فى بيت مالى مائة ألف دينار ، فأعاد عليه : لا بدّ منها ، فقال يحيى : اجعلوها دراهم ، ليراها فيستكثرها ، فلعله يردّها ، فأرسل بها دراهم ، وقال : هذه قيمة مائة ألف دينار ، وأمر أن تُوضع فى رواقه الذى يمرّ فيه إذا أراد المتوضأ لصلاة الظهر . قال : فخرج الرّشيد فى ذلك الوقت ؛ فإذا جبل من بِدَر ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : ثمن الجارية ، لم تحضر دنانير ، فأرسل قيمتها دراهم ، فاستكثر[1] الرشيد ذلك ، ودعا خادمًا له ، فقال : اضمم هذه إليك ، واجعل لى بيت مال لأضمّ إليه ما أريده وسمّاه بيت مال العروس ، وأمر بردّ الجارية إلى عون ، وأخذ فى التفتيش عن المال ، فوجد البرامكة قد استهلكوه[2] ، فأقبل يهمّ بهم ويمسك ؛ فكان يرسل إلى الصحابة وإلى قوم من أهل الأدب من غيرهم فيسامرهم[3] ، ويتعشّى معهم ؛ فكان فيمن يحضر إنسان كان معروفًا بالأدب ، وكان يعرف بكنيته يقال له أبو العُود ؛ فحضر ليلةً فيمن حضره ، فأعجبه حديثه ؛ فأمر خادمًا له أن يأتىَ يحيى بن خالد

٣/١٣٣٣

(١) س : « فاستكبر » . (٢) س : « استهلكوا » .
(٣) س : « فيسامرونه » .

إذا أصبح ، فيأمره أن يعطيه ثلاثين ألف درهم . ففعل ؛ فقال يحيى لأبي العود: أفعلُ ؛ وليس بحضرتنا اليوم مال ، غداً يجيء المال ، ونعطيك إن شاء الله. ثم دافعه حتى طالت به الأيام ، قال : فأقبل أبو العود يحتال أن يجد من الرشيد وقتاً يحرّضه فيه على البرامكة — وقد كان شاع في الناس ما كان يهمّ به الرشيد في أمرهم — فدخل عليه ليلةً ، فتحدّثوا ، فلم يزل أبو العود يحتال للحديث حتى وصله بقول عمر بن أبي ربيعة : ٣/١٣٣٤

وَعَدَتْ هندٌ وما كانت تَعِدْ ليتَ هنداً أنْجَزَتنا ما تَعِدْ[1]
واسْتَبَدَّتْ مرّةً واحدةً إنما العاجز مَن لا يَسْتَبِدّ

فقال الرشيد: أجل والله ؛ إنما العاجز من لا يستبدّ ؛ حتى انقضى المجلس. وكان يحيى قد اتخذ من خدم الرشيد خادماً يأتيه بأخباره ، وأصبح يحيى غادياً على الرّشيد ، فلما رآه قال : قد أردت البارحة أن أرسل إليك بشعرٍ أنشدنيه بعضُ مَنْ كان عندي ، ثم كرهت أن أزعجك ، فأنشده البيتين ؛ فقال : ما أحسنَهما يا أمير المؤمنين ! وفطن لما أراد ، فلما انصرف أرسل إلى ذلك الخادم ، فسأله عن إنشاد ذلك الشعر ؛ فقال : أبو العود أنشده ، فدعا الوزير يحيى بأبي العود ، فقال له : إنا كنا قد لويناك بمالك ، وقد جاءنا مال ، ثم قال لبعض خدمه : اذهب فأعطه ثلاثين ألف درهم[2] من بيت مال أمير المؤمنين ، وأعطه من عندي عشرين ألف درهم لمَطْلنا إياه ، واذهب إلى الفضل وجعفر فقل لهما هذا رجل مستحقّ[3] أن يبرّ ، وقد كان أمير المؤمنين أمر له بمال فأطلْت مطله ، ثم حضر المال ؛ فأمرت أن يعطى ووصلتُه من عندي صلة ، وقد أحببت[4] أن تصلاه ، فسألا : بكَمْ وصله قال : بعشرين ألف درهم ؛ فوصله كلّ واحد منهما بعشرين ألف درهم ؛ فانصرف بذلك المال كله إلى منزله . وجدّ الرشيد في أمرهم حتى وثب عليهم ، وأزال نعمتهم ، وقتل جعفراً وصنع ما صنع . ٣/١٣٣٥

---

(١) ديوانه ٣٢٠ مع اختلاف في الرواية (٢) ف : « ثلاثين ألفاً » .
(٣) س : « يستحق » . (٤) ف : « وأحببت » .

فقال الواثق : صدق والله جدّى ؛ إنما العاجز من لا يستبدّ ! وأخذ فى ذكر الخيانة وما يستحق أهلها .

قال عزُّون : أحسبه : سيوقِع بكتّابه ، فما مضى أسبوع حتى أوقع بكتّابه ، وأخذ إبراهيم بن رباح وسليمان بن وهب وأبا الوزير وأحمد بن الخصيب وجماعتهم .
قال : وأمر الواثق بحبس سليمان بن وَهْب كاتب إيتاخ ، وأخذه بمائتى ألف درهم — وقيل دينار — فقيد وألبس مَدْرعة من مدارع الملاحين ، فأدّى مائة ألف درهم ، وسأل أن يؤخذ بالباقى عشرين شهراً ، فأجابه الواثق إلى ذلك ، وأمر بتخلية سبيله وردّه إلى كتابة إيتاخ ، وأمره بلبس السواد .

* * *

وفى هذه السنة ولِىَ شار باميان لإيتاخ اليمن وشخص إليها فى شهر ربيع الآخر .

وفيها ولِىَ محمد بن صالح بن العباس المدينة .

وحجّ بالناس فى هذه السنة محمد بن داود .

ثم دخلت سنة ثلاثين ومائتين

ذكر خبر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر مسير بغا إلى الأعراب بالمدينة]

فمن ذلك ما كان من توجيه الواثق بُغا الكبير إلى الأعراب الذين عاثوا بالمدينة وما حواليها[١] .

* ذكر الخبر عن ذلك :

ذكر أن[٢] بدء ذلك كان أن بنى سُليم كانت[٢] تطاول على الناس حول المدينة بالشرّ، وكانوا إذا وردوا سوقًا من أسواق الحجاز أخذوا سعرها[٣] كيف شاءوا، ثم ترقّى[٤] بهم الأمر إلى أن أوقعوا بالحجاز بناس[٥] من بنى كنانة وباهلة ، فأصابوهم وقتلوا بعضهم[٦] ، وذلك فى جمادى الآخرة سنة ثلاثين ومائتين ، وكان رأسهم عُزيزة بن قطّاب السُّلَمىّ. فوجّه إليهم محمدُ بن صالح بن العباس الهاشمىّ ؛ وهو يومئذ عامل المدينة ؛ مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم حماد بن جرير الطبرىّ — وكان الواثق وجّه حمادًا مسلحةً للمدينة لئلا يتطرّقها[٧] الأعراب ، فى مائتى فارس من الشاكريّة — فتوجّه إليهم حمّاد فى جماعة من الجند ومَنْ تطوّع للخروج من قريش والأنصار ومواليهم وغيرهم من أهل المدينة ؛ فسار إليهم فلقيتْه طلائعهم . وكانت بنو سليم كارهة للقتال ، فأمر حماد بن جرير بقتالهم ، وحمل عليهم بموضع يقال له الرُّوَيْثة من المدينة على ثلاث مراحل ؛ وكانت بنو سليم يومئذ وأمدادها جاءوا من البادية فى سمّائة وخمسين ، وعامة مَنْ لقيَهم من بنى عَوْف من بنى سُلَيم ، ومعهم أشهب

٣/١٣٣٦

(١) ف : « حولها » .
(٢-٢) ف : « أمر بدء ذلك أن كان بنو سليم » .
(٣) س : « بيوعها » .
(٤) كذا فى ا ، س . وفى ط : « تراقى » .
(٥) س : « بالحجاز بناس» .
(٦) ف : « وقتلوهم وبعضهم أثر » .
(٧) ف : « ليلا فطارقها الأعراب » .

ابن دويكل بن يحيى بن حمير العوفيّ وعمه سلمة بن يحيى وعزيزة بن قطاب، اللَّسبيدىّ من بنى لبيد بن سليم ؛ فكان[1] هؤلاء قوّادهم ، وكانت خيلهم مائة وخمسين فرساً ، فقاتلهم حماد وأصحابه؛ ثم أتت بنى سليم أمدادُها[2] خمسمائة من موضع فيه بَدْوهم؛ وهو موضع يسمّى أعلى الرويثة؛ بينها وبين موضع القتال أربعة أميال ؛ فاقتتلوا قتالا شديداً ، فانهزمت سودان المدينة بالناس ؛ وثبت حمّاد وأصحابه وقريش والأنصار ، فصلُوا بالقتال حتى قُتِل حمّاد وعامة أصحابه ، وقُتل ممّن ثبت من قريش والأنصار عددٌ صالح ، وحازت بنو سُلَيم الكُراع والسلاح والثياب؛ وغلُظ أمر بنى سُلَيم ، فاستباحت[3] القرى والمناهل[4] ؛ فيما بينها وبين مكة والمدينة ؛ حتى لم يمكن أحداً أن يسلك ذلك الطريق ؛ وتطرّقوا مَنْ يليهم من قبائل العرب . ١٣٢٧/٣

فوجّه إليهم الواثق بُغا الكبير أبا موسى التركىّ فى الشاكريّة والأتراك والمغاربة ، فقدِمها بُغا فى شعبان سنة ثلاثين ومائتين ، وشخص إلى حَرّة بنى سليم ، لأيام بقين من شعبان؛ وعلى مقدّمته طردوش التركىّ ، فلقيهم ببعض مياه الحَرّة ؛ وكانت الوقعة بشقّ الحرّة من وراء السُّوارقيّة ، وهى قريتهم التى كانوا يأوون إليها — والسوارقية حصون — وكان جُلّ من لقيه منهم من بنى عوف فيهم عُزيزة بن قطّاب والأشهب — وهما رأسا القوّاد يومئذ — فقتل بُغا منهم نحواً من خمسين[5] رجلاً ، وأسر مثلهم ؛ فانهزم الباقون ، وانكشف بنو سليم لذلك ؛ ودعاهم بُغا بعد الوقعة إلى الأمان على حُكْم أمير المؤمنين الواثق ، وأقام بالسوارقيّة فأتوْه ، واجتمعوا إليه ، وجمعهم من عشرة واثنين وخمسة وواحد ، وأخذ مَن جمعت السوارقيّة من غير بنى سليم من أفناء الناس ، وهربت خُفَاف بنى سُلَيم إلا أقلها ؛ وهى التى كانت تؤذى الناس ، وتطرّق الطريق ، وجلّ مَنْ صار فى يده ممّن ثبت من بنى عَوْف ، وكان آخر من أخذ منهم من بنى حُبْشىّ من بنى سُلَيم ، فاحتبس عنده من وُصف بالشرّ ١٣٢٨/٣

---

(١) ف : « فكانوا ». (٢) ف : « ثم أتت بنو سليم وأمدادها » .
(٣) ا ، د ، س : « واستباحت» . (٤) س : « والمنازل » .
(٥) ف : « نحوا ثنين وخمسين رجلا » .

والفساد ؛ وهم زُهاء ألف رجل ، وخلّى سبيلَ سائرهم ؛ ثم رحل عن السوارقيّة بمَن صار فى يده من أسارى بنى سُلَيم ومستأمِنيهم (١) إلى المدينة فى ذى القعدة سنة ثلاثين ومائتين ، فحبسهم فيها فى الدّار المعروفة بيزيد بن معاوية ، ثم شخص إلى مكة حاجًّا فى ذى الحجة ؛ فلمّا انقضى الموسم انصرف إلى ذات عِرْق ، ووجه إلى بنى هلال مَنْ عرض عليهم مثل الذى عَرَض على بنى سُلَيم فأقبلوا ، فأخذ من مَرَدتهم وعُتاتهم نحوًا من ثلثمائة رجل ، وخلّى سائرهم ، ورجع من ذات عِرْق وهى على مرحلة من البستان ، بينها وبين مكة مرحلتان .

* * *

[ذكر الخبر عن وفاة عبد الله بن طاهر]

وفى هذه السنة مات أبو العباس عبد الله بن طاهر بنيسابور يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول بعد موت أشناس التركىّ بتسعة أيام (٢) .

ومات عبد الله بن طاهر وإليه الحرب والشرطة والسوّاد وخُراسان وأعمالها والرىّ وطبرستان وما يتصل بها وكِرْمان ، وخراج هذه الأعمال كان يوم مات ثمانية وأربعين ألف ألف درهم ، فولّى الواثق أعمال عبد الله بن طاهر كلها ابنه طاهرًا (٣) . ١٣٣٩/٣

وحجّ فى هذه السنة إسحاق بن إبراهيم بن مُصعب ، فولِىَ أحداث الموسم .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة محمد بن داود .

---

(١) كذا فى ا ، س : « ومستأمنتهم » . (٢) ا ، د : « بسبعة » .

(٣) فى ابن الأثير ٥ : ٢٧١ ، ٢٧٢ فصل عقده فى سيرة عبد الله بن طاهر وشعره وما قيل فيه من المدائح .

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من أمر الفداء الذى جرى على يد خاقان الخادم بين المسلمين والرّوم فى المحرّم منها ، فبلغت عدّة المسلمين – فيما قيل – أربعة آلاف وثلثمائة واثنين وستين إنسانًا .

* * *

[ذكر الخبر عن أمر بنى سليم وغيرهم من القبائل]

وفيها قُتِل مَنْ قُتِل من بنى سُليم بالمدينة فى حبس بُغا .

* ذكر الخبر عن سبب قتلهم وما كان من أمرهم :

ذكر أنّ بُغا لمّا صار إليه بنو هلال بذات عِرْق ، فأخذ منهم مَنْ ذكرت أنه أخذ منهم ، شخص[1] مُعْتمراً عُمْرة المحرَّم ، ثم انصرف إلى المدينة ، فجمع كلّ من أخذ من بنى هلال واحتبسهم عنده مع الذين كان أخذ من بنى سُليم ، وجمعهم جميعًا فى دار يزيد بن معاوية فى الأغلال والأقْياد[2] وكانت بنو سليم حُبِست قبل ذلك بأشهر . ثم سار بُغا إلى بنى مرّة ، وفى حبس المدينة نحو من ألف وثلثمائة رجل من بنى سُليم وهلال ، فنقبوا الدار ليخرجوا ، فرأت امرأة من أهل المدينة النَّقْب ، فاستصرخت أهل المدينة فجاءوا ، فوجدوهم قد وثبوا[3] على الموكَّلين بهم ، فقتلوا منهم رجلا أو رجلين ، وخرج بعضهم أو عامّتهم ؛ فأخذوا سلاح الموكَّلين بهم ، واجتمع عليهم أهل المدينة ؛ أحرارهم وعبيدهم – وعامل المدينة يومئذ عبد الله بن أحمد بن داود الهاشمىّ – فمنعوهم الخروج ، وباتوا محاصريهم حول الدار حتى أصبحوا ؛ وكان وثوبهم عشيّة الجمعة ؛ وذلك أن عُزيزة بن قَطَّاب قال لهم : إنى أتشاءم بيوم السبت ؛ ٣/١٣٤٠

(١) ف : « فشخص » . (٢) ف : « فى أغلال وقيود » .
(٣) س : « فوثبوا » .

ولم يزل أهل المدينة يعتقبون القتال، وقاتلتهم بنو سُلَيم ، فظهر أهل المدينة عليهم ، فقتلوهم أجمعين ، وكان عُزَيزة يرتجز ، ويقول :

لا بُدَّ مِنْ زَحْم وإن ضاقَ البابْ إنى أنا عُزَيزة بنُ القطَّابْ
لَلموْت خيرٌ للفتَى من العَابْ هذا وربِّى عملٌ لِلبَوَّابْ

وقيْده فى يده قد فكّه، فرمى به رجلا ، فخرّ صريعًا . وقُتلوا جميعًا ، وقتلت سودان المدينة مَنْ لقيت من الأعراب فى أزقة المدينة ممّن دخل يمتار ، حتى لقوا أعرابيًّا خارجًا من قبر النبى صلى الله عليه وسلم فقتلوه ؛ وكان أحد بنى أبى بكر بن كلاب من ولد عبد العزيز بن زُرارة . وكان بُغا غائبًا عنهم ؛ فلمّا قدم فوجدهم قد قُتلوا شقّ ذلك عليه ، ووجد منه وجدًا شديدًا[1] .

وذُكر أن البوّاب كان قد ارتشى منهم ، ووعدهم أن يفتح لهم الباب ، فعجلوا قبل ميعاده ؛ فكانوا يرتجزون ويقولون وهم يقاتلون :

الموت خيرٌ للفتى مِنَ العارْ قد أَخَذَ البوابُ أَلْفَ دينارْ

وجعلوا يقولون حين أخذهم بُغَا :

يا بُغيَةَ الخَيرِ وَسَيْفَ المُنتَبِهْ وجانِبَ الجورِ البَعيدِ المشتَبِهْ
مَنْ كان منا جانِياً فلستُ بِهْ افْعَلْ هَدَاكَ اللهُ ما أُمِرتَ بِهْ

١٣٤١/٣

فقال : أُمِرْتُ أن أقتلكم . وكان عُزَيزة بن قَطّاب رأس بنى سُلَيم حين قتِل أصحابه صار إلى بئر ، فدخلها ، فدخل عليه رجل من أهل المدينة فقتله ، وصُفّت القتلى على باب مَرْوان بن الحكم ؛ بعضُها فوق بعض .

وحدثنى أحمد بن محمد أن مؤذّن أهل المدينة أذّن ليلةَ حراستهم بنى سليم بليل ترهيباً لهم بطلوع الفجر ، وأنهم قد أصبحوا ، فجعل الأعراب يضحكون ، ويقولون : يا شرَبَة السَّويق ؛ تُعلموننا بالليل ، ونحن أعلم به منكم! فقال رجل من بنى سُلَيم :

---

(١) ف : « عظيماً » .

مَتى كانَ ابنُ عباسٍ أَميرًا يَصِلُّ لِصَقلِ نابيْهِ صَريفُ
يجورُ ولا يُرَدُّ الجَوْرُ منه ويَسطو ما لِوَقعَتِهِ ضعيفُ
وقد كنا نَرُدُّ الجور عنَّا إذا انتُضِيتْ بأَيدينا السُّيوفُ
أَميرُ المؤمنينَ سَمَا إلينا سُمُوَّ الليثِ ثار من الغَريفِ
فإنْ يَمْنُنْ فَعَفْوَ اللهِ نرجو وإن يَقتلْ، فقاتِلنا شَريفُ

١٣٤٢/٣ وكان سبب غَيْبة بُغا عنهم أنه توجه[1] إلى فَدَك لمحاربة مَن فيها ممَّن كان تغلَّب عليها من بنى فزارة ومُرّة؛ فلما شارفهم وجّه إليهم رجلا من فَزارة يعرض عليهم الأمان، ويأتيه بأخبارهم، فلمّا قدم عليهم الفزارىّ حذّرهم سطوته، وزيّن لهم الهرب، فهربوا ودخلوا فى البرّ، ودخلوا فَدَك إلاّ نفرًا بقُوا فيها منهم؛ وكان قصدهم خَيْبَر وجَنَفاء[1] ونواحيها؛ فظفر ببعضهم، واستأمن بعضهم، وهرب الباقون مع رأس لهم يقال له الرّكاض إلى موضع من البلْقاء من عمل دمشق، وأقام بُغا بجَنَفاء وهى قرية من حدّ عمل الشأم[3]، مما يلى الحجاز نحواً من أربعين ليلة، ثم انصرف إلى المدينة بمن صار فى يديه من بنى مُرّة وفَزارة.

* * *

وفى هذه السنة صار إلى بُغا من بطون غَطَفان وفَزارة وأشْجع جماعة؛ وكان وجّه إليهم وإلى بنى ثعلبة؛ فلمّا صاروا إليه — فيما ذكر — أمر محمد ابن يوسف الجعفرىّ، فاستحلفهم الأيمان الموكدة ألاّ يتخلّفوا عنه متى دعاهم. فحلفوا، ثم شخص إلى ضَرِيّة لطلب بنى كِلاب، ووجّه إليهم رسلَه، فاجتمع إليه منهم — فيما قيل — نحو من ثلاثة آلاف رجل، فاحتبس منهم من أهل الفساد نحواً من ألف رجل وثلثمائة رجل، وخلّى سائرهم، ثم قدم بهم المدينة فى شهر رمضان سنة إحدى وثلاثين ومائتين، فحبسهم فى دار يزيد بن معاوية، ثم شخص[4] إلى مكة بُغا، وأقام بها حتى شهد الموسم، فبقى

(١) ا، س: «سار».
(٢) ا، ف: «وحيفا».
(٣) س: «الحجاز».
(٤) س: «وشخص».

بنو كلاب فى الحبس لا يجرى عليهم شىءٌ مدّة غيبة بُغا ؛ حتى رجع [١] ١٣٤٣/٣
إلى المدينة ، فلما صار إلى المدينة أرسل إلى مَنْ كان استحلف من ثعلبة
وأشجع وفَزارة فلم يجيبوه ، وتفرّقوا فى البلاد ، فوجّه فى طلبهم فلم يلحق منهم
كثير أحد .

* * *

[ذكر مقتل أحمد بن نصر الخزاعى على يد الواثق]

وفى هذه السنة تحرّك ببغداد قومٌ فى رَبَض عمرو بن عطاء ، فأخذوا
على أحمد بن نصر الخُزاعىّ البيعة .

* ذكر الخبر عن سبب حركة هؤلاء القوم وما آل إليه أمرهم وأمر أحمد بن نصر :

وكان السبب فى ذلك أنّ أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخُزاعىّ —
ومالك بن الهيثم أحد نقباء بنى العبّاس ، وكان ابنه أحمد يغشاه أصحاب
الحديث ؛ كيحيى بن مَعين وابن الدَّوْرَقىّ وابن خَيْثمة ، وكان يُظهر
المباينة لمن يقول : القرآن مخلوق ؛ مع منزلة أبيه كانت من السلطان فى دولة
بنى العباس ، ويبسط لسانه فيمن يقول ذلك ، مع غِلْظة الواثق كانت على
من يقول ذلك وامتحانه إياهم فيه ، وغلبة أحمد بن أبى دواد عليه — فحدثنى
بعض أشياخنا [٢] ، عمّن ذكره ، أنه دخل على أحمد بن نصر فى بعض تلك
الأيام وعنده جماعة من الناس ، فذُكر عنده الواثق ، فجعل يقول : ألاّ فعل
هذا الخنزير [٣] ! أو قال : هذا الكافر ؛ وفشا ذلك من أمره ، فخُوّف ١٣٤٤/٣
بالسلطان [٤] ، وقيل له : قد اتّصل أمرك به ، فخافه .

وكان فيمن [٥] يغشاه رجل — فيما ذكر — يعرف بأبى هارون [٦] السرّاج
وآخر يقال له طالب ، وآخر من أهل خُراسان من أصحاب إسحاق بن إبراهيم بن

(١) س : « قدم » .
(٢) د، س : « شيوخنا » .
(٣) س : « ألا فعل الله بهذا الخنزير » .
(٤) د، ف : « فخوف السلطان » .
(٥) ف : « ممن » .
(٦) ف : « يقال له أبوهارون » .

مُصعب صاحب الشرْطة ممّن يظهر له القول بمقالته ، فحرّك المطيفون به — يعنى أحمد بن نصر — من أصحاب الحديث ، وممّن ينكر القول بخلْق القرآن من أهل بغداد — أحمد ، وحملوه على الحركة لإنكار القول بخلْق القرآن ، وقصدوه بذلك دون غيره ؛ لما كان لأبيه وجدّه فى دولة بنى العباس من الأثَر ، ولمّا كان له ببغداد ، وأنه كان أحدَ مَنْ بايع له أهل الجانب الشرقىّ على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والسمع له فى سنة إحدى ومائتين ، لمّا كثر الدّعّار بمدينة السلام ، وظهر بها الفساد والمأمون بخراسان ؛ وقد ذكرنا خبره فيما مضى . وأنه لم يزل أمره على ذلك ثابتًا إلى أن قدم المأمون بغداد فى سنة أربع ومائتين ، فرجوا استجابة العامة له إذا هو تحرّك للأسباب التى ذكرت .

فذكر أنه أجاب من سأله ذلك ؛ وأنّ الذى كان يسعى نه فى دعاء الناس له الرجلان اللذان ذكرت اسميهما[1] قبل. وإن أبا هارون السرّاج وطالباً فرّقا فى قوم مالا ، فأعطيا كلّ رجل منهم دينارًا دينارًا ، وواعداهم ليلةً يضربون فيها الطّبْل للاجتماع فى صبيحتها للوثوب بالسلطان ؛ فكان طالب بالجانب الغربىّ من مدينة السّلام[2] فيمن عاقده على ذلك ، وأبو هارون بالجانب[3] الشرقىّ فيمن عاقده عليه ؛ وكان طالب وأبو هارون أعطيا فيمَنْ أعطيا[4] رجلين من بنى أشرس القائد دنانير يفرّقانها فى جيرانهم ، فانتبذ بعضُهم نبيذاً ، واجتمع عدّة منهم على شربه ، فلمّا ثملوا ضربوا بالطبل[5] ليلة الأربعاء قبل الموعد بليلة ؛ وكان الموعد لذلك ليلة[6] الخميس فى شعبان سنة إحدى وثلاثين ومائتين ، لثلاث تخلو[7] منه ، وهم يحسبونها ليلة الخميس التى اتّعدوا لها ، فأكثروا ضرب الطبْل ، فلم يجبهم أحد . وكان إسحاق بن إبراهيم غائبًا عن بغداد وخليفته بها أخوه محمد بن إبراهيم ، فوجّه إليهم محمد بن إبراهيم غلامًا له يقال له رَحش ، فأتاهم فسألهم عن قصّتهم ، فلم يظهر له أحد ممن ذكر بضرب الطّبْل ، فدُلّ على رجل يكون فى الحمامات مصاب بعينه ، يقال له

١٣٤٥/٣

---

(١) ط : « أسماءها » ، وما أثبته من ا (٢) ف : « بغداد » .
(٣) ف : « فى الجانب » . (٤) بعدها فى ف : « ذلك » .
(٥) ف : « الطابل » . (٦) ف : « يوم الخميس » .
(٧) س : « خلون » .

عيسى الأعور ، فهدّده بالضرب ، فأقرّ على ابى أشرس وعلى أحمد بن نصر بن مالك وعلى آخرين سمّاهم ، فتتبّع القوم من ليلتهم ؛ فأخذ بعضهم ، وأخذ طالباً ومنزلُه فى الرَّبَض من الجانب الغربى ، وأخذ أبا هارون السرّاج ومنزله فى الجانب الشرقىّ ، وتتبّع مَن سمّاه عيسى الأعور فى أيام وليال ، فصُيِّروا فى الحبس فى الجانب الشرقىّ والغربىّ ، كلٌّ قوم فى ناحيتهم التى أخذوا فيها ، وقيّد ٣/١٣٤٦ أبو هارون وطالب بسبعين[1] رطلاً من الحديد كلّ واحد منهما ، وأصيب فى منزل ابى أشرس علَمان أخضران فيهما حُمرة فى بئر ، فتولّى إخراجهما رجلٌ من أعوان محمد بن عيّاش — وهو عامل الجانب الغربىّ ، وعامل الجانب الشرقىّ العباس بن محمد بن جبريل القائد الخراسانىّ — ثم أخذ خصىّ لأحمد ابن نصر فتُهُدِّد ، فأقرّ بما أقرّ به عيسى الأعور ، فمضى إلى أحمد بن نصر وهو فى الحمّام ، فقال لأعوان السلطان : هذا منزلى ؛ فإن أصبتم فيه علَماً أو عُدّة أو سلاحاً لفتنة فأنتم فى حِلّ منه ومن دمى ؛ ففتش فلم يُوجد فيه شىء ، فحمل إلى محمد بن إبراهيم بن مصعب وأخذوا خصيّين وابنين له ورجلاً ممن كان يغشاه يقال له إسماعيل بن محمد بن معاوية بن بكر الباهلىّ ، ومنزله بالجانب الشرقىّ ، فحمل هؤلاء الستة إلى أمير المؤمنين الواثق وهو بسامرّا على بغال بأكُف ليس تحتهم وطاء ، فقيِّد[2] أحمد بن نصر بزوج قيود ، وأخرجوا من بغداد يوم الخميس لليلة بقيت من شعبان سنة إحدى وثلاثين ومائتين ، وكان الواثق قد أعلِم[3] بمكانهم ، وأحضر[4] ابن أبى دواد وأصحابه ، وجلس لهم مجلساً عامّاً ليُمتحنوا امتحاناً مكشوفاً ، فحضر القوم واجتمعوا عنده .

٣/١٣٤٧ وكان أحمد بن أبى دواد — فيما ذكر — كارهاً قتله فى الظاهر ؛ فلما أُتِىَ بأحمد بن نصر لم يناظره الواثق فى الشَّغْب ولا فيما رُفع[5] عليه من إرادته الخروج عليه ؛ ولكنه قال له : يا أحمد ، ما تقول فى القرآن ؟ قال : كلام الله — وأحمد بن نصر مستقتل[6] قد تنوّر وتطيّب ، قال : أفمخلوق هو ؟ قال : هو

(١) د ، ف : « بتسعين » .
(٢) س : « مقيدا » .
(٣) ف : « علم » .
(٤) ف : « أحضروا » .
(٥) ف : « روى » .
(٦) ف : « مستقبل » .

كلام الله ، قال : فما تقول فى ربّك ، أتراه يوم القيامة ؟ قال : يا أمير المؤمنين جاءت الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «ترونْ ربكم يوم القيامة كما ترون القمر لا تضامون فى رؤيته » ؛ فنحن على الخبر . قال : وحدثنى سفيان ابن عيينة بحديث يرفعه : « أن قلب ابن آدم بين إصبعيْن من أصابع الله يقلّبه » ؛ وكان النبىّ صلى الله عليه وسلم يدعو : « يا مقلّب القلوب ، ثبّت قلبى على دينك » ؛ فقال له إسحاق بن إبراهيم : ويلك ! انظر ماذا تقول ! قال : أنت أمرتنى بذلك ؛ فأشفق إسحاق من كلامه ، وقال : أنا أمرتُك بذلك ! قال : نعم ، أمرتَنى أن أنصح له إذ كان أمير المؤمنين ، ومِنْ نصيحتى[1] له ألاّ يخالف حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال الواثق لمن حوله : ما تقولون فيه ؟ فأكثروا ، فقال عبد الرحمن بن إسحاق — وكان قاضيًا على الجانب الغربىّ فعزل ؛ وكان حاضراً وكان أحمد بن نصر ودًّا له — : يا أمير المؤمنين ؛ هو حلال الدّم ، وقال أبو عبد الله الأرمنّى صاحب ابن أبى دواد : اسقنى دمَه يا أمير المؤمنين ، فقال الواثق : القتل يأتى على ما تريد ، وقال ابن أبى دواد : يا أميرَ المؤمنين كافر يُستتاب ؛ لعلّ به عاهة أو تغيُّر[2] عقل — كأنه كره أن يقتَل بسببه — فقال الواثق : إذا رأيتمونى قد قمتُ إليه ، فلا يقومنّ أحد معى ، فإنى أحتسب خُطاى إليه . ودعا بالصّمصامة — سيف عمرو بن معد يكرب الزّبيدىّ وكان فى الخزانة ، كان أهدِى إلى موسى الهادى ، فأمر سَلْمًا الخاسر الشاعر أن يصفه له ، فوصفه فأجازَه — فأخذ الواثق الصّمصامة — وهى صفيحة موصولة من أسفلها مسمورة بثلاثة مسامير تجمع بين الصّفيحة والصلة[3] — فمشى إليه وهو فى وسط الدار ، ودعا بنطع فصيِّر فى وسطه ، وحبْل فشُدّ رأسه ، ومُدّ الحبل ، فضربه الواثق ضربة ، فوقعت على حبل العاتق ، ثم ضربه أخرى على رأسه ، ثم انتضى سيمَا الدمشقىّ سيفه ، فضرب عنقه وحزّ رأسه .

١٣٤٨/٣

وقد ذُكر أن بُغا الشرابىّ ضربه ضربة أخرى ، وطعنه الواثق بطرف

---

(١) ابن الأثير : « فنصيحتى » . (٢) ابن الأثير : « نقص » .

(٣) س : « وبين الصلة » وفى د : « الصفحة » .

الصَّمْصامة فى بطنه، فحمِل معترضًا حتى أتِيَ به الحظيرة التى فيها بابك، فصلب فيها وفى رجله زَوْج قيود ، وعليه سراويل وقميص، وحمِل رأسه إلى بغداد ، فنُصب فى الجانب الشرقىّ أياماً، وفى الجانب الغربىّ أياماً، ثم حُوّل إلى الشرقىّ ، وحُظر على الرأس حظيرة ، وضرب عليه فسطاط ، وأقيم عليه الحرس ، وعُرف ذلك الموضع برأس أحمد بن نصر ؛ وكتب فى أذنه رُقْعة : هذا رأس الكافر المشرك الضالّ ؛ وهو أحمد بن نصر بن مالك؛ ممّن قتله الله على يدى عبد الله هارون الإمام الواثق بالله أمير المؤمنين ، بعد أن أقام عليه الحجة فى خَلْق القرآن ونفى التشبيه ، وعرّض عليه التوبة ، ومكّنه من الرجوع إلى الحق ؛ فأبى إلا المعاندة والتصريح ، والحمد لله الذى عجّل به إلى ناره وأليم عقابه . وإنّ أمير المؤمنين سأله عن ذلك ؛ فأقرّ بالتشبيه وتكلّم بالكفر، فاستحلّ بذلك أمير المؤمنين دمه، ولعنه . ٣/١٣٤٩

وأمر أن يُتتبع من وُسِم بصحبة أحمد بن نصر ؛ ممن ذُكر أنه كان متشايعاً له ؛ فوُضِعوا فى الحبوس، ثم جُعل نيّف وعشرون رجلا وسُموا فى حبوس الظلمة ؛ ومُنعوا من أخذ الصدقة التى يُعطاها أهل السجون ، ومُنعوا من الزوّار ، وثقّلوا بالحديد . وحمِل أبو هارون السراج وآخر معه إلى سامرّا، ثم رُدّوا إلى بغداد ، فجُعلوا فى المحابس .

وكان سبب أخذ الذين أخذوا بسبب أحمد بن نصر ، أنّ رجلا قصّاراً كان فى الرَّبض جاء إلى إسحاق بن إبراهيم بن مصعب ، فقال : أنا أدلّك على أصحاب أحمد بن نصر ، فوجّه معه من يتبعهم ؛ فلمّا اجتمعوا وجدوا على القصّار سبباً حبسوه معهم ؛ وكان له فى المِهْرِزار نخل، فقُطع وانتُهِبَ [(١)] منزله ؛ وكان ممن حُبس بسببه قوْم من ولد عمرو بن اسفنديار ، فماتوا فى الحبس ؛ فقال بعض الشعراء فى أحمد بن أبى دواد : ٣/١٣٥٠

ما إنْ تحوّلتَ من إيادِ[(٢)] صِرْتَ عذاباً على العبادِ

---

(١) ف : « ونهب » .
(٢) ا : « أأن تحولت فى إياد » .

أنتَ كما قلتَ من إيادِ فارْفقْ بهذا الخلقِ يا إيادِى

* * *

وفى هذه السنة أراد الواثق الحجّ ، فاستعدّ له ، ووجّه عمر بن فرَج إلى الطريق لإصلاحه ، فرجع فأخبره بقلّة الماء فبدا له .

وحجّ بالناس فيها محمد بن داود بن عيسى .

وفيها ولّى الواثق جعفر بن دينار اليمن ، فشخص إليها فى شعبان . وحجّ هو وبُغا الكبير ، وعلى أحداث الموسم بُغا الكبير ؛ وكان شخوص جعفر إلى اليمن فى أربعة آلاف فارس وألفى راجل وأعطى رزق ستة[1] أشهر .

وعقد محمد بن عبد الملك الزيات لإسحاق بن إبراهيم بن أبى خَميصة مولى بنى قُشَير من أهل أضاخ فيها على اليمامة والبحرين وطريق مكة ، مما يلى البصرة فى دار الخلافة ؛ ولم يذكر أن أحداً عقد لأحد فى دار الخلافة إلاّ الخليفة غير محمد بن عبد الملك الزّيات .

وفى هذه السنة نقب قوم من اللصوص بيت المال الذى فى دار العامّة فى جوف القصر ، وأخذوا اثنين وأربعين ألفاً من الدراهم[2] ؛ وشيئاً من الدنانير يسيراً ، فأخذوا بعدُ وتتبع أخذهم يزيد الحلوانىّ ، صاحب الشرطة خليفة إيتاخ .

١٣٥١/٣

وفيها خرج محمد بن عمرو الخارجىّ من بنى زيد بن تغلب فى ثلاثة عشر رجلا فى ديار ربيعة ، فخرج إليه غانم بن أبى مسلم بن حُميد الطوسىّ ، وكان على حرب الموصل فى مثل عدّته ، فقتل من الخوارج أربعة ، وأخذ محمد ابن عمرو أسيراً فبعث به إلى سامرّا ، فبعث به إلى مطبّق بغداد ، ونُصبت رءوس أصحابه وأعلامه عند خشبة بابك .

وفى هذه السنة قدم وصيف التركىّ من ناحية أصبهان والجبال وفارس ؛ وكان شخص فى طلب الأكراد ، لأنهم قد كانوا تطرّقوا إلى هذه النواحى ، وقدم معه منهم بنحو من خمسمائة نفس ؛ فيهم غلمان صغار ، جمعهم فى قيود

---

(١) س : « سبعة » . (٢) س : « ألف درهم » .

وأغلال ؛ فأمر بحبسهم ، وأجيز وصيف بخمسة وسبعين ألف دينار ، وقلّد سيفاً وكُسِيَ .

* * *

[خبر الفداء بين المسلمين والرّوم]

وفى هذه السنة ، تمّ الفداء بين المسلمين وصاحب الرُّوم ، واجتمع فيها المسلمون والرُّوم على نهر يقال له اللمس على سَلُوقِيَة على مسيرة يوم من طَرَسُوس .

* ذكر الخبر عن سبب هذا الفداء وكيف كان :

ذُكر عن أحمد بن أبى قَحْطَبة صاحب خاقان الخادم — وكان خادم الرشيد ، وكان قد نشأ بالثغر — أنّ خاقان هذا قدِم على الواثق ، وقدم معه ١٣٥٢/٣ نفر[1] من وجوه أهل طَرَسوس وغيرها يشكون صاحب مظالم كان عليهم[2] ، يكنى أبا وهب ؛ فأحضِر، فلم يزل محمد بن عبد الملك يجمع بينه وبينهم فى دار العامّة عند[3] انصراف الناس يوم الاثنين والخميس ، فيمكثون إلى وقت الظهر ؛ وينصرف محمد بن عبد الملك وينصرفون ، فعُزل عنهم[4] ، وأمر الواثق بامتحان أهل الثغور فى القرآن ، فقالوا بخلقه جميعاً[5] ؛ إلا أربعة نفر ؛ فأمر الواثق بضرب أعناقهم إن لم يقولوه ، وأمر لجميع أهل الثغور بجوائز على ما رأى خاقان ، وتعجّل أهلُ الثغور إلى ثغورهم ، وتأخّر خاقان بعدهم قليلا ؛ فقدم على الواثق رسلُ صاحب الروم — وهو ميخائيل بن توفيل بن ميخائيل ابن أليون بن جورجس — يسأله أن يفاديَ بمن فى يده من أسارى المسلمين ، فوجّه الواثق خاقان فى ذلك ، فخرج خاقان ومَنْ معه فى فداء أسارى المسلمين فى آخر سنة ثلاثين ومائتين على موعد بين خاقان ورسل صاحب الرّوم للالتقاء للفداء فى يوم عاشوراء ؛ وذلك فى العاشر من المحرّم سنة إحدى وثلاثين

---

(١) س : « بقوم » .

(٢) ف : « عليها » .

(٣) س : « بعد انصراف الناس » .

(٤) س : « فعزله » .

(٥) ف : « جميعاً بخلقه » .

ومائتين . ثم عقد الواثق لأحمد بن سعيد بن سلْم بن قتيبة الباهلىّ على الثغور والعواصم ، وأمره بحضور الفداء ؛ [1]فخرج على سبعة عشر من البُرُد[1] وكان الرسل الذين قدموا فى طلب الفداء[2] قد جرى بينهم وبين ابن الزّيات اختلاف فى الفداء ، قالوا[3] : لا نأخذ فى الفداء امرأة عجوزاً ولا شيخاً كبيراً ولا صبيًّا ، فلم يزل ذلك بينهم أياماً حتى رضُوا عن كلّ نفس بنفس .

١٣٥٣/٣

فوجّه الواثق إلى بغداد والرّقة فى شرى مَن يباع من الرقيق من مماليك، فاشترى مَن قدَر عليه منهم ، فلم تتمّ العدة ، فأخرج الواثق من قصره من النساء الروميات العجائز[4] وغيرهنّ ؛ حتى تمّت العدّة ، ووجّه ممن مع ابن أبى دواد رجلين ، يقال لأحدهما يحيى بن آدم الكرخىّ ، ويكنى أبا رملة ، وجعفر [بن أحمد] بن الحذّاء ؛ ووجّه معهما كاتباً من كتّاب العَرْض[5] ، يقال له طالب بن داود ، وأمره بامتحانهم هو وجعفر ، فمن قال : القرآن مخلوق فودى به ، ومن أبى ذلك تُرك فى أيدى الروم ؛ وأمَر لطالب بخمسة آلاف درهم ؛ وأمر أن يعطوا جميع من قال : إن القرآن مخلوق ؛ ممن فُودِى به ديناراً لكل إنسان من ماله[6] حُمل معهم ، فمضى القوم .

فذكر عن أحمد بن الحارث أنه قال : سألت ابن أبى قحطبة صاحب خاقان الخادم — وكان السفير الموجّه بين المسلمين والروم ، ووُجّه[7] ليعرف عدّة المسلمين فى بلاد الروم . فأتى ملك الروم وعرف عدّتهم قبل الفداء — فذكَر أنه بلغت عدّتهم ثلاثة آلاف رجل وخمسمائة امرأة ؛ فأمر الواثق بفدائهم ، وعجّل أحمد بن سعيد على البَريد ليكون الفداء على يديه ، ووجّه من يمتحن الأسراء من المسلمين ، فمن قال منهم : إنّ القرآن مخلوق ، وإنّ الله عزّ وجلّ لا يُرَى فى الآخرة فُودى به ؛ ومن لم يقل ذلك ترك فى أيدى الرّوم ، ولم يكن فداء منذ أيام محمد بن زبيدة فى سنة أربع أو خمس وتسعين ومائة .

١٣٥٤/٣

(١ — ١) ف : « فخرج فى خمسة عشر من البريد » .
(٢) ف : « للفداء » .
(٣) ف : « فقالوا » .
(٤) ف : « والعجائز » .
(٥) س : « من الكتاب » .
(٦) كذا فى ا ، وفى ط : « من مال » .
(٧) ف : « ووجه » .

قال: فلما كان يوم عاشوراء، لعشر خلوْن من المحرم سنة إحدى وثلاثين ومائتين، اجتمع المسلمون ومَنْ معهم من العُلوج وقائدان من قوّاد الروم؛ يقال لأحدهما أنقاس[1] وللآخر لسنوس، والمسلمون والمطوّعة في أربعة آلاف بين فارس وراجل، فاجتمعوا بموضع يقال له اللمس؛ فذكر عن محمد بن أحمد بن سعيد بن سلم بن قتيبة الباهليّ أن كتاب أبيه أتاه، أنّ من فُودِيَ به من المسلمين ومَنْ كان معهم من أهل ذمتهم أربعة آلاف وستّمائة إنسان؛ منهم صبيان ونساء ستّمائة؛ ومنهم من أهل الذّمة أقلّ من خمسمائة والباقون رجال من جميع الآفاق.

وذكر أبو قحطبة — وكان رسول خاقان الخادم إلى ملك الروم لينظر كَمْ عدد الأسرى، ويعلم صحّة ما عزم عليه ميخائيل ملك الروم — أنّ عدد المسلمين قبل الفداء كان ثلاثة آلاف رجل وخمسمائة امرأة وصبيّ، ممّن كان بالقسطنطينية وغيرها؛ إلا مَنْ أحضره الرّوم ومحمد بن عبد الله الطرسوسيّ — وكان عندهم — فأوفده أحمد بن سعيد بن سلْم وخاقان مع نَفر من وجوه الأسرى على الواثق، فحملهم الواثق على فرس فرس؛ وأعطى لكلّ رجل[2] منهم ألف درهم. ١٣٥٥/٣

وذكر محمد هذا أنه كان أسيراً في أيدي الرّوم ثلاثين سنة، وأنه كان أسير في غزاة رامية كان في العلاّفة فأسر، وكان فيمن فُودي به في هذا الفداء، وقال: فودِيَ بنا في يوم عاشوراء على نهر يقال له اللامس، على سلوقيَة قريباً من البحر، وأنّ عدتهم كانت أربعة آلاف وأربعمائة وستين نفساً[3]؛ النساء وأزواجهنّ وصبيانهنّ ثمانمائة وأهل ذمة المسلمين مائة أو أكثر، فوقع الفداء كلّ نفس عن نفس صغيراً أو كبيراً، فاستفرغ خاقان جميعَ مَنْ كان في بلد الرّوم من المسلمين ممن علم موضعه.

قال: فلمّا جُمعوا للفداء، وقف المسلمون من جانب النهر الشرقيّ والرّوم من الجانب الغربيّ — وهو مخاضة — فكان هؤلاء يرسلون من ها هنا رجلا وهؤلاء

---

(١) كذا في ا، س، وفي باقي الأصول بدون نقط وما أثبته من ا.
(٢) ف: «لكل واحد». (٣) ف: «إنساناً».

من هاهنا رجلا ، فيلتقيان فى وسط النهر ، فإذا صار المسلم إلى المسلمين كبّر وكبّروا ، وإذا صار الرومىّ إلى الروم تكلم بكلامهم ، وتكلموا شبيهاً بالتكبير .

وذكر عن السندىّ مولى حسين الخادم ، أنه قال : عقد المسلمون جسراً على النهر ، وعقد الرّوم جسراً ؛ فكنا نرسل الرومىّ على جسرنا ويرسل[1] الروم المسلم على جسرهم ؛ فيصير هذا إلينا وذاك إليهم ، وأنكر أن يكون مخاضة .

١٣٥٦/٣ وذكر عن محمد بن كريم أنه قال : لما صرنا فى أيدى المسلمين ، امتحنَنا جعفر ويحيى ، فقلنا ، وأعطينا دينارين دينارين .

قال : وكان البطريقان اللذان قدما بالأسرى لا بأس بهما فى معاشرتهما .

قال : وخاف الرّوم عدد المسلمين لقلّتهم وكثْرة المسلمين ؛ فآمنهم خاقان من ذلك ، وضرب بينهم وبين المسلمين أربعين يوماً لا يُغْزَون حتى يصلوا إلى بلادهم ومأمنهم ؛ وكان الفداء فى أربعة أيام ، ففضل مع خاقان ممن كان أمير المؤمنين أعدّ لفداء المسلمين[2] عدّة كبيرة ، وأعطى خاقان صاحب الروم ممن كان قد فضل فى يده مائة نفس ؛ ليكون عليهم الفضل استظهاراً مكان مَنْ يخشى أن يأسروه من المسلمين إلى انقضاء المدّة ، وردّ الباقين إلى طَرَسوس ، فباعهم .

قال : وكان خرج معنا ممن كان تنصّر ببلاد الروم من المسلمين نحوٌ من ثلاثين رجلا فُودى بهم .

قال محمد بن كريم : ولما انقضت المدّة بين خاقان والرّوم الأربعون يوماً ، غزا أحمد بن سعيد بن سلم بن قُتيبة ، فأصاب الناس الثلج والمطر ، فمات منهم قَدْرُ مائتى إنسان وغرق منهم فى البَدَنْدُون قوم كثير ، وأسر منهم نحو من مائتين ؛ فوجد أمير المؤمنين الواثق عليه لذلك ، وحصل جميع مَنْ مات وغرق خمسمائة إنسان ؛ وكان أقبل إلى أحمد بن سعيد وهو فى سبعة آلاف

(١) ط : « ويرسلون » . (٢) ف : « عد للفداء من المسلمين » .

ببطريق من عظمائهم فجبن[1] عنه، فقال له وجوه الناس: إن عسكراً فيه ١٣٥٧/٣
سبعة آلاف لا يتخوف عليه ؛ فإن كنت لا تواجه القوم فتطرق بلادهم .
فأخذ نحواً من ألف بقرة وعشرة آلاف شاة ، وخرج فعزله الواثق ، وعقد
لنصر بن حمزة الخزاعي يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى
من هذه السنة .

* * *

وفى هذه السنة مات الحسن بن الحسين ، أخو طاهر بن الحسين بطبرستان
فى شهر رمضان .

وفيها مات الخطاب بن وجه الفلس .

وفيها مات أبو عبد الله الأعرابي الراوية يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت
من شعبان وهو ابن ثمانين سنة .

وفيها ماتت أم أبيها بنت موسى أخت علي بن موسى الرضي .

وفيها مات مخارق المغني ، وأبو نصر أحمد بن حاتم راوية الأصمعي ، وعمرو
ابن أبي عمرو الشيباني ومحمد بن سعدان النحوي .

---

(١) كذا فى د ، وهو الوجه ، وفى ط : « فحيز » .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر الخبر عن مسير بغا الكبير إلى حرب بنى نمير]

فمن ذلك ما كان من مسير بغا الكبير إلى بنى نمير حتى أوقع بهم .

٣/١٣٥٨ * ذكر الخبر عن سبب مسيره إليهم وكيف كان الأمر بينه وبينهم :

حدثنى أحمد بن محمد بن مخلد[1] بمعظم خبرهم ؛ وذكر أنه كان مع بُغا فى ذلك السفر ، وأما سياق الكلام فلغيره . ذكر أنّ سبب شخوص بُغا إلى بنى نُمير كان أنّ عُمارة بن عَقِيل بن بلال بن جرير بن الخطَفَى امتدح الواثق بقصيدة ، فدخل عليه فأنشده إياها ، فأمر له بثلاثين ألف درهم ، وبنُزُل فكلّم عُمارة الواثق فى بنى نُمير ، وأخبره بعبثهم وفسادهم فى الأرض ، وإغارتهم على الناس وعلى اليمامة وما قرب منها ؛ فكتب الواثق إلى بُغا يأمره بحربهم .

فذكر أحمد بن محمد أنّ بُغا لمّا أراد الشخوص من المدينة إليهم حمل معه محمد بن يوسف الجعفرىّ دليلاً له على الطريق ، فمضى نحو اليمامة يُريدهم ، فلقى منهم جماعة بموضع يقال له الشُّريف ؛ فحاربوه ، فقتل بُغا منهم نَيِّفاً وخمسين رجلا ، وأسر نحواً من أربعين ، ثم سار إلى حُظَيَّان ، ثم سار إلى قرية لبنى تميم من عمل اليمامة تدعى مرأة : فنزل بها ، ثم تابع إليهم رسله ، يَعرض عليهم الأمان ، ودعاهم إلى السمع والطاعة ؛ وهم فى ذلك يمتنعون عليه ، ويشتمون رسله ، ويتفلّتون إلى حربه ؛ حتى كان آخر من وجّه إليهم رجلين ؛ أحدهما من بنى عدىّ من تميم والآخر من بنى نُمير ، فقتلوا التميمىّ وأثبتوا النميرىّ ٣/١٣٥٩ جراحاً ؛ فسار بُغا إليهم من مرأة . وكان مسيره إليهم فى أول صفر من سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ، فورد بطن نخل ، وسار حتى دخل نُخَيلة[2] ، وأرسل

(١) ط : « خالد » ، وما أثبته من ا ، د ، و ، وانظر الفهرس والتصويبات .
(٢) ا : « نخلة » .

إليهم أن ائتونى ، فاحتملت بنو ضَبّة من نُمَير ، فركبت جبالها مياسر جبال السَّوْد — وهو جبل خلف اليمامة أكثر أهله باهلة — فأرسل إليهم فأبوا أن يأتوه ، فأرسل إليهم سرّية فلم تدركهم ، فوجّه سرايا ، فأصابت فيهم وأسرت منهم . ثم إنه أتبعهم بجماعة مَنْ معه وهم نحو من ألف رجل سوى مَنْ تخلّف فى العسكر من الضعفاء والأتباع ، فلقيهم وقد جمعوا له ، وحشدوا لحربه ؛ وهم يومئذ نحو من ثلاثة آلاف ، بموضع يقال له روضة الأبان وبطن السرّ من القرْنين على مرحلتين ، ومن أضاخ على مرحلة ؛ فهزموا مقدّمته ، وكشفوا ميسرته ، وقتلوا من أصحابه نحواً من مائة وعشرين أو مائة وثلاثين رجلا ، وعقروا من إبل عسكره نحواً من سبعمائة بعير ومائة دابة ، وانتهبوا الأثقال وبعض ما كان مع بُغا من الأموال .

قال لى أحمد : لقيهم بُغا وهجم عليهم ، وغلبه[1] الليل ، فجعل بُغا يناشدهم ، ويدعوهم إلى الرجوع وإلى طاعة أمير المؤمنين ، ويكلّمهم بذلك محمد ابن يوسف الجعفرىّ ، فجعلوا يقولون له : يا محمد بن يوسف ، قد والله ولدناك فما رعيتَ حُرْمة الرّحِم ، ثم جئتنا بهؤلاء العبيد والعلُوج تقاتلنا بهم ! والله لنريَنّك العِبَر ، ونحو ذلك من القول .

فلما دنا الصبح[2] قال محمد بن يوسف لبُغا : أوقع بهم من قبل أن يضىء الصبح ، فيروْا قلّة عددنا ، فيجترئوا علينا ، فأبى بُغا عليه ؛ فلمّا أضاء الصبح ونظروا إلى عدد مَنْ مع بُغا — وكانوا قد جعلوا رجّالتهم أمامهم وفرسانهم وراءهم ونَعمهم ومواشيهم من ورائهم — حملوا علينا ، فهزمونا حتى بلغت هزيمتنا معسكرنا ، وأيقنّا بالهلكة . ١٣٦٠/٣

قال : وكان قد بلغ بُغا أنّ خيلاً لهم بمكان من بلادهم ، فوجّه من أصحابه نحواً من مائتى فارس إليها . قال : فبينا نحن فيما نحن فيه من الإشراف على العَطَب ، وقد هزم بُغا ومَنْ معه إذ خرجت الجماعة التى كان بُغا وجّهها من الليل إلى تلك الخيل ، وقد أقبلت منصرفة من الموضع الذى وُجّهت

(١) س : « وعليه » . (٢) س : « للصبح » .

إليه من العسكر فى ظهور بنى نُمير، وقد فعلوا ما فعلوا ببُغا وأصحابه، فنفخوا فى صَفَّاراتهم؛ فلما سمعوا نَفْخَ الصّفارات، ونظروا إلى مَنْ خرج عليهم فى أدبارهم، قالوا: غَدَرَ[1] والله العبد، وولّوا هاربين، وأسلم فرسانهم رجّالتهم بعد أن كانوا على غاية المحاماة عليهم.

قال لى أحمد بن محمد: فلم يفلت من رجّالتهم كثير أحد؛ حتى قُتلوا عن آخرهم؛ وأما الفرسان فطاروا هُرّابًا على ظهور الخيل.

وأما غير أحمد بن محمد فإنه قال: لم تزل الهزيمة على بُغا وأصحابه منذ غدوة إلى انتصاف النهار؛ وذلك يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من جمادى الآخرة سنة ثنتين وثلاثين ومائتين، ثم تشاغلوا بالنَّهب وعَقْر الإبل والدوابّ حتى ثاب إلى بُغا من كان انكشف من أصحابه، واجتمع إليه مَنْ كان تفرّق عنه، فكرّوا على بنى نُمير، فهزمهم وقتل منهم منذ زوال الشمس إلى وقت العصر زهاء ألف وخمسمائة رجل. وأقام بُغا بموضع الوقعة على الماء المعروف ببطن السرّ، حتى جُمعت له رءوس مَنْ قتِل من بنى نمير، واستراح هو وأصحابه ثلاثة أيام. ١٣٦١/٣

فحدثنى أحمد بن محمد أنّ مَنْ هرب من فرسان بنى نمير من الوقعة أرسلوا إلى بُغا يطلبون منه الأمان؛ فأعطاهم الأمان، فصاروا إليه، فقيّدهم وأشخصهم معه.

وأمّا غيره فإنه قال: سار بُغا من موضع الوقعة فى طلب من شذّ عنه منهم، فلم يدرك إلّا الضعيف ممن لم يكن له نهوض منهم وبعض المواشى والنَّعَم، ورجع إلى حصن باهلة. قال: وإنما قاتل بُغا من بنى نُمير بنو عبد الله بن نُمير وبنو بُسْرَة وبلحَجّاج وبنو قَطَن وبنو سلاه وبنو شُرَيح وبطون من الخوالف — وهم من بنى عبد الله بن نمير، ولم يكن فى القتال من بنى عامر بن نُمير إلا القليل — وبنو عامر بن نُمير أصحاب نخل وشاء، وليسوا أصحاب خيل، وعبد الله بن نمير هى التى تحارب العرب — فقال عُمارة

(١) ط: «عذر»، والصواب ما أثبته من د.

ابن عَقيل لبُغا :

تركتَ الأعقفين وبَطْنَ قَوٍّ ومَلأْتَ السجونَ من القماشِ

فحدثنى أحمد بن محمد أنّ الذين دخلوا إلى بُغا بالأمان من بنى نُمير لمّا قيدهم وحبسهم وأشخصهم معه شَغَبُوا فى الطريق ، وحاولوا كسر قيودهم والهرب ، فأمر بإحضارهم واحداً بعد واحد ؛ فكان إذا حضر الواحد يضربه ما بين الأربعمائة إلى الخمسمائة وأقلّ من ذلك وأكثر ؛ فزعم أحمد[1] أنه حضر ضربهم ولم ينطق منهم ناطق يتوجّع من الضرب ؛ وأنه أحضر منهم شيخ قد علّق فى عنقه مصحفاً ؛ ومحمد بن يوسف جالس إلى جنب بُغا ، فضحك منه محمد بن يوسف . وقال لبُغا : هذا أخبث ما كان — أصلحك الله — حين علّق المصحف فى عنقه ! فضربه أربعمائة أو خمسمائة ، فما توجّع وما استغاث . ١٣٦٢/٣

وذُكر أن فارساً من بنى نُمير لقى بُغا فى وقعتهم التى ذكرت أمرها يُدْعَى[2] المجنون ، فطعن بُغا ورمى المجنونَ رجلٌ من الأتراك . فأفلت ، وعاش أياماً ثلاثة ، ثم مات من رميته .

قال : ثم قدم عليه واجن الأشروسنى الصُّغدىّ فى سبعمائة رجل مدداً له من الأشْروسنيّة الإشتيخنيّة ، فوجّهه بُغا ومحمد بن يوسف الجعفرىّ فى أثرهم ؛ فلم يزل يتبعهم حتى وغلوا فى البلاد ، وصاروا بتَبَالة وما يليها من حدّ عمل اليمن وفاتوه ؛ فانصرف ولم يصر فى يديه منهم إلاّ ستّة نفر أو سبعة ، وأقام بحصن باهلة ، ووجّه إلى جبال بنى نُمير وسهلها من هلان والسَّوْد وغيرها من عمل اليمامة سرايا فى محاربة من امتنع ممن قبل الأمان منهم ، فقتلوا جماعة وأسروا جماعة ، وأقبل عدّة من رؤسائهم ، كلُّهم يطلب الأمان لنفسه والبطن الذى هو منه ، فقبل ذلك منهم ، وبسطهم وآنسهم ؛ ولم يزل مقيماً إلى أن جمع إليه كلّ مَنْ ظنّ أنه كان فى هذه النواحى منهم ، وأخذ منهم زُهاء ثمانمائة رجل ، فأثقلهم بالحديد وحملهم إلى البصرة ، فى ذى القعدة من سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ، وكتب إلى صالح العباسىّ بالمسير بمَنْ قبله فى المدينة

(١) ط : « أحد » وما أثبته من ا ، د . (٢) ط : « بدعاء » ، تحريف ، صوابه من د.

من بنى كلاب وفزارة ومُرّة وثعلبة وغيرهم واللحاق به ؛ فوافاه صالح العباسىّ ببغداد ، وصاروا جميعًا فى المحرّم إلى سامرّا سنة ثلاث وثلاثين ومائتين ، وكانت عدّة مَن قدم به بُغا وصالح العباسىّ من الأعراب سوى مَن مات منهم وهرب . وقُتِل فى هذه الوقائع التى وصفناها ألفى رجل ومائتى رجل من بنى نمير ومن بنى كلاب ومن مرّة وفزارة ومن ثعلبة وطيّئ . ١٣٦٣/٣

* * *

وفى هذه السنة أصاب الحاجّ فى المرجع عطش شديد فى أربعة منازل إلى الرَّبَذَة ، فبلغت الشَّرْبة عدّة دنانير . ومات خلق كثير من العطش .

وفيها ولّى محمد بن إبراهيم بن مصعب فارس .

وفيها أمر الواثق بترك جباية أعشار سفن البحر .

وفيها اشتدّ البرد فى نيسان حتى تجمد الماء لخمس خلون منه .

[ذكر خبر موت الواثق]

وفيها مات الواثق .

* ذكر الخبر عن العلة التى كانت بها وفاته :

ذكر لى جماعةٌ من أصحابنا أنّ علّته التى تُوفّىَ منها كانت الاستسقاء ، فعُولج بالإقعاد فى تَنُّور مسخّن ، فوجَد لذلك راحة وخفّة مما كان به ، فأمرهم من غدِ ذلك اليوم بزيادة فى إسخان التَّنُّور ، ففُعل ذلك وقعد فيه أكثر من قعوده فى اليوم الذى قبله ، فحمِىَ عليه ، فأخرِج منه ، وصُيّر فى محفّة ؛ وحضره الفضل بن إسحاق الهاشمىّ وعمر بن فرَج وغيرهم ؛ ثم حضر ابن الزيات وابن أبى دواد ، فلم يعلموا بموته حتى ضرب بوجهه المحفّة ، فعلموا أنه قد مات .

وقد قيل : إن أحمد بن أبى دُواد حضره وقد أغمى [1] عليه ، فقضى وهو

(١) ط : « أعمى » ، تحريف ، صوابه من ا ، د .

عنده فأقبل يغمضه ويصلح من شأنه. وكانت وفاته لستٍّ بقين من ذى الحجة وُدفِن فى قصره بالهارونىّ. وكان الذى صلّى عليه وأدخله قبرَه وتولّى أمره ٣/١٣٦٤ أحمد بن أبى دواد؛ وكان الواثق أمر أحمد بن أبى دواد أن يُصلِّىَ بالناس يوم الأضحى فى المصلّى، فصلى بهم العيد؛ لأن الواثق كان شديد العِلّة فلم يقدر على الحضور إلى المصلّى، ومات من عِلّته تلك.

* * *

ذكر الخبر عن صفة الواثق وسنه وقدر مدة خلافته

ذكَر من رآه وشاهده أنه كان أبيضَ مشربًا حُمرة، جميلاً رَبْعة، حسن الجسم، قائم العين اليسرى؛ وفيها نُكتة بياض.

وتوفّىَ -فيما زعم بعضهم- وهو ابن ستّ وثلاثين سنة، وفى قول بعضهم: وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة؛ فقال الذين زعموا أنه كان ابن ست وثلاثين: كان مولده سنة ست وتسعين ومائة، وكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وخمسة أيام. وقال بعضهم: وسبعة أيام واثنتى عشرة ساعة.

وكان وُلِد بطريق مكة، وأمه أم ولد روميّة؛ يقال لها قراطيس.

واسمه هارون وكنيته أبو جعفر.

وذكر أنه لما اعتلّ علته التى مات فيها وسقى بطنه أمر بإحضار المنجّمين، فأحضِروا؛ وكان ممن حضر الحسن بن سهل، أخو الفضل بن سهل، والفضل بن إسحاق الهاشمىّ وإسماعيل بن نُوبخت ومحمد بن موسى الخُوارزمىّ المجوسىّ القطرُبُّلىّ وسند صاحب محمد بن الهيثم وعامة مَن ينظر فى النجوم، فنظروا فى علّته ونجمه ومولده، فقالوا: يعيش دهراً طويلا، وقدّروا له خمسين سنة مستقبلة؛ فلم يلبث إلا عشرة أيام حتى مات.

* * *

ذكر بعض أخباره

٣/١٣٦٥

ذكر الحسين[١] بن الضحاك أنه شهد الواثق بعد أن مات المعتصم بأيام،

---

(١) ط: «الحسن» وصوابه من ا، د، وانظر الفهرس.

وقد قعد مجلساً كان أوّل مجلس قعَدَه ؛ فكان أوّل ما تُغُنِّى به من الغناء فى ذلك المجلس ، أن تغنَّت شارية جارية إبراهيم بن المهدىّ :

ما دَرَى الحاملونَ يومَ استقلُّوا نَعْشَه للثواءِ أمْ للفناءِ[1]
فليقل فيك باكِياتُكَ ماشِئـ ـنَ صباحاً ووقتَ كلِّ مَسَاء

قال : فبكى والله وبكينا حتّى شغلَنا البكاء عن جميع ما كنّا فيه ، ثم اندفع بعض المغنّين فغنّى :

وَدِّعْ هريرة إنَّ الرَّكبَ مرتحِلُ وهل تطِيقُ وَداعاً أيها الرجلُ ![2]

قال : فازداد والله فى البكاء ؛ وقال : ما سمعت كاليوم قطّ تعزية بأب ونعيّ[3] نفس ؛ ثم ارفضّ ذلك المجلس .

وذكر عن عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع أن علىّ بن الجهم قال فى الواثق بعد أن ولى الخلافة :

قد فازَ ذو الدُّنيا وذو الدِّينِ بدولةِ الواثق هـارونِ[4]
أفاضَ من عَدْلٍ ومن نائلٍ ما أحسنَ الدنيا مع الدينِ !
قد عمَّ بالإحسانِ فى فضلهِ فالناس فى خَفضٍ وفى لِين
ما أكثرَ الداعِى له بالبقا وأكثرَ التـالِى بـآمينِ

٣/١٣٦٦

وقال علىّ بن الجهم أيضًا فيه :

وثِقَتْ بالمَلكِ الوا ثِقِ بالله النفوسُ[5]
مَلِكٌ يشقَى به الما لُ ولا يشقى الجليسُ
أنِسَ السيفُ به واستـ ـوحشَ العِلْقُ النفِيس
أسدٌ تضْحَكُ عن شدّاتِهِ الحربُ العَبُوس
يا بنِى العباسِ يأبَى اللـ ـهُ إلا أنْ تَسُوسُوا

---

(١) ا ، د : « للقاء » .
(٢) للأعشى، ديوانه ٥٥ (طبعة النموذجية).
(٣) ط : « ونعى » .
(٤) ديوانه ١٨٨ .
(٥) ديوانه ١٣ .

فغنّت قلم جارية صالح بن عبد الوهاب فى هذين الشعرين، وغنّت فى شعر محمد بن كُناسة :

فىَّ انقباضٌ وحِشمَةٌ فإذا جالَسْتُ أهلَ الوفاءِ والكَرَمِ[1]
أرسلتُ نفسِى على سَجيَّتها وقلتُ ما شئتُ غيرَ محتشِمِ

فغنّته الواثق ؛ فاستحسنه ؛ فبعث إلى ابن الزيات : ويحك من صالح ابن عبد الوهاب هذا ! فابعث إليه فأشخصْه ؛ وليحمل جاريتَه ؛ فغدا بها صالح إلى الواثق ، فأدخلَتْ عليه ، فلما تغنّت ارتضاها ، فبعث إليه ، فقال : قلْ ، فقال : مائة ألف دينار يا أمير المؤمنين وولاية مصر ، فردّها ، ثم قال أحمد بن عبد الوهاب أخو صالح فى الواثق :

أبَتْ دارُ الأحِبَّةِ أن تُبِينا أجدَّكَ ما رأيتَ لها مُعِينَا
تُقَطِّعُ حَسْرَةً من حُبِّ لَيْلَى نفوسٌ ما أُثِبْنَ ولا جُزِينا

١٣٦٧/٣ فصنعت فيه قلم جارية صالح ، فغنّاه زرزر الكبير للواثق ، فقال : لمن ذا ؟ فقال : لقلم ، فبعث إلى ابن الزيات ، فأشخص صالحًا ومعه قلم ؛ فلمّا دخلت عليه ، قال : هذا لك ؟ قالت : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : بارك الله عليك ! وبعث إلى صالح : استَمْ وقلْ قولا يتهيأ أن تُعطاه ؛ فبعث إليه : قد أهديتُها إلى أمير المؤمنين ، فبارك الله لأمير المؤمنين فيها . قال : قد قبلتُها ، يا محمد، عوِّضْه خمسة آلاف دينار ، وسمّاها « اغتباط » فطـّله ابن الزّيات ، فأعادت الصوت وهو :

أبت دار الأحبةِ أن تُبينا أجدّك هل رأيت لها معينا

فقال لها : بارك الله عليك وعلى من ربّاك ؛ فقالت : يا سيّدى وما ينتفع مَنْ ربانى ، وقد أمرت له بشىء لم يصل إليه! فقال الواثق : ياسمّانة[2] ، الدواة ؛ فكتب إلى ابن الزّيات : ادفع إلى صالح بن عبد الوهاب ما عوّضناه من ثمن

---

(١) ورد البيت محرفاً فى ط ، وصواب ما أثبته من ا ، د .

(٢) ط : « سيمانه » .

اغتباط خمسة آلاف دينار ، وأضعفها . قال صالح : فصرت إلى ابن الزّيات فقرّبنى ،وقال : هذه الخمسة الأولى ؛ خذها ، والخمسة آلاف الأخرى أدفعها إليك بعد جمعة ؛ فإن سئلت ، فقل : إنى قبضت المال . قال : فكرهت أن أسألَ فأقرّ بالقبض ؛ فاختفيت فى منزلى حتى دفع إلىّ المال ، فقال لى سمانة : قبضت المال ؟ قلت : نعم ، وترك عمل السلطان ، وتجر بها ، حتى تُوُفِّىَ .

١٣٦٨/٣

خلافة جعفر المتوكل على الله

وفى هذه السنة بُويع لجعفر المتوكل على الله بالخلافة ؛ وهو جعفر بن محمد بن هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد ذى الثَّفِنات بن علىّ السجّاد ابن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب .

* * *

ذكر الخبر عن سبب خلافته ووقتها

حدّثنى غير واحد ، أن الواثق لما تُوُفِّىَ حضر الدارَ أحمد بن أبى دواد وإيتاخ ووصيف وعمر بن فرَج وابن الزّيات وأحمد بن خالد أبو الوزير ، فعزموا على البَيْعة لمحمد بن الواثق ؛ وهو غلام أمْرَد ، فألبسوه درّاعة سوداء وقلنسوة رُصافية ، فإذا هو قصير ، فقال لهم وصيف : أما تتقون الله ! تولّون مثل هذا الخلافة ؛ وهو لا يجوز معه الصلاة !

قال : فتناظروا فيمن يولّونها ، فذكروا عدّة ، فذُكر عن بعض من حضر الدار مع هؤلاء ، أنه قال : خرجتُ من الموضع الذى كنتُ فيه ، فمررت بجعفر المتوكل ؛ فإذا هو فى قميص وسِرْوال قاعد مع أبناء الأتراك ، فقال لى : ما الخبر ؟ فقلت : لم ينقطع أمرهم ؛ ثم دَعوْا به ، فأخبره بُغا الشرابىّ الخبَر ، وجاء به ، فقال : أخاف أن يكون الواثق لم يمت ، قال : فمرّ به ، فنظر إليه مسجًّى ، فجاء فجلس ، فألبسه أحمد بن أبى دواد الطويلة وعمّمه وقبّله بين عينيه ، وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ! ثم غُسِّل الواثق وصُلِّىَ عليه ودفن ، ثم صاروا من فَوْرهم إلى دار العامة ؛ ولم يكن لقِّب المتوكل .

١٣٦٩/٣

وذكر أنه كان يوم بُويع له ابنَ ست وعشرين سنة؛ ووضع العطاء للجند لثمانية أشهر؛ وكان الذى كتب البيعة له محمد بن عبد الملك الزيات؛ وهو إذ ذاك على ديوان الرسائل؛ واجتمعوا بعد ذلك على اختيار لقب له، فقال ابن الزيات: نسمّيه المنتصر بالله؛ وخاض الناس فيها حتى لم يشكّوا فيها، فلما كان غداة يوم بكّر أحمد بن أبى دواد إلى المتوكل، فقال: قد روّيت فى لقب أرجو أن يكون موافقًا حسنًا إن شاء الله؛ وهو المتوكل على الله، فأمر بإمضائه، وأحضر محمد بن عبد الملك، فأمر بالكتاب بذلك إلى الناس، فنفذت إليهم الكتب، نسخة ذلك:

بسم الله الرحمن الرحيم؛ أمَرَ — أبقاك الله — أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، أن يكون الرّسمُ الذى يجرى به ذكرُه على أعواد منابره، وفى كتبه إلى قضاته وكُتّابه وعمّاله وأصحاب دواوينه وغيرهم مِنْ سائر مَنْ تجرى المكاتبة بينه وبينه: «من عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين»؛ فرأيك فى العمل بذلك وإعلامى بوصول كتابى إليك موفّقًا إن شاء الله.

وذُكِر أنه لما أمر للأتراك برزق أربعة أشهر وللجند والشاكريّة ومَنْ يجرى مجراهم من الهاشميين برزق ثمانية أشهر، أمر للمغاربة برزق ثلاثة أشهر، فأبَوْا أن يقبضوا، فأرسل إليهم: من كان منكم مملوكًا؛ فليمض إلى أحمد بن أبى دواد حتى يبيعه؛ ومَنْ كان حرًّا صيّرناه أسْوَة الجند؛ فرضُوا بذلك؛ وتكلّم وصيف فيهم حتى رضىَ عنهم؛ فأعْطُوا ثلاثة، ثم أجروا بعد ذلك مُجْرَى الأتراك. وبويع للمتوكل ساعة مات الواثق بيعة الخاصّة وبايعته العامّة حين زالت الشمس من ذلك اليوم. ١٣٧٠/٣

وذكر عن سعيد الصّغير أن المتوكل قبل أن يُستخلف ذكر له ولجماعة معه أنه رأى فى المنام أن سكّرًا سليمانيًّا يسقط عليه من السماء، مكتوبًا عليه «جعفر المتوكل على الله»، فعبّرها علينا، فقلنا: هى والله أيها الأمير أعزّك الله الخلافة، قال: وبلغ الواثق ذلك فحبسه، وحبس سعيدًا معه، وضيّق على جعفر بسبب ذلك.

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة محمدُ بن داود.

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر حبس محمد بن عبد الملك الزيات ووفاته]

فمن ذلك ما كان من غضب المتوكل على محمد بن عبد الملك الزيات وحبسه إياه .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك وإلى ما آل إليه الأمر فيه :

أما السبب فى غضبه عليه ؛ فإنه كان — فيما ذكر — أنّ الواثق كان استوزر محمد بن عبد الملك الزيات وفوّض إليه الأمور ؛ وكان الواثق قد غضب على أخيه جعفر المتوكل لبعض الأمور ، فوكّل عليه عمر بن فرج الرُّخَّجىّ ومحمد بن العلاء الخادم ؛ فكانا يحفظانه ويكتبان بأخباره فى كلّ وقت ؛ فصار جعفر إلى محمد بن عبد الملك يسأله أن يكلّم له أخاه الواثق ليرضَى عنه ؛ فلمّا دخل عليه مكث واقفاً بين يديه مليًّا لا يكلمه ، ثم أشار إليه أن يقعد فقعد ؛ فلما فرغ من نظره فى الكتب ، التفت إليه كالمتهدّد له ، فقال : ما جاء بك ؟ قال : جئت لتسأل أمير المؤمنين الرّضا عنى ، فقال لمن حوله : انظروا إلى هذا ، يُغضب أخاه ، ويسألنى أن استرضيَه له ! اذهب فإنك إذا صلحت رضِيَ عنك ؛ فقام جعفر كئيباً حزيناً لمَا لقيه به من قُبْح اللقاء والتقصير به ؛ فخرج من عنده ؛ فأتى عمر بن فرج ليسأله أن يختم له صَكّه ليقبض أرزاقه ، فلقيه عمر بن فرج بالخيبة ؛ وأخذ الصكّ ، فرمى به إلى صَحْن المسجد . ٣/١٣٧١

وكان عمر يجلس فى مسجد ؛ وكان أبو الوزير أحمد بن خالد حاضراً ، فقام لينصرف ، فقام معه جعفر ، فقال : يا أبا الوزير ؛ أرأيتَ ما صنع بى عمر ابن فرج ؟ قال : جعلت فداك ! أنا زِمَامٌ عليه ؛ وليس يختم صَكّى بأرزاقى

إلا بالطلب والترفّق به ؛ فابعث إلىّ بوكيلك ؛ فبعث جعفر بوكيله ؛ فدفع إليه عشرين ألفاً ، وقال : أنفِق هذا حتى يهيّئ الله أمرك ؛ فأخذها ثم أعاد إلى أبي الوزير رسوله بعد شهر ؛ يسأله إعانتَه ، فبعث إليه بعشرة آلاف درهم ؛ ثم صار جعفر من فوْرِه حين خرج من عند عمر إلى أحمد بن أبى دواد، فدخل عليه ، فقام له أحمد ، واستقبله على باب البيت ، وقبّله والتزمه ، وقال : ما جاء بك ، جعلتُ فداك ! قال : قد جئتُ لتسترضىَ لى أمير المؤمنين ، قال : أفعل ونعمةَ عين وكرامة ، فكلّم أحمد بن أبى دواد الواثق فيه ، فوعده ولم يرض عنه ؛ فلما كان يوم الحلْبة كلّم أحمد بن أبى دواد الواثق ، ١٣٧٢/٣ وقال : معروف المعتصم عندى معروف ، وجعفر ابنه ؛ فقد كلمتك فيه ، ووعدتَ الرضا ؛ فبحقّ المعتصم يا أمير المؤمنين إلاّ رضيتَ عنه ! فرضىَ عنه من ساعته وكساه ، وانصرف الواثق وقد قلّد أحمد بن أبى دواد جعفراً بكلامه حتى رضىَ عنه أخوه شكراً ، فأحظاه ذلك عنده حين ملك .

وذكر أنّ محمد بن عبد الملك كان كتب إلى الواثق حين خرج جعفر من عندِه : يا أميرَ المؤمنين ، أتانى جعفر بن المعتصم يسألنى أن أسأل أمير المؤمنين الرضا عنه فى زىّ المخنثين له شعر قفاً. فكتب إليه الواثق : ابعث إليه فأحضره ، ومُرْ مَنْ يجزّ شعر قفاه ، ثم مُرْ من يأخذ من شعره ويضرب به وجهه ، واصرفه إلى منزله . فذكر عن المتوكّل أنه قال : لما أتانى رسوله ، لبست سواداً لى جديداً ، وأتيته رجاء أن يكون قد أتاه الرضا عنّى ، فقال : يا غلام ، ادع لى حجّاماً ، فدُعى به ، فقال : خذ شعره واجمعه ، فأخذه على السّواد الجديد . ولم يأته بمنديل ؛ فأخذ شعره وشعر قفاه وضرب به وجهه .

قال المتوكّل : فما دخلَنى من الجزع على شىء مثل ما دخلنى حين أخذنى على السواد الجديد ؛ وقد جئته فيه طامعاً[1] فى الرضا ، فأخذ شعرى عليه .

ولما تُوفّىَ الواثق أشار محمد بن عبد الملك بابن الواثق ، وتكلّم فى ذلك

(١) ا ، د : « طمعاً » .

١٣٧٣/٣ وجعفر في حُجْرة غير الحجرة التي يتشاورون فيها، فيمن يعقدون[1]، حتى بُعث إليه، فعُقد له هناك؛ فكان سبب هلاك ابن الزّيات.

وكان بُغا الشرابيّ الرسولَ إليه يدعوه، فسلم عليه بالخلافة في الطريق، فعقدوا له وبايعوا، فأمهل حتى إذا كان يوم الأربعاء لسبع خلَوْن من صفر؛ وقد عزم المتوكّل على مكروه أن يناله به، أمر إيتاخ بأخذه وعذابه؛ فبعث إليه إيتاخ، فظنّ أنه دُعي به، فركب بعد غدائه مبادراً يظنّ أن الخليفة دعا به؛ فلما حاذى منزل إيتاخ قيل له: اعدل إلى منزل أبي منصور، فعدَل وأوجس في نفسه خيفةً؛ فلمّا جاء إلى الموضع الذي كان ينزل فيه إيتاخ عُدِل به يمْنةً[2]، فأحسّ بالشرّ، ثم أدخِل حجرة، وأخذ سيفه ومِنطقته وقلنسوته ودرّاعته؛ فدُفع إلى غلمانه، وقيل لهم: انصرفوا، فانصرفوا لا يشكّون أنه مقيم عند إيتاخ ليشرب النبيذ.

قال: وقد كان إيتاخ أعدّ له رجلين من وجوه أصحابه؛ يقال لهما يزيد ابن عبد الله الحلواني وهرْثمة شارباميان؛ فلما حصل محمد بن عبد الملك خرجا يركُضان في جُنْدهما وشاكريّتهما، حتى أتيا دار محمد بن عبد الملك، فقال لهم غلمان محمد: أين تريدون؟ قد ركب أبو جعفر؛ فهجما على داره، وأخذا جميع ما فيها.

فذكر عن ابن الحلوانيّ أنه قال: أتيت البيت الذي كان محمد بن عبد الملك يجلس فيه، فرأيته رثّ الهيئة قليل المتاع، ورأيت فيه طنافس أربعة وقنانيّ رطليّات، فيها شراب؛ ورأيت بيتاً ينام فيه جواريه؛ فرأيت فيه بُوريّاً ومخادّ منضّدة في جانب البيت؛ على أن جواريه كنّ ينمْن فيه بلا فُرش.

١٣٧٤/١ وذكر أنّ المتوكل وجّه في هذا اليوم من قَبض ما في منزله من متاع ودوابّ وجوار وغلمان، فصيّر ذلك كله في الهارونيّ، ووجّه راشداً المغربيّ إلى بغداد في قبض ما هنالك من أمواله وخدَمه، وأمر أبا الوزير بقبض ضياعه وضياع أهل بيته حيث كانت. فأمّا ما كان بسامرّا فحمل إلى خزائن

---

(١) كذا في ا، وفي ط: «يقعدون».
(٢) كذا في ا.

مَسرور سمانة ، بعد أن اشتُرِىَ للخليفة ؛ وقيل لمحمد بن عبد الملك: وكَّلْ ببيع متاعك . وأتوه بالعباس بن أحمد بن رشيد كاتب عُجيف ، فوكَّله بالبيع عليه ، فلم يزل أيامًا فى حَبْسه مطلقًا ، ثم أمِر بتقييده فقُيِّد ، وامتنع من الطعام ؛ وكان لا يذوق شيئًا ، وكان شديد الجَزَع فى حبسه ، كثير البكاء ، قليل الكلام ، كثير التفكّر ، فمكث أيامًا ثم سُوهِر، ومُنِع من النوم، يساهَر ويُنْخَس بمسلّة ، ثم تُرِك يومًا وليلة ، فنام وانتبه ؛ فاشتهى فاكهة وعِنَبًا ؛ فأتِىَ به ، فأكل ثم أعيد إلى المساهرة ، ثم أمر بتنور من خشب فيه مسامير حديد [قيام][1] . فذكر عن ابن أبى دواد وأبى الوزير أنهما قالا : هو أوّل مَنْ أمر بعمل ذلك ؛ فعذّب به ابن أسباط المصرىّ حتى استخرج منه جميع ما عنده ، ثم ابتُلِىَ به فعُذِّب به أيامًا .

فذُكر عن الدنداني الموكّل بعذابه أنه قال : كنت أخرج وأقفل الباب عليه ؛ فيمدّ يديه إلى السماء جميعًا حتى يدقّ موضع كتفيه ؛ ثم يدخل التنُّور فيجلس ، والتنُّور فيه مسامير حديد وفى وسطه خشبة معترضة ، يجلس عليها المعذَّب ؛ إذا أراد أن يستريح ، فيجلس على الخشبة ساعة، ثم يجىء الموكّل به ؛ فإذا هو سمع صوت الباب يُفتح قام قائمًا كما كان ؛ ثم شدّدوا[2] عليه . ١٣٧٥/٣

قال المعذَّب له : خاتلته يومًا ، وأريتُه أنى أقفلت الباب ولم أقفله ؛ إنما أغلقته بالقفل ، ثم مكثت قليلا ، ثم دفعت الباب غَفْلة ؛ فإذا هو قاعد فى التنُّور على الخشبة ، فقلت : أراك تعمل هذا العمل ! فكنت إذا خرجت بعد ذلك شددت خِناقه ، فكان لا يقدر على القعود ، واستلت الخشبة حتى كانت تكون بين رجليه ؛ فما مكث بعد ذلك إلا أيامًا حتى مات .

واختلف فى الذى قتل به ، فقيل : بُطِح ، فضُرب على بطنه خمسين مِقْرعة ، ثم قُلِب فضرب على استه مثلها ، فمات وهو يُضرَب ؛ وهم لا يعلمون ، فأصبح ميّتًا قد التوت عنُقه ، ونُتفت لحيته . وقيل : مات بغير ضرب .

وذكر عن مبارك المغربىّ أنه قال : ما أظنه أكل فى طول حبسه إلّا رغيفًا

---

(١) من ا . (٢) ا : « تشددوا » .

واحداً ؛ وكان يأكل العِنبة والعنبتين .

قال : وكنت أسمعه قبل موته بيومين أو ثلاثة يقول لنفسه : يا محمد بن عبد الملك ؛ لم يقنعك النعمة والدواب الفُرّه والدّار النظيفة والكسوة الفاخرة ؛ وأنت فى عافية حتّى طلبت الوزارة ؛ ذُق ما عملت بنفسك ! فكان يكرّر ذلك على نفسه ؛ فلمّا كان قبل موته بيوم ؛ ذهب عنه عتابُ نفسه ؛ فكان لا يزيد على التشهّد وذكر الله ؛ فلما مات أحْضِر[1] ابناه سليمان وعبيد الله — كانا محبوسين — وقد طُرِح على باب من خشب فى قميصه الذى حُبِس فيه ؛ وقد اتّسخ فقالا : الحمد لله الذى أراح من هذا الفاسق ؛ فدُفعت جثّته إليهما ، فغسلاه على الباب الخشب ، ودفناه وحفرا له ، فلم يعمّقا ؛ فذُكِر أن الكلاب نبشته ؛ وأكلت لحمه .

١٣٧٦/٣

وكان إبراهيم بن العباس على الأهواز ، وكان محمد بن عبد الملك له صديقاً ، فوجّه إليه محمد أحمدَ بن يوسف أبا الجهم ، فأقامه للناس فصالحه عن نفسه بألف ألف درهم وخمسمائة ألف درهم ، فقال إبراهيم[2] :

وكنتَ أخى بإخاءِ الزمانِ ... فلما نَبَا عُدْتَ حربًا عَوَانا[3]

وكنت أذمُّ إليك الزمانَ ... فأصْبَحْتُ منك أذمُّ الزمانا

وكنت أعُدُّك للنائباتِ ... فها أنا أطلبُ منك الأمانا

وقال :

أصبحتُ مِن رأى أبى جعفرٍ ... فى هيئةٍ تنذِرُ بالصَّيْلَمِ[4]

مِنْ غيرِ ما ذَنبٍ ولكنّها ... عَدَاوة الزنديقِ للمسْلِمِ

وأحدِر بعد ما قبض عليه مع راشد المغربىّ إلى بغداد ، لأخذ ماله بها ، فوردها ، فأخذ رَوْحًا غلامَه — وكان قهرمانه — فى يده أمواله يتّجر بها ، وأخذ عدّة من أهل بيته ، وأخذ معهم حمل بغل ، ووجدت له بيوت فيها أنواع التجارة من الحِنْطة والشعير والدّقيق والحبوب والزيت والزبيب والتين وبيت

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « أحضره » . (٢) هو إبراهيم بن العباس بن محمد الصولى .

(٣) ديوانه ١٦٦ . (٤) ديوانه ١٦٥

مملوء ثوماً[١] ، فكان جميع ما قبض له مع قيمته تسعين ألف دينار ، وكان حبس ٣/١٣٧٧
المتوكل إياه يوم الأربعاء لسبع خلون من صفر ووفاته يوم الخميس لإحدى
عشرة بقيت من شهر ربيع الأول .

* * *

[ذكر غضب المتوكل على عمر بن فرج]

وفيها غضب المتوكل على عمر بن فرج ؛ وذلك فى شهر رمضان ، فدُفع
إلى إسحاق بن إبراهيم بن مُصعب ، فحُبس عنده ، وكتب فى قبض ضياعه
وأمواله ، وصار نَجاح بن سَلَمة إلى منزله ؛ فلم يجد فيه إلا خمسة عشر ألف
درهم ، وحضر مسرور سمانة ، فقبض جواريه ، وقُيِّد عمر ثلاثين رطلا ،
وأحضر مولاه نصر من بغداد ، فحمل ثلاثين ألف دينار ، وحمل نصر من
مال نفسه أربعة عشر ألف دينار ، وأصيب له بالأهواز أربعون ألف دينار ،
ولأخيه محمد بن فرج مائة ألف دينار وخمسون ألف دينار ، وحُمل من داره
من المتاع ستة عشر بعيراً فُرُشاً ، ومن الجوهر قيمة أربعين ألف دينار ، وحُمل
من متاعه وفرشه على خمسين جملا ، كرّت مراراً ، وألبس فَرَجيّة[٢] صوف
وقُيِّد ، فمكث بذلك سبعاً ، ثم أطلق عنه وقبض قصره ، وأخذ عياله ، ففتّشوا
وكنّ مائة جارية ؛ ثم صولح على عشرة آلاف ألف درهم ، على أن يردّ عليه
ما حيز عنه من ضياع الأهواز فقط ، ونزعت عنه الجبة الصّوف والقيد ؛ وذلك
فى شوّال .

وقال علىّ بن الجهم بن بدر لنجاح بن سلمة يحرّضه على عمر بن فرج :

أَبلِغْ نَجَاحًا فتى الكتّابِ مَأْلُكةً ... تمضى بها الرِّيحُ إصدرًا وإيرادَا[٣]

لا يخرُجِ المالُ عفوًا من يَدَىْ عمرٍ ... أو يُغْمَدَ السَّيفُ فى فَوْدَيْه إغمادا ٣/١٣٧٨

الرُّخَّجيُّونَ لا يوفُون ما وعَدُوا ... والرخَّجيّات لا يُخلِفْنَ ميعادا

وقال أيضًا يهجوه :

جَمَعتَ أمرَيْنِ ضاعَ الحزمُ بينهما ... تِيهَ المُلوكِ وأفعالَ المماليكِ[٤]

---

(١) كذا فى ا ، د ، س وفى ط : «ثوباً» . (٢) ا : « جبة صوف »
(٣) ديوانه ١٣٤ (٤) ديوانه ١٦١

أردتَ شكرًا بلا برٍّ ومَرْزِئَةٍ   لقد سَلَكتَ سبيلا غيرَ مسلوك
ظَنَنْتَ عِرْضَك لم يُقرَعْ بقارعة   وما أراك على حالٍ بمتروكِ

* * *

وفى هذه السنة أمر المتوكّل بإبراهيم بن الجنيد النصرانىّ ، أخى أيوب كاتب سمانة ، فضُرِب له بالأعمدة حتى أقرّ بسبعين ألف دينار ، فوجّه معه مباركاً المغربىّ إلى بغداد حتى استخرجها من منزله ، وجىء به فحُبس .

* * *

[ذكر غضب المتوكل على أبى الوزير وغيره]

وفيها غضب المتوكل على أبى الوزير فى ذى الحجة ، وأمر بمحاسبته ، فحمل نحواً من ستين ألف دينار ، وحمل بدورّ دراهم وحليًّا ، وأخذ له من متاع مصر اثنين وستين سَفَـطا واثنين وثلاثين غلاماً وفرشاً كثيراً ، وحبس بخيانته محمد بن عبد الملك أخا موسى بن عبد الملك والهيثم بن خالد النصرانىّ وابن أخيه سعدون بن علىّ ، وصولح سعدون على أربعين ألف دينار ، وصولح ابنا أخيه عبد الله وأحمد على نيّف وثلاثين ألف دينار ؛ وأخذت ضياعهم بذلك .

* * *

١٣٧٩/٣ وفى هذه السنة استكتب المتوكل محمد بن الفضل الجرجرائىّ .

* * *

وفى هذه السنة عزل المتوكل يوم الأربعاء لثلاث عشرة بقيت من شهر رمضان عن ديوان الخراج الفضلَ بن مرْوان ، وولاّه يحيى بن خاقان الخُراسانىّ مولى الأزْد ، وولّى إبراهيم بن العباس بن محمد بن صُول فى هذا اليوم ديوان زِمام النفقات وعزل عنه أبا الوزير .

* * *

وفيها ولّى المتوكل ابنه محمداً المنتصر الحرَمين واليمن والطائف ، وعقد له

يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان .

وفيها فُلِج أحمد بن أبى دواد لستّ خلون من جمادى الآخرة .

وفيها قدم يحيى بن هرثمة مكة وهو والى طريق مكة بعلىّ بن محمد بن علىّ الرضىّ بن موسى بن جعفر من المدينة .

وفيها وثب ميخائيل بن توفيل على أمّه تذورة فشمّسها وأدخلها الدير ، وقتل اللُّغُثيط لأنه اتهمها به ؛ وكان ملكها ستّ سنين .

وحجّ بالناس فى هذه السنة محمد بن داود .

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر الخبر عن هرب محمد بن البعيث]

فمن ذلك ما كان من هرب محمد بن البعيث بن حَلْبَس ؛ جيء به أسيراً من قبل أذْرَبيجان فحبس .

* ذكر الخبر عن سبب هربه وما كان آل إليه أمره :

ذكر أنّ السبب في ذلك كان أنّ المتوكل كان اعتَلّ في هذه السنة ؛ وكان مع ابن البعيث رجلٌ يخدمه يسمّى خليفة ، فأخبره بأنّ المتوكل قد تُوفِّيَ ، وأعدّ له دوابّ ، فهرب هو وخليفة الذي أخبره الخبر إلى موضعه من أذْرَبيجان ، وموضعه منها مَرَنْد – وقيل : كانت له قلعتان تُدْعى إحداهما شاهي والأخرى يَكْدُر[1] – ويكدر خارج البحيرة ، وشاهي في وسط البحيرة ، والبحيرة قدرُ خمسين فرسخًا من حدّ أرْمِية ، إلى رُستاق داخَرّقان بلاد محمد بن الرّوّاد ، وشاهي قلعة ابن البعيث حصينة يحيط بها ماء قائم ثَمّ ، يركب الناس من أطراف المراغة إلى أرْمِيَة وهي بحيرة لا سمك فيها ولا خير .

١٣٨٠/٣

وذُكِر أنّ ابن البَعيث كان في حبس إسحاق بن إبراهيم بن مصعب ، فتكلم فيه بُغَا الشرابيّ ، وأخذ منه الكُفَلاء نحواً من ثلاثين كَفيلاً ، منهم محمد بن خالد بن يزيد بن مزيد الشيبانيّ ؛ فكان يتردّد بسامرّا ؛ فهرب إلى مَرَنْد ، فجمع بمَرَنْد الطعام ؛ وفيها عيون ماء ، فرَمّ ما كان وَهَى من سُورها ، وأتاه من أراد الفتنة من كلّ ناحية ؛ من ربيعة وغيرهم ؛ فصار في نحو من ألفين ومائتي رجل .

وكان الوالي بأذربيجان محمد بن حاتم بن هرثمة ، فقصّر في طلبه ، فولّى

(١) س : « بكدر » .

المتوكل حمدويه بن عليّ بن الفضل السعديّ أذْرَبيجان ، ووجّهه من سامرّا على البريد ، فلما صار إليها جمع الجند والشاكريّة ومَن استجاب له ، فصار في عشرة آلاف ، فزحف إلى ابن البَعيث ، فألجأه إلى مدينة مَرَنْد — وهي مدينة استدارتها فرسخان وفي داخلها بساتين كثيرة ، ومن خارجها كما تدور شجر إلاّ في موضع أبوابها — وقد جمع فيها ابن البعيث آلة الحصار ، وفيها عيون ماء ، فلما طالت مدّته وجّه المتوكل زيرك التركيّ في مائتي ألف فارس من الأتراك ؛ فلم يصنع شيئاً ؛ فوجّه إليه المتوكل عمرو بن سيسل بن كال في تسعمائة من الشاكريّة ، فلم يُغنِ شيئاً ، فوجّه إليه بغا الشرابيّ في أربعة آلاف ما بين تركيّ وشاكريّ ومغربيّ ، وكان حمدويه بن عليّ وعمر بن سيسل وزيرك زحفوا إلى مدينة مَرَنْد ، وقطعوا ما حولها من الشجر ، فقطعوا نحواً من مائة ألف شجرة وغير ذلك من شجر الغياض ، ونصبوا عليها عشرين منْجنيقا ، وبنوْا بحذاء المدينة ما يستكنّون فيه ، ونصب عليهم ابن البعيث من المجانيق مثل ذلك ؛ وكان مَنْ معه من عُلُوج رساتيقه يرمون بالمقاليع ، فكان الرّجُل لا يقدر على الدنوّ من سُور المدينة ، فقُتل من أولياء السلطان في حَرْبه في ثمانية أشهر نحو من مائة رجل ، وجُرِح نحو من أربعمائة ، وقتِل وجرِح من أصحابه مثل ذلك .

وكان حمدويه وعمرو وزيرك يغادونه القتال ويُراوحونه ؛ وكان السور من قِبَل المدينة ذليلاً ، ومن القرار نحواً من عشرين ذراعاً ، وكانت الجماعة من أصحاب ابن البعيث يتدلّوْن بالحبال معهم الرماح فيقاتلون ؛ فإذا حُمِل عليهم من أصحاب السلطان لجئوا إلى الحائط ؛ وكانوا ربما فتحوا باباً يقال له باب الماء ؛ فيخرج منه العِدّة يقاتلون ثم يرجعون .

١٣٨١/٣

ولما قرب بُغا الشرابيّ من مَرَنْد بعث — فيما ذكر — عيسى بن الشيخ بن السَّليل الشيبانيّ ، ومعه أمانات لوجوه أصحاب ابن البعيث ، ولابن البعيث أن ينزلوا وينزل على حكم أمير المؤمنين ؛ وإلاّ قاتلهم ، فإن ظفر بهم لم يستبقِ منهم أحداً ، ومَنْ نزل فله الأمان ؛ وكان عامة مَنْ مع ابن البَعيث من ربيعة من قوم عيسى بن الشيخ ؛ فنزل منهم قوم كثير بالحبال ، ونزل ختَن ابن البعيث

١٣٨٢/٣

على أخته أبو الأغر .

وذكر عن أبى الأغرّ هذا أنه قال : ثم فتحوا باب المدينة ، فدخل أصحاب حمدويه وزيرك ، وخرج ابن البعيث من منزله هارباً يريد أن يخرج من وجه آخر ؛ فلحقه قوم من الجند ، معهم منصور قهرمانه ؛ وهو راكب دابةً ، يريد أن يصير إلى نهر عليه رحًا ليستخفىَ فى الرحا ، وفى عنقه السيف ، فأخذوه أسيراً وانتهب الجند منزله ومنازل أصحابه وبعض منازل أهل المدينة ، ثم نودى بعد ما انتهب الناس : برئت الذّمة ممن انتهب وأخذوا له أختين وثلاث بنات وخالته والبواقى سرارىّ ؛ فحصل فى يد السلطان من حرمه ثلاث عشرة امرأة ، وأخذ من وجوه أصحابه المذكورين نحوٌ من مائتى رجل ، وهرب الباقون ؛ فوافاهم بُغا الشرابىّ من غد ، فنادى مناديه بالمنع من النهْب ، فكتب بُغا الشرابىّ بالفتح لنفسه .

* * *

وخرج المتوكل فيها إلى المدائن فى جمادى الأولى .

* * *

[ذكر الخبر عن حج إيتاخ وسببه]

١٣٨٣/٣

وحجّ فى هذه السنة إيتاخ ، وكان والى مكة والمدينة والموسم ، ودُعِى له على المنابر .

* ذكر الخبر عن سبب حجه فى هذه السنة :

ذُكر أن إيتاخ كان غلامًا خَزَريًّا لسلام الأبرش طباخاً ، فاشتراه منه المعتصم فى سنة تسع وتسعين ومائة ، وكان لإيتاخ رُجْلة[1] وبأس ، فرفعه المعتصم ومَنْ بعده الواثق ؛ حتى ضمّ إليه من أعمال السلطان أعمالاً كثيرة ، وولاّه المعتصم معونة سامرّا مع إسحاق بن إبراهيم ؛ وكان مَنْ قِبَله رجل ، ومن قِبَل إسحاق رجل ؛ وكان مَنْ أراد المعتصم أو الواثق قتْلَه فعند إيتاخ

(١) الرجلة بالضم ، مثل الرجولية .

يُقتل ، وبيده يُحبس ؛ منهم محمد بن عبد الملك الزيات ، وأولاد المأمون من سُنْدس ، وصالح بن عُجيف وغيرهم ؛ فلمَّا ولِيَ المتوكل كان إيتاخ فى مرتبته ، إليه الجيش والمغاربة والأتراك والموالى والبريد والحجابة ودار الخلافة ؛ فخرج المتوكل بعد ما استوتْ له الخلافة متنزّها إلى ناحية القاطُول ، فشرب ليلة ، فعربَد على إيتاخ ؛ فهمّ إيتاخ بقتله ؛ فلما أصبح المتوكل قيل له ، فاعتذر إليه والتزمه ، وقال له : أنت أبى وربَّيْتَنى ، فلما صار المتوكل إلى سامرّا دسّ إليه مَنْ يشير عليه بالاستئذان للحجّ ، ففعل وأذِن له ، وصيَّره أمير كلّ بلدة يدخلها ، وخلع عليه ، وركب جميع القوّاد معه ، وخرج معه من الشاكريّة والقوّاد والغلمان سوى غلمانه وحشمه بشر كثير ؛ فحين خرج صُيِّرت الحجابة إلى وصيف ، وذلك يوم السبت لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة . ١٣٨٤/٣

وقد قيل إن هذه القصة من أمر إيتاخ كانت فى سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وإن المتوكل إنما صيَّر إلى وصيف الحجابة لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى الحجة من سنة ثلاث وثلاثين ومائتين .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة محمد بن داود بن عيسى بن موسى [1] .

---

(١) ط : « موسى بن عيسى » .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل إيتاخ]

فمن ذلك مقتل إيتاخ الخزَرىّ .

* ذكر الخبر عن صفة مقتله :

ذُكر عن إيتاخ أنه لما انصرف من مكّة راجعاً إلى العراق ، وجّه المتوكل إليه سعيد بن صالح الحاجب مع كسوة وألطاف ، وأمره أن يلقاه بالكُوفة أو ببعض طريقه ؛ وقد تقدّم المتوكل إلى عامله على الشرطة ببغداد بأمره فيه .

فذكر عن إبراهيم بن المدبّر ، أنه قال : خرجت مع إسحاق بن إبراهيم حين قَرُب إيتاخ من بغداد ، وكان يريد أن يأخذ طريق الفُرات إلى الأنبار ، ثم يخرج إلى سامرّا ، فكتب إليه إسحاق بن إبراهيم : إنّ أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، قد أمر أن تدخل بغداد ، وأنْ يلقاك بنو هاشم ووُجوه الناس ، وأن تقعد لهم فى دار خُزَيمة بن خازم ، فتأمر لهم بجوائز . قال : فخرجنا حتى إذا كنا بالياسرّية ، وقد شحن ابن إبراهيم الجسر بالجُنْد والشاكرّية ، وخرج فى خاصّته ، وطُرِح له بالياسرية صُفّة ، فجلس عليها حتى قالوا : قد قَرُب منك . فركب فاستقبله ؛ فلما نظر إليه أهوى إسحاق لينزل ، فحلف عليه إيتاخ ألاّ يفعل . ٣/١٣٨٥

قال : وكان إيتاخ فى ثلثمائة من أصحابه وغلمانه ، عليه قَباء أبيض ، متقلّداً سيفًا بحمائل ، فسارا جميعًا ؛ حتى إذا صارا عند الجسر تقدّمه إسحاق عند الجسر ، وعبرَ حتى وقف على باب خُزَيمة بن خازم ، وقال لإيتاخ : تدخل أصلح الله الأمير ! وكان الموكّلون بالجسْر كلما مرّ بهم غلام من غلمانه قدّموه ؛ حتى بقِىَ فى خاصّة غلمانه ، ودخل بين يديه قوم ، وقد فرشت له دار خزيمة ، وتأخّر إسحاق ، وأمر ألاّ يدخل الدار من غلمانه إلا

ثلاثة أو أربعة ، وأخذت عليه الأبواب ، وأمر بحراسته من ناحية الشطّ ، وكسرت كل درجة فى قصر خُزيمة بن خازم ، فحين دخل أغلق الباب خلفه ، فنظر فإذا ليس معه إلاّ ثلاثة غلمان ، فقال : قد فعلوها ! ولو لم يؤخذ ببغداد ما قدروا على أخذه ؛ ولو دخل إلى سامرّا ، فأراد بأصحابه قتلَ جميع من خالفه أمكنه ذلك . قال : فأتِيَ بطعام قرب الليل ، فأكل فمكث يومين أو ثلاثة ، ثم ركب إسحاق فى حرّاقة وأعدّ لإيتاخ أخرى ، ثم أرسل إليه أن يصير إلى الحرّاقة ، وأمر بأخذ سيفه ، فحدَروه إلى الحرّاقة ، وصُيِّرَ معه قوم فى السلاح وصاعَدَ إسحاق ، حتى صار إلى منزله ، وأخرِج إيتاخ حين [1] بلغ دار إسحاق ، فأدخِل ناحية منها ، ثم قيِّد فأثقِل بالحديد فى عُنقه ورجليه ؛ ثم قدّم بابنيه منصور ومظفر ، وبكاتبيه سليمان بن وهْب وقدامة بن زياد النصرانىّ بغداد . ١٣٨٦/٣ وكان سليمان على أعمال السلطان ، وقدامة على ضياع إيتاخ خاصّة ، فحبِسوا ببغداد ؛ فأما سليمان وقُدامة فضُرِبا ، فأسلم قُدامة وحُبِس منصور ومظفر .

وذكر عن تُرْك مولى إسحاق أنه قال : وقفت على باب البيت الذى فيه إيتاخ محبوس ، فقال لى : يا ترك ، قلت : ما تريد يا منصور ؟ قال : أقرئ الأمير السلام ، وقل له : قد علمتَ ما كان يأمرنى به المعتصم والواثق فى أمرك ؛ فكنت أدفع عنك ما أمكننى ؛ فلينفعْنى ذلك عندك ؛ أما أنا فقد مرّ بى شدّة ورخاء ؛ فما أبالى ما أكلت وما شربت ، وأمّا هذان الغلامان ؛ فإنهما عاشا فى نعمة ولم يعرفا البؤس ، فصيِّرْ لهما مَرَقة ولحماً وشيئاً يأكلان منه . قال : ترْك فوقفتُ على باب مجلس إسحاق ، قال لى : مالك يا ترك ؟ أتريد أن تتكلم بشىء ؟ قلت : نعم ، قال لى إيتاخ كذا ، كذا ، قال : وكانت وظيفة إيتاخ رغيفاً وكوزاً من ماء ، ويأمر لابنيه بخوان فيه سبعة أرغفة وخمس غُرف ؛ فلم يزل ذلك قائماً حياة إسحاق ، ثم لا أدرى ما صنِع بهما ؛ فأما إيتاخ فقُيِّد وصُيِّر فى عنقه ثمانون رطلا ، وقَيْدٌ ثقيل ، فمات يوم الأربعاء لخمس خلوْن من جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين ومائتين ، وأشهد إسحاق على موته أبا الحسن إسحاق بن ثابت بن أبى عباد وصاحب بريد بغداد والقضاة ، وأراهم إياه لاضَرْبَ به ولا أثر .

---

(١) س : « حتى » .

١٣٨٧/٣ وحدثنى بعض شيوخنا أن إيتاخ كان موته بالعطش، وأنه أطعِم[1] فاستسقى فمنِع الماء، حتى مات عطشاً، وبقى ابناه فى الحبس حياةَ المتوكل، فلما أفضَى الأمر إلى المنتصر أخرجَهما؛ فأما مظفّر فإنه لم يعش بعدَ أن أخرِج من السجن إلا ثلاثة أشهر حتى مات؛ وأما منصور فعاش بعده.

* * *

[ذكر خبر أسر ابن البعيث وموته]

وفى هذه السنة قدم بُغا الشرابىّ بابن البَعِيث فى شوّال وبخليفته[2] أبى الأغرّ وبأخوَى ابن البعيث صقْر وخالد — وكانا نزلا بأمان — وبابن لابن البعيث، يقال له العلاء؛ خرج بأمان، وقدم من الأسرى بنحو من مائة وثمانين رجلا، ومات باقيهم قبل أن يصلوا؛ فلمّا قربوا من سامرّا حُملوا على الجِمال يستشرفهم الناس، فأمر المتوكل بحبسه وحبسهم، وأثقله حديداً.

فذُكر عن علىّ بن الجهم، أنه قال: أتِىَ المتوكل بمحمد بن البعيث، فأمر بضرب عنقه، فطرِح على نِطَع، وجاء السيّافون فلوّحوا له، فقال المتوكّل، وغلظ عليه: ما دعاك يا محمد إلى ما صنعتَ؟ قال: الشقوة، وأنت الحبل الممدود بين الله وبين خلقه؛ وإن لى فيك لظنَّيْن أسبقهما إلى قلبى أوْلاهما بك؛ وهو العفو؛ ثم اندفع بلا فصل، فقال:

أبَى الناسُ إلاَّ أنكَ اليومَ قاتِلِى إمامَ الهُدَى والصفحُ بالناسِ أجمَلُ[3]

١٣٨٨/٣ وهل أنا إلا جُبلةٌ من خَطيَّةٍ وعفوك من نور النبوّةِ يُجْبَلُ

فإنّكَ خيرُ السابقين إلى العُلاَ ولا شكَّ أنْ خير الفعَاليْنِ تَفعَلُ

قال علىّ: ثم التفت إلىّ المتوكل، فقال: إن معه لأدباً، وبادرت فقلت: بل يفعل أمير المؤمنين خيرَهما ويمنّ عليك؛ فقال: ارجع إلى منزلك.

وحدّثنى ...[4] أنه أنشدنى بالمراغة جماعة من أشياخها أشعاراً لابن

---

(١) س: «طعم». (٢) س: «وبخليفه».

(٣) ابن الأثير: «بالمرء»، المسعودى: «بالحر». (٤) نقص فى ط، ولم يرد الخبر فى ا، د.

البعيث بالفارسية ، ويذكرون أدبه وشجاعته ، وله أخبار وأحاديث .

وحدّثنى بعضُ مَنْ ذكر أنه شهد المتوكّل حين أتِىَ بابن البَعيث ، وكلّمه ابن البَعيث بما كلّمه به ، فتكلّم فيه المعتزّ ؛ وهو جالس مع أبيه المتوكل ، فاستوهبه فوُهِب له ، وعُفِى عنه .

وكان ابن البَعيث حين هرب قال :

كمْ قد قضيت أمورًا كان أهمَلَها غيرِى وقد أخذ الإفلاسُ بالكَظَمِ

لا تَعْذِلِينِىَ فيما ليس ينفعُنى إليكِ عنى جَرى المِقدارُ بالقَلَمِ

سأُتلِفُ المالَ فى عُسرٍ وفى يسَرٍ إن الجوَادَ الذى يُعْطِى على العدَمِ

وكان ابن البعيث حين هرب خلّف فى منزله ثلاثة بنين له ، يقال لهم : البَعيث وجعفر وحَلْبس ، وجوارىَ ، فحبِسوا ببغداد فى قصر الذّهب ، فتكلّم بُغا الشرابىّ بعد موت ابن البعيث — ومات بعد دخوله سامُرّا بشهر — فى أبى الأغرّ خَتَنه ، فأطلِق وأطلقتْ خالةٌ لابن البعيث ، فخرجتْ من السجن ، فماتت فرحًا من يومها ، وبقى الباقون فى الحبس . ١٣٨٩/٣

وذكر أنّ ابن البعيث صُيِّر فى عنقه مائة رطل ، فلم يزل مكبوبًا على وجهه حتى مات .

ولما أخِذ ابنُ البعيث أخرِج من الحبس مَنْ كان محبوسًا بسبب كفالته به ، وقد كان بعضهم مات فى الحبْس ، فأخرِج بعدُ باقى عياله وصُيِّرَ بنوه : حَلْبسَ والبعيث وجعفر فى عِداد الشاكرّية مع عبيد الله بن خاقان ، وأجْرِيتْ عليهم الأنزال .

* * *

[أمر المتوكل مع النصارى]

وفى هذه السنة أمر المتوكل بأخذ النصارى وأهل الذّمة كلهم بلبس الطيالسة العسليّة والزّنانير وركوب السروج بركب الخشَب وبتصيير كُرَتَيْن على مؤخّر السروج ، وبتصيير زرّين على قلانس مَنْ لبس منهم قلنسوة مخالفة لون القلنسوة التى يلبسها المسلمون ، وبتصيير رقعتين على ما ظهر من لباس

مماليكهم مخالفٌ لونهما لون الثوب الظاهر الذى عليه ؛ وأن تكون إحدى الرُّقعتين بين يديه عند صدره ، والأخرى منهما خلْف ظهره ؛ وتكون كلٌّ واحدة من الرُّقعتين قَدْر أربع أصابع ، ولونهما عسليًّا ، ومن لبس منهم عمامة فكذلك يكون لونها لون العسلىّ ، ومن خرج من نسائهم فبرزتْ فلا تبرز إلاّ فى إزار عسلىّ ، وأمر بأخذ مماليكهم بلبس الزّنانير وبمنعهم لبسَ المناطق ، وأمر بهدم بيَعهم المحدثة ، وبأخذ العشر من منازلهم ، وإن كان الموضع واسعاً صُيِّر مسجداً ، وإن كان لا يصلح أن يكون مسجداً صُيِّر فضاء ، وأمر أن يجعل على أبواب دورهم صورَ شياطين من خشب مسمورة ؛ تفريقاً بين منازلهم وبين منازل المسلمين ، ونهى أن يستعان بهم فى الدواوين وأعمال السلطان التى يجرى أحكامهم فيها على المسلمين ، ونهى أن يتعلّم أولادهُم فى كتاتيب المسلمين ، ولا يعلِّمهم مسلم ، ونهى أن يُظهروا فى شعانينهم صليبًا ، وأن يشمعلّوا[1] فى الطريق ، وأمر بتسوية قبورهم مع الأرض ، لئلا تشبه قبور المسلمين .

٣/١٣٩٠

وكتب إلى عماله فى الآفاق :

بسم الله الرحمن الرحيم ؛ أما بعد؛ فإنّ الله تبارك وتعالى بعزّته التى لاتحاوَل وقدرته على ما يريد ؛ اصطفى الإسلام فرَضيَه لنفسه ، وأكرم به ملائكته ، وبعث به رسله ، وأيّد به أولياءه ؛ وكَنَفَه بالبرّ ، وحاطه بالنصر ، وحرسه من العاهة ، وأظهره على الأديان ، مبرَّءًا من الشبهات ، معصومًا من الآفات ، محبوًّا بمناقب الخير ، مخصوصاً من الشرائع بأطهرها وأفضلها ، ومن الفرائض بأزكاها وأشرفها ، ومن الأحكام بأعدلها وأقنعها ، ومن الأعمال بأحسنها وأقصدها ؛ وأكرم أهله بما أحلّ لهم من حلاله ، وحرّم عليهم من حرامه ؛ وبيّن لهم من شرائعه وأحكامه ، وحدّ لهم من حدوده ومناهجه ، وأعدّ لهم من سعة جزائه وثوابه ، فقال فى كتابه فيما أمر به ونهى عنه ، وفيما حضّ عليه فيه ووعظ : ﴿إنَّ اللهَ يَأْمُرُ بالْعَدْلِ والإحْسَانِ وإيتَاءِ ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ والمُنْكَرِ والْبَغْىِ يَعِظُكُم لعلَّكُم تَذَكَّرُونَ﴾[2] ، وقال فيما حرّم على أهله

٣/١٣٩١

(١) أن يشمعلوا : أن يسرعوا .

(٢) سورة النحل ٩٠ .

مما غمط فيه أهل الأديان من ردىء المطعم والمشرب والمنكح لينزّههم عنه وليظهر به دينهم ، ليفضّلهم عليهم تفضيلا : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ والدَّمُ ولحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ به والمُنْخَنِقَةُ ...﴾(١) إلى آخر الآية ، ثم ختم ما حرّم عليهم من ذلك فى هذه الآية بحراسة دينه ؛ ممن عنَد عنه وبإتمام نعمته على أهله الذين اصطفاهم ، فقال عز وجل : ﴿ اليَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ... ﴾(١) الآية ، وقال عز وجل : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ ... ﴾(٢) وقال : ﴿إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ...﴾(٣) الآية ، فحرّم على المسلمين من مآكل أهل الأديان أرجسَها وأنجسها ، ومن شرابهم أدعاه إلى العداوة والبغضاء ، وأصدّه عن ذكر الله وعن الصلاة ، ومن مناكحهم أعظمها عنده وزْراً ، وأولاها عند ذوى الحجَى والألباب تحريمًا ، ثم حباهم محاسنَ الأخلاق وفضائل الكرامات ؛ فجعلهم أهلَ الإيمان والأمانة ، والفَضْل والتراحم واليقين والصدق ؛ ولم يجعل فى دينهم التقاطع والتدابُر ، ولا الحميّة ولا التكبر ، ولا الخيانة ولا الغدر ، ولا التباغىَ ولا التظالم ؛ بل أمر بالأولى ونهى عن الأخرى ، ووعد وأوعد ١٣٩٢/٣ عليها جنّته ونارَه ، وثوابه وعقابه ؛ فالمسلمون بما اختصّهم الله من كرامته ، وجعل لهم من الفضيلة بدينهم الذى اختاره لهم ، بائنون على الأديان بشرائعهم الزّاكية ، وأحكامهم المرضية الطاهرة ، وبراهينهم المنيرة ، وبتطهير الله دينهم بما أحلّ وحرّم فيه لهم وعليهم ، قضاء من الله عزّ وجلّ فى إعزاز دينه ؛ حتماً ومشيئةً منه فى إظهار حقه ماضية ، وإرادةً منه فى إتمام نعمته على أهله نافذة ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ ويَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾(٤) ، وليجعل الله الفوز والعاقبة للمتقين ، والخزى فى الدنيا والآخرة على الكافرين .

وقد رأى أمير المؤمنين — وبالله توفيقه وإرشاده — أن يحمِل أهل الذمّة جميعاً

---

(١) سورة المائدة ٣ .
(٢) سورة النساء ٢٣ .
(٣) سورة المائدة ٩٠ .
(٤) سورة الأنفال ٤٤ .

بحضرته وفى نواحى أعماله ؛ أقربيها وأبعدها ، وأخصّهم وأخسّهم على تصيير طيالستهم التى يلبسونها ؛ مَن لبسها من تجّارهم وكتابهم ، وكبيرهم وصغيرهم ، على ألوان الثياب العسليّة ، لا يتجاوز ذلك منهم متجاوز إلى غيره ، ومَن قصر عن هذه الطبقة من أتباعهم وأرذالهم ، ومَن يقعد به حاله عن لبس الطيالسة منهم أخذ بتركيب خرقتين صبغهما ذلك الصّبغ يكون استدارة كلّ واحدة منهما شبراً تامًّا فى مثله ، على موضع أمام ثوبه الذى يلبسه ، تلقاء صدره ، ومن وراء ظهره ، وأن يؤخذ الجميع منهم فى قلانسهم بتركيب أزرّة عليها تُخالف ألوانها ألوان القلانس ؛ ترتفع فى أماكنها التى تقع بها ، لئلا تلصق فتُستَر ولا ما يركّب منها على حباك فتخفى ؛ وكذلك فى سروجهم باتّخاذ رُكب خشب لها ، ونَصْب أكَر على قرابيسها ؛ تكون ناتئة عنها ، وموفية عليها ، لا يرخّص لهم فى إزالتها عن قرابيسهم ، وتأخيرها إلى جوانبها ؛ بل يُتفقّد ذلك منهم ؛ ليقع ما وقع من الذى أمر أمير المؤمنين بحملهم عليه ظاهراً يتبيّنُه الناظر من غير تأمّل ، وتأخذه الأعين من غير طلب ، وأن تؤخذ عبيدهم وإماؤهم ، ومَن يلبس المناطق من تلك الطبقة بشدّ الزنانير والكساتيج مكان المناطق التى كانت فى أوساطهم ، وأن توعِزَ إلى عمالك فيما أمر به أمير المؤمنين فى ذلك إيعازاً تحدوهم به إلى استقصاء ما تقدّم إليهم فيه ، وتحذّرهم إدهاناً وميلا ، وتتقدّم إليهم فى إنزال العقوبة بمَن خالف ذلك من جميع أهل الذّمة عن سبيل عناد وتهوين إلى غيره ؛ ليقتصر الجميع منهم على طبقاتهم وأصنافهم على السبيل التى أمر أمير المؤمنين بحملهم عليها ، وأخذهم بها إن شاء الله . ١٣٩٣/٣

فاعلم ذلك من رأى أمير المؤمنين وأمره ، وأنفذ إلى عمالك فى نواحى عملك ما ورد عليك من كتاب أمير المؤمنين بما تعمل به إن شاء الله ؛ وأمير المؤمنين يسأل الله ربّه ووليّه أن يُصَلّىَ على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وملائكته ، وأن يحفظه فيما استخلفه عليه من أمر دينه ، ويتولى ما ولاّه مما لا يبلغ حقه فيه إلاّ بعونه ؛ حفظاً يحمل به ما حمله ، وولاية يقضى بها حقه منه ويوجب بها له أكمل ثوابه ، وأفضل مزيده ؛ إنه كريم رحيم . ١٣٩٤/٣

وكتب إبراهيم بن العباس فى شوال سنة خمس وثلاثين ومائتين .

فقال علىّ بن الجهم :

العَسليَّاتُ التى فرَّقَتْ بين ذوى الرُّشْدَةِ والغَىّْ(١)
وما على العاقل إنْ تَكْثُرُوا فإنه أَكثَرُ للفَىّْ

* * *

[ظهور محمود بن الفرج النيسابورىّ]

وفى هذه السنة ظهر بسامرّا رجلٌ يقال له محمود بن الفرج النيسابورىّ فزعم أنه ذو القرنين ، ومعه(٢) سبعة وعشرون رجلاً عند خشبة بابَك، وخرج من أصحابه بباب العامة رجُلان، و ببغداد فى مسجد مدينتها آخران، و زعما أنه نبىّ ، وأنه ذو القرنين ؛ فأتِىَ به و بأصحابه المتوكّل، فأمر بضربه بالسياط ؛ فضرب ضربًا شديداً، فمات من بعد من ضَرْبِه ذلك ، وحُبِس أصحابه ؛ وكانوا قدموا من نيسابور ، ومعهم شىء يقرءونه ، وكان معهم عيالاتهم، وفيهم شيخ يشهد له بالنبوّة ، ويزعم أنه يوحَى إليه ، وأنّ جبريل يأتيه بالوحى ، فضُرب محمود مائة سوط ، فلم ينكر نبوّته حين ضُرب، وضُرب الشيخ الذى كان يشهد له أربعين سوطًا ، فأنكر نبوّته حين ضرب . وحُمل محمود إلى باب العامّة ، فأكذب نفسه ، وقال : الشيخ قد اختدعنى ، وأمر أصحاب محمود أن يصفعوه فصفعوه ؛ كلّ واحد منهم عشر صفعات ، وأخِذ له مصحف فيه كلام قد جمعه ذكر أنه قرآنه ، وأن جبريل عليه السلام كان يأتيه به ، ثم مات يوم الأربعاء لثلاث خلوْن من ذى الحجة فى هذه السنة ودفن فى الجزيرة .

* * *

[ذكر عقد المتوكل البيعة لبنيه الثلاثة]

وفى هذه السنة عقد المتوكل البيعة لبنيه الثلاثة : لمحمد وسماه المنتصر ، ولأبى عبد الله بن قبيحة — ويختلف فى اسمه ، فقيل إن اسمه محمد ، وقيل: ١٣٩٥/٣

(١) ديوانه ١٩٢ . (٢) ابن الأثير : « وتبعه » .

اسمه الزبير ، ولقبه المعتزّ — ولإبراهيم وسماه المؤيّد بولاية العهد ، وذلك — فيما قيل — يوم السبت لثلاث بقين من ذى الحجة — وقيل لليلتين بقيتا منه — وعقد لكلّ واحد منهم لواءين ؛ أحدهما أسود وهو لواء العهد، والآخر أبيض وهو لواء العمل ، وضمّ إلى كلّ واحد من العمل ما أنا ذاكره .

فكان ما ضمّ إلى ابنه محمد المنتصر من ذلك إفريقية والمغرب كله من عريش مصر إلى حيث بلغ سلطانه من المغرب وجند قنّسرين والعواصم والثغور الشأمية والجزريّة وديار مُضر وديار ربيعة والموصل وهيت وعانات والخابور وقرقيسيا وكور باجرْمَى وتكريت وطساسيج السواد وكور دجلة والحرمين واليمن وعكّ وحضرموت واليمامة والبحرين والسند ومكران وقندابيل وفرْج بيت الذهب وكُور الأهواز والمستغلاّت بسامرّا وماه الكوفة وماه البصرة وماسبَذان ومِهرجان قَذَق وشهر زُور ودراباذ والصامغان وأصبهان وقمّ وقاشان وقزوين وأمور الجبل والضّياع المنسوبة إلى الجبال وصدقات العرب بالبصرة .

وكان ما ضمّ إلى ابنه المعتزّ كُور خراسان وما يضاف إليها ، وطبرستان والرّىّ وإرمينيَة وأذْرَبيجان وكُور فارس . ضم إليه فى سنة أربعين خزْن بيوت الأموال فى جميع الآفاق ، ودور الضرب ، وأمر بضرب اسمه على الدراهم .

٣/١٣٩٦ وكان ما ضمّ إلى ابنه المؤيد جند دمشق وجند حمص وجند الأردنّ وجند فلسطين ، فقال أبو الغصْن الأعرابىّ :

إنَّ وُلاةَ المسلمينَ الجِلّهْ محمّدٌ ثم أبو عَبْدِ اللهْ
ثمَّتَ إبراهيمُ آبى الذِّلّهْ بُورِكَ فى بنِى خليفةِ اللهْ

وكتب بينهم كتاباً نسخته :

هذا كتاب كتبه عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين ، وأشهد الله على نفسه بجميع ما فيه ومَنْ حضر من أهل بيته وشيعته وقوّاده وقُضاته وكفاته وفقهائه وغيرهم من المسلمين لمحمد المنتصر بالله ، ولأبى عبد الله المعتزّ بالله ، ولإبراهيم المؤيد بالله ؛ بنى أمير المؤمنين ؛ فى أصالة من رأيه ، وعموم من عافية بدنه، واجتماع من فهمه ؛ مختاراً لما شهد به ، متوخّياً بذلك طاعةَ ربه ، وسلامة رعيّته واستقامتها وانقياد طاعتها ، واتساعَ كلمتها ؛

وصلاح ذات بينها ؛ وذلك فى ذى الحجة سنة خمسة وثلاثين ومائتين [أنه جعل][1] ؛ إلى محمد المنتصر بالله بن جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين ولاية عهد المسلمين فى حياته والخلافة عليهم من بعده ؛ وأمره بتقوى الله التى هى عِصْمة مَن اعتصم بها ونجاةُ من لجأ إليها ، وعزّ من اقتصر عليها ؛ فإن بطاعة الله تمّ النعمة ، وتجب من الله الرحمة ، والله غفور رحيم . وجعل عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين الخلافة من بعد محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين إلى أبى عبد الله المعتزّ بالله ابن أمير المؤمنين ، ثم من بعد أبى عبد الله المعتز ابن أمير المؤمنين الخلافة إلى إبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين .

١٣٩٧/٣

وجعلَ عبدُ الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين لمحمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين على أبى عبد الله المعتز بالله وإبراهيم المؤيد بالله ابنى أمير المؤمنين السمع والطاعة والنصيحة والمشايعة والمُوالاة لأوليائه والمعاداة لأعدائه ، فى السرّ والجهر ، والغضب والرضا ، والمنع والإعطاء ، والتمسك ببيعته ، والوفاء بعهده ، لا يَبغيانه غائلة ، ولا يحاولانه مخاتَلةً ، ولا يمالئان عليه عدوًّا ، ولا يستبدّان دونه بأمرٍ يكون فيه نقضٌ لما جعل إليه أمير المؤمنين من ولاية العهد فى حياته والخلافة من بعده .

وجعل عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين لأبى عبد الله المعتز بالله وإبراهيم المؤيد بالله ابنى أمير المؤمنين الوفاء بما عقده لهما ، وعهد به إليهما من الخلافة بعد محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين ، وإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين الخليفة من بعد أبى عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين ، والإتمام[2] على ذلك ، وألّا يَخْلعهما ولا واحداً منهما ، ولا يعقد دونهما ولا دون واحد منهما بيعةً لولد ، ولا لأحد من جميع البرّية ، ولا يؤخّر منهما مقدّماً ، ولا يقدّم منهما مؤخّرًا ، ولا يَنْقصهما ولا واحداً منهما شيئاً من أعمالهما التى ولّاهما عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين وكلّ واحد منهما ؛ من الصلاة والمعاون والقضاء

١٣٩٨/٣

(١) من ا ، د .
(٢) ا ، د : « والإمام » .

والمظالم والخراج والضِّياع والغنيمة والصَّدقات وغير ذلك من حقوق أعمالهما ، وما فى عمل كلّ واحد منهما ؛ من البريد والطُّرُز وخَزْن بيوت الأموال والمعاون ودُور الضَّرْب وجميع الأعمال التى جعلها أمير المؤمنين ، ويجعلها إلى كلّ واحد منهما ، ولا ينقل عن واحد منهما أحداً من ناحيته من القوّاد والجند والشاكريّة والموالى والغلمان وغيرهم ؛ ولا يعترض عليه فى شىء من ضِياعه وإقطاعاته وسائر أمواله وذخائره وجميع ما فى يده ، وما حواه وملكتْ يده من تالد وطارف ، وقديم ومستأنف ؛ وجميع ما يستفيده ويُستفاد له بنقص ، ولا يحرم ولا يجنف[1] ، ولا يعرض لأحد من عماله وكتّابه وقضاته وخدمه ووكلائه وأصحابه ، وجميع أسبابه بمناظرة ولا محاسبة ؛ ولا غير ذلك من الوجوه والأسباب كلها ، ولا يفسخ فيما وكّده أمير المؤمنين لهما فى هذا العقد والعهد ، بما يزيل ذلك عن جهته ، أو يؤخّره عن وقته ، أو يكون ناقضًا لشىء منه .

وجعل عبد الله جعفر المتوكل على الله أمير المؤمنين على أبى عبد الله المعتزّ بالله ابن أمير المؤمنين إن أفضت إليه الخلافة بعد محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين لإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين مثل الشرائط التى اشترطها على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين بجميع ما سمّى فيه ووصف فى هذا الكتاب ، وعلى ما بيّن وفسّر ، مع الوفاء من أبى عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين ، بما جعله أمير المؤمنين لإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين من الخلافة وتسليم ذلك راضياً[2] به ممضياً له ؛ مقدّماً ما فيه حق الله عليه وما أمره به أمير المؤمنين ، غير ناكث ولا ناكب بذلك ، ولا مبدّل ، فإن الله تعالى جدّه وعزّ ذكره يتوعّد مَن خالف أمره ، وعَنَد عن سبيله فى محكم كتابه : ﴿ فَمَنْ بدَّلَهُ بعْدَ مَا سَمِعَهُ فإنَّما إثْمُهُ عَلَى الَّذين يُبَدِّلونه إنَّ اللهَ سَميعٌ عَليمٌ ﴾[3] .

١٣٩٩/٣

على أن لأبى عبد الله المعتزّ بالله ابن أمير المؤمنين ولإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين ، الأمان ، وهما مقيمان بحضرته أو أحدهما ، أو كانا غائبين عنه ؛ أو مجتمعين كانا أو متفرّقين . ويستمر أبو عبد الله

---

(١) ا : «يحيف» .
(٢) ط : «رضيا» .
(٣) سورة البقرة ١٨١ .

المعتز بالله ابن أمير المؤمنين فى ولايته بخراسان وأعمالها المتصلة بها والمضمومة إليها ، ويستمر إبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين فى ولايته بالشأم وأجنادها ؛ فعلى محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين ، أن يُمضىَ أباعبد الله المعتزّ بالله ابن أمير المؤمنين إلى خُراسان وأعمالها المتصلة بها والمضمومة إليها ، وأن يسلّم له ولايتَها وأعمالها كلها وأجنادها والكُور الداخلة فيما ولّى جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين أبا عبد الله المعتزّ بالله ابن أمير المؤمنين ، فلا يعوّقه عنها ، ولا يحبسُه قبَله ولا فى شئ من البلدان دون خراسان والكور والأعمال المضمومة إليها ، وأن يعجّل إشخاصه إليها واليًا عليها وعلى جميع أعمالها ، مُفْرَداً بها مضمومًا إليه أعمالها كلها ؛ لينزل حيث أحبّ من كُور عمله ، ولا ينقله عنها ، وأن يَشخص معه جميع من ضَمّ إليه أمير المؤمنين ، ويضمّ من مواليه وقوّاده وشاكريّته وأصحابه وكتابه وعماله وخدَمه ومَن اتبعه من صنوف الناس بأهاليهم وأولادهم وعيالهم[1] وأموالهم ؛ ولا يحبس عنه أحداً ، ولا يشرك فى شىء من أعماله أحداً ، ولا يوجّه عليه أمينًا ولا كاتباً ولا بريداً ، ولا يضرب على يده فى قليل ولا كثير . ٣/١٤٠٠

وأن يطلق محمد المنتصر بالله لإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين الخروجَ إلى الشأم وأجنادها[2] فيمن ضمّ أمير المؤمنين ويضمه إليه من مواليه وقوّاده وخدَمه وجنوده وشاكريّته وصحابته وعُمّاله وخدّامه ومَن اتبعه من صنوف الناس بأهاليها وأولادهم وأموالهم ، ولا يحبس عنهم أحداً ، ويسلّم إليه ولايتها وأعمالها وجنودها كلّها ، لا يعوّقه عنها ، ولا يحبسه قبَله ولا فى شىء من البلدان دونَها ، وأن يعجّل إشخاصه إلى الشأم وأجنادها واليًا عليها ، ولا ينقله عنها ؛ وأنّ عليه له فيمن ضمّ إليه من القوّاد والموالى والغلمان والجنود والشاكرية وأصناف الناس وفى جميع الأسباب والوجوه مثل الذى اشترط على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين لأبى عبد الله المعتزّ بالله ابن أمير المؤمنين فى خُراسان وأعمالها على ما رسم من ذلك ، وبيّن ولخص ، وشرح فى هذا الكتاب . ٣/١٤٠١

ولإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين على أبى عبد الله المعتزّ بالله ابن

(١) س : « وعمالهم » . (٢) س : « وأجناده »

أمير المؤمنين — إذا أفضت الخلافة إليه، وإبراهيم المؤيد بالله مقيم بالشام — أن يُقرّه بها أو كان بحضرته، أو كان غائباً عنه، أن يمضيَه إلى عمله من الشأم، ويسلّم إليه أجنادَها وولايتها وأعمالها كلها، ولا يعوّقه عنها، ولا يحبسه قِبَله ولا في شيء من البلدان دونها، وأن يُعجّلَ إشخاصه إليها واليًا عليها وعلى جميع أعمالها؛ على مثل الشرط الذى أخذ لأبى عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين فى خراسان وأعمالها؛ على ما رسم ووصف وشرط فى هذا الكتاب؛ لم يجعل أمير المؤمنين لواحد ممن وقعت عليه وله هذه الشروط؛ من محمد المنتصر بالله، وأبى عبد الله المعتزّ بالله، وإبراهيم المؤيد بالله؛ بنى أمير المؤمنين، أن يزيل شيئًا مما اشترطنا فى هذا الكتاب، ووكّدنا، وعليهم جميعًا الوفاءُ به؛ لا يقبل الله منهم إلاّ ذلك، ولا التمسّك إلا بعهد الله فيه؛ وكان عهد الله مسؤلا.

أشهد اللهَ ربَّ العالمين جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين ومن حضره من المسلمين بجميع ما فى هذا الكتاب على إمضائه إياه؛ على محمد المنتصر بالله، وأبى عبد الله المعتز بالله، وإبراهيم المؤيد بالله، بنى أمير المؤمنين بجميع ما سمّى ووصَف فيه، وكفى بالله شهيداً ومعينًا لمن أطاعه راجياً، ووفّى بعهده خائفًا وحسيبًا؛ ومعاقبًا من خالفه معانداً، أو صَدَف عن أمره مجاهداً. ١٤٠٢/٣

وقد كتب هذا الكتاب أربع نسخ، وقعت شهادة الشهود بحضرة أمير المؤمنين فى كلّ نسخة منها؛ فى خزانة أمير المؤمنين نسخة، وعند محمد المنتصر ابن أمير المؤمنين نسخة، وعند أبى عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين نسخة، ونسخة عند إبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين.

وقد ولى جعفر الإمام المتوكل على الله أبا عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين أعمال فارس وإرمينيَة وأذْرَبيجان إلى ما يلى أعمال خراسان وكُورها والأعمال المتّصلة بها والمضمومة إليها، على أن يجعل له على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين فى ذلك الذى جعل له فى الحياطة فى نفسه، والوثاق فى أعماله، والمضمومين إليه، وسائر من يستعين به من الناس جميعًا فى خُراسان والكُور المضمومة إليها والمتصلة بها على ما سمّى ووصف فى هذا الكتاب.

وقال إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول يمدح بنى المتوكل الثلاثة : المنتصر ، والمعتزّ ، والمؤيد :

أَضْحَتْ عُرَى الإِسلامِ وهْى مَنُوطةٌ ... بالنَّصْرِ والإِعزاز والتأْييدِ[1]

بخليفة من هاشمٍ وثلاثةٍ ... كَنَفُوا الخلافةَ من وُلاةِ عهودِ

قمرٌ توالتْ حولهُ أقمارُهُ ... يكنفْنَ مطلَعَ سعدِهِ بسعود

كَنَفَتْهمُ الآباءُ واكتنفتْ بهمْ ... فسمَوْا بأكرمِ أنفسٍ وجُدُودِ

١٤٠٣/٣

وله فى المعتزّ بالله :

أشرقَ المشرقُ بالمعـ ... ـتزِّ بالله ولاحا[2]

إنمـا المعتز طِيبٌ ... بُثَّ فى الناسِ فَفاحا

وله أيضًا فيها :

اللهُ أظهرَ دينَهُ ... وأعـزَّهُ بمحمـدِ[3]

واللهُ أكرمَ بالخلا ... فةِ جعفرَ بنَ محمدِ

واللهُ أيّد عهـدَه ... بمحمـدٍ ومحمدِ

ومُؤيّدٍ لمؤيدَيْـنِ ... إلى النبىّ محمَّدِ

* * *

وفيها كانت وفاة إسحاق بن إبراهيم صاحب الجسر فى يوم الثلاثاء لستّ بقين من ذى الحجة ، وقيل كانت وفاته لسبع بقين منه . وصيّر ابنه مكانه ، وكسى خمس خلع ، وقلّد سيفاً ، وبعث المتوكل حين انتهى إليه خبرُ مرضه بابنه المعتزّ لعيادته مع بُغا الشرابىّ وجماعة من القواد والجند .

وذكر أن ماء دجلة تغيّر فى هذه السنة إلى الصُّفْرة ثلاثة أيام ، ففزع

(١) ديوانه ١٣١ (٢) ديوانه ١٣٠

(٣) ديوانه ١٣١

الناس لذلك ، ثم صار فى لون ماء المدود وذلك فى ذى الحجة .

* * *

وفيها أتِيَ المتوكل بيحيى بن عمر بن حسين[١] بن زيد بن علىّ بن أبى طالب عليه السلام من بعض النواحى ؛ وكان — فيما ذكر — قد جمع قوماً ، فضربه عمر بن فرج ثمان عشرة مقرعة ، وحبس ببغداد فى المطبَق .

وحجّ بالناس فى هذه السنة محمد بن داود .

(١) ط : « يحيى » ، صوابه من د ، وانظر الفهرس .

ثم دخلت سنة ستّ وثلاثين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[خبر مقتل محمد بن إبراهيم بن مصعب]

فمن ذلك ما كان من مقتل محمد بن إبراهيم بن مُصعب بن زُرَيق ، أخي إسحاق بن إبراهيم بفارس .

* ذكر الخبر عن مقتله وكيف قتل :

حدّثني غير واحد ، عن محمد بن إسحاق بن إبراهيم ؛ أن أباه إسحاق بلَغه عنه أنه أكول لا يملأ جوفَه شيء ، وأنه أمر باتخاذ الطعام والإكثار منه ، ثم أرسل إليه فدعاه ، ثم أمره أن يأكل ، وقال له : إني أحبّ أن أرى أكلك ، فأكل وأكثر حتى عجب إسحاق منه ، ثمّ قُدّم إليه بعد ما ظنّ أنه شبع وامتلأ من الطعام حَمَل مشويّ ، فأكل منه حتى لم يبق منه إلا عظامُه[1] ؛ فلما فرغ من أكله ، قال : يا بنيّ ، مالُ أبيك لا يقوم بطعام بطنك ؛ فالحق أمير المؤمنين ؛ فإنّ ماله أحمَلُ لك من مالي . فوجّهه إلى الباب وألزمه الخدمة[2] ، فكان في خدمة السلطان حياة أبيه ، وخليفة أبيه ببابه ، حتى مات أبوه إسحاق ؛ فعقد له المعتزّ على فارس ، وعقد له المنتصر على اليمامة والبحرين وطريق مكة ، في المحرّم من هذه السنة ، وضمّ إليه المتوكّل أعمال أبيه كلها ، وزاده المنتصر ولاية مصر ؛ وذلك أنه كان — فيما ذكر — حمل إلى المتوكل وأولياء عهده مما كان في خزائن أبيه من الجواهر والأشياء النفيسة ما حظِيَ به عندهم ، فرفعوه ورفعوا مرتبته . ٣/١٤٠٥

فلما بلغ محمد بن إبراهيم ما فعل بابن أخيه محمد بن إسحاق تنكّر للسلطان ، وبلغ المتوكل عنه أمور أنكرها ، فأخبرني بعضهم أنّ تنكّر محمد بن إبراهيم إنما كان لابن أخيه محمد بن إسحاق ، واعتلاله عليه بحمْل خراج فارس

---

(١) ا ، د : « غير عظامه » . (٢) كذا في ا ، د ، وفي ط : « الباب » .

إليه . وإن محمداً شكا إلى المتوكل ما كان من تنكر عمّه محمد بن إبراهيم فى ذلك ، فبسط يده عليه ، وأطلق له العمل فيه بما أحبّ ، فولّى محمد بن إسحاق الحسينَ بن إسماعيل بن إبراهيم بن مصعب فارسَ ، وعزل عمه ، وتقدم محمد إلى الحسين بن إسماعيل فى قتل عمّه محمد بن إبراهيم ؛ فذُكر أنه لما صار إلى فارس أهدى إليه فى يوم النيروز هدايا ؛ فكان فيما أهدى إليه حلْواء ، فأكل محمد بن إبراهيم منها ، ثم دخل الحسين بن إسماعيل عليه ، فأمر بإدخاله إلى موضع آخر وإعادة الحلواء عليه ، فأكل أيضًا منها ، فعطش فاستسقى ، فمنع الماء ، ورام الخروج من الموضع الذى أدخِل إليه ؛ فإذا هو محبوس لا سبيلَ له إلى الخروج ؛ فعاش يومين وليلتين ، ومات . فحُمِل ماله وعياله إلى سامرّا على مائة جمل . ولما ورد نعيُ محمد بن إبراهيم على المتوكل أمرَ بالكتاب فيه إلى طاهر بن عبد الله بن طاهر بالتعزية فكُتِب :

٣/١٤٠٦ أما بعد ، فإن أمير المؤمنين يوجب لك مع كلّ فائدة ونعمة تهنئتك بمواهب الله وتعزيتَك عن ملمّات أقداره ؛ وقد قضى الله فى محمد بن إبراهيم مولى أمير المؤمنين ما هو قضاؤه فى عباده ؛ حتى يكون الفناء لهم والبقاء له . وأمير المؤمنين يعزّيك عن محمد بما أوجب الله لمن عمل بما أمره به فى مصائبه ؛ من جزيل ثوابه وأجره ؛ فليكن الله وما قرّبك منه أوْلى بك فى أحوالك كلها ؛ فإنّ مع شكر الله مزيدَه ، ومع التسليم لأمر الله رضاه ؛ وبالله توفيق أمير المؤمنين . والسلام .

* * *

[ذكر خبر وفاة الحسن بن سهل]

وفى هذه السنة تُوفِّىَ الحسنُ بن سهل فى قول بعضهم فى أوّل ذى الحجة منها ، وقال قائل هذه المقالة : مات محمد بن إسحاق بن إبراهيم فى هذا الشهر لأربع بقين منه . وذكر عن القاسم بن أحمد الكوفىّ ، أنّه قال : كنت فى خدمة الفتح بن خاقان فى سنة خمس وثلاثين ومائتين ، وكان الفتح يتولّى للمتوكل أعمالا ، منها أخبار الخاصة والعامّة بسامرّا والهارونىّ وما يليها ؛ فورد

كتاب إبراهيم بن عطاء المتولّى الأخبارَ بسامرّا يذكر وفاة الحسن بن سهل، وأنه شرب شربة دواء فى صبيحة يوم الخميس لخمس ليال بقين من ذى القعدة من سنة خمس وثلاثين ومائتين أفرطت عليه، وأنه توفّىَ فى هذا اليوم وقت الظهر، وأنّ المتوكل أمر بتجهيز جهازه من خزائنه. فلمّا وضع على سريره تعلق به جماعة من التجار من غرماء الحسن بن سهل، ومنعوه من دفنه، فتوسّط أمرهم يحيى بن خاقان وإبراهيم بن عتّاب ورجل يعرف ببرغوث؛ فقطعوا أمرهم، ودفن. فلما كان من الغد ورَد كتاب صاحب البريد بمدينة السلام بوفاة محمد بن إسحاق بن إبراهيم بعد الظهر يوم الخميس لخمس خلْون من ذى الحجة، فجزع عليه المتوكل جزعاً، وقال: تبارك الله وتعالى! كيف توافت منيّة الحسن ومحمد بن إسحاق فى وقت واحد! ١٤٠٧/٣

* * *

[ذكر خبر هدم قبر الحسين بن على]

وفيها أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علىّ وهدْم ما حوله من المنازل والدّور، وأن يُحرَث ويبذر ويُسقى موضع قبره، وأن يمنع الناس من إتيانه؛ فذكر أنّ عامِل صاحب الشرطة نادى فى الناحية: من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة بعثنا به إلى المطبق؛ فهرب الناس، وامتنعوا من المصير إليه؛ وحُرِث ذلك الموضع، وزُرِع ما حواليه.

* * *

وفيها استكتب المتوكل عبيد الله بن يحيى بن خاقان، وصرف محمد بن الفضل الجرجرائىّ.

وفيها حجّ محمد المنتصر، وحجّت معه جدّته شجاع أمّ المتوكل، فشيّعها المتوكل إلى النَّجَف.

وفيها هلك أبو سعيد محمد بن يوسف المروزىّ الكَبِحَ فجاءةً، ذكر أن فارس بن بُغا الشرابىّ وهو خليفة أبيه، عقد لأبى سعيد هذا، وهو مولى طيّئْ على أذربيجان وإرمينيّة، فعسكر بالكرخ؛ كرخ فيروز؛ فلما كان لسبع بقين من شوّال وهو بالكرخ مات فُجاءة، لبس أحد خُفَّيْه ومدّ الآخر ليلبسه

٣/١٤٠٨ فسقط ميتًا ، فولّى المتوكل ابنه يوسف ما كان أبوه وليه من الحرب ، وولاّه بعد ذلك خراج الناحية وضياعها ، فشخص إلى الناحية فضبطها ، ووجّه عُمّاله في كل ناحية .

وحجّ بالناس في هذه السنة المنتصر محمد بن جعفر المتوكل .

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر وثوب أهل إرمينية بعاملهم يوسف بن محمد]

فمن ذلك ما كان من وثوب أهل إرمينيَة بيوسف بن محمد فيها .

* ذكر الخبر عن سبب وثوبهم به :

قد ذكرنا فيما مضى قبلُ سبب استعمال المتوكل يوسف بن محمد هذا إيّاه على إرمينيَة ؛ فأما سبب وثُوب أهل إرمينيَة به ؛ فإنه كان – فيما ذكر – أنه لما صار إلى عمله من إرمينيَة خرج رجل من البطارقة يقال له بُقراط بن أشُوط ؛ وكان يقال له بطريق البطارقة ، يطلب الإمارة ؛ فأخذه يوسف بن محمد ، وقيّده وبعث به إلى باب الخليفة ، فأسلم بُقراط وابنه ؛ فذُكر أن يوسف لمّا حمل بقراط بن أشُوط اجتمع عليه ابن أخي بُقراط بن أشوط وجماعة من بطارقة إرمينيَة ، وكان الثلج قد وقع في المدينة التي فيها يوسف ؛ وهي – فيما قيل – طَرُون ؛ فلما سكن الثلج أناخوا عليها من كلّ ناحية ، وحاصروا يوسف ومَنْ معه في المدينة ، فخرج يوسف إلى باب المدينة ، فقاتلهم فقتلوه وكلّ مَنْ قاتل ١٤٠٩/٣ معه ؛ فأما من لم يقاتل معه ؛ فإنهم قالوا له : ضع ثيابك ، وانجُ عريانًا ، فطرح قوم منهم كثير ثيابهم ، ونجوا عُراة حُفاة ، فمات أكثرهم من البَرْد ، وسقطت أصابع قوم منهم ونجوا ؛ وكانت البطارقة لمّا حمل يوسف بقراط بن أشوط تحالفُوا على قتله ، ونذروا دمَه ، ووافقهم على ذلك موسى بن زرارة ، وهو على ابنة بقراط ، فنهى سوادة بن عبد الحميد الجحّافيّ يوسفَ بن أبي سعيد عن المقام بموضعه ، وأعلمه بما أتاه من أخبار البطارقة ، فأبى أن يفعل ، فوافاه القوم في شهر رمضان ، فأحدقوا بسُور المدينة والثلج ما بين عشرين ذراعًا إلى أقلّ حول المدينة إلى خِلاط إلى دُبَيل ، والدنيا كلها ثلج .

وكان يوسف قبل ذلك قد فرّق أصحابه فى رساتيق عمله، فتوجّه إلى كلّ ناحية منها قوم من أصحابه، فوُجّه إلى كل طائفة منهم من البطارقة، ومن معهم جماعة، فقتلوهم فى يوم واحد، وكانوا قد حاصروه فى المدينة أياماً، فخرج إليهم فقاتل حتى قُتِل، فوجّه المتوكل بُغا الشرابىّ إلى إرمينية طالباً بدم يوسف، فشخص إليها من ناحية الجزيرة، فبدأ بأرزن بموسى بن زرارة، وهو [أبو الحرّ][1] وله إخوة: إسماعيل وسليمان وأحمد وعيسى ومحمد وهارون، فحمل بغا موسى بن زرارة إلى باب الخليفة، ثم سار فأناخ بجبل الخويثية؛ وهم جَمّة أهل إرمينية، وقتلة يوسف بن محمد، فحاربهم فظفر بهم، فقتل زهاء ثلاثين ألفاً، وسبى منهم خلقاً كثيراً، فباعهم بإرمينية، ثم سار إلى بلاد الباق فأسر أشُوط بن حمزة أبا العباس وهو صاحب الباق — والباق من كُور البُسفُرّجان وبنَى النشوَى، ثم سار إلى مدينة دُبيل من إرمينية، فأقام بها شهراً، ثم سار إلى تفليس.

١٤١٠/٣

* * *

وفى هذه السنة وُلّى عبدالله[2] بن إسحاق بن إبراهيم بغداد ومعاون السواد.

وفيها قدم محمد بن عبد الله بن طاهر من خُراسان، لثمان بقين من شهر ربيع الآخر، فولّى الشرطه والجزية وأعمال السّواد وخلافة أمير المؤمنين بمدينة السلام، ثم صار إلى بغداد.

وفيها عزل المتوكلُ محمد بن أحمد بن أبى دواد عن المظالم، وولاها محمد ابن يعقوب المعروف بأبى الربيع[3].

وفيها رضى عن ابن أكثم، وكان ببغداد فأشخص[4] إلى سامرّا، فوُلّى القضاء على القضاة، ثم ولّى أيضاً المظالم، وكان عزل المتوكل محمد بن أحمد ابن أبى دواد عن مظالم سامرّا لعشر بقين من صفر من هذه السنة.

* * *

(١) تكملة من ا، د

(٢) ابن الأثير: «عبيد الله».

(٣) ابن الأثير: «بابن الربيع».

(٤) ف: «فشخص».

[ذكر غضب المتوكل على ابن أبى دواد]

وفيها غضب المتوكّل على ابن أبى دواد ؛ وأمر بالتوكيل على ضياع أحمد ابن أبى دواد لخمس بقين من صفر ، وحُبِسَ يوم السبت لثلاث خَلَوْن[1] من شهر ربيع الأول ابنه أبو الوليد محمد بن أحمد بن أبى دواد فى ديوان الخراج ، وحبس إخوته عند عبيد الله بن السرىّ خليفة صاحب الشرطة ، فلما كان يوم الاثنين حمل أبو الوليد مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار وجواهر بقيمة عشرين ألف دينار ، ثم صُولح بعد ذلك على ستة عشر ألف ألفِ درهم ، وأشهد عليهم جميعًا ببيع كلّ ضيعة لهم ؛ وكان أحمد بن أبى دواد قد فُلِج ، فلما كان يوم الأربعاء لسبع خلوْن من شعبان ، أمر المتوكل بولد أحمد بن أبى دواد ، فحُدِروا إلى بغداد ، فقال أبو العتاهية : ٣/١٤١١

لو كنتَ فى الرأيِ منسوباً إلى رشَدٍ ... وكان عزمُك عزماً فيه توفيقُ
لكانَ فى الفقه شغلٌ لو قَنِعْتَ به ... عن أنْ تقولَ : كلامُ اللهِ مخلوقُ
ماذا عليك وأصلُ الدينِ يَجمَعهمْ ... ما كان فى الفرعِ لولا الجهلُ والمُوقُ

وأقيم فيها الخلنجىّ للناس فى جمادى الآخرة .

* * *

وفيها ولّى ابن أكثم قضاء الشرقية حيّان بن بشر ، وولّى سوّار بن عبدالله العنبرىّ قضاء الجانب الغربىّ ، وكلاهما أعور ، فقال الجمّاز : ٣/١٤١٢

رأيتُ من الكبائرِ قاضِيَيْنِ ... هُما أُحدُوثَةٌ فى الخافقين
هما اقتَسَمَا العمَى نِصفَين قدًّا ... كما اقتسما قَضاءَ الجانبَيْنِ
وتَحسِبُ منهما مَن هزَّ رأْساً ... لِيَنظرَ فى مَواريثٍ ودَيْنِ
كأنَّكَ قد وضَعْتَ عليه دنًّا ... فتَحْتَ بُزَالَهُ من فَرْدِ عَيْنِ
هما فَأْلُ الزمانِ بهُلْكِ يحيى ... إذِ افتَتَح القضاءَ بأَعْوَرَيْنِ

(١) ف : « بقين » .

[خبر إنزال جثة ابن نصر ودفعه إلى أوليائه]

وفيها أمر المتوكل فى يوم الفطر منها بإنزال جُثّة[١] أحمد بن نصر بن مالك الخُزاعىّ ، ودفعه إلى أوليائه .

* ذكر الخبر عما فعل به وما كان من الأمر بسبب ذلك :

ذُكر أنّ المتوكل لمّا أمر بدفع جُثّته إلى أوليائه لدفنه، فُعل ذلك، فدُفع إليهم ؛ وقد كان المتوكل لما أفضت إليه الخلافة ، نهى عن الجدال فى القرآن وغيره ، ونفذت كتبه بذلك إلى الآفاق ، وهمّ بإنزال أحمد بن نصر عن خَشبته ، ٣/١٤١٣ فاجتمع الغَوْغاء والرّعاع إلى موضع تلك الخشبة، وكثّروا[٢] وتكلّموا، فبلغ ذلك المتوكل، فوجّه إليهم نصر[٣] بن الليث ، فأخذ منهم نحوًا من عشرين رجلا ، فضربهم وحبَسهم ، وترك إنزال أحمد بن نصر من خَشبته لِمَا بلغه من تكثير العامة فى أمره ، وبقىَ الذين أخذوا بسببه فى الحبْس حينًا ، ثم أطلِقوا ؛ فلما دفع بدنه إلى أوليائه فى الوقت الذى ذكرت، حمله ابن أخيه موسى إلى بغداد ، وغُسل ودُفن ، وضُمّ رأسه إلى بدنه ، وأخذ عبد الرحمن بن حمزة جسدَه فى منديل مصرىّ ، فمضى به إلى منزله ، فكفّنه وصلى عليه، وتولّى إدخاله القبر مع بعض أهله رجلٌ من التجار ، ويقال له الأبزارىّ

فكتب صاحب البريد ببغداد — وكان يعرف بابن الكلبى ، من موضع بناحية واسط، يقال له الكلبانية[٤] — إلى المتوكل بخبر العامة ، وما كان من اجتماعها وتمسحها بالجنازة ؛ جنازة[٥] أحمد بن نصر وبخشبة[٦] رأسه ؛ فقال المتوكل ليحيى بن أكثم : كيف دخل ابن الأبزارىّ القبرَ على كُبْرة[٧] خزاعة ! فقال : يا أمير المؤمنين ، كان صديقًا له. فأمر المتوكل بالكتاب إلى محمد بن عبد الله ابن طاهر بمنع العامة من الاجتماع والحركة فى مثل هذا وشبهه ؛ وكان

---

(١) ف : « رأس » .
(٢) س : « وكبروا » ، ف : « وأكثروا » .
(٣) ا ، د، ف : « مضر » .
(٤) ط : « الكلتانية » ، وانظر الفهرس .
(٥) ف : « بجنازة » .
(٦) كذا فى ا ، وفى ط : « مجسة » .
(٧) ا : « كثرة » .

بعضهم أوصى ابنَه عند موته أن يُرهِبَ العامة ؛ فكتب المتوكل ينهى عن ١٤١٤/٣
الاجتماع .

* * *

وغزا الصائفة فى هذه السنة علىّ بن يحيى الأرمنىّ .

وحجّ بالناس فيها علىّ بن عيسى بن جعفر بن أبى جعفر المنصور ، وكان
والى مكة .

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

[ذكر ظفر بغا بإسحاق بن إسماعيل وإحراقه مدينة تفليس]

فمن ذلك ما كان من ظفر بغا بإسحاق بن إسماعيل مولى بنى أميّة بتفليس وإحراقه مدينة تَفليس.

* ذكر الخبر عما كان من بغا فى ذلك:

ذُكر أنّ بغا لما صار إلى دبيل بسبب قتل القاتلين من أهل إرمينيَة يوسفَ ابن محمد، أقام بها شهراً؛ فلما كان يوم السبت لعشْر خلوْن من شهر ربيع الأوّل من سنة ثمان وثلاثين ومائتين، وجّه بغا زيرك التّركى، فجاوز الكُرّ - وهو نهر عظيم مثل الصراة ببغداد وأكبر، وهو ما بين المدينة وتفليس فى الجانب الغربىّ وصُغدبيل فى الجانب الشرقىّ - وكان معسكر بُغا فى الشرقى، فجاوز زيرك الكرّ إلى ميدان تَفْليس، ولتفليس خمسة أبواب: باب الميدان، وباب قريس[1]، وباب الصغير، وباب الرَّبَض، وباب صغدبيل - والكُرّ نهر ينحدر مع المدينة - ووجّه بغا أيضًا أبا العباس الواثىّ[2] النصرانىّ إلى أهل إرمينيَة عربها وعجمها، فأتاهم زيرك مما يلى الميدان وأبو العباس مما يلى باب الرَّبَض، فخرج إسحاق بن إسماعيل إلى زيرك، فناوشه القتال، ووقف بغا على تلّ مطلّ على المدينة مما يلى صغدبيل؛ لينظر ما يصنع زيرك وأبو العباس، فبعث بُغا النفّاطين فضربوا المدينة بالنار؛ وهى من خشب الصَّنَوْبر، فهاجت الرّيح فى الصنوبر، فأقبل إسحاق بن إسماعيل إلى المدينة لينظر؛ فإذا النار قد أخذت فى قصره وجواريه، وأحاطت به النار؛ ثم أتاه الأتراك والمغاربة فأخذوه أسيراً، وأخذوا ابنه عمراً، فأتوْا بهما بُغا، فأمر بُغا به، فردّ إلى باب

٣/١٤١٥

(١) ا: «قريش».

(٢) ا: «الوادى»، ف: «الوارقى»، ابن الأثير: «الوارثى».

الحسك ، فضربت عنقه هناك صَبْراً ، وحُمِل رأسه إلى بُغا ، وصُلِبتْ [1] جيفته على الكُرّ ؛ وكان شيخًا محدوداً ضخم الرأس ، يخضب بالوَسِمة ، آدم أصلع أحول ؛ فنُصب رأسه على باب الحسك .

وكان الذى تولّى قتلَه غامش خليفة بُغا ، واحترق فى المدينة نحو من خمسين ألف إنسان ، وأُطفِئت النار فى يوم وليلة [2] ؛ لأنها نار الصَّنَوْبر ، لا بقاء لها ، وصبَّحهم [3] المغاربة ، فأسروا مَن كان حيًّا ، وسلبوا الموتى . ٣/١٤١٦

وكانت امرأة إسحاق نازلةً بصغدبيل ، وهى حذاء تَفْلِيس فى الجانب الشرقىّ ، وهى مدينة بناها كسرى أنوشروان ؛ وكان إسحاق قد حصّنها وحفر خندقَها ، وجعل فيها مقاتلة من الخويثيّة وغيرهم . وأعطاهم بُغا الأمان على أن يضعوا أسلحتَهم ، ويذهبوا حيث شاء . وكانت امرأة إسحاق ابنة صاحب السرير .

ثم وجّه بُغا — فيما ذكر — زيرك إلى قلعة الجَرْدمان — وهى بين برذعة وتَفْلِيس — فى جماعة من جنده ، ففتح زيرك الجَرْدمان ، وأخذ بطْريقها القطْريج أسيراً ، فحمله إلى العسكر . ثم نهض بُغا إلى عيسى بن يوسف ابن أخت أصطفانوس ؛ وهو فى قلعة كثيش من كورة البَيْلَقان ، وبينها وبين البَيْلَقان عشرة فراسخ ، وبينها وبين برذعة خمسة عشر فرسخًا ، فحاربه ، ففتحها ، وأخذه وحمله وحمل ابنه معه وأباه ، وحمل أبا العباس الواثىّ — واسمه سَنْبَاط بن أشُوط — وحمل معه معاوية بن سهل بن سَنْبَاط بطريق أرّان ، وحمل آذر نرسى بن إسحاق الخاشنىّ .

* * *

[ذكر مقدم الروم بمراكبهم إلى دمياط]

وفى هذه السنة جاءت للروم ثلثمائة مركب مع عرفا وابن قطونا وأمردناقه [4] — وهم كانوا الرؤساء فى البحر — مع كلّ واحد منهم مائة مركب ، فأناخ ابن قطونا ٣/١٤١٧ ،

(١) ط : « وصلب » .
(٢) ف : « يوم الأربعاء وليلته » .
(٣) ف : « وصحبتهم » .
(٤) ط ، بدون نقط وما أثبته من ا .

بدمياط ، وبينها وبين الشطّ شبيه بالبحيرة يكون فيها الماء إلى صدْر الرجل؛ فمن جازها إلى الأرض أمِن من مراكب البحر ؛ فجازها قوم فسلموا ، وغرق قوم كثير من نساء وصبيان ؛ واحتمل من كانت له قوّة فى السفن ؛ فنجوا إلى ناحية الفسطاط ، وبينها وبين الفسطاط مسيرة أربعة أيام . وكان والى معونة مصر عنْبسة بن إسحاق الضّبى ، فلما قرب العيد ، أمر الجند الذين بدمياط أن يحضُروا الفسطاط لتحمل لهم[1] فى العيد ، وأخلى دمياط من الجند ؛ فانتهى مراكب الروم من ناحية شَطَا التى يعمل فيها الشطَوىّ ، فأناخ بها مائة مركب من الشلنديّة ؛ تَحمل كلّ مركب ما بين الخمسين رجلا إلى المائة[2] ؛ فخرجوا إليه وأحرقوا ماوصلوا إليه من دورها وأخصاصها ، واحتملوا سلاحًا كان فيها أرادوا حمله إلى أبى حفص صاحب أقريطش نحوًا من ألف قناة وآلتها ، وقَتلُوا مَنْ أمكنهم قتله من الرجال ، وأخذوا من الأمتعة والقَنْد والكتّان ما كان عُبِّئ ليُحمل إلى العراق ، وسبوا من المسلمات والقِبْطيات نحواً من ستمائة امرأة ؛ ويقال إن المسلمات منهنّ مائة وخمس وعشرون امرأة والباقى من نساء القِبْط . ٣/١٤١٨

ويقال إنّ الروم الذين كانوا فى الشلنديات التى أناخت بدمياط كانوا نحواً من خمسة آلاف رجُل ، فأوقروا سفنهم من المتاع والأموال والنساء ، وأحرقوا خزانة القلوع وهى شُرُع السفن ، وأحرقوا مسجد الجامع بدمياط ، وأحرقوا كنائس ؛ وكان مَنْ حُزِر[3] منهم ممن غرق فى بحيرة دمياط من النساء والصبيان أكثر ممن سباه الرّوم . ثم رحل الروم عنها .

وذُكر أنّ ابن الأكشف كان محبوساً فى سجن دمياط ، حبسه عنبسة ، فكسر قيده وخرج ؛ فقاتلهم ، وأعانه قوم ، فقتَل من الروم جماعة ، ثم صاروا إلى أشتوم تِنّيس ، فلم يحمل الماء سفنهم إليها ، فخشوا أن توحَل ؛ فلما لم يحملهم الماء صاروا إلى أشتومها — وهى مرسى بينه وبين تِنّيس أربعة فراسخ وأقلّ ، وله سور وباب حديد كان المعتصم أمر بعمله — فخرّبوا عامته ، وأحرقوا مافيه من

---

(١) كذا فى د . (٢) بعدها فى ف : « رجل » .
(٣) كذا فى ا ، وفى ط : « حذر » .

المجانيق والعرّادات ، وأخذوا بابيه الحديد ، فحملوهما ، ثم توجّهوا إلى بلادهم ، لم[1] يعرض لهم أحد .

* * *

٣/١٤١٩ وخرج المتوكل فى هذه السنة يوم الاثنين لخمس خلون من جمادى الآخرة من سامرّا يريد المدائن ، فصار إلى الشمّاسية يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة ، فأقام هنالك[2] إلى يوم السبت ، وعبر بالعشىّ إلى قُطْربُّل ، ثم رجع ودخل بغداد يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة بقيت منه فمضى فى سوقها وشارعها حتى نزل الزّعفرانية ، ثمّ صار إلى المدائن .

وغزا الصائفة فيها علىّ بن يحيى الأرمنىّ .

وحجّ بالناس فيها علىّ بن عيسى بن جعفر بن أبى جعفر .

---

(١) ابن الأثير : « ولم » . (٢) ف : « هناك » .

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك أمرُ المتوكل بأخذ أهل الذمّة بلبس دُرّاعتين عسليتين على الأقبية والدّراريع فى المحرّم منها، ثم أمرُه فى صفر[(١] بالاقتصار فى مراكبهم[١)] على ركوب البغال والحُمر دون الخيل والبراذين.

وفيها نفى المتوكل علىّ بن الجهم بن بدر إلى خراسان.

وفيها قتل صاحب الصّنّاريّه بباب العامة فى جمادى الآخرة منها.

وفيها أمر المتوكل بهدم البيَع المحدثة فى الإسلام.

٣/١٤٢٠ وفيها مات أبو الوليد محمد بن أحمد بن أبى دواد ببغداد فى ذى الحجة.

وفيها غزا الصائفة علىّ بن يحيى الأرمنىّ.

* * *

وحجّ بالناس فيها عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى بن موسى بن محمد ابن علىّ، وكان والى مكة.

وفيها حجّ جعفر بن دينار؛ وكان والى طريق مكة مما يلى الكوفة فولِّىَ أحداث الموسم.

وفيها اتفق شعانين النصارى ويوم النيروز؛ وذلك يوم الأحد لعشرين ليلة خلت من ذى القعدة، فذُكر أن النصارى زعمت أنهما لم يجتمعا فى الإسلام قطّ.

(١-١) ف : «أن يقتصروا».

ثم دخلت سنة أربعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر الخبر عن وثوب أهل حمص بعاملهم]

فمما كان فيها من ذلك وثوب أهل حمص بعاملهم على المعونة .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك وما آل إليه أمرهم ووثوبهم :

ذكر أن عاملهم على المعونة قتل رجلا كان من رؤسائهم ؛ وكان العامل يومئذ أبو المغيث الرافعيّ موسى بن إبراهيم ، فوثب أهل حِمْص فى جُمادى الآخرة من هذه السنة ، فقتلوا جماعة من أصحابه ، ثم أخرجوه وأخرجوا صاحب[1] ١٤٢١/٣ الخَراج من مدينتهم ؛ فبلغ ذلك المتوكل ؛ فوجّه إليهم عتّاب بن عتاب ، ووجه معه محمد بن عَبْدويه كرداس الأنباريّ ، وأمره أن يقول لهم : إنّ أمير المؤمنين قد أبدلكم رجلا مكان رجل ؛ فإن سمعوا وأطاعوا ورضُوا ؛ فولّ عليهم محمد بن عبدَويه ؛ وإن أبوْا وثبتوا على الخلاف فأقِمْ بمكانك ، واكتب إلى أمير المؤمنين حتى يوجّه إليك رجاء ، أو محمد بن رجاء الحضاريّ أو غيره من الخيل لحاربتهم ؛ فخرج عتّاب بن عتّاب من سامُرّا يوم الاثنين لخمس بقين من شهر جمادى الآخرة ، فرضوا بمحمد بن عبدويه ، فولاّه عليهم ففعل فيهم الأعاجيب .

* * *

وفيها مات أحمد بن أبى دواد ببغداد فى المحرّم بعد ابنه أبى الوليد محمد ؛ وكان ابنه محمد تُوُفّىَ قبله بعشرين يومًا فى ذى الحجة ببغداد .

وفيها عزل يحيى بن أكثم عن القضاء فى صفَر ، وقبض منه ما كان له

---

(١) ابن الأثير : « عامل الخراج ».

ببغداد ومبلغه خمسة وسبعون[١] ألف دينار ، ومن أسطوانة فى داره[٢] ألفا دينار وأربعة آلاف جريب بالبصرة .

وفيها ولّى جعفر بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان بن علىّ القضاء على القضاة فى صفر .

١٤٢٢/٣ وحجّ بالناس فى هذه السنة عبد الله بن محمد بن داود وحجّ جعفر بن دينار وهو والى الأحداث بالموسم .

(١) ف : « عشرون » .
(٢) س : « أسطوانة فى دار » .

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر الخبر عن وثوب أهل حمص بعاملهم مرة أخرى]

فمن ذلك ما كان من وثُوب أهل حمص بعاملهم على المعونة ؛ وهو محمد ابن عبدوَيْه .

* ذكر الخبر عما كان من أمرهم فيها وما آل إليه الأمر بينهم .

ذُكِر أنّ أهل حمص وثبوا فى جمادى الآخرة من هذه السنة بمحمد بن عبدويْه عاملهم على المعونة ، وأعانهم على ذلك قوم من نصارى حِمْص ، فكتب بذلك إلى المتوكل ، فكتب إليه يأمره بمناهضتهم ، وأمدّه بجند من راتبة دمشق ، مع صالح العباسىّ التركىّ ؛ وهو عامل دمشق وجند من جند الرّملة ، فأمره أن يأخذ من رؤسائهم ثلاثة نفر فيضربهم بالسياط ضرب التّلف ؛ فإذا ماتوا صلبهم على أبوابهم ، وأن يأخذ بعد ذلك من وُجوههم عشرين إنسانًا فيضربهم[1] ثلثمائة سوط ، كلّ واحد منهم ، ويحملهم[2] فى الحديد إلى باب أمير المؤمنين ، وأن يخرّب ما بها من الكنائس والبِيَع ، وأن يُدخل البيعة التى إلى جانب مسجدها فى المسجد ، وألاّ يترك فى المدينة نصرانيًّا إلا أخرجه منها ، وينادَى فيهم قبل ذلك ؛ فمن وجده[3] فيها بعد ثلاثة[4] أحسن أدبه . وأمر لمحمد بن عبدويْه بخمسين ألف درهم ، وأمر لقواده ووجوه أصحابه بصِلات ، وأمر لخليفته علىّ بن الحسين بخمسة عشر ألف درهم ، ولقوّاده بخمسة آلاف خمسة آلاف درهم ، وأمر بخلَع[5] ؛ فأخذ محمد بن عبدويه عشرة منهم ؛ فكتب بأخذهم ، وأنه قد حملهم إلى دار أمير المؤمنين ولم

١٤٢٣/٣

(١) ف : « فيضرب كل واحد منهم » .
(٢) ف : « ويحمله » .
(٣) ف : « وجد » .
(٤) ا ، س : « ثالثة » .
(٥) د : « بخلع » .

يضربهم ؛ فوجّه المتوكل رجلا من أصحاب الفتح بن خاقان يقال له محمد بن رزق الله، ليردّ من الذين وجّه بهم ابن عبدويه محمد بن عبد الحميد الحميديّ والقاسم بن موسى بن فوعُوس إلى حمص ، وأن يضربهما ضرب التلف ، ويصلبهما على باب حمْص ، فردّهما وضربهما بالسياط حتى ماتا ، وصلبهما على باب حمص ، وقدم بالآخرين سامرّا وهم ثمانية ؛ فلما صاروا بنصيبين مات واحد منهم ، فأخذ المتوكل بهم رأسه ، وقدم بسبعة منهم سامرّا وبرأس الميت . ثم كتب محمد بن عبدويه أنه أخذ عشرة نفر منهم بعد ذلك ، وضرب منهم خمسة نفر بالسياط فماتوا ، ثم ضرب خمسة فلم يموتوا . ثم كتب محمد ابن عبدويه بعد ذلك أنه ظفر برجل منهم من المخالفين يقال له عبد الملك بن إسحاق ابن عمارة — وكان فيما ذكر — رأساً من رءوس الفتنة ؛ فضربه بباب حمْص بالسياط حتى مات ، وصلبه على حصن يعرف بتلّ العباس . ١٤٢٤/٣

* * *

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة مُطر الناس — فيما ذكر — بسامرّا مطراً جوْداً[1] في آب . وفيها ولي القضاء بالشرقيّة في المحرّم أبو حسان الزياديّ .

* * *

[ذكر الخبر عن ضرب عيسى بن جعفر وما آل إليه أمره]

وفيها ضُرب عيسى بن جعفر بن محمد بن عاصم صاحب خان عاصم ببغداد — فيما قيل — ألف سوط .

* ذكر الخبر عن سبب ضربه وما كان من أمره في ذلك :

وكان السبب في ذلك أنه شُهد عند أبي حسان الزياديّ قاضي الشرقية عليه أنه شتم أبا بكر وعمر وعائشة وحفصة ، سبعة عشر رجلا ؛ شهاداتهم[2] — فيما ذكر — مختلفة من هذا النحو ؛ فكتب بذلك صاحب بريد بغداد إلى عبيد الله ابن يحيى بن خاقان ، فأنهى عبيدُ الله ذلك إلى المتوكل ، فأمر المتوكل أن

(١) ط : « جواداً » ، وما أثبته من د، ف. (٢) ا : « الشهادات » د، ف : « شهادات ».

يكتب إلى محمد بن عبد الله بن طاهر يأمره بضرب عيسى هذا بالسياط ، فإذا مات رُمِىَ به فى دجلة ، ولم تدفع جيفته إلى أهله .

فكتب عبيد الله إلى الحسن بن عثمان جواب كتابه إليه فى عيسى :

بسم الله الرحمن الرحيم ؛ أبقاك الله وحفظك ، وأتمّ نعمته عليك ؛ وصل كتابك فى الرّجل المسمّى عيسى بن جعفر بن محمد بن عاصم صاحب الخانات ، وما شهد به الشهود عليه من شَتْم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعنهم وإكفارهم ، ورميهم بالكبائر ، ونسبتهم إلى النفاق ؛ وغير ذلك مما خرج به إلى المعاندة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، وتثبُّتك فى أمر أولئك الشهود وما شهدوا به ، وما صحّ عندك من عدالة مَنْ عدل منهم ، ووضح لك من الأمر فيما شهدوا به ، وشرحك ذلك فى رُقعة درج كتابك ؛ فعرضت على أمير المؤمنين أعزّه الله ذلك ؛ فأمر بالكتاب إلى أبى العباس محمد بن طاهر مولى أمير المؤمنين أبقاه الله بما قد نفذ إليه ، مما يشبه ما عنده أبقاه الله[1] ، فى نُصرة دين الله ، وإحياء سنّته ، والانتقام ممن ألحد فيه ، وأن يُضرب الرجل حدًّا فى مجمع الناس حدّ الشتم ، وخمسمائة سوط بعد الحدّ للأمور العظام التى اجترأ عليها ، فإن مات أُلقِىَ فى الماء من غير صلاة ليكون ذلك ناهيًا لكل مُلْحِد فى الدين ، خارج من جماعة المسلمين ؛ وأعلمتك ذلك لتعرفه إن شاء الله تعالى — والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

٣/١٤٢٥

وذُكر أن عيسى بن جعفر بن محمد بن عاصم هذا — وقد قال بعضهم : إن اسمه أحمد بن محمد بن عاصم — لما ضُرِب ترِك فى الشمس حتى مات ، ثم رُمِىَ به فى دِجلة .

٣/١٤٢٦

* * *

وفى هذه السنة انقضّت الكواكب ببغداد وتناثرت ؛ وذلك ليلة الخميس لليلة خلتْ من جمادى الآخرة .

وفيها وقع بها الصدام فنفقت الدّوابّ والبقر .

وفيها أغارت الروم على عين زَرْبة ، فأسَرت مَنْ كان بها من الزّط ؛ مع نسائهم وذراريّهم وجواميسهم وبقرهم .

---

(١) ا : « أيده الله » .

[خبر الفداء بين المسلمين والروم فى هذه السنة]

وفيها كان الفداء بين المسلمين والروم .

* ذكر الخبر عن السبب الذى كان ذلك من أجله :

ذكر أن تَذُورة صاحبة الروم أمّ ميخائيل ، وجّهت رجلا يقال له جُورْجِيس بن قريافس[1] يطلب الفداء لمن فى أيدى الرّوم من المسلمين ، وكان المسلمون قد قاربوا عشرين ألفًا ، فوجّه المتوكل رجلا من الشيعة يقال له نصر بن الأزهر بن فرج[2] ؛ ليعرف صحة مَنْ فى أيدى الروم من أسارى المسلمين ، ليأمر بمفاداتهم ؛ وذلك فى شعبان من هذه السنة بعد أن أقام عندهم حينًا . فذُكر أن تَذُورة أمرتْ بعد خروج نصر بعرض من فى إسارها من المسلمين على النصرانية ؛ فمن تنصّر منهم كان أسوة من تَنَصّر قبل ذلك ، و من أبى قتلته ؛ فذُكر أنها قتلت من الأسرى اثنى عشر ألفًا ؛ ويقال إن قنقلة[3] الخصىّ كان يقتلهم من غير أمرها . ونفذَ كتاب المتوكل إلى عمال الثغور الشامية والجزرّية أن شُنيفًا الخادم قد جرى بينه وبين جورجس رسول عظيم الروم فى أمر الفداء قول ، وقد اتفق الأمر بينهما ، وسأل جورجس هذا هدنة لخمس ليال تخلو من رجب سنة إحدى وأربعين ومائتين إلى سبع ليال بقين من شوّال من هذه السنة ، ليجمعوا الأسرى ، ولتكون مدّة لهم إلى انصرافهم إلى مأمنهم . فنفذ الكتاب بذلك يوم الأربعاء لخمس خلوْن من رجب ؛ وكان الفداء يقع فى يوم الفِطْر من هذه السنة .

١٤٢٧/٣

وخرج جورجس رسول ملكة الروم إلى ناحية الثغور يوم السبت لثمان بقين من رجب على سبعين بغلا اكْتُرِيت له ، وخرج معه أبو قحطبة المغربىّ الطرطوسىّ لينظروا وقتَ الفطر[4] ؛ وكان جورجس قدم معه جماعة من البطاركة وغلمانه بنحو من خمسين إنسانًا ، وخرج شُنيف الخادم للفداء فى النصف من شعبان ، معه مائة فارس : ثلاثون من الأتراك ، وثلاثون من المغاربة ، وأربعون من فرسان الشاكرّية ؛ فسأل جعفر بن عبد الواحد — وهو قاضى القضاة — أن يؤذَن

١٤٢٨/٣

(١) كذا فى ا ، وفى ط من غير ضبط . (٢) د : « فروخ » .
(٣) ا : « قيفلة » . (٤) ا : « الفداء » .

له فى حضور الفداء ، وأن يستخلف رجلا يقوم مقامه — فأذن له ، وأمر له بمائة وخمسين ألفًا مَعُونة وأرزاق ستين ألفًا ؛ فاستخلف ابن أبى الشوارب — وهو يومئذ فتًى حدَث السنّ — وخرج فلحق شُنيفًا ، وخرج أهل بغداد من أوساط الناس ، فذكر أن الفداء وقع من بلاد الروم على نهر اللامس ، يوم الأحد لاثنتى عشرة ليلة خلت من شوال سنة إحدى وأربعين ومائتين ، فكان أسرى المسلمين سبعمائة وخمسة وثمانين إنسانًا ، ومن النساء مائة وخمساً وعشرين امرأة .

* * *

وفى هذه السنة جعل المتوكل كُورة شمشاط عُشْراً ، ونقلهم من الخراج إلى العشر ، وأخرج لهم بذلك كتاباً .

[ذكر غارة البجة على مصر]

وفى هذه السنة غارت البُجَة على حرس[1] من أرض مصر ، فوجّه المتوكل لحربهم محمد بن عبد الله القُمّىّ .

* ذكر الخبر عن أمرهم وما آلت إليه حالهم :

ذُكر أن البُجَة كانت لا تغزو المسلمين ولا يغزوهم المسلمون لهدنة بينهم قديمة ، قد ذكرناها فيما مضى قبل من كتابنا هذا ، وهم جنس من أجناس الحبَش بالمغرب ، وبالمغرب من السودان — فيما ذكر — البُجة وأهل غانة الغافر وبينور[2] ورعوين والفرويّة وبكسوم ومكاره أكرم والنوبة والحبش[3] . وفى بلاد البجة معادن ذهب ؛ فهم يقاسمون مَنْ يعمل فيها ؛ ويؤدون إلى عمال السلطان فى مصر فى كلّ سنة عن معادنهم أربعمائة مثقال تِبْر قبل أن يطبخ ويصفَّى .

٣/١٤٢٩

فلما كان أيام المتوكل امتنعت البُجَة عن أداء ذلك الخراج سنين متوالية فذُكر أنّ المتوكل ولّى بريد مصر رجلا من خَدَمه يقال له يعقوب بن إبراهيم الباذغيسىّ مولى الهادى ، وهو المعروف بقوصرة ، وجعل إليه بريد مصر والإسكندرية وبرقة ونواحى المغرب ؛ فكتب يعقوب إلى المتوكل أن البُجة قد نقضت العهد

---

(١) ا : « خرش » (٢) كذا فى ا ، وفى ط من غير نقط (٣) كذا فى د ، وفى ط : «والجمس».

الذى كان بينها و بين المسلمين ، وخرجت من بلادها إلى معادن الذّهب والجوهر ؛ وهى على التّخوم فيما بين أرض مصر و بلاد البُجة ؛ فقتلوا عدّة من المسلمين ممن كان يعمل فى المعادن و يستخرج الذهب والجوهر ، وسبَوْا عدّة من ذراريّهم ونسائهم ؛ وذكروا أن المعادن لهم فى بلادهم ، وأنهم لا يأذنون للمسلمين فى دخولها ؛ وأن ذلك أوحش جميع من كان يعمل فى المعادن من المسلمين ؛ فانصرفوا عنها خوفاً على أنفسهم وذراريّهم فانقطع بذلك ما كان يؤخذ للسلطان بحقّ الخمس من الذّهب والفضة والجوهر الذى يستخرج من المعادن ؛ فاشتدّ إنكار المتوكل لذلك[1] وأحفظه ، وشاور فى أمر البُجة ، فأنهِىَ إليه أنهم قوم أهل بدو وأصحاب إبل وماشية ، وأن الوصول إلى بلادهم صَعب لا يمكن أن يسلك إليهم الجيوش ؛ لأنها مفاوز وصحارى ، و بين أرض الإسلام و بينها مسيرة شهر ؛ فى أرض قفر وجبال وعر ، لا ماء فيها ولا زرع ولا معقِل ، ولا حصن ؛ وأن مَنْ يدخلها من أولياء السلطان يحتاج أن يتزوّد لجميع المدّة التى [2] يتوهم أن يقيمها[2] فى بلادهم إلى أن يخرج إلى أرض الإسلام ، فإن امتدّ به المقام حتى يتجاوز تلك المدة هلك وجميع[3] من معه ، وأخذتهم البُجَة بالأيدى دون المحاربة ، وأنّ أرضهم أرض لا تردّ على السلطان شيئاً من خراج ولا غيره .

٣/١٤٣٠

فأمسك المتوكل عن التوجيه إليهم ، وجعل أمرُهم يتزيّد ، وجرأتهم على المسلمين تشتدّ حتى خاف أهلُ الصعيد من أرض مصر على أنفسهم وذراريّهم منهم ؛ فولّى المتوكل محمد بن عبد الله المعروف بالقمىّ محاربتهم ، وولاّه معاون تلك الكور — وهى قفط والأقصر وإسنا وأرمنت وأسوان — وتقدّم إليه فى محاربة البُجَة ؛ وأن يكاتب عنبسة بن إسحاق الضبىّ العامل على حرب مصر . وكتب إلى عنبسة بإعطائه جميعَ ما يحتاج إليه من الجند والشاكريّة المقيمين بمصر .

٣/١٤٣١

فأزاح[4] عنبسة عِلّته فى ذلك ، وخرج إلى أرض البُجَة ؛ وانضمّ إليه

---

(١) ا ، ف : « ذلك » .
(٢ – ٢) ف : « ينوون أنهم يقيمونها » .
(٣) ف : « بجميع » .
(٤) ف : « وأزاح » .

جميع مَنْ كان يعمل فى المعادن وقوم كثير من المتطوّعة ؛ فكانت عدّة من معه نحواً من عشرين ألف إنسان ؛ بين فارس وراجل ، ووجّه إلى القلزم ، فحمل فى البحر سبعة مراكب موقَرة بالدّقيق والزيت والتمر والسويق والشعير ، وأمر قومًا من أصحابه أن يلجّجوا بها فى البحر حتى يوافوه فى ساحل[1] البحر من أرض البُجَة ؛ فلم يزل محمد بن عبد الله القمىّ يسير فى أرض البُجَة حتى جاوز المعادن التى يعمل فيها الذّهب ، وصار إلى حصونهم وقلاعهم ، وخرج إليه ملكهم — واسمه على بابا واسم ابنه[2] لعيس — فى جيش كثير وعدد أضعاف مَنْ كان مع القمىّ من الناس ؛ وكانت البُجَة على إبلهم ومعهم الحراب وإبلهم فرّة تشبّه بالمهارى فى النجابة ، فجعلوا يلتقون أيامًا متوالية ، فيتناوشون ولا يصحّحون المحاربة ، وجعل ملك البُجَة يتطارد للقمىّ لكىْ تطول الأيام طمعًا فى نفاد الزاد والعلوفة التى معهم ؛ فلا يكون لهم قوّة ، ويموتون هزلا ، فيأخذهم البُجَة بالأيدى .

فلما توهّم عظيم البُجَة أن الأزواد قد نفدت ، أقبلت السبع المراكب التى حملها القمىّ حتى خرجت إلى ساحل من سواحل البحر فى موضع يعرف بصنجة ، فوجّه القمىّ إلى هنالك جماعة من أصحابه يحمون المراكب من البُجة ، وفرّق ما كان فيها على أصحابه ، فاتّسعوا فى الزاد والعلوفة ؛ فلما رأى ذلك على بابا رئيس البُجَة قصد لمحاربتهم ، وجمع لهم ، والتقوا فاقتتلوا قتالا شديداً ؛ وكانت الإبل التى يحاربون عليها إبلا زعِرة ، تكثر الفزَع والرّعب من كل شىء ؛ فلما رأى ذلك القمىّ جمع أجراس الإبل والخيل التى كانت فى عسكره كلها ، فجعلها فى أعناق الخيل ، ثم حمل على البُجَة ، فنفرت إبلهم لأصوات الأجراس ، واشتدّ رعبها ، فحملتهم على الجبال والأودية ، فمزّقتهم كلّ ممزّق ، واتبعهم القمىّ بأصحابه ، فأخذهم قتلاً وأسراً حتى أدركه الليل ؛ وذلك فى أول سنة إحدى وأربعين ، ثم رجع إلى معسكره ولم يقدر على إحصاء القتلى لكثرتهم ؛ فلما أصبح القمىّ وجدهم قد جمعوا جمعًا من الرّجالة ، ثم صاروا إلى موضع أمنوا فيه طلب القمىّ ، فوافاهم القمىّ فى

١٤٣٢/٣

---

(١) ا ، ف : « سواحل » . (٢) ا ، س : « أبيه » .

الليل فى خيله ، فهرب ملكهم ؛ فأخذ تاجه ومتاعه ، ثم طلب على بابا الأمان على أن يُرَدّ إلى مملكته وبلاده ، فأعطاه القمىّ ذلك ، فأدى إليه الخراج للمدة التى كان منعها — وهى أربع سنين — لكل[1] سنة أربعمائة مثقال ، واستخلف على بابا على مملكته ابنه لعيس ، وانصرف القمىّ بعلى بابا إلى باب المتوكل ، ٣/١٤٢٣ فوصل إليه فى آخر سنة إحدى وأربعين ومائتين ، فكسا على بابا هذا دُرّاعة ديباج وعمامة سوداء ، وكسا جمله رحلا مُدبّجًا وجلال ديباج ، ووقف بباب العامّة مع قوم من البُجة نحو من سبعين غلامًا على الإبل بالرّحال ، ومعهم الحراب فى رءوس حرابهم رءوس القوم الذين قتلوا من عسكرهم ؛ قتلهم القمىّ . فأمر المتوكل أن يقبضوا من القمىّ يوم الأضحى من سنة إحدى وأربعين ومائتين . وولّى المتوكل البُجة وطريق ما بين مصر ومكة سعداً الخادم الإيتاخىّ ، فولّى سعد محمد بن عبد الله القمىّ ، فخرج القمىّ بعلى بابا ؛ وهو مقيم على دينه ؛ فذكر بعضهم أنه رأى معه صنماً من حجارة كهيئة الصبى يسجد له .

* * *

ومات فى هذه السنة يعقوب بن إبراهيم المعروف بقوصرة فى جمادى الآخرة.

وحجّ بالناس فى هذه السنة عبد الله بن محمد بن داود ، وحجّ جعفر بن دينار فيها ، وهو والى طريق مكة وأحداث الموسم .

(١) ف : «فى كل» .

ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر أحداث الزلازل بالبلاد]

فمما كان فيها من ذلك الزلازل الهائلة التى كانت بقومِس ورساتيقها فى شعبان ؛ فتهدّمت فيها الدّور ، ومات من الناس بها مما سقط عليهم من الحيطان وغيرها بشرٌ كثير ؛ ذُكر أنه بلغت عدّتهم خمسة وأربعين ألفًا وستة وتسعين نفسًا [١] ؛ وكان عُظْم ذلك بالدامَغان .

وذكر أنه كان بفارس وخراسان والشأم فى هذه السنة زلازل وأصوات منكرة ، ١٤٣٤/٣ وكان باليمن أيضًا مثل ذلك مع خسف بها [٢] .

* * *

[ذكر خروج الروم من ناحية شِمْشاط]

وفيها خرجت الروم من ناحية شِمْشاط بعد خروج علىّ بن يحيى الأرمنىّ من الصّائفة حتى قاربوا آمِد ، ثم خرجوا من الثغور الجزريّة ، فانتهبوا عدّة قرى ، وأسروا نحوًا من عشرة آلاف إنسان ؛ وكان دخولهم من ناحية أبريق ؛ قرية قربياس ؛ ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم ، فخرج قربياس وعمر بن عبد الله الأقطع وقوم من المتطوّعة فى أثرهم ، فلم يلحقوا منهم أحداً ، فكتب إلى علىّ بن يحيى أن يسير إلى بلادهم شاتياً .

* * *

وفيها قتل المتوكل عطاردًا — رجلا [٣] كان نصرانيًّا فأسلم — فكث مسلماً

(١) ف : « إنساناً » . (٢) ف : « كان فيها » .
(٣) ف : « رجلا عطاراً » .

سنين كثيرة ثم ارتدّ فاستُتيب ، فأبى الرجوع إلى الإسلام ، فضُربت عنقه لليلتين خلتا من شوال ، وأحرق بباب العامة.

وفى هذه السنة مات أبو حسان الزيادىّ قاضى الشرقيّة فى رجب .

وفيها مات الحسن بن علىّ بن الجعد قاضى مدينة المنصور .

١٤٣٥/٣ وحجّ بالناس فيها عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام بن محمد بن علىّ ؛ وهو والى مكة (١) .

وحجّ فيها جعفر بن دينار وهو والى طريق مكة وأحداث الموسم .

(١) بعدها فى س : « وأحداث الموسم » .

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

ففيها كان شخوص المتوكّل إلى دمشق لعشر بقين من ذى القعدة ، فضحّى ببلَد ؛ فقال يزيد بن محمد المهلبىّ حين خرج :

أَظُنُّ الشّامَ تشمَتُ بالعِراقِ ... إذَا عزمَ الإمامُ على انْطلاقِ
فإن تدَعِ العراقَ وساكِنِيها ... فقد تبْلَى المليحةُ بالطَّلاقِ

* * *

وفيها مات إبراهيم بن العبّاس ، فولى ديوان الضِّياع الحسن بن مخلَد بن الجرّاح ، خليفة إبراهيم فى شعبان ، ومات هاشم بن بنَجور فى ذى الحجة .

* * *

وحجّ بالناس فيها عبد الصمد بن موسى . ١٤٣٦/٤

وحجّ جعفر بن دينار ، وهو والى طريق مكة وأحداث الموسم .

ثم دخلت سنة أربع وأربعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك دخولُ المتوكل دمشق فى صفر ؛ وكان من لدن شخَص من سامُرّا إلى أن دخلها سبعة وتسعون يوماً — وقيل سبعة وسبعون يوماً — وعزم على المقام بها ، ونقل دواوين الملك إليها ، وأمر بالبناء بها فتحرّك الأتراك فى أرزاقهم وأرزاق عيالاتهم ، فأمر لهم بما أرضاهم به . ثم استوْبأ البلد ؛ وذلك أنّ الهواء بها باردٌ نَدِىّ والماء ثقيل ، والريح تهبّ فيها مع العصر ؛ فلا تزال تشتدّ حتى يمضى عامّة الليل ؛ وهى كثيرة البراغيث ، وغلَت فيها الأسعار ، وحال الثلج بين السّابلة والميرة .

* * *

وفيها وجّه المتوكّل بُغا من دمشق لغزو الرّوم فى شهر ربيع الآخر ، فغزا الصائفة ، فافتتح صُمُلّة ، وأقام المتوكّل بدمشق شهرين وأياماً ، ثم رجع إلى سامُرّا ، فأخذ فى منصرَفه على الفرات ، ثم عدل إلى الأنبار ، ثم عدل من الأنبار على طريق الحُرْف إليها ، فدخلها يوم الاثنين لسبع بَقِين من جمادى الآخرة .

* * *

وفيها عقد المتوكّل[1] لأبى الساج على طريق مكة مكان جعفر بن دينار — فيما زعم بعضهم — والصواب عندى أنه عقد له على طريق مكة فى سنة ثنتين وأربعين ومائتين .

٣/١٤٣٧ وفيها أتِىَ المتوكل — فيما ذكر — بحربة كانت للنبىّ صلى الله عليه وسلم تسمى العَنَزة ؛ ذكر أنها كانت للنجاشى ملك الحبشة ، فوهبها للزّبير بن العوّام ، فأهداها الزّبيرُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فكانت عند المؤذّنين ، وكان يُمْشَى بها بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العيدين ؛ وكانت

(١) د ، س : « المنتصر » .

تركز بين يديه فى الفناء فيصلّى إليها(١) فأمر المتوكلّ بحملها بين يديه؛ فكان يحملها بين يديه صاحب الشرطة ، ويحمل حربته خليفة صاحب الشرطه .

* * *

وفيها غضب المتوكل على بَختيشُوع ، وقبض ماله، ونفاه إلى البحرين، فقال أعرابىّ :

يا سَخطةً جاءت على مقدارِ ثار له الليث على اقتدارِ
منه وبَخْتيشُوعُ فى اغترارِ لمَّا سَعى بالسّادةِ الأَقمارِ
بالأمرَاء القادةِ الأبرارِ وُلاةِ عهدِ السَّيِّدِ المختارِ
وبالمَوالِى وبنِى الأَحرارِ رَمى به فى مُوحِشِ القِفارِ
* بساحِلِ البحْرينِ للصَّغَارِ *

وفى هذه السنة اتفق عيد المسلمين الأضحى وشعانين النصارى وعيد الفطر لليهود .

وحجّ بالناس فيها عبد الصمد بن موسى .

(١) بعدها فى ف : « فى الفضاء » .

ثم دخلت سنة خمس وأربعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر بناء الماحوزة]

ففيها أمر المتوكل ببناء الماحُوزَة ، وسمّاها الجعفريّ ، وأقطع القوّاد وأصحابه فيها ، وجدّ فى بنائها ، وتحوّل إلى المحمّدية ليتمّ أمر الماحوزة ، وأمر بنقض القصر المختار والبديع ، وحمل ساجهما إلى الجعفريّ ، وأنفق عليها — فيما قيل — أكثر من ألفى ألف دينار ، وجمع فيها القُرّاء فقرءوا ، وحضر[1] أصحاب الملاهى فوهب لهم ألفى ألف درهم ؛ وكان يسميها هو وأصحابه الخاصّة المتوكليّة ، وبنى فيها قصراً سمّاه لؤلؤة ، لم يُرَ مثله فى علوّه ، وأمر بحفر نهر يأخذ رأسه خمسة فراسخ فوق الماحوزة من موضع يقال له كَرْمى يكون شِرْباً لماحولها من فُوهة النهر إليها ، وأمر بأخذ جَبَلْتا والخَصّاصَة العليا والسفلى وكَرْمَى ، وحمل أهلها على بيع منازلهم وأرضهم ، فأجبروا على ذلك حتى تكون الأرض والمنازل فى تلك القرى كلها له ، ويخرجهم عنها ، وقدّر للنهر من النفقة مائتى ألف دينار ، وصيّر النفقة عليه إلى دُلَيل بن يعقوب النصرانىّ كاتب بغا فى ذى الحجة من سنة خمس وأربعين ومائتين ، وألقى فى حفر النهر اثنى عشر ألف رجل يعملون فيه ؛ فلم يزل دُليل يعتمل فيه ، ويحمل المال بعد المال[2] ويقسم عامّته فى الكتاب ؛ حتى قتِل المتوكل ، فبطل النهر ، وأخربت الجعفريّة ، ونقضت ولم يتمّ أمر النهر .

* * *

وزلزلت فى هذه السنة بلاد المغرب حتى تهدّمت الحصون والمنازل والقناطر ؛ فأمر المتوكل بتفرقة ثلاثة آلاف درهم فى الذين أصيبوا بمنازلهم ، وزلزل عسكر

(١) د : « وحضرها » . (٢) س : « الماء » .

المهدى ببغداد فيها ، وزلزلت المدائن[١] .

* * *

وبعث ملك الروم فيها بأسرَى من المسلمين ؛ وبعث يسأل المفاداة بمن عنده ؛ وكان الذى قدم من قِبَل صاحب الروم رسولا إلى المتوكّل شيخًا يدعى أطروبِيَلْيس معه سبعة وسبعون رجلا من أسرى المسلمين ، أهداهم ميخائيل ابن تَوْفِيل ملك الروم إلى المتوكّل ، وكان قدومه عليه لخمس بقين من صفر من هذه السنة ، فأنزل على شُنيف الخادم . ثمّ وجّه المتوكل نصر بن الأزهر الشيعىّ مع رسول صاحب الروم ، فشخص فى هذه السنة ، ولم يقع الفداء إلا فى سنة ست وأربعين .

وذكر أنه كانت فى هذه السنة بأنطاكيّة زلزلة ورجْفة فى شوّال ، قتلت خلقاً كثيراً ، وسقط منها ألف وخمسمائة دار ، وسقط من سورها نيفّ وتسعون برجاً ، وسمعوا أصواتًا هائلة لا يحسنون وصفَها من كُوى المنازل ، وهرب أهلها إلى الصحارى ، وتقطّع جبلها الأقرع ، وسقط فى البحر ؛ فهاج البحر فى ذلك اليوم ؛ وارتفع منه دخان أسود مظلم منتن ، وغار منها نهر على فرسخ لا يدرَى أين ذهب . ٣/١٤٤٠

وسمع فيها — فيما قيل — أهلُ تِنِّيس فى مصر ضجّة دائمة هائلة ، فمات منها خلق كثير .

وفيها زُلزلت بالس والرّقة وحَرّان ورأس عين وحمص ودمشق والرُّها وطرَسُوس والمَصِّيصة وأذنة[٢] وسواحل الشأم . ورجفت اللاذقية ، فما بقى منها منزل ، ولا أفلت من أهلها إلا اليَسير ، وذهبت جَبَلَة بأهلها .

وفيها غارت مُشاش — عين مكة — حتى بلغ ثمن القربة بمكة ثمانين درهماً ، فبعثتْ أم المتوكل فأنفقت[٣] عليها .

وفيها مات إسحاق بن أبى إسرائيل وسوّار بن عبد الله وهلال الرازىّ

* * *

(١) ف : « الميادين » . (٢) ط : « أدنه » ، صوابه من د .
(٣) ط : « فأنفق » ، وما أثبته من ا

[ذكر الخبر عن هلاك نجاح بن سلمة]

وفيها هلك نجّاح بن سلمة .

* ذكر الخبر عن سبب هلاكه :

حدّثني الحارث بن أبي أسامة ببعض ما أنا ذاكره من أخباره وببعض ذلك غيره ؛ أن نجاح بن سلمة كان على ديوان التوقيع والتتبّع على العمال ، وكان قبل ذلك كاتب إبراهيم بن رباح الجوهريّ ؛ وكان على الضياع ؛ فكان جميع العمال يتّقونه ويقضون حوائجه ؛ ولا يقدرون على منْعِه من شيء يريدُه ؛ وكان المتوكل ربما نادمه ، وكان انقطاع الحسن بن مخلد وموسى بن عبد الملك إلى عبيد الله بن يحيى بن خاقان وهو وزير المتوكل ؛ وكانا يحملان إليه كلّ ما يأمرهما[1] به ، وكان الحسن بن مخلد على ديوان الضياع ، وموسى على ديوان الخراج ؛ فكتب نجاح بن سَلمة رُقْعة إلى المتوكل في الحسن وموسى يذكر أنهما قد خانا وقصّرا فيما هما بسبيله ؛ وأنه يستخرج منهما أربعين ألف ألف درهم ؛ فأدناه المتوكّل وشاربه تلك العشيّة ، وقال : يا نجاح ؛ خذَل الله من يخذُلك ، فبكّرْ إليّ غداً حتى أدفعهما إليك ؛ فغدا وقد رتّب أصحابه ، وقال : يا فلان خذ أنت الحسن ، ويافلان خذ أنت موسى ؛ فغدا نجاح إلى المتوكل ، فلقى[2] عبيد الله ، وقد أمر عبيد الله أن يحجب نجاح عن المتوكل ؛ فقال له : يا أبا الفضل ، انصرف حتى ننظر وتنظر في هذا الأمر ؛ وأنا أشير عليك بأمر لك فيه صلاح ؛ قال : وما هو ؟ قال : أصلِح بينك وبينهما ؛ وتكتب رقعة تذكر فيها أنك كنت شارباً ، وأنك تكلمت بأشياء تحتاج إلى معاودة النّظر فيها ، وأنا أصلح الأمر عند أمير المؤمنين ؛ فلم يزل يخدعه حتى كتب رقعة بما أمره به ، فأدخلها على المتوكل ، وقال : يا أمير المؤمنين قد رجع نجاح عمّا قال البارحة ؛ وهذه رقعة موسى والحسن يتقبّلان به بما كتبا ؛ فتأخذ ما ضمنا عنه ، ثم تعطف عليهما ، فتأخذ منهما قريباً مما ضمن لك عنهما .

فسرّ المتوكل ، وطمع فيما قال له عبيد الله ، فقال : ادفعه إليهما ؛

٣/١٤٤١ ٣/١٤٤٢

(١) ف : « يأمر » . (٢) ف : « وقد لقى » .

فانصرفا به ؛ وأمرا بأخذ قَلَنسوته عن رأسه وكانت خَزًّا ، فوجد البرد ، فقال : ويحك يا حسن ! قد وجدت البرد ؛ فأمر بوضع قلنسوته على رأسه ، وصار به موسى إلى ديوان الخراج ، ووجّها إلى ابنيه أبي الفرج وأبي محمد ، فأخذ أبو الفرج وهرب أبو محمد ، ابن بنت حسن بن شنيف ، وأخذ كاتبه إسحاق بن سعد بن مسعود القُطْرُبُّلىّ وعبد الله بن مخلد المعروف بابن البواب – وكان انقطاعه إلى نجاح – فأقرّ لهما نجاح وابنه بنحو من مائة وأربعين ألف دينار سوى قيمة قصورهما وفرشهما ومستغلاتهما بسامرّا وبغداد ، وسوى ضياع لهما كثيرة ، فأمر بقبض ذلك كله ، وضُرب مراراً بالمقارع فى غير موضع الضرب نحواً من مائتى مِقْرعة ، وغُمز وخُنِق ، خنقه موسى الفرانق والمعلوف .

فأما الحارث فإنه قال : عصر خصيتيه حتى مات ؛ فأصبح ميتاً يوم الاثنين لثمان بقين من ذى القعدة من هذه السنة ، فأمر بغسله ودفنه ، فدُفن ليلا ؛ وضرب ابنه محمد وعبد الله بن مخلد وإسحاق بن سعد نحواً من خمسين خمسين ، فأقرّ إسحاق بخمسين ألف دينار ، وأقرّ عبد الله بن مخلد بخمسة عشر ألف دينار – وقيل عشرين ألف دينار . ١٤٤٣/٣

وكان ابنه أحمد ابن بنت حسن قد هرب فظُفر به بعد موت نجاح ، فحبس فى الديوان ، وأخذ جميع ما فى دار نجاح وابنه أبى الفرج من متاع ، وقبضت دورهما وضياعهما حيث كانتْ وأخرجت عيالهما ، وأخذ وكيله بناحية السواد ؛ وهو ابن عياش ، فأقرّ بعشرين ألف دينار . وبعث إلى مكة فى طلب الحسن بن سهل بن نوح الأهوازىّ وحسن بن يعقوب البغدادى ، وأخذ بسببه قوم فحبسوا .

وقد ذكر فى سبب هلاكه غير ما قد ذكرناه ، ذكر أنه كان يضادّ عبيد الله بن يحيى بن خاقان – وكان عُبيد الله متمكناً من المتوكل ، وإليه الوزارة وعامة أعماله ؛ وإلى نجاح توقيع العامة – فلما عزم المتوكل على بناء الجعفرىّ قال له نجاح – وكان فى الندماء[1] – يا أميرَ المؤمنين ؛ أسمّى

---

(١) ف : « فى ندماء أمير المؤمنين » .

٣/١٤٤٤ لك قومًا تدفعهم[1] إلىَّ حتى أستخرج لك منهم أموالا تبنى بها مدينتك هذه؛ إنه يلزمك من الأموال فى بنائها ما يعظم قدره ، ويجلّ ذكره . فقال له : سَمِّهم ، فرفع رقعة يذكر فيها موسى بن عبد الملك وعيسى بن فَرُّخانشاه خليفة الحسن بن مخلد ، والحسن بن مخلد وزيدان بن إبراهيم ، خليفة موسى بن عبد الملك ، وعبيد الله بن يحيى وأخويه : عبد الله بن يحيى وزكرياء ، وميمون بن إبراهيم ومحمد بن موسى المنجم وأخاه أحمد بن موسى ؛ وعلىّ بن يحيى بن أبى منصور وجعفراً المعلوف مستخرج ديوان الخراج وغيرهم نحواً من عشرين رجلا ؛ فوقع ذلك من المتوكل موقعًا أعجبه ، وقال له : اغْدُ غَدوةً ، فلما أصبح لم يشكّ فى ذلك . وناظر عبيد الله بن يحيى المتوكل ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، أراد ألاّ يدع كاتباً ولا قائداً إلاّ أوقع بهم ؛ فمن يقوم بالأعمال يا أمير المؤمنين ! وغدا نجاح ؛ فأجلسه عبيد الله فى مجلسه ، ولم يُؤذن له ، وأحضر موسى بن عبد الملك والحسن بن مخلد ، فقال لهما عبيد الله : إنه إن دخل إلى أمير المؤمنين دفعكما إليه فقتلكما وأخذ ما تملكان ؛ ولكن اكتبان[2] إلى أمير المؤمنين رُقعة تقبّلان به فيها بألفى ألف دينار ؛ فكتبا رقعة بخطوطهما ، وأوصلها عبيد الله

٣/١٤٤٥ ابن يحيى ، وجعل يختلف بين أمير المؤمنين ونجاح وموسى بن عبد الملك والحسن ابن مخلد ؛ فلم يزل يدخل ويخرج ويعين موسى والحسن ؛ ثم أدخلهما على المتوكل ، فضمنا ذلك ؛ وخرج معهما فدفعه إليهما جميعًا ؛ والناس جميعًا الخواصّ والعوامّ ؛ وهما لا يشكّان أنهما وعبيد الله بن يحيى مدفوعون إلى نجاح ؛ للكلام الذى دار بينه وبين المتوكل ، فأخذاه ، وتولى تعذيبه موسى بن عبد الملك ، فحبسه فى ديوان الخراج بسامُرّا[3] ، وضربه درّاً وأمر المتوكل بكاتبه إسحاق ابن سعد — وكان يتولى خاصّ أموره وأمر ضياع بعض الولد — أن يغرّم واحداً وخمسين ألف دينار ، وحُلِّفَ على ذلك ، وقال : إنه أخذ منى فى أيام الواثق وهو يخلف عن عمر بن فرج خمسين ديناراً ؛ حتى أطلق أرزاقى ، فخذوا لكل دينار ألفاً وزيادةَ ألف فضلاً كما أخذ فضلا . فحبس ونُجِّمَ عليه فى ثلاثة

(١) ف : « أسمى لك أقواماً حتى تدفعهم » . (٢) ف : « اكتبا » .
(٣) ف : « فى سامرا » .

أنجم ؛ ولم يطلق حتى أدّى تعجيلَ سبعة عشر ألف دينار ، وأطلق بعد أن أخذ منه كُفلاء بالباقي ، وأخذ عبدالله بن مخلد ، فأغرم سبعة عشر ألف دينار . ووجّه عبيد الله الحسين بن إسماعيل — وكان أحد حجاب المتوكل — وعتّاب ابن عتاب عن رسالة المتوكل أن يضرِب نجاح خمسين مقرعة إن هو لم يقرّ ويؤدّ ما وُصف عليه ، فضربه ثم عاوده[1] فى اليوم الثانى بمثل ذلك ، ثم عاوده فى اليوم الثالث بمثل ذلك ؛ فقال : أبلغْ أمير المؤمنين أنى ميّت . وأمر موسى ابن عبد الملك جعفراً المعلوف ومعه عوْنان من أعوان ديوان الخراج ، فعصروا مذاكيره حتى برد فمات . وأصبح فركب إلى المتوكل فأخبره بما حدث من وفاة نجاح ، فقال لهما المتوكل : إنى أريد مالى الذى ضمنتماه ، فاحتالاه ، فقبضا من أمواله وأموال ولده جملة ، وحبسا أبا الفرج — وكان على ديوان زمام الضياع من قبل أبى صالح بن يزْداد — وقبضا أمتعته كلها وجميع ملكه ، وكتبا على ضياعه لأمير المؤمنين ، وأخذا ما أخذا من أصحابه ؛ فكان المتوكل كثيراً ما يقول لهما كلّما شرب : ردُّوا علىّ كاتبى ؛ وإلا فهاتوا المال ؛ وضمّ توقيع ديوان العامة إلى عبيد الله بن يحيى ، فاستخلف عليه يحيى بن عبد الرحمن بن خاقان ، ابن عمّه ، ومكث موسى بن عبد الملك والحسن بن مخلد على ذلك يطالبهما المتوكل بالأموال التى ضمناها من قبَل نجاح ؛ فما أتى على ذلك إلا يسيرًا حتى ركب موسى بن عبد الملك يشيِّع المنتصر من الجعفرىّ ، وهو يريد سامرّا إلى منزله الذى ينزله بالجوْسق ؛ فبلغه معه ساعة ، ثم انصرف راجعًا[2] ؛ فبينا هو يسير إذ صاح بمن معه : خذونى ، فبدروه فسقط على أيديهم مفلوجًا ، فحمل إلى منزله ، فمكث يومه وليلته ، ثم توفّىَ ، فصيِّر على ديوان الخراج أيضًا عبيدالله ابن يحيى بن خاقان ، فاستخلف عليه أحمد بن إسرائيل كاتب المعتزّ ؛ وكان أيضًا خليفته على كتابة المعتزّ فقال القصّافىّ :

٣/١٤٤٦

٣/١٤٤٧

مَا كانَ يخْشى نجاحٌ صَوْلة الزَّمنِ ... حتَّى أُدِيلَ لموسى منه والحَسَنِ

غدا على نِعَمِ الأحرارِ يَسلبُها ... فراحَ وهْو سَليبُ المال والبدنِ

---

(١) ف : « ثم ضربه وعاوده » . (٢) ف : « ثم رجع منصرفاً » .

وفيها ضُرب بَخْتيشوع المتطبّب مائة وخمسين مقرعة ، وأثقِل بالحديد ، وحبِس فى المطبَق فى رجب .

* * *

[غارة الروم على سميساط]

وفيها أغارت الروم على سُمَيْساط ، فقتلوا وسبوا نحواً من خمسمائة .

وغزا علىّ بن يحيى الأرمنىّ الصائفة ومنع أهل لؤلؤة رئيسهم من الصعود إليها ثلاثين يوماً ، فبعث ملك الروم إليهم بِطْريقاً يضمن لكلّ رجل منهم ألف دينار ، على أن يسلموا إليه لؤلؤة ، فأصعدوه إليهم ثم أعطوا أرزاقهم الفائتة وما أرادوا ، فسلّموا لؤلؤة والبطريق إلى بَلْكاجُور فى ذى الحجة ؛ وكان البطريق الذى كان صاحب الروم وجّهه إليهم يقال له لُغُثيط ، فلما دفعه أهل لؤلؤة إلى بَلْكاجور . وقيل : إن علىّ بن يحيى الأرمنى حمله إلى المتوكل إلى الفتح بن خاقان ؛ فعرض عليه الإسلام فأبى ، فقالوا : نقتلك ، فقال : أنتم أعلم ؛ وكتب ملك الروم يبذل مكانه ألف رجل من المسلمين .

٣/١٤٤٨

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الإمام ، وهو يعرف بالزينبىّ ؛ وهو والى مكة .

وكان نيروز المتوكل الذى أرفق أهل الخراج بتأخيره إياه عنهم فيها يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، ولسبع عشرة ليلة خلت من حزيران ولثمان وعشرين من أرديوهشت ماه ، فقال البحترىّ الطائىّ :

إنَّ يومَ النَّيرُوزِ عادَ إلى العهـ ـدِ الذى كان سَنَّهُ أرْدَشيرُ[1]

---

(١) ديوانه ٢ : ٥٢ .

ثم دخلت سنة ست وأربعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزو عمر بن عبد الله الأقطع الصّائفة ، فأخرج سبعة آلاف رأس . وغزوة قربياس ، فأخرج خمسة آلاف رأس ، وغزو الفضل بن قارن بحراً فى عشرين مركباً ؛ فافتتح حصن أنطالية . وغزوة بلكاجور فغنم وسبى . وغزو علىّ بن يحيى الأرمنىّ الصائفة ، فأخرج خمسة آلاف رأس ومن الدوابّ والرَّمَك[1] والحمير نحواً من عشرة آلاف . ٣/١٤٤٩

وفيها تحوّل المتوكل إلى المدينة التى بناها الماحوزة ، فنزلها يوم عاشوراء من هذه السنة .

* * *

[ذكر خبر الفداء بين الروم والمسلمين فى هذه السنة]

وفيها كان الفداء فى صفر على يدى علىّ بن يحيى الأرمنى ، ففُودى بألفين وثلثمائة وسبعة وستين نفساً . وقال بعضهم : لم يتمّ الفداء فى هذه السنة إلا فى جمادى الأولى .

وذكر عن نصر بن الأزهر الشّيعىّ — وكان رسول المتوكل إلى ملك الروم فى أمر الفداء — أنه قال : لمّا صرتُ إلى القسطنطينية حضرت دار ميخائيل الملك بسوادى وسيفى وخنجرى وقلنسوتى ، فجرت بينى وبين خال الملك بطرناس المناظرة — وهو القيّم بشأن الملك — وأبوْا أن يدخلونى بسيفى وسوادى ، فقلت : أنصرف ، فانصرفت فرُدِدتُ من الطريق ومعى الهدايا[2] نحو من ألف نافجة مسك وثيابٌ حريرٌ وزعفران كثير وطرائف ؛ وقد كان أذن لوفود برْجان وغيرهم ممن ورد عليه ، وحُملت الهدايا التى معى ، فدخلت عليه ؛ فإذا هو على ٣/١٤٥٠

---

(١) الرمك ، محركة : الفرس والبرذونة تتخذ للنسل .
(٢) ف : « هدايا » .

سرير فوق سرير ، وإذا البطارقة حوله قيام، فسلمت ثم جلست على طرف السرير الكبير ، وقد هُيِّئ لى مجلس ، ووضعت الهدايا بين يديه ، وبين يديه ثلاثة تراجمة : غلام فرّاش كان لمسرور الخادم ، وغلام لعباس بن سعيد الجوهرىّ ، وترجمان له قديم يقال له سُرْحُون ؛ فقالوا لى : ما نبلّغه؟ قلت : لا تزيدون على ما أقول لكم شيئًا ؛ فأقبلوا يترجمون ما أقول ، فقبل الهدايا ولم يأمر لأحد منها بشىء ، وقرّبنى وأكرمنى ، وهيّأ لى منزلا بقربه ؛ فخرجت فنزلت فى منزلى ، وأتاه أهل لؤلؤة برغبتهم فى النصرانية، وأنهم معه ، ووجّهوا برجلين ممّن فيها رهينة من المسلمين .

قال : فتغافل عنى نحواً من أربعة أشهر ؛ حتى أتاه كتاب مخالفة أهل لؤلؤة ، وأخذهم رسلَه واستيلاء العرب عليها؛ فراجعوا مخاطبتى ، وانقطع الأمر بينى وبينهم فى الفِداء ؛على أن يعطوا جميع مَنْ عندهم وأعْطِىَ جميع مَنْ عندى ؛ وكانوا أكثر من ألف قليلا ؛ وكان جميع الأسرى الذين فى أيديهم أكثر من ألفين ؛ منهم عشرون امرأة ؛ معهنّ عشرة من الصبيان ، فأجابونى إلى المخالفة؛ فاستحلفت خالَه ، فحلف عن ميخائيل، فقلت : أيّها الملك قد ١٤٥١/٣ حلف لى خالك ؛ فهذه اليمين لازمة لك ؟ فقال برأسه: نعم، ولم أسمعه يتكلم بكلمة منذ دخلتُ بلاد الروم إلى أن خرجت منها ، إنما يقول الترجمان وهو يسمع ، فيقول برأسه: نعم أوْلا ،وليس يتكلّم وخالُه المدبّر أمرَه ، ثم خرجت من عنده بالأسْرى بأحسن حال ؛ حتى إذا جئنا موضع الفِداء أطلقنا هؤلاء جملة وهؤلاء جملة ؛ وكان عِداد مَنْ صار فى أيدينا من المسلمين أكثر من ألفين منهم عدّة ممن كان تنصّر وصار فى أيديهم أكثر من ألف قليلا ؛ وكان قوم تنصّرُوا؛فقال لهم ملك الروم : لا أقبل منكم حتى تبلغوا موضع الفداء، فمن أراد أن أقبله فى النصرانية فليرجع من موضع الفداء؛ وإلا فليضمن ويمض مع أصحابه؛ وأكثر من تنصّر أهل المغرب، وأكثر من تنصّر بالقسطنطينية ؛ وكان هنالك صائغان قد تنصّرا ، فكانا يحسنان إلى الأسرى ؛ فلم يبق فى بلاد الروم من المسلمين ممن ظهر عليه الملك إلا سبعة نفر ،خمسة أتِىَ بهم من سقِلِيّة ، أعطيتُ فداءهم على أن يوجّه بهم إلى سقليّة ، ورجلان كانا من رهائن لؤلؤة ،

فتركتهما ، [و] قلت[1] : اقتلوهما ، فإنهما رغبا فى النصرانية .

ومُطر أهلُ بغداد فى هذه السنة واحداً وعشرين يوماً فى شعبان ورمضان ؛ حتى نبت العشب فوق الأجاجير .

وصلّى المتوكلُ فيها صلاة الفطر بالجعفريّة ، وصلى عبد الصمد بن موسى فى مسجد جامعها ، ولم يصلّ بسامرّا أحد. ٣/١٤٥٢

وورد فيها الخبر أنّ سكة بناحية بَلْخ تنسب إلى الدّهاقين مُطرت دماً عبيطاً .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة محمد بن سليمان الزينبيّ .

وحجّ فيها محمد بن عبد الله بن طاهر ؛ فولى أعمال الموسم .

وضحّى أهل سامرّا فيها يوم الاثنين على الرؤية وأهل مكة يوم الثلاثاء .

---

(١) فى ط : قلت .

ثم دخلت سنة سبع وأربعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل المتوكل]

فممّا كان فيها من ذلك مقتل المتوكل .

* ذكر الخبر عن سبب مقتله وكيف قتل :

قال أبو جعفر : ذُكر لى أنّ سبب ذلك كان أنّ المتوكل كان أمر بإنشاء الكتب بقبض ضياع وصيف بأصبهان والجبل وإقطاعها الفتح بن خاقان ؛ فكُتِبت الكتب بذلك ، وصارت إلى الخاتم على أن تنفذ[1] يوم الخميس لخمس خلوْن من شعبان ؛ فبلغ ذلك وصيفًا ، واستقرّ عنده الذى أمر به فى أمره ؛ وكان المتوكل أراد أن يُصَلِّيَ بالناس يوم الجمعة فى شهر رمضان فى آخر جمعة منه ؛ وكان قد شاع فى الناس فى أوّل رمضان أنّ أمير المؤمنين يصلى فى آخر جمعة من الشهر بالناس ، فاجتمع الناس لذلك واحتشدوا ، وخرج بنو هاشم من بغداد لرفع القِصص وكلامه إذا هو ركب[2] . فلما كان يوم الجمعة أراد الرّكوبَ للصلاة ، فقال له عبيد الله بن يحيى والفتح بن خاقان : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ الناس قد اجتمعوا وكثروا ؛ من أهل بيتك وغيرهم ؛ وبعضٌ متظلّم وبعض طالب حاجة ؛ وأمير المؤمنين يشكو ضيق الصدر ووعْكة[3] ؛ فإن رأى أميرُ المؤمنين أن يأمر بعضَ ولاة العهود بالصّلاة ، ونكونَ معه جميعًا فليفعل . فقال : قد رأيتُ ما رأيتما ؛ فأمر المنتصر بالصّلاة ، فلمّا نهض المنتصر ليركب للصلاة قالا : يا أمير المؤمنين ؛ قد رأينا رأيًا ؛ وأمير المؤمنين أعلَى عينًا ، قال : وما هو ؟ اعرضاه علىّ ، قالا : يا أمير المؤمنين ، مُرْ أبا عبد الله المعتزّ بالله الصلاة

١٤٥٣/٣

(١) كذا فى ا ، د ، وفى ط : « تتقدم » .

(٢) س : « راكب » .

(٣) ا ، د ، و ابن الأثير : « وعلة » .

لتشرّفه بذلك فى هذا اليوم الشريف ؛ فقد اجتمع أهلُ بيته ؛ والناس جميعًا فقد بلغ الله به .

قال : وقد كان وُلد للمعتزّ قبل ذلك بيوم ؛ فأمر المعتزّ، فركب وصلّى بالناس ، فأقام المنتصر فى منزله — وكان بالجعفريّة[1] — وكان ذلك مما زاد فى إغرائه به ؛ فلمّا فرغ المعتزّ من خطبته قام إليه عبيد الله بن يحيى والفتح بن خاقان ، فقبّلا يديه ورجليه ، وفرغ المعتزّ من الصلاة ، فانصرف وانصرفا معه ؛ ومعهم الناس فى موكب الخلافة ، والعالم بين يديه ؛ حتى دخل على أبيه وهما معه ؛ ودخل معه داود بن محمد بن أبى العباس الطوسىّ ، فقال داود : يا أميرَ المؤمنين ، ائذن لى فأتكلّم ، قال : قل ، فقال : والله يا أمير المؤمنين ؛ لقد رأيت الأمين والمأمون ورأيت[2] المعتصم صلواتُ الله عليهم ، ورأيت الواثق بالله ؛ فوالله ما رأيتُ رجلا على منبر أحسن قوامًا ، ولا أحسن بديهًا ، ولا أجهر صوتًا ، ولا أعذب لسانًا ، ولا أخطب من المعتزّ بالله ، أعزه الله يا أمير المؤمنين ببقائك ، وأمتعك الله وإيانا بحياته ! فقال له المتوكل : أسمعك الله خيراً ، وأمتعنا بك ؛ فلما كان يوم الأحد ؛ وذلك يوم الفِطْر وجد المتوكّل فترة ، فقال : مُروا المنتصرَ فليصلِّ بالناس ، فقال له عبيدالله بن يحيى بن خاقان : يا أميرَ المؤمنين ؛ قد كان الناس تطلعوا إلى رؤية أمير المؤمنين فى يوم الجمعة فاجتمعوا واحتشدوا ، فلم يركب أمير المؤمنين ؛ ولا نأمن إن هو لم يركب أن يرجُف الناس بعلّته ، ويتكلّموا فى أمره ؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يَسُرّ الأولياء ويكْبِت الأعداء بركوبه فعل . فأمرهم بالتأهب والتهيّؤ لركوبه ؛ فركب فصلى بالناس وانصرف إلى منزله ، فأقام يومه ذلك ومن الغد لم يدع بأحد[3] من ندمائه .

٣/١٤٥٤

وذُكر أنه ركب يوم الفِطْر ؛ وقد ضربت له المصافّ نحواً من أربعة أميال ؛ وترجّل الناس بين يديه ، فصلّى بالناس ، ورجع إلى قصره ، فأخذ حفْنةً من تراب ، فوضعها على رأسه ، فقيل له فى ذلك ، فقال : إنّى رأيتُ

---

(١) ف : « بداره فى الجعفرية » (٢) ساقطة من ط .
(٣) ف : « أحدا » .

٣/١٤٥٥ كثرة هذا الجمع ، ورأيتهم تحت يدى ، فأحببت أن أتواضع لله عزّ وجلّ ؛ فلمّا كان من غد يوم الفطر لم يدعُ بأحد من ندمائه ؛ فلما كان اليوم الثالث وهو يوم الثلاثاء لثلاث خلون من شوال — أصبح نشيطاً فرحًا مسروراً ، فقال: كأنى أجد مسّ الدم ، فقال الطّيفُوريّ وابن الأبرش — وهما طبيباه : يا أمير المؤمنين ، عزم الله لك على الخير ؛ افعلْ ، ففعل ؛ واشتهى لحم جَزور ، فأمر به فأحضر بين يديه ، فاتّخذه بيده .

وذكر عن ابن الحفصىّ المغنّى أنه كان حاضر المجلس ، قال ابن الحفصىّ : وما كان أحدٌ ممن يأكل [بين يديه] [1] حاضراً غيرى وغير عَثْعث وزُنام وبُنان غلام أحمد بن يحيى بن معاذ ؛ فإنه جامع المنتصر . قال : وكان المتوكل والفتح بن خاقان يأكلان معًا ، ونحن فى ناحية بإزائهم والندماء مفترقون فى حجرهم ؛ لم يدع بأحد منهم بعد . قال ابن الحفصىّ : فالتفت إلىّ أمير المؤمنين ، فقال : كلْ أنتَ وعثْعث بين يدىّ . ويأكل معكما نصر بن سعيد الجهْبذ ؛ قال : فقلت : يا سيدىّ ، نصر والله يأكلنى ، فكيف ما يوضع بين أيدينا! فقال : كلُوا بحياتى ؛ فأكلنا ثم علّقنا أيدينا بحذائه . قال : فالتفت أميرُ المؤمنين التفاتةً ، فنظر إلينا معلّقى الأيدى ، فقال : ما لكم لا تأكلون ؟ ٣/١٤٥٦ قلت : يا سيّدى ، قد نفد ما بين أيدينا ؛ فأمر أن يُزاد ، فغُرِف لنا من بين يديه .

قال ابن الحفصىّ : ولم يكن أميرُ المؤمنين فى يوم من الأيام أسرّ منه فى ذلك اليوم . قال : وأخذ مجلسَه ، ودعا بالندماء والمغنّين فحضروا ، وأهدت إليه قَبيحة أمّ المعتز مُطرَف خزّ أخضر ؛ لم ير الناس مثله حسنًا ، فنظر إليه فأطال النظر [2] ، فاستحسنه وكثر تعجّبه منه ، وأمر به فقطع نصفين ، وأمر بردّه عليها [3] ، ثم قال لرسولها : أذْكَرَتْنى به ، ثم قال : والله إنّ نفسى لتحدّثنى أنى لا ألبسه ، وما أحبّ أن يلبسه أحد بعدى ، وإنما أمرت بشقّه لئلا يلبسه أحد بعدى [4] ، فقلنا له : يا سيّدنا ، هذا يوم سرور

---

(١) تكملة من ا .

(٢) ف : « فأطال النظر إليه » .

(٣) ف : « إليها » .

(٤) ف : « غيرى » .

يا أمير المؤمنين نعيذك بالله أن تقول هذا يا سيّدنا ، قال : وأخذ فى الشراب واللهو ، ولهج بأن يقول[1] : أنا والله مفارقكم عن قليل ، قال : فلم يزل فى لهوه وسروره إلى الليل .

وذكر بعضهم أنّ المتوكل عزم هو والفتح أن يصيّرا غداءهما عند عبد الله ابن عمر البازيار يوم الخميس لخمس ليال خلوْن من شوال ؛ على أن يفتك بالمنتصر ، ويقتل وصيفا وبُغا وغيرهما من قوّاد[2] الأتراك ووجوههم ؛ فكثر عبثُه يوم الثلاثاء قبل ذلك بيوم — فيما ذكر ابن الحفصىّ — بابنه المنتصر مرّة يشتمه ، ومرّة يسقيه فوق طاقته ، ومرّةً يأمر بصفعه ، ومرّةً يتهدّده بالقتل . ١٤٥٧/٣

فذكر عن هارون بن محمد بن سليمان الهاشمىّ أنه قال : حدّثنى بعض مَنْ كان فى الستارة من النساء ، أنه التفت إلى الفتح ، فقال له : برئت من الله ومن قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لم تلطِمْه — يعنى المنتصر — فقام الفتح ولطَمه مرّتين ؛ يمرّ يده على قفاه ، ثم قال المتوكّل لمن حضر : اشهدوا جميعًا أنى قد خلعتُ المستعجل — المنتصر — ثم التفت إليه ، فقال : سمّيتُك المنتصر ، فسمّاك الناس لحمقك المنتظر ، ثم صرت الآن المستعجل ، فقال المنتصر : يا أميرَ المؤمنين ، لو أمرتَ بضرب عنقى كان أسهلَ علىّ مما تفعله بى ، فقال : اسقوه ، ثم أمر بالعشاء فأحضر وذلك فى جوف الليل ، فخرج المنتصر من عنده ، وأمر بُنَانًا غلام أحمد ابن يحيى أن يلحقه ؛ فلمّا خرج وضعت المائدة بين يدى المتوكل ، وجعل يأكلها ويلقم وهو سكران .

وذُكر عن ابن الحفصىّ أنّ المنتصر لمّا خرج إلى حُجْرته أخذ بيد زرافة ، فقال له : امض معى ، فقال : يا سيّدى ؛ إنّ أمير المؤمنين لم يقُم ، فقال : إن أمير المؤمنين قد أخذه النبيذ ، والساعة يخرج بُغا والندماء ؛ وقد أحببت أن تجعل أمر ولدك إلىّ ، فإن أوتامش سألنى أن أزوّج ابنه من ابنتك ، وابنك من ابنته ، فقال له زُرافة : نحن عبيدك يا سيدى ، فمرنا بأمرك . وأخذ المنتصر ١٤٥٨/٣

(١) كذا فى ا ، وفى س : « يقول » . (٢) ف : « القواد » .

بيده وانصرف به معه . قال : وكان زُرافة قد قال لى قبل ذلك : ارفق بنفسك ، فإنّ أمير المؤمنين سكران والساعة يُفيق[١] ، وقد دعانى تمرة ، وسألنى أن أسألك أن تصير إليه فنصير جميعًا إلى حجرته. قال : فقلت له : أنا أتقدّمك إليه ، قال : ومضى زرافة مع المنتصر إلى حجرته .

فذكر بُنان غلام أحمد بن يحيى أنّ المنتصر قال له : قد أملكتُ ابن زرافة من ابنة أوتامش وابن أوتامش من ابنة زرافة ؟ قال بُنان : فقلت للمنتصر : يا سيدى ، فأين النّثار فهو يُحسّن الإملاك ؟ فقال : غداً إن شاء الله ؛ فإنّ الليل قد مضى . قال : وانصرف زرافة إلى حجرة تمرة ، فلما دخل دعا بالطعام فأتِىَ به ، فما أكل إلا أيسر ذلك حتى سمعنا الضّجة والصراخ ؛ فقمنا ، فقال بنان : فما هو إلاّ أن خرج زرافة من منزل تمرة ؛ إذا بُغا استقبل المنتصر ، فقال المنتصر : ما هذه الضجة؟ قال : خير يا أمير المؤمنين ، قال : ما تقول ، ويلك ! قال : أعظم الله أجرك فى سيدنا أمير المؤمنين ! كان عبدًا لله دعاه فأجابه ، قال : فجلس المنتصر ؛ وأمر بباب البيت الذى قُتل فيه المتوكل والمجلس ، فأغلق وأغلقت الأبواب كلها ، وبعث إلى وصيف يأمره بإحضار المعتزّ والمؤيد عن رسالة المتوكل . ٣/١٤٥٩

وذكر عن عَثْعَث أنّ المتوكل دعا بالمائدة بعد قيام المنتصر وخروجه ومعه زُرافة، وكان بُغا الصغير المعروف بالشرابىّ قائمًا عند الستر ؛ وذلك اليوم كان نوبة بُغا الكبير فى الدار ؛ وكان خليفته فى الدار ابنه موسى — وموسى هذا هو ابن خالة المتوكل ، وبُغا الكبير يومئذ بسُمَيساط — فدخل بُغا الصغير إلى المجلس ، فأمر الندماء بالانصراف إلى حُجرهم ، فقال له الفتح : ليس هذا وقت انصرافهم ، وأمير المؤمنين لم يرتفع ، فقال له بغا : إن أمير المؤمنين أمرنى إذا جاوز السبعة ألاّ أترك فى المجلس أحداً ، وقد شُرِّبَ أربعة عشر رطلا ، فكره الفتح قيامهم ، فقال له بغا : إن حُرَم أمير المؤمنين خلْف الستارة ، وقد سكر ، فقوموا فاخرجوا ، فخرجوا جميعاً ، فلم يبق إلا الفتح وعثعث وأربعة من خدّم الخاصّة ؛ منهم[٢] شفيع وفرج الصّغير ومؤنس وأبو عيسى مارد

---

(١) ف : « يرتفع » (٢) ف : « معهم »

المحْرِزىّ . قال : ووضع الطباخ المائدة بين يدى المتوكل ، فجعل يأكل ويلقم ، ويقول لمارد : كلْ معى حتى أكل بعض طعامه وهو سكران، ثم شرب أيضًا بعد ذلك .

فذكر عثعث أن أبا أحمد بن المتوكل أخا المؤيد لأمه — كان معهم فى المجلس ، فقام إلى الخلاء ، وقد كان بُغا الشرابىّ أغلق الأبواب كلها غير باب الشطّ ، ومنه دخل القوم الذين عُيِّنُوا لقتْله ، فبصر بهم أبو أحمد ، فصاح بهم : ما هذا يا سفل ! وإذا بسيوف مسلّلة[1] ، قال : وقد كان تقدّم النفرَ الذين تولوا قتلَه بغلون التركىّ وباغر وموسى بن بغا وهارون بن صوارتكين وبغا الشرابىّ ؛ فلمّا سمع المتوكل صوتَ أبى أحمد رفع رأسه ، فرأى القوم ، فقال : يا بغا ، ما هذا ؟ قال : هؤلاء رجال النوبة التى تبيت على باب سيّدى أمير المؤمنين ، فرجع القوم إلى ورائهم عند كلام المتوكل لبُغا ؛ ولم يكن واجن وأصحابه وولد وصيف حضروا معهم بعد . قال عثعث : فسمعت بُغا يقول لهم : يا سفل ، أنتم مقتولون لا محالة ، فموتوا كراماً ؛ فرجع القوم إلى المجلس ، فابتدره بغلون فضربه ضَرْبةً على كَتِفه وأذنه فقدّه ، فقال : مهلا قطع الله يدك ! ثم قام وأراد الوُثوب به ، فاستقبله بيده فأبانها ، وشركه باغر ، فقال الفتح : ويلكم ، أمير المؤمنين ! فقال بغا : يا حَلْقِىّ ، لا تَسْكُتُ ! فرمى الفتح بنفسه على المتوكل ، فبجعه هارون بسيفه ، فصاح : الموت! واعتوره هارون وموسى بن بُغا بأسيافهما ، فقتلاه وقطعاه ، وأصابت عثعثَ ضربة فى رأسه . وكان مع المتوكل خادم صغير ، فدخل تحت الستارة ، فنجا ، وتهارب[2] الباقون . قال : وقد كانوا قالوا لوصيف فى وقت[3] ما جاءوا إليه : كن معنا فإنا نتخوّف ألاّ يتم ما نريد فنقتَل ، فقال : لا بأس عليكم ، فقالوا له : فأرسل معنا بعضَ ولدك ، فأرسل معهم خمسة من ولده : صالحًا ، وأحمد ، وعبد الله ، ونصراً ، وعبيد الله ؛ حتى صاروا إلى ما أرادوا .

وذكر عن زُرْقان خليفة زرافة على البوابين وغيرهم أنّ المنتصر لما أخذ بيد

٣/١٤٦٠ ٣/١٤٦١

(١) ف : « بسيوف مستلة ».
(٢) ا ، د : « وتطاير » ، ف : « وتهارب » .
(٣) ف « عندما » .

زرافة فأخرجه من الدّار ودخل القوم ، نظر إليهم عثعث ، فقال للمتوكل : قد فرغنا من الأسد والحيات والعقارب ، وصرنا إلى السيوف ؛ وذلك أنه كان ربما أشلى الحيّة والعقرب أو الأسد ؛ فلما ذكر عثعث السيوف ، قال له : ويلك!أيّ شيء تقول[1] ؟ فما استتمّ[2] كلامه حتّى دخلوا عليه ، فقام الفتح فى وجوههم ، فقال لهم : يا كلاب ؛ وراءكم وراءكم ! فبدر إليه بغا الشرابىّ ، فبعج بطنه بالسّيف ، وبدر الباقون إلى المتوكل ، وهرب عثعث على وجهه . وكان أبو أحمد فى حُجْرته ، فلما سمع الضجة خرج فوقع على أبيه ، فبادره بغلون فضربه ضربتين ؛ فلما رأى السيوف تأخذه خرج وتركهم ، وخرج القوم إلى المنتصر ، فسلّموا عليه بالخلافة ، وقالوا : مات أمير المؤمنين ، وقاموا على رأس زرافة بالسيوف ، فقالوا له : بايع ، فبايعه . وأرسل المنتصر إلى وصيف : إنّ الفتح قتل أبى ، فقتلتُه ، فاحضر فى وجوه أصحابك . فحضر وصيف وأصحابه فبايعوا . قال : وكان عبيد الله بن يحيى فى حُجرته لا يعلم بشيء من أمر القوم ينفذ الأمور .

١٤٦٢/٣

وقد ذكر أنّ امرأة من نساء الأتراك ألقت رقعة تخبر ما عزم عليه القوم ، فوصلت الرّقعة[3] إلى عبيد الله ، فشاور الفتحَ فيها ؛ وكان ذلك وقع إلى أبى نوح عيسى بن إبراهيم كاتب الفتح بن خاقان ، فأنهاه إلى الفتح ، فاتفق رأيهم على كتمان المتوكل لما رأوا من سروره ؛ فكرهوا أن ينغّصوا عليه يومه ؛ وهان عليهم أمرُ القوم ، ووثقوا بأنّ ذلك لا يجسر عليه أحد ولا يقدر .

فذُكر أنّ أبا نوح احتال فى الهرب من ليلته ، وعبيد الله جالس فى عمله ينفذ الأمور[4] ، وبين يديه جعفر بن حامد ، إذْ طلع عليه بعض الخدم ، فقال : يا سيدىّ ، ما يجلسك ؟ قال : وماذاك ! قال : الدار سيف واحد ، فأمر جعفراً بالخروج ؛ فخرج وعاد ؛ فأخبره أنّ أمير المؤمنين والفتح قد قتلا ، فخرج فيمن معه من خدمه وخاصّته ، فأخبر أنّ الأبواب مغلقة ، فأخذ نحو الشطّ ، فإذا أبوابه أيضًا مغلقة ، فأمر بكسر ما كان مما يلى الشطّ ، فكسرت ثلاثة أبواب حتى

---

(١) بعدها فى ا : « أى سيوف »
(٢) ف « فلا يستتم » .
(٣) ف : « فصارت الرقعة » .
(٤) ف : « ينفذ أمور السلطان » .

خرج إلى الشطّ »، فصار إلى زورق[١] ؛ فقعد فيه ومعه جعفر بن حامد ، وغلام له ، فصار إلى منزل المعتزّ ، فسأل عنه فلم يصادفه ؛ فقال : إنا لله ٣/١٤٦٣ وإنا إليه راجعون ! قتلني وقتل نفسه ، وتلهّف عليه ، واجتمع إلى عبيد الله أصحابُه غداة يوم الأربعاء من الأبناء والعجم والأرمن والزّواقيل والأعراب والصّعاليك وغيرهم [وقد اختلف فى عدّتهم[٢]] ، فقال بعضهم : كانوا زهاء عشرين ألف فارس وقال آخرون : كان معه ثلاثة عشر ألف رجل ، وقال آخرون : كان معه ثلاثة عشر ألف لجام ، وقال المقلّلون : ما بين الخمسة آلاف إلى العشرة آلاف ؛ فقالوا له : إنما كنت تصطنعنا لهذا اليوم ، فأمُر بأمرك ، وأذن لنا نَمِلْ على القوم ميلة ؛ نقتل المنتصر ومَنْ معه من الأتراك وغيرهم . فأبى ذلك ، وقال : ليس فى هذا حيلة ، والرجل فى أيديهم — يعنى المعتزّ .

وذُكر عن علىّ بن يحيى المنجّم أنه قال : كنت أقرأ على المتوكل قبل قتله بأيام كتابًا من كتب الملاحم ، فوقفت على موضع من الكتاب فيه : إن الخليفة العاشر يُقتَل فى مجلسه ، فتوقّفت عن قراءته وقطعتُه ، فقال لى : مالك قد وقفت ! قلت : خير ، قال : لا بدّ والله من أن تقرأه ، فقرأته وحِدْتُ عن ذكر الخلفاء ؛ فقال المتوكل : ليت شعرى مَنْ هذا الشقىّ المقتول !

وذُكر عن سلمة بن سعيد النصرانىّ أنّ المتوكل رأى أشُوط بن حمزة الأرمنىّ قبل قتله بأيام ، فتأفّف برؤيته ، وأمر بإخراجه ، فقيل له : يا أميرَ المؤمنين ؛ أليس قد كنت تحبّ خدمته ؟ قال : بلى ، ولكنّى رأيت ٣/١٤٦٤ فى المنام منذ ليال كأنى قد ركبته ، فالتفت إلىّ وقد صار رأسه مثل رأس البغل[٣] ، فقال لى : إلى كم تؤذينا ! إنما بقى من أجلك تمام خمسة عشر سنة غير أيام . قال : فكان بعدد أيام خلافته .

وذكر عن ابن أبى ربعىّ أنه قال : رأيتُ فى منامى كأنّ رجلا دخل من باب الرّستَن على عجلة ووجهه إلى الصحراء وقفاه إلى المدينة ، وهو ينشد :

---

(١) ف : « فنزل إلى زورق » .

(٢) تكملة من ا .

(٣) ف : « البعير » .

يا عَينُ ويلكِ فاهملى بالدمعِ سحًّا واسبلى
دَلَّتْ على قُرْبِ القيا مةِ قِتلَةُ المتوكل

وذكر أن حُبشىّ بن أبى ربعىّ مات قبل قَتْل المتوكل بسنتين .

وذكر عن محمد بن سعيد ، قال : قال أبو الوارث قاضى نَصِيبين : رأيت فى النوم آتياً أتانى ، وهو يقول :

يانائمَ العينِ فى جُثمانِ يقظانِ ما بالُ عينِكَ لاتبكى بتَهتانِ !
أما رأيتَ صُرُوفَ الدهرِ ما فَعَلَتْ بالهاشمىِّ وبالفتح بن خاقان !
وسوفَ يَتبعُهُمْ قَومٌ لهم غَدَروا حتى يصيروا كأمسِ الذاهبِ الفانى ٣/١٤٦٥

فأتى البريد بعد أيام بقتلهما جميعاً .

قال أبو جعفر : وقتل ليلة الأربعاء بعد العتمة بساعة لأربع خلوْن من شوال — وقيل : بل قتل ليلة الخميس — فكانت خلافته أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وثلاثة أيام . وقتل يوم قُتل وهو — فيما قيل — ابن أربعين سنة ؛ وكان ولد بفم الصِّلح فى شوال من سنة ست ومائتين .

وكان أسمر حسن العينين خفيف العارضين نحيفاً .

* * *

* ذكر الخبر عن بعض أمور المتوكل وسيرته :

ذُكر عن مروان بن أبى الجَنوب أبى السمط ، أنه قال : أنشدتُ أمير المؤمنين فيه شعراً ، وذكرتُ الرّافضة فيه ، فعقد لى على البحرين واليمامة ، وخلَع علىّ أربع خِلَع فى دار العامّة ، وخلع علىّ المنتصر وأمر لى بثلاثة آلاف دينار ، فنثرت على رأسى ، وأمر ابنه المنتصر وسعداً الإيتاخىّ يلقطانها لى ، ولا أمسّ منها شيئاً ؛ فجمعاها[1] ، فانصرفت بها .

---

(١) بعدها فى ف : « وانصرفا » .

قال : والشعر الذى قال فيه :

مُلك الخليفةِ جعفرٍ ... للدين والدنيا سَلامَهْ
لكمُ تراث محمدٍ ... وبِعَدْلِكمْ تُنفَى الظلامه
يرجو التُّراثَ بنو البنا ... تِ وما لهم فيها قُلامَهْ
والصِّهرُ ليس بوارثٍ ... والبنتُ لا تَرث الإمامهْ
ما للذينَ تَنَحَّلوا ... ميراثكمْ إلا الندامهْ
أخَذ الوراثةَ أهلُها ... فَعلامَ لومُكمُ علامهْ !
لَوْ كَانَ حقُّكمُ لَما[1] ... قامتْ على الناس القيامهْ
لَيْس التُّرَاثُ لغيركمْ ... لَا والإلهِ ولا كَرَامَهْ
أَصبَحْتُ بين محبِّكمْ ... والمُبْغِضِينَ لَكُمْ علامَهْ

ثم نَثَر على رأسى —بعد ذلك لشعر قلته فى هذا المعنى— عشرة آلاف درهم.

وذكر عن مروان بن أبى الجنوب ، أنه قال : لما استُخلف المتوكل بعثتُ بقصيدة — مدحتُ فيها ابن أبى دواد — إلى ابن أبى دَواد ، وكان فى آخرها بيتان ذكرت فيهما أمر ابن الزيات وهما :

وقيل لِيَ الزَّيات لاقى حِمامهُ ... فقلت أَتانى اللهُ بالفتح والنصرِ
لقد حَفَرَ الزياتُ بالغدر حُفرَةً ... فأُلقِيَ فيها بالخيانةِ والغدرِ

قال : فلما صارت القصيدة إلى ابن أبى دَواد ذكرها للمتوكل ، وأنشده البيتين فأمره بإحضاره ، فقال : هو باليمامة ، كان الواثق نفاه لمودّته لأمير المؤمنين . قال : يُحمَل ، قال : عليه دين ، قال : كَمْ هو ؟ قال : ستة آلاف دينار ، قال : يُعطاها ، فأعطِيَ وحُمل من اليمامة ، فصار إلى سامرّا ، وامتدح المتوكل بقصيدة يقول[2] فيها :

رَحَلَ الشبابُ وليتَهُ لم يَرحَلِ ... والشيبُ حل ولَيْتَهُ لم يَحلُلِ[3]

(١) ط : « لما » وما أثبته من ا. (٢) س : « يذكر » . (٣) ف : « فليته » .

فلما صار إلى هذين البيتين من القصيدة :

كانتْ خلافة جعفر كنبوّةٍ جاءتْ بلاَ طلَبٍ ولا بِتَنَحُّلِ
وهبَ الإلهُ له الخلافةَ مثل ما وهَبَ النبوّةَ للنبيِّ المُرْسَلِ

أمر له بخمسين ألف درهم .

وذكر عن أبي يحيى بن مروان بن محمد الشنيّ الكلبيّ ، قال : أخبرني أبو السمط مرْوان بن أبي الجنوب ، قال : لمّا صرتُ إلى أمير المؤمنين المتوكل على الله مدحت ولاة العهود ، وأنشدته :

سقى اللهُ نجْدًا والسلامُ على نجْدِ ويا حبّذا نَجْدٌ على النأْيِ والبُعْدِ!
نَظَرْتُ إلى نَجْدٍ وبَغدادُ دُونَهَا لعَلّي أرى نَجْدًا وهَيْهاتَ مِنْ نَجْدِ!
ونجدٌ بها قومٌ هواهُمْ زيارتي وَلَا شَيْءَ أحْلَى من زيارتهم عِنْدِي

١٤٦٨/٣

قال : فلمّا استتممت إنشادها ، أمر لى بعشرين ومائة ألف درهم وخمسين ثوبًا وثلاثة من الظّهر : فرس وبغلة وحمار ، فما برحت حتى قلت فى شكره :

تخيَّرَ ربُّ الناسِ للناسِ جعفرًا فَملَّكَهُ أمرَ العبادِ تَخَيُّرَا

قال : فلما صرتُ إلى هذا البيت :

فأمسِكْ نَدَى كَفَّيْكَ عنِّى ولا تَزِدْ فقد خِفت أنْ أطغَى وأنْ أتَجبَّرَا

قال : لا والله ، لا أمسك حتى أعرّفك بجودى ، ولا برحتَ حتى تسأل حاجة ؛ قلت : يا أميرَ المؤمنين ، الضيعة التى أمرت بإقطاعى إياها باليمامة ؛ ذكر ابن المدبر أنها وقْف من المعتصم على ولده ، ولا يجوز إقطاعها . قال : فإنى أقبّلكها بدرهم فى السنة مائة سنة ، قلت : لا يحسن يا أمير المؤمنين أن يؤدّى درهم فى الديوان ، قال : فقال ابن المدبر : فألف درهم ؟ فقلت : نعم ، فأنفذها لى ولعقبى ، ثمّ قال : ليس هذه حاجة ، هذه قبالة ، قلت : فضياعى التى كانت لى كان الواثق أمر بإقطاعى إياها ، فنفانى ابن الزيات ، وحال بينى وبينها ، فتُنفذها لى . فأمر بإنفاذها بمائة درهم فى السنة وهى السُّيُوح .

١٤٦٩/٣

وذُكر عن أبي حَشيشة أنه كان يقول : كان المأمون يقول : إن الخليفة بعدى فى اسمه عين ، فكان يُظَنّ أنه العباس ابنه فكان المعتصم ، وكان يقول : وبعده هاء ، فيظن أنه هارون ، فكان الواثق ؛ وكان يقول : وبعده أصفر الساقين ؛ فكان يظن أنه أبو الحائز[1] العباس فكان المتوكل ذلك ، فلقد رأيته إذا جلس على السرير يكشف ساقيه ؛ فكانا أصفرين ؛ كأنما صُبِغا بزعفران .

وذُكر عن يحيى بن أكثم ، أنه قال : حضرتُ المتوكل ، فجرى بينى وبينه ذكرُ المأمون وكتبه إلى الحسن بن سهل ، فقلت بتفضيله وتقريظه ووصف محاسنه وعلمه ومعرفته ونباهته قولا كثيراً ؛ لم يقع بموافقة بعض من حضر ؛ فقال المتوكل : كيف كان يقول فى القرآن ؟ قلت : كان يقول : ما مع القرآن حاجة إلى علم فرض ، ولا مع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وَحْشة إلى فعل أحد ؛ ولا مع البيان والإفهام حجّة لتعلّم ، ولا بعد الجحود للبرهان والحقّ إلا السيف لظهور الحجة . فقال له المتوكل : لم أُرِدْ منك ما ذهبت إليه من هذا المعنى ، قال له يحيى : القول بالمحاسن فى المغيب فريضة على ذى نعمة ، قال : فما كان يقول خلال حديثه ؛ فإن المعتصم بالله يرحمه الله كان يقوله ، وقد أنسيته ؟ فقال : كان يقول : اللهم إنى أحمدك على النّعم التى لا يحصيها أحدٌ غيرُك ، وأستغفرك من الذنوب التى لا يحيط بها إلا عفوك . قال : فما كان يقول إذا استحسن شيئاً أو بُشِّرَ بشىء ، فقد كان المعتصم بالله أمر علىّ بن يَزْداد أن يكتبه لنا ؛ فكتبه فعلّمناه ثم أنسيناه ؟ قال : كان يقول : إنّ ذِكرَ آلاء الله ونشرَها وتَعداد نِعَمِه والحديث بها فرض من الله على أهلها ، وطاعة لأمره فيها ، وشكرٌ له عليها ؛ فالحمد لله العظيم الآلاء ، السابغ النّعماء بما هو أهلُه ، ومستوجبه من محامده القاضية حقه ، البالغة شُكرَه ، الموجبة مزيدَه على ما لا يحصيه تعدادُنا ، ولا يحيط به ذكرُنا ، من ترادُف مِنَنِه ، وتتابُع فضله ، ودوام طَوْله ، حَمْدَ من يعلم أن ذلك منه ، والشكر له عليه . فقال المتوكل : صدقت ، هذا هو الكلام بعينه ، وهذا كلّه حُكْم من ذى حُنْكة وعلم ؛ وانقضى المجلس .

٣/١٤٧٠

---

(١) كذا وردت الكلمة فى جميع الأصول .

وقدم فى هذه السنة محمد بن عبد الله بن طاهر بغداد منصرفاً من مكة فى صفر ؛ فشكا ما ناله من الغمّ بما وقع من الخلاف فى يوم النَّحر ؛ فأمر المتوكل بإنفاذ خريطة صفراء من الباب إلى أهل الموْسم بر ؤية هلال ذى الحجة ، وأن يُسار بها كما يسار بالخريطة الواردة بسلامة الموسم ، وأمر أن يقام على المشعر الحرام وسائر المشاعر الشَّمع مكان الزيت والنّفط . ٣/١٤٧١

وفيها ماتت أمّ المتوكل بالجعفرية لستّ خلوْن من شهر ربيع الآخر[1] وصلّى عليها المنتصر ، ودُفِنت عند المسجد الجامع .

* * *

خلافة المنتصر محمد بن جعفر

وفيها بُويع للمنتصر محمد بن جعفر بالخلافة فى يوم الأربعاء لأربع خلوْن من شوال ــ وقيل لثلاث خلون منه ــ وهو ابن خمس وعشرين سنة . وكنيته أبو جعفر بالجعفرية ، فأقام بها بعد ما بويع له عشرة أيام ، ثم تحوّل منه بعياله وقوّاده وجنوده إلى سامرّا .

وكان قد بايعه ليلة الأربعاء الذين ذكرناهم قبلُ ، فذُكر عن بعضهم ، أنه قال : لمّا كان صبيحة يوم الأربعاء ، حضر الناس الجعفريّة من القوّاد والكتّاب والوُجوه والشاكريّة والجُند وغيرهم ؛ فقرأ عليهم أحمد بن الخصيب كتاباً يخبر فيه عن أمير المؤمنين المُنْتَصر ؛ أن الفتح بن خاقان قتل أباه جعفراً المتوكل ، فقتله به ، فبايع الناس ، وحضر عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، فبايع وانصرف .

وذكر عن أبى عثمان سعيد الصغير أنه قال : لما كانت الليلة التى قُتِل فيها المتوكل ، كنا فى الدّار مع المنتصر ؛ فكان كلّما خرج الفَتْح خرج معه ، وكلّما رجع قام لقيامه وجلس لجلوسه ، وخرج فى أثره ؛ وكلّما ركب أخذ بركابه ، وسوّى عليه ثيابه فى سَرْج دابته ؛ وكان اتّصل بنا الخبر أن عبيد الله بن يحيى قد أعدّ له قوماً فى طريقه ليغتالوه عند انصرافه ؛ وقد كان ٣/١٤٧٢

(١) ف : « الأول » .

المتوكل أسمعه وأحفظه قبل انصرافه . ووثب به ؛ فانصرف على غضب ، وانصرفنا معه ؛ فلمّا صار إلى داره أرسل إلى نُدمائه وخاصّته — وقد كان واعد الأتراك على قتل المتوكل قبل انصرافه إذا ثَمِل من النبيذ — قال : فلم ألبث أن جاءني الرّسول : أن احضر فقد جاءت رسل أمير المؤمنين إلى الأمير ؛ وهو على الركوب ؛ فوقع في نفسي ما كان دار بيننا أنهم على اغتيال المنتصر ؛ وأنه إنما يُدعَى لذلك ؛ فركبت في سلاح وعِدّة ، وصرت إلى باب الأمير . فإذا هم يموجون ؛ وإذا واجن قد جاءه فأخبره أنه قد فَرَغ[1] من أمره ، فركب فلحقتُه في بعض الطريق وأنا مرعوب ؛ فرأى ما بي ، فقال : ليس عليك ! إنّ أمير المؤمنين قد شرق بقدح شربه بعد انصرافنا ، فمات رحمه الله . فأكبرت ذلك ، وشقّ عليّ ، ومضينا وأحمد بن الخصيب وجماعة من القوّاد معنا حتى دخلنا الحَيْر[2] . وتتابعت الأخبار بقتل المتوكّل ، فأخذت الأبواب ، ووُكّل بها ، وقلت : يا أميرَ المؤمنين ، وسلّمتُ عليه بالخلافة ؛ وقلت : لا ينبغي أن تفارقك لموضع الشّفقة عليك من مواليك في هذا الوقت ، قال : أجل ؛ فكن أنت من ورائي وسليمان الروميّ . وأُلقِيَ منديلٌ ، فجلس عليه ، وأحطْنا به ، وحضر أحمد بن الخصيب وكاتبه سعيد بن حميد لأخذ البيعة . ١٤٧٣/٣

فذُكر عن سعيد بن حُميد أن أحمد بن الخصيب ، قال له : ويلك يا سعيد ! معك[3] كلمتان أو ثلاث[3] تأخذ بها البيعة ، قلت : نعم ؛ وكلمات . وعملت كتاب البيعة ، وأخذتها على مَنْ حضر وكلّ من جاء حتى جاء سعيد الكبير . فأرسله إلى المؤيّد ، وقال لسعيد الصغير : امض أنت إلى المعتزّ حتى تُحضره ، قال سعيد الصغير : فقلت : أمّا ما دمْتَ يا أمير المؤمنين في قلّة ممّن معك فلا أبرح والله من وراء ظهرك ؛ حتى يجتمع الناس . قال أحمد بن الخصيب : ها هنا مَنْ يكفيك ، فامض ؛ فقلت : لا أمضي حتى يجتمع مَنْ يكفي ؛ فإنّي الساعة أوْلى به منك ! فلما كثر القوّاد ، وبايعوا ، ومضيت وأنا آيس من نفسي ، ومعي غلامان ؛ فلما صرتُ إلى باب أبي نوح ،

(١) ط : « فزع » ، تصحيف . (٢) الحير : قصر كان بسر من رأى .

(٣–٣) ف : « كلمات » .

والناس يموجون ويذهبون ويجيئون؛ وإذا على الباب جمعٌ كبير فى سلاح وعِدّة، فلما أحسّوا بى لحقنى فارس منهم؛ فسألنى وهو لا يعرفنى: مَنْ أنت؟ فعمّيت عليه خبرى، وأخبرته أنّى مِنْ بعض أصحاب الفتح، ومضيتُ حتى صرت إلى باب المعتزّ، فلم أجد به أحداً من الحرس والبوابين والمكبّرين[1] ولا خلقاً من خلق الله حتى صرت إلى الباب الكبير، فدقَقته دقًّا عنيفًا مفرطًا، فأجِبت بعد مدّة طويلة، فقيل لى: من هذا؟ فقلت: سعيد الصغير؛ رسول أمير المؤمنين المنتصر؛ فمضى الرّسول، وأبطأ علىّ، وأحسست بالمنكر وضاقت علىّ الأرض. ثم فُتِح الباب فإذا ببيدون الخادم قد خرج؛ وقال لى: ادخل وأغلق الباب دونى، فقلت: ذهبتْ والله نفسى، ثم سألنى عن الخبر، فأخبرته أنّ أمير المؤمنين شرِق بكأسٍ شربها ومات من ساعته؛ وأن الناس قد اجتمعوا وبايعوا المنتصر، وأنه أرسلنى إلى الأمير أبى عبد الله المعتزّ بالله ليحضر البَيْعة. فدخل ثم خرج إلىّ؛ فقال: ادخل، فدخلت على المعتزّ؛ فقال لى: ويلك يا سعيد! ما الخبر؟ فأخبرته بمثل ما أخبرت به بيدون، وعزّيته وبكيت، وقلت: تحضر يا سيّدى، وتكون فى أوائل مَنْ بايع، فتستدعى بذلك قلب أخيك، فقال لى: ويلك حتى نصبح! فما زلت أفتِلُه فى الحبل والغارب؛ ويُعيننى عليه بيدون الخادم، حتى تهيّأ للصلاة، ودعا بثيابه فلبسها، وأخرِج له دابّة، وركب وركبت معه، وأخذت طريقاً غير طريق الجادّة، وجعلت أحدّثه وأسهّل الأمر عليه، وأذكره أشياء يعرفها من أخيه، حتى إذا صرنا إلى باب عبيد الله بن يحيى بن خاقان سألنى عنه، فقلت: هو يأخذ البيعة على الناس، والفتح قد بايع، فيئس[2] حينئذ؛ وإذا بفارس قد لَحِق بنا، وصار إلى بيدون الخادم، فسارّه بشىء لا أعلمه، فصاح به بيدون؛ فمضى ثم رجع ثلاثاً؛ كلّ ذلك يردّه بيدون ويصيح به: دعنا؛ حتى وافينا بابَ الحَيْر فاستفتحته فقيل لى: مَنْ أنت؟ قلت: سعيد الصغير والأمير المعتزّ، ففُتح لى الباب، وصرنا إلى المنتصر؛ فلمّا رآه قرّبه وعانقه وعزّاه، وأخذ البيعة عليه؛ ثم وافى المؤيد مع سعيد الكبير، ففعل به مثل

٣/١٤٧٤

٣/١٤٧٥

---

(١) ط: «والمكثرين». صوابه من ا، د. (٢) كذا فى ا، د، وفى ط: «تأنس»

ذلك ، وأصبح الناس ، وصار المنتصر إلى الجعفرىّ . فأمر بدفن المتوكل والفتح ، وسكن الناس ، فقال سعيد الصغير : ولم أزل أطالب المعتزّ بالبُشرى بخلافة المنتصر وهو محبوس فى الدار ؛ حتى وَهب لى عشرة آلاف درهم .

* * *

وفى [١] هذه السنة خلع المعتز والمؤيد أنفسهما ، وأظهر خلعهما فى القصر الجعفرىّ المحدث [١]

وكانت نسخة البيعة التى أخذت للمنتصر :

بسم الله الرحمن الرحيم . تُبايعون عبدَ الله المنتصر بالله أمير المؤمنين بيْعةَ طوعٍ واعتقاد ورضاً ، ورغبة بإخلاص من سرائركم ، وانشراح من صدوركم ، وصدق من نياتكم ؛ لا مكرَهين ولا مجبَرين ، بل مقرّين عالمين بما فى هذه البيْعة وتأكيدها من طاعة الله وتقْواه ، وإعزاز دين الله وحقه ، ومن عموم صلاح عباد الله ، واجتماع الكلمة ، ولمّ الشعث ، وسكون الدهماء ، وأمْن العواقب ، وعزّ الأولياء ، وقمْع الملحدين ؛ على أن محمداً الإمام المنتصر بالله عبد الله وخليفته المفترض عليكم طاعته ومناصحته والوفاء بحقه وعقده ، لا تشكّون ولا تُدْهنون ، ولا تميلون ولا ترتابون ؛ وعلى السَّمْع له ، والطاعة والمسالمة ، والنُّصرة والوفاء والاستقامة ، والنصيحة فى السرّ والعلانية ، والخُفوف والوقوف عند كلّ ما يأمر به عبد الله الإمام المنتصر بالله أمير المؤمنين ؛ وعلى أنكم أولياء أوليائه ، وأعداء أعدائه ؛ من خاصٍّ وعامٍّ ، وأبعَد وأقربَ ، وتتمسكون ببيعته بوفاء العقد ، وذمّة العهد ؛ سرائرُكم فى ذلك مثل علانيتكم ، وضمائركم مثل ألسنتكم ؛ راضين بما يرضاه لكم أمير المؤمنين فى عاجلكم وآجلكم . وعلى إعطائكم أمير المؤمنين بعد تجديدكم بيعتَه هذه على أنفسكم ، وتأكيدكم إياها فى أعناقكم ، صَفْقة أيمانكم ، راغبين طائعين ، عن سلامة من قلوبكم وأهوائكم ونياتكم ؛ وعلى ألاّ تسعوْا فى نقض شىء مما أكد الله عليكم ، وعلى ألاّ يميل بكم مميل فى ذلك عن نُصرة وإخلاص ، ونصح وموالاة ، وعلى ألاّ تبدّلوا ، ولا يرجع منكم راجع عن نيّته ، وانطوائه إلى غير علانيته ، وعلى أن تكون ٣ / ١٤٧٦

(١-١) ساقط من ط ، وأثبته من ا

بيعتكم التى أعطيتمُوها ألسنتكم وعهودكم بيعة يطلع الله من قلوبكم على اجتبائها واعتقادها ، وعلى الوفاء بذمّته بها ؛ وعلى إخلاصكم فى نصرتها وموالاة أهلها ، لا يشوب ذلك منكم دَغَل ولا إدهان ولا احتيال ولا تأوّل ؛ حتى تلقوا الله ، مُوفين بعهده ، ومؤدّين حقّه عليكم ، غير مستشرفين ولا ناكثين ، إذ كان الذين يبايعون منكم أميرَ المؤمنين إنما يبايعون الله ؛ يد الله فوق أيديهم ، فمن نَكَث فإنما ينكُث على نفسه ، ومَنْ أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً .

٣/١٤٧٧

عليكم بذلك و بما أكّدت هذه البيعة فى أعناقكم ، وأعطيتم بها من صَفْقة أيْمانكم ؛ و بما اشترط عليكم بها من وفاء ونَصْر ، وموالاة واجتهاد ونُصْح ؛ وعليكم عهد الله ؛ إنّ عهده كان مسئولا ؛ وذمّة الله وذمة رسوله. وأشدّ ما أخذ على أنبيائه و رسله ، وعلى أحد من عباده من متأكّد وثائقه ، أن تسمعوا ما أخذ عليكم فى هذه البيعة ، ولا تبدّلوا ، وأن تُطيعوا ولا تعصوا ، وأن تُخلصوا ولا ترتابوا ، وأن تتمسّكوا بما عاهدتم عليه تمسّكَ أهل الطاعة بطاعتهم وذوى العهد والوفاء بوفائهم وحقهم ؛ لا يلفتكم عن ذلك هوًى ولا مَيل ، ولا يزيغ بكم فيه ضلال عن هدًى ؛ باذلين فى ذلك أنفسكم واجتهادكم ، ومقدّمين فيه حقّ الدين والطاعة بما جعلتم على أنفسكم ؛ لا يقبل الله منكم فى هذه البيعة إلا الوفاء بها .

٣/١٤٧٨

فمَنْ نَكَث منكم ممن بايع أمير المؤمنين هذه البيعة عما أكّد عليه مسرًّا أو معلناً ، أو مصرّحاً أو محتالا ؛ فادّهن فيما أعطى الله من نفسه ، وفيما أخذَت به مواثيق أمير المؤمنين ، وعهود الله عليه ؛ مستعملاً فى ذلك الهوينى دون الجِدّ ، والركون إلى الباطل دون نُصرة الحق ، وزاغ عن السبيل التى يعتصم بها أولو الوفاء منهم بعهودهم ؛ فكلّ ما يملك كلّ واحد ممّن خان فى ذلك بشىء نقض عهدَه من مال أو عقار أو سائمة ، أو زرع أو ضَرْع صدقةٌ على المساكين فى وجوه سبيل الله ، محرّمٌ عليه أن يرجع شىء من ذلك إلى ماله عن حيلة يقدّمها لنفسه ، أو يحتال بها . وما أفاد فى بقية عمره من فائدة مال يقلّ خطرها أو يجلّ قدرها ، فتلك سبيله إلى أن توافيَه منيّتُه ، ويأتى عليه أجلُه ؛ وكلّ مملوك يملكه اليوم إلى ثلاثين سنة من ذكر أو أنثى أحرار لوجه الله ؛ ونساؤه

فى يوم يلزمه الحنث ، ومن يتزوجه بعدهن إلى ثلاثين سنة طوالق البتة طلاق الحرج والسنة ؛ لا مثنوية[1] فيه ولا رجعة . وعليه المشى إلى بيت الله الحرام ثلاثين حجة ، لا يقبل الله منه إلا الوفاء بها ؛ وهو برىء من الله ورسوله ، والله ورسوله منه بريئان ؛ ولا قبل الله منه صرفًا ولا عدلا ؛ والله عليكم بذلك شهيد ، وكفى بالله شهيداً .

* * *

١٤٧٩/٣ وذكر أنه لما كانت صبيحة اليوم الذى بويع فيه المنتصر شاع الخبر فى الماحوزة — وهى المدينة التى كان جعفر بناها فى أهل سامرا — بقتل جعفر ، وتوافى الجند والشاكرية بباب العامة بالجعفرى وغيرهم من الغوغاء والعوام ، وكثر الناس وتسامعوا ، وركب بعضهم بعضًا ، وتكلموا فى أمر البيعة ، فخرج إليهم عتاب بن عتاب — وقيل : إن الذى خرج إليهم زرافة — فأبلغهم عن المنتصر ما يحبون ، فأسمعوه ؛ فدخل إلى المنتصر فأخبره ؛ فخرج وبين يديه جماعة من المغاربة ، فصاح بهم : يا كلاب ! خذوهم ؛ فحملوا على الناس فدفعوهم إلى الثلاثة الأبواب ، فازدحم الناس ووقع بعضهم على بعض ؛ ثم تفرقوا عن عدة قد ماتوا من الزحمة والدوس ؛ فمنهم من ذكر أنهم كانوا ستة نفر ، ومنهم من قال : كانوا ما بين الثلاثة إلى الستة .

* * *

وفيها ولى المنتصر أبا عمرة أحمد بن سعيد — مولى بنى هاشم ، بعد البيعة له بيوم — المظالم ، فقال قائل :

يا ضيعةَ الإسلامِ لمّا وَلِى   مظالمَ النّاسِ أبو عَمْرَهْ
صُيِّرَ مأموناً على أمةٍ   وليسَ مأموناً على بَعْرَهْ

وفى ذى الحجة من هذه السنة أخرج المنتصر علىّ بن المعتصم من سامرا إلى بغداد ووكّل به .

وحجّ بالناس فيها محمد بن سليمان الزينبىّ .

(١) لامثنوية ، أى لا استثناء .

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر غزاة وصيف التركىّ الروم]

فمن ذلك ما كان من إغزاء المنتصر وصيفاً التركى صائفة[1] أرض الروم.

• ذكر الخبر عن سبب ذلك ، وما كان فى ذلك من وصيف :

٣/١٤٨٠ ذُكر أنّ السبب فى ذلك أنه كان بين أحمد بن الخصيب ووصيف شحناء وتباغض ؛ فلمّا استُخلف المنتصر ، وابن الخصيب وزيرُه ، حرّضَ أحمد بن الخصيب المنتصر على وصيف ، وأشار عليه بإخراجه من عسكره غازيًا إلى الثّغر ؛ فلم يزل[2] به حتى أحضره المنتصر ، فأمره بالغزو .

وقد ذُكر عن المنتصر أنه لمّا عزَم على أن يُغزِى وصيفًا الثغر الشأمىّ ، قال له أحمد بن الخصيب : ومَنْ يجترئ على الموالى حتى تأمر وصيفاً بالشخوص! فقال المنتصر لبعض من الحجَبة : ائذن لمن حضر الدار ؛ فأذن لهم وفيهم وصيف ، فأقبل عليه ، فقال له : يا وصيف ؛ أتانا عن طاغية الروم أنه أقبل يريد الثغور ، وهذا أمر لا يمكن الإمساك عنه ؛ فإمّا شخصتَ وإما شخصتُ ؛ فقال وصيف : بل أشخصُ يا أمير المؤمنين ، قال : يا أحمد ؛ انظر ما يحتاج إليه على أبْلَغ ما يكون فأقمه له . قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : ما نَعَمْ ! قم الساعة لذلك ؛ يا وصيف مُرْ كاتبَك يوافقه على ما يحتاج إليه ، ويلزمه حتى يزيح ٣/١٤٨١ علّتك فيه . فقام أحمد بن الخصيب ، وقام وصيف ، فلم يزل فى جهازه حتى خرَج ، فما أفلح ولا أنجح .

وذكر أنّ المنتصر لما أحضر وصيفاً وأمره بالغزو ، قال له : إنّ الطاغية — يعنى ملك الروم — قد تحرّك ، ولست آمنه أن يهلك كلّ ما يمرّ به من بلاد

---

(١) ف : « الصائفة » . (٢) س : « فلم يشعر » .

الإسلام ، ويقتل ويسبي الذراريّ ؛ فإذا غزوتَ وأردت الرّجعة انصرفت إلى باب أمير المؤمنين من فورك . وأمر جماعة من القوّاد وغيرهم بالخروج معه وانتخب له الرجال ؛ فكان معه من الشاكريّة والجند والموالى زُهاء عشرة آلاف رجل ؛ فكان على مقدّمته في بدأته مُزاحم بن خاقان ؛ أخو الفتح بن خاقان ؛ وعلى السّاقة محمد بن رجاء ، وعلى الميمنة السنديّ بن بختاشة ، وعلى الدرّاجة نصر بن سعيد المغربيّ ؛ واستعمل على الناس والعسكر أبا عون خليفته ؛ وكان على الشّرْطة بسامرّا .

* * *

وكتب المنتصر عند إغزائه وصيفاً مولاه إلى محمد بن عبد الله بن طاهر كتاباً نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم : من عبد الله محمد المنتصر بالله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين .

سلام عليك ؛ فإن أميرَ المؤمنين يحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلّيَ على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله . أما بعد : فإنّ الله وله الحمد على آلائه ، والشكرُ بجميل بلائه ، اختار الإسلام وفضّله، وأتمّه وأكمله ، وجعله وسيلة إلى رضاه ومثوبته ، وسبيلاً نهْجاً إلى رحمته ، وسبباً إلى مذْخُور كرامته ؛ فقهر له مَنْ خالفه ، وأذلّ له من عَنَدَ عن حقه ، وابتغى غير سبيله ، وخصّه بأتمّ الشرائع وأكملها ، وأفضل الأحكام وأعدلها ؛ وبعث به خيرته مِنْ خلقه وصفوته من عباده محمّداً صلى الله عليه وسلّم ، وجعل الجهاد أعظمَ فرائضه منزلةً عنده ، وأعلاها رتبة لديه ، وأنجحها وسيلة إليه ؛ لأن الله عزّ وجلّ أعزّ دينه ، وأذلّ عُتاة الشرك ، قال عزّ وجلّ آمراً بالجهاد ، ومفترضاً له : ﴿ انفِرُوا خِفَافاً وثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكمْ إنْ كُنْتُم تَعْلَمُونَ﴾ [١] ، وليست تمضى بالمجاهد فى سبيل الله حالٌ لا يكابد فى الله نَصَباً ولا أذًى ، ولا ينفق نفقة ولا يقارع عدوّاً ، ولا يقطع بلداً ، ولا يطأ أرضاً ؛ إلا وله بذلك أمر

٣/١٤٨٢

(١) سورة التوبة ٤١ .

مكتوب ، وثواب جزيل ، وأجر مأمول ، قال الله عز وجل : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

١٤٨٣/٣

ثم أثنى عزّ وجلّ بفضل منزلة المجاهدين على القاعدين عنده ، وما وعدهم من جزائه ومثوبته ، وما لهم من الزّلفى عنده ، فقال : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾(٢)

فبالجهاد اشترى الله من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ، وجعل جنّته ثمناً لهم ، ورضوانه جزاء لهم على بذلها ؛ وعداً منه حقًّا لاريب فيه ، وحكماً عدلاً لاتبديل له ، قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٣)

وحكم الله عزّ وجلّ لإحياء المجاهدين بنصره ، والفوز برحمته ، وأشهد لموتاهم بالحياة الدائمة ، والزلفى لديه ، والحظّ الجزيل من ثوابه ، فقال : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا

---

(١) سورة التوبة ١٢٠ ، ١٢١ . (٢) سورة النساء ٩٥ . (٣) سورة التوبة ١١١ .

بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1] . ١٤٨٤/٣

وليس من شىء يتقرَّب به المؤمنون إلى الله عزَّ وجلَّ من أعمالهم، ويسعَوْن به فى حطّ أوزارهم، وفَكاك رقابهم، ويستوجبون به الثوّاب من ربهم، إلاّ والجهاد عنده أعظم منه منزلة، وأعلى لديه رتبة، وأوْلَى بالفوز فى العاجلة والآجلة؛ لأنّ أهله بذلُوا لله أنفسَهم، لتكون كلمةُ الله هى العليا، وسمحوا بها دون مَنْ وراءهم من إخوانهم وحريم المسلمين وبَيْضتهم، ووَقَمُوا بجهادهم العدوّ .

وقد رأى أمير المؤمنين — لما يحبّه من التقرّب إلى الله بجهاد عدّوه، وقضاء حقه عليه فيما استحفظه من دينه، والتماس الزُّلْفَى له فى إعزاز أوليائه، وإحلال البأس والنقمة بمن حاد عن دينه، وكذّب رسله، وفارق طاعتَه — أن يَنْهض وصيفًا مولى أمير المؤمنين فى هذا العام إلى بلاد أعداء الله الكفرة والرّوم، غازيًا لما عرَف اللهُ أمير المؤمنين من طاعتِه ومناصحتِه ومحمود نقيبتِه[2] وخُلُوص نيّته، فى كلّ ما قرّبه من الله ومن خليفته.

وقد رأى أمير المؤمنين — والله ولىّ معونته وتوفيقه — أن تكون موافاة وصيف فيمن أنهض أمير المؤمنين معَه من مواليه وجنده وشاكريّته ثغر مَلَطية لاثنتى عشرة ليلة تخلُو من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين؛ وذلك من شهور العجم للنصف من حزيران ودخوله بلاد أعداء الله فى أوّل يوم من تمّوز ؛ فاعلم ذلك واكتب إلى عمّالك على نواحى عملك بنسخة كتاب أمير المؤمنين هذا ؛ ومُرْهم بقراءته على مَنْ قِبَلهم من المسلمين وترغيبهم فى الجهاد، وحثّهم عليه واستنفارهم إليه، وتعريفهم ما جعل الله من الثّواب لأهله ، ليعمل ذوو النيات والحِسْبة والرغبة فى الجهاد على حسب ذلك فى النهوض إلى عدوّهم والخُفوف إلى معاونة إخوانهم والذياد عن دينهم والرّمْى من وراء حَوْزتهم بموافاة عسكر وصيف مولى أمير المؤمنين مَلَطْيَةَ فى الوقت الذى حدّه أمير المؤمنين لهم إن شاء الله. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . ١٤٨٥/٣

وكتب أحمد بن الخصيب لسبع ليالٍ خلوْن من المحرم سنة ثمان وأربعين

---

(١) سورة آل عمران ١٦٩ ، ١٧٠ . (٢) ط : « تعبئته » .

ومائتين ؛ وصيّر على ما ذكر على نفقات عسكر وصيف والمغانم والمقاسم المعروف بأبى الوليد الجريرىّ البجلىّ.

وكتب معه المنتصر كتاباً إلى وصيف يأمره بالمقام ببلاد الثغر إذا هو انصرف من غزاته أربع سنين ، يغزو فى أوقات الغزو منها إلى أن يأتيه رأى أمير المؤمنين .

* * *

[ذكر خبر خلع المعتزّ والمؤيد أنفسهما]

وفى هذه السنة خلع المعتزّ والمؤيّد أنفسهما ، وأظهر المنتصر خلعهما فى القصر الجعفرىّ المحدث .

* ذكر الخبر عن خلعهما أنفسهما :

٣/١٤٨٦ ذُكر أن محمداً المنتصر بالله لمّا استقامت له الأمور ، قال أحمد بن الخصيب لوصيف وبغا : إنا لا نأمن الحدثان ؛ وأن يموت أمير المؤمنين ، فيلىَ الأمرَ المعتزّ ، فلا يُبقى منّا باقية ، ويبيد خضراءنا ؛ والرأى أن نعمل فى خلع هذين الغلامين قبل أن يظفرا بنا . فجدّ الأتراك فى ذلك ، وألحّوا على المنتصر وقالوا : يا أميرَ المؤمنين ؛ تخلعهما من الخلافة [1] ، وتبايع لابنك عبد الوهاب ؛ فلم يزالوا به حتى فعل ، ولم يزل مكرماً المعتزّ والمؤيد ؛ على ميلٍ منه شديد إلى المؤيد ؛ فلمّا كان بعد أربعين يوماً من ولايته ؛ أمر بإحضار المعتز والمؤيد بعد انصرافهما من عنده ، فأحضرا وجُعلا فى دار ، فقال المعتزّ للمؤيد : يا أخى ، لمَ ترانا أحضرنا ؟ فقال : يا شقىّ ، للخلْع ! فقال : لا أظنه يفعل بنا ذلك ؛ فبيناهم كذلك ؛ إذ جاءهم الرسل بالخلْع ، فقال المؤيد : السمع والطاعة ، وقال المعتزّ : ما كنت لأفعل ؛ فإن أردتم القتل فشأنكم ، فرجعوا إليه ، فأعلموه ثم عادوا بغلظة شديدة ، فأخذوا المعتزّ بعنف ، وأدخلوه إلى بيت ، وأغلقوا عليه الباب .

فذُكر عن يعقوب بن السكيت ، أنه قال : حدّثنى المؤيد ، قال : لما رأيتُ ذلك قلت لهم بجرأة واستطالة : ما هذا يا كلاب ! فقد ضريتم على دمائنا ، تثبون على مولاكم هذا الوثوب ! اعزبوا قبحكم الله ! دعونى أكلّمه ؛ فكاعوا

(١) ف : « خلافته » .

عن جوابى بعد تسرُّع كان منهم ، وأقاموا ساعة ، ثم قالوا لى : القه إن أحببت[١] ؛ فظننْتُ أنهم استأمروا ، فقمت إليه ، فإذا هو فى البيت يبكى[٢] ، فقلت : يا جاهل ؛ تراهم قد نالوا من أبيك — وهو هو — ما نالوا ، ثم تمتنع عليهم ! اخلع ويلك ولا تراجعْهم ![٣] ؛ قال : سبحان الله ! أمرٌ قد مضيت عليه ، وجرى فى الآفاق أخلعه من عنقى ! فقلت : هذا الأمرُ قتل أباك ، فليته لا يقتلك ! اخلعه[٤] ويلك ! فوالله لئن كان فى سابق علم الله أن تليه لتَلينّ . قال : أفعلُ . قال : فخرجت فقلت : قد أجاب ، فأعلِموا أمير المؤمنين ، فمضوْا ثم عادوا[٥] فجزوْنى خيراً ، ودخل معهم كاتب قد سمّاه ، ومعه دواة وقرطاس ، فجلس ، ثم أقبل إلى أبى عبد الله ، فقال : اكتب بخطّك خلعك ، فتلكّأ ، فقلت للكاتب : هات قرطاساً ، أمِللْ ما شئت[٦] ؛ فأملى علىّ كتاباً إلى المنتصر ، أعلِمُه فيه ضَعفى عن هذا الأمر ؛ وأنى علمت أنه لا يحلّ أن أتقلده ؛ وكرهت[٧] أن يأثم المتوكل بسببى إذ لم أكن موضعاً له ، وأسأله الخلْع ، وأعلِمه أنى خلعت نفسى ، وأحللت الناسَ مِنْ بيعتى . فكتبت كلّ ما أراد ، ثم قلت : اكتب يا أبا عبد الله ، فامتنع[٨] ، فقلت : اكتب ويلك ! فكتب وخرج الكاتب عنا ، ثم دعانا[٩] فقلت : نجدّد ثيابنا أو نأتى فى هذه ؟ فقال : بل جدّدا ، فدعوت بثياب فلبستها ، وفعل أبو عبد الله كذلك ، وخرجنا فدخلنا ؛ وهو فى مجلسه ، والناس على مراتبهم ، فسلمنا فردّوا ، وأمر بالجلوس . ثم قال : هذا كتابكما؟ فسكت المعتزّ ، فبدرت فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ! هذا كتابى بمسألتى ورغبتى ، وقلت للمعتزّ : تكلم ، فقال مثل ذلك ، ثم أقبل علينا والأتراكُ وقوفٌ ، وقال : أترياني[١٠] خلعتُكما طمعاً فى أن أعيش حتى يكبر ولدى وأبايع له ! والله ما طمعتُ فى ذلك ساعة قطّ ؛ وإذا لم يكن فى ذلك طمع ؛ فوالله لأنْ يليَها بنو أبى أحبُّ إلىّ من أن يليَها بنو عمى ؛ ولكن

١٤٨٧/٣

١٤٨٨/٣

---

(١) ف : « شئت » .
(٢) س : « متكئ » .
(٣) ف : « تراجع » .
(٤) ف : اخلع » .
(٥) ف : « عاودونى » .
(٦) ف : « قرطاسك أمليك » .
(٧) ف : « وخفت » .
(٨) بعدها فى ف : « أن يكتب » .
(٩) ف : « دعا بنا » .
(١٠) س : « أترانى » .

هؤلاء — وأما إلى سائر الموالى ممن هو قائم وقاعد — ألحّوا علىّ فى خلعكما ، فخفت إن لم أفعل أن يعترضكما بعضُهم بحديدة ، فيأتى عليكما ، فما تريانى صانعاً ! أقتله ؟ فوالله ما تفى دماؤهم كلهم بدم بعضكم ؛ فكانت إجابتهم إلى ما سألوا أسهل علىّ . قال : فأكبّا[1] عليه ، فقبّلا[2] يده ، فضمّهما إليه ؛ ثم انصرفا .

وذكر أنه لما كان يوم السبت لسبع[3] بقين من صفر سنة ثمان وأربعين ومائتين خلع المعتزّ والمؤيد أنفسهما ، وكتب كلّ واحد منهما رُقعة بخطه أنه خلَع نفسه من البيعة التى بويع له ، وأنّ الناس فى حلّ من حلّها ونقضها ؛ وأنهما يعجزان عن القيام بشىء منها ، ثم قاما بذلك على رءوس الناس والأتراك والوجوه والصحابة والقضاة ، وجعفر بن عبد الواحد قاضى القضاة ، والقوّاد وبنى هاشم ، وولاة الدّواوين والشيعة ووجوه الحرس ، ومحمد بن عبد الله بن طاهر ، ووصيف وبُغا الكبير وبُغا الصغير ، وجميع مَنْ حضر دار الخاصّة والعامة ، ثم انصرف الناس بعد[4] ذلك . ١٤٨٩/٣

والنسخة التى كتباها :

بسم الله الرحمن الرحيم : إنّ أميرَ المؤمنين المتوكل على الله رضى الله عنه قلّدنى هذا الأمر ، وبايع لى وأنا صغير ؛ من غير إرادتى ومحبّتى ؛ فلما فهمت أمرى علمت أنى لا أقوم بما قلّدنى[5] ، ولا أصلح لخلافة المسلمين ؛ فمن كانت بيْعتى فى عنقه فهو مِنْ نقضها فى حلّ ، وقد أحللتُكم منها ، وأبرأتكم من أيمانكم ؛ ولا عهد لى فى رقابكم[6] ولا عقْد ؛ وأنتم بُرآء من ذلك .

وكان الذى قرأ الرقاع أحمد بن الخصيب . ثم قام كلّ واحد منهما قائمًا ، فقال لمن حضر : هذه رقعتى وهذا قولى[7] ؛ فاشهدوا علىّ ، وقد أبرأتكم من

---

(١) ف : « فكبا » .
(٢) ف : « يديه » .
(٣) بعدها فى ف : « ليال » .
(٤) س : « عنه » .
(٥) بعدها فى ف : « من ذاك » .
(٦) ف : « عليكم » .
(٧) ف : « خطى » .

أيْمانكم[١] . وحللتكم منها . فقال لهما المنتصر عند ذلك : قد خار الله لكما وللمسلمين . وقام فدخل .وكان قد قعد للناس . وأقعدهما بالقرب منه . فكتب كتاباً إلى العمال بخلعهما وذلك فى صفر سنة ثمان وأربعين ومائتين .

* * *

نسخة كتاب المنتصر بالله إلى أبى العباس محمد بن عبد الله
ابن طاهر مولى أمير المؤمنين فى خلع أبى عبد الله المعتزّ وإبراهيم المؤيد

من عبد الله محمد الإمام المنتصر بالله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين ؛ أما بعد ؛ فإن الله وله الحمد على آلائه ، والشكر بجميل[٢] بلائه ؛ جعل ولاة الأمر من خُلَفائه القائمين بما بعث به رسوله صلى الله عليه وسلم والذّابين[٣] عن دينه ، والدّاعين إلى حقه والمضيين[٤] لأحكامه ، وجعل ما اختصّهم به من كرامته قِواماً لعباده . وصلاحاً لبلاده . ورحمة غمر بها خلقه ، وافترض طاعتهم ، ووصلها بطاعته وطاعة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وأوجبها فى محكم تنزيله ؛ لما جمع فيها من سكون الدّهماء ، واتّساق الأهواء ، ولمّ الشعث ، وأمْن السبُل ، ووقْم[٥] العدّو ، وحفظ الحريم ؛ وسدّ الثغور ، وانتظام الأمور ، فقال : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾[٦] ، فمن الحقّ على خلفاء الله الذين حباهم بعظيم نعمته . واختصّهم بأعلى رتب كرامته ، واستحفظهم فيما جعله وسيلة إلى رحْمته ، وسبباً لرضاه ومثوبته . لأن يؤثروا طاعته فى كلّ حال تصرّفتْ بهم ، ويقيموا حقه فى أنفسهم والأقرب فالأقرب منهم ؛ وأن يكون محلّهم من الاجتهاد فى كلّ ما قرب من الله[٧] عز وجل حسب[٨] موقِعهم من الدّين وولاية أمر المسلمين . وأميرُ المؤمنين يسأل الله مسألةّ رغبة إليه ، وتذللا لعظمته ، أن يتولاّه فيما استرعاه ولايةّ يجمع له بها صلاح ما قلّده ، ويحمل عنه أعباء ما حمّله ، ويعينه بتوفيقه

٣/١٤٩٠

(١) س : « أيمانى »
(٢) ف : « على جميل » .
(٣) ف : « والذائدين »
(٤) ف : « والمتبعين » .
(٥) ف : « وقمع » .
(٦) سورة النساء ٥٩ .
(٧) ف : « إلى الله » .
(٨) ف : « على حسب » .

على طاعته ؛ إنه سميع قريب .

وقد علمتَ ما حضرتَ من رفْع أبى عبد الله وإبراهيم ابنى أمير المؤمنين المتوكّل على الله رضى الله عنه إلى أمير المؤمنين رقعتيْن بخطوطهما ؛ يذكران فيهما ما عرّفهما الله من عَطْف أمير المؤمنين عليهما ، ورأفته بهما ، وجميل نظره لهما[1] ؛ وما كان أمير المؤمنين المتوكل على الله عَقَده لأبى عبد الله من ولاية عهد أمير المؤمنين ولإبراهيم من ولاية العهد بعد أبى عبد الله . وإنّ ذلك العقد كان وأبو عبد الله طفل لم يبلغ ثلاث سنين ؛ ولم يفهما ما عُقِد له ولا وقف[2] على ما قُلّده ، وإبراهيم صغير لم يبلغ الحلُم ؛ ولم يجر أحكامهما ولا جرتْ أحكامُ الإسلام عليهما ، وإنه قد يجب عليهما إذ بلغا ووقفا على عَجْزهما عن القيام بما عقد لهما من العَهْد ، وأسْنِدَ إليهما من الأعمال أن يَنْصحا لله وبجماعة المسلمين[3] ، بأن يُخرجا من هذا الأمر الذى عقد لهما أنفسهما ، ويعتزلا الأعمال التى قُلّداها ؛ ويجعلا كلّ مَنْ فى عنقه لهما بَيْعة وعليه يمين فى حِلّ ؛ إذ كانا لا يقومان بما رُشّحا له ، ولا يصلحان لتقلده ، وأن يخرج من كان ضُمّ إليهما ممّن فى نواحيهما من قُوّاد أمير المؤمنين ومواليه وغلمانه وجنده وشاكريّته وجميع مَنْ مع أولئك القواد بالحضْرة وخُراسان وسائر ١٤٩١/٣ النواحى عن رسومهما ، ويُزال عنهم جميعًا ذكر الضمّ إليهما ، وأن يكونا سُوقة من سوق المسلمين وعامّتهم ، ويصفان ما لم يزالا يذكران لأمير المؤمنين من ذلك ؛ ويسألانه فيه ، منذ أفضى الله بخلافته إليه ، وأنهما قد خلعا أنفسهما من ولاية العهد ، وخرجا منها ، وجعلا كلّ من لهما عليه بيعة ويمين من قُوّاد أمير المؤمنين وجميع أوليائه ورعيّته ؛ قريبهم وبعيدهم ، وحاضرهم وغائبهم ؛ فى حلّ وسعة من بيعتهم وأيْمانهم ؛ ليخلعوهما كما خلعا أنفسهما . ١٤٩٢/٣

وجعلا لأمير المؤمنين على أنفسهما عهدَ الله ؛ وأشد ما أخذ على ملائكته وأنبيائه وعباده من عهد وميثاق ، وجميع ما أكده أمير المؤمنين عليهما من الأيْمان ، بإقامتهما على طاعته ومناصحته وموالاته فى السرّ والعلانية ، ويسألان أمير المؤمنين

---

(١) ف : « إليهما » .
(٢) ف : « وأنه لم يقف » .
(٣) ف : « والمسلمين » .

أن يُظهر ما فعلاه، وينشره، ويُحضِر جميع أوليائه؛ ليسمعوا ذلك منهما طالبيْن راغبيْن، طائعيْن غير مكرهيْن ولا مجبريْن؛ ويُقرَأ عليهم الرّقعتان اللتان رفعاهما بخطوطهما، بما ذكرا من وقوع الأمر لهما من ولاية العهد؛ وهما صبيان، وخلعهما أنفسهما بعد بلوغهما، وما سألا مِنْ صرفهما عن الأعمال التي يتوليانها وإخراج مَنْ كان بها ممن ضمّ إليهما في نواحيهما من قُوّاد أمير المؤمنين وجنده وغلمانه وشاكريّته وجميع مَنْ مع أولئك القوّاد بالحضرة وخراسان وسائر النواحي عن رسومهما وإزالة ذكر الضمّ إليهما عنهم، وأن يُكتب بالكتاب[1] بذلك إلى جميع عمال النواحي[2].

وإنّ أمير المؤمنين وقف على صدقهما فيما ذكرا ورفعا، وتقدّم في إحضار جميع إخوته ومَنْ بحضرته من أهل بيته وقوّاده ومواليه وشيعته ورؤساء جنده وشاكريّته وكتّابه وقضاته والفقهاء وغيرهم؛ وسائر أوليائه الذين كانت وقعت البيعة لهما بذلك عليهم. وحضر أبو عبد الله وإبراهيم ابنا أمير المؤمنين المتوكل على الله رضي الله عنه، وقرئت رقعتاهما بخطوطهما بحضرتهما؛ إلى مجلس[3] أمير المؤمنين عليهما وعلى جميع من حضر، وأعادا من القول بعد قراءة الرّقعتين مثل الذي كتبا به. ٣/١٤٩٣

ورأى أمير المؤمنين أن يجمع في إجابتهما إلى نشر ما فعلاه وإظهاره، وإمضائه ذلك؛ قضاءَ حقوق ثلاثة: منها حقّ الله عز وجل فيما استحفظه من خلافته، وأوجب عليه من النظر لأوليائه فيما يجمع لهم كلمتَهم في يومهم وغدِهم، ويؤلّف بين قلوبهم. ومنها حقّ الرعيّة الذين هم ودائع الله عنده حتى يكون المتقلّد لأمورهم ممّن[4] يراعيهم آناء الليل والنهار بعنايته ونظره وتفقّده وعدله ورأفته، ومن يقومَ بأحكام الله في خلقه، ومن يضطلع بثقل السياسة وصواب التدبير. ومنها حقّ أبي عبد الله وإبراهيم فيما يُوجبه[5] أمير المؤمنين لهما بإخوّتهما وماسّ رحمهما؛ لأنهما لو أقاما على ما خرجا منه؛ لم

---

(١) ف: «الكتاب».
(٢) ف: «عمالك بالنواحي».
(٣) ف: «في مجلس».
(٤) س: «ومن».
(٥) ف: «يوجه».

يؤمَن أن يؤدّيَ ذلك إلى ما يعظم فى الدين ضرره ، ويعمّ المسلمين مكروهه ؛ ويرجع عليهما عظيم الوزر فيه ؛ فخلعهما أمير المؤمنين إذ خلَعا أنفسهما من ولاية العهد ، وخلَعهما جميع إخوة أمير المؤمنين ومَنْ بحضرته من أهل بيته ، وخلَعهما جميع من حضر من قوّاد أمير المؤمنين ومواليه وشيعته[1] ورؤساء جنده وشاكريّته وكتّابه وقضاته والفقهاء وغيرهم من سائر أولياء أمير المؤمنين ؛ الذين كانت أخِذَتْ لهما البيعة عليهم .

٣/١٤٩٤

وأمر أمير المؤمنين بإنشاء الكتب بذلك إلى جميع العمال ، ليتقدّموا فى العمل بحسب[2] ما فيها ، ويخلعوا أبا عبد الله وإبراهيم مِنْ ولاية العهد ؛ إذ كانا قد خلَعا أنفسهما من ذلك ، وحلّلا الخاصّ والعامّ ، والحاضر والغائب ، والدانيَ والقاصيَ منه ؛ ويسقطوا ذكرَهما بولاية[3] العهد ، وذِكْرَ ما نُسِبا إليه مِنْ نسب ولاية العهد من المعتزّ بالله والمؤيد بالله من كتبهم وألفاظهم ، والدعاء[4] لهما على المنابر ؛ ويسقطوا كُلّ ما ثبت فى دواوينهم من رُسومهما القديمة والحديثة الواقعة على مَنْ كان مضموماً إليهما ، ويزيلوا ما على الأعلام والمطارد من ذكرهما ؛ وما وسمت به دوابّ الشاكريّة والرابطة من أسمائهما . ومحلُّك من أمير المؤمنين وحالُك عنده على حسب ما أخلص الله لأمير المؤمنين من طاعتك ومناصحتك ، وموالاتك ومشايعتك ؛ ما أوجب الله لك بسلفك ونفسك ، وما عرف الله أمير المؤمنين من طاعتك ويُمْن نَقيبتك ، واجتهادك فى قضاء الحق .

٣/١٤٩٥

وقد أفردك أمير المؤمنين بقيادِ تلك ، وإزالة الضمّ إلى أبى عبد الله عنك وعمّن فى ناحيتك بالحضرة وسائر النواحى ؛ ولم يجعل أمير المؤمنين بينَك وبينه أحدٌ يَرُؤُسك ، وخرج أمره بذلك إلى ولاة دواوينه .

فاعلم ذلك واكتب إلى عُمّالك بنسخة كتاب أمير المؤمنين هذا إليك ، وأوعِزْ إليهم فى العمل على حسبه . إن شاء الله ، والسلام .

---

(١) ف : « وشيعته ومواليه » .
(٢) ف : « بالعمل على حسب » .
(٣) ف : « من ولاية » .
(٤) ف : « وبترك الدعاء » .

وكتب أحمد بن الخصيب يوم السبت لعشر بقين من صفر سنة ثمان وأربعين ومائتين .

* * *

[ذكر الخبر عن وفاة المنتصر]

وفى هذه السنة توفِّىَ المنتصر .

* ذكر الخبر عن العلة التى كانت فيها وفاته والوقت الذى توفِّىَ فيه وقدر المدة التى كانت فيها حياته :

فأما العلّة التى كانت بها وفاته ؛ فإنه اختُلف فيها ، فقال بعضهم : أصابته الذّبحة فى حلْقه يوم الخميس لخمس بقين من شهر ربيع الأول ، ومات مع صلاة العصر من يوم الأحد لخمس ليال خلَوْن من شهر ربيع الآخر .

وقيل : تُوفِّىَ يوم السبت وقت العصر لأربع خلوْن من شهر ربيع الآخر ؛ وإن علّته كانت من ورم فى معِدته[1] ، ثم تصعّد إلى فؤاده فمات ؛ وإنّ علّته كانت ثلاثة أيام أو نحوها .

وحدّثنى بعضُ أصحابنا أنه كان وجد حرارة ، فدعا بعْضَ مَنْ كان يتطبّب له ، وأمره [2] بفصْده ، ففصده بمبْضع مسموم ، [3] فكان فيه منيته[3] ، وإن الطبيب الذى فصده انصرف إلى منزله ، وقد وجد حرارةً ، فدعا تلميذاً له ؛ فأمره بفصْده ووضع مباضعه بين يديه ليتخيّر أجودها ؛ وفيها المبضع المسموم الذى فُصد به المنتصر ؛ وقد نسيه فلم يجد التلميذ فى المباضع التى وُضعت بين يديه مبْضعاً أجود من المبضع المسموم ؛ ففصده به أستاذه وهو لا يعلم أمره ؛ فلمّا فصده[4] به نظر إليه صاحبه[5] فعلم[6] أنه هالك ؛ فأوصى من ساعته ، وهلك من يومه .

٣/١٤٩٦

(١) س : « قدمه » .
(٢) : « وأمر » .
(٣-٣) ف : « فمات من ذلك المبضع » .
(٤) ف : « فصد » .
(٥) س : « إلى صاحبه » .
(٦) ف : « فعرف » .

وقد ذكر أنه وُجد فى رأسه علّة فقطّر ابن الطيفوريّ فى أذنه دُهناً، فورم رأسه ، وعوجل فمات . وقد قيل : إن ابن الطيفوريّ إنما سمّه فى محاجمه .

قال أبو جعفر : ولم أزل أسمع الناس حين أفضت إليه الخلافة من لَدُنْ وَلِيَ إلى أن مات يقولون : إنما مدّة حياته ستة أشهر ، مدّة شيرويه ابن كسرى قاتل أبيه ، مستفيضاً ذلك على ألسن العامة والخاصة .

وذُكر عن يُسْر الخادم ؛ وكان – فيما ذكر – يتولى بيت المال للمنتصر فى أيام إمارته ، أنه قال : كان المنتصر يوماً من الأيام فى خلافته نائماً فى إيوانه ، فانتبه وهو يبكى وينتحب ؛ قال : فهِبْته أن أسأله عن بكائه ، ووقفتُ وراء الباب ؛ فإذا عبد الله بن عمر البازيار قد وافى فسمع نحيبه وشهيقه ، فقال لى : ما له ؟ ويحك يا يسر ! فأعلمته أنه كان نائماً فانتبه باكياً ، فدنا منه ، فقال له : ما لك يا أمير المؤمنين تبكى لا أبكى الله عينك ؟ ! قال : ادنُ منى يا عبد الله ؛ فدنا منه فقال له : كنت نائماً ، فرأيت فيما يرى النائم كأنّ المتوكل قد جاءنى ، فقال لى : ويلك يا محمد ! قتلتنى وظلمتنى وغبنْتنى فى خلافتى ؛ والله لا تمتّعت بها بعدى إلا أياماً يسيرة ، ثم مصيرك إلى النار . فانتبهتُ ، وما أملك عينى ولا جزعى . فقال له عبد الله : هذه رؤيا ؛ وهى تصدق وتكذب ، بل يعمّرك ويسرّك الله؛ فادع الآن بالنبيذ ، وخذ فى اللهو ، ولا تعبأ بالرؤيا . قال : ففعل ذلك ؛ وما زال منكسراً إلى أن تُوفّىَ .

١٤٩٧/٣

وذكر أنّ المنتصر كان شاور فى قتل أبيه جماعةً من الفقهاء ، وأعلمهم بمذاهبه ، وحكى عنه أموراً قبيحة كرهت ذكرها فى الكتاب ؛ فأشاروا عليه بقتله ؛ فكان من أمره ما ذكرنا بعضه .

وذُكر عنه أنه لما اشتدّت به علّته ؛ خرجت إليه أمّه فسألته عن حاله ، فقال : ذهبتْ والله منى الدنيا والآخرة .

قال إبراهيم بن جيش : حدثنى موسى بن عيسى الكاتب ، كاتب عمى يعقوب وابن عمى يزيد ، أنّ المنتصر لما أفضت الخلافة إليه ، كان يُكثر إذا سكر قتلَ أبيه المتوكل ، ويقول فى الأتراك : هؤلاء قتَلة الخلفاء ، ويذكر من ذلك ما تخوّفوه ، فجعلوا لخادم له ثلاثين ألف دينار على أن يحتال فى سمّه ،

وجعلوا لعليّ بن طيفور جملة ، وكان المنتصرُ يكثر أكل الكمثرى إذا قُدّمت إليه الفاكهة ، فعمد ابن طيفور إلى كمّثراة كبيرة نضيجة ، فأدخل فى رأسها خلالة ، ثم سقاها سمًّا ، فجعلها الخادم فى أعلى الكمثرى الذى قدّمه إليه ، فلما نظر إليها المنتصر أمره أن يَقْشرها ويطعمه إياها ، فقشرها وقطعها ، ثم أعطاه قطعة قطعة حتى أتى عليها ، فلما أكلها وجد فترةً ، فقال لابن طيفور : أجد حرارة ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ احتجم تبرأ من علّة الدّم ، وقدّر أنه إذ خرج الدم قوى عليه السمّ . فحجم فحُمّ ، وغلظت علّته عليه . فتخوف هو والأتراك أن تطول علته ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنّ الحجامة لم يكن فيها ما قدّرْنا فى عافيتك ، وتحتاج إلى الفَصد ؛ فإنه أنجح لما تريد ، فقال : أفعل ، ففَصده بمبضع مسموم ، ودهش ، فألقاه فى مباضعه — وكان أحدّها وأجودها . ثم إن عليّ بن طيفور ، وجد حرارة ، فدعا تلميذاً له ليفصده ، فنظر فى المباضع فلم يجد أحدّ منه ، ولا أخير ففصده ، فكانت منيته فيه[1] .

وذكر عن ابن دهقانة أنه قال : كنا فى مجلس المنتصر يومًا بعد ما قتِل المتوكل ، فتحدّث المسدود الطنبوريّ بحديث ، فقال المنتصر : متى كان هذا ؟ فقال : ليلة لاناه ولا زاجر ؛ فأحفظ ذلك المنتصر .

٣/١٤٩٨ وذُكر عن سعيد بن سلمة النصرانيّ أنه قال : خرج علينا أحمد بن الخصيب مسروراً يذكر أن أمير المؤمنين المنتصر رأى فى ليلة فى المنام ؛ أنه صعد دَرَجَةً حتى انتهى إلى خمس وعشرين مِرْقاةً منها ؛ فقيل له : هذا ملكك ؛ وبلغ الخبر ابنَ المنجّم ، فدخل عليه محمد بن موسى وعليّ بن يحيى المنجّم مهنئين له بالرؤيا ، فقال : لم يكن الأمر على ما ذُكر لكم أحمد ابن الخصيب ؛ ولكنى حين بلغتُ آخر المراقى ، قيل لى : قف فهذا آخر عمرك ؛ واغتمّ لذلك غمًّا شديداً ، فعاش بعد ذلك أيامًا تتمّة سنة ، ثم مات وهو ابن خمس وعشرين سنة .

وقيل : تُوفّيَ وهو ابن خمس وعشرين سنة وستة أشهر .

وقيل : بل كان عمره أربعاً وعشرين سنة ، وكانت مدة خلافته ستة أشهر

---

(١) هذا الخبر ساقط من ط ، وأثبته من ا .

فى قول بعضهم ويومين .

وقيل : كانت ستة أشهر سواء .

وقيل : كانت مائة يوم وتسعة وسبعين يوماً .

وكان وفاته بسامرّا بالقصر المحدث ، بعد أن أظهر فى إخوته ما أظهر بأربع وأربعين ليلة ؛ وذكر أنه لما حضرته الوفاة قال :

فما فَرِحَتْ نفسى بدُنْيَا أخذتها ولكنْ إلى الربِّ الكريم أصيرُ

وصلّى عليه أحمد بن محمد بن المعتصم بسامُرّا ؛ وبها كان مولده .

وكان أعيَنَ أقنى قصيرًا جَيِّد البَضعة . وكان — فيما ذكر — مهيباً .

١٤٩٩/٣ وهو أول خليفة من بنى العباس — فيما يعد — عرف قبره ؛ وذلك أن أمه طلبت إظهار قبره .

وكانت كنيته أبا جعفر واسم أمه حبشيّة وهى أمّ ولد روميّة .

* * *

ذكر بعض سيره

ذكر أن المنتصر لمّا ولىَ الخلافة كان أول شىء أحدث من الأمور عزْل صالح عن المدينة وتولية علىّ بن الحسين بن إسماعيل بن العباس بن محمد إياها ؛ فذُكر عن علىّ بن الحسين ، أنه قال : دخلت عليه[1] أودّعه ، فقال لى : يا علىّ ، إنى أوجّهك[2] إلى لحمى ودمى — ومدّ جِلْد ساعده — وقال : إلى هذا وجّهتك[3] ، فانظر كيف تكون للقوم ، وكيف تعاملهم ! يعنى آل أبى طالب ، فقلت : أرجو أن أمتثل رأى أمير المؤمنين أيدّه الله فيهم إن شاء الله ؛ فقال : إذًا تسعد بذلك عندى

وذُكِر عن محمد بن هارون ، كاتب محمد بن علىّ برد الخيار وخليفته على ديوان ضياع إبراهيم المؤيد ، أنه أصيب مقتولاً على فراشه ، به عدّة ضربات

(١) ف : « إليه » . (٢) ف : « إنى موجهك » .
(٣) ف : « موجهك » .

بالسيف ، فأحضر ولدُه خادماً أسود كان له ووصيفاً ، ذكر أن الوصيف ٣/١٥٠٠ أقرّ على الأسود ، فأدخل على المنتصر ، وأحضر جعفر بن عبد الواحد ، فسئل عن قتله مولاه[١] ، فأقرّ به ، ووصف فعله به وسبب قتله إياه ، فقال له المنتصر : ويلك ! لم[٢] قتلته ؟ فقال له الأسود : لما قتلتَ أنت أباك المتوكل! فسأل الفقهاء فى أمره[٣] ، فأشاروا[٤] بقتله ، فضرب عنقه وصلّبه ، عند خشبة بابك .

* * *

وفى هذه السنة حكّم محمد بن عمرو الشارى ، وخرج بناحية الموصل ، فوجّه إليه المنتصر إسحاق بن ثابت الفرغانىّ ، فأخذه أسيراً مع عدّة من أصحابه ، فقتلوا وصُلبوا .

وفيها تحرّك يعقوب بن الليث الصفار من سجستان ، فصار إلى هَرَاة .

وذكر عن أحمد بن عبد الله بن صالح صاحب المصلّى أنه قال : كان لأبى مؤذّن ، فرآه بعض أهلنا فى المنام كأنه أذّن أذاناً لبعض الصلوات ؛ ثم دنا من بيت فيه المنتصر ، فنادى : يا محمد ، يا منتصر ، إنّ ربّك لبالمرْصاد .

وذكر عن بُنان المغنّى — وكان فيما قيل أخصّ الناس بالمنتصر فى حياة أبيه وبعد ما ولى الخلافة — أنه قال : سألت المنتصر أن يهب لى ثوبَ ديباج وهو خليفة ؛ فقال : أوَخير لك من الثوب الديباج ؟ قلت : وما هو ؟ قال : تمارض حتى أعودك ؛ فإنه سيهدَى لك أكثرُ من الثوب الديباج ؛ قال : فمات ٣/١٥٠١ فى تلك الأيام ، ولم يهب لى شيئاً .

* * *

وفى هذه السنة بويع بالخلافة أحمد بن محمد بن المعتصم .

---

(١) ف : « إياه » . (٢) ف : « كيف » .
(٣) ف : « عن أمره » . (٤) بعدها فى ف : « عليه » .

خلافة أحمد بن محمد بن المعتصم

وهو المستعين ويكنى أبا العباس

* ذكر الخبر عن سبب ولايته والوقت الذى بويع له فيه :

ذُكر أنّ المنتصر لما توفّىّ ؛ وذلك يوم السبت عند العصر لأربع خلوْن من شهر ربيع الآخر من سنة ثمان وأربعين ومائتين ، اجتمع الموالى إلى الهارونىّ يوم الأحد ، وفيهم بُغا الصغير وبغا الكبير أوتامش ومَنْ معهم ، فاستحلفوا قوّاد الأتراك والمغاربة والأشروسنيّة — وكان الذى يستحلفهم علىّ بن الحسين ابن عبد الأعلى الأسكافىّ كاتب بغا الكبير — على أن يرضوْا بمن يرضى به بُغا الصغير وبغا الكبير أوتامش ، وذلك بتدبير أحمد بن الخصيب ، فحلف القوم وتشاوروا بينهم ، وكرهوا أن يتولّى الخلافة أحدٌ من ولد المتوكل ؛ لقتلهم أباه[1] ، وخوفهم أن يغتالهم مَنْ يتولى الخلافة منهم ؛ فأجمع أحمد بن الخصيب ومَنْ حضر[2] من الموالى على أحمد بن محمد بن المعتصم ، فقالوا : لا نُخرج الخلافة من ولد مولانا المعتصم ؛ وقد كانوا قبله ذكروا جماعة من بنى هاشم ؛ فبايعوه وقت العشاء الآخرة من ليلة الاثنين ، لست خلوْن من شهر ربيع الآخر من السنة ؛ وهو ابن ثمان وعشرين سنة ، ويكنى أبا العباس . ٣/١٥٠٢

٣/١٥٠٣ فاستكتب أحمد بن الخصيب ، واستوزر أوتامش . فلما كان يوم الاثنين لست خلوْن من شهر ربيع الآخر صار إلى دار العامة من طريق العمرىّ بين البساتين ، وقد ألبسوه الطويلة وزىّ الخلافة ؛ وحمل إبراهيم بن إسحاق بين يديه الحربة قبل طلوع الشمس ، ووافى واجن الأشروسنىّ باب العامّة من طريق الشارع على بيت المال ، فصفّ أصحابه صفين ، وقام فى الصفّ هو وعِدّة من وجوه أصحابه ، وحضر الدار أصحابُ المراتب من ولد المتوكّل والعباسيين والطالبيّين وغيرهم ممن لهم مرتبة ؛ فبيناهم كذلك ، وقد مضى من النهار ساعة ونصف ؛ جاءت صيحة من ناحية الشارع والسوق ؛ فإذا نحوٌ من خمسين فارسًا من الشاكرية ؛ ذكروا أنهم من أصحاب

(١) ف : « المتوكل » . (٢) ف : « حضره » .

أبى العباس محمد بن عبد الله ، ومعهم قوم من فرسان طبرية وأخلاط من الناس ومعهم من الغوغاء والسوقة نحو من ألف رجل ؛ فشهروا السلاح ، وصاحوا : يامعتزّ[1] يا منصور ، وشدّوا على صفّي الأشروسنيّة اللّذين صفّهما واجن ، فتضعضعوا ، وانضم بعضهم إلى بعض ، ونفر من على باب العامة من المبيّضة مع الشاكريّة ، فكثروا[2] ، فشدّ عليهم المغاربة والأشروسنيّة ، فهزموهم حتى أدخلوهم الدّرب الكبير المعروف بزُرافة وعزّون . وحمل قوم منهم على المعتزّية ، فكشفوهم ؛ حتى جاوزوا بهم دار أخى عزّون بن إسماعيل وهم فى مضيق الطريق ، فوقف المعتزّية هنالك ، ورمى الأشروسنية عدّة منهم بالنّشاب ، وضربوهم بالسيوف ، ونشبت الحرب بينهم ؛ وأقبلت المعتزّية والغوغاء يكبّرون ؛ فوقعت بينهم قتلى كثيرة ؛ إلى أن مضى من النهار ثلاث ساعات . ثم انصرف الأتراك وقد بايعوا أحمد بن محمد بن المعتصم ؛ وانصرفوا مما يلى العمرىّ والبساتين ، وأخذ الموالى قبل انصرافهم البيْعة على من حضر الدار من الهاشميين وغيرهم وأصحاب المراتب . وخرج المستعين من باب العامّة منصرفاً إلى الهارونىّ ، فبات هنالك . ومضى الأشروسنيّة إلى الهارونىّ ، وقد قُتِل من الفريقين عددٌ كثير ، ودخل قوم من الأشروسنيّة دوراً ، فظفرت بهم الغوغاء ، فأخذوا دروعهم وسلاحهم وجواشنهم ودوابّهم ، ودخل الغوغاء والمنتهبة دار العامّة منصرفين إلى الهارونىّ ، فانتهبوا الخزانة التى فيها السلاح والدروع والجواشن واللجم المغربية وأكثروا منها ؛ وربّما مرّ أحدهم بالجواشن والحراب فأكثر ، وانتهبوا فى دار أرمش ابن أبى أيوب بحضرة أصحاب الفقّاع تراس خيزران وقناً بلا أسنّة ؛ فكثرت الرّماح والتراس فى أيدى الغوغاء وأصحاب الحمامات وغلمان الباقِلّى ، ثم جاءتهم جماعة من الأتراك منهم بُغا الصغير من درب زُرافة ، فأجلوهم من الخزانة ، وقتلوا منهم عدة ، وأمسكوا قليلا . ثم انصرف الفريقان ، وقد كثرت القتلى بينهم ؛ وأقبل الغوغاء لا يمرّ أحد من الأتراك من أسافل سامُرّا يريد باب العامة إلا انتهبوا سلاحه ، وقتلوا جماعة منهم عند دار مبارك المغربى ، وعند دار حبش[3]

٣/١٠٠٤

٣/١٠٠٥

---

(١) كذا فى ف ، وفى ط : « معتز » ، بدون « يا » .

(٢) س : « فكبروا » .

(٣) كذا فى ا ، وفى ط من غير نقط .

أخي يعقوب قوصرّة فى شوارع سامرّا ، وعامّة من انتهب — فيما ذكر — هذا السلاح أصحاب الفقّاع والناطف وأصحاب الحمّامات والسقاءون وغوغاء الأسواق ؛ فلم يزل ذلك أمرهم إلى نصف النهار ، وتحرّك أهل السجن بسامرّا فى هذا اليوم ، فهرب منهم جماعة ، ثم وضع العطاء على البيعة ، وبعث بكتاب البيعة إلى محمد بن عبد الله بن طاهر فى اليوم الذى بُويع له فيه ، وكان وصوله إلى محمد فى اليوم الثانى ، ووافى به أخ لأتامش ومحمد بن عبدالله فى نزهة له ، فوجّه الحاجب إليه ، وأعلمه مكانه ، فرجع من ساعته ، وبعث إلى الهاشميّين والقوّاد والجند ، ووضع لهم الأرزاق .

* * *

١٥٠٦/٣ وورد فى هذه السنة على المستعين وفاة طاهر عبد الله بن طاهر بخراسان فى رجب ، فعقد المستعين لابنه محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر على خراسان ، ولمحمد بن عبد الله على العراق ، وجعل إليه الحرمين والشرْطة ومعاون السواد برأسه وأفرده به ، وعقد فى الجوسق لمحمد بن طاهر بن عبد الله ابن طاهر على خراسان والأعمال المضمومة إليها خاصّة يوم السبت لاثنتى عشرة ليلة خلتْ من شعبان .

ومرض بُغا الكبير فى جمادى الآخرة ، فعاده المستعين فى النصف منها ، ومات بغا من يومه ، فعقد لموسى ابنه على أعماله وعلى أعمال أبيه كلّها . ووُلّى ديوان البريد .

* * *

وفى هذه السنة وجّه أنوجو التركيّ إلى أبى العمود الثعلبيّ ، فقتله يوم السبت بكَفَرْ توثَى لخمس بقين من شهر ربيع الآخر .

وفيها خرج عبيد الله بن يحيى بن خاقان إلى الحجّ ؛ فوجّه خلفه رسول من الشيعة اسمه شعيب بنفيه إلى بَرْقة ، ومنعه من الحجّ .

١٥٠٧/٣ وفيها ابتاع المستعين من المعتزّ والمؤيد فى جمادى الأولى منها جميع ما كان لهما ، خلا شيئًا استثنى منه المعتزّ قيمته مائة ألف دينار ، وأخذ له ولإبراهيم غلة بثمانين ألف دينار فى السنة ؛ فلمّا كان يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت

من رمضان ابتيع من المعتز والمؤيد جميعُ ما لهما من الدّور والمنازل والضّياع [١] والقصور والفُرش والآلة وغير ذلك بعشرين ألف دينار ، وأشهدا [٢] عليهما بذلك الشهود والعُدول والقضاة وغيرهم . وقيل : ابتيع [٣] ما لهما من الضياع وترك إلى أبي عبد الله ما يكون غلّته من العَيْن في السنة عشرين ألف دينار [٤] ، ولإبراهيم ما تبلغ قيمة غلّته في السنة خمسة [٥] آلاف دينار ؛ فكان ما ابتيع من أبي عبد الله بعشرة آلاف ألف ألف دينار وعشر حبّات لؤلؤ ، ومن إبراهيم بثلاثة آلاف ألف درهم وثلاث حبات لؤلؤ ؛ وأشهدا عليهما [٦] بذلك الفقهاء والقضاة . وكان الشّراء باسم الحسن بن مخلد للمستعين ، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين وحُبِسا في حجرة الجوسق ، ووُكّل بهما ، وجعل أمرهما إلى بغا الصغير ؛ وكان الأتراك قد أرادوا حين شغّب الغوغاء والشاكريّة قتلهما ؛ فمنعهم من ذلك أحمد بن الخصيب ، وقال : ليس لهما ذنب ولا المشغّبة من أصحابهما ، وإنما المشغّبة من أصحاب ابن طاهر ، ولكن احبسوهما فحُبسا . ١٥٠٨/٣

وفيها غضب الموالي على أحمد بن الخصيب ؛ وذلك في جُمادى الأولى منها ، واستصفي ماله ومال ولده ، ونُفي إلى إقريطش .

وفيها صرف عليّ بن يحيى عن الثغور الشاميّة ، وعقد له على إرمينيَة وأذْرَبيجان في شهر رمضان من هذه السنة .

وفيها شَغّب أهلُ حمص على كيدر بن عبيد الله عامل المستعين عليها فأخرجوه منها ، فوجّه إليهم الفضل بن قارن ، فمكَر بهم حتى أخذهم ، وقتل منهم خلقًا كثيراً ، وحمل منهم [٧] مائة رجل من عيونهم إلى سامرّا ، وهدم سورهم .

وفيها غزا الصائفة وصيف ، وكان مقيماً بالثغر الشأميّ حتى ورد عليه موت

---

(١) ا ، ف : « والمتاع » .
(٢) ف : « وأشهد » .
(٣) بعدها في ف : « جميع » .
(٤) ف : « درهم » .
(٥) س : « عشرة » .
(٦) ف : « وأشهد عليهم » .
(٧) ف : « وأخذ منهم » .

المنتصر ، ثم دخل بلاد الروم ؛ فافتتح حصناً يقال[1] له فرورية ، وعقد المستعين فيها لأوتامش على مصر والمغرب واتخذه وزيراً .

وفيها عقد لبُغا الشرابىّ على حُلْوان وماسبذان ومهرجان قَذق ، وصيّر المستعين شاهك الخادم على دارِه وكُراعه وحرمه وخزائنه وخاصّ أموره ، وقدّمه أوتامش على جميع الناس .

٣/١٥٠٩ وحجّ بالناس فى هذه السنة محمد بن سليمان الزينبىّ .

(١) ف : « يدعى » .

ثم دخلت سنة تسع وأربعين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك غزو جعفر بن دينار الصائفة ، فافتتح[1] حصناً ومطامير ، واستأذنه عمر بن عبيد الله الأقطع فى المصير إلى ناحية من بلاد الرّوم ؛ فأذن له ، فسار ومعه خلْق كثير من أهل مَلَطْيَة : فلقيه الملك فى جمْع من الروم عظيم بموضع ، يقال له أرز من مَرْج الأسقفّ ، فحاربه بمَنْ معه محاربة شديدة ، قتل فيها خلق كثير من الفريقين ، ثم أحاطت به الرُّوم وهم خمسون ألفًا ، فقتل عمر وألفا رجل من المسلمين ؛ وذلك فى يوم الجمعة للنِّصف من رجب .

* * *

[خبر قتل علىّ بن يحيى الأرمنىّ]

وفيها قتل علىّ بن يحيى الأرمنىّ .

* ذكر الخبر عن سبب قتله :

ذُكر أن الروم لما قتلت عمر بن عبيد الله[2] ، خرجوا إلى الثغور الجزريّة ، وكلبوا عليها وعلى حرم المسلمين بها ، فبلغ ذلك علىّ بن يحيى وهو قافل من إرمينيَة إلى ميّافارقين ، فنفر إليهم فى جماعة من أهل مَيّافارِقين والسلسلة ، فقُتل فى نحو من أربعمائة رجل ، وذلك فى شهر رمضان .

٣/١٥١٠

* * *

[شغب الجند والشاكرية ببغداد]

وشغب الجند والشاكريّة ببغداد فى هذه السنة فى أوّل يوم من صفر .

(١) ف : « ففتح » .
(٢) ط : « عبيد » .

* ذكر الخبر عن السبب فى ذلك :

وكان السبب فى ذلك أنّ الخبر لما اتّصل بأهل مدينة السلام وسامرّا وسائر ما قرب منهما من مُدُن الإسلام بمقتل عمر بن عبيد الله الأقطع وعلىّ بن يحيى الأرمنىّ — وكانا نابين من أنياب المسلمين ، شديداً بأسهما ، عظيماً غَناؤهما عنهم فى الثغور التى هما بها — شقّ ذلك عليهم ، وعظم مقتلُهما فى صدورهم ، مع قُرْب مقتل أحدهما من مقتَل الآخر ، ومع ما لحقهم من استفظاعهم من الأتراك قتْلَ المتوكل واستيلائهم على أمور المسلمين ، وقتلهم من أرادوا قتله من الخلفاء ، واستخلافهم من أحبّوا استخلافه من غير رجوع منهم إلى ديانة ، ولا نظر للمسلمين ؛ فاجتمعت العامّة ببغداد بالصُّراخ والنداء بالنفير ، وانضمت إليها الأبناء والشاكريّة تُظهر أنها تطلب الأرزاق ؛ وذلك أوّل يوم من صفر ، ففتحوا سجن نصر بن مالك ، وأخرجوا مَنْ فيه وفى القنطرة بباب الجسر ؛ وكان فيها جماعة — فيما ذكر — من رفوغ[1] خراسان والصعاليك من أهل الجبال والمحمّرة وغيرهم ، وقطعوا أحد الجسرين وضربوا الآخر بالنار ، وانحدرت سُفُنه ، وانتُهب ديوان قصص المحبّسين ، وقطعت الدفاتر ، وألقيت فى الماء ، وانتهبوا دار بشر وإبراهيم ابنى هارون النصرانيّين كاتبى محمد بن عبد الله ؛ وذلك كله بالجانب الشرقىّ من بغداد . وكان والى الجانب الشرقى حينئذ أحمد بن محمد بن خالد بن هرثمة . ثم أخرج أهلُ اليسار[2] من أهل بغداد وسامُرّا أموالا كثيرة من أموالهم ، فقوّوا مَن خفّ للنهوض إلى الثغور لحرب الرّوم بذلك ؛ وأقبلت العامة من نواحى الجبل[3] وفارس والأهواز وغيرها لغزو الروم ؛ فلم يبلغنا أنه كان للسلطان فيما كان من الرّوم إلى المسلمين من ذلك تغيير ، ولا توجيه جيش إليهم لحربهم فى تلك الأيام .

٣/١٥١١

ولتسع بقين من شهر ربيع الأول ، وثب نفر من النّاس لا يُدْرَى مَنْ هم يوم الجمعة بسامُرّا ، ففتحوا السجن بها ، وأخرجوا مَنْ فيه ، فوجّه فى طلب النّفر الذين فعلوا ذلك زُرافة فى جماعة من الموالى ، فوثبت بهم العامّة فهزموهم ، ثم ركب فى ذلك

---

(١) الرفوغ : النواحى .
(٢) س : « البساتين » .
(٣) ف : « الجبال » .

أوتامش ووصيف وبغا وعامة الأتراك، فقتلوا من العامة جماعة ، وألْقِيَ على وصيف — فيما ذكر لى — قدر مطبوخ ، ويقال : بل رماه قوم من العامة عند السريجة[1] بحجر ؛ فأمر وصيف النفاطين ، فقذفوا ما هنالك من حوانيت التجار ومنازل الناس بالنار ؛ فأنا رأيت ذلك الموضع محترقًا ؛ وذلك بسامرّا عند دار إسحاق . ١٥١٢/٣

وذُكر أن المغاربة انتهبتْ منازل جماعة من العامة فى ذلك اليوم ، ثم سكن الأمر فى آخر ذلك اليوم ، وعُزل بسبب ما كان من العامة والنفر الذين ذكرت فى ذلك اليوم من الحركة ، أحمد بن جميل عمّا كان إليه من المعونة بسامُرّا ، وولى مكانه إبراهيم بن سهل الدّارج .

* * *

[ذكر خبر قتل أوتامش وكاتبه]

وفى هذه السنة قُتِل أوتامش وكاتبه شجاع بن القاسم ؛ وذلك يوم السبت لأربع عشرة خلوْن من شهر ربيع الآخر منها .

* ذكر الخبر عن سبب مقتله :

ذُكر أن المستعين لما أفضت إليه الخلافة ، أطلق يد أوتامش وشاهَك الخادم فى بيوت الأموال ، وأباحهما فِعْل ما أرادا فعله فيها ، وفعل ذلك أيضًا بأمّ نفسه ، فلم يمنعها من شىء تريده ؛ وكان كاتبها سلمة بن سعيد النصرانىّ ، وكانت الأموال التى ترد على السلطان من الآفاق إنما يصير معظمها إلى هؤلاء الثلاثة الأنفس ، فعمِد أوتامش إلى ما فى بيوت الأموال من الأموال فاكتسحه ؛ وكان المستعين قد جعل ابنه العباس فى حِجْر أوتامش ؛ فكان ما فضَل من الأموال عن هؤلاء الثلاثة الأنفس يؤخذ للعباس ، فيصرَف فى نفقاته وأسبابه — وصاحب ديوان ضياعه يومئذ دُلَيْل — فاقتطع من ذلك[2] أموالاً جليلة لنفسه ؛ وجعلت الموالى تنظر إلى الأموال تُستهلك ؛ وهم فى ضِيقة ، وجعل أوتامش وهو صاحب المستعين وصاحب أمره ، والمستولى عليه يُنفِذُ أمور الخلافة ؛ ووصيف ١٥١٣/٣

---

(١) ط : « الشريجة » تصحيف . (٢) ا : « تنهب » .

وبُغا من ذلك كلّه بمعزل ، فأغريا الموالى به ، ولم يزالا يدبّران الأمر عليه حتى أحكما التدبير ، فتذمّرت الأتراك والفراغنة على أوتامش ، وخرج إليه منهم يوم الخميس لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر من هذه السنة أهل الدُّور والكرْخ ، فعسكروا وزحفوا إليه وهو فى الجَوْسق مع المستعين .

وبلغه الخبر ، فأراد الهرب ، فلم يمكنه ، واستجار بالمستعين فلم يجِرْه فأقاموا على ذلك من أمرهم يوم الخميس ويوم الجمعة ؛ فلما كان يوم السبت دخلوا الجوسق ، فاستخرجوا أوتامش من موضعه الذى توارى فيه ، فقتِل وقتل كاتبهُ شجاع بن القاسم ، وانتهبت دار أوتامش ، فأخذ منها — فيما بلغنى — أموالٌ جليلة ومتاع وفرش وآلة .

ولما قُتل أوتامش استوزر المستعين أبا صالح عبد الله بن محمد بن يزداد ، وعزل الفضل بنَ مروان عن ديوان الخراج ، ووليه عيسى بن فرّخانشاه ، وولى وصيف الأهواز ، وبغا الصغير فلَسطين فى شهر ربيع الآخر. ثم غضب بغا الصغير وحزبهُ على أبى صالح بن يزداد ، فهرب أبو صالح إلى بغداد فى شعبانْ ، وصيّر المستعين مكانه محمد بن الفضل الجرجرائىّ ؛ فصيّر ديوان الرسائل إلى سعيد بن حُميد رياسةً ، فقال فى ذلك الحمدونىّ : ٣/١٥١٤

لَبِسَ السَّيفَ سعيدٌ بعدما عاشَ ذا طِمْرَيْنِ لا نَوْبَةَ لَهْ
إنَّ لِلهِ لآياتٍ وذَا آيةٌ لِلهِ فينا مُنزَلَهْ

* * *

[مقتل علىّ بن الجهم]

وفيها قُتِل علىّ بن الجهم بن بدر ؛ وكان سبب ذلك أنه توجّه من بغداد إلى الثغر ، فلما كان بقرب حلَب بموضع يقال له خساف ؛ لقيته خيل لكلْب ، فقتلته ، وأخذ الأعراب ما كان معه ، فقال وهو فى السياق :

أَزِيدَ فى الليلِ لَيْلُ أَمْ سالَ بالصبح سَيْلُ[1]

(١) ديوانه ١٧٠ .

ذَكَرْتُ أَهلَ دُجَيْلٍ وأَينَ منى دُجَيْلُ !

وكان منزله فى شارع الدّجيل .

* * *

وفيها عزل جعفر بن عبد الواحد عن القضاء ، ووليه جعفر بن محمد بن عمار البرجمىّ من أهل الكوفة ؛ وقد قيل إن ذلك فى سنة خمسين ومائتين . ٣/١٥١٥

وفيها أصاب أهل الرىّ فى ذى الحجة زلزلة شديدة ورجْفة تهدّمت منها الدور ،ومات خلق من أهلها وهرب الباقون من أهلها من المدينة ؛ فنزلوا خارجها.

ومُطر أهل سامرّا يوم الجمعة لخمس[1] بقين من جمادى الأولى ؛ وذلك يوم السادس عشر من تمُّوز مطرٌ جَوْد برعد وبرق ، فأطبَق الغيم ذلك اليوم ؛ ولم يزل المطر جوْداً سائلا يومئذ إلى اصفرار الشمس ثم سكن .

وتحرّكت المغاربة فى هذه السنة يوم الخميس لثلاث خلوْن من جمادى الأولى ، وكانوا يجتمعون قرب الجسر بسامُرّا ، ثم تفرّقوا يوم الجمعة .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام وهو والى مكة .

(١) بعدها فى ف : « ليال » .

ثم دخلت سنة خمسين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ظهور يحيى بن عمر الطالبيّ ثم مقتله]

فمن ذلك ما كان من ظهور يحيى بن عمر بن يحيى بن حسين بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه ؛ المكنى بأبى الحسين بالكوفة ، وفيها كان مقتله رضى الله عنه .

٣/١٥١٦ * ذكر الخبر عن سبب ظهوره وما آل إليه أمره :

ذُكِر أنّ أبا الحسين يحيى بن عمر – وأمّه أم الحسين فاطمة بنت الحسين ابن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب – نالتْه ضيقة شديدة ، ولزمه دَيْن ضاق به ذرعًا ، فلقى عمرَ بن فرج – وهو يتولّى أمر الطالبيين – عند مقدَمه من خراسان أيام المتوكل ، فكلّمه فى صلته ، فأغلظ عليه عمر القول [1] ؛ فقذفه يحيى بن عمر فى مجلسه ، فحُبِس ، فلم يزل محبوساً إلى أن كفل[2] به أهلُه ، فأُطلِق ، فشخص إلى مدينة السلام ، فأقام بها بحال سيّئة ، ثم صار إلى سامُرّا ، فلقى وصيفاً فى رِزْق يُجرَى له ، فأغلظ له وصيفٌ فى القول ، وقال : لأىّ شىء يُجرى على مثلك ! فانصرف عنه .

فذكر ابن أبى طاهر أن ابن الصوفىّ الطالبىّ حدّثه ، أنه أتاه فى الليلة التى كان خروجه فى صبيحتها ، فبات عنده ، ولم يعلمه بشىء[3] مما عزم عليه ؛ وأنه عرض عليه الطّعام ، وتبيّن فيه أنه جائع ، فأبى أن يأكل ، وقال : إنْ عشنا أكلنا ، قال : فتبيّنت أنه قد عزم[4] على فتكة ؛ وخرج من عندى ؛

(١) من ف : « له فى القول » .
(٢) ف : « كفله » .
(٣) بعدها فى ف : « من أمره » .
(٤) ف : « عازم » .

فجعل وجهه إلى الكوفة ؛ وبها أيوب بن الحسن بن موسى بن جعفر بن سليمان عاملاً عليها من قِبَل محمد بن عبد الله بن طاهر ؛ فجمع يحيى بن عمر جَمْعاً كثيراً من الأعراب ، وضوى إليه جماعة من أهل الكوفة ، فأتى[١] الفلُّوجة ؛ فصار إلى قرية تعرف بالعمد؛ فكتب صاحب البريد بخبره ؛ فكتب محمد بن عبد الله بن طاهر إلى أيوب بن الحسن وعبد الله بن محمود السرخسيّ — وكان عامل محمد بن عبد الله على معاون السواد — يأمرهما بالاجتماع على محاربة يحيى ابن عمر — وكان على الخراج بالكوفة بدر بن الأصبغ — فمضى يحيى بن عمر في سبعة نفر من الفرسان إلى الكوفة فدخلها ، وصار إلى بيت مالها ؛ فأخذ ما فيه ؛ والذى وُجد فيه ألفا دينار وزيادة شيء ، ومن الورق سبعون ألف درهم ؛ وأظهر أمره بالكوفة وفتح السجنيْن ، وأخرج جميع من كان فيهما ؛ وأخرج عمّالها عنها ، فلقيه عبد الله بن محمود السرخسيّ — وكان في عداد الشاكريّة ، فضربه يحيى بن عمر ضربةً على قُصاص شعره[٢] في وجهه أثْخنته ؛ فانهزم ابن محمود مع أصحابه ، وحوى يحيى ما كان مع ابن محمود من الدوابّ والمال .

٣/١٥١٧

ثم خرج يحيى بن عمر من الكوفة إلى سوادها ، فصار إلى موضع يقال له بستان — أو قريباً منه — على ثلاثة فراسخ من جُنْبلاء ؛ ولم يقم بالكوفة ، وتبعتْه جماعة من الزيديّة ، واجتمعت على نُصرته جماعة من قرب من تلك الناحية من الأعراب وأهل الطُّفوف والسِّيب الأسفل ، وإلى ظهر واسط . ثم أقام بالبستان ، فكثُر جمعهُ ، فوجّه محمد بن عبد الله لمحاربته الحسينَ بن إسماعيل ابن إبراهيم بن مصعب ، وضمّ إليه من ذَوِي البأس والنجدة من قوّاده جماعة ؛ مثل خالد بن عمران وعبد الرحمن بن الخطاب المعروف بوجه الفَلْس ، وأبي السناء الغَنَدَويّ ، وعبد الله بن نصر بن حمزة ، وسعد الضِّبابيّ ، ومن الإسحاقية أحمد ابن محمد بن الفضل وجماعة من خاصّة الخراسانية وغيرهم .

٣/١٥١٨

وشخص الحسين بن إسماعيل ، فنزل بإزاء هَفَنْدَى في وجه يحيى بن عمر ، لا يقدم عليه الحسين بن إسماعيل ومَنْ معه ؛ وقصد يحيى نحو البحرية

(١) كذا في س ، وفي ط : « وأتى » .
(٢) قصاص الشعر : حيث ينتهى نبته من مقدمه أو مؤخره .

— وهى قرية بينها وبين قُسِّين خمسة فراسخ ، ولو شاء الحسين أن يلحقه لحقه — ثم مضى يحيى بن عمر فى شرقىّ السِّيب والحسين فى غربيّه ، حتى صار إلى أحمد أباذ فعبر إلى ناحية سُورا ، وجعل الجند لا يلحقون ضعيفاً عجز عن اللحاق بيحيى إلا أخذوه ، وأوقعوا بمن صار إلى يحيى بن عمر من أهل تلك القرى .

٣/١٥١٩ وكان أحمد بن الفرج المعروف بابن الفزارىّ يتولى معونة السِّيب لمحمد ابن عبد الله ، فحمل ما اجتمع عنده[1] من حاصل السِّيب قبل دخول يحيى بن عمر أحمد أباذ ، فلم يظفر به .

ومضى يحيى بن عمر نحو الكوفة ، فلقيه عبد الرحمن بن الخطاب وَجْهُ الفَلْس ، فقاتله بقرب جسر الكوفة قتالاً شديداً ، فانهزم عبد الرحمن بن الخطاب ، وانحاز إلى ناحية شاهى ، ووافاه الحسين بن إسماعيل ، فعسكر بها ، ودخل يحيى بن عمر الكوفة ، واجتمعت إليه الزيديّة ، ودعا إلى الرضا من آل محمد وكشَفَ أمره ، واجتمعت إليه جماعة من الناس وأحبّوه ، وتولاّه العامة من أهل بغداد — ولا يُعلم أنهم تولوا من أهل بيته غيره — وبايعه بالكوفة جماعة لهم بصائر وتدبير فى تشيُّعهم ؛ ودخل فيهم أخلاط لا ديانة لهم .

وأقام الحسين بن إسماعيل بشاهى ، واستراح وأراح أصحابه دوابّهم ، ورجعت إليهم أنفسهم ، وشربوا العذب من ماء الفُرات ؛ واتّصلت بهم الأمداد والميرة والأموال . وأقام يحيى بن عمر بالكوفة يعدّ العدد ، ويطبع السيوف ، ويعرض الرجال ، ويجمع السلاح .

٣/١٥٢٠ وإن جماعة من الزيديّة ممّن لا علم له[2] بالحرب ، أشاروا على يحيى بمعاجلة الحسين ، وألحّت عليه عوامّ أصحابه بمثل ذلك ، فزحف إليه من ظهر الكوفة من وراء الخندق ليلة الاثنين لثلاث عشرة خلت من رجب ، ومعه الهيضَم العِجلىّ ، فى فرسان من بنى عِجْل وأناس من بنى أسد ورجّالة من أهل الكوفة ليسوا بذوى علْم ولا تدبير ولا شجاعة ، فأسْرَوْا ليلتهم ؛ ثم صبّحوا حسيناً وأصحابه — وأصحابُ حسين مستريحون ومستعدّون — فثاروا إليهم[3] فى الغَلَس

(١) ف : « إليه » .
(٢) ف . « لهم » .
(٣) ف : « عليهم » .

فرموا ساعة ، ثم حمل عليهم أصحاب الحسين فانهزموا ، ووُضع فيهم السيف ؛ فكان أوّل أسير الهيضم بن العلاء بن جمهور العجلىّ ، فانهزم رجّالةُ أهل الكوفة ، وأكثرهم عُزْل بغير سلاح ، ضَعْفَى[1] القوى ، خلقان الثياب ؛ فداستهم الخيل ، وانكشف العسكر عن يحيى بن عمر ، وعليه جوشن تُبَّتِىّ ، وقد تقطّر به البرذون الذى أخذه من عبد الله بن محمود ، فوقف عليه ابنٌ لخالد بن عمران يقال له خير ؛ فلم يعرفه ، وظنّ أنه رجل من أهل خراسان ؛ لمّا رأى عليه الجوشن . ووقف عليه أيضًا أبو الغور بن خالد بن عمران ، فقال لخير بن خالد : يا أخى ، هذا والله أبو الحسين قد انفرج قلبه ؛ وهو نازل لا يعرف القصّة لانفراج قلبه ، فأمر خير رجلاً من أصحابه المواصلين[2] من العرفاء يقال له مُحْسِن بن المنتاب ، فنزل إليه فذبحه ، وأخذ رأسه وجعله فى قَوْصرّة[3] ، ووجّهه مع عمر بن الخطاب ، أخى عبد الرحمن بن الخطاب إلى محمد بن عبد الله بن طاهر . ٣/١٥٢١

وادّعى قتله غير واحد ، فذكر عن العرس بن عراهم أنهم وجدوه باركاً ، ووجدوا خاتمه مع رجل يعرف بالعسقلانىّ مع سيفه ، وادّعى أنه طعنه وسلبه ، وادّعى سعد الضِّبابىّ أنه قتله .

وذكر عن أبى الحسين خال أبى السناء أنه طعن فى الغلس رجلا فى ظهره لا يعرفه ، فأصابوا فى ظهر أبى الحسين طعنة ولا يُدْرَى مَنْ قتله ، لكثرة من ادّعاه ، وورد الرأس دار محمد بن عبد الله بن طاهر ، وقد تغيّر ، فطلبوا مَنْ يقوّر ذلك اللحم ، ويخرج الحدقة والغلْصمة[4] ، فلم يوجد ، وهرب الجزّارون ، وطُلب ممن فى السجن من الخرّمية الذبّاحين من يفعل ذلك فلم يقدم عليه أحد ، إلا رجل من عمال السجن الجديد ، يقال له سهل بن الصغدىّ ، فإنه تولى إخراج دماغه وعينيه وقوّره بيديه ، وحُشِى بالصبر والمسك والكافور بعد أن غسل وصُيّر فى القطن . وذكر أنهم رأوا بجنبيه ضربة بالسيف منكرة . ٣/١٥٢٢

(١) ف : « ضعاف » . (٢) س : « الموصليين » .
(٣) القوصرة ، بالتخفيف والتشديد : وعاء للتمر .
(٤) الغلصمة : اللحم بين الرأس والعنق .

ثم إنّ محمد بن عبد الله بن طاهر أمر بحمل رأسه إلى المستعين من غد اليوم الذى وافاه فيه، وكتب إليه بالفتح بيده ، ونصب رأسه بباب العامّة بسامُرّا ، واجتمع الناس لذلك ، وكثروا وتذمّروا، وتولّى إبراهيم الديرج نَصْبَه ؛ لأن إبراهيم بن إسحاق خليفة محمد بن عبد الله أمَرَه فنصبه لحظة ، ثم حطّ، وردّ إلى بغداد لينصب بها بباب الجسر؛ فلم يتهيّأ ذلك لمحمد بن عبد الله لكثرة مَن اجتمع من الناس. وذُكر لمحمد بن عبد الله أنهم على أخذه اجتمعوا، فلم ينصبه ،وجعله فى صندوق فى بيت السلاح فى داره، ووجّه الحسين ابن إسماعيل بالأسرَى ورءوس مَنْ قتل معه مع رجل يقال له أحمد بن عصمويه ، ممّن كان مع إسحاق بن إبراهيم ، فكدّهم وأجاعهم وأساء بهم ؛ فأمر بهم فحبسوا فى سجن الجديد ، وكتب فيهم محمد بن عبد الله يسأل الصفح عنهم ، فأمر بتخليتهم ، وأن تدفن الرءوس ولا تُنصب ، فدفنت فى قصر بباب الذهب .

وذُكِر عن بعض الطاهريّين أنه حضر مجلس محمد بن عبد الله وهو يُهنّأ بمقتل يحيى بن عمرو بالفتح وجماعة من الهاشميين والطالبيّين وغيرهم حضور ؛ فدخل عليه داود بن القاسم[1] أبو هاشم الجعفرىّ فيمن دخل ، فسمعهم يهنّئونه ، فقال : أيها الأمير ؛ إنك لتُهنّأ بقتل رجل لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيًّا لَعُزِّىَ به ! فما ردّ عليه محمد بن عبد الله شيئًا، فخرج أبو هاشم الجعفرىّ ، وهو يقول : ٣/١٥٢٣

يا بَنِى طاهرٍ كلُوهُ وَبِيًّا إن لحمَ النبِىِّ غيرُ مَرِىِّ
إنَّ وِترًا يكونُ طالِبَهُ اللـ ـهُ لَوِتْرٌ نجاحُهُ بالحَرِىِّ

وكان المستعين قد وجّه كلباتكين مددًا للحسين ومستظهرًا به ، فلحق حسينًا بعد ما هُزم القوم وقتل يحيى بن عمر ، فضى ومعهم صاحب بريد الكوفة فلقىَ جماعة ممّن كان مع يحيى بن عمر ، ومعهم أسوقة وأطعمة يريدون عسكر يحيى ؛ فوضع فيهم السَّيْف فقتلهم ، ودخل الكوفة ؛ فأراد أن

(١) ط : « الهيثم » ، صوابه من ا .

ينهبها ويضعَ السيفَ فى أهلها ، فمنعه الحسين ، وآمن الأسودَ والأبيض بها ؛ وأقام أياماً ثم انصرف عنها .

* * *

[ذكر خبر خروج الحسن بن زيد العلوىّ]

وفى هذه السنة كان خروج الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن ابن زيد بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب فى شهر رمضان منها .

* ذكر الخبر عن سبب خروجه:

حدّثنى جماعة من أهل طَبرِستان وغيرهم ؛ أنّ سبب ذلك كانَ أنّ محمد بن عبد الله بن طاهر لمّا جرى على يده ما جرى من قَتْل يحيى بن عمر ، ودخول أصحابه وجيشه الكوفةَ بعد فراغهم من قَتْل يحيى ، أقطعه المستعين من صوافى السلطان بطبرستان قطائعَ ؛ وأن من تلك القطائع التى أقطعها قطيعة فيما قرب من ثَغْرَىْ طبرستان ممّا يلى الدَّيْلَم ؛ وهما كلار وسالوس ، كان بحذائها[1] أرض لأهْل تلك الناحية فيها مرافق ، منها مُحْتَطبهم ومراعى مواشيهم ومسرح سارِحتهم ؛ وليس لأحد عليها مِلْك ؛ وإنما هى صحراء من موتان[2] الأرض ؛ غير أنها ذات غياض وأشجار وكلإ . ١٥٢٤/٣

فوجّه — فيما ذكر لى — محمد بن عبد الله بن طاهر أخًا لكاتبه بشر بن هارون النصرانىّ يقال له جابر بن هارون ، لحيازة ما أقطع هنالك من الأرض ، وعامل طَبَرِستان يومئذ سليمان بن عبد الله خليفة محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر ، أخو محمد بن عبد الله بن طاهر ، والمستولى على سليمان ، والغالب على أمره محمد بن أوس البلخىّ ؛ وقد فرّق محمد بن أوس ولده فى مدن طَبَرستان ، وجعلهم ولاتها ، وضمّ إلى كلّ واحد منهم مدينة منها ؛ وهم أحداث سُفَهاء ؛ قد تأذّى بهم وبسفههم مَنْ تحت أيديهم من الرعيّة[3] واستنكروا منهم ومن والدهم ومن سليمان بن عبد الله سفَهَهم وسيِرَهم فيهم ، وغلظ عليهم سوءُ ١٥٢٥/٣

(١) ا : « كادها » .
(٢) الموتان من الأرض : التى لم تحى بعد .
(٣) كذا فى ا ، ف ، وفى ط : « والرعية » .

أثرهم فيهم ؛ بقِصَص يطول الكتاب بشرح أكثرها .

ووَتَر مع ذلك — فيما ذُكر لى — محمد بن أوس الديلم بدخوله إلى ما قرب من بلادهم من حدود طَبَرستان ؛ وهم أهل سِلْم وموادعة لأهل طَبَرستان على اغترار من الدّيلم بما يلتمس بدخوله إليهم بغارة ، فسَبَى منهم وقتل، ثم انكفأ راجعًا إلى طبَرستان ، فكان ذلك مما زاد أهل طبرستان عليه حَنَقًا وغيظًا ؛ فلما صار رسول محمد بن عبد الله — وهو جابر بن هارون النصرانىّ — إلى طبرستان لحيازة ما أقْطَعه هنالك محمد، عمد — فيما قيل لى — جابر بن هارون إلى ما أقطع محمد بن عبد الله من صَوَافى السلطان فحازه ، وحاز ما اتّصل به من موات الأرض التى يَرْتفِق بها أهلُ تلك الناحية — فيما ذُكر — فكان فيما رام حيازته من ذلك المواتُ الذى بقرب من الثغريْن اللذّين يسمى أحدهما كلار[1] والآخر سالوس ؛ وكان فى تلك الناحية يومئذ رجلان معروفان بالبأس والشجاعة[2] ؛ وكانا مذكورين قديمًا بضبط تلك الناحية ممن رامها[3] من الدَّيْلم ، وبإطعام الناس بها وبالإفضال عن مَنْ ضوى[4] إليهما ؛ يقال لأحدهما محمد وللآخر جعفر ؛ وهما ابنا رستم أخوان ؛ فأنكرا ما فعل جابر بن هارون من حيازته الموَات الذى وصفت أمره ، ومانعاه ذلك

١٥٢٦/٣

وكان ابنا رستم فى تلك الناحية مُطاعيْن فاستنهضا مَنْ أطاعهما ممّن فى ناحيتهما لمنع جابر بن هارون من حيازة ما رام حيازَته من الموات الذى هو مَرْفق لأهل تلك الناحية — فيما ذُكر — وغير داخل فيما أقطعَه صاحبه محمد بن عبد الله ، فنهضوا معهما ، وهرب جابر بن هارون خوفًا على نفسه منهما وممن قد نهض معهما ، لإنكار ما رام جابر النصرانى فعلَه . فلحق بسليمان بن عبد الله ابن طاهر، وأيقن محمد وجعفر ابنا رستم ومَنْ نهض معهما فى منع جابر عما حاول من حيازة ما حاول حيازته من الموات الذى ذكرتُ بالشرّ ، وذلك أن عامل طبرستان كلّها سليمان بن عبد الله ؛ وهو أخو محمد بن عبد الله بن طاهر وعمّ محمد ابن طاهر بن عبد الله عامل المستعين على خُراسان وطبرستان والرّىّ والمشرق كله يومئذ .

---

(١) ا : « كلان » .
(٢) بعدها فى ف : « والنجدة » .
(٣) ف : « يرومها » .
(٤) ف : « انضوى » .

فلما أيقن القوم بذلك، راسلوا جيرانهم من الدَّيْلم ، وذكّروهم وفاءهم لهم بالعهد الذى بينهم وبينهم ، وما ركبهم به محمد بن أوس من الغدر والقتل والسبْى ، وأنهم لا يأمنون[١] من ركوبه إياهم بمثل الذى ركبهم به ، ويسألونهم مظاهرتهم عليه وعلى مَنْ معه ؛ فأعلمهم الديلم أنّ ما يلى أرضَهم من جميع نواحيها من الأرضين والبلاد ؛ إنما عمّالُها إمّا عمال لطاهر ؛ وإمّا عمال مَنْ يتّخذ[٢] آل طاهر إن احتاجُوا إلى إنجادهم ؛ وإن ما سألوا من معاونتهم لا سبيل لهم إليه إلا بزوال الخوْف عنهم من أن يُؤتَوا من قبل ظهورهم إذا هم اشتغلوا بحرْب من بين أيديهم من عمال سليمان بن عبد الله ؛ فأعلمهم الذّين سألوهم المظاهرة على حَرْب سليمان وعماله أنهم لا يغفلون عن كفايتهم ذلك ؛ حتى يأمنوا مما خافوا منه . فأجابهم الدَّيْلم إلى ما سألوهم من ذلك ، وتعاقدوا هم وأهل كلار وسالوس على معاونة بعضهم بعضاً على حَرْب سليمان ابن عبد الله وابن أوس وغيرهم ممن قصدهم بحرب .

١٥٢٧/٣

ثم أرسل ابنا رستم محمد وجعفر — فيما ذكر — إلى رجل من الطالبيّين المقيمين كانوا يومئذ بطبَرستان، يقال له محمد بن إبراهيم، يدعونه إلى البَيْعة له ، فأبى وامتنع عليهم، وقال لهم : لكنى أدلّكُم على رجل منا هو[٣] أقوم بما دعوتموه إليه منّى ، فقالوا : مَنْ هو ؟ فأخبرهم أنه الحسن بن زيد ، ودلّهم على منزله ومسكنه بالرّىّ . فوجّه القومُ إلى الرّىّ عن رسالة محمد بن إبراهيم العَلَوىّ إليه مَنْ يدعوه إلى الشخوص معه إلى طبرستان ؛ فشخص معه إليها ، فوافاهم الحسن بن زيد، وقد صارت كلمة الديلم وأهل كلار وسالوس ورُويان على بيعته وقتال سليمان بن عبد الله واحدةً ؛ فلما وافاهم الحسن بن زيد بايع له ابنا رستم، وجماعة أهل الثغور ورؤساء الديلم : كجايا ولاشام ووَهْسُودان بن جستان، ومِنْ أهل رويان عبد الله بن وَنْدَاميد — وكان عندهم من أهل التألّه والتعبّد — ثم ناهضوا من فى تلك النواحى من عمال ابن أوس فطردوهم عنها ، فلحقوا بابن أوس وسليمان بن عبد الله ؛ وهما بمدينة سارية ، وانضمّ إلى الحسن ابن زيد مع مَنْ بايعه من أهل النواحى التى ذكرت ؛ لما بلغهم ظهوره بها

١٥٢٨/٣

(١) س : « ولا يأمنون » . (٢) كذا فى ا ، وفى ط : « ينجد » (٣) س : « وهو » .

٣/١٥٢٩ حوزيّة جبال طبرستان كما صْمُغان وفادسْبان وليث بن قباذ ، ومن أهل السفح خشكجستان بن إبراهيم بن الخليل بن ونداسفجان ، خلا ما كان من سكان جبل فريم ؛ فإن رئيسهم كان يومئذ والمتملك عليهم قارن بن شهريار ؛ فإنه كان ممتنعاً بجبله وأصحابه ، فلم ينقَدْ للحسن بن زيد ولا مَنْ معه حتى مات ميتة نفسه ، مع موادعة كانت بينهما فى بعض الأحوال ، ومخاتنة[1] ومصاهرة كفاً من قارن بذلك من فعله عاديّة الحسن بن زيد ومن معه .

ثم زحف الحسن بن زيد وقُوّاده من أهل النواحى التى ذكرت نحو مدينة آمُل ؛ وهى أول مدن طبرستان مما يلى كلار وسالوس من السفْح — وأقبل ابن أوس من سارية إليها يريد دفعه عنها ، فالتقى جيشاهما فى بعض نواحى آمُل ، ونشبت الحرب بينهم . وخالف الحسن بن زيد وجماعة ممن معه من أصحابه موضع معركة القوم إلى ناحية أخرى ، فدخلوها . فاتصل الخبر بدخوله مدينة آمل بابن أوس ؛ وهو مشتغل بحرب مَنْ هو فى وجهه من رجال الحسن بن زيد ؛ فلم يكن له همٌّ إلا النّجاء بنفسه واللحاق بسليمان بسارية ؛ فلما دخل ٣/١٥٣٠ الحسن بن زيد آمُل كَثُف جيشه ، وغلظ أمره ، وانقضّ إليه كلّ طالب نهب ومُريد فتنة من الصعاليك والحوزية وغيرهم ؛ فأقام — فيما حُدّثت — الحسن بن زيد بآمُل أياماً ؛ حتى جبى الخراج من أهلها ، واستعدّ . ثم نهض بمن معه نحو سارية مريداً سليمان بن عبد الله ، فخرج سليمان وابن أوس بمَنْ معهما من جيوشهما ؛ فالتقى الفريقان خارج مدينة سارية ، ونشبت الحرب بينهم ، فخالف الوجهَ الذى التقى فيه الجيشان بعضُ قواد الحسن بن زيد إلى وجه آخر من وجوه سارية ، فدخلها برجاله وأصحابه ، فانتهى الخبر[2] إلى سليمان بن عبد الله ومَنْ معه من الجند ؛ فلم يكن لهم همٌّ غير النجاة بأنفسهم.

ولقد حدثنى جماعة من أهل تلك الناحية وغيرها ، أنّ سليمان بن عبد الله هرَب وترك أهله وعياله وثَقَله وكلّ ما كان له بسارية من مال وأثاث وغير ذلك بغير مانع ولا دافع ؛ فلم يكن له ناهية دون جُرجان . وغلب على ما كان له ولغيره بها من جُنده الحسن بن زيد وأصحابه .

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « ومحابة » (٢) بعدها فى ا ، ف : « بذلك » .

فأما عيال سليمان وأهله وأثاثه فإنه بلغنى أن الحسن بن زيد أمر لهم بمركب ١٥٣١/٣ حملهم فيه حتى ألحقهم بسليمان وهو بجرجان ، وأمّا ما كان لأصحابه فإن مَنْ كان مع الحسن بن زيد من التَّبَع انتهبه ، فاجتمع للحسن بن زيد بلحاق سليمان بن عبد الله بجُرجان إمْرة طبرستان كلها .

فلما اجتمعت للحسن بن زيد طَبرِستان ، وأُخرِج عنها سليمان ابن عبد الله وأصحابه وجّه إلى الرّىّ خيلاً مع رجل من أهل بيته ، يقال له الحسن بن زيد ، فصار إليها ، فطرد عنها عاملها من قِبَل الطاهرية ، فلما دخل الموجّه به من قِبَل الطالبيّين الرىّ هرب منها عاملُها ، فاستخلف بها رجلا من الطالبيين يقال له محمد بن جعفر ، وانصرف عنها ، فاجتمعت للحسن بن زيد مع طبرستان الرّى إلى حدّ همذان ، وورد الخبر بذلك على المستعين ، ومدبّر أمره يومئذ وصيف التركىّ ، وكاتبه أحمد بن صالح بن شيرزاد ، وإليه خاتم المستعين ووزارته . فوجّه إسماعيل بن فَرَاشة فى جمع إلى همذان ، وأمره بالمقام بها وضبطها إلى أن يتجاوز إليها خيل الحسن بن زيد ؛ وذلك أنّ ما وراء عمل همَذان كان إلى محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر ، وبه عماله ، وعليه صلاحه.

١٥٣٢/٣ فلما استقرّ بمحمد بن جعفر الطالبىّ القرار بالرّىّ ظهرت منه — فيما ذكر — أمور كرهها أهل الرّىّ ، فوجّه محمد بن طاهر بن عبد الله قائداً له من قِبَله ، يقال له محمد بن ميكال — وهو أخو الشاه بن ميكال — فى جَمْع من الخيل والرّجالة إلى الرّىّ ، فالتقى هو ومحمد بن جعفر الطالبىّ خارج الرّىّ ؛ فذُكر أن محمد بن ميكال أسر محمد بن جعفر الطالبىّ ، وفضّ جيشه ، ودخل الرّىّ ، فأقام بها ، ودعا بها للسلطان ؛ فلم يتطاول بها مكثُه حتى وجّه الحسن بن زيد إليه خيلا ، عليها قائد له من أهل اللازر ، يقال له واجن . فلما صار واجن إلى الرّىّ خرج إليه محمد بن ميكال ، فاقتتلا ، فهزم واجن وأصحابه محمد بن ميكال وجيشه ، والتجأ محمد بن ميكال إلى مدينة الرّىّ معتصماً بها ، فاتّبعه واجن وأصحابه حتى قتلوه ، وصارت الرّىّ إلى أصحاب الحسن بن زيد .

فلمّا كان يوم عرفة من هذه السنة بعد مقتل محمد بن ميكال ، ظهر بالرّىّ أحمد بن عيسى بن علىّ بن حسين الصغير بن علىّ بن حسين بن علىّ بن

أبى طالب رضى الله عنه وإدريس بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله ابن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب ؛ فصلّى أحمد بن عيسى بأهل الرّىّ صلاة[1] العيد ، ودعا للرضا من آل محمد ؛ فحاربه محمد بن علىّ بن طاهر ، فهزمه أحمد بن عيسى ، فصار إلى قزوين .

١٥٣٣/٣

* * *

وفى هذه السنة غُضب على جعفر بن عبد الواحد ، لأنه كان بعث إلى الشاكريّة ، فزعم وصيف أنه أفسدهم ، فنُفى إلى البصرة لسبع بقين من شهر ربيع الأول .

وفيها أسقطت مرتبة مَنْ كانت له مرتبة فى دار العامة من بنى أميّة ، كابن أبى الشوارب والعثمانيين .

وأخرج فى هذه السنة من الحبس الحسنُ بن الأفشين .

وأجلس فيها العباسُ بن أحمد بن محمد ، فعقد لجعفر بن الفضل بن عيسى ابن موسى المعروف ببشاشات على مكة فى جمادى الأولى .

وفيها وثب أهل حِمْص وقومٌ من كلب — عليهم رجل يقال له عُطَيف ابن نعمة الكلبىّ — بالفَضْل بن قارن أخى مازيار بن قارن ؛ وهو يومئذ عامل السلطان على حِمْص ، فقتلوه فى رجَب ؛ فوجّه المستعين إليهم موسى بن بُغا الكبير ، فشخص موسى من سامُرّا يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلَتْ من شهر رمضان ؛ فلمّا قرب موسى تلقّاه أهلُها فيما بينها وبين الرَّستَن ، فحاربهم فهزمهم ؛ وافتتح حمص وقتل مِنْ أهلها مقتلة عظيمة ، وأحرقها وأسر[2] جماعة من رؤساء أهلها ، وكان عطيف قد لحق بالبدو .

١٥٣٤/٣

وفيها مات جعفر بن أحمد بن عمّار القاضى يوم الأحد لسبع بقين من شهر رمضان .

وفيها مات أحمد بن عبد الكريم الجوارى والتيمىّ قاضى البصرة .

وفيها ولى أحمد بن الوزير قضاء سامرّا .

---

(١) ف : « صلوات » .

(٢) بعدها فى ف : « من أهلها » .

وفيها وثبت الشاكرِيّة والجُنْد بفارس بعبد الله بن إسحاق بن إبراهيم ، فانتهبوا منزله ، وقتلوا محمد بن الحسن بن قارن ، وهرب عبد الله بن إسحاق .

وفيها وجّه محمد بن طاهر من خُراسان بفيلَيْن كان وُجِّه بهما إليه من كابُل وأصنام وفوائح .

وغزا الصائفة فيها بلكاجُور .

وحجّ بالناس فى هذه السنة جَعْفر بن الفضل بشاشات وهو والى مكة .

٣/١٥٣٥

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر قتل باغر التركيّ]

فممّا كان فيها من ذلك قتل وصيف وبغا الصغير باغر التركيّ واضطراب أمر الموالى .

ذكر الخبر عن سبب قتلهما باغر :

ذُكر أنّ سبب ذلك كان أن باغر كان أحد قتلة المتوكل ، فزِيد لذلك فى أرزاقه ، وأقطع قطائع ؛ فكان مما أقطع ضياع بسواد الكوفة ، فتضمّن تلك الضياع التى أقطعها باغرُ هنالك مِن كاتب كان لباغر يهوديّ — رجل من دهاقين بارُوسما ونهر الملك — بألفَىْ دينار فى السنة ، فعدا رجل بتلك[1] الناحية ، يقال له ابن مارِمّة على وكيل لباغر هنالك ، فتناوله أو دسّ إليه مَنْ تناوله ، فحُبس ابن مارّمة ، وقُيِّد ، ثم عمل حتى تخلص من الحبس ، فصار إلى سامُرّا ؛ فلقى دُلَيْل بن يعقوب النصرانيّ وهو يومئذ كاتب بُغا الشرابىّ وصاحب أمره ، واليه أمر العسكر ، يركبُ إليه القوّاد والعمال ؛ لمكانه من بُغا . وكان ابن مارّمة صديقًا لدُليل ، وكان باغر أحد قُوّاد بُغا ، فمنع دُليل باغر من ظلم أحمد بن مارّمة ؛ وانتصف له منه ، فأوغر ذلك من فعله بصدر[2] باغر ، وبايَنَ كلّ واحد من دُليل وباغر صاحبَه بذلك السبب ، وباغر شجاع بطل معروف القَدْر فى الأتراك ، يتوقّاه بُغا وغيره ، ويخافون شرّه .

٣/١٥٣٦

فذكِر أنّ باغر جاء يوم الثلاثاء لأربع بقين من ذى الحجة سنة خمسين ومائتين إلى بُغا ، وبُغا فى الحمام ، وباغر سكران شديد السكر ، وانتظره حتى خرج من الحمام ، ثم دخل عليه ، فقال له : والله ما من قتل دُليل بُدّ

(١) ف : « من تلك » . (٢) ف : « صدر باغر » .

ثم سبّه ، فقال له بغا : لو أردتَ قتل ابنى فارس ما منعتُك، فكيف ُدليل النصرانىّ ! ولكنّ أمرى وأمر الخلافة فى يديْه فتنتظر[1] حتى أصيِّر مكانه إنسانًا ، وشأنَك به . ثم وجّه بُغا إلى ُدلَيل يأمره ألاّ يركب ؛ وقيل : بل تلقاه طبيب لبُغا ، يقال له ابن سرجويه ، فأخبره بالقصّة ، فرجع إلى منزله ، فاستخفى ، وبعث بُغا إلى محمد بن يحيى بن فيروز ، وكان ابن فيروز يكتب له قبل ذلك ، فجعله مكان ُدلَيل ، فيوهم باغر أنه قد عزل ُدليلا ؛ فسكن باغر ، ثم أصلح بُغا بين ُدلَيل وباغر ، وباغر يتهدّد ُدليلا بالقَتْل إذا خلا بأصحابه ، ثم تلطّف باغر للمستعين ، ولزم الخدمة فى الدار ، وكره المستعين مكانَه ؛ فلمّا كان يوم نوبة بُغا فى منزله قال المستعين : أىّ شىء كان إلى إيتاخ من الأعمال ؟ فأخبره وصيف ، فقال : ينبغى أن تصيِّروا هذه الأعمال إلى أبى محمد باغر ، فقال وصيف : نعم ، وبلغت القصة ُدليلا[2] ، فركب إلى بُغا فقال له : أنت فى بيتك ؛ وهم فى تدبير عزلك عن كلّ أعمالك ؛ فإذا عُزلت فما بقاؤك إلاّ أن يقتلوك ! فركب بُغا إلى دار الخلافة فى اليوم الذى نَوْبته فى منزله بالعشىّ ، فقال لوصيف : أردتَ أن تُزيلنى عن مرتبتى ، وتجىء بباغر فتصيِّره مكانى ؛ وإنما باغر عبدٌ من عبيدى ورجل من أصحابى ، فقال له وصيف : ما علمتُ ما أراد الخليفة من ذلك . فتعاقد وصيف وبُغا على تنْحية باغر من الدار والاحتيال له ، وأرجفوا له أنه يؤمَّر ويضَمّ إليه جيش سوى جيشه ؛ ويُخْلَع عليه ، ويُجالَس فى الدار مجلس بُغا ووصيف — وهما يسمَّيان الأميرين — ودافعوه بذلك . وإنما كان المستعين تقرّب إليه بذلك ليأمن ناحيته ، فأحسّ هو ومن فى ناحيته بالشرّ ، فجمع إليه الجماعة الذين كانوا بايعوه على قتل المتوكل أو بعضها مع غيرهم ؛ فلمّا جمعهم ناظرهم ووكّد البيعة عليهم كما وكّدها فى قتل المتوكل ، فقالوا : نحن على بيعتنا ، فقال : الزموا الدّار حتى نقتل المستعين وبُغا ووصيفًا ، ونجىء بعلىّ بن المعتصم أو بابن الواثق ، فنُقعده خليفة حتى يكون[3] الأمر لنا ، كما هو لهذين اللذين قد

٣/١٥٣٧

(١) ا، ف : « فتصبر » .

(٢) ف : « إلى دليل » .

(٣) ف : « ليكون » .

استوليا[١] على أمر الدنيا[١] ، وبقينا نحن فى غير شىء ؛ فأجابوه إلى ذلك ، وانتهى الخبر إلى المستعين . فبعث[٢] إلى بُغا ووصيف ؛ وذلك يوم الاثنين ، فقال لهما : ما طلبتُ إليكما أن تجعلانى خليفة ؛ وإنما جعلتمانى وأصحابكما[٣] ، ثم تريدان أن تقتلانى ! فحلفا له أنهما ما علما بذلك ، فأعلمهما الخبر . ١٥٣٨/٣

وقيل : إنّ امرأة لباغر كانت مطلّقة منه ، سعت إلى أمّ المستعين وإلى بُغا بذلك ، وبكّر دليل إلى بُغا ، وحضر وصيف إلى منزل بُغا ومع وصيف أحمد بن صالح كاتبه ؛ فاتّفق رأيهم على أخذ باغر واثنين من الأتراك معه وحبسهم حتى يروا رأيهم فيهم ، فأحضروا باغر ، فأقبل[٤] فى عدّة حتى دخل الدار إلى بُغا .

فذكر عن بشر بن سعيد المَرْثدىّ أنه قال : كنت حاضراً دخولَه ، فمُنع من الوصول إلى بُغا ووصيف ، وعُطِف[٥] به إلى حمّام لبُغا ، ودعِىَ له بالقيود ؛ فامتنع عليهم ؛ فحبسوه فى الحمّام ؛ وبلغ ذلك الأتراك فى الهارونىّ والكرْخ والدّور ، فوثبوا على إصطبل السلطان ، فأخذوا ما كان فيه من الدوابّ فانتهبوها وركبوها ، وحضروا الجوْسق بالسلاح ؛ فلما أمسَوْا أمر وصيف وبُغا رشيدَ بن سعاد أخت وصيف أن يقتل باغر ، فأتاه فى عدّة ؛ فشدَخوه بالطّبرزينات حتى أسكنوه ؛ فلما علم المستعين باجتماعهم ، ركب ووصيف وبُغا حَرّاقة[٦] ، وصاروا إلى دار وصيف جميعاً ، وتراكض الناس يومهم — وهو يوم الثلاثاء وليلته — بالسلاح جائين وذاهبين ؛ فقال لهم وصيف : ترفّقوا حتى تنظروا ؛ فإن ثبتوا على المقاومة رمينا إليهم برأسه . فلما انتهى قتله إلى الأتراك المشغّبة ، أقاموا على ما هم عليه من الشّغب حتى علموا أنّ المستعين وبُغا ووصيف قد انحدروا إلى بغداد ؛ وقد كان وصيف أعطى قوماً من المغاربة فُرساناً ورجّالة السلاح والرّماح ، ووجّه بهم إلى هؤلاء المشغبة ، وبعث ١٥٣٩/٣

(١-١) ف : « علينا وعلى الأمر » .

(٢) ف : « فأحضر بغا » .

(٣) ف : « خليفة » .

(٤) بعدها فى ف : « باغر » .

(٥) ا ، ف : « وعدل » .

(٦) فى القاموس : الحراقات : سفن : بالبصرة فيها مرامى نيران يرمى بها العدو .

إلى الشاكريّة أن يكونوا على عُدّة إن احتيج إليهم ، وسكن الناس عند الظهر ، وهدأت الأمور ؛ وقد كان عِدّةٌ من قُوّاد الأتراك صاروا إلى هؤلاء المشغبين وسألوهم الانصراف ، فقالوا : يُوق يُوق ، أى لا لا .

فذكر عن بشر بن سعيد عن جامع بن خالد — وكان أحد خلفاء وصيف من الأتراك — أنه كان المتولِّيَ مخاطبتهم مع عدّة ممن يعرف التركية ، فأعلموهم أن المستعين وبُغا ووصيف قد خرجوا إلى بغداد ، فأظهروا التندّم ، وانصرفوا منكسرين ؛ فلما انتشر الخبر بخروج المستعين صار الأتراك إلى دور دُليل ابن يعقوب ودور أهل بيته ممن قرب منه وجيرانه ؛ فانتهبوا ما فيها حتى صاروا إلى الخشب والدَّرْوَنْدات ؛ وقتلوا ما قدروا عليه من البغال ، وانتهبوا علَف الدوابّ والخمر التى فى خزانة الشراب ؛ ودفع عن دار سلمة بن سعيد النصرانىّ جماعة كان وكّلهم بها ؛ من المصارعين وغيرهم من جيرانهم ، ومنعوهم من دخول الدار ؛ لأنهم أرادوا دار إبراهيم بن مهران النصرانىّ العسكرىّ ، فدفعوهم عنها ، وسلِم سلمة وإبراهيم من النهب . ٣/١٥٤٠

وقال فى قتل باغر والفتنة التى هاجت بسببه بعض الشعراء ، ذُكر أن[1] قائله أحمد بن الحارث اليمامىّ :

لعمرى لئن قَتلوا باغرًا — لقد هاج باغِرُ حربًا طَحُونَا[2]
وفرَّ الخليفـــةُ والقائدَا — نِ بالليلِ يلتمسانِ السَّفِينا
وصَاحُوا بِمَيْسَانَ ملَّاحِيهِمْ — فجاءهُمُ يَسبِقُ الناظرينَا
فألزمَهمْ بطنَ حَرَّاقةٍ — وصرَّتْ مَجَاذيفهم سَائرينَا
وما كان قَدْرُ ابنِ مارمَّةٍ — فتكسبَ فيه الحروبُ الزَّبونا
ولكنْ دُليلٌ سَعَى سَعْيَةً — فأخزَى الإلهُ بها العالمينا
فحلَّ ببغدادَ قبل الشّروقِ — فحلَّ بها منه ما يَكرهُونا ٣/١٥٤١
فليتَ السَّفينةَ لم تأتِنا — وغرَّقها اللهُ والرَّاكِبينَا

(١) ف : « أنه » . (٢) انظر المسعودى .

وأقبلتِ التركُ والمَغربونَ وجاءَ الفراغِنةُ الدَّارعونا
تَسيرُ كراديسُهُمْ فى السِّلاحِ يَرُوحونَ خيلاً ورَجْلا ثُبِينا
فقامَ بحربِهِمُ عالمٌ بأَمرِ الحُروبِ تولَّاهُ حِينا
فجدَّدَ سورًا على الجانبَيْنِ حتَّى أَحاطَهُمُ أجمعينا
وأحكَمَ أبوابَها المُصْمتَاتِ على السُّورِيَحمِى بِها المُسْتَعِينا
وهيَّا مَجَانيقَ خَطَّارَةً تُفِيتُ النفوسَ وتحْمِى العرينا
وعَبَّى فَرُوضاً وجَيْشِيَّةً أُلوفَ أُلوفٍ إذ تحْسُبُونا
وعبَّى المجانيقَ منظومةً على السور حتى أغار العيونا

فذكر أنهم لما قدموا بغداد اعتلّ ابن مارِّمة ، فعاده دُليل بن يعقوب ، فقال له : ما سببُ علّتك ؟ قال : عَقرُ القيد انتقض علىّ ، فقال دُليل : لئن عقرك القَيْد ؛ لقد نقضت الخلافة ، و بعثتَ فتنة . ومات ابن مارمّة فى تلك الأيام ؛ فقال أبو علىّ اليمامى الحنفىّ فى شخوص المستعين إلى بغداد :

مَا زَالَ إلاَّ لزوالِ مُلكِهِ وحَتفِهِ من بعده وهُلكِهِ

ومنع الأتراك الناس من الانحدار إلى بغداد ، فذُكر أنهم أخذوا ملاّحًا قد أكرى سفينته ، فضربوه مائتى سوط ، وصلبوه على دَقَل سفينته[1]، فامتنع أصحاب السفن من الانحدار إلاّ سرًّا أو بمؤنة ثقيلة . ٣/١٥٤٢

* * *

[وقوع الفتنة ببغداد بين أهلها و بين جند السلطان]

وفى هذه السنة هاجت الفتنة و وقعت الحرب بين أهل بغداد وجند السلطان الذين كانوا بسامرّا ، فبايع كلُّ من كان بسامُرّا منهم المعتزّ ، وأقام من ببغداد منهم على الوفاء ببيعة المستعين .

* ذكر الخبر عن سبب هيج هذه الفتنة ، وسبب بيعة من كان بسامرّا من الجند المعتزّ وخلعهم المستعين ، ونصبهم الحرب لمن أقام على الوفاء ببيعته :

---

(١) الدقل : خشبة طويلة تشد فى وسط السفينة يمد عليها الشراع .

قال أبو جعفر: قد ذكرنا قبلُ موافاةَ المستعين وشاهك الخادم ووصيف وبُغا وأحمد بن صالح ابن شيرزاد بغداد؛ وكانت موافاتهم إياها يوم الأربعاء لثلاث ساعات مضيْن من النهار لأربعة أيام — وقيل لخمسة أيام — خلوْن من المحرّم من هذه السنة؛ فلما وافاها، نزل المستعين على محمد بن عبد الله بن طاهر في داره، ثم وافى بغداد خليفة لوصيف على أعماله، يعرف بسلام؛ فاستعلم ما عنده، ثم انصرف راجعاً إلى منزله بسامرّا، فوافى القوّاد خلا جعفر الخياط وسليمان بن يحيى بن معاذ بغداد مع جِلّة الكتاب والعمال وبنى هاشم، ثم وافى بعد ذلك من قُوّاد الأتراك الذين في ناحية وصيف كلباتكين القائد وطيْنغج الخليفة، تركيّ، وابن عجوز الخليفة، نَسائيّ؛ وممّن في ناحية بُغا بايكباك القائد من غلمان الخدمة مع عدّة من خلفاء بُغا. ٣/١٠٤٣

وكان — فيما ذكر — وجّه إليهم وصيف وبُغا قبل قدومهم[1] رسولا، يأمرانهم أن يصيرُوا إذا قدموا بغداد إلى الجزيرة التي حِذاء دار محمد بن عبد الله بن طاهر، ولا يصيروا إلى الجسْر، فيُرعبوا العامة بدخولهم. ففعلوا وصاروا إلى الجزيرة، فنزلوا عن دوابهم، فوجِّهتْ إليهم زواريق حتى عبروا فيها، فصعد كلباتكين وبايكباك والقوّاد من أهل الدور وأرناتجور التركيّ، فدخلوا على المستعين، فرموْا بأنفسهم بين يديه، وجعلوا مناطقهم في أعناقهم تذلّلاً وخضوعاً، وكلموا المستعين وسألوه الصَّفْح عنهم والرّضا، فقال لهم: أنتم أهل بَغْي وفساد واستقلال للنعم؛ ألم ترفعوا إليّ في أولادكم، فألحقتهم بكم[2]؛ وهم نحو من ألفيْ غلام، وفي بناتكم فأمرت بتصييرهنّ في عداد المتزوّجات وهنّ نحو من أربعة آلاف امرأة في المدّركين والمولودين! وكلّ هذا قد أجبتكم إليه، وأدرَرْت لكم الأرزاق حتى سبكتُ لكم آنية الذهب والفضة، ومنعتُ نفسي لذّتها وشهوتها؛ كلّ ذلك إرادةَ لصلاحكم ورضاكم؛ وأنتم تزدادون بَغْياً وفساداً وتهدّداً وإبعاداً! ٣/١٠٤٤

فتضرّعوا، وقالوا: قد أخطأنا، وأمير المؤمنين الصّادق في كلّ قوله، ونحن

(١) ف: «وصولهم». (٢) ف: «فألحقتكم بهم».

نسأله العفو عنا والصّفْح عن زلّتنا ! فقال المستعين : قد صفحت عنكُم ورضيت ؛ فقال له بايكباك : فإن كنتَ قد رضيتَ عنا وصفحت ، فقم فاركب معنا إلى سامُرّا ؛ فإنّ الأتراك ينتظرونك ؛ فأومأ محمد بن عبد الله إلى محمد بن أبي عون ، فلكز[1] في حَلْق بايكباك . وقال له محمد بن عبد الله : هكذا يقال لأمير المؤمنين ؛ قُمْ فاركب معنا ! فضحك المستعين من ذلك . وقال : هؤلاء قوم عَجَم ؛ ليس لهم معرفة بحدُود الكلام . وقال لهم المستعين ، تصيرون إلى إلى سامُرّا ؛ فإنّ أرزاقكم دارّة عليكم ، وأنظر في أمري ها هنا ومقامي .

٣/١٥٤٥

فانصرفوا آيسين منه ، وأغضبهم ما كان من محمد بن عبد الله ، وأخبروا مَنْ وردوا عليه من الأتراك خبرهم ، وخالفوا فيما ردّ عليهم تحريضاً لهم على خلعه والاستبدال به ، وأجْمع رأيهم على إخراج المعتز والبيعة له ؛ وكان المعتزّ والمؤيد في حبس في الجوسق في حُجْرة صغيرة ، مع كلّ واحد منهما غلام يخدمه ؛ موكّلٌ بهم رجل من الأتراك يقال له عيسى خليفة بليار[2] ومعه عدّة من الأعوان ، فأخرجوا المعتزّ من يومهم ، فأخذوا من شعره ، وقد كان بُويع له بالخلافة ؛ وأمر للناس برزق عشرة أشهر للبيعة ، فلم يتمّ المال ، فأعطُوا شهرين لقلة المال عندهم .

وكان المستعين خلّف بسامرّا في بيت المال مما كان طلمجُور وأساتكين القائدان قدما به من ناحية الموصل من مال الشأم نحواً من خمسمائة ألف دينار ؛ وفي بيت مال أمّ المستعين قيمة ألف ألف دينار ، وفي بيت مال العباس ابن المستعين قيمة ستمائة ألف دينار ؛ فذكر أن نسخة البيعة التي أخذت :

٣/١٥٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم . تبايعونَ عبد الله الإمام المعتزّ بالله أمير المؤمنين بيعة طَوْع واعتقاد ، ورضاً ورغبة وإخلاص من سرائركم ، وانشراح من صدوركم ، وصدْق من نيّاتكم ؛ لا مكرهين ولا مجبرين ؛ بل مقرّين عالمين بما في هذه البيعة وتأكيدها من تقوى الله وإيثار طاعته ، وإعزاز حقه ودينه ؛ ومن عموم صلاح عباد الله واجتماع الكلمة ، ولمّ الشعث ، وسكون الدّهماء ، وأمْن

---

(١) اللكز : الضرب والدفع . (٢) كذا في ا ، وفي ط من غير نقط .

العواقب ، وعزّ الأولياء ، وقمع الملحدين ؛ على أن أباعبد الله المعتزّ بالله عبد الله وخليفتُه المفترَض عليكم طاعته ونصيحته والوفاء بحقه وعهده ؛ لا تشكّون ولا تُدْهنون ، ولا تميلون ولا ترْتابون ، وعلى السمع والطاعة ، والمشايعة والوفاء ، والاستقامة والنصيحة فى السرّ والعلانية ، والخنوف والوقوف عند كلّ ما يأمر به عبد الله أبو عبد الله الإمام المعتزّ بالله أمير المؤمنين ؛ من موالاة أوليائه ، ومعاداة أعدائه ؛ من خاصّ وعامّ ، وقريب وبعيد ، متمسكين ببيعته بوفاء العَقْد وذمة العهد ؛ سرائركم فى ذلك كعلانيتكم ، وضمائركم فيه كمثل ألسنتكم ، راضين بما يرضى به أمير المؤمنين بعد بَيْعتكم هذه على أنفسكم ، وتأكيدكم إياها فى أعناقكم صفقةً ، راغبين طائعين ؛ عن سلامة من قلوبكم وأهوائكم ونياتكم ، وبولاية عهد المسلمين لإبراهيم المؤيد بالله أخى أمير المؤمنين ، وعلى ألا تسعَوْا فى نقض شىء مما أكد عليكم ، وعلى ألاّ يميل بكم فى ذلك[1] مميل عن نصرة[2] وإخلاص وموالاة ؛ وعلى ألاّ تبدّلوا ولا تغيّروا ، ولا يرجع منكم راجع عن بيعته وانطوائه على غير علانيته ؛ وعلى أن تكون بيعتكم التى ٣/١٥٤٧ أعطيتموها بألسنتكم وعهودكم بيعةً يطّلع الله من قلوبكم على اجتبائها واعتمادها . وعلى الوفاء بذمّة الله فيها ، وعلى إخلاصكم فى نُصْرتها وموالاة أهلها ؛ لا يشوب ذلك منكم نفاق ولا إدهان ولا تأوّل ؛ حتى تلقوا الله موفين بعهده ، مؤدّين حقّه عليكم ، غير مسترِيبين ولا ناكثين ؛ إذ كان الذين يبايعون منكم أمير المؤمنين بيعةَ خلافته وولاية العهد من بعده لإبراهيم المؤيد بالله أخى أمير المؤمنين : ﴿ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِم فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيماً ﴾ [3] .

عليكم بذلك وبما أكدت عليكم به هذه البَيْعة فى أعناقكم ، وأعطيتم بها من صفقة أيْمانكم ، وبما اشترط عليكم من وفاء ونُصْرة ، وموالاة واجتهاد . وعليكم عهدالله إنّ عهده كان مسئولا ، وذمّة الله عزّ وجلّ وذمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وما أخذ الله على أنبيائه ورسُله ، وعلى أحد من عباده من مواكيده ومواثيقه ؛

---

(١) س : « عن ذلك » .
(٢) س : « عن بصيرة » .
(٣) سورة الفتح ١٠ .

أن تسمعوا ما أخذ عليكم فى هذه البيعة ولا تبدلوا ولا تميلوا ، وأن تمسكوا بما عاهدتم الله عليه تمسك أهل الطاعة بطاعتهم ، وذوى الوفاء والعهد بوفائهم ، ولا يلفتكم عن ذلك هوًى ولا مَيْل ، ولا يزيغ قلوبكم فتنة أو ضلالة عن هُدًى ، باذلين فى ذلك أنفسكم واجتهادكم ، ومقدّمين فيه حقّ الدين والطاعة والوفاء بما جعلتم على أنفسكم ؛ لا يقبل الله منكم فى هذه البيعة إلّا الوفاء بها .

٣/١٥٤٨

فمن نكث منكم ممّن بايع أمير المؤمنين وولىّ عهد المسلمين أخا أمير المؤمنين هذه البيعة على ما أخذ عليكم ، مسرًّا أو معلنًا ، مصرّحا أو محتالا أو متأوّلا ؛ وادّهن فيما أعطى الله من نفسه ، وفيما أخذ عليه من مواثيق الله وعهوده ، وزاغ عن السبيل التى يعتصم بها أولو الرّأى ؛ فكلّ ما يملك كلّ واحد منكم ممن ختر فى ذلك منكم عهدَه ، من مال أو عقار أو سائمة أو زرْع أو ضَرْع صدقةٌ على المساكين فى وجوه سبيل الله ، محبوس محرّم عليه أن يُرجع شيئًا من ذلك إلى ماله ؛ عن حيلة يقدمها لنفسه ، أو يحتال له بها ؛ وما أفاد فى بقية عمره من فائدة مال يقلّ خطرها أو يجلّ ؛ فذلك سبيلُها ، إلى أن توافيَه منيّته ، ويأتى عليه أجله . وكلّ مملوك يملكه اليوم وإلى ثلاثين سنة ؛ ذكر أو أنثى ، أحرار لوجه الله ، ونساؤه يوم يلزمه فيه الحِنْث ومَنْ يتزوّج بعدهنّ إلى ثلاثين سنة طوالق طلاق الحرَج ؛ لا يقبل الله منه إلا الوفاء بها ؛ وهو برىء من الله ورسوله ، والله ورسوله منه بريئان ؛ ولا قَبِل[1] الله منه[2] صرفاً ولا عَدْلا ؛ والله عليكم بذلك شهيد ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

٣/١٥٤٩

وأحضِر — فيما ذكر — البيعة أبو أحمد بن الرشيد وبه النِّقْرِس محمولاً فى مِحَفّة ؛ فأمر بالبيعة فامتنع ؛ وقال للمعتزّ : خرجتَ إلينا خروج طائع فخلعتها ، وزعمت أنك لا تقوم بها ؛ فقال المعتز : أُكْرِهتُ على ذلك وخفت السيف . فقال أبو أحمد : ما علينا أنك أُكرِهت ؛ وقد بايعنا هذا الرجل ؛ فتريد أن نطلّق نساءنا ، ونخرج من أموالنا ، ولا ندرى ما يكون ! إن تركتنى على أمرى حتى يجتمع الناس ؛ وإلا فهذا السيف . فقال المعتزّ : اتركوه ، فرُدّ إلى منزله من غير بيعة .

(١) ف : « فلا قبل » . (٢) س : « له » .

وكان ممن بايع إبراهيم الديرج وعتّاب بن عتّاب ، فهرب فصار إلى بغداد ، وأما الدّيرج فخُلِع عليه ، وأقِرّ على الشّرْطة ، وخُلِع على سليمان بن يسار الكاتب ، وصُيِّر على ديوان الضياع ، وأقام يومه يأمر وينهى وينفّذ الأعمال ، ثم توارَى فى الليل ، وصار إلى بغداد .

٣/١٥٥٠ ولما بايع الأتراك المعتزّ ولّى عمالَه ، فولّى سعيد بن صالح الشّرْطة ، وجعفر ابن دينار الحرس ، وجعفر بن محمود الوزارة ، وأبا الحمار ديوان الخراج ؛ ثم عُزِل وجُعِل مكانه محمد بن إبراهيم منقار ، وولِى ديوان جيش الأتراك المعروف بأبى عمر ، كاتب سيما الشرابىّ ، وولّى مقلّداً كَيْد الكلب أخا أبى عمر بيوتَ الأموال وإعطاءَ الأتراك والمغاربة والشاكريّة ، وولّى بريد الآفاق والخاتم سيما السارباني ، واستكتب أبا عمر ؛ فكان فى حدّ الوزارة .

ولما اتّصل بمحمد بن عبد الله خبرُ البيعة للمعتزّ وتوجيهه العمال ، أمر بقطع الميرة عن أهل سامُرّا ، وكتب إلى مالك بن طَوْق فى المصير إلى بغداد هو ومَنْ معه من أهل بيته وجنده ، وإلى نجوبة بن قيس وهو على الأنبار فى الاحتشاد والجمع ، وإلى سليمان بن عمران الموصلى فى جَمْع أهل بيته ومَنْع السفن أو شىء من الميرة أن ينحدر إلى سامُرّا ، ومنَع أن يصعد شىء من الميرة من بغداد إلى سامرّا ، وأخذت سفينة فيها أرزّ وسَقَط ، فهرب الملاّح منها وبقيت السفينة حتى غرقت ، وأمر المستعين محمد بن عبد الله بن طاهر بتحصين بغداد ؛ فتقدّم فى ذلك ؛ فأدِير عليها السور من دِجْلة من باب الشماسية إلى ٣/١٥٥١ سوق الثلاثاء حتى أورده دِجْلة ومن دِجْلة من باب قطيعة أم جعفر ، حتى أورده قصر[1] حميد بن عبد الحميد ، ورتّب على كلّ باب قائداً فى جماعة من أصحابه وغيرهم وأمر بحفر الخنادق حول السورين[2] كما يدوران فى الجانبين جميعاً ومظلاّت يأوى إليها الفرسان فى الحرّ والأمطار ؛ فبلغت النفقة — فيما ذكر — على السورين وحفر الخنادق والمظلات ثلثمائة ألف دينار وثلاثين ألف دينار ؛ وجعل على باب الشماسية خمس شدّاخات بعرض الطريق ؛ فيها

---

(١) س : « حصن » . (٢) س : « السور » .

العوارض والألواح والمسامير الطوال الظاهرة ، وجعل من خارج الباب الثانى باب معلّق بمقدار الباب ثخين ، قد ألبس بصفائح الحديد ، وشُدّ بالحبال كى إن وافى أحدٌ ذلك البابَ أرسل عليه الباب المعلّق ، فقتل مَنْ تحته . وجعل على الباب الداخل عرّادة[1] ، وعلى الباب الخارج خمسة مجانيق كبار ؛ وفيها واحدٌ كبير سمّوه الغضبان ، وستّ عرّادات ترمى بها إلى ناحية رقّة الشمّاسيّة ؛ وصُيّر على باب البردان ثمانى عرّادات ، فى كلّ ناحية أربع ، وأربع شدّاخات وكذلك على كلّ باب من أبواب بغداد فى الجانب الشرقىّ والغربىّ ، [وجعل على كلّ باب من أبوابها قواداً برجالهم][2] وجعل لكلّ باب من أبوابها دهليزاً بسقائف تسع مائة فارس ومائة راجل ؛ ولكلّ منجنيق وعرّادة رجالا مرتّبين يمدّون بحباله . ورامياً يرمى إذا كان القتال . وفرض فروضاً ببغداد ومرّ قوم من أهل خراسان قدموا حجّاجاً ، فسألوا المعونة على قتال الأتراك . فأعينوا . وأمر محمد بن عبد الله بن طاهر أن يُفْرَض من العيّارين فرض ، وأن يُجعل عليهم عريف ، ويُعمل لهم تراس من البوارىّ المقيّرة ، وأن يُعمل لهم مخال تُملأ حجارة . ففعل ذلك وتولى — فيما ذكر — عمل البوارىّ المقيّرة محمدٌ بن أبى عون . وكان الرّجل منهم يقوم خلف البارية فلا يُرى منها . عُملت نسائجات ، أنفق عليها زيادة على مائة دينار ؛ وكان العريف على أصحاب البوارىّ المقيرة من العيّارين رجلاً يقال له ينتويه . وكان الفراغ من عمل السور يوم الخميس لسبع بقين من المحرم .

٣/١٥٥٢

وكتب المستعين إلى عمّال الخراج بكل بلدة وموضع أن يكون حملهم ما يحملون من الأموال إلى السلطان إلى بغداد ، ولا يحملون إلى سامرّا شيئاً ؛ وإلى عمّال المعاون فى ردّ كتب الأتراك . وأمر[3] بالكتاب إلى الأتراك والجند الذين بسامرّا يأمرهم بنقض بيعة المعتزّ ومراجعة الوفاء[4] ببيعتهم إياه ، ويذكرهم أياديه عندهم ، وينهاهم عن معصيته ونكث بيعته ؛ وكان كتابه بذلك إلى سيما الشرابىّ .

٣/١٥٥٣

(١) العرادة : أصغر من المنجنيق .
(٢) من ا .
(٣) ف ، ا : « ثم أمر » .
(٤) بعدها فى ف : « لهم » .

ثم جرتْ بين المعتزّ ومحمد بن عبد الله بن طاهر مكاتبات ومراسلات ، يدعو المعتزّ محمداً إلى الدّخُول فيما دخل فيه مَنْ بايعه بالخلافة وخلع[1] المستعين ، ويذكّره[2] ما كان أبوه المتوكل أخذ له عليه بعد أخيه المنتصر من العَهْد وعقد الخلافة ، ودعوة محمدِ بن عبد الله المعتزّ إلى ما عليه من الأوبة إلى طاعة المستعين ، واحتجاج كلّ واحد منهما على صاحبه فيما يدعوه إليه من ذلك بما يراه حُجّة له ؛ تركتُ ذكرها كراهة الإطالة بذكرها .

وأمر محمد بن عبد الله بكسر القناطِر وبَثْق المياه بطسّوج الأنبار وما قرب منه من طسُّوج بادوريَا ، ليقطع طريق الأتراك حين تخوّف من ورودهم الأنبار . وكان الذى تولّى ذلك نجوبة بن قيس ومحمد بن حمد بن منصور السعدىّ . وبلغ محمد بن عبد الله توجيه الأتراك لاستقبال الشمسة التى كانت مع البينُوق الفرغانىّ مَنْ يحميها من أصحابه . فوجّه محمد ليلة الأربعاء لعشر بقين من المحرّم خالد بن عمران وبندار الطبرىّ إلى ناحية الأنبار .

٣/١٥٥٤ ثم وجّه بعدهما رشيد بن كاوس ، فصادفوا البينوق ومَنْ معه من الأتراك والمغاربة ، وطالبهم خالد وبندار بالشمسة ، فصار البينُوق وأصحابه مع خالد وبندار إلى بغداد إلى المستعين .

وكان محمد بن الحسن بن جيلويه الكردى يتولّى معونة عُكبراء ؛ وكان على الراذان[3] رجل من المغاربة قد اجتمع عنده مال ، فتوجّه إليه ابن جيلويه ، ودعاه إلى حَمْل مال الناحية ، فامتنع عليه ، ونَصَب له الحرب ؛ فأسر ابن جيلويه المغربىّ ، وحمله إلى باب محمد بن عبد الله ، ومعه من مال الناحية اثنا عشر ألف دينار وثلاثون ألف درهم ؛ فأمر محمد بن عبد الله لابن جيلويه بعشرة آلاف درهم . وكتب كلّ واحد من المستعين والمعتزّ إلى موسى بن بغا ، وهو مقيم بأطراف الشأم قرب الجزيرة — وكان خرج إلى حِمْص لحرب أهلها — يدعوه إلى نفسه ، وبعث كلّ واحد منهما إليه بعِدّة ألوية يعقدها لمن أحبّ ، ويأمره المستعين بالانصراف إلى مدينة السلام ، ويستخلف على عمله من رأى . فانصرف

(١) س : « ويخلع » . (٢) ا : « وتذكيره » .
(٣) ا ، ف : « الراذانات » .

إلى المعتزّ وصار معه . وقدم عبد الله بن بُغا الصغير بغداد على أبيه ؛ وكان قد تخلّف بسامُرّا حين خرج أبوه منها مع المستعين، وصار إلى المستعين، فاعتذر إليه وقال لأبيه : إنما قدمتُ إليك لأموت تحت ركابك . وأقام ببغداد أياماً ، ثم استأذن ليخرج إلى قرية بقرب بغداد على طريق الأنبار ، فأذن له ؛ فأقام فيها إلى الليل ، ثم هرب من تحت ليلته ، فمضى فى الجانب الغربىّ إلى سامُرّا مجانباً لأبيه ، ومماثلاً عليه ؛ واعتذر إلى المعتزّ من مصيره إلى بغداد، وأخبره أنه إنما صار إليها ليعرف أخبارهم ، وليصير إليه فيُعرّفه صحتها . فقبل ذلك منه ، وردّه إلى خدمته . ١٥٥٥/٣

وورد الحسن بن الأفشين بغداد ، فخلع عليه المستعين ، وضمّ إليه من الأشروسنيّة وغيرهم جماعة كثيرة ، وزاد فى أرزاقه ستة عشر ألف درهم فى كلّ شهر .

ولم يزل أسد بن داودسياه مقيماً بسامُرّا ، حتى هرب منها ، فذُكر أنّ الأتراك بعثوا فى طلبه إلى ناحية الموصل والأنبار والجانب الغربىّ فى كل ناحية خمسين فارساً ، فوافى مدينة السلام؛ فدخل على محمد بن عبد الله ، فضمّ إليه من أصحاب إبراهيم الديرج مائة فارس ومائتى راجل، ووكّله بباب الأنبار مع عبد الله بن موسى بن أبى خالد .

وعقد المعتزّ لأخيه أبى أحمد بن المتوكل يوم السبت لسبع بقين من المحرّم من هذه السنة — وهى سنة إحدى وخمسين ومائتين — على حرب المستعين وابن طاهر ، وولاّه ذلك ، وضمّ إليه الجيش ، وجعل إليه الأمرَ والنهى ، وجعل التدبير إلى كلباتكين التركىّ ، فعسكر بالقاطول فى خمسة آلاف من الأتراك والفراغنة وألفين من المغاربة ، وضمّ المغاربة إلى محمد بن راشد المغربىّ ؛ فوافوا عُكْبراء ليلة الجمعة لليلة بقيتْ من المحرّم ؛ فصلّى أبو أحمد، ودعا للمعتزّ بالخلافة ؛ وكتب بذلك نسخاً [1] إلى المعتز ؛ فذكر جماعة من أهل عكْبراء أنهم رأوا الأتراك والمغاربة وسائر أتباعهم ؛ وهم على خوف شديد ، يرون أنّ محمد بن ١٥٥٦/٣

(١) ا : « ومائلا عنه » .

عبد الله قد خرج إليهم فسبقهم إلى حربهم ، وجعلوا ينتهبون القرى ما بين عُكبراء وبغداد وأوانا وسائر القرى من الجانب الغربىّ ، تخوّفاً على أنفسهم وخلّوْا عن الغلاّت والضّياع ؛ فخرّبت الضياع ، وانتُهبت الغلاّت والأمتعة وهدِمت المنازل ، وسُلب الناس فى الطريق .

ولمّا وافى أبو أحمد عُكبراء ومَنْ معه خرج جماعة من الأتراك الذين كانوا مع بُغا الشرابىّ بمدينة السلام من مَواليه والمضمومِين إليه ، فهربوا ليلا ، فاجتازوا بباب الشمّاسيّة ؛ وكان على الباب عبد الرحمن بن الخطاب ، ولم يعلم بخبرهم ؛ وبلغ محمد بن عبد الله ذلك ، فأنكره عليه وعنّفه ، وتقدّم فى حفظ الأبواب وحراستها والنفقة على من يتولاّها .

ولما وافى الحسن بن الأفشين مدينة السلام وُكّل بباب الشمّاسية .

ثم وافى أبو أحمد وعسكره الشماسيّة ليلةَ الأحد لسبع خلون من صفر ، ومعه كاتبه محمد بن عبد الله بن بشر بن سعد المرثدىّ ، وصاحب خبر العسكر من قِبَل المعتزّ الحسن بن عمرو بن قماش ومن قِبَله ، صاحب خبر له يقال له جعفر بن أحمد البناقى[1] ، يعرف بابن الخبازة ، فقال رجل من البصريّين كان فى عسكره ويعرف بباذنجانة :

يا بنى طاهر أتتكمْ جنودُ اللـ ... ـهِ والموتُ بينها منشورُ
وجيوشٌ أمامَهُنّ أبو أحمـ ... ـد نعْمَ المولى ونِعْمَ النصيرُ

ولمّا صار أبو أحمد بباب الشمّاسية ولّى المستعين الحسين بن إسماعيل باب الشماسية ، وصيّر مَنْ هناك من القوّاد تحت يده ؛ فلم يزل مقيماً هناك مدّة الحرب إلى أن شخص إلى الأنبار ؛ فولّى مكانه إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم ؛ ولثلاث عشرة مضتْ من صفر ؛ صار إلى محمد بن عبد الله جاسوس له ؛ فأعلمه أن أبا أحمد قد عبّى قوماً يحرقون ظلال الأسواق من جانبيْ بغداد ، فكُشطت فى ذلك اليوم .

١٠٥٧/٣

(١) كذا فى ا ، وفى ط كلمة غير منقوطة .

وذكر أن محمد بن عبد الله وجّه محمد بن موسى المنجم والحسين بن إسماعيل، وأمرهما أن يخرجا من الجانب الغربيّ، وأن يرتفعا حتى يجاوزا عسكر أبي أحمد ويحزُرا : كَمْ في عسكره ؟ فزعم محمد بن موسى أنه حَزَرهم ألفَيْ إنسان، معهم ألف دابة[١] ؛ فلما كان يوم الاثنين لعشر خلوْن من صفر وافت طلائع الأتراك إلى باب الشمّاسيّة ، فوقفوا بالقرب منه ؛ فوجّه محمد بن عبد الله الحسينَ بن إسماعيل والشاه بن ميكال وبُندار الطبريّ فيمن معهم ؛ وعزم على الركوب لمقاتلتهم ، فانصرف إليه الشاه ، فأعلمه أنه وافى بمَنْ معه باب الشمّاسيّة .

١٠٥٨/٣

فلمّا عاين الأتراك الأعلام والرايات وقد أقبلت نحوَهم انصرفوا إلى معسكرهم ؛ فانصرف الشاه والحسين ، وترك محمد الركوب يومئذ .

فلمّا كان يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة خلت من صفر عزم محمد بن عبد الله على توجيه الجيوش إلى القُفْص ليعرض جنده هنالك ، ويُرهب بذلك الأتراك ؛ وركب معه وصيف وبُغا في الدّروع ، وعلى محمد دِرْع ، وفوق الدرْع صُدرة من درع طاهر ؛ وعليه ساعد حديد ؛ ومضى معه بالفقهاء والقضاة ، وعزم على دعائهم إلى الرجوع عمّا هم عليه من التمادى في الطُّغيان واللجاج والعِصْيان ، وبعث يبذل لهم الأمان على أن يكون أبو عبد الله وليّ العهد بعد المستعين ؛ فإنْ قبلوا الأمان وإلاّ باكرهم بالقتال يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة تخلو من صفر ؛ فمضى نحو باب قُطْربل ، فنزل على شاطئ دجلة هو ووصيف وبغا ، ولم يمكنْه[٢] التقدّم لكثرة الناس ؛ وعارضهم من جانب دِجلة الشرقيّ محمد بن راشد المغربيّ .

١٠٥٩/٣

ثم انصرف محمد ؛ فلما كان من الغد وافتْه رسل عبد الرحمن بن الخطاب وجه الفَلْس وعَلّك القائد ومَنْ معهما من القوّاد، يعلمونه أنّ القوم قد دنوْا منهم ، وأنهم قد رجعوا إلى عسكرهم إلى رقة الشماسيّة ، فنزلوا وضربوا مضاربَهم فأرسل إليهم ألا تبدءوهم ، وإن قاتلوكم فلا تقاتلوهم ؛ وادفعوهم اليوم . فوافى باب الشماسيّة اثنا عشر فارساً من عسكر الأتراك — وكان على باب الشماسيّة

---

(١) ا ، س « راية » (٢) ف : « ولم يمكنهم » .

باب وسَرَب ، وعلى السَّرَب باب ، فوقف الاثنا عشر الفارس بإزاء الباب ، وشتموا مَنْ عليه ، ورموا بالسهام ، ومن بباب الشماسية سكوتٌ عنهم ؛ فلما أكثروا أمر علَّك صاحب المنجنيق أن يرميَهم[1] ؛ فرماهم فأصاب منهم رجلا فقتله ؛ فنزل أصحابه إليه ، فحملوه وانصرفوا إلى عسكرهم[2] بباب الشماسيّة .

وقدم عبد الله بن سليمان خليفة وصيف التركيّ الموجّه إلى طريق مكة لضبط الطريق مع أبي الساج في ثلثمائة رجل من الشاكريّة ، فدخل على محمد بن عبد الله ، فخلع عليه خمس خلع ، وعلى آخر ممن معه أربع خلع .

٣/١٥٦٠ ودخل أيضاً في هذا اليوم رجل من الأعراب من أهل الثعلبيّة يطلب الفرْض معه خمسون رجلا ، وورد الشاكريّة القادمون من سامُرّا من قيادات شتّى ؛ وهم أربعون رجلا ، فأمر بإعطائهم وإنزالهم فأعْطوْا .

ووافى الأتراك في هذا اليوم باب الشماسيّة ، فرُمُوا بالسهام والمنجنيق والعرّادات ؛ وكان بينهم قتلَى وجرحى كثير ؛ وكان الأمير الحسين بن إسماعيل لمحاربتهم ، ثم أمِدّ بأربعمائة رجل من الملطيّين[3] مع رجل يعرف بأبي السنا الغنويّ [وهو ابن أخت الهيثم الغنوي][4] ، ثم أمدّهم بقوم من الأعراب نحو من ثلثمائة رجل ، وحمل في هذا اليوم من الصلات لمن أبلَى في الحرب خمسة وعشرين ألف درهم ، وأطوقة وأسورة من ذهب ؛ فصار ذلك إلى الحسين ابن إسماعيل وعبد الرحمن بن الخطاب وعلَّك ويحيى بن هرثمة والحسن بن الأفشين وصاحب الحرب الحسين بن إسماعيل ؛ فكان الجرحَى من أهل بغداد أكثر من مائتي إنسان ، والقتلى عدّة ، وكذلك الجراحات في الأتراك والقتلَى أكثرهم بالمجانيق ؛ وانهزم أكثر عامة أهل بغداد ، وثبت أصحاب البواريّ وانصرفوا جميعًا ، وهم في القتلى والجرحى شبيه بالسواء ؛ وجُرح من هؤلاء — فيما ذكر — مائتان ، ومن هؤلاء مائتان ، وقتل جماعة من الفريقين .

٣/١٥٦١ وجاء كردوس من الفراغنة والأتراك في هذا اليوم إلى باب خُراسان من

---

(١) س : « يرموهم » .

(٢) ف : « معسكرهم » .

(٣) ط : « المطلبين » ، ما أثبته من ا .

(٤) من ا .

الجانب[١] الشرقىّ ليدخلوا منه ، وأتى الصريخ محمد بن عبد الله ، وثبت لهم المبيّضة والغوغاء فردّوهم . وقد كان محمد أمر أن يُخرّب تلك الناحية ؛ فلما أرادوا الانصراف ، وحلّت عامة دوابهم ، ونجا أكثرهم ، أحضر الأتراك منجنيقاً ، فغلبهم الغوغاء عليه والمبيّضة ، وكسروا قائمة من قوائمه ، وقتل اثنان من الشاشية من الحجاج ، وأمر بحمل الآجرّ من قصر الطين وتلك الناحية إلى باب الشماسيّة ؛ وفتحوا باب الشماسيّة ، وأخرجوا إلى الآجرّ من لقطه ، وردّوه إلى هذا الجانب من السور .

وكان محمد بن عبد الله اتّصل به أنّ جماعة من الأتراك قد صاروا إلى ناحية النّهروان ، فوجّه قائدين من قوّاده يقال لهما عبد الله بن محمود السرخسىّ ويحيى بن حفص المعروف بَحبْوس فى خمسمائة من الفرسان والرّجالة[٢] إلى هذه الناحية ، ثم أردفهم بسبعمائة رجل أيضاً ، وأمرهم بالمقام هناك ؛ ومنع مَن أراده من الأتراك ؛ فتوجّه آخرهم إلى هذه الناحية يوم الجمعة لسبع خلون من صفر .

١٥٦٢/٣ فلما كان ليلة الاثنين لثلاث عشرة بقيت من صفر ، صار قوم من الأتراك إلى النّهْروان ، فخرج جماعة ممن كان مع عبد الله بن محمود ، فرجعوا هُرّاباً ، وأخذت دوابّهم ، وانصرف مَنْ نجا منهم إلى مدينة السلام مفلولين ، وقتل زهاء خمسين رجلا ، وأخذوا ستين دابة ، وعدّة من البغال قد كانت جاءت من ناحية حُلوان عليها الثلج[٣] ، فوجّهوا بها إلى سامرّا ، ووجهوا برءوس مَنْ قتلوا من الجند ، فكانت أول رءوس وافت فى تلك الحرب سامرّا .

وانصرف عبد الله بن محمود مفلولاً فى شِرذمة ، وصار طريق خراسان فى أيدى الأتراك ، وانقطع الطريق من بغداد إلى خراسان .

وكان إسماعيل بن فراشة وُجّه إلى همذان للمقام بها ، فكتب إليه بالانصراف ، فانصرف ، فأعطِىَ هو وأصحابه استحقاقهم .

---

(١) ف : « الباب » . (٢) ف : « فارس وراجل » .
(٣) ط : « السلاح » . وما أثبته من ا .

ووجّه المعتزّ عسكراً من الأتراك والمغاربة والفراغنة وممّن هو فى عدادهم . وعلى الأتراك والفراغنة الدرغمان الفرغانىّ ، وعلى المغاربة ربلة[1] المغربىّ ، فساروا إلى مدينة السلام من الجانب الغربىّ ، فجازوا قُطربُّل إلى بغداد ، وضربوا عسكرهم بين قُطْرُبّل وقطيعة أم جعفر ؛ وذلك عشيّة الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من صفر . .

فلما كان يوم الأربعاء من غد هذه الليلة ، وجّه محمد بن عبد الله بن طاهر الشاهَ بن ميكال من باب القطيعة وبُنداراً وخالد بن عمران فيمن معهم من أصحابهم من الفرسان والرّجّالة . فصافّهم الشاه وأصحابه ، فترامَوْا بالحجارة والسهام ، وألجئوا الشاه إلى مضيق عند باب القطيعة ، وكثُر المبيّضة من أهل بغداد ، ثم حمل الشاه والمبيّضة حملة واحدة أزالوا بها الأتراك والمغاربة ومَنْ معهم عن موضعهم ، وحمل عليهم المبيّضة ، وأصحروا بهم ، وحمل عليهم الطبريّة فخالطوهم ؛ وخرج عليهم بُندار وخالد بن عمران من الكمين ؛ وكانوا كمنوا فى ناحية قُطْرُبّل ، فوضعوا فى أصحاب أبى أحمد الأتراك منهم وغيرهم السيف ، فقتلوهم أبرح قتل ؛ فلم يُفلت منهم إلاّ القليل ، وانتهب[2] المبيضة عسكرهم وما كان فيه من المتاع والأهل والأثقال والمضارب والخُرْثىّ ، فكلّ من أفلت منهم من السيف رمى بنفسه فى دِجْلة ليعبُرَ إلى عسكر أبى أحمد ؛ فأخذه أصحاب الشبّارات ، وكانت الشبّارات قد شُحنت بالمقاتلة — فقُتِلوا وأسِروا ، وجُعِل القتلى والرءوس من الأتراك والمغاربة وغيرهم فى الزّواريق ، فنُصبت بعضها فى الجسرين ؛ وعلى باب محمد بن عبد الله ؛ فأمر محمد بن عبد الله لمن أبلى فى هذا اليوم بالأسورة ، فسُوِّر قوم كثير من الجند وغيرهم ، فطُلب[3] المنهزمة ، فبلغ بعضهم أوانا ، وبلغ بعضهم ناحية عسكر أبى أحمد عَبْرَ دجلة ، وبعضهم نفذ إلى سامُرّا .

٣/١٠٦٣

٣/١٠٦٤

وذُكر أن عسكر الأتراك يوم هُزِموا بباب القطيعة كانوا أربعة آلاف ، فقتِل منهم يوم الوقعة هنالك ألفان ؛ وكان وُضع فيهم بالسيف من باب

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط من غير نقط . (٢) ا ، ف : « وانتهبت » .
(٣) ف : « فطلبت » .

القَطيعة إلى القُفْص ، فقتَلوا مَنْ قتلوا ، وغرّق مَنْ غُرِّق ، وأسِر منهم جماعة ، فخلَع محمد بن عبد الله على بُنْدار أربع خلع مُلحم[1] ، ووشْى وسواد وخزّ ، وطوّقه طوقًا من ذهب ، وخلع على أبى السنا أربع خِلَع ، وعلى خالد بن عمران وجميع القوّاد ، كلّ رجل أربع خلع . وكان انصرافهم من الوقعة مع المغرب ، وسُخِّرت البغال ، وأخِذ لها الجواليق لتحمل فيها الرءوس إلى بغداد .

وكان كلّ مَنْ وافى دار محمد برأس تركىّ أو مغربىّ أعطوْه خمسين درهمًا ، وكان أكثر ذلك العمل للمبيّضة والعيّارين[2] ؛ ثم وافى عيّارو بغداد قُطْربُّل ، فانتهبوا ما تركه الأتراك من متاع أهل قُطْربُّل وأبواب دورهم ؛ فوجّه محمد فى آخر هذا اليوم أخاه أبا أحمد عبيد الله بن عبد الله والمظفّر بن سيسَل فى أثر المنهزمين[3] حِياطة لأهل بغداد ؛ لأنه لم يأمن رجعتهم عليه[4] فبلغا القُفْص ، وانصرفا سالمين ، وزعما مَنْ أقام من الرجّالة والعيارين بناحية قُطْربل ، وأشير على محمد بن عبد الله أن يتبعهم بعسكر فى اليوم الثانى وفى تلك الليلة ، ليوغل فى آثارهم ، فأبى ذلك ولم يتبع مولّياً ، ولم يأمر أن يُجهز على جريح ، وقبِل أمان مَن استأمن ، وأمر سعيد بن حُميد فكتب[5] كتاباً يذكر فيه هذه الوقعة ؛ فقرئ على أهل بغداد فى مسجد جامعها ، نسخته :

١٠٦٥/٣

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ؛ فالحمد لله المنعم فلا يبلغ أحد شكرَ نعمته ، والقادر فلا يعارَض فى قدرته ، والعزيز فلا يغالب[6] فى أمره ، والحكم العدل فلا يردّ حكمه ، والناصر فلا يكون نصره إلاّ للحق وأهله ، والمالك لكلّ شىء فلا يخرج أحد عن أمره[7] ، والهادى إلى الرحمة فلا يضلّ من انقاد لطاعته ، والمقدّم إعذاره ليظاهر به حجته ؛ الذى جعل دينه لعباده رحمة ، وخلافته لدينه عصمة ، وطاعة خلفائه فرضاً واجبًا على كافة الأمة ؛ فهم المستحفَظون فى أرضه على

---

(١) فى القاموس : « الملحم ، كمكرم : جنس من الثياب » .
(٢) فى القاموس : « العيار : الكثير الذهاب والمجىء » .
(٣) ا ، ف : « المنهزمة » . (٤) ف : « عليهم » .
(٥) س : « فأمر أن يكتب » . (٦) كذا فى ا .
(٧) ا ، ف : « سلطانه » .

ما بعث به رسله ، وأمناؤه على خلقه فيما[1] دعاهم إليه من دينه ، والحاملون لهم ٣/١٠٦٦
على منهاج حقه ؛ لئلا يتشعّب بهم الطريق إلى المخالفة لسبيله ، والهادى لهم
إلى صراطه ؛ ليجمعهم على الجادّة التى نَدب إليها عبادَه الذين بهم يُحمَى
الدّين من الغواة والمخالفين ؛ محتجّين على الأمم بكتاب الله الذى استعملهم
به ، ودعا الأمة بحقّ الله الذى اختارهم[2] له ؛ إن جاهدوا كانت حجة الله
معهم ، وإن حاربوا حكَم بالنصر لهم ، وإن بغاهم عدوّ كانت كفاية الله
حائلةً دونهم ومعقلا لهم[3] ، وإن كادهم كائد فالله من وراء عونهم ، نَصَبهم
الله لإعزاز دينه ؛ فمن عاداهم فإنما عادى الدّين الذى أعزّه وحرسه بهم ،
ومن ناوأهم فإنما طعن على الحقّ الذى يكلؤه بحراستهم ؛ جيوشُهم بالنّصر والعزّ
منصورة ، وكتائبهم بسلطان الله من عدّوهم محفوظة ، وأيديهم عن دين
الله دافعة ، وأشياعهم بتناصرهم فى الحقّ عالية ، وأحزاب أعدائهم ببغيهم
مقموعة ، وحجتهم عند الله وعند خلْقه داحضة ، ووسائلهم إلى النصر
مردودة ؛ تجمعهم مواطن التحاكم ، وأحكام الله بخذلانهم واقعة ، وأقداره
بإسلامهم إلى أوليائه جارية ، وعاداتهم فى الأمم[4] السالفة والقرون الخالية ٣/١٠٦٧
ماضية ؛ ليكون أهلُ الحق على ثقة من إنجاز سابق الوعد، وأعداؤه محجُوبون
بما قدّم إليهم من الإنذار ، معجّلة لهم نقمة الله بأيدى أوليائه ، معَدٌّ لهم العذاب
عند ربهم ، والخزى موصول بنواصيهم فى دنياهم ، وعذاب الآخرة من ورائهم
وما الله بظلام للعبيد .

وصلى الله على نبيه المصطفى ، ورسوله المرتَضى ، والمنقذ من الضّلالة إلى
الهدَى ، صلاة تامّة نامية بركاتها ، دائمة اتصالها ، وسلم تسليمًا .

والحمد لله تواضعًا لعظمته ، والحمد لله إقرارًا بربوبيته ، والحمد لله اعترافًا
بقصور أقصى منازل الشكر عن أدنى منزلة من منازل كرامته . والحمد لله الهادى
إلى حَمْده ، والموجب به مزيده ، والمحصى[5] به عوائد إحسانه ، حمدًا يرضاه
ويتقبّله ، ويوجب طوْله وإفضاله . والحمدُ لله الذى حكم بالخذلان على مَنْ

(١) ف : « على ما » .
(٢) ا ، ر : « اختاره لهم » .
(٣) ا : « يمنعهم » .
(٤) ف : « القرون » .
(٥) ا : « والمحصن » .

بـغى على أهل دينه ، وسبق وعده بالنصر لمن بُغى عليه من أنصار حقه .

وأنزل بذلك كتابه العزيز ، موعظةً للباغين ؛ فإن أقلعوا كانت التذكرة نافعة لهم ، والحجة عند الله لمن قام بها فيهم ، ثم أوجب بعد التذكرة والإصرار جهادهم ، فقال فيما قدّم من وعده ، وأبان من برهانه : ﴿ ثم بُغى عليه لينصرنه الله ﴾[1] ، وعداً من الله حقاً نهى به أعداءه عن معصيته ، وثبّت به أولياءه على سبيله ؛ والله لا يخلف الميعاد . ١٥٦٨/٣

ولله عند أمير المؤمنين فى رئيس دعوته ، وسيف دولته ، والمحامى عن سلطانه ومحلّ ثقته ، والمتقدّم فى طاعته ونصيحته لأوليائه ، والذابّ عن حقه ، والقائم بمجاهدة أعدائه ؛ محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين ، نعمةٌ يُرغب إلى الله فى إتمامها ، والتوفيق لشكرها ، والتطوّل بمن أراد المزيد فيها ؛ فإن الله قدّر لآبائه القيام بالدّعوة الأولى لآباء أمير المؤمنين ، ثم جمع له آثارهم بقيامه بالدّولة الثانية ؛ حين حاول أعداء الله أن يطمسوا معالم دينه ويعفّوها ؛ فقام بحقّ الله وحقّ خليفته ، محامياً عنها ، ومرامياً من ورائها ، متناولاً للبعيد برأيه ونظره ، مباشراً للقريب بإشرافه وتفقّده ، باذلاً نفسه فى كلّ ما قرّبه من الله ، وأوجب له الزُّلفة عنده ، وسيمتّع الله أمير المؤمنين به وليّاً ، مكانفاً على الحق ، وناصراً موازراً على الخير ، وظهيراً مجاهداً لعدوّ الدين .

وقد علمتم ما كان كتاب أمير المؤمنين تقدّم به إليكم فيما أحدثته الفرقة الضالة عن سبيل ربها ، المفارقة لعصمة دينها ، الكافرة لنعم الله ونعم خليفته عندها ، المباينة لجماعة الأمة التى ألّف الله بخلافته نظامها ، المحاولة لتشتيت الكلمة بعد اجتماعها ، الناكثة لبيعته ، الخالعة لربقة الإسلام من أعناقها ، الموالى الأتراكُ ، وما صارت إليه من نصر الغلام المعروف بأبى عبد الله بن المتوكل لإقامتها عند مصير أمير المؤمنين إلى مدينة السلام ، محلّ سلطانه ، ومجتمع[2] أنصاره وأبناء أنصار آبائه ؛ وما قابل به أمير المؤمنين خيانتهم وآثره من الأناة فى أمرهم . ١٥٦٩/٣

---

(١) سورة الحج ٦٠ .

(٢) ا ، س : « ومجمع » .

ثم إنّ هؤلاء الناكثين جمعوا جمعًا من الأتراك والمغاربة ، ومن ولج فى سوادهم ، ودخل فى غُمارهم ، مؤاتيًا للفتنة من ألفاف الغىّ ، ورأسوا عليهم المعروف بأبى أحمد بن المتوكل ، ثم ساروا نحو مدينة السلام فى الجانب الشرقىّ ، معلنين للبغى والاقتدار ، مظهرين للغىّ والإصرار ؛ فتأنّاهم أمير المؤمنين ، وفسّح لهم فى النّظرة لهم ، وأمر بالكتاب إليهم بما فيه تبصيرُهم الرشد ، وتذكيرهم[1] بما قدّموا من البيعة ، وإفهامهم ما لله عليهم وله فى ذلك من الحقّ ، وأنّ خروجهم مما دخلوا فيه من بيعتهم طوعاً ، الخروجُ من دين الله والبراءة منه ومن رسوله ، وتحريمهم أموالَهم ونساءهم عليهم ؛ وأن فى تمسكهم به سلامة أديانهم ، وبقاء نعمتهم ، والاحتراس من حُلول النقَم بهم[2] ، وأن يبين لهم ما سلف من بلائه عندهم ؛ من أسنى المواهب ، وأرفع الرغائب ، والاختصاص بسنىّ المراتب ، والتقدّم فى المحافل ؛ فأبوْا إلا تماديًا ونفارًا ، وتمسكاً بالغىّ وإصراراً .

٣/١٥٧٠

فقلّد أمير المؤمنين نصيحه المؤتمن ووليّه محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين تدبيرَ[3] أمورهم ودعائهم إلى الحقّ ما كانت الإنابة أو محاربتهم إن جنح بهم غيّهم ، وتتابعوا فى ضلالهم ، فلم يألهم نظراً وإفهاماً ، وتبييناً وإرشاداً ؛ وهم فى ذلك رافعون أصواتهم بالتوعّد لأهل لمدينة السلام ؛ بسفك دمائهم وسَبْى نسائهم وتغنّم أموالهم ؛ وقبل ذلك ما كانوا فى مسيرهم على السبيل التى يستعملها أهل الشرْك فى غاراتهم ، ويميلون إليها عند إمكان النّهزة[4] لهم ؛ لا يجتازون بعامر إلا أخربوه ، ولا بحريم لمسلم ولا غيره إلا أباحوه ، ولا بمسلم يعجز عنهم إلا قتلوه ، ولا بمال لمسلم ولا ذمىّ إلا أخذوه ؛ حتى انتقل كثير ممن سبقت إليه أخبارهم ممن أمامهم عن أوطانهم ، وفارقوا منازلهم ورباعهم ، وفزعوا إلى باب أمير المؤمنين تحصّناً من معرّتهم ، لا يمرّون بغنىّ إلا خلعوا عنه لباس الغنى ؛ ولا بمستور إلا هتكوا عن الذرّية والنساء ستره ، لا يرقبون فى مؤمن إلاّ ولا ذمّة ، ولا يتوقّفون عن مسلم بهتك ولا مُثْلة ، ولا يرغبون عما حرم الله من دم ولا حرمة .

٣/١٥٧١

ثم تلقّوا التذكرة بالحرب ، وقابلوا الموعظة بالإصرار على الذنب ، وعارضوا

---

(١) س : « وتذكرهم » .
(٢) س : « الغير » .
(٣) كذا فى ا ، وفى ط : « بتدبير » .
(٤) ا : « الغرة » .

التبصير بالاستبصار فى الباطل ؛ فذلَفُوا نحو باب الشمّاسية ، وقد رتب محمد ابن عبد الله مولى أمير المؤمنين بذلك الباب والأبواب التى سبيلها سبيله من أبواب مدينة السلام الجيوشَ فى العُدّة الكاملة ، والعدّة المتظاهرة ؛ معاقلهم التوكّل على ربّهم ، وحصونهم الاعتصام بطاعته ، وشعارهم التكبير والتهليل أمام عدوهم .

ومحمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين ، يأمرُهم بتحصين ما يليهم والإمساك عن الحرب ما كانت مندوحة لهم ؛ فبادأهم الأولياء بالموعظة ، وبدأهم الغواة الناكثون بحربهم ، وعادوْهم أياماً بجموعهم وعدادهم ، مُدلّين بعِدّتهم ومقدّرين ألا غالب لهم ؛ ولا يعلمون بالله أنّ قدرته فوق قدرتهم ، وأن أقداره نافذة بخلاف إرادتهم ، وأحكامه عادلة ماضية لأهل الحقّ عليهم ؛ حتى إذا كان يوم السبت للنصف من صفَر وافوْا باب الشماسيّة بأجمعهم[١] ، قد نشروا أعلامهم ، وتنادوْا[٢] بشعارهم ، وتحصّنوا بأسلحتهم ، وبدا الأمر[٣] منهم لمن عاينهم ، ليس لهم وعيد دون سفك الدماء ، وسبْى النساء ، واستباحة الأموال ؛ فبدأهم الأولياء بالموعظة فلم يسمعوا ، وقابلوهم بالتذكرة فلم يُصغوا إليها ، وبدءوا بالحرب منابذين لها ، فتسرّع الأولياء عند ذلك إليهم ، واستنصروا عليهم[٤] ، واستحكمت بالله ثقتهم ، ونفذت به بصائرهم ؛ فلم تزل الحرب بينهم إلى وقت العصر من هذا اليوم ؛ فقتل الله من حُماتهم وفرسانهم ورؤسائهم وقادة باطلهم جماعة كثيراً عَددها[٥] ، ونالت الجراحة المثخنة التى تأتى على مَنْ نالته أكثر عامتهم .

٣/١٥٧٢

فلما رأى أعداء الله وأعداء دينه أنْ قد أكذب ظنونَهم ، وحال بينهم وبين أمانيهم ، وجعل عواقبها حسرات عليهم ؛ استنهضوا جيشاً من سامُرّا من الأتراك والمغاربة فى العتاد والعُدّة والجلَد والأسلحة فى الجانب الغربىّ ، طالبين المعرّة ، ومؤمّلين أن ينالوا نيلاً من أهله باشتغال إخوانهم فى الجانب الشرقىّ بأعدائهم .

وقد كان محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين شحَن الجانبين جميعاً

---

(١) س : « بجمعهم » .
(٢) س : « وتبادروا » .
(٣) ا : « الأشر » .
(٤) ف : « على عدوهم » .
(٥) ا ، ف : « عدتها » .

بالرّجال والعُدّة ، ووكّل بكلّ ناحية مَنْ يقوم بحفظها وحراستها ، ويكفّ عن الرعية بوائقَ أعدائهم ، ووكل بكل باب من الأبواب[1] قائداً فى جَمْع كثيف ، ورتّب على السور مَنْ يراعيه فى الليل والنهار[2] وبث الرجال ليعرف أخبار أعداء الله فى حركاتهم ونهوضهم[3] ومقامهم وتصرّفهم ، فيعامل كلّ حال لهم بحال يفتّ الله فى أعضادهم بها . ١٥٧٣/٣

فلما كان يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من صفر ، وافى الجيش الذى أنهضوه[4] من الجانب الغربىّ[5] البابَ المعروف بباب قُطْرُبُّل ، فوقفوا بإزاء الناكثين المعسكرين بالجانب الشرقىّ من دجْلة فى عدد[6] لا يسعه إلاّ الفضاء ، ولا يحمله إلا المجال الفسيح ، وقد تواعَدُوا أن يكون دنوّهم مين الأبواب معًا لشغل[7] الأولياء بحربهم من الجهات ، فيضعفوا عنهم ويغلبوا حقّهم بباطلهم ؛ أملاً كاذبًا كادهم الله فيه غير صادق ، وظنًّا خائبًا لله فيه قضاء نافذ[8] .
وأنهض محمد بن عبد الله نحوهم محمد بن أبى عون وبُندار بن موسى الطبرىّ مولى أمير المؤمنين وعبد الله بن نصر بن حمزة من باب قطربُّل ، وأمرهم بتقوى الله وطاعته ، والاتباع لأمره والتصرّف مع كتابه ، والتوقّف عن الحرب حتى تسبق التذكرة الأسماع ، وتزول الحجة بالتتابع منهم والإصرار ، فنفذوا فى جمع يقابل جمعهم ، مستبصرين فى حقّ الله عليهم ، مسارعين إلى لقاء عدوّهم ، محتسبين خطاهم ومسيرهم ، واثقين بالثواب الآجل والجزاء العاجل . فتلقاهم ومَنْ معهم أعداء الله ، قد أطلقوا نحوهم أعنّتهم ، وأشرعوا لِنُحورهم أسنّتهم ، لا يشكون أنهم نُهزة المختلس ، وغنيمة المنتهب ؛ فنادوْهم بالموعظة نداء مسْمعاً ، فمجّتها أسماعهم ، وعميت عنها أبصارهم ، وصدَقهم أولياءُ الله فى لقائهم ؛ بقلوب مستجمعة لهم ، وعلم بأنّ الله لا يخلف وعده فيهم ؛ فجالت الخيل بهم جَوْلة ، وعاودت كَرّة بعد كرّة عليهم ، طعنًا بالرماح ، وضربًا بالسيوف ، ورَشقاً بالسهام ؛ فلما مسّهم ألم جِراحها ، وكلّمتْهم الحربُ بأنيابها ، ودارت ١٥٧٤/٣

(١) س : « الجانبين » .
(٢) بعدها فى ف : « فى كل حال » .
(٣) بعدها فى ف : « وما معهم » .
(٤) س : « الذين نهضوا » .
(٥) س : « الشرقى » .
(٦) ف : « عداد » .
(٧) ف : « ليشغل » .
(٨) ا : « سابق » .

عليهم رحاها ، وصمم عليهم أبناؤها ، ظمأ إلى دمائهم ؛ ولَّوا أدبارَهم ، ومنح الله أكتافهم ، وأوقع بأسه بهم ، فقتِلت منهم جماعة لم يحترسوا من عذاب الله بتوبة ، ولم يتحصّنوا من عقابه بأمانة ، ثم ثابت ثانية ؛ فوقفوا بإزاء الأولياء ، وعبَر إليهم أشياعُهم الغاوُون من عسكرهم بباب الشمّاسية ألف رجل من أنجادهم فى السفن ، معاونين لهم على ضلالتهم ؛ فأنهض لهم محمد بن عبد الله خالد بن عمران والشاهَ بن ميكال مولى طاهر نحوهم ، فنفذوا ببصيرة لا يتخوّنها فتور ، ونيّة لا يلحقها تقصير ؛ ومعهما العباس بن قارن مولى أمير المؤمنين . ١٠٧٥/٣

فلما وافى الشاه فيمَنْ معه أعداء الله ، وكلٌّ بالمواضع التى يتخوّف منها[1] مدخل الكُمناء ، ثم حمل مَنْ توجّه معه من القواد المسمّين ماضين لا يغويهم الوعيد ، ولا يشكّون من الله فى النصر والتأييد ، فوضعوا أسيافَهم فيهم ، تمضى أحكام الله عليهم ؛ حتى ألحقوهم بالمعسكر الذى كانوا عسكروا فيه وجاوزوه ، وسلبوهم كل ما كان من سلاح وكُراع وعتاد الحرب ؛ فمِن قتيلٍ غُودرت جثّته بمصرعه ، ونقلت هامته إلى مصيرٍ فيه معتبَرٌ لغيره ، ومن لاجئ من السيف إلى الغَرَق لم يجرْه الله من حذاره ، ومن أسيرٍ مصفودٍ يُقاد إلى دار أولياء الله وحزبه ، ومن هاربٍ بحشاشة نفسه ، قد أسكن الله الخوف قلبه ؛ فكانت النقمة بحمد الله واقعة بالفريقين ممن وافى الجانب الغربىّ قادماً ، ومن عبر إليهم من الجانب الشرقىّ مُنجداً ، لم ينجُ منهم ناجٍ ، ولم يعتصم منهم بالتوبة معتصم ، ولا أقبل إلى الله مقبل ؛ فرقاً أربعًا يجمعها النار ، ويشملها[2] عاجل النكال ، عظةً ومعتبراً لأولى الأبصار ؛ فكانوا كما قال الله عز وجل : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾[3] . ١٠٧٦/٣

ولم تزل الحرب بين الأولياء وبين الفرقة التى كانت فى الجانب الشرقىّ والقتل محتفل فى أعلامهم ، والجراح فاشية فيهم ؛ حتى إذا عاينوا ما أنزل الله بأشياعهم من البوار ، وأحلّ بهم من النقمة والاستئصال ؛ ما لهم من الله من عاصم ، ولا من أوليائه ملجأ ولا موئل ؛ ولَّوْا منهزمين مفلولين منكوبين ، قد

---

(١) س : « فيها » . (٢) ف : « ويشملهم » . (٣) سورة إبراهيم ٢٨ ، ٢٩ .

أراهم الله العبَر فى إخوانهم الغاوية ، وطوائفهم المضلّة ؛ وضلّ ما كان فى أنفسهم لما رأوْا من نصر الله لجنده ، وإعزازه لأوليائه ؛ والحمد لله ربّ العالمين ، قامع الغواة الناكبين عن دينه ، والبغاة الناقضين لعهده ، والمرّاق الخارجين من جملة أهل حقّه ؛ حمداً مبلغاً رضاه ، وموجباً أفضل مزيده ؛ وصلى الله أوّلاً وآخراً على محمد عبده ورسوله ، الهادى إلى سبيله ، والدّاعى إليه بإذنه ، وسلم تسليماً.

وكتب سعيد بن حُميد يوم السبت لسبع خلون من صفر سنة إحدى وخمسين ومائتين .

* * *

وركب محمد بن عبد الله بن طاهر يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من صفر إلى باب الشمّاسية ، وأمر بهدم ما وراء سُور بغداد من الدور والحوانيت والبَساتين وقطْع النَّخْل والشّجر من باب الشمّاسية إلى ثلاثة أبواب ؛ لتتسع الناحية على مَنْ يحارب فيها ؛ وكان وُجّه من ناحية فارس والأهواز نيّفٌ وسبعون حماراً بمال إلى بغداد ، قدم به — فيما ذكر — منكجور بن قارن الأشروسنىّ القائد ، فوجّه الأتراك وأبو أحمد بن بابك إلى طرارستان فى ثلثمائة فارس وراجل ؛ ليلتقى ذلك المال إذا صار إليها . فوجّه محمد بن عبد الله قائداً له يقال له يحيى بن حفص ، يحمل ذلك المال ، فعدَل به عن طرارستان ، خوفاً من ابن بابك ؛ فلما علم ابن بابك أن المال قد فاته صار بمن معه إلى النهروان ؛ فأوقع من كان معه من الجند بأهلها ، وأخرج أكثرهم ، وأحرق سفن الجسر ؛ وهى أكثر من عشرين سفينة ، وانصرف إلى سامُرّا . ١٥٧٧/٣

وقدم محمد بن خالد بن يزيد — وكان المستعين قلده الثغور الجزريّة ، وكان مقيماً بمدينة بلد ينتظر من يصير إليه من الجند والمال — فلما كان من اضطراب أمر الأتراك ودخول المستعين بغداد ما كان ، لم يمكنه المصير إلى بغداد إلاّ من طريق الرّقة ، فصار إليها بمَن معه من خاصّته وأصحابه ؛ وهم زهاء أربعمائة فارس وراجل ؛ ثم انحدر منها إلى مدينة السلام ، فدخلها يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من صفر ، فصار إلى دار محمد بن عبد الله بن طاهر ؛ فخلع عليه خمس خلع : دَبيقىّ [1] ، ومُلْحم ، وخزّ ، ووشى ، وسواد ،

---

(١) دبيقى : ثوب منسوب إلى دبيق ، بلدة قديمة كانت بمصر.

٣/١٥٧٨ ثم وجهه فى جيش كثيف لمحاربة أيوب بن أحمد ؛ فأخذ على ظهر[١] الفرات فحاربه فى نفر يسير ، فهُزم وصار إلى ضَيْعته[٢] بالسواد .

فذكر عن سعيد بن حميد أنه قال : لمّا انتهى خبر هزيمة محمد بن عبدالله ، قال : ليس يُفلح أحدٌ من العرب إلاّ أن يكون معه نبيّ ينصره به .

وفى هذا اليوم كانت للأتراك وقعة بباب الشّماسية ، كانوا صاروا إلى الباب ، فقاتلوا عليه قتالا شديداً حتى كشفوا مَنْ عليه ، ورموا المنجنيق المنصوب بسرّة الباب بالنّفط والنار ، فلم يعمل فيه نارهم ، وكثّرهم من على الباب من الجند حتى أزالوهم عن موقفهم ، ودفعوهم عن الباب بعد قتلهم عدّة يسيرة من أهل بغداد ، وجرحهم منهم جماعةً كثيرة بالسّهام . فوجّه محمد بن عبد الله إليهم عند ذلك العرّادات التى كانت تحمل فى السفن والزّواريق ، فرموْهم بها رمياً شديداً ، فقتلوا منهم جماعة كثيرة نحواً من مائة إنسان ، فتنحّوْا عن الباب ؛ وكان بعض المغاربة صار فى هذا اليوم إلى سور باب الشماسية ؛ فرمى كُلاّب إلى السور ، وتعلّق به وصعد ، فأخذه الموكلُون بالسور فقتلوه ، ورَمَوْا برأسه فى المنجنيق إلى عسكر الأتراك ؛ وانصرفوا عند ذلك إلى معسكرهم .

٣/١٥٧٩ وذكر أنّ بعض الموكلين بسُور باب الشّماسية من الأبناء هاله ما رأى من كثرة مَنْ ورد باب الشماسية فى هذا اليوم من الأتراك والمغاربة ؛ وكانوا قرّبُوا من الباب بأعلامهم وطبولهم ، ووضع بعض المغاربة كلاّباً على السور ؛ فأراد بعض الموكّلين بالسور أن يصيح : يا مستعين ، يا منصور ، فغلط ؛ فصاح : يا معتزّ ، يا منصور ؛ فظنّه بعض الموكلين بالباب من المغاربة ، فقتلوه وبعثوا برأسه إلى دار محمد بن عبد الله ؛ فأمر بنصبه ، فجاءت أمه وأخوه فى عشية هذا اليوم بجُثّته فى محمل يصيحان ويطلبان رأسه ؛ فلم يُدفع إليهما ؛ ولم يزل منصوباً على الجسر إلى أن أنزل مع ما أنزل من الرءوس .

ووافى ليلة الجمعة لسبع بقين من صفَر جماعة من الأتراك باب البَرَدان ؛ وكان الموكّل به محمد بن رجاء ؛ وذلك قبل شخوصه إلى ناحية واسط ؛ فقتل منهم

(١) ف : « طريق الفرات » .   (٢) ف : « ضيعة » .

ستة نفر ، وأسر أربعة ، وكان الدّرغمان شجاعًا بطلاً ، وصار فى بعض الأيام مع الأترك إلى باب الشماسيّة ، فرمى بحجر منْجنيق ، فأصاب صدره ؛ فانصُرِف به إلى سامُرّا ، فمات بين بُصرى وعُكْبَرَاء ؛ فحمل إلى سامرّا ؛ فذكر يحيى بن العكىّ القائد المغربىّ أنه كان إلى جنب الدّرْغمان فى يوم من أيامهم ؛ إذ وافاه ناوكىّ[1] ، فأصاب عينه ، ثم أصابه بعد ذلك حجَر فأطار رأسه ، فحمل ميّتاً .

٣/١٥٨٠

وذُكر عن علىّ بن حسن الرامى ، أنه قال : كنّا قد جمعنا على السور على باب الشّماسية من الرّماة جماعة ، وكان مغربىّ يجىء حتى يقرب من الباب ، ثم يكشف استه[2] ثم يضرط ويصيح ؛ قال : فانتخبت له سهمًا فأنفذته فى دُبره حتى خرج من حلقه ، وسقط ميّتًا . وخرج من الباب جماعة فنصبوه كالمصلوب ، وجاءت المغاربة بعد ذلك ، فاحتملوه .

وذكر أنّ الغوغاء اجتمعوا بسامُرّا بعد هزيمة الأتراك يوم قُطْربّل ، ورأوا ضعف أمر المعتزّ ، فانتهبوا سوق أصحاب الحُلِىّ والسيوف والصيارفة ، وأخذوا جميعَ ما وجدوا فيها من متاع وغيره ، فاجتمع التجار إلى إبراهيم المؤيد أخى المعتزّ ، فشكوا ذلك إليه ، وأعلموه أنهم قد كانوا ضمنوا لهم أموالهم وحفظها عليهم . قال : فقال لهم : كان ينبغى لكم أن تحوّلوا متاعكم إلى منازلكم ؛ وكبُر عنده ذلك[3] .

وقدم بحونة بن قيس بن أبى السعدىّ يوم السبت لثمان بقين من صفر بمن فَرض من الأعراب وهم ستمائة راجل ومائتا فارس . وقدم فى هذا اليوم عشرة نفر من وجوه أهل طَرَسوس يشكون بلكاجور ، ويزعمون أن بيعة المعتزّ[4] وردت عليه ، فخرج بعد ساعتين من وصول الكتاب ، ودعا إلى بيعة المعتزّ ، وأخذ القوّادَ وأهل الثغر بذلك ؛ فبايع أكثرهم ، وامتنع بعض ، فأقبل على من امتنع بالضرب والقيد والحبس . وذُكر أنهم امتنعوا وهربوا لمّا أخذهم بالبيعة

٣/١٥٨١

---

(١) ف : « وافاه سهم » . (٢) س : « رأسه » .

(٣) ا : « ولم يكن عنده لذلك نكير » .

(٤) ا : « خلع » .

كرهاً، فقال وصيف : ما أظن الرجل إلا [اغترّوه عليه][1] وأن الوارد عليه بكتاب المعتزّ هو الليث بن بابَك ، وذكر له أنّ المستعين مات ، وأقاموا المعتزّ مكانه ؛ فتكلّم[2] هؤلاء النّفر يشكون بلكاجور ، ونسبوه إلى أنه فعل ذلك على عمد ، ورفعوا عليه أنه كان يرى فى بنى الواثق ، وقد ورد كتاب بلكاجور يوم الأربعاء لأربع بقين من صفر مع رجل يقال له علىّ الحسين المعروف بابن الصّعلوك ؛ يذكر فيه أنه ورد عليه كتاب من أبى عبد الله بن المتوكل ، أنه قد ولى الخلافة ، وبايع له. فلما ورد عليه كتاب المستعين بصحة الأمر ، جدّد أخذ البيعة على مَنْ قِبَله ، وأنه على السمع والطاعة له . فأمر للرسول بألف درهم فقبضها ، وقد كان أمر بالكتاب إلى محمد بن علىّ الأرمنى المعروف بأبى نصر بولايته على الثغور الشأمية . فلما ورد كتاب بلكاجور بالطاعة أمسك عن إنفاذ كتاب محمد بن علىّ الأرمنىّ بالولاية .

وفى يوم الاثنين لست بقين من صفر من هذه السنة قدم إسماعيل بن فراشة من ناحية همذان فى نحو ثلثمائة فارس ، وكان جنده ألفاً وخمسمائة ، فتقدّم بعضهم وتأخّر بعض ، وتفرّقوا ، وقدم معه برسول للمعتزّ ، كان وُجّه إليه لأخذ البيعة ، فقيّد الرسول وصار به إلى مدينة السلام على بغل بلا إكاف ، فخلع على إسماعيل خمس خلع . وورد برجل ذكر أنه علوىّ أخذ بناحية الرىّ وطبرستان ، متوجهاً إلى من هناك من العلوية ؛ وكان معه دوابّ وغلمان ؛ فأمر به فحبس فى دار العامة أشهراً ، ثم أخذ منه كفيل وأطلق .

١٥٨٢/٣

وقرئ فى هذا اليوم كتاب موسى بن بغا يذكر فيه أنه ورد كتاب المعتزّ ، وأنه دعا أصحابه ، وأخبرهم بما حدث ، وأمرهم بالانصراف معه إلى مدينة السلام ؛ فامتنعوا ، وأجابه الشاكرية والأبناء ، واعتزله الأتراك ومَنْ كان معهم ، وحاربوه فقُتل منهم جماعة وأسر أسرى ؛ فهم قادمون معه . فكبّروا فى دار ابن طاهر عند قراءتهم كتابه .

ولخمس بقين من صفر دخل من البصرة عشر سفائن بحرية ؛ تسمّى

(١) من ا ، وموضع ذلك بياض فى ط (٢) كذا فى ا ، وفى ط : « فكثر » .

البوارج ، فى كل سفينة اشْتيام وثلاثة نفّاطين ونجّار وخباز وتسعة وثلاثون رجلا من الجذّافين والمقاتلة[1] ؛ فذلك فى كلّ سفينة خمسة وأربعون رجلا . فمدّت إلى الجزيرة التى بحذاء دار ابن طاهر ، ولعب أصحابها بالنيران ، ثمّ مدّت إلى ناحية الشماسيّة فى هذه الليلة ، فَرُمِيَ مَنْ فيها من الأتراك بالنيران ، فعزموا على الانتقال من معسكرهم برقّة الشماسية إلى بُستان أبى جعفر بالحير ، ثم بدا لهم فارتفعوا فوق عسكرهم فى موضع لا ينالهم شىء من النار . ٣/١٥٨٣

ولليلة بقيت من صَفَر صار الأتراك والمغاربة إلى أبواب مدينة السلام من الجانب الشرقىّ ، فأغلقت الأبواب فى وجوههم ، ورموا بالسهام والمنجنيقات والعرّادات ، فقتل من الفريقين وجُرح جماعة كثيرة ، فلم يزالوا كذلك إلى العصر .

* * *

وفى هذه السنة كرّ سليمان بن عبد الله راجعًا من جُرجان إلى طبرستان وشخص من آمُل ، وخرج بجمع كثير وخيل وسلاح ، فتنحّى الحسن بن زيد ولحق بالدّيلم ، فكتب إلى السلطان ابن أخيه محمد بن طاهر بدخوله طبرستان ، فقرئ كتابه ببغداد ، وكتب نسخة ذلك المستعين إلى بغا الصغير مولى أمير المؤمنين بفتح طَبرستان على يدى محمد بن طاهر وهزيمة الحسن ابن زيد ؛ وأن سليمان بن عبد الله دخل سارية على حالٍ من السلامة ، وأنه ورد عليه ابنان لقارن بن شهريار مولى أمير المؤمنين ، يقال لهما مازيار ورستم ، فى خمسمائة رجل ، إلى ما ذكر من غير ذلك فى الفتح ، وأنّ أهل آمُل أتوه مُنيبين مظهرين إنابتهم ، مستقيلين عثراتهم ؛ فلقيهم بما زاد فى سكونهم وثقتهم ، ونهض بعسكره على تعبيته ، مستقرئًا للقرى والطرق ، وتقدم بالنهى عن القتل ، وترك العَرْض لأحدٍ فى سلب وغيره ، وتوعّد من جاوز ذلك ؛ وأن كتاب أسد بن جندان وافاه بهزيمة علىّ بن عبد الله الطالبىّ المسمى بالمرعشىّ فيمن كان معه ؛ وهم أكثر من ألفىْ رجُل ورجلين من رؤساء الجبل ، فى جمع عظيم عند تأدّى الخبر إليهم بانهزام الحسن بن زيد ودخوله بالأولياء إلى تلك الناحية ، وأنه دخل مدينة آمُل فى أحسن هيئة ، وأظهر عزّة وسلامة شاملة ، ٣/١٥٨٤

(١) ا : « ومقاتلة » .

وانقطعت عنه أسباب الفتنة .

ولخمس بقين من المحرم من هذه السنة ورد كتاب العلاء بن أحمد عامل بغا الشرابيّ على الخراج والضِّياع بإرمينيـَة ، بما كان من خروج رجاين بتلك الناحية ؛ سمّاهما وذكر إيقاعه بهما ، وأنهما التجآ إلى قلعة ، فوضع عليهما المجانيق حتى جهدها ، وأنّهما خرجا من القلعة هاربيْن ، وخفي أمرُهما وصارت القلعة في أيدي[1] الأولياء .

* * *

٣/١٠٨٥ وفيها أيضًا ورد كتاب مؤرّخ لإحدى عشرة ليلة بقيَت من المحرّم بانتقاض أهل أردبيل ، وكتاب الطالبيّ إليهم ، وأنه بعث[2] أربعة عساكر على أربعة أبواب مدينتهم ليحاصرهم .

* * *

وفيها ورد كتاب مخبر عن الحرب التي كانت بين عيسى بن الشيخ والموفّق الخارجيّ وأسْر عيسى الموفّق ، ومسألة عيسى المستعين توجيه ما يحتاج إليه من السلاح ؛ ليكون عدّة له في البلد ، يقوى به الجند على الغزو[3] ، وأن يكتب إلى صاحب الصّور في توجيه أربع مراكب إليه بجميع آلتها ؛ تكون قبلَه مع ما قبله منها .

* * *

وفيها أيضًا ورد كتاب محمد بن طاهر بخبر الطالبيّ الذي ظهر بالريّ ونواحيها ، وما أعدّ له من العساكر ، ووجّه إليه من المقاتلة ، وبهرب الحسن ابن زيد عند مصيره إلى المحمّدية وإحاطة عسكره بها ؛ وأنه عند دخوله المحمّدية وكّل بالمسالك والطرق ، وبثّ أصحابه ، وأنّ الله أظفره بمحمد بن جعفر أسيراً على غير عَقْد ولا عهد . والذي صار إلى الريّ من العلوية في المرة الثانية بعد ما أسِر محمد بن جعفر أحمدُ بن عيسى بن عليّ بن حسين الصغير بن علي

٣/١٠٨٦ ابن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، وإدريس بن موسى بن عبد الله بن موسى بن

---

(١) س : « يد » . (٢) ف : « نصب لهم » . (٣) س : « العدو » .

عبد الله بن حسن بن علىّ بن أبى طالب ، وهو الذى خرج فى مصعد الحاجّ ، والذى بطبَرستان الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب رحمة الله عليه ورضوانه .

* * *

وفيها أيضًا ورد كتابٌ من محمد بن طاهر على المستعين ، يذكر فيه انهزام الحسن بن زيد منه ، وأنه لقيه فى زُهاء ثلاثين ألفًا ، فجرت فيما بينه وبينه حرب ، وأنه قتَل من رءوس أصحابه ثلثمائة وَنيّفًا وأربعين رجلا . وأمر المستعين أن يقرأ نسخة كتابه فى الآفاق .

* * *

وفيها خرج يوسف بن إسماعيل العلوىّ ابن أخت موسى بن عبد الله الحسينىّ .

وفى شهر ربيع الأول منها أمر محمد بن عبد الله أن يُتخذ لعيّارى أهل بغداد كافركوبات ، وأن يصيّر فيها مسامير الحديد ، ويجعل ذلك فى دار المظفر بن سيسل ؛ لأنهم كانوا يحضرون القتال بغير سلاح ، وكانوا يرمون بالآجُرّ ، ثم أمر مناديًا ، فنادى : مَنْ أراد السلاح فليحضر دار المظفّر ، فوافاها العيارون من كلّ جانب ، فقسم ذلك فيهم ، وأثبت أسماءهم ، ورأس العيّارون عليهم رجلا يدعى ينتويه ؛ ويكنى أبا جعفر وعدّة[1] أخَر ؛ يدعى أحدهم دُونل ، والآخر دمحال ، والآخر أبا نملة ، والآخر أبا عصارة ، فلم يثبت منهم إلاّ ينتويه ؛ فإنه لم يزل رئيسًا على عيّارى الجانب الغربىّ ؛ حتى انقضى أمر هذه الفتنة . ولما أعْطِىَ العيّارون الكافركوبات تفرّقوا على أبواب بغداد ، فقتلوا من الأتراك ومنْ أتباعهم نحوًا من خمسين نفسًا فى ذلك اليوم ، وقتل منهم عشرة أنفس وجُرح منهم خمسمائة بالنّشاب ، وأخذوا من الأتراك عَلَمَيْن وسُلّمَيْن .

١٠٨٧/٣

وفيها كانت لبحونة[2] بن قيس وقعة مع جماعة من الأتراك بناحية بَزُوغَى ،

---

(١) ف : « وأربعة » . (٢) ط : « نجوبة » ، وما أثبته من ا ، وانظر الفهرس.

لقيهم هو ومحمد بن أبى عون وغيرهما ، فأسروا منهم سبعة ، وقتلوا ثلاثة ، ورمى بعضُهم بنفسه فى الماء ، فغرق بعضُهم ونجا بعضهم .

وذُكر عن أحمد بن صالح بن شيرزاد ، أنه سأل رجلاً من الأسرى عن عدّة القوم الذين لقيهم بجونة ، قال : كنا أربعين رجلا ، فلقينا بجونة وأصحابه سحَراً ، فقتِل منا ثلاثة ، وغرق ثلاثة ، وأسر ثمانية ، وأفلت الباقون ، وأخِذ ثمانى عشرة دابة[1] وجواشن وراية لعامل أوانا ؛ وهو أخو هارون بن شعيب. وكانت الوقعة بأوانا يوم الأربعاء ، وأقام جند بجونة وعبد الله بن نصر بن حمزة بقُطْربُّل مسلحة . ٣/١٠٨٨

وخرج – فيما ذكر – ينتويه وأصحابه من العيّارين فى بعض هذه الأيام من باب قَطْربّل ، فمضوا يشتمون الأتراك حتى جازوا قَطْربّل ، فعبَر مَن عَبر إليهم من الأتراك ناشبة فى الزواريق ، فقتلوا منهم رجلا ، وجرحوا منهم عشرة ؛ وكاثرهم العيّارون بالحجارة فأثخنوهم ، فرجعوا إلى معسكرهم ، فأحضر ينتويه دار ابن طاهر ؛ فأمر ألاّ يخرج إلاّ فى يوم قتال ، وسُوّر ، وأمر له بخمسمائة درهم .

ولأربع عشرة خلتْ من ربيع الأوّل منها ، قدم من ناحية الرّقة مزاحم بن خاقان ، وأمر القوّاد وبنى هاشم وأصحاب الدواوين بتلقّيه ؛ وقدم[2] معه مَن كان معه من أصحابه من الخراسانية والأتراك والمغاربة ، وكانوا زهاء ألف رجل ؛ معهم عتاد الحرب من كل صنْف ، ودخل بغداد ، ووصيف عن يمينه وبغا عن شماله ، وعبيد الله بن عبد الله بن طاهر عن يسار بغا ، وإبراهيم بن إسحاق خلْفهم ؛ وهو بوقارٍ ظاهر ؛ فلمّا وصل خلع عليه سبع خلع ، وقُلّد سيفاً ، وخلع على ابنيه ، على كلّ واحد منهما خمس خلع . ثم أمر أن يفرَض له ثلاثة آلاف رجل من الفرسان والرّجّالة ، ووجّه المعتز موسى بن أشناس ومعه حاتم بن داود بن بنحور فى ثلاثة آلاف رجل من الفرسان والرّجالة فعسكر بإزاء عسكر أبى أحمد من الجانب الغربيّ بباب قُطْربّل لليلةٍ خلت ٣/١٠٨٩

(١) ا : « راية » . (٢) ف : « ومعه » .

من ربيع الأول . وخرج رجل من العيّارين يعرف بديكويه على حمار وخليفته على حمار ، ومعهم تِرسة وسلاح ؛ وخرج آخر فى الجانب الشرقى يكنى أبا جعفر ويعرف بالخرّمىّ فى خمسمائة رجل فى سلاح ظاهر، معهم التِّرسة و بوارىّ مُقيّرة وسيوف وسكاكين فى مناطقهم ، ومعهم كافركوبات ، وقرب العسكر الوارد من سامرّا إلى الجانب الغربىّ من بغداد . فركب محمد بن عبد الله ومعه أربعة عشر قائداً من قوّاده فى عُدّة كاملة ، وخرج من المبيّضة والنظارة خلق كثير ، فسار حتى حاذى عسكر أبى أحمد ؛ وكانت بينهم فى الماء جَوْلة قتل من عسكر أبى أحمد أكثر من خمسين رجلا ، ومضى المبيّضة حتى جازت العسكر بأكثر من نصف فرسخ ، فعبرت إليهم شبّارات من عسكر أبى أحمد ؛ فكانت بينهم مناوشة ، وأخذوا عدّة من الشبارات بما فيها من المقاتلة والملاحين ، فاستوثق منهم ، وانصرف محمد بن عبد الله ، وأمر ابن[1] أبى عون أن يصرف الناس ، فوجّه ابنُ أبى عون إلى النّظارة والعامة من صرفهم وأغلظ لهم[2] القول ، وشتّمهم وشتموه ، وضرب رجلا منهم فقتله . وحملت عليه العامة ؛ فانكشف من بين أيديهم ؛ وقد كان أربع شبّارات من شبّارات أهل بغداد تخلّفت ؛ فلما انصرف ابن أبى عون منهزمًا من العامة نظر إليها أهل عسكر أبى أحمد فوجّهوا فى طلبها شبّارات ، فأخذوها وأحرقوا سفينة فيها عرّادة لأهل بغداد وصار العامة من فورهم إلى دار ابن أبى عوْن لينهبوها ، وقالوا : مايَلَ الأتراك ، وأعانهم وانهزم بأصحابه . وكلّموا محمد بن عبد الله فى صرفه وضجّوا ، فوجّه المظفر بن سيسل فى أصحابه ، وأمره أن يصرف العامة ويمنعهم أن يأخذوا لابن أبى عون شيئًا من متاعه ، وأعلمهم أنه قد عزله عن أمر الشبّارات والبحريات والحرب ، وصيّر ذلك إلى أخيه عبيد الله بن عبد الله ، فمضى مظفّر ، فصرف الناس عن دار محمد بن أبى عون . ٣/١٥٩٠

وفى يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول وافى عسكر الأتراك الشاخص من سامُرّا إلى بغداد عُكْبَراء ، فأخرج ابن طاهر بندار الطبرىّ وأخاه عبيد الله وأبا السنا ومزاحم بن خاقان وأسد بن داود سياه وخالد ٣/١٥٩١

(١) ف : « محمد بن أبى عون » . (٢) ف : « عليهم » .

ابن عمران وغيرهم من قوّاده ، فمضوا حتى بلغوا قُطْرُبّل ، وفيها كمين الأتراك ، فأوقع بهم ، ونشبت الحرب بينهم ؛ فدفعهم الأتراك حتى بلغوا الحائطين بطريق قُطْربّل . وقاتل أبو السنا وأسد بن داود قتالا شديداً ، وقتل كلّ واحد منهما عدّة من الأتراك والمغاربة ، ومال أبو السنا ميْلةً ، وتبعه الناس ، فقتل قائداً من قوّاد الأتراك يقال له سور ، ورُفع رأسه فصار من فوره إلى دار ابن طاهر ، وأعلمه هزيمة الناس وسأله المدد ، فأمر ابن طاهر به فطُوِّق — وكان وزن الأطواق كلّ طوق ثلاثين ديناراً ، وكلّ سوار سبعة مثاقيل ونصف — وانصرف أبو السنا راجعًا إلى الناس فيمن أخرج إليهم من المدد من جميع الأبواب ، فذكر أن محمد بن عبد الله عنّف أبا السنا بإخلاله بموضعه ومجيئه نفسه بالرأس ، وقال له : أخللتَ بالناس ، فقبح الله هذا الرأس ومجيئك به !

ولما انصرف محمد بن عبدوس قاتل أسد بن داود أشدّ قتال بعد تفرّق الناس عنه ، فقتِل . وثاب إلى موضعه قوم من أهل بغداد بعد ما أخذ الأتراك رأسه ، فدافعوهم عن جثّته ، فحملوه إلى بغداد فى زورق ، وبلغ الأتراك باب قُطْربّل ، فخرج الناس إليهم فدفعوهم عن الباب دفعًا شديداً ، واتبعوهم حتى نحّوْهم ؛ فأُتِيَ دار ابن طاهر بعدة رءوس ممن قتل من الأتراك والمغاربة فى هذا اليوم ، فأمر بنصبها بباب الشماسية ، فنصبت هنالك ، ثم رجع الأتراك والمغاربة على أهل بغداد من ناحية قُطْربّل ، فقتل من أهل بغداد خَلْق كثير ، وقتل من الأتراك جمع كثير ؛ ولم يزل بندار ومن معه يقاتلونهم حتى أمسوا . وانصرف بُندار بالناس ، وغلّقت الأبواب ، وأمر ابن طاهر المظفر بن سَيْسَل ورشيد ابن كاوس وقائداً معهم فتوجّهوا فى نحو من خمسمائة فارس من باب قُطْربّل إلى ناحية عسكر[1] ابن أشناس ، فوافوْهم على حالِ سكون وأمْن ، فقتلوا منهم نحواً من ثلثمائة ، وأسروا عدّة وانصرفوا .

١٠٩٢/٣

وذُكر أنّ الأتراك والمغاربة وافوْا فى هذا اليوم باب القطيعة ، فنقَبوا نقبًا

(١) ف : « من عسكر » .

بقرب الحمام الذى يعرف بباب القطيعة ، فقتِل أوّل مَن خرج منهم من النقب ، وكان القتل فى هذا اليوم أكثر فى الأتراك والمغاربة والجراح بالسهام فى أهل بغداد .

وسمعت جماعة يذكرون أنه حضر هذه الوقعة غلام لم يبلغ الحلم ، ومعه مخلاة فيها حجارة ومِقلاع فى يده ، يرمى عنه فلا يخطئ وجوهَ الأتراك ووجوه دوابّهم . وأنّ أربعة من فرسان الأتراك الناشبة جعلوا يرمونه فيخطئونه ، وجعل يرميهم فلا يخطئ ، وتقطّر بهم دوابهم ؛ فمضوا حتى جاءوا معهم بأربعة من رجّالة[1] المغاربة بأيديهم[2] الرماح والتراس ، فجعلوا يحملون عليه ، ثم داخله اثنان منهم ، فرمى بنفسه فى الماء ، ودخلا خلفه فلم يلحقاه ، وعبر إلى الجانب الشرقىّ ، وصِيحَ بهما ، وكبّر الناس ؛ فرجعوا ولم يصلوا إليه .

١٥٩٣/٣

وذُكر أنّ عبيد الله بن عبد الله دعا القوّاد فى هذا اليوم وهم خمسة نفر ، فأمر كلّ واحد منهم بناحية ، ثم مضى الناس إلى الحرب ، وانصرف هو إلى الباب ؛ فقال لعبد الله بن جهم وهو موكّل[3] بباب قُطْرُبُّل : إياك أن تَدَع منهم أحداً يدخل منهزماً من الباب . ونشبت الحرب ، وتشتّت الناس ، ووقعت الهزيمة ؛ وثبت أسد بن داود ؛ حتى قُتِل وقتَل بيده ثلاثة ، ثم أتاه سهم غَرَب[4] ، فوقع فى حلْقه فولّى ، وجاء سهم آخر فوقع فى كَفَل دابته فشبّت به فصرعته ؛ ولم يثبت معه أحد إلا ابنهُ ، فجُرح ؛ وكان إغلاق الباب على المنهزمين أشدّ من عدوّهم . وحُمِل – فيما ذكر – إلى سامُرّا من أهل بغداد سبعون أسيراً ، ومن الرءوس ثلثمائة رأس[5] .

وذكر أنّ الأسرى لمّا قربوا من سامُرّا أمر الذى وجّه به معهم ألّا يُدخلهم سامرا إلّا مغطّى الوجوه ، وأنّ أهل سامرّا لمّا رأوْهم كثر ضجيجهم وبكاؤهم ؛ وارتفعت أصواتهم وأصوات نسائهم بالصُّرّاخ والدعاء ، فبلغ ذلك المعتزّ ، فكره أن تغلظ قلوب مَنْ بحضرته من الناس عليه ، فأمر لكل أسير بدينارين ،

---

(١) ف : « أربعة رجال » .
(٢) ف : « فى أيديهم » .
(٣) ف : « وكان الموكل » .
(٤) سهم غرب : لا يدرى راميه .
(٥) ا : « مائة رأس وأربعون رأساً » .

٣/١٥٩٤ وتقدّم إليهم بترك معاودة القتال ، وأمر بالرءوس فدفِنت .

وكان فى الأسرى ابن لمحمد بن نصر بن حمزة وأخ لقُسطنطينَة جارية أم حبيب وخمسة من وجوه بغداد ممن كان فى النظّارة ؛ فأما ابن محمد بن نصر ، فذكر أنه قُتِل وصلب بإزاء باب[1] الشمّاسيّة لمكان أبيه .

وفى يوم الخميس لأربع بقِين[2] من شهر ربيع الأول، قدم أبو الساج من طريق مكة فى نحو من سبعمائة فارس ومعه ثمانية عشر محملا فيها ستة وثلاثون أسيراً من أسارى الأعراب فى الأغلال ، ودخل هو وأصحابه بغداد فى زىّ حسن وسلاح ظاهر ، فصار إلى الدّار ، فخلِع عليه خمس خِلع ، وقلّد سيفًا، وانصرف إلى منزله مع أصحابه؛ وقد خلع على أربع نفر من أصحابه[3] .

وفى يوم الاثنين لانسلاخ شهر ربيع الأول[4] ، وافى باب الشمّاسية — فيما قيل — جماعة من الأتراك ، معهم من المعتزّ كتاب إلى محمد بن عبد الله ؛ وسألوا إيصاله إليه ، فامتنع الحسين بن إسماعيل من قبوله حتى استأمر ؛ فأمر بقبوله ؛ فوافى يوم الجمعة ثلاثة فوارس ، فأخرج إليهم الحسين بن إسماعيل رجلاً معه سيف وتُرس ، فأخذ الكتاب من خريطة ، فأخرج ، فأوصله إلى محمد ؛ فإذا فيه تذكير محمد بما يجب عليه من حفظه لقديم العهد بينه وبين

٣/١٥٩٥ المعتزّ والحرمة ؛وأن الواجب كان عليه أن يكون أوّل من سعى فى أمره وتوجيه[5] خلافته ؛ وذكر أنّ ذلك أوّل كتاب ورد عليه من المعتزّ بعد الحرب .

وفى يوم السبت[6] لخمس خلوْن من ربيع الآخر وافى بغداد حبْشون ابن بغا الكبير ومعه يوسف بن يعقوب قوصرّة مولى الهادى فيمن كان مع موسى ابن بغا من الشاكريّة ، وانضمّ إليهم[7] عامة الشاكريّة المقيمين بالرّقة ؛ وهم فى نحو من ألف وثلثمائة ، فخلع عليه خمس خِلع ، وعلى يوسف أربع خِلع ، وعلى نحو من عشرين من وجوه الشاكريّة ، وانصرفوا إلى منازلهم .

---

(١) س : « بباب الشماسية » .
(٢) ف : « خلون » .
(٣) ف : « منهم » .
(٤) س : « الآخر » .
(٥) ا : « وتوكيدا » .
(٦) ف : « الخميس » .
(٧) ا ، ف : « إليه » .

وقدِم بغداد رجل ذكر أن عِدّة الأتراك والمغاربة وحشْوِهم[١] فى الجانب الغربىّ اثنا عشر ألف رجل ورأسهم بايكباك القائد ، وأنّ عدة مَن[٢] مع أبى أحمد فى الجانب الشرقىّ سبعة آلاف رجل خليفته عليهم الدّرغمان الفرغانىّ ، وأنه ليس بسامرّا من قوّاد الأتراك ولا من قوّاد المغاربة إلاّ ستة نفر ، وُكِّلوا بحفظ الأبواب. وكانت بين الفريقين وقعة يوم الأربعاء لسبع خلَوْن من شهر ربيع الآخر ، فقتل – فيما ذكر – فيها من أصحاب المعتزّ مع من غرق منهم أربعمائة[٣] رجل ، وقتل من أصحاب ابن طاهر مع مَن غرق ثلثمائة رجل ، لم يكن فيهم إلا جندىّ ؛ وذلك أنه لم يخرج فى ذلك اليوم من الغوغاء أحد . وقتِل الحسن بن علىّ الحربىّ ؛ وكان يومًا صعبًا على الفريقيْن جميعًا . ٣/١٥٩٦

وذُكر أنّ مزاحم بن خاقان رَمى فيه موسى بن أشناس بسهم فأصابه ، فانصرف مجروحًا ؛ وافتُقد من عسكر أبى أحمد نحو من عشرين قائداً من الأتراك والمغاربة .

ولما كان يوم الخميس لأربع عشرة بقيت من شهر ربيع الآخر خلَع على أبى الساج خمس خِلَع ، وعلى ابن فراشة أربع خِلع ، وعلى يحيى بن حفص حبُوس[٤] ثلاث خلع . وعسكر أبو الساج فى سوق الثلاثاء ، وأُعطِىَ الجند بغالا من بغال السلطان يُحمل عليها الرّجالة ، وحوّل مزاحم بن خاقان من باب حَرْب إلى باب السلامة ، وصار مكان مزاحم خالد بن عمران الطائىّ الموصلىّ .

وذكر أن أبا السّاج لما أمره ابن طاهر بالشخوص قال له : أيّها الأمير ، عندى مشورة أشير بها ، قال : قل يا أبا جعفر ؛ فإنك غير متّهم ، قال : إن كنت تريد أن تجادّ هؤلاء القوم فالرأى لك ألاّ تفارق قوّادك ولا تفرّقهم ، وأجمعهم حتى تفضّ[٥] هذا العسكر المقيم بإزائك ؛ فإنك إذا فرغت من هؤلاء فما أقدرك على من وراءك ! فقال : إنّ لى تدبيراً ، ويكفى إن شاء . فقال

---

(١) ف : « وجيوشهم » .
(٢) س : « ممن » .
(٣) ف : « سبعمائة » .
(٤) ط : « جبوس » ، وانظر الفهرس .
(٥) ابن الأثير : « تهزم » .

٣/١٠٩٧ أبو الساج : السمع والطاعة ؛ ومضى لما أمِر به .

وذكر أن المعتزّ كتب إلى أبى أحمد يلومه للتقصير فى قتال أهل بغداد ، فكتب إليه :

لِأَمْرِ المنايا علينا طريقٌ وللدّهرِ فيه اتساعٌ وضيقُ
فأيّامُنا عِبرٌ للأنامِ[1] فمنها البُكورُ ومنها الطُّروقُ
ومنها هَنَاتٌ تُشِيبُ الوليدَ ويَخذُلُ فيها الصَّديقَ الصديقُ
وسُورٌ عَرِيضٌ له ذِرْوَةٌ[2] تَفُوتُ العيونَ وبحْرٌ عَمِيقُ
قِتَالٌ مُبِيدٌ ، وسَيْفٌ عَتِيدٌ[3] وخَوْف شديد ، وحِصْن وثيقُ
وطولُ صياحٍ لداعى الصباحِ الـ سلاحَ السلاحَ ، فما يَسْتَفِيق
فهذا قتيلٌ وهذا جريحٌ[4] وهذا حريقٌ وهذا غريق
وهذا قتيل وهذا تَليل وآخرُ يَشْدَخُهُ المنجنيقُ
هُناكَ اغتصاب وثَمَّ انتهاب ودُورٌ خرابٌ وكانت تَرُوقُ
إذا ما سَمَوْنا إلى مَسلَكٍ[5] وجدناه قد سُدَّ عنا الطريقُ
٣/١٠٩٨ فباللهِ نبلُغُ ما نَرْتجيهِ وباللهِ نَدفَعُ ما لا نطِيقُ

فأجابه محمد بن عبد الله — أو قيل على لسانه :

أَلَا كلّ من زاغَ عن أمره وجارَ بِهِ عن هُداهُ الطريق[6]
ملاقٍ من الأَمرِ ما قد وَصَفْتَ وهذا بأمثالِ هذا خَليقُ
ولَا سيّما ناكثٌ بَيعةً وتوكيدُها فيه عهد وثيقُ
يُسَدُّ عليه طريقُ الهدى ويلقى مِنَ الأَمرِ ما لا يُطيقُ
وليسَ بِبالغٍ ما يَرْتجيه مَنْ كان عن غيه لا يُفِيقُ

---

(١) ا، ف وابن الأثير : « وأيامنا » .
(٢) ا، وابن الأثير : « وفتنة دين لها ذروة » .
(٣) ابن الأثير : « قتال متين » .
(٤) ابن الأثير : « فهذا طريح » .
(٥) ابن الأثير : « إذا شرعنا » .
(٦) س : « وحاربه » .

أتانا به خبرٌ سائرٌ رواه لنا عن خُلوقٍ خُلوقُ
وهذا الكتابُ لنا شاهدٌ يُصَدِّقُهُ ذَا النبيُّ الصَّدُوقُ

أما الشعر الأول ؛ فإنه ينشد لعلىّ بن أمية فى فتنة المخلوع والمأمون ، والجواب لا يعرف قائله .

وفى ربيع الآخر من هذه السنة ذُكر أن مائتى نفس من بين فارس وراجل مضوْا من قِبَل المعتزّ إلى ناحية البَنْدنيجِين ورئيسهم تركىّ يدعى أبلج [1] ، فقصدوا الحسن بن علىّ ، فانتهبوا داره ، وأغاروا على قريته ، ثم صاروا إلى قرية قريبة منها ، فأكلوا وشربوا ، فلمّا اطمأنوا استصرخ عليهم الحسن بن علىّ أكراداً من أخواله وقوماً من قرى حوله ، فصاروا إليهم وهم غارّون ، فأوقع بهم وقُتِل أكثرهم ، وأسر سبعة عشر رجلا منهم ، وقتل أبلج ، وهرب مَنْ بقى منهم ليلا ، ثم بعث الحسن بن علىّ الأسرى ورأس أبلج ورءوس مَنْ قتِل معه إلى بغداد .

١٥٩٩/٣

والحسن بن علىّ هذا رجل من شيبان كان يخلف — فيما ذكر — يحيى بن حفص فى عمله ، وأمّه من الأكراد .

* * *

ذكر خبر المدائن فى هذه الفتنة

ذُكر أنّ أبا الساج وإسماعيل بن فراشة ويحيى بن حفص ، لمّا خُلع عليهم للشخوص نحو المدائن ، عسكروا بسُوق الثلاثاء ؛ فلما كان يوم الأحد لعشر بَقِين من شهر ربيع الأول ، حمل رجّالته [2] على البغال ، وصار إلى المدائن ، ثم إلى الصيّادة ؛ وابتدأ فى حفر خندق المدائن — وهو خندق كسرى — وكتب يستمدّ ؛ فوجّه إليه خمسمائة رجل من رجالة الحبشيّة ؛ وكان شخوصه فى ثلاثة آلاف فارس وراجل ، ثم استمدّه فأمدّه ، فحصل فى عسكره ثلاثة آلاف فارس وألفا راجل ، ثم أُمِدّ بمائتى راجل من الشاكريّة القدماء ، وحُمِلوا فى السفن ، وانحدروا إليه يوم الأحد لأربع خَلَوْن من جمادى الآخرة .

* * *

(١) ا : « أبلح » . (٢) ف : « رجالة » .

ذكر الخبر عن أمر الأنبار وما كان فيها من هذه الفتنة

فممّا كان بها أن محمد بن عبد الله وجّه بجونة[١] بن قيس فى الأعراب إلى الأنبار ، وأمره بالمقام بها والفرض لأعراب الناحية ، ففرّض قوماً منهم ومن المشبّهة بهم نحوًا من ألفى رجل ؛ فأقام بالأنبار وضبطها ؛ فبلغه أن قوماً من الأتراك قد قصدوه ، فبثق الماء من الفرات إلى خندق الأنبار ، فامتلأ الخندق لزيادة الماء ، وفاض على ما يليه من الصحارى ؛ فصار الماء إلى السالحين[٢] فصار ما يلى الأنبار بطيحة[٣] واحدةً ، وقطع القناطر التى توصّل إلى الأنبار ؛ وكتب يستمدّ . فندب للخروج إليه رشيد بن كاوس أخو الأفشين ، وضمّ إليه ممن كان معه من رجاله تتمة ألف رجل ؛ خمسمائة فارس وخمسمائة راجل ، فشخص وعسكر فى قصر عبدويه ، وأمدّه ابنُ طاهر بثلثمائة راجل من المَلَطيّين القادمين من الثغور ، وانتخبوا ، ودفع إليهم استحقاقهم ، ونفذوا إليه يوم الثلاثاء . ورحل من قصر عَبْدَوَيْه يوم الاثنين سلْخ ربيع الآخر فى نحو من ألف وخمسمائة رجل ، وأخرج المعتزّ أبا نصر بن بغا من سامرّا على طريق الإسحاقىّ يوم الثلاثاء ، فسار يومه وليلته ، فصبّح الأنبار ساعة نزلها رُشيد بن كاوس .

٣/١٦٠٠

وكان بجونة نازلا فى المدينة ورُشيد خارجها ، فلمّا وافى أبو نصر عاجَل رشيداً وأصحابَه وهم غارّون على غير تعبية ، فوضع أصحابه فيهم السَّيْف ، ورموْهم بالنشاب فقتلوا عِدّة[٤] ، وثار بعضُ أصحاب رشيد إلى أسلحتهم[٥] ، فقاتلوا الأتراك والمغاربة قتالا شديداً ، وقتلوا منهم جماعة ، ثمّ انهزم الشاكريّة ورشيد على الطريق الذى جاءوا فيه منصرفين إلى بغداد .

٣/١٦٠١

ولما بلغ بجونة مالقيه[٦] أصحاب رشيد ، وأنّ الأتراك قد مالوا عند انهزام رشيد إلى الأنبار عَبَر إلى الجانب الغربىّ ، وقطع جسر الأنبار ، وعبر معه جماعة من أصحابه ، وصار رشيد إلى المُحَوَّل فى ليلته ، وسار بجونة

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « نجوبة » ، وانظر الفهرس (٢) فى بعض النسخ : « السيلحين » .
(٣) البطيحة : المسيل الواسع . (٤) س : « فقتلوهم » .
(٥) ف : « سلاحهم » (٦) س : « مالقى » .

فى الجانب الغربىّ حتى وافى بغداد يوم الخميس بالعشىّ . ثم دخل رشيد فى هذه العشيّة إلى دار ابن طاهر ، فأعلم بحونة محمد بن عبد الله أنه عند مصير الأتراك إلى الأنبار وجّه إلى رشيد يسأله أن يوجّه إليه مائة رجل من الناشبة[1] ليرتبهم قُدّام أصحابه ، فامتنع من ذلك، وسأله أن يضمّ إليه ناشبة من الفرسان والرّجالة ليصير إلى بنى عمه ، وذكر أنهم مقيمون هنالك فى الجانب الغربىّ على الطاعة وانتظار أمير المؤمنين ، وضمن أن يتلافى ما كان منه . فضمّ إليه ثلثمائة رجُل من فرسان الشاكريّة الناشبة ورجّالتهم ،وخلع عليه خمس خلع ، ومضى إلى قصر ابن هُبيرة يستعدّ هنالك . ٣/١٦٠٢

ثم اختار محمد بن عبد الله الحسينَ بن إسماعيل للأنبار ، ووجّه محمد بن رجاء الحِضارىّ معه وعبد الله بن نصر بن حمزة ورشيد بن كاوس ومحمد بن يحيى وجماعة من الناس ، وأمر بإخراج المال لمن يخرج مع الحسين ومع هؤلاء القوم ؛ فامتنع مَنْ كان قدم من مَلَطْية من الشاكريّة وهم عُظْم الناس من قبْض رزق أربعة أشهر ؛ لأنّ أكثرهم كان بغير دوابّ ، وقالوا : نحتاج إلى أن نقوى فى أنفسنا ، ونشترىَ الدوابّ . وكان الذى أطلِق لهم أربعة آلاف دينار ، ثم رضُوا بقبض أربعة أشهر ؛ فجلس الحسين فى مجلسٍ على باب محمد بن عبد الله ، وتقدّم فى تصحيح الجرائد، ليكون عَرْضُه الناسَ وأصحابه فى مدينة أبى جعفر ، فأعطى فى ذلك اليوم جماعة من خاصّته. ثم صار الحسين وأصحابُ الدّواوين بعد ذلك إلى مدينة أبى جعفر ، ووضع العطاء لمَنْ يخرج معه من الجُنْد فى ثلاثة مجالس ؛ واستمّ إعطاؤهم يوم السبت لاثنتى عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى .

فلمّا كان يوم الاثنين أحضر الحسين بن إسماعيل الدّار ومعه القواد الخارجون معه : رشيد بن كاوس ، ومحمد بن رجاء ، وعبد الله بن نصر بن حمزة ، وأرمش الفرغانىّ ، ومحمد بن يعقوب أخو حزام ، ويوسف بن منصور بن يوسف البرْم ، والحسين بن علىّ بن يحيى الأرمنىّ ، والفضل بن محمد بن الفضل ، ومحمد بن هَرْثمة بن النصر ، ؛ وخلع على الحسين ؛ وقُدّمت مرتبته ٣/١٦٠٣

(١) ف : « النشابة » .

إلى الفَوْج الثانى — وكان فى الفوج الرابع — وخلع على هؤلاء القوّاد ، وصُيّر رُشيد بن كاوس على المقدمة ، ومحمد بن رجاء على الساقة ، ومضى الحسين ومَنْ ضُمّ إليه من عشيرته وقوّاده إلى معسكرهم ، وأمر وصيف وبغا أن يسبقا[1] الحسين إلى معسكره ، وشيّعه عبيدُ الله بن عبدالله وجميع قوّاد ابن طاهر وكتّابه وبنوهاشم والوجُوه إلى الياسريّة ، وأخرج لأهل العسكر من المال ستة وثلاثون ألف دينار ، وحمل إلى معسكر الياسرية بعدُ لإعطاء مَنْ بقى ألف وثمانمائة دينار ، تمامَ استحقاقهم .

فلمّا كان يوم الخميس سارت مقدّمة الحسين والمقلّد لها عبد الله بن نصر ومحمد بن يعقوب فى ألف فارس وراجل ، فنزلوا البَثْق المعروف بالقاطوفة[2] ؛ وكان الأتراك قد وجّهوا إلى المنصوريّة على خمسة فراسخ من بغداد جماعةً منهم ومن المغاربة والغَوغاء زُهاء مائة إنسان ، فظُفر بسبعة من المغاربة ، فوُجّه بهم إلى الحسين ، فأنفذهم إلى الباب ، وسار الحسين يوم الجمعة لسبع بقين من جمادى الأولى . وقد كان أهل الأنبار حين تنحّى بحونة[3] ورشيد ، وصار الأتراك والمغاربة إلى الأنبار ونادوا الأمان ؛ فأعطُوه ، وأمِروا بفتح حوانيتهم والتسوّق فيها والانتشار فى أمورهم ، واطمأنّوا إلى ذلك منهم وسكنوا ، وطمعوا فيهم أن يفوا لهم ؛ فأقاموا بذلك يومهم وليلتهم حتّى أصبحوا ، وكان فى وقت غلبتهم عليها وافتْهم سفن من الرَّقّة فيها دقيق وأطواف[4] فيها زيت وغير ذلك ؛ فأخذوه وجمعوا ما وجدوا فيها من إبل ودوابّ وبغال وحمير ، ووجّهوا بذلك مع مَنْ يؤديه إلى منازلهم بسامُرّا ، وانتهبوا ما وجدوا ، ووجّهوا برءوس مَنْ قُتل من أصحاب رشيد وبحونة وأهل بغداد وبمن أسروا وكانوا مائة وعشرين رجلا ، والرءوس سبعون رأسًا ، وجعلوا الأسرى فى الجُوالقات ، قد أخرجوا منها رءوسهم حتى صاروا إلى سامُرّا ، وصار الأتراك إلى فم الأستانة ، وحاولوا سدّها ليقطعوا ماء الفرات عن بغداد ؛ فوجّهوا رجلا ، ودفعوا إليه مالاً لآلة السِّكْر[5] وسدّه مع القَلُوس[6] والصوارى ، ففُطِن به وهو يبتاع ذلك ، فحُمِل إلى دار

(١) ا : « يشيعا » . (٢) ا : « العاطوفة » . (٣) ط : « نجوبة » .

(٤) فى القاموس : « الطوف : قرب ينفخ فيها ويشد بعضها إلى بعض كهيئة السطح يركب عليها فى الماء ويحمل عليها » . (٥) السكر : سد ماء النهر.

(٦) القلس : حبل ضخم من ليف أو خوص أو غيرهما من قلوس سفن البحر.

ابن طاهر بعد أن نالتْه العامّة بالضرب والشتم؛ حتّى أشفى على الموت، فسئل عن أمره فصدَق، فوُجّه به إلى الحبس.

وكان ابن طاهر قد وجّه الحارث خليفة أبى الساج؛ فكان على طريق مكة إلى قصر ابن هبيرة، وضمّ إليه خمسمائة رجل من فرسان الشاكريّة القادمين معه؛ فنفذ ومَنْ معه لسبع خلون من جمادى الأولى، ووجّه ابن أبى دلف هشام[1] ابن القاسم فى مائتى راجل وفارس إلى السَّيْبَيْن، ليقيم هناك؛ فلما توجّه الحسين إلى الأنبار كُتب إليه باللحاق بعسكر الحسين ليصير معه إلى الأنبار، ونُودِىَ ببغداد فى أصحاب الحسين ومزاحم بن خاقان أن يلحقُوا بقوّادهم. فسار الحسين، وتقدّم خالد بن عمران حتى نزل[2] دِممّا؛ فأراد أن يعقد على نهر أنق جسراً ليعبُر عليه أصحابه، فمانعه الأتراك، فعبَر إليهم جماعة من الرّجّالة فكشفوهم، وعقد خالد الجسر، فعبر هو وأصحابه، وصار الحسين إلى دِممّا، فعسكر خارجها، وأقام فى معسكره يوماً، ووافتْه طلائع الأتراك ممّا يلى نهر أنق ونهر رُفَيْل فوق قرية دِممّا، فصفّ الحسين أصحابه من جانب النهر والأتراك من الجانب الآخر، وهم زُهاء ألف رجل، وتراشقوا بالسهام، فجُرح بينهم عداد، وانصرف الأتراك إلى الأنبار.

٣/١٦٠٦

وكان بحونة مقيماً بقصر ابن هبيرة، فانضمّ إلى الحسين فى جميع من كان معه من الأعراب وغيرهم، وكتب بحونه يسأل مالاً لإعطاء أصحابه؛ فأمر أن يحمل إلى معسكر الحُسين لإعطاء أصحاب بحونة ثلاثة آلاف دينار، وحمِل إلى الحسين مال وأطواق وأسورة وجوائز لمن أبلى فى الحرب، وكان الحسين وُعد أنْ يُمَدّ بالرجال حتى يكمل عسكره عشرة آلاف رجل، فكتب يتنجز ذلك؛ فأمر بتوجيه أبى السنا محمد بن عبدوس الغنوىّ والجحاف بن سواد فى ألف فارس وراجل من الملطيّين وجند انتخبوا من قيادات شتّى؛ فقبضوا أنزالهم[3] لليلتين بقيتا من جمادى. وساروا مع أبى السناء والجحاف على نهر كَرْخايا إلى المحوّل، ثم إلى دِممّا، ونزل الحسين بعسكره فى موضع يعرف

٣/١٦٠٧

(١) ط: «هاشم»، وانظر الفهرس (٢) س: «دخل».
(٣) ف: «أموالهم».

بالقَطيعة واسع يحتمل العسكر ، فأقام فيه يومَه ، ثم عزم على الرّحلة منه إلى قرب الأنبار ، فأشار عليه رُشيد والقوّاد أن يَنزل عسكره بهذا الموضع لسَعته وحَصَانته ، ويسير هو وقوّاده فى خيلٍ جريدةً ، فإن كان الأمر له كان قادراً أن ينقل عسكره ؛ وإن كان عليه انحاز إلى عسكره وراجع عدُوّه ؛ فلم يقبل الرأى ، وحملهم على المسير (١من موضعهم١) ، فساروا وبين الموضعين فرسخان أو نحوهما . فلما بلغوا الموضع الذى أراد الحسين النزول فيه ، أمر الناس بالنزول ؛ وكان جواسيس الأتراك فى عسكر الحُسين ، فساروا إليهم ، وأعلموهم رحلة الحسين ، وضيق العسكر بالموضع الذى نزل فيه ، فوافوْهم والناس يحطّون أثقالهم ، فسار أهل العسكر ، ونادوْا السلاح ، فصافّوهم ؛ فكانت بينهم قتلَى من الفريقين ، وحمل أصحاب الحسين عليهم فكشفوهم كشفاً قبيحاً ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وغرق منهم خلق كثير فى الفُرات . وكان الأتراك قد كمنوا قوماً ، فخرج الكمين عند ذلك على بقيّة العسكر ؛ فلم يكن لهم ملجأ إلاّ الفرات . وغرق من أصحاب الحسين خلق كثير ، وقُتِل جماعة وأسرَ من الرجّالة(٢) جماعة ؛ وأما الفرسان فضربُوا دوابّهم هُرّاباً لا يلوون على شىء ، والقوّاد ينادونهم يسألونهم الرَّجْعة ، فلم يرجع منهم أحد ، وأبلى محمد بن رجاء ورُشيد يومئذ بلاء حسناً ، ولم يكن لمن انهزم معقل دون الياسريّة على باب بغداد ، فلم يملك القوّاد أمور أصحابهم ، فأشفقوا حينئذ على أنفسهم ، فانثنوْا راجعين وراءهم ، يحمونهم من أدبارهم أن يُتبعوا ، وحوَى الأتراك جميع عسكر الحسين بما فيه من المضارب وأثاث الجند وتجارات أهل السوق ؛ وكان معه فى السفن سلاح سليم ؛ لأن الملاّحين حَرَزُوا سفنهم ، فسلِم ما كان معهم من السلاح ومن تجارات التجّار .

١٦٠٨/٣

وذكر عن ابن زنبور(٣) كاتب الحسين أنه أخِذ للحسين اثنا عشر صندوقاً فيها كسوة ومال من مال السلطان مبلغه ثمانية آلاف دينار ، ونحو من أربعة آلاف دينار لنفسه ، ونحو من مائة بغل ؛ وانتهب فروضُ الحسين مضارب الحسين وأصحابه ، وطاروا مع مَنْ طار ، فوافوا الياسريّة ؛ وكان أكثر

(١ – ١) س : « من معه » . (٢) س : « الرجال » .
(٣) ا : « ابن زيتون » .

النهب مع أصحاب أبي السنا .

ووافى الحسين والفلّ الياسرية يوم الثلاثاء لستٍّ خلوْن من جمادى الآخرة. ولقى الحسينَ رجل من التجار فى جماعة ممن ذهبت[1] أموالهم فى عسكره ، فقال : الحمد لله الذى بيّض وجهك ! أصعدتَ فى اثنى عشر يومًا ، وانصرفت فى يوم واحد ! فتغافل عنه . ٣/١٦٠٩

قال أبو جعفر : ومما انتهى إلينا من خبر الحسين بن إسماعيل ومَنْ كان معه من القُوّاد والجند الذين كان محمد بن عبد الله بن طاهر استنهضَهم من بغداد فى هذه السّنة لحرب مَنْ كان قصد الأنبار وما اتّصل بها من البلاد من الأتراك والمغاربة ، أنه لما صار إلى الياسرية منصرَفه مهزومًا من دِمِمّا ، أقام بها فى بستان ابن الحَرورىّ ، وأقام مَنْ وافى الياسرية من المنهزمة فى الجانب الغربىّ من الياسريّة ، ومُنِعوا من العبور ، ونُودى ببغداد فيمن دخلها من الجند الذين فى عسكر الحسين أن يلحقوا بالحسين فى معسكره ، وأجِّلُوا ثلاثة أيام ؛ فمن وجد منهم ببغداد بعد ثلاثة ضُرب ثلثمائة سوط ، ومُحى اسمه من الديوان. فخرج الناس ، وأمر خالد بن عمران فى الليلة التى قدم فيها الحسين أن يعسكر فى أصحابه بالمحوَّل ، وأعطى أصحابه أرزاقهم فى تلك الليلة فى الشَّرْج ، ونودى فى أصحابه بالمحوَّل باللحاق به .

ونودى فى الفَرض القُدماء الذين كانوا فرضوا بسبب أبى الحسين يحيى بن عمر بالكوفة وهم خمسمائة رجل ، وأصحاب خالد وهم نحو من ألف رجل ، فعسكروا بالمحوّل يوم الثلاثاء لسبع خلون من جمادى الآخرة وأمر ابن طاهر الشاهَ بن ميكال فى صَبيحة الليلة التى وافى فيها الحسين أن يتلقاه ويمنعه من دخول بغداد . فلقيه فى الطريق ، فردّه إلى بستان ابن الحَرورىّ ، وأقاموا يومهم ؛ فلما كان الليل صاروا إلى دار ابن طاهر ، فوبّخه ابن طاهر وأمره بالرُّجوع إلى الياسريّة لينفذ إلى الأنبار مع مَنْ ينفذ إليها من الجند ؛ فصار من ليلته إلى الياسريّة . ثم أمر بإخراج مال لإعطاء شهر واحد لآل هذا العسكر ٣/١٦١٠

(١) ف : « نهبت » .

فحمل تسعة آلاف دينار ، وصار كتّاب ديوان العطاء وديوان العَرْض إلى الياسريّة لعرض الجند وإعطائهم .

فلما كان يوم الجمعة لسبع خلوْن من جمادى الآخرة توجّه خالد بن عمران مُصعِداً إلى قنطرة بهلايا — وهى موضع السِّكْر — وخرجت معه نحو من عشرين سفينة ، وركب عبيد الله بن عبد الله وأحمد بن إسرائيل والحسن بن مخلد إلى عسكر الحسين بن إسماعيل بالياسريّة ، فقرءوا على الحسين والقوّاد كتاباً كُتِب به عن المستعين ، يخبرهم فيه بسوء طاعتهم وما ركبوا من العصيان والتخاذل ؛ فقرئ عليهم والعسكر مقيم ، والعُرّاض يعرضونهم ليتعرّفوا مَنْ قُتِل ومَنْ غرق من كلّ قيادة ، ونودى باللَّحاق بعسكرهم ؛ فخرجوا . ١٦١١/٣

وأتاهم كتاب بعض عيونهم بالأنبار يخبر أنّ القتلى كانت من الأتراك أكثر من مائتين ، والجرحى نحواً من أربعمائة ؛ وأن جميع مَنْ أسره الأتراك من أهل بغداد الجيشية والفروض من الرّجّالة مائتان وعشرون إنساناً ، وأنه عدّ رءوس مَنْ قتِل فوجدها سبعين رأساً ؛ وكانوا أخذوا جماعة من أهل الأسواق . فصاحوا لأبى نصر : نحن أهل السوق ، فقال : ما بالكم معهم ! فقالوا : أكرِهنا فخرجنا ، شئنا[1] [أو أبينا][2] فأطلق من كان منهم يشبه السوقة . وأمر بحبس الأسرى فى القَطِيعة .

وذُكر عن صاحب بغال السلطان : أن جميع ما ذهب من بغال السلطان مائة وعشرون بغلا .

ورحل الحسين يوم الاثنين لاثنتى عشرة بقيت من جمادى الآخرة ، وكتب إلى خالد بن عمران وهو مقيم على السِّكْر ، أن يرحل متقدّماً أمامه ، فامتنع خالد من ذلك ؛ وذكر أنه لا يبرح من موضعه إلا أن يأتيَه قائد فى جُند كثيف فيقيم مكانه ، لأنه يتخوّف أن يأتيَه الأتراك من خَلْفه من عسكرهم بناحية قُطْربُّل . وأمر ابن طاهر بمال ، فحمل إلى[3] الحسين بن إسماعيل لإعطاء جميع من فى عسكره رزق شهر واحد ؛ ليُفرّق فيهم بدمًّا ، وأمر أن يخرج معه الكتاب والعُرّاض لأصحابه هنالك ، وقلّد أمر نفقات ١٦١٢/٣

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « تسببا » . (٢) تكملة من ا ، وموضعها بياض فى ط .
(٣) س : « مع ».

عسكره وإعطاء الجند من قِبَل ديوان الخراج الفضلَ بن مظفَّر السبعى[1] ، وحمَل المال مع السَّبْعىّ إلى معسكر الحسين ، لينفذ معه إذا نفذ .

وقد قيل : إنّ الحسين ارتحل إلى الأنبار فى النصف من ليلة الأربعاء لعشر بقين من جمادى الآخرة ، فسارَ وتبعه من فى عسكره يوم الأربعاء ، ونودى فى أصحابه باللحاق به ، فسار حتى نزل دِممًّا ، وأراد أن يعقد على نهر أنق جسراً ليعبُر عليه ، فمانعه الأتراك[2] ، فعبر إليهم جماعة من أصحابه من الرجّالة ، فحاربوهم حتى كشفوهم . وعقد خالد الجسر ، فعبر أصحابه ووجّه محمد بن عبد الله بكاتبه محمد بن عيسى بشىء شافهه[3] به ، فيقال : إنه حمل معه أطْوَاقاً وأسورة ، وانصرف إلى منزله ، وصار إلى الحسين يوم السبت لثمان خَلَوْن من رجب رجل ، فأخبره أن الأتراك قد دُلُّوا على عدّة مواضع فى الفُرات ، تُخاض إلى عسكره ، فأمر بضرب الرجل مائتى سوط ، [4]ووكل بالمخاوض رجلاً[4] من قُوّاده ، يقال له الحسين بن علىّ بن يحيى الأرمنىّ فى مائة راجل ومائة فارس ؛ فطلع أوّل القوم ، فخرج عليهم وقد أتاه منهم أربعة عشر علمًا ، فقاتل أصحابه ساعةً ، ووكل بالقنطرة أبا السَّنا ، وأمره أن يمنع مَن انهزم من العُبور ؛ فأتى الأتراك المخاضة ، فرأوا الموكّل بها ، فتركوه واقفًا ، وصاروا إلى مخاضة أخرى خَلْف الموكّل فقاتلوهم ، فصبر الحسين بن علىّ وقاتل ، فقيل للحسين بن إسماعيل ، فقصد نحوَه ، ولم يصل إليه حتى انهزم ، وانهزم خالد بن عمران معه ومَنْ معه ، ومنعهم أبو السنا من العُبور على القنطرة ، فرجع الرجّالة والخراسانية فرَموْا بأنفسهم فى الفُرات ، فغرق من لم يُحسن السباحة ، وعَبَر مَنْ كان يحسن السباحة ، فنجا عُرياناً ، وخرج إلى جزيرة لا يصل منها إلى الشّطّ ، لِما على الشطّ من الأتراك ، فذكر عن بعض جند الحسين ، أنه قال : بعث الحسين بن علىّ الأرمنى إلى الحسين بن إسماعيل أنّ الأتراك قد وافوا المخاضة ، فأتاه الرسول ، فقيل : الأمير نائم ، فرجع الرسول فأعلمه ، فردّ آخر ، فقال له الحاجب : الأمير فى المخرَج ، فرجع فأخبره ، فردّ

١٦١٣/٣

---

(١) س : « الشيعى » .
(٢) بعد فى ف : « ومن معهم » .
(٣) ف : « يشافهه » .
(٤-٤) ف : « ووجه لموضع المخاوض » .

رسولا ثالثًا ، فقال : قد خرج من المخرَج ونام ؛ فعلت الصيحة فعبّر الأتراك ، فقعد الحسين فى زورق أو شبّارة ، وانحدر. واستأثر قوم من الخُراسانية ، ورمَوْا ثيابهم وسلاحهم ، وقعدوا على الشطّ عُراةً ، وشدّ أصحاب أعلام الأتراك حتى ضربوا أعلامهم على مضرب الحسين بن إسماعيل ، واقتطعوا السوق ، وانحدرت عامة السفن ، فسلمت إلاّ ما كان موكَّلاً به منها ، ولحق الأتراك أصحاب الحسين ، فوضعوا فيهم السيف ؛ فقتلوا وأسروا نحوًا من مائتين ، وغرق خَلْقٌ كثير ؛ ووافى الحسين والمنهزمة بغدادَ نصف الليل . ووافى فلّهم وبقيّتهم فى النهار ؛ وفيهم جرحى كثيرة ؛ فلم يزالوا إلى نصف النهار يتتابعون عُراة مجرَّحين ، وفُقِد من قواد الحسين بن يُوسف البَرْم وغيره . ثم جاء كتابه أنه أسير فى أيدى الأتراك عند مُفْلح ؛ وأنّ عدّة الأسرى من وقعة الحسين الثانية مائة ونيّف وسبعون إنسانًا ، والقتلى مائة ، والدوابّ نحو من ألفى دابة ومائتى بغل وأكثر ، وقيمة السلاح والثياب وغير ذلك أكثر من مائة ألف دينار ؛ فقال الهندوانىّ فى الحسين بن إسماعيل :

يا أَحْزَمَ الناسِ رأياً فى تخلّفهِ ... عن القتالِ خَلطْتَ الصفْوَ بالكدَرِ
لمّا رأيتَ سُيُوفَ التركِ مُصلَتَةً ... علِمْتَ ما فى سيوفِ الترْك من قَدَرِ
فَصِرْتَ منحجزًا ذُلاًّ ومَنقَصَةً ... والنُّجْحُ يذهبُ بينَ العجْزِ والضَّجَرِ

ولحق بالمعتزّ فى جمادى الآخرة منها من بغداد جماعة من الكتاب وبنى هاشم ، ومن القوّاد مُزاحم بن خاقان أرطوج ، ومن الكتّاب عيسى بن إبراهيم ابن نوح ويعقوب بن إسحاق ونمارى ويعقوب بن صالح بن مرشد ومقلة وابنٌ لأبى[1] مزاحم بن يحيى بن خاقان ومن بنى هاشم علىّ ومحمد ابنا الواثق ، ومحمد ابن هارون بن عيسى بن جعفر ، ومحمد بن سليمان من ولد عبد الصمد بن علىّ .

* * *

وفيها كانت وقعة بين محمد بن خالد بن يزيد وأحمد المولد وأيوب بن أحمد

(١) ف : « وابن أبى مزاحم »

بالسكير من أرض بنى تغلب ، قتل بين الفريقين جماعة كثيرة . وانهزم محمد ابن خالد ، وانتهب الآخرون متاعه ، وهدم أيوب دور آل هارون بن معمر . وقتل من ظفر به من رجالهم .

* * *

وفيها كانت لبلكاجور غزوة فتح – فيما ذكر – فيها مطمورة أصاب[1] فيها غنيمة كثيرة ، وأسر جماعة من الأعلاج ، وورد بذلك على المستعين كتاب تاريخه يوم الأربعاء لثلاث ليال بقين من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وخمسين ومائتين .

* * *

وفى يوم السبت لثمان بقين من رجب من هذه السنة كانت وقعة بين محمد ابن رجاء وإسماعيل بن فراشة وبين جُعلان التركىّ بناحية بادَرايا و باكُسايا ، فهزم ابن رجاء وابن فراشة جُعلانَ ، وقتلا من أصحابه جماعة وأسرا جماعة .

* * *

٣/١٦١٦ وفى رجب منها كان – فيما ذكر – وقعة بين ديوداد أبى الساج و بين بايكباك بناحية جَرْجَرايا ، قتل[2] فيها أبو الساج بايكباكَ ، وقتل من رجاله جماعة ، وأسر منهم جماعة ، وغرق منهم فى النهروان جماعة .

وفى النصف من رجب منها اجتمع مَنْ كان ببغداد من بنى هاشم من العباسيين ، فصاروا إلى الجزيرة التى بإزاء دار محمد بن عبد الله ، فصاحوا بالمستعين وتناولوا محمد بن عبد الله بالشتم القبيح ، وقالوا : قد مُنعنا أرزاقنا ، وتُدفع الأموال إلى غيرنا ممن لا يستحقها ، ونحن نموت هزلا وجوعًا ! فإن دفعتَ إلينا أرزاقنا وإلاّ قصدنا إلى الأبواب ففتحناها ، وأدخلنا الأتراك ؛ فليس يخالفنا أحد من أهل بغداد . فعبر إليهم الشاه بن ميكال ، فكلّمهم ورفق بهم ، وسألهم أن يعبر معه منهم ثلاثة أنفس ليدخلهم على ابن طاهر ؛ فامتنعوا من ذلك ، وأبوا إلا الصّياح وشتْم محمد بن عبد الله ؛ فانصرف عنهم الشاه ؛ فلم يزالوا على حالهم إلى قُرْب الليل ، ثم انصرفوا واجتمعوا من غد ذلك اليوم ، فوجّه إليهم محمد بن عبد الله ، فأمرهم بحضور الدّار يوم الاثنين ليأمر من يناظرهم ،

(١) ا : « غنم » . (٢) ا : « فل » .

فصاروا إلى الدّار، فأمر[١] محمد بن داود الطوسىّ[٢] بمناظرتهم ؛ وبذل لهم رزق شهر واحد؛ وأمرهم[٣] أن يقبضوا ذلك، ولا يكلّفوا الخليفة أكثر من هذا ؛ فأبوْا أن يقبضوا رزْق شهر ، وانصرفوا .

* * *

[خروج الحسين بن محمد الطالبىّ وما آل إليه أمره]

١٦١٧/٣ وفيها خرج بالكوفة رجلٌ من الطالبيّين يقال له الحسين بن محمد بن حمزة بن عبد الله بن الحسين بن علىّ بن حسين بن علىّ بن أبى طالب ، فاستخلف بها رجلا منهم يقال له محمد بن جعفر بن الحسين بن جعفر بن الحسين بن حسن ، ويكنى أبا أحمد ، فوجّه إليه المستعين مزاحم بن خاقان أرطُوج ؛ وكان العلوىّ بسوّاد الكوفة فى ثلثمائة رجل من بنى أسد وثلثمائة رجل من الجارودية والزيديّة وعامتهم صَوّافيّة[٤] ؛ وكان العامل يومئذ بالكوفة أحمد ابن نصر بن مالك الخُزاعىّ، فقتل العلوىّ من أصحاب ابن نصر أحدَ عشر رجلا، منهم من جند الكوفة أربعة، وهرب أحمد بن نصر إلى قَصْر ابن هبيرة ؛ فاجتمع هو وهشام بن أبى دلف ؛ وكان يلى بعضَ سواد الكوفة — فلما صار مزاحم إلى قرية شاهى كتب إليه فى المقام حتى يوجّه إلى العلوى مَنْ يردّه إلى الفيْئة والرجوع. فوجّه إليه داود بن القاسم الجعفرىّ ، وأمر له بمال ، فتوجّه إليه وأبطأ داود وخبرُه على مزاحم ، فزحف مزاحم إلى الكوفة من قرية شاهى ، فدخلها ١٦١٨/٣ وقصد العلوىّ فهرب ، فوجّه فى طلبه قائداً ، وكتب بفتحه الكوفة فى خريطة مُرَيّشة .

وقد ذكر أن أهل الكوفة عند ورود مزاحم حملوا العلوىّ على قتاله ، ووعدوه النّصر ، فخرج فى غربىّ الفُرات ؛ فوجّه مزاحم قائداً من قُوّاده فى الشرقىّ من الفرات ، وأمره أن يمضىَ حتى يعبر قنطرة الكوفة ثم يرجع ، فمضى القائد لذلك، وأمر مزاحم بعض أصحابه الذين بقوا معه أن يعبروا مخاضة الفرات فى

---

(١) س : « وأمر » .
(٢) ا، ف : « الطالبى » .
(٣) ف : « وسألهم » .
(٤) ا ، ف : « صوفية » .

قرية شاهى ، وأن يتقدّموا حتى يحاربوا أهل الكوفة ويصافّوهم من أمامهم فساروا ومعهم مزاحم ، وعبَر الفرات ، وخلّفَ أثقالَه ومَنْ بقى معه من أصحابه ؛ فلما رآهم أهل الكوفة ناوشوهم الحرب ، ووافاهم قائد مزاحم ، فقاتلهم من ورائهم ومُزاحم من أمامهم ؛ فأطبقوا عليهم جميعاً فلم يفلت منهم أحد .

وذكر عن ابن الكرديّة أنّ مزاحماً قتل من أصحابه قبل دخوله الكوفة ثلاثة عشر رجلا ، وقتل من الزيدية أصحاب الصّوف سبعة عشر رجلا ، ومن الأعراب ثلثمائة رجل ؛ وأنه لما دخل الكوفة رُمِىَ بالحجارة فضرب ناحيتَى الكوفة بالنار ، وأحرق سبعة أسواق ؛ حتى خرجت النار إلى السَّبيع ، وهجم على الدار التى فيها العلوىّ فهرب ؛ ثم أتِى به وقُتِل فى المعركة من العلويّة رجل[1] .

وذكر أنه حبس جميع من بالكوفة من العلويّة ، وحبس أبناء هاشم ، وكان العلوّى فيهم . ١٦١٩/٣

وذكر عن أبى إسماعيل العلوّى أن مُزاحماً أحرق بالكوفة ألف دار ، وأنه أخذ ابنة الرجل منهم فعنّفها .

وذكر أنه أخذ للعلوىّ جوارٍ ، فيهم امرأة حُرّة مضمومة ، فأقامها على باب المسجد ونادى عليها .

* * *

وفى النصف من رجب من هذه السنة ، ورد على مزاحم كتاب من المعتزّ يأمره بالمصير إليه ، ويعده وأصحابه ما يحبّ ويحبّون . فقرأ الكتاب مزاحم على أصحابه ؛ فأجابه الأتراك والفراغنة والمغاربة ، وأبى الشاكرية ذلك ، فمضى فيمن أطاعه منهم وهم زُهاء أربعمائة إنسان . وقد كان أبو نوح تقدّمه إلى سامرّا ، فأشار بالكتاب إليه ، وكان مزاحم ينتظر أمر الحسين بن إسماعيل ؛ فلما انهزم الحسين مضى إلى سامرّا ؛ وقد كان المستعين وجّه إلى مزاحم عند فتح الكوفة عشرة آلاف دينار وخمس خلَع وسيفاً ، ونفذ الرسول إليه ، وألفى الجند الذين كانوا معه فى الطريق ؛ فردّوا جميع ذلك معهم ، وصاروا إلى باب محمد بن عبد الله ، وأعلموه ما فعل مزاحم . وكان فى الجند والشاكريّة خليفة

(١) ف : « رجلان » .

الحسين بن يزيد الحرانىّ وهشام بن أبى دلف والحارث خليفة أبى الساج ، فأمر ابن طاهر أن يخلع على كلّ واحد منهم ثلاث خلَع .

٣/١٦٢٠ وذكر أن هذا العلوىّ كان قد ظهر بنينَوى فى آخر جمادى الآخرة من هذه السنة ؛ فاجتمع إليه جماعة من الأعراب ، وفيهم قومٌ ممن كان خرج مع يحيى بن عمر فى سنة خمسين ومائتين ، وقد كان قدم إلى تلك الناحية هشام ابن أبى دلف ، فواقعهم العلوىّ فى جماعة نحو من خمسين رجلا ، فهزمه وقتل عِدّة من أصحابه ، وأسر عشرين رجلا وغلاماً ، وهرب العلَوىّ إلى الكوفة ؛ فاختفى بها ، ثم ظهر بعد ذلك . وحمِل الأسرى والرءوس إلى بغداد ، فعرف خمسة نفر ممن كان مع أصحاب أبى الحسين يحيى بن عمر ؛ فأطلقوا . وأمر محمد بن عبد الله أن يضرب كلّ واحد ممن أطلق وعاد خمسمائة سوط ، فضربوا فى آخر يوم من جمادى الآخرة .

وذُكر أن كتب أبى الساج لمّا وردت بما كان من إيقاعه ببايكباك ؛ وذلك لاثنتى عشرة بقيَتْ من رجب من هذه السنة ، وجّه إليه بعشرة آلاف دينار معونة له ، وبخلعة فيها خمسة أثواب وسيف .

* * *

وفيها كانت وقعة — فيما ذكر — بين منكجور بن خيدر[١] وبين جماعة[٢] من الأتراك بباب المدائن هزمهم فيها مَنْكَجور ، وقتل منهم جماعة .

* * *

٣/١٦٢١ وفيها كانت لبلكاجور صائفة ، فتح فيها فتوحاً فيما ذكر .

* * *

وفيها كانت وقعة بين يحيى بن هرثمة وأبى الحسين بن قريش ، قُتِل من الفريقين جماعة ، ثم انهزم أبو الحسين بن قريش .

وفى يوم الخميس لاثنتى عشرة ليلة خلتْ من شعبان كانت بباب بَغواريا وقعة بين الأتراك وأصحاب ابن طاهر ؛ وكان السبب فى ذلك أن الموكّل كان بباب بغواريا إبراهيم بن محمد بن حاتم والقائد المعروف بالنّساوىّ فى نحو من

(١) كذا فى ا ، وفى ط « حىدروس » من غير نقط .

(٢) كذا فى ا ، وفى ط : « بجماعة » .

ثلثمائة فارس وراجل ، فجاءت الأتراك والمغاربة فى جَمْع كثير . فنقبوا السور فى موضعين ، فدخلوا منهما ، فقاتلهم النساوىّ فهزموه ، ووافوْا باب الأنبار ، وعليه إبراهيم بن مصعب وابن أبى خالد وابن أسد بن داود سياه ، وهم لا يعلمون بدخولهم باب بغواريا ، فقاتلهم قتالا شديداً ، فقتل من الفريقين جماعة . ثم إنّ مَنْ كان على باب الأنبار من أهل بغداد انهزموا لا يلوون على شىء ، فضرب الأتراك والمغاربة باب الأنبار بالنار فاحترق ، وأحرقوا ما كان على باب الأنبار من المجانيق والعرّادات ، ودخلوا بغداد حتى صاروا إلى باب الحديد ومقابر الرّهينة ومن ناحية الشارع إلى موضع أصحاب الدواليب ، فأحرقوا ماهنالك وأحرقوا كلّ ما قرب من ذلك من أمامهم ووورائهم ، ونصبوا أعلامهم على الحوانيت التى تقرب من ذلك الموضع ، وانهزم الناس ؛ حتى لم يقف بين أيديهم أحد ؛ وكان ذلك مع صلاة الغَداة ، فوجّه ابن طاهر إلى القوّاد ، ثم ركب فى السلاح فوقف على باب درب صالح المسكين ، ووافاه القوّاد ، فوجّههم إلى باب الأنبار وباب بغواريا وجميع الأبواب التى فى الجانب الغربىّ ، وشحنها بالرجال ، وركب بُغا ووصيف ، فتوجّه بُغا فى أصحابه وولده إلى باب بغواريا ، وصار الشاه بن ميكال والعباس بن قارن والحسين بن إسماعيل إلى باب الأنبار والغوغاء ، فالتقوا والأتراك فى داخل الباب ، فبادرهم العباس بن قارن[1] ، فقتِل — فيما ذكر — فى مقام واحد جماعة من الأتراك ، ووجّه برءوسهم إلى باب ابن طاهر ، وكاثرهم الناس على هذه الأبواب ، فدفعوهم حتى أخرجوهم بعد أن قُتِل منهم جماعة ؛ وكان بُغا الشرابىّ خرج إلى باب بغواريا فى جمع كثير ، فوافاهم وهم غارّون ، فقتل منهم جماعة كثيرة ، وهرب الباقون ، فخرجوا من الباب ؛ فلم يزل بُغا يحاربهم إلى العصر ؛ ثم انهزموا وانصرفوا ، ووكّل بالباب مَنْ يحفظه ، وانصرف إلى باب الأنبار ، ووجّه فى حمل الجصّ والآجرّ ، وأمر بسدّه .

٣/١٦٢٢

وفى هذا اليوم أيضاً كانت حرب شديدة بباب الشّمّاسية ، قُتِل من الفريقين — فيما ذكر — جماعة كثيرة ، وجُرح آخرون ؛ وكان الذى قاتل الأتراك فى هذا اليوم — فيما ذكر — يوسف بن يعقوب قوصرّة .

٣/١٦٢٣

(١) ط : « خازن » صوابه من ا ، وانظر الفهرس .

وفيها أمر محمد بن عبد الله المظفّر بن سيسل أن يعسكر بالياسرية ، ففعل ذلك ، ثم انتقل إلى الكُناسة إلى أن وافاه بالفَردل بن إيزنكجيك[١] الأشروسنى ؛ فأمر له بفرض ، وضمّ إليه رجالا من الشاكرية وغيرهم ، وأمر أن يضامّ المظفر ويعسكر بالكُناسة ، ويكون أمرهما واحداً ، ويضبط تلك الناحية ؛ فأقاما هنالك حيناً ، ثم أمر بالفردل المظفَّرَ بالمضىّ ، ليعرف خبر الأتراك ليدبّر فى أمرهم بما يراه ؛ فامتنع من ذلك المظفّر ، وزعم أنّ الأمير لم يأمره بشيء مما سأله ، وكتب كلٌّ واحد منهما يشكو صاحبَه ، وكتب المظفر يستعفى من المقام بالكُناسة ، ويزعم أنه ليس بصاحب حرب ، فأعفِىَ ، وأمر بالانصراف ولزوم البيت ؛ وقلد أمر ذلك العسكر ومَنْ فيه من الجند النائبة والأثبات بالفردل ، وضمّ إليه أثبات المظفّر وأفرِد بالناحية .

* * *

وفى شهر رمضان من هذه السنة التقى هشام بن أبى دلف والعلوىّ الخارج بنِينَوى ، ومعه رجل من بنى أسد ، فاقتتلوا فقُتل من أصحاب العَلوىّ — فيما ذكر — نحو من أربعين رجلا ، ثم افترقا ، فدخل العلوىّ الكوفة فبايع أهلها المعتزّ ، ودخل هشام بن أبى دُلف بغداد .

٣/١٦٢٤

وفى شهر رمضان من هذه السنة كانت بين أبى الساج والأتراك وقعة بناحية جَرْجَرَايا ، هزمهم فيها أبو الساج ، وقتَل منهم جماعة كثيرة ، وأسر منهم جماعة أخَر .

* * *

[ذكر خبر قتل بالفردل]

ولليلة بقِيَتْ من شهر رمضان منها قُتِل بالفردل ؛ وكان سبب قتله أن أبا نصر بن بغا لما غلب على الأنبار وما قرب منها ، وهزم جيوش ابن طاهر من تلك الناحية وأجلاهم عنها ، بثّ خيله ورجالَه فى أطراف بغداد من الجانب الغربىّ ، وصار إلى قصر ابن هبيرة ، وبها بحونة بن قيس من قِبَل ابن طاهر ، فهرب منه من غير قتال[٢] جرى بينه وبينه ، ثم صار أبو نصر إلى نهر صَرْصَر ،

(١) كذا فى ا ، وفى ط : اذ ابن مكحو نعمل .
(٢) س : « عن غير قتال » .

واتصل بابن طاهر خبرُه وخبر الوقْعة التى كانت بين أبى الساج والأتراك بجرجَرايا وخذلان مَنْ معه من الفروض إياه عند احمرار البأس. فندبَ بالفردلَ إلى اللحاق بأبى الساج والمسير بمَنْ معه إليه، فسار بالفردل فيمَن معه غداةَ يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من شهر رمضان، فسار يومَه وصبَّح المدائن، فوافاها مع موافاة الأتراك ومَنْ هو مضموم إليهم من غيرهم، وبالمدائن[1] رجال ابن طاهر وقوّاده[1]، فقاتلهم الأتراك، فانهزموا. ولحق مَنْ فيها من القواد بأبى الساج، وقاتل بالفردل قتالا شديداً؛ ولما رأى انهزام مَنْ هنالك من أصحاب ابن طاهر مضى متوجّهاً نحو أبى الساج بمن معه فأدرك فقتل.

٣/١٦٢٥

وذكر عن ابن القواريرىّ — وكان أحد القوّاد — قال: كنتُ وأبو الحسين ابن هشام موكّلين بباب بغداد ومنكجور منفرد بباب ساباط، وكان بقرب بابه ثُلْمة فى سور[2] المدائن، فسألت منكجور أن يسدّها فأبى، فدخل الأتراك منها، وتفرّق أصحابه. قال: وبقيت فى نحو من عشرة أنفس، ووافى بالفردل هو وأصحابه، فقال: أنا الأمير، أنا فارس ومعى فرسان، نمضى على الشطّ، وتكون الرجّالة على السفن، فدافع ساعة ثم مضى لوجهه وعسكرُه فى السفن على حالهم يريد أبا الساج، أو تلك الناحية، وأقمتُ بعده ساعة تامة. وتحتى أشقر عليه حلية، فصرت إلى نهر فعثر بى، فسقطت عنه؛ وقصدونى يقولون: صاحب الأشقر! فخرجت من النهر راجلا قد طرحت عنى السلاح، فنجوت.

وغضب ابن طاهر على ابن القواريرىّ وأصحابه، وأمرهم بلزوم منازلهم، وغرق بالفردل.

* * *

ولأربع خلون من شوّال من هذه السنة، جمع — فيما ذكر — محمد بن عبد الله بن طاهر جميعَ قوّاده الموكلين بأبواب بغداد وغيرهم؛ فشاورهم جميعاً فى الأمور، وأعلمهم ما ورد عليهم من الهزائم؛ فكلٌّ أجاب بما أحبّ من بذل النفس والدم والأموال، فجزاهم خيراً وأدخلهم إلى المستعين، وأعلمه ما ناظرهم

٣/١٦٢٦

(١–١) ف: «من قواد ابن طاهر وأصحابه جماعة».

(٢) س: «من سور».

فيه وما ردّوا عليه من الجواب ، فقال لهم المستعين : والله يا معشر القوّاد ، لئن قاتلت عن نفسى وسلطانى ما أقاتل إلاّ عن دولتكم وعامتكم ، وأن يردّ الله إليكم[1] أموركم قبل مجىء الأتراك وأشباههم ؛ فقد يجب عليكم المناصحة والجهد فى قتال هؤلاء الفسقة ؛ فردّوا أحسن مردّ ، وجزاهم الخير ، وأمرهم بالانصراف إلى مراكزهم فانصرفوا .

* * *

[ذكر خبر هزيمة الأتراك ببغداد]

وفى يوم الاثنين لأيام خلَت من ذى القعدة من هذه السنة كانت وقعة عظيمة لأهل بغداد ، هزموا فيها الأتراك ، وانتهبوا عسكرهم ؛ وكان سبب ذلك أن الأبوابَ كلّها من الجانبين فُتِحت ونُصبت المجانيق والعرّادات فى الأبواب كلها والشبّارات فى دجْلة ، وخرج منها الجند كلُّهم ، وخرج ابن طاهر وبُغا ووصيف حين تزاحف الفريقان ، واشتدّت الحرب إلى باب القطيعة ، ثم عبروا إلى باب الشمّاسية ، وقعد ابن طاهر فى قُبّة ضربت له ؛ وأقبلت الرُّماة من بغداد بالناوكيّة فى الزواريق ؛ ربما انتظم السهم الواحد عدّة منهم فقتلهم ، فهزمت الأتراك ، وتبعهم أهل بغداد حتى صاروا إلى عسكرهم ، وانتهبوا سوقهم[2] هنالك ، وضربوا زورقًا لهم كان يقال له الحديدىّ ، كان آفةً على أهل بغداد بالنار ، وغرق من فيه ، وأخذوا لهم شبّارتين ؛ وهرب الأتراك على وجوههم لا يلوون على شىء ، وجعل وصيف وبغا يقولان كلما جىءَ برأس : ذهب والله الموالى . واتّبعهم أهلُ بغداد إلى الرُّوذبار ، ووقف أبو أحمد بن المتوكل يردّ الموالى ، ويخبرهم أنهم إن لم يكرّوا لم يبق لهم بقيّة ؛ وأن القوم يتبعونهم إلى سامرّا . فتراجعوا ، وثاب بعضهم ، وأقبلت العامة تحزّ رءوس مَنْ قتل ؛ وجعل محمد بن عبد الله يطوّق كلّ مَنْ جاء برأس ويصله ، حتى كثر ذلك ، وبدت الكراهة فى وجوه من مع بُغا ووصيف من الأتراك والموالى ؛ ثم ارتفعت غَبَرة من ريح جنوب ، وارتفع الدخان مما احترق ،

٣/١٦٢٧

(١) ف : « عليكم » .
(٢) س : « سيوفهم » .

وأقبلت أعلام الحسن بن الأفشين مع أعلام الأتراك يقدُمها علمٌ أحمر، قد استلبه غلام لشاهك، فنسي أن ينكّسه؛ فلما رأى الناسُ العلَمَ الأحمر ومَنْ خلفه، توهموا أن الأتراك قد رجعوا عليهم وانهزموا؛ وأراد بعضُ مَنْ وقف أن يقتل غلام شاهك، ففهمه، فنكس العلم، والناس قد ازدحموا منهزمين؛ وتراجع الأتراك إلى معسكرهم ولم يعلموا بهزيمة أهل بغداد، فتحمَّلُوا عليهم؛ فانصرف الفريقان بعضهم عن بعض.

* * *

[خبر وقعة أبي السلاسل مع المغاربة]

وفيها كانت وقعة لأبي السلاسل وكيل وصيف بناحية الجبل مع المغاربة. وكان سبب ذلك — فيما ذكر — أنّ رجلاً من المغاربة يقال له نصر سَلهب ، ١٦٢٨/٣ صار بجماعة من المغاربة إلى عمل بعض ما إلى أبي الساج من الأرض؛ وانتهب هو وأصحابه ما هنالك من القُرَى؛ فكتب أبو السلاسل إلى أبي الساج يعلمه ذلك، فوجّه أبو الساج إليه — فيما ذكر — بنحو من مائة نفس بين فارس وراجل؛ فلمّا صاروا إليه كبس أولئك المغاربة، فقتل منهم تسعة، وأسر عشرين؛ وأفلت نصر سهلب سارياً.

* * *

[ذكر خبر وقوع الصلح بين الموالي وابن طاهر]

ووضعت الحربُ أوزارها بعد هذه الوقعة بين الموالى وابن طاهر؛ فلم يعودوا لها، وكان السبب في ذلك — فيما ذكر — أنّ ابن الطاهر قد كان كاتب المعتزّ قبل ذلك في الصلح؛ فلما كانت هذه الوقعة أنكِرَتْ عليه؛ فكتب إليه؛ فذكر أنه لا يعود بعدها لشيء يكرهه؛ ثم أغلقت بعد ذلك على أهل بغداد أبوابها؛ فاشتدّ عليهم الحصار، فصاحوا في أوّل ذي القعدة من هذه السنة في يوم الجمعة: الجوعَ! ومضوْا إلى الجزيرة التي هي تلقاء دار ابن طاهر؛ فأرسل إليهم ابن طاهر: وجّهوا إليّ منكم خمسة مشايخ، فوجّهوا بهم، فأدخلوا عليه؛ فقال لهم: إنّ من الأمور أموراً لا يعلم بها العامّة؛ وأنا عليل، ولعلى

أعطى[١] الجند أرزاقهم ثم أخرج بهم إلى عدوّكم . فطابت أنفسُهم ، وخرجوا عن غير شيء ، وعادت العامة والتّجار بعدُ إلى الجزيرة التى بحذاء دار ابن طاهر ؛ فصاحوا وشكَوْا ما هم فيه من غلاء السعر[٢] ، فبعث إليهم فسكّنهم ؛ ووعدهم ومنّاهم . وأرسل ابن طاهر الى المعتزّ فى الصلح. واضطرب أمرُ أهل بغداد ، فوافَى بغداد للنصف من ذى القعدة من هذه السنة حماد بن إسحاق ابن حماد بن زيد ، ووَجّه مكانه أبو سعيد الأنصاريّ إلى عسكر أبى أحمد رهينة ، فلقى حماد بن إسحاق ابنَ طاهر ، فخلا به فلم يُذكَر ما جرى بينهما. ثم انصرف حماد إلى عسكر أبى أحمد ، ورجع أبو سعيد الأنصاريّ ، ثم رجع حماد إلى ابن طاهر ، فجرت بين ابن طاهر وبين أبى أحمد رسائل مع حمّاد.

٣/١٦٢٩

ولتسع بقِين من ذى القعدة خرج أحمد بن إسرائيل إلى عسكر أبى أحمد مع حماد وأحمد بن إسحاق وكيل عبيد الله بن يحيى بإذن ابن طاهر لمناظرة أبى أحمد فى الصلح .

ولسبعٍ بقين من ذى القعدة أمر ابنُ طاهر بإطلاق جميع مَنْ فى الحبوس ممن كان حُبِس بسبب ما كان بينه وبين أبى أحمد من الحروب ومعاونته إياه عليه فأطلقه . ومن غد هذا اليوم اجتمع قوم من رجّالة الجند وكثيرٌ من العامة ، فطلب الجند أرزاقَهم ، وشكت العامة سوءَ الحال التى هم بها من الضيق وغلاء السعر وشدّة الحصار ، وقالوا : إمّا خرجتَ فقاتلتَ ؛ وإما تركتَنا ؛ فوعدهم أيضاً الخروج أو فتح الباب للصلح ، ومنّاهم . فانصرفوا .

فلما كان بعد ذلك ، وذلك لخمس بقين من ذى القعدة شَحَن السجون والجسر وباب داره والجزيرة بالجند والرجال ، فحضر الجزيرة بَشَرٌ كثير ، فطردوا مَنْ كان ابن طاهر صيّرهم فيها ، ثم صاروا إلى الجسر من الجانب الشرقىّ ، ففتحوا سجن النساء ، وأخرجوا مَنْ فيه ، ومنعهم علىّ بن جهشيار ومَنْ معه[٣] من الطبريّة من سجن الرجال ، ومانعهم أبو مالك الموكل بالجسر[٤] الشرقىّ ، فشجّوه وجرحوا[٥] دابتين لأصحابه ؛ فدخل داره وخلاّهم ، فانتهبوا ما فى

٣/١٦٣٠

---

(١) س : « ولعلى أن أعطى » . (٢) ف : « الأسعار » . (٣) ف : « معهم » .
(٤) ف : « بالحبس » . (٥) س ، ف : « وأخرجوا ».

مجلسه ، وشدّ عليهم الطبريّة فنحوْهم حتى أخرجوهم من الأبواب ، وأغلقوها دونهم ، وخرج منهم جماعة ، ثم عبر إليهم محمد بن أبي عون ، فضمن للجند رزق أربعة أشهر ؛ فانصرفوا على ذلك ، وأمر ابن طاهر بإعطاء أصحاب ابن جهشيار أرزاقهم لشهرين من يومهم فأعطُوا .

* * *

[ذكر بدء عزم ابن طاهر على خلع المستعين والبيعة للمعتزّ]

ووجّه أبو أحمد خمس سفائن من دقيق وحنطة وشعير وقتّ وتبن إلى ابن طاهر فى هذه الأيام، فوصلت إليه . ولما كان يوم الخميس لأربع خلوْن من ذى الحجّة علم الناس ما عليه ابن طاهر من خلْعه المستعين وبيعته للمعتزّ ، ووجّه ابن طاهر قُوّاده إلى أبى أحمد حتى بايعوه للمعتزّ ، فخلع على كل واحد منهم أربع خلع ، وظنت العامة أن الصلح جرى بإذن الخليفة المستعين ، وأن المعتزّ ولىّ عهده .

* * *

[خروج العامة ونصرة المستعين على ابن طاهر]

ولما كان يوم الأربعاء خرج رشيد بن كاوُس — وكان موكّلا بباب السلامة — مع قائد يقال له نهشل بن صخر بن خزيمة بن خازم وعبد الله بن محمود ، ووجّه إلى الأتراك بأنه على المصير إليهم ليكون معهم ، فوافاه من الأتراك زُهاء ألف فارس ؛ فخرج إليهم على سبيل التسلم عليهم ؛ على أنّ الصلح قد وقع ، فسلم عليهم ، وعانق مَنْ عرف منهم ، وأخذوا بلجام دابّته ، ومضوْا به وبابنه فى أثره ؛ فلما كان يوم الاثنين صار رُشيد إلى باب الشماسيّة فكلّم الناس ، وقال : إنّ أمير المؤمنين وأبا جعفر يقرئان عليكم السلام ، ويقولان لكم : مَنْ دخلَ فى طاعتنا قرّبناه ووصلناه ، ومن آثر غير ذلك فهو أعلم ؛ فشتمه العامة . ثم طاف على جميع أبواب الشرقية بمثل ذلك ، وهو يُشْتَم فى كل باب ، ويشتَم المعتزّ . فلما فعل رشيد ذلك علمت العامة ما عليه ابن طاهر ، فمضت إلى الجزيرة التى بحذاء دار ابن طاهر ؛ فصاحوا به وشتَموه أقبح شتم ؛ ثم صاروا إلى بابه ، ففعلوا مثل ذلك ؛ فخرج إليهم راغب الخادم ، فحضّهم على ما فعلوا ، وسألهم الزيادة فيما هم فيه من نصرة المستعين ، ثم مضى إلى الحظيرة

٣/١٦٣١

التى فيها الجيش ، فمضى بهم وجماعة أخـر غيرهم وهم زُهاء ثلثمائة فى السلاح ، فصاروا إلى باب ابن طاهر ، فكشفوا من عليه وردّوهم ، فلم يبرحوا يقاتلونهم ؛ حتى صاروا إلى دهليز الدّار ، وأرادوا إحراق الباب الداخل فلم يجدوا ناراً ، وقد كانوا باتوا بالجزيرة الليل كله يشتمونه ويتناولونه بالقبيح .

١٦٣٢/٣ وذكر عن ابن شجاع البلخىّ أنه قال : كنتُ عند الأمير وهو يحدّثنى ويسمع ما يُقذف به من كلّ إنسان ؛ حتى ذكروا اسم أمّه ، فضحك وقال : يا أبا عبد الله ، ما أدرى [١] كيف عرفوا اسم أمى ! ولقد كان كثير من جوارى أبى العباس عبد الله بن طاهر لا يعرفون اسمَها ، فقلت له : أيها الأمير ، ما رأيت أوسعَ من حلمك ، فقال لى : يا أبا عبد الله ، ما رأيتُ أوفق من الصبر عليهم ؛ ولا بدّ من ذلك . فلما أصبحوا وافوا الباب ، فصاحوا ؛ فصار ابن طاهر إلى المستعين يسأله أن يطلع إليهم ويسكّنهم ويعلمهم ما هو عليه لهم ؛ فأشرف عليهم من أعلى الباب وعليه البُرْدة والطّويلة ، وابن طاهر إلى جانبه ؛ فحلف لهم بالله ما أتّهمُه ؛ وإنى لفى عافية ما علىّ منه بأس ؛ وإنه لم يخلع ، ووعدهم أنه يخرج فى غد يوم الجمعة ليصلّىَ بهم ، ويظهر لهم . فانصرف عامّتهم بعد قتلى وقعت .

ولما كان يوم الجمعة بكّر الناس بالصياح يطلبون المستعين ، وانتهبوا دوابّ علىّ بن جهشيار — وكانت فى الخراب ، على باب الجسر الشرقىّ — وانتهب جميع ما كان فى منزله وهرب ؛ وما زال الناس وقوفاً على ما هم عليه إلى ارتفاع النهار ، فوافى وصيف وبُغا وأولادهما ومواليهما وقوّادهما وأخوال المستعين ؛ فصار الناس جميعاً إلى الباب ، فدخل وصيف وبُغا فى خاصّتهما ، ودخل أخوال المستعين معهم إلى الدهليز ، ووقفوا على دوابّهم ، وأعلم [٢] ابن طاهر بمكان الأخوال ؛ ١٦٣٣/٣ فأذِن لهم بالنزول فأبوْا ، وقالوا : ليس هذا يوم نزولنا عن ظهور دوابنا حتى نعلم [٣] نحن والعامة ما نحن عليه ؛ ولم تزل الرّسل تختلف إليهم ، وهم يأبوْن ،

---

(١) ف : « ما أعرف » .
(٢) ف : « وعلم » .
(٣) ف : « إلا بعد أن نعرف » .

فخرج إليهم محمد بن عبد الله نفسه . فسألهم النزول والدخول إلى المستعين ، فأعلموه أنّ العامة قد ضجّت مما بلغها وصحّ عندها ما أنت عليه من خلْع المستعين والبَيْعة للمعتزّ ، وتوجيهك القوّاد بعد القواد للبيعة للمعتزّ ، وإرادتك التهويل ليصيرَ الأمر إليه و إدخاله الأتراك والمغاربة بغداد . فيحكموا فيهم بحكمهم فيمن ظهروا عليه من أهل المدائن والقُرى ، واستراب بك أهل بغداد . واتّهمُوك على خليفتهم وأموالهم وأولادهم وأنفسهم ؛ وسألوا إخراج الخليفة إليهم ليروْه ويكذّبوا ما بلغهم عنه . فلما تبين محمد بن عبدالله صحّةَ قولهم ، ونظر إلى كثرة اجتماع الناس وضجيجهم سأل المستعين الخروج إليهم ؛ فخرج إلى دار العامة التى كان يدخلها جميعُ الناس ، فنُصب له فيها كرسىٌّ ، وأدخل إليه جماعة من الناس فنظرُوا إليه ، ثم خرجوا إلى من وراءهم ، فأعلموهم صحّةَ أمره . فلم يقنعوا بذلك ؛ فلما تبيّن له أنهم لا يسكنون دون أن يخرج إليهم — وقد كان عرف كثرة الناس — أمرَ بإغلاق الباب الحديد الخارج فأغلق ، وصار المستعين ١٦٣٤/٣ وأخواله ومحمد بن موسى المنجّم ومحمد بن عبد الله إلى الدرجة التى تُفضى إلى سطوح دار العامة وخزائن السلاح ، ثم نصب لهم سلاليم على سطح[1] المجلس الذى يجلس فيه محمد بن عبد الله والفتح بن سهل ، فأشرف المستعين على الناس وعليه سَواد ، وفوق السواد بُرْدة النبي صلى الله عليه وسلم ، ومعه القضيب ؛ فكلّم الناس وناشدَهم ، وسألهم بحقّ صاحب البردة إلاّ انصرفوا ؛ فإنه فى أمْن وسلامة ، وإنه لا بأس عليه من محمد بن عبد الله . فسألوه الرُّكوب معهم والخروج من دار محمد بن عبد الله لأنهم لا يأمنونه عليه ؛ فأعلمهم أنه على النقلة منها إلى دار عمته أمّ حبيب ابنة الرشيد ، بعد أن يصلح له ما ينبغى أن يسكن فيه ، وبعد أن يحوّل أمواله وخزائنه وسلاحه وفرشه وجميع ما له فى دار محمد بن عبد الله ؛ فانصرف أكثرُ الناس[2] . وسكن أهل بغداد .

ولما فعل أهل بغداد ما فعلوا من اجتماعهم على ابن طاهر مرّة بعد مرّة وإسماعهم إياه المكروه ، تقدّم إلى أصحاب المعاون ببغداد بتسخير ما قَدرُوا

---

(١) س : « سطوح ».
(٢) بعدها فى ف : « عند ذلك » .

عليه من الإبل والبغال والحمير[1] لينتقل عنها .

وذكروا أنه أراد أن يقصد المدائن ، واجتمع على بابه جماعة من مشايخ الحربية والأرباض جميعًا ؛ يعتذرون إليه ، ويسألونه الصَّفْح عمّا كان منهم ، ويذكرون أنّ الذى فعل ذلك الغوغاء والسُّفهاء لسوء الحال التى كانوا بها والفاقة التى نالتْهم ، فردّ عليهم — فيما ذكر — مردًّا جميلا ، وقال لهم قولا حسنًا ، وأثنى عليهم ،وصفح عمّا كان منهم ،وتقدّم إليهم بالتقدّم إلى شبابهم وسفهائهم فى الأخْذ على أيديهم ،وأجابهم إلى ترك النقْلة ،وكتب إلى أصحاب المعاون بترك السخْرة[2] .

١٦٣٥/٣

* * *

[ذكر خبر انتقال المستعين إلى دار رزق الخادم بالرصافة]

ولأيام خلَوْن من ذى الحجة انتقل المستعين من دار محمد بن عبد الله ، وركب منها ، فصار إلى دار رزق الخادم فى الرُّصافة ، ومرّ بدار علىّ بن المعتصم ، فخرج إليه علىّ ، فسأله النزولَ عنده ؛ فأمره بالرّكوب ، فلما صار إلى دار رزق الخادم نزلها ، فوصل إليها — فيما ذكر — مساء ، فأمر للفرسان من الجند حين صار إليها بعشرة دنانير لكلّ فارس[3] منهم ، وبخمسة دنانير لكلّ راجل . وركب بركوب المستعين ابن طاهر ، وبيده الحربة يسير بها بين يديه ، والقوّاد خلفه ، وأقام — فيما ذكر — مع المستعين ليلة انتقل إلى دار رزق محمد بن عبد الله إلى ثلث الليل ؛ ثم انصرف ، وبات عنده وصيف وبُغا حتى السَّحَر ، ثم انصرفا إلى منازلهما .

ولمّا كان صبيحةُ الليلة التى انتقل المستعين فيها من دار ابن طاهر اجتمع الناس فى الرُّصافة ، وأمر القوّاد وبنُو هاشم بالمصير إلى ابن طاهر والسلام[4] عليه ، وأن يسيرُوا معه إذا ركب إلى الرّصافة . فصاروا إليه ؛ فلما كان الضحى الأكبر من ذلك اليوم ، ركب ابن طاهر وجميع قوّاده فى تعبئة

١٦٣٦/٣

---

(١) ف : « الحمر » .
(٢) س ، : « السخر » .
(٣) ا : « رجل » .
(٤) ا، ف : « التسليم » .

وحوله ناشبة رجّالة ؛ فلما خرج من داره وقف للناس ، فعاتبهم وحلف أنه ما أضمر لأمير المؤمنين — أعزّه الله — ولا لولىّ له ولا لأحد من الناس سوءاً ، وأنه ما يريد إلا إصلاح أحوالهم ، وما تدوم به النعمة عليهم ، وأنهم قد توهّموا عليه ما لا يعرفه ، حتى أبكى الناس . فدعا له مَنْ حضر ، وعبر الجسر ، وصار إلى المستعين ، وبعث فأحضر جيرانه ووجوه أهل الأرباض من الجانب الغربىّ ، فخاطبهم بكلام عاتبهم فيه ، واعتذر إليهم مما بلغهم ، ووجّه وصيف وبُغا مَنْ طاف على أبواب بغداد ، ووكّلا صالح بن وصيف بباب الشماسية.

وذُكِر أنّ المستعين كان كارهاً لنقله عن دار محمد ؛ ولكنه انتقل عنها من أجل أنّ الناس ركبوا الزواريق بالنّفاطين ليضربوا روشن ابن طاهر بالنار لمّا صعب عليهم فتحُ بابه يوم الجمعة .

وذكر أنّ قوماً منهم كنجور ، وقفوا بباب الشماسيّة من قِبَل أبى أحمد ، فطلبوا ابنَ طاهر ليكلموه ، فكتب إلى وصيف يعلمه خبر القوم ، ويسأله أن يعلم المستعين ذلك ليأمر فيه بما يرى ؛ فردّ المستعين الأمر فى ذلك إليه ؛ وأنّ التدبير فى جميع ذلك مردود إليه ، فيتقدّم فى ذلك بما رأى .

٦٣٧/٣

وذُكِر أنّ علىّ بن يحيى بن أبى منصور المنجم كلّم محمد بن عبد الله فى ذلك بكلام غليظ ، فوثب عليه محمد بن أبى عون فأسمعه وتناوله .

وذُكِر عن سعيد بن حُميد أنّ أحمد بن إسرائيل والحسن بن مخلد وعبيد الله بن يحيى خلَوْا بابن طاهر ؛ فما زالوا يفتلونه فى الذّرْوة والغارب ، ويشيرون عليه بالصلح[1] ، وأنه ربما كان عنده قوم فأجْرَوا الكلام فى خلاف الصُّلْح ، فيكشر[2] فى وجوههم ، ويعرض عنهم ؛ فإذا حضر هؤلاء الثلاثة أقبل عليهم وحادثهم وشاورهم .

وذكر عن بعضهم أنه قال : قلت لسعيد بن حميد يوماً : ما ينبغى إلاّ أن يكون قد كان انطوى على المداهنة فى أوّل أمره ؛ قال : وددت أنه كان كذلك ؛ لا والله ما هو إلاّ أن هُزِم أصحابه من المدائن والأنبار حتى

---

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « فى الصّلح » . (٢) كذا فى ا ، وفى ط « فتكس » .

كاتب القوم ، وأجابهم بعد أن كان قد جادّهم .

وحدّثنى أحمد بن يحيى النحوىّ — وكان يؤدّب ولد ابن طاهر — أنّ محمد بن عبد الله لم يزل جادًّا فى نُصْرة المستعين حتى أحفظه عبيد الله بن يحيى ابن خاقان ، فقال له : أطال الله بقاءك ! إنّ هذا الذى تنصره وتجدّ فى أمره من أشدّ الناس نفاقًا ، وأخبثهم دينًا ؛ والله لقد أمر وصيفًا وبغا بقتلك ، فاستعظما ذلك ولم يفعلاه ، وإن كنت شاكًّا فيما وصفت من أمره ، فسلْ تُخْبَرْه ؛ وإن مِنْ ظاهر نفاقه أنه كان وهو بسامُرّا لا يجهر فى صلاته ببسم الله الرحمن الرحيم ؛ فلما صار إلى ما قبَلك ، جهر بها مراءاةً لك ؛ وتترك نصرة وليك[1] وصهرك وتربيتك ؛ ونحو ذلك من كلام كلّمه به ؛ فقال محمد بن عبد الله : أخزى الله هذا ، لا يصلح لدين ولا دنيا ، قال : وكان أوّل مَنْ تقدّم على صرف محمد بن عبد الله عن الجِدّ فى أمر المستعين عبيد الله بن يحيى فى هذا المجلس ، ثم ظاهر عبيد الله بن يحيى على ذلك أحمد بن إسرائيل والحسن بن مخلد ؛ فلم يزالوا به حتى صرفوه عمّا كان عليه من الرّأى فى نصرة المستعين .

٣/١٦٣٨

* * *

وفى يوم الأضحى من هذه السنة صلّى بالناس المستعين صلاة الأضحى فى الجزيرة التى بحذاء دار ابن طاهر ، وركب وبين يديه عبيد الله بن عبد الله ، معه الحربة التى لسليمان ، وبيد الحسين بن إسماعيل حربة السلطان ، وبُغا ووصيف يكنُفانه ؛ ولم يركب محمد بن عبد الله بن طاهر ، وصلى عبد الله ابن إسحاق فى الرُّصافة .

٣/١٦٣٩

* * *

[ذكر بدء المفاوضة فى أمر خلع المستعين]

وفى يوم الخميس ركب محمد بن عبد الله إلى المستعين ، وحضره عدّة من الفقهاء والقضاة ، فذُكِر أنه قال للمستعين : قد كنتَ فارقتَنى على أن

(١) س : « لوليك » .

تنفّذ فى كل ما أعزم عليه؛ ولك عندى بخطّك رقعة بذلك؛ فقال المستعين: أحضِر الرُّقعة. فأحضرها؛ فإذا فيها ذكر الصلح؛ وليس فيها ذكر الخلْع، فقال: نعم، أنفذ الصلح، فقام الخَلَنجىّ فقال: يا أمير المؤمنين؛ إنه يسألك أن تخلع قميصًا قَمَّصك به الله. وتكلّم علىّ بن يحيى المنجّم فأغلظ لمحمد ابن عبد الله.

ثم ركب بعد ذلك محمد بن عبد الله — وذلك للنصف من ذى الحجة — إلى المستعين بالرّصافة، ثم انصرف ومعه وصيف وبُغا، فمضوْا جميعًا حتى صاروا إلى باب الشماسيّة، فوقف محمد بن عبدالله على دابّته، ومضى وصيف وبُغا إلى دار الحسن بن الأفشين، وانحدرت المبيّضة والغوغاء من السور، ولم يطلق لأحد فتح الأبواب[1]، وقد كان خرج قبل ذلك جماعةٌ كثيرة إلى عسكر أبى أحمد، فاشتروا ما أرادوا؛ فلمّا خرج مَنْ ذكرنا إلى باب الشّماسية نودى فى أصحاب أبى أحمد ألاّ يباع من أحد من أهل بغداد شىء؛ فمُنعوا من الشراء، وكان قد ضرب لمحمد بن عبد الله بباب الشّماسيّة مضرب كبير أحمر؛ وكان مع ابن طاهر بندار الطبرىّ وأبو السنا ونحو من مائتى فارس ومائتى راجل، وجاء أبو أحمد فى زلاّل حتى قرب من المضرب، ثم خرج ودخل المضرَب مع محمد بن عبد الله، ووقف الذين مع كلّ واحد منهما من الجُنْد ناحية، فتناظر ابن طاهر وأبو أحمد طويلا، ثم خرجا مِنْ المضرَب، وانصرف ابنُ طاهر من مضربه إلى داره فى زلاّل؛ فلما صار إليها خرج من الزلاّل، فركب ومضى إلى المستعين ليخبرَه بما دار بينه وبين أبى أحمد، وأقام عنده إلى العَصْر، ثم انصرف؛ فذُكر أنه فارقه على أن يعطَى خمسين ألف دينار، ويُقطَع غلّة ثلاثين ألف دينار فى السنة؛ وأن يكون مقامه بغداد حتى يجتمع لهم مال يُعطون الجند؛ وعلى أن يولَّى بُغا مكة والمدينة والحجاز، ووصيف الجبل وما والاه، ويكون ثلث ما يجىء من المال لمحمد بن عبد الله، وجُنْد بغداد والثلثان للموالى والأتراك.

٣/١٦٤٠

---

(١) ا، س: «الباب».

وذُكر أنّ أحمد بن إسرائيل لما صار إلى المعتزّ ولاّه ديوانَ البريد، وفارقه على أن يكون هو الوزير وعيسى بن فرّخانشاه على ديوان الخراج وأبو نوح على الخاتم والتوقيع؛ فاقتسموا الأعمال، فوردت خريطة الموسم إلى بغداد بالسلامة، فبعث بها إلى أبي أحمد[1]، ثم ركب ابن طاهر – فيما قيل – لأربع عشرة بقيت من ذى الحجة من هذه السنة إلى المستعين، لمناظرته فى الخلْع، فناظره فامتنع عليه المستعين، وظنّ المستعين أن بُغا ووصيفاً معه، فكاشفاه، فقال المستعين: هذا عُنُقى والسيف والنِّطع؛ فلما رأى امتناعه انصرف عنه، فبعث المستعين إلى ابن طاهر بعلىّ بن يحيى المنجم وقوم من ثقاته، وقال: قولوا له: اتق الله، فإنما جئتك لتدفع عنى؛ فإن لم تدفع عنى فكُفّ عنى. فردّ عليه: أمّا أنا فأقعد فى بيتى؛ ولكن لا بدّ لك من خلعها طائعاً أو مكرهاً.

١٦٤١/٣

وذكر عن علىّ بن يحيى أنه قال له: قل له: إن خلعتَها فلا بأس؛ فوالله لقد تمزّقت تمزقاً لا يُرقع؛ وما تركتَ فيها فضلا. فلما رأى المستعين ضعفَ أمره وخذلانَ ناصريه أجاب إلى الخلْع؛ فلما كان يوم الخميس لاثنتى عشرة ليلة بقيتْ من ذى الحجة، وجّه ابنُ طاهر ابنَ الكرديّة وهو محمد بن إبراهيم بن جعفر الأصغر بن المنصور والخلنجيّ وموسى بن صالح بن شيخ وأباسعيد الأنصاريّ وأحمد بن إسرائيل ومحمد بن موسى المنجم إلى عسكر أبى[2] أحمد ليوصلوا كتابَ محمد إليه بأشياء سألها المستعين من حين نُدب إلى أن يخلع نفسه. فأوصلوا الكتاب، فأجاب إلى ما سأل، وكتب الجواب بأن يُقطع وينزل مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن يكون مضطرَبُه من مكة إلى المدينة، ومن المدينة إلى مكة. فأجابه إلى ذلك؛ فلم يقنع المستعين إلا بخروج ابن الكرديّة بما سأل إلى المعتزّ، حتى يكتب بإجابته بذلك بخطه بعد مشافهة ابن الكرديّة المعتزّ بذلك، فتوجّه ابن الكردية بها.

١٦٤٢/٣

وكان سبب إجابة المستعين إلى الخلْع – فيما ذكر – أن وصيفاً وبُغا وابن طاهر ناظروه فى ذلك وأشاروا عليه؛ فأغلظ لهم[3]، فقال له وصيف:

---

(١) إلى هنا تنتهى نسخة أحمد الثالث.
(٢) ط: «ابن»، وانظر الفهرس.
(٣) ف: «عليهم».

أنت أمرتنا بقتل باغر؛ فصيرْنا إلى ما نحن فيه؛ وأنت عرّضتنا لقتل أوتامش، وقلت: إنّ محمداً ليس بناصح؛ وما زالوا يفزّعونه ويحتالون له، فقال محمد ابن عبد الله: وقد قلت لى إنّ أمرنا لا يصطلح إلا باستراحتنا من هذيْن؛ فلمّا اجتمعت كلمتُهم أذعن لهم بالخلْع، وكتب بما اشترط لنفسه عليهم؛ وذلك لإحدى عشرة ليلة بقيت من ذى الحجة.

ولمّا كان يومُ السَّبْت لعشر بقين من ذى الحجّة، ركب محمد بن عبد الله إلى الرُّصافة وجميع القضاة والفقهاء، وأدخلهم على المستعين فوجًا فوجًا، وأشهدهم عليه أنه قد صيَّر أمره إلى محمد بن عبد الله بن طاهر؛ ثم أدخل عليه البوّابين والخدَم، وأخذ منه جوهر الخلافة، وأقام عنده حتى مضى هُوِىّ من الليل، وأصبح الناس يرجُفون بألوان الأراجيف، وبعث ابن طاهر إلى قوّاده فى موافاته؛ مع كلّ قائد منهم عشرة نفر من وجوه أصحابه، فوافوْه، فأدخلهم[1] ومنّاهم، وقال لهم: إنما أردت بما فعلت صلاحكم وسلامتكم وحقْنَ الدماء. وأعدّ للخروج إلى المعتزّ فى الشروط التى اشترطها للمستعين ولنفسه ولقوّاده قومًا ليوقّع المعتزّ فى ذلك بخطه. ثم أخرجهم إلى المعتزّ، فمضوا إليه حتى وقّع فى ذلك بخطه إمضاءً[2] كل ما سأل المستعين وابن طاهر لأنفسهما من الشُّروط، وشهدوا عليه بإقراره بذلك كله، وخلَع المعتزّ على الرّسل، وقلّدهم سيوفًا، وانصرفوا بغير جائزة ولا نظر فى حاجة لهم، ووجّه معهم لأخذ البيعة له على المستعين جماعة من عنده؛ ولم يأمر للجند بشىء. وحُمل إلى المستعين أمه وابنته وعياله بعد ما فتّش عياله، وأخذ منهم بعض ما كان معهم مع سعيد بن صالح؛ فكان دخول الرسل[3] بغداد منصرَفهم من عند المعتزّ يوم الخميس لثلاث خلون من المحرم سنة اثنتين وخمسين ومائتين.

٣/١٦٤٣

وذكر أن رسل المعتزّ لما صاروا بالشماسيّة، قال ابن سجّادة: أنا أخاف من أهل بغداد؛ فإمّا أن يحمل المستعين إلى الشماسيّة أو إلى دار محمد بن عبد الله ليبايع المعتزّ، ويخلَع نفسه ويؤخذ منه القضيب والبُرْدة.

---

(١) بعدها فى ف: «عليه».
(٢) ف: «بامضاء».
(٣) ف: «الجند».

وفى شهر ربيع الأول من هذه السنة كان ظهورُ المعروف بالكوكبى بقزوين وزَنجان وغلبتُه عليها وطرده عنها آل طاهر ؛ واسم الكوكبىّ الحسين بن أحمد ابن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الأرقط بن محمد بن علىّ بن الحسين بن علىّ ابن أبى طالب رضى الله عنه .

* * *

٣/١٦٤٤ وفيها قطعت بنو عُقيل طريق جُدّة ، فحاربهم جعفر بشاشات ، فقُتِل من أهل مكة نحوٌ من ثلثمائة رجل ، وبعض بنى عقيل القائل :

عليكَ ثوبانِ وأُمِّى عاريَهْ فألقِ لى ثوبَك يا بنَ الزانيهْ

فلما فعل بنو عُقَيْل ما فعلوا غلتْ بمكة الأسعار ، وأغارت الأعراب على القرى .

* * *

[ذكر خبر خروج إسماعيل بن يوسف بمكّة]

وفيها ظهر إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن علىّ بن أبى طالب بمكة ، فهرب جعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى العامل على مكة ، فانتهب إسماعيل بن يوسف منزلَ جعفر ومنزلَ أصحاب السلطان ، وقتل الجند وجماعة من أهل مكة ، وأخذ ما كان حمل لإصلاح العيْن من المال وما كان فى الكعبة من الذّهب ، وما فى خزائنها من الذّهب والفضّة والطّيب وكُسوة الكعبة ، وأخذ من الناس نحواً من مائتى ألف دينار ، وأنهب مكة ، وأحرق بعضها فى شهر ربيع الأول منها . ثم خرج منها بعد خمسين يوماً ، ثم صار إلى المدينة ، فتوارَى علىّ بن الحسين بن إسماعيل العامل عليها ، ثم رجع إسماعيل إلى مكة فى رجَب ، فحصرهم حتى تماوَت أهلُها جوعاً وعطشاً ؛ وبلغ الخبز ثلاث أواق بدرهم ، واللحم رطل بأربعة دراهم ، وشربة ماء ثلاثة دراهم ؛ ولقِىَ أهلُ مكة منه كلّ بلاء . ثم رحل بعد مقام

٣/١٦٤٥ سبعةٍ وخمسين يوماً إلى جُدّة ، فحبس عن الناس الطعام ، وأخذ أموال التجار

وأصحاب المراكب ، فحمل إلى مكة الحنطة والذّرة من اليمن ، ثم وافت[1] المراكب من القُلْزُم ،

ثم وافى إسماعيل بن يوسف الموقف ؛ وذلك يوم عرفة ، وبه محمد بن أحمد بن عيسى بن المنصور الملقب كعب البقر ، وعيسى بن محمد المخزوميّ صاحب جيش مكة — وكان المعتزّ وجّههما إليها — فقاتلهم ، فقتل نحو من ألف ومائة من الحاجّ[2] ، وسلب الناس ، وهربوا إلى مكة ، ولم يقفوا بعرَفة ليلا ولا نهاراً ، ووقف إسماعيل وأصحابه ، ثم رجع إلى جُدّة فأفنى أموالها .

(١) ف : « ووافت » .

(٢) س : « الناس » .

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر خلع المستعين وبيعة المعتزّ]

فمن ذلك ما كان من خلع المستعين أحمد بن محمد بن المعتصم نفسَه من الخلافة ، وبيعته للمعتزّ محمد بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم ، والدّعاء للمعتزّ على منبرَىْ بغداد ومسجدىْ جانبيها الشرقىّ منها والغربىّ ، يوم الجمعة لأربع خلوْن من المحرّم من هذه السنة ، وأخذ البيعة له بها على مَن كان يومئذ بها من الجُنْد .

وذكر أن ابن طاهر دخل على المستعين ومعه سعيد بن حميد حين كتب له بشروط الأمان ، فقال له : يا أميرَ المؤمنين ؛ قد كتب سعيد كتب الشروط وأكَّد غاية التأكيد ، فنقرؤه عليك فتسمعه[1] ؟ فقال له المستعين : لاعليك[2] ! ألا تركتها يا أبا العباس ، فما القوم بأعلم بالله منك ؛ قد أكدتَ على نفسك قبلهم فكان ما قد علمت ؛ فما ردّ عليه محمد شيئًا .

١٦٤٦/٣

ولما بايع المستعين المعتزّ ، وأخذ عليه البيعة ببغداد ، وأشهد عليه[3] الشهود من بنى هاشم والقضاة والفقهاء والقوّاد نقل من الموضع الذى كان به[4] من الرّصافة إلى قصر الحسن بن سهل بالمخرِّم هو وعياله وولده وجواريه ، فأنزلوهم فيه جميعًا ، ووكّل بهم سعيد بن رجاء الحضَارىّ فى أصحابه ، وأخذ المستعين البُرْدة والقضيب والخاتم ، ووجّه مع عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، وكتب معه :

أما بعد ؛ فالحمد لله متمّم النعم برحمته ، والهادى إلى شكره بفضله ، وصلّى

(١) ابن الأثير : « لتسمعه » .
(٢) ابن الأثير : « لا حاجة إلى توكيدها » .
(٣) بعدها فى ف : « بذلك » .
(٤) ف : « فيه » .

الله على محمد عبده ورسوله؛ الذى جمع له ما فرّق من الفضل فى الرّسل قبلَه، وجعل تراثه راجعًا إلى مَنْ خَصّه بخلافته، وسلّم تسليماً. كتابى إلى أمير المؤمنين وقد تمّم الله له أمرَه، وتسلّمت تُراث رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن كان عنده، وأنفذته إلى أمير المؤمنين مع عبيد الله بن عبد الله مولى أمير المؤمنين وعبده.

ومنع المستعين الخروج إلى مكة، واختار أن ينزل البصرة. فذكر عن سعيد ابن حميد أن محمد بن موسى بن شاكر قال: البصرة وبيّة، فكيف اخترت أن تنزلها! فقال المستعين: هى أوْبى، أو ترك الخلافة! ٣/١٦٤٧

وذكر أنّ قُرْب جارية قبيحة جاءت برسالة إلى المستعين من المعتزّ، يسأله أن ينزل عن ثلاث جوارٍ كان المستعين تزوجهنّ من جوارى المتوكل، فنزل عنهنّ، وجعل أمرهنّ إليهنّ؛ وكان احتبس عنده من الجوهر خاتمين يقال لأحدهما البُرْج وللآخر الجبَل، فوجّه إليه محمد بن عبد الله بقُرْبَ خاصيّة المعتزّ وجماعة، فدفعهما إليهم، وانصرفوا بذلك إلى محمد بن عبد الله، فوجّه به إلى المعتزّ.

ولست خلون من المحرّم دخل — فيما قيل — بغداد أكثر من مائتى سفينة؛ فيها من صنوف التجارات وغنم كثير، وأشخص المستعين مع محمد بن مظفّر ابن سَيسَل وابن أبى حفصة إلى واسط فى نحو من أربعمائة فرسان ورجّالة. وقدم بعد ذلك علىّ ابن طاهر عيسى بن فرّخانشاه وقُرْب، فأخبراه أن ياقوتة من جوهر الخلافة قد حبَسها أحمد بن محمّد عنده؛ فوجّه ابنُ طاهر الحسين ابن إسماعيل فأخرجها، فإذا ياقوتة بهيّة، أربع أصابع طولا فى عرض مثل ذلك، وإذا هو قد كتب عليها اسمه، فدفعت إلى قُرْب، فبعثتْ بها إلى المعتزّ.

واستوزر المعتزّ أحمد بن إسرائيل، وخلع عليه، ووضع تاجًا على رأسه، وشخص أبو أحمد إلى سامُرّا يوم السبت لاثنتى عشرة خلت من المحرّم منها، وشيّعه محمد بن عبد الله والحسن بن مخلد، فخلع على محمد بن عبد الله خمس خلع وسيفاً، ورجع من الرّوذباز. ٣/١٦٤٨

وقال بعض الشعراء فى خلع المستعين :

خُلِعَ الخلافةَ أحمدُ بنُ محمدٍ وسيُقتَلُ التالى له أو يُخلَعُ
ويزولُ مُلكُ بنى أبيه ولا يُرى أحدٌ تَملّكَ منهمُ يَستَمتِعُ
إيهاً بنى العباسِ إنَّ سبيلَكمْ فى قتلِ أعبُدِكُمْ طريقٌ مَهْيَعُ
رَقَّعتمُ دُنياكمُ فتمزَّقَتْ بكُمِ الحياةُ تمزُّقاً لا يُرقَعُ

وقال بعض البغداديين :

إنّى أراكَ من الفِراقِ جَزوعَا أضحى الإمامُ مُسيَّرًا مخلوعا
كانت به الآفاقُ تَضحَكُ بهجَةً وَهو الربيعُ لمن أراد ربيعَا
لا تُنكِرى حَدَثَ الزمانِ وريْبَه إنّ الزمانَ يُفَرِّقُ المجمُوعا
لَبِسَ الخلافةَ واستجدَّ محبّةً يقضى أُمورَ المسلمينَ جميعا ١٦٤٩/٣
فجنَتْ عليه يدُ الزمانِ بَصرفِه حَرْباً وكَانَ عن الحُروب شَسُوعا
وتجانَفَ الأَتراك عنه تمرُّدًا أَضْحَى ، وكان ولا يُرَاعُ مروعا
فنَزا بهم ، فنَزَوْا به وتَعاوَرتْ أَيْدِى الكماةِ من الرءوس نجيعا
فأزَاله المقدارُ عن رُتَبِ العلا فثَوَى بِواسطَ لا يُحِسُّ رُجوعا
غَدَرُوا به ، مكروا به ، خانوا به لزِمَ الفراشَ، وحالَفَ التَّضجيعا
وتكنَّفُوا بغدادَ من أقطارِها قد ذَلَّلوا ما كان قبلُ مَنِيعا
ولو أنه سعَرَ الحروبَ بنفسِه متلبِّبًا للقائهنَّ دُروعَا
حتى يُصادِمَ بالكماة كماتَهُ فيكون من قَصدَ الحروبَ صَريعا ١٦٥٠/٣
لَغَدَا على رَيْبِ الزمانِ مُحرَّماً ولَكَانَ إذ غَدَرَ اللئامُ مَنِيعا
لكنْ عصَى رأىَ الشفيقِ وعذْلَهُ وغَدا لأمرِ الناكثينَ مُطِيعَا

والمُلْكُ ليس بمالكٍ سلطانَه مَنْ كان للرأيِ السَّديد مضيعا
ما زالَ يَخْدَعُ نفسَه عن نفسِه حتى غَدا عن ملكه مخدُوعا
باعَ ابنُ طاهر دينَه عن بيعةٍ أمسى بها مُلكُ الإمام مَنيعا
خلعَ الخلافة والرعيّةَ فاغتدى من دينِ ربٍّ محمدٍ مخلوعا
فلْيَجْرَعَنَّ بذاك كأساً مُرةً وليُلفيَنَّ لتابعيه تبيعا

وقال محمد بن مروان بن أبي الجَنوب بن مروان حين خلع المستعين ، وصار إلى واسط : ١٦٥١/٣

إنَّ الأُمورَ إلى المعتزّ قد رَجَعَتْ والمُستعان إلى حالاتِهِ رَجَعَا
وكانَ يَعلمُ أنَّ المُلكَ ليس له وأنّه لَكَ لكنْ نفسَه خدعَا
ومالكُ المُلكِ مؤتيهِ ونازِعُه آتاك مُلْكا ومنه الملك قدنَزَعا
إنَّ الخِلافةَ كانت لا تُلائِمُهُ كانت كَذاتِ حليل زُوِّجَتْ مُتَعَا
ما كانَ أقبحَ عند الناسِ بَيعتَه وكان أحسَنَ قوْلَ الناسِ قدخلِعا
ليتَ السَّفِينَ إلى قافٍ دَفَعْنَ به نفسى الفِداءُ لملّاحٍ به دَفَعا
كم ساسَ قبلكَ أمرَ الناسِ من ملك لو كان حُمّلَ ما حُمّلتَه ظَلَعا
أمْسَى بكَ الناسُ بعد الضِّيقِ في سَعَةٍ واللهُ يَجعلُ بعد الضِّيق مُتَّسَعَا ١٦٥٢/٣
واللهُ يدفعُ عنكَ السّوءَ من مَلِكٍ فإنه بكَ عنّا السوءَ قد دَفَعَا
ماضاعَ مدحي ولاضاعَ اصطناعُكَ لي وقد وَجَدْتُ بحمد الله مُصْطَنَعا
فارْدُدْ عليَّ بنجدٍ ضَيْعة قبِضَتْ فإنَّ مِثلكَ مثلي يُقطِعُ الضيَعا
فإنْ رَدَدْتَ إمامَ العَدْلِ غَلَّتَها فاللهُ آنفَ حُسّادي به جَدَعَا

وقال يمدح المعتزّ بعد خلع المستعين :

قد عادَتِ الدنيا إلى حالِهَا وسَرَّنا اللهُ بإقبالِها
دنيا بك اللهُ كفى أهلها ما كان من شِدّة أهوالِها

وكانَ قَدْ ملكَها جاهِلٌ لا تَصلُحُ الدُّنيا لجُهَّالِهَا
قد كانتِ الدنيا به قُفِّلَتْ فكنتَ مِفتاحاً لأقفالِها
إنَّ التى فُزتَ بها دُونَهُ عادَتْ إلى أحسَنِ أحوالِهَا
١٦٥٣/٣ خلافةٌ كنتَ حقيقاً بها فضَّلكَ اللهُ بِسِرْبالها
فردَّه اللهُ إلى حالِهِ وردّها اللهُ إلى حالِهَا
ولم تكن أوّلَ عاريّةٍ رُدّتْ على رغْمٍ إلى آلها
واللهِ لو كان على قريةٍ ما كان يُجزِى بعضَ أعمالها
أدخلَ فى الملكِ يدًا رِعدَةً أخرجَها من بعدِ إدخالها
بَدَّلَنا اللهُ به سَيِّدًا أسكَنَ دُنيا بعد زلزالها
بُدِّلَتِ الأُمّةُ هذا بذَا كأنَّها فى وقتِ دَجّالِها
وقامَ بالمُلكِ وأثقالِه وقام بالحربِ وأثقالها
أبْطلَ ما كان العِدَا أمّلوا رَمْيُكَ بالخيلِ وأبطالِهَا
تُعمِلُ خَيْلا طالَمَا نجحَتْ ما عَمِلَتْ خيلٌ كأعمالها

وقال الوليد بن عبيد البحترىّ فى خلع المستعين ومدح المعتز[1] :

ألَا هل أتاها أنَّ مُظْلِمَةَ الدُّجى تَجلَّتْ وأنَّ العيشَ سُهِّلَ جانبُهْ
١٦٥٤/٣ وأنّا ردَدْنا المُستَعارَ مُذَمَّماً على أهلِه واستأْنَفَ الحقَّ صاحبُهْ
عجبتُ لهذا الدّهر أعيَتْ صُرُوفُه وما الدَّهرُ إلا صرْفُه وعجائبُهْ
متى أمّلَ الدَّيّاكُ[2] أن يُصطفى لَهُ عُرَى التَّاج أو يُثْنِى عليه عصائِبُهْ
وكيف ادَّعى حقَّ الخلافةِ غاصبٌ حَوَى دونه إرثَ النبيِّ أقاربُه
بكى المِنبَرُ الشرقىُّ إذْ خارَ فوقَه على النَّاسِ ثور قد تَدَلَّت غَبَاغبُهْ
ثَقيل على جنبِ الثَّريد مُراقِبٌ لشخصِ الخوانِ يَبتَدِى فيُواثِبُهْ

---

(١) ديوانه ٢١٤ (المعارف) .

(٢) فى الأصول : « الذيال » ، وما أثبته من الديوان ، والدياك : صاحب الديك .

إذا ما احتشى من حاضِرِ الزَّادِ لم يُبَلْ — أضاءَ شِهَابُ المُلكِ أم كلُّ ثاقِبُه ٣/١٦٥٥

إذا بَكَّرَ الفَرَّاشُ ينثو حديثَه — تضاءَل مُطْرِيهِ وأَطنَب عائبُهْ

تَخَطَّى إلى الأَمْرِ الَّذى ليس أهلَهُ — فَطوْرًا يُناغيه وطورًا يُشاغِبُهْ

فكيف رأيتَ الحقَّ قَرَّ قرارُه — وكَيْفَ رأيتَ الظُّلمَ زالتْ عواقبُهْ

ولم يكنِ المغْترُّ بالله إذ سَرَى — لِيُعجزَ والمعتزُّ بالله طالِبُهْ

رَمَى بالقضِيبِ عَنوةً وهْو صاغرٌ — وعُرِّىَ من بُرْدِ النَّبِىّ مناكِبُهْ

وقد سرَّنى أَنْ قيل وُجِّه مسرعاً — إلى الشَّرْقِ تُحْدَى سُفْنُه وركائبُه

إلى كَسْكَرٍ خَلْفَ الدَّجاج ولم يكن — لِتُنْشَبَ إلا فى الدجاج مخالبُه

وما لِحيَةُ القصَّارِ حيثُ تَنَفَّشَتْ — بجالبةٍ خيرًا على من يناسِبُهْ ٣/١٦٥٦

يحوز ابن خَلاَّدٍ على الشِّعْرِ عنْدَه — ويُضحى شُجاعٌ وهْو للجهل كاتِبُهْ

فأَقسمْتُ بالْوادِى الحَرامِ وماحَوَتْ — أَباطحُه من مَحْرَمٍ وأخاشِبُهْ

لقد حملَ المعتزُّ أُمةَ أَحمدٍ — على سَنَنٍ يَسرِى إلى الحقّ لاحِبُهْ

تَداركَ دينَ اللهِ من بعدِ ماعَفَتْ — معالِمُه فينَا وغارَت كواكبُهْ

وضَمَّ شعاعَ المُلكِ حتى تَجمَّعتْ — مشارِقُهُ موفورةً ومغارِبُهْ

* * *

وانصرف أبو الساج ديوداد بن ديودست إلى بغداد لسبع بقين من المحرّم من هذه السنة ، فقلّده محمد بن عبد الله معاون ما سقَى الفرات من السَّواد ، فوجّه أبو الساج خليفةً له يقال له كربه إلى الأنبار ، ووجَّه قومًا من أصحابه إلى قصر ابن هبيرة مع خليفة له ، ووجَّه الحارث بن أسد فى خمسمائة فارس وراجل ، يستقرئ أعماله ، ويطرد الأتراك والمغاربة عنها ، وقد كانوا عاثوا فى النواحى وتلصّصوا . ثم شخص أبو الساج من بغداد لثلاث خلوْن من ربيع الأول ، ففرّق أصحابه فى طساسيج الفرات ، ونزل قصر ابن هبيرة ؛ ثم صار إلى الكوفة ، ووافى أبو أحمد سامرّا منصرفًا من معسكره[1] إليها لإحدى ٣/١٦٥٧

(١) س : « عسكره » .

عشرة بقيتْ من المحرّم ، فخلع المعتزّ عليه ستة أثواب وسيفاً ،وتُوِّج تاج ذهب بقلنسوة مجوهرة ،ووُشِّح وشاحيْ ذهب بجوهر ،وقُلِّد سيفاً آخر مرصّعاً بالجوهر ، وأجلِس على كرسيّ ، وخلع على الوجوه من القوّاد .

* * *

[ذكر خبر قتل شريح الحبشيّ]

وفيها قتل شريح الحبشيّ ، وكان سبب ذلك أنه حين وقع الصّلْح ، هرب فى عِدّة من الحبَشة ،فقطع الطريق فيما بين واسط وناحية الجبل والأهواز ، ونزل قريةً من قُرى أمّ المتوكّل يقال لها ديرى ،فنزل فى خانها فى خمسة عشر رجلا ، فشربوا وسكروا ، فوثب عليهم أهلُ القرية فكتّفوهم ،وحملوهم إلى واسط ، إلى منصور بن نصر ، فحملهم منصور إلى بغداد ، فأنفذهم محمد ابن عبد الله إلى العسكر ، فلمّا وصلوا قام بايكباك إلى شُريح.فوسّطه بالسيف وصُلِب على خشبة بابك ، وضرب أصحابه بالسياط ما بين الخمسمائة إلى الألف . ٣/١٦٥٨

* * *

وفى شهر ربيع الآخر منها توفِّيَ عبيد الله بن يحيى بن خاقان فى مدينة أبى جعفر .

* * *

[ذكر حال بُغا ووصيف]

وفيها كتب المعتز إلى محمد بن عبد الله فى إسقاط اسم بغا ووصيف ومن كان فى رسمهما[1] من الدواوين .

وذكر أن محمدبن أبى عون أحد قوّادمحمد بن عبدالله ناظرهلمّا صار أبو أحمد إلى سامرّا فى قتل بُغا ووَصيف ، فوعَده أن يقتلهما ؛ فبعث المعتزّ إلى محمد ابن عبد الله بلواء ، وعقد لمحمد بن أبى عون لواء على البصرة واليمامة والبحرين ،

(١) س : « رسومهما » .

فكتب قومٌ من أصحاب بُغا ووصيف إليهما بذلك ، وحذّروهما محمدَ بن عبد الله ؛ فركب وصيف وبُغا إليه يوم الثلاثاء لخمس بقين من ربيع الأول ، فقال له بغا : بلَغنا أيها الأمير ما ضمنه ابن أبي عون من قتلنا ؛ والقوم قد غدروا وخالفوا ما فارقونا عليه ؛ والله لو أرادوا أن يقتلونا ما قدروا عليه . فحلَف لهما أنه ما علم بشيء من ذلك ؛ وتكلّم بُغا بكلام شديد ، ووصيف يكفّه ، وقال وصيف : أيّها الأمير ، قد غدر القوم ونحن نُمسك ونقعد في منازلنا حتى يجيء مَن يقتلنا ! وكانا دخلا مع جماعة ، ثم رجعا إلى منازلهما ، فجمعا جندهما ومواليَهما ، وأخذا في الاستعداد وشِرَى السّلاح وتفريق الأموال في جيرانهما إلى سلْخ ربيع . وكان وصيف وبُغا عند قدوم قُرْب ، وجّه إليهما محمد ابن عبد الله كاتبَه محمد بن عيسى ، فأقبلا معه حتى صارا عند دار محمد بن عبد الله بقرْب[1] الجسر ، فلقيهما جعفر الكرديّ وابن خالد البرمكيّ ؛ فتعلّق كلّ واحد منهما بلجام واحد منهما ، وقال لهما : إنما دُعيتما لتحملا إلى العسكر ؛ وقد أعدّ لكما لذلك قومٌ أو لتقتلا ، فرجعا وجمعا جمعًا ، وأجريا على كلّ رجل كلّ يوم درهمين ؛ فأقاما في منازلهما .

٣/١٦٥٩

وكان وصيف وجّه أختَه سعاد إلى المؤيد ، وكان المؤيّد في حِجْرها ، فأخرجت من قصر وصيف ألف ألف دينار كانت مدفونة فيه ؛ فدفعتها إلى المؤيّد ؛ فكلّم المؤيد المعتزّ في الرضا عن وصيف ؛ فكتب إليه بالرضا عنه ؛ فضرب مضاربه بباب الشمّاسيّة على أن يخرج ، وتكلّم أبو أحمد ابن المتوكل في الرضا عن بغا ، فكتب إليه بالرّضا . واضطرب أمرهما وهما مقيمان ببغداد .

ثم اجتمع على المعتز الأتراك فسألوه الأمْرَ بإحضارهما ، وقالوا : هما كبيرانا ورئيسانا ؛ فكتب إليهما بذلك ، فجاء بالكتاب بايكباك في نحو من ثلثمائة رجل ؛ فأقام بالبرَدان ، ووجّه إليهما الكتاب لسبع بقين من شهر رمضان من هذه السنة ؛ فكتب إلى محمد بن عبد الله بمنعهما ؛ فوجّها بكاتبيهما أحمد

---

(١) ف : « عند » .

ابن صالح ودُلَيل بن يعقوب إلى محمد بن عبد الله ليستأذناه ؛ فأتاهما جيش من الأتراك ، فنزلوا بالمصلّى ، وخرج وصيف وبُغا وأولادهما وفرسانهما فى نحو من أربعمائة إنسان ، وخلفا فى دورهما الثَّقَل والعيال ، ودعا أهل بغداد لهما ودعوْا لهم . ٣/١٦٦٠

وقد كان ابن طاهر وجّه محمد بن يحيى الواثقىّ وبندار الطبرىّ إلى باب الشماسيّة وباب البردان ليمنعوهما ، ومضيا من باب خراسان ، ونفذا ولم يعلم كاتباهما حتى قال محمد بن عبد الله لأحمد ودُليل : ما صنع صاحباكما ؟ فقال أحمد ابن صالح : خلّفتُ وصيفاً فى منزله . قال : فإنه قد شخص الساعة ، قال : ما علمتُ ؛ فلمّا صار إلى سامُرّا بكّر أحمد بن إسرائيل يوم الأحد لتسع بقين من شوّال من هذه السنة فى السَّحَر إلى وصيف ، وأقام عنده مليًّا ، ثم انصرف إلى بُغا ، فأقام عنده مليًّا ، ثم صار[1] إلى الدار ، فاجتمع الموالى وسألوا ردّهما إلى مراتبهما ، فأجيبوا إلى ذلك ، وبعث إليهما ، فحضرا ورتّبا فى مرتبتهما التى كانت قبل مصيرهما إلى بغداد ، وأمر بردّ ضياعهما ، وخلع عليهما خلع المرتبة . ثم ركب المعتزّ إلى دار العامة ، وعقد لبُغا ووصيف على أعمالهما وردّ ديوان البريد كما كان قبل إلى موسى بن بغا الكبير ، فقبل موسى ذلك .

* * *

[ذكر الفتنة بين جند بغداد وأصحاب محمد بن عبد الله بن طاهر]

وفى شهر رمضان من هذه السنة كانت وقعة بين جند بغداد وأصحاب محمد بن عبد الله بن طاهر ، ورئيس الجند يومئذ ابن الخليل . وكان السبب فى ذلك — فيما ذكر — أن المعتزّ كتب إلى محمد بن عبد الله فى بيع غلّة طساسيج ضياع بادرويا وقُطْرُبّل ومَسْكِن وغيرها ، كلّ كُرّين[2] بالمعدّل بخمسة وثلاثين ديناراً من غلّة سنة اثنتين وخمسين ومائتين ، وكان المعتزّ ولّى بريد بغداد رجلا يقال له صالح بن الهيثم ، وكان أخوه منقطعًا إلى أتامش أيام ٣/١٦٦١

---

(١) ف : « انصرف » . (٢) الكر : مكيال عند أهل العراق ، ستون قفيزاً .

المتوكل ، فارتفع أمرُ صالح هذا أيام المستعين ؛ وكان ممن أقام بسامرّا ؛ وهو من أهل المخرّم ، وكان أبوه حائكاً ثم صار يبيع الغزْل ؛ ثم انتقل أخوه إليه لمّا ارتفع . فلما أقام ببغداد كُتِبَ إليه يُؤمر أن يقرأ الكتاب على قوّاد أهل بغداد كعتّاب بن عتاب ومحمد بن يحيى الواثقىّ ومحمد بن هرثمة ومحمد بن رجاء وشعيب ابن عجيف ونظرائهم ، فقرأه عليهم ، فصاروا إلى محمد بن عبد الله ، فأخبروه ؛ فأمر محمد بن عبد الله فأحضر صالح بن الهيثم ، وقال : ما حملك على هذا بغير علمي ! وتهدّده وأسمعه. وقال للقوّاد : انتظروا حتى أرى رأيي ، وآمركم بما أعزم عليه ، فانصرفوا من عنده على ذلك ، وشخص بعد ذلك ، واجتمع الفروض والشاكريّة والنائبة إلى باب محمد بن عبد الله يطلبون أرزاقهم لعشر خلَوْن من شهر رمضان ؛ فأخبرهم أنّ كتاب الخليفة ورد عليه ، جوابَ كتاب له كان كتب بمسألة أرزاق جند بغداد ، إن كنتَ فرضت الفروض[1] لنفسك ، فأعطِهم أرزاقهم ؛ وإن كنت فرضتَ لنا فلا حاجة لنا فيهم . فلما ورد الكتاب عليه أخرج لهم بعد شغبهم بيوم ألفى دينار ، فوُضعت لهم ثم سكنوا . ١٦٦٢/٣

ثم اجتمعوا لإحدى عشرة خلت من شهر رمضان ؛ ومعهم الأعلام والطبول ، وضربوا المضارب والخيم على باب حرْب وباب الشمّاسية وغيرهما ، وبنوا بيوتاً من بوارِىّ وقصب ، وباتوا ليلتهم . فلما أصبحوا كثُر جمعهم ، وبيّت ابنُ طاهر قوماً من خاصّته فى داره ، وأعطاهم درهماً درهماً ؛ فلما أصبحوا مضوا من داره إلى المشغّبة ؛ فصاروا معهم . فجمع ابن طاهر جنده القادمين معه من خُراسان ، وأعطاهم لشهرين ، وأعطى جند بغداد القدماء ؛ الفارسَ دينارين والراجلَ ديناراً ، وشَحَن داره بالرجال ؛ فلما كان يوم الجمعة اجتمع من المشغّبة خلق كثير بباب حرب بالسلاح والأعلام والطبول ، ورئيسهم رجل يقال له عبدان بن الموفّق ، ويكنى أبا القاسم ؛ وكان من أثبات عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، وكان ديوان عبدان فى ديوان وصيف ، فقدم بغداد ، فباع داراً له بمائة ألف دينار ، فشخص إلى سامُرّا ؛ فلما وثبت الشاكريّة بباب العامة كان معهم ، فضربه سعيد الحاجب خمسمائة سوط ، وحبسه حبساً طويلا ،

(١) ف : « الفرض » .

ثم أطلق . فلما كان فتنة المستعين صار إلى بغداد ، وانضم إليه هؤلاء المشغّبة ، فحضّهم على الطلب بأرزاقهم[1] وفائتهم ، وضمن لهم أن يكون لهم رأساً يدبّر أمرهم[2] . فأجابوه إلى ذلك ؛ فأنفق عليهم يوم الأربعاء ويوم الخميس ويوم الجمعة نحواً من ثلاثين ديناراً فيما أقام لهم من الطعام ، ومَنْ كانت لهم كفاية لم يحتج إلى نفقته ؛ فكان ينصرف إلى منزله ، فلما كان يوم الجمعة اجتمعتْ منهم جماعة كثيرة ، وعزموا على المصير إلى المدينة ليمضوا إلى الإمام فيمنعوه من الصّلاة والدعاء للمعتزّ ، فساروا على تعبية فى شارع باب حَرْب ؛ حتى انتهوْا إلى باب المدينة فى شارع باب الشأم ، وجعل أبو القاسم هذا على كلّ درب يمرّ به قوماً من المشغّبة ، من بين رامح وصاحب سيف ليحفظوا الدروب ؛ كيلا يخرج منها أحد لقتالهم .

١٦٦٣/٣

ولمّا انتهى إلى باب المدينة دخل معهم المدينة جماعة كثيرة ، فصاروا بين البابين وبين الطّاقات ، فأقاموا هناك ساعة ، ثم وجّهوا جماعة منهم يكونون نحواً من ثلثمائة رجل بالسلاح إلى رُحْبة الجامع بالمدينة ؛ ودخل معهم من العامة خلْق كثير ، فأقاموا فى الرُّحبة ، وصاروا إلى جعفر بن العباس الإمام ، فأعلموه أنهم لا يمنعونه من الصّلاة ، وأنهم يمنعونه من الدعاء للمعتزّ. فأعلمهم جعفر أنه مريض لا يقدر على الخروج إلى الصلاة ، فانصرفوا عنه ، وصاروا إلى درب أسد بن مرزبان ، فشحنوا الشارع النافذ إلى درب الرقيق ، ووكّلوا بباب درب سليمان بن أبى جعفر جماعة ، ثم مضوْا يريدون الجسر فى شارع الحدّادين ، فوجّه إليهم ابن طاهر عِدّة من قوّاده فيهم[3] الحسين بن إسماعيل والعباس ابن قارن وعلىّ بن جهشيار وعبد الله بن الأنشين فى جماعة من الفرسان ، فناظروهم ودفعوهم دفعاً رفيقاً ، وحمل عليهم الجند والشاكريّة حملة جرحوا فيها جماعة من قوّاد ابن طاهر ، وأخذوا دابة ابن قارن وابن جهشيار ورجلٍ من فرض عبيد الله بن يحيى من الشأميين يقال له سعد الضبابىّ ، وجرحوا المعروف بأبى السنا ، ودفعوهم عن الجسر حتى صيّروهم[4] إلى باب عمرو بن مسعدة .

١٦٦٤/٣

(١) ف : « طلب الأرزاق » .
(٢) ف : « أمورهم » .
(٣) ف : « منهم » .
(٤) ف : « صار » .

فلما رأى الذين بالجانب الشرقىّ منهم أنّ أصحابهم قد أزالوا أصحابَ ابن طاهر عن الجِسْر كبّروا ، وحملُوا يريدون العبور إلى أصحابهم ؛ وكان ابن طاهر قد أعدّ سفينة فيها شوك وقصب ليُضرِم فيها النار ، ويرسلها على الجسر الأعلى ؛ ففعل ذلك ، فأحرقت عامة سفنه وقطعته ؛ وصارت إلى الآخر ، فأدركها أهلُ الجانب الغربىّ ، ففرّقوها وأطفئوا النار التى تعلّقت بسفن الجسر. وعبر من الجانب الشرقىّ إلى الجانب الغربىّ خلْق كثير ، ودفعوا أصحاب ابن طاهر عن ساباط عمرو بن مسعدة ، وصاروا إلى باب ابن طاهر ، وصار الشاكريّة والجند إلى ساباط عمرو بن مسعدة ، وقُتِل من الفريقين إلى الظهر نحو من عشرة نفر ، وصار جماعة من الغوغاء والعامة إلى المجلس الذى يعرَف بمجلس الشرْطة فى الجسر[1] من الجانب الغربىّ إلى بيت يقال له بيت الرفوع ، فكسروا الباب ، وانتهبوا ما فيه ؛ وكان فيه أصناف من المتاع ، فاقتتلوا عليه فلم يتركوا فيه شيئًا[2] ، وكان كثيراً جليلا . وأحرق ابنُ طاهر الجسرين لمّا رأى الجند قد ظهروا على أصحابه ، وأمر بالحوانيت التى على باب الجسر التى تتصل بدرب سليمان أن تحرّق يمنة ويسرة ، ففعل فاحترق فيها للتجار متاع كثير ، وتهدّم حيطان مجلس صاحب الشرطة ؛ فلمّا ضُربت الحوانيت بالنار حالت النار بين الفريقين ، وكبّرت الجند عند ذلك تكبيرة شديدة ؛ ثم انصرفوا إلى معسكرهم بباب حرب ، وصار الحسين بن إسماعيل مع جماعة من القوّاد والشاكرية إلى باب الشأم ، فوقَف على التّجار والعامة فوبّخهم على معونتهم الجندَ ، وقال : هؤلاء قاتلوا على خبزهم وهم معذُورون ؛ وأنتم جيران الأمير ومَنْ يجب عليه نُصرته ، فلِمَ فعلتم ما فعلتم ، وأعنتم الشاكريّة عليه ورميتم بالحجارة ، والأمير متحوّل عنكم ! ثم صار محمد بن أبى عون إليهم ، فقال لهم مثل ذلك ؛ وانصرف إلى ابن طاهر ؛ فمكث الجُند المشتغبون فى مواضعهم ومعسكرهم ، وانضمّ إلى ابن طاهر جماعة من الأثبات وجمّع جميع أصحابه ، فجعل بعضهم فى داره ، وبعضهم فى الشارع النافذ من الجسر إلى داره ، قد عبّأهم تعبية الحرب ، حذاراً من كرّة الجند عليه أيامًا ؛ فلم يكن لهم عودة ؛ فصار فى بعض الأيام

٣/١٦٦٥

(١) س : « الحبس » .

(٢) بعدها فى ف : « إلا انتهب » .

٣/١٦٦٦ التى كان من عودتهم ابنُ طاهر على وَجَلٍ [(١)] — فيما ذكر — رجلان من المشغّبة استأمنا إليه ، فأخبراه[(٢)] بعورة أصحابهما ، فأمر لهما بمائتى دينار ، ثم أمر الشاه بن ميكال والحسين بن إسماعيل بعد العشاء الآخرة بالمصير فى جماعة من أصحابهما إلى باب حَرْب ، فتلطّفا لأبى القاسم رئيس القوم وابن الخليل — وكان من أصحاب محمد بن أبى عون — فصاروا إلى ما هناك ؛ وكان أبو القاسم وابن الخليل قد صار كلٌّ واحد منهما عند مفارقة الرَّجُلين اللذيْن صارا إلى ابن طاهر ورجل آخر يقال له القُمّىّ ؛ وتفرّق الشاكريّة عنهما إلى ناحية خوفًا على أنفسهم ، فمضى الشاه والحسين فى طلبهما حتى خرجا من باب الأنبار ، وتوجّها نحو جسر بَطَاطِيا ، فذُكر أنّ ابن الخليل استقبلهما قبل أن يصيرا إلى جسر بطاطيا ، فصاح بهما ابن الخليل وبمَنْ معهما من هؤلاء ، وصاحوا به ؛ فلمّا عرفهم حمل عليهم ، فجرح منهم عدّة ، فأحدقوا به ، وصار فى وسط القوم ، فطعنه رجل من أصحاب الشاه ، فرمى به إلى الأرض ، فبَعّجه علىّ بن جهشيار بالسَّيْف وهو فى الأرض ، ثم حُمل على بغل وبه رَمق ، فلم يصلوا به إلى ابن طاهر حتى قَضَى . وأمر الشاه بطرحه فى كَنِيف فى دهليز الدّار إلى أن حُمل إلى الجانب الشرقىّ ؛ وأما عبدان بن الموفّق فإنه

٣/١٦٦٧ كان قد صار إلى منزله وإلى موضع اختفى فيه ، فدُلّ عليه ، وأخذ وحُمل إلى ابن طاهر ، وتفرّق الشاكريّة الذين كانوا بباب حرب ، وصاروا إلى منازلهم ، وقُيّد عبدان بن الموفق بقيدين فيهما ثلاثون رطلا . ثم صار الحسين بن إسماعيل إلى الحبس الذى هو فيه فى دار العامة ، وقعد على كرسىّ ، ودعا به ؛ فسأله : هل هو دسيس لأحد ، أو فعل ما فعل من قِبَل نفسه ؟ فأخبره أنه لم يدسّه أحد ؛ وإنما هو رجل[(٣)] من الشاكريّة طلب بخبزه . فرجع الحسين إلى ابن طاهر فأعلمه ذلك ، فخرج طاهر بن محمد وأخوه إلى دار العامة الداخلة ، فقعدا وأحضرا مَنْ بات فى الدار من القواد والحسين بن إسماعيل والشاه بن ميكال ، وأحضرا عبدانَ ، فحمله رجلان ؛ فكان المخاطب له الحسين ، فقال : أنت رئيس القوم ؟ فقال : لا ؛ إنما أنا رجل منهم ؛ طلبت ما طلبُوا ، فشتمه

---

(١) س . ف : « رجل » . (٢) ف : « فأعلماه » .
(٣) ف : « وأخبر أنما هو » .

الحسين ، وقال حرب بن محمد بن عبد الله بن حرب : كذبت ؛ بل أنت رئيس القوم ؛ وقد رأيناك تعبّيهم بباب حرب وفى المدينة وباب الشأم ، فقال : ما كنت لهم برأس ؛ وإنما أنا رجل منهم ؛ طلبت ما طلبوا ، فأعاد عليه الحسين الشّتم ، وأمر بصفعه فصُفِع ، وأمر بسحبه فسُحب بقيوده إلى أن أخرج من الدار ، وشتمه كلُّ مَنْ لحقه ، ودخل طاهر بن محمد إلى أبيه فأخبره خبَره ، وحمل عبدان على بغل ؛ ومُضِي به إلى الحبس[1] ، وحمل ابن الخليل فى زورق عُبِرَ به إلى الجانب الشرقىّ ، وصلب ؛ وأمر بعبدان فجرِّد وضرب مائة سوط بثمارها . وأراد الحسين قتله ، فقال لمحمد بن نصر : ما ترى فى ضربه خمسين سوطًا على خاصرته ؟ فقال له محمد : هذا شهر عظيم ؛ ولا يحلّ لك أن تصنع به هذا ؛ فأمر به فصُلِب حيًّا، وحُمِل على سلّم حتى صلب على الجسر ، وربِط بالحبال ، فاستسقى بعد ما صُلِب ، فمنعه الحسين فقيل له : إن شرب الماء مات ، قال : فاسقوه إذاً ؛ فسقوْه ، فتُرِك مصلوبًا إلى وقت العصر ، ثم حُبِس ؛ فلم يزل فى الحبس يومين ثم مات اليوم الثالث مع الظهر ؛ وأمر بصلبه على الخشبة التى كان صُلِب عليها ابن الخليل ، ودُفع ابن الخليل إلى أوليائه فدُفن .

١٦٦٨/٣

* * *

[ذكر الخبر عن خلع المؤيد ثم موته]

وفى رجب من هذه السنة خلَع المعتزّ المؤيدَ أخاه من ولاية العهد بعده .

* ذكر الخبر عن سبب خلعه إياه :

كان السبب فى ذلك — فيما بلغنا — أنّ العلاء بن أحمد عامل إرمينيَة بعث إلى إبراهيم المؤيد بخمسة آلاف دينار ليصلح بها أمره ، فبعث ابن فَرّخانشاه إليه ، فأخذها ، فأغرى المؤيد الأتراك بعيسى بن فرّخانشاه ، وخالفهم المغاربة ، فبعث المعتزّ إلى أخويه : المؤيد وأبى أحمد ؛ فحبسهما فى الجوْسق ، وقيّد المؤيد وصيّره فى حجرة ضيّقة ، وأدرّ العطاء للأتراك والمغاربة ، وحبس كنجور حاجب المؤيد ، وضربه خمسين مقرعة ، وضرب خليفته أبا الهول خمسمائة

(١) س : « الجسر » .

٣/١٦٦٩ سَوْط وطُوِّف به على جمل ، ثم رضىَ عنه وعن كَنْجور ، فصُرِف إلى منزله .

وقد ذكر أنه ضرب أخاه المؤيد أربعين مقرعة ، ثم خَلَع(١) بسامرّا يوم الجمعة لسبع خلوْن من رجب ، وخُلِع ببغداد يوم الأحد لإحدى عشرة خلتْ من رجب ، وأخِذت رقعة بخطه بخلْع نفسه .

ولست بقين من رجب من هذه السنة — وقيل لثمان بقين منه — كانت وفاة إبراهيم بن جعفر المعروف بالمؤيد .

* ذكر الخبر عن سبب وفاته :

ذكر أنّ امرأة من نساء الأتراك جاءت محمد بن راشد المغربىّ ، فأخبرته أن الأتراك يريدون إخراج إبراهيم المؤيد من الحبْس ؛ وركب محمد بن راشد إلى المعتزّ ، فأعلمه ذلك ، فدعا بموسى بن بُغا ، فسأله فأنكر ، وقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنما أرادوا أن يخرجوا أبا أحمد بن المتوكّل لأنسهم به كان فى الحرب التى كانت ، وأما المؤيّد فلا . فلما كان يوم الخميس لثمان بقين من رجب دعا بالقضاة والفقهاء والشهود والوجوه ، فأخرج إليهم إبراهيم المؤيد ميّتاً لا أثر به(٢) ولا جرح ؛ وحمِل إلى أمه إسحاق — وهى أمّ أبى أحمد — على حمار ، وحُمِل معه كفن وحنوط وأمر بدفنه ، وحوّل أبو أحمد إلى الحجرة التى كان فيها المؤيد .

وذكر أنّ المؤيد أدرِج فى لحاف سمّور ، ثم أمسِك طرفاه حتى مات .

وقيل : إنه أقْعِدَ فى حَجَر من ثلج ، ونضِّدت عليه حجارة الثلج فمات برداً .

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل المستعين]

٣/١٦٧٠ وفى شوال منها قتِل أحمد بن محمد المستعين .

* ذكر الخبر عن قتله :

ذُكر أن المعتزّ لما همّ بقتل المستعين ، ورد كتابه على محمد بن عبد الله

---

(١) ف : « خلعه » . (٢) ف : « فيه » .

ابن طاهر بنكبته ، وأمره بتوجيه أصحاب معاونه فى الطساسيج ، ثم ورد عليه منه بعد ذلك كتاب مع خادم يدعى سيما ، يُؤمَر فيه بالكتاب إلى منصور ابن نصر بن حمزة — وهو على واسط — بتسليم المستعين إليه ؛ وكان المستعين بها مقيماً، وكان الموكَّل به ابن أبى خميصة وابن المظفَّر بن سيسل ومنصور ابن نصر بن حمزة وصاحب البريد ؛ فكتب محمد فى تسليم المستعين إليه ، ثم وجّه — فيما قيل — أحمد بن طولون التركىّ فى جيش ، فأخرج المستعين لستّ بقين من شهر رمضان ، فوافى به القاطول لثلاث خلوْن من شوال . وقيل إن أحمد بن طولون كان موكّلا بالمستعين ، فوجّه سعيد بن صالح إلى المستعين فى حَمْله ، فصار إليه سعيد فحمله .

وقيل إن سعيداً إنما تسلّم المستعين من ابن طولون فى القاطول بعد ما صار به ابن طولون إليها ، ثم اختُلِف فى أمرهما ، فقال بعضهم : قتله سعيد بالقاطول ؛ فلمّا كان غد اليوم الذى قتله فيه أحضر جواريَه وقال : انظرنَ إلى مولاكنّ قد مات ، وقد قال بعضهم : بل أدخله سعيد وابن طولون سامرّا، ثم صار به سعيد إلى منزل له فعذّبه حتى مات .

وقيل : بل ركب معه فى زورق ومعه عدّة حتى حاذى به فم دُجَيل ، ١٦٧١/٣ وشدّ فى رجله حجراً ، وألقاه فى الماء .

وذُكر عن متطبّب كان مع المستعين نصرانىّ يقال له فضلان ، أنه قال : كنتُ معه حين حمل ، وأنه أخذ به على طريق سامُرّا ، فلما انتهى إلى نهر نظر إلى موكب[1] وأعلام وجماعة ، فقال لفضلان : تقدم فانظر مَنْ هذا ؛ فإن كان سعيداً فقد ذهبتْ نفسى ؛ قال فضلان . فتقدّمت إلى أوّل الجيش ، فسألتهم فقالوا : سعيد الحاجب ، فرجعت إليه فأعلمته — وكان فى قبّة تعادله امرأة — فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! ذهبت نفسى والله ! وتأخرت عنه قليلا .

---

(١) س : « مركب » .

قال : فلقيَه أوّل الجيش ، فأقاموا عليه وأنزلوه ودابته[١] ، فضربوه ضربةً بالسيف ، فصاح وصاحت دابته ، ثم قُتِل ؛ فلما قُتِل انصرف الجيش .

قال : فصرت[٢] إلى الموضع ؛ فإذا هو مقتول فى سراويل بلا رأس ؛ وإذا المرأة مقتولة ، وبها عدّة ضربات ، فطرحنا عليهما[٣] نحن تراب النَّهر[٣] حتى واريناهما ، ثم انصرفنا .

قال : وأُتِيَ المعتزّ برأسه وهو يلعب بالشطرنج ؛ فقيل: هذا رأس المخلوع فقال: ضعوه هنالك ، ثم فرغ من لعبه، ودعا به فنظر إليه ، ثم أمر بدفنه، وأمر لسعيد بخمسين[٤] ألف درهم ووُلِّيَ معونة البصرة .

وذكر عن بعض غلمان المستعين أنّ سعيداً لما استقبله أنزله ، ووكّل به رجلا من الأتراك يقتله ، فسأله ، أن يمهله حتى يُصَلِّيَ[٥] ركعتين ؛ وكانت عليه جبة ، فسأل سعيد التركيّ الموكل بقتله أن يطلبها منه قبل قتله ، ففعل ذلك ، فلما سجد فى الركعة الثانية قتله واحتزّ رأسه ، وأمر بدفنه ، وخفيَ مكانه .

١٦٧٢/٣

وقال محمد بن مروان بن أبى الجَنُوب بن مروان بن أبى حفصة فى أمرِ المؤيّد ، ويمدح المعتزّ :

أنتَ الذى يُمسكُ الدُّنيا إذا اضطربتْ ... يا مُمْسكَ الدِّينِ والدّنيا إذا اضْطَرَبا

إنَّ الرّعيّة – أبْقَاكَ الإله لَهَا – ... ترْجُو بِعَدْلِك أن تبقى لها حِقَبَا

لَقَدْ عُنِيتَ بحربٍ غيرِ هَيِّنَةٍ ... وكان عُودُك نَبْعاً لم يكن غرَبا

ما كنتَ أولَ رأسٍ خانهُ ذنَبٌ ... والرأسَ كنتَ وكان النَّاكثُ الذَّنَبَا

لَوْ كانَ تمَّ له ما كان دَبَّرَهُ ... لأَصبحَ المُلكُ والإسلامُ قد ذَهَبا

أراد يُهلكُ دُنيانا ويُعْطِبُها[٦] ... وقَدْ أرادَ هَلاَكَ الدِّين والعَطَبَا

---

(١) س : « عن دابته » .

(٢) ف : « فنظرت » .

(٣ – ٣) ف : « التراب » .

(٤) س : « بخمسة آلاف » .

(٥) س : « أن يصلى » .

(٦) س : « ويهلكها » .

لَمَّا أراد وثُوباً من سَفَاهتهِ ... أمسَى عليه إمامُ الْعَدْلِ قدوثَبَا[1] ٣/١٦٧٣

لَقَدْ رَمَاكَ بسهْمٍ لم يُصِبْكَ به ... ومنْ رَمَاك عليه سهمهُ انقلبا

لَقَدْ رَعَيْتَ له ما كان من سببٍ ... فَمَا رَعَى لكَ إحساناً ولا سَبَبا[2]

كحُسْنِ فعلِك لم يفعلْ أخٌ بأخٍ ... كُنَّا لِذَاك شهودًا لم نكن غيبَا

قَدْ كُنتَ مشتغلاً بالحربِ ذاتعبٍ ... وكَانَ يَلْعبُ ما كلَّفتهُ تَعبا

قَدْ كَانَ ياذَا النَّدَى يُعطَى بلا طلبٍ ... وكنتَ ياذَا الندَى تعطيهِ ماطلبا

وكنتَ أكثرَ بِرًّا من أبيه به ... ولم تكن بأخٍ في البِرّ، كنتَ أبا ٣/١٦٧٤

وكان قرْبَ سَريرِ الملكِ مَجلِسُهُ ... فَقَدْ تباعدَ منه بعدَ ما اقتربا

وكان في نِعَمٍ زالت وكان له ... بابٌ يُزارُ فأمسى اليومَ مُحْتَجَبَا

أمسَى وحيدًا وقد كانتْ مواكبُهُ[3] ... عشرينَ ألفاً تراهمْ خلفَهُ عُصَبا

أين الصُّفوفُ الَّتي كانت تقومُ له ... كما يقومُ إذا ما جاءَ أو ذهبا

وذلَّ بعدَ تَمادِيهِ ونَخْوَتهِ ... كالحوتِ أصبح عنه الماءُ قد نَضَبَا

وقد فسَخْتَ عن الأعناقِ بَيعتَهُ ... فلا خطيبَ له يدعو إذا اختطبا

لَقَّبتَهُ لَقباً من بعدِ إمْرَتِهِ ... واللهُ بدَّلهُ بالإمْرَةِ اللَّقبَا

كَسَوْتَهُ ثوبَ عزٍّ فاستهانَ بِهِ ... ولم يَصُنْهُ فأمْسَى عنه مُغتَصَبا

كم نعمة لَكَ فيها كنتَ تشركه[4] ... واللهُ أخرجهُ منها بما اكتسبا

شبَّهتَهُ بِسراجٍ كَانَ ذا لَهَبٍ ... فما تركتَ له نورًا ولا لهبا

أمسَتْ قطيعةُ إبراهيمَ قد قطَعتْ ... حبلَ الصَّفاء وحبلَ الوُدِّ فانقضبا ٣/١٦٧٥

وما تؤاخِذُ ياحِلفَ النَّدَى أحدًا ... حَتَّى تُبيِّن فيه النَّكْثَ والرِّيَبَا

إني بمدْحِ بني العباسِ ذُو حسبٍ ... وكان مدْحُ بني العباسِ لي حَسَبا

---

(١) ف : « الناس » .

(٢) ف : « ولا نسبا » .

(٣) س : « مراكبه » .

(٤) س : « فيما كنت تشركه » .

إنَّ التُّقَى يا بنِى العبَّاسِ أدَّبكمْ حتى استفادتْ قريش منكمُ الأدبا
مَنْ كان مُقتَضباً فى حوْلِ مدحكمُ فلستُ فيه بحمْدِ اللهِ مُقتضَبَا

* * *

[أمر المعتز مع أهل بغداد]

ذُكر عن أبى عبد الرحمن الفانى أنّ فتًى من أهل سامُرّا أملى عليه مما عمله بعض أهلها عن ألسن الأتراك أن المعتزّ لمّا أفضت إليه الخلافة، وقلده الله القيام بأمر عباده فى المشارق والمغارب، والبرّ والبحر، والبدو والحضر، والسهل والجبل؛ تأثّم بسوء اختيار أهل بغداد وفتنتهم؛ فأمر المعتزّ بالله بإحضار جماعة ممّن صَفَتْ أذهانهم، ورقّتْ طبائعهم[1]، ولطُف ظَنُّهم، وصحّتْ نحائزهم، وجادت غرائزهم، وكملت عقولهم بالمشورة، فقال أمير المؤمنين: أما تنظرون إلى هذه العصابة التى ذاع نفاقهم، وغار شأوُهم؛ الهَمَج الطغام، والأوغاد الذين لا مُسْكَة بهم، ولا اختيارَ لهم، ولا تمييز معهم؛ قد زيّن لهم تقحمُ الخطأ سوءَ أعمالهم، فهم الأقلّون وإن كثُروا. والمذمومون إن ذُكروا؛ وقد علمت أنه لا يصلح لقود الجيوش وسدّ الثغور وإبرام الأمور وتدبير الأقاليم إلاّ رجل قد تكاملَتْ فيه خلالٌ أربع: حَزْمٌ يُقَيِّف به عند موارد الأمور حقائق مصادرها، وعلم يحجزه عن التهوّر والتغرير فى الأشياء إلا مع إمكان فرصتها، وشجاعة لا ينقصها الملمّات مع تواتر حوائجها، وجُودٌ يَهُون به تبذير جلائل الأموال عند سؤالها. وأما الثلاث: فسرعة مكافأةُ الإحسان إلى صالح الأعوان، وثقل الوطأة على أهل الزّيغ والعدوان، والاستعداد للحوادث؛ إذ لا تؤمن من نوائب الزمان. وأما الاثنتان؛ فإسقاط الحاجب عن الرّعيّة، والحكم بين القوىّ والضعيف بالسويّة. وأما الواحدة فالتيقظ فى الأمور مع علم تأخير عمل اليوم لغد؛ فما ترون؛ وقد اخترت رجالا[2] لهم من موالىّ، أحدهم شديد الشكيمة، ماضى العزيمة؛ لا تبطره السرّاء، ولا تدهشه الضرّاء، لا يهاب ما وراءه، ولا يهوله ما تلقاءه، وهو كالحريش فى أصل السّلام[3]؛ إن

٣/١٦٧٦ — ٣/١٦٧٧

(١) ف: «طباعهم». (٢) ف: «لهم رجلا».
(٣) الحريش: نوع من الحيات أرقم، والسلام: الحجارة الصلبة.

حَرّك حمل، وإن نهش قتل ؛ عُدّته عتيدة ، ونقمته شديدة ، يلقى الجيش في النفر القليل العدد بقلب أشدّ من الحديد. طالبٌ للثأر ، لا يفلّه العساكر ، باسلُ البأس ، مقتضب الأنفاس لا يعوزه[1] ما طلب ، ولا يفوته من هرب ؛ واري الزناد ، مُطّلع العماد ، لا تَشْرهه الرّغائب ، ولا تُعجزه النوائب ؛ إن وليَ كفى ، وإن وعد وَفى ، وإن نازل فبطل ، وإن قال فعل ، ظلّه لوليه ظليل ، وبأسه في الهياج عليه دليل ؛ يفوق مَنْ ساماه ، ويُعجز مَنْ ناواه ، ويُتعب مَنْ جاراه ، وينعش مَنْ والاه .

فقام إليه رجل من القوم ، فقال : قد جمع الله لك يا أمير المؤمنين فضائل الأدب ، وخصّك بإرث النبوّة ، وألقى إليك أزمّة الحكمة ، ووفّر نصيبك من حباء الكرامة ؛ وفسّح لك في الفهم ، ونوّر قلبك بأنفس العلوم وصفاء الذهن ؛ فأفصح عن القلب البيانُ ، وأدرك فهمك يا أمير المؤمنين ما والله خبئ على من لم يُحبَ بما حُبيتَ من المنن العظام ، والأيادي الجسام ، والفضائل المحمودة ، وشرف الطباع . فنطقت الحكمة على لسانك ، فما ظننته فهو صواب ، وما فهمته فهو الحقّ الذي لا يعاب ، وأنت والله يا أمير المؤمنين نسيجُ وحده ، وقريع دهره ، لا يبلغ كليّة فضله الوصفُ ، ولا يحصر أجزاء شرف فضله النعت .

١٦٧٨/٣

ثم أمر أمير المؤمنين بالعقد لأنصاره على النواحي ، وأطلقهم في أشعار أعدائهم وأبشارهم ودمائهم . فلما بلغ محمد بن عبد الله ما أمر به في النواحي أنشأ كتاباً نسخته :

أما بعد فإنّ زيغ الهوى صدَفَ بكم عن حزْم الرّأي ، فأقحمكم حبائل الخطأ ، ولو ملّكتم الحقّ عليكم ، وحكمتم به فيكم لأوردكم البصيرة ، ونفى عنكم غيابة[2] الحيْرة . والآن فإن تجنحوا للسّلم تحقنوا دماءكم ، وترغدوا عيشكم ، ويصفح أمير المؤمنين عن جريرة جارمكم ؛ وأخلى لكم ذِرْوة سُبوغ النعمة عليكم ، وإن مضيتم على غلوائكم ، وسوّل لكم الأمل أسوأ أعمالكم ، فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، بعد نَبْذ المعذرة إليكم ، وإقامة الحجة عليكم ،

---

(١) ط : « يعوذه » تحريف الإنسان .

(٢) ط : « عيابة » ، تحريف ، والغيابة : كل شيء أظل الإنسان .

٣/١٦٧٩ ولئن شُنّت الغارات ، وشبّ ضُرام الحرب ، ودارت رحاها على قطبها ، وحسمت الصوارم أوصال حُماتها[1] ،واستجرّت العوالى مَنْ نهمها ،ودُعيت نزالِ ، والتحم الأبطال ، وكلحت الحرب عن أنيابها أشداقَها، وألقت للتجرّد عنها قِناعها ، واختلفت أعناق الخيل، وزحف أهل النجدة إلى أهل البغى، لتعلمنّ أىّ الفريقين أسمح بالموت نفسًا ، وأشدّ عند اللقاء بطاشًا، ولات حين معذرة ، ولا قبول فدية ! وقد أعذر مَنْ أنذر ؛ وسيعلم الذين ظلموا أىّ منقلَب ينقلبون !

فبلغ كتاب محمد بن عبد الله الأتراكَ ، فكتبوا جواب كتابه :

إن شخص الباطل تصوّر لك فى صورة الحقّ ، فتخيّل لك الغىّ رشداً كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا ، ولو راجعتَ عُزوب[2] عقلك أنار لك برهان البصيرة ، وحسم عنكَ موادّ الشبهة ؛ لكن حِصْتَ عن سنّة الحقيقة ،ونكصت على عقبيك لِمَا ملك طباعك مِنْ دَواعى الحيرة ؛ فكنت فى الإصغاء لهتافه والتجرّد إلى وروده كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران. ولعمرك يا محمد ؛ لقد ورَدَ وعدُك لنا ووعيدُك إيانا ، فلم

٣/١٦٨٠ يُدنِنَا منك ، ولم يُنئنا عنك، إذ كان فحصُ اليقين قد كشف عن مكنون ضميرك ، وألفاك كالمكتفِى بالبرق نَهْجًا ؛ إذا أضاء له مَشى فيه،وإذا أظلم عليه قام . ولعمرُك لئن اشتدّ فى البغى شأوُكَ ، ومتعت بصُبابة[3] من الأمل ليكوننّ أمرك عليك غمة ؛ ولنأتينّك بجنود لا قِبل لك بها ،ولنُخرجنّك منها ذليلا ، وأنت من الصاغرين . ولولا انتظارنا كتابَ أمير المؤمنين بإعلامنا ما نعمل فى شاكلته ، بلغْنا بالسّياط النياط ، وغمدْنا السيوف وهى كالّة ، وجعلنا عاليها سافلها ، وجعلناها مأوى الظّلمان والحيات والبوم ؛ وقد ناديناك من كَثب ، وأسمعناك إن كنت حيًّا ، فإن تجب تُفلح ، وإن تأب إلا غيًّا نخزك به ، وعمّا قليل لتصبحُنّ نادمين .

* * *

(١) ف : « أوصال حياتها » .
(٢) ط : « غروب » ، تحريف .
(٣) ط : « بضبابة » ، تحريف .

[وقوع الفتنة بين الأتراك والمغاربة]

وفى أوّل يوم من رجب من هذه السنة كانت بين المغاربة والأتراك ملحمة ؛ وذلك أنّ المغاربة اجتمعت فيه مع محمد بن راشد ونصر بن سعيد ؛ فغلبوا الأتراك على الجوسق ، وأخرجوهم منه ، وقالوا لهم : فى كلّ يوم تقتلون خليفة ، وتخلعون آخر ، وتقتلون وزيراً ! وكانوا قد وثبوا على عيسى بن فرّخانشاه ؛ فتناولوه بالضّرب ، وأخذوا دوابّه. ولما أخرجت المغاربة الأتراكَ من الجوسق ، وغلبوهم على بيت المال ، أخذوا خمسين دابة مما كان الأتراك يركبونها ؛ فاجتمع الأتراك ، وأرسلوا إلى مَنْ بالكرخ والدّور منهم ، فتلاقوا هم والمغاربة ، فقتِل من المغاربة رجل ، فأخذت المغاربة قاتله ، وأعانت المغاربة الغوْغاء والشاكريّة ، فضعف الأتراك ، وانقادوا للمغاربة . فأصلح جعفر بن عبد الواحد بين الفريقين ، فاصطلحوا على ألاّ يُحْدِثوا شيئاً ، ويكون فى كلّ موضع يكون فيه رجل من قِبَل أحد الفريقين يكون فيه آخر من الفريق الآخر ؛ فمكثوا على ذلك مُدّيدة .

١٦٨١/٣

وبلغ الأتراكَ اجتماعُ المغاربة إلى محمد بن راشد ونصر بن سعيد ، واجتمع الأتراك إلى بايكباك ، فقالوا : نطلب هذين الرأسين ؛ فإن ظفرنا بهما فلا أحدَ ينطق ؛ وكان محمد بن راشد ونصر بن سعيد قد اجتمعا فى صدر اليوم الذى عزَم الأتراك فيه على الوثوب بهما ، ثم انصرفا إلى منازلهما ، فبلغهما أن بايكباك قد صار إلى منزل ابن راشد ، فعدل محمد بن راشد ونصر بن سعيد إلى منزل محمد بن عزّون ليكونا عنده حتى يسكن الأتراك ، ثم يرجعا إلى جمعهما ، فغمز إلى بايكباك رجلٌ ، ودله عليهما . وقيل إن ابن عزّون هو الذى دسّ من دلّ بايكباك والأتراك عليهما ؛ فأخذهما الأتراك فقتلوهما ؛ فبلغ ذلك المعتزّ ، فأراد قتل ابن عزّون ، فكلّم فيه فنفاه إلى بغداد .

١٦٨٢/٣

* * *

[ذكر خبر حمل الطالبيّين من بغداد إلى سامرّا]

وفيها حُمل محمد بن علىّ بن خلف العطار وجماعة من الطالبيين من بغداد إلى سامُرّا ، فيهم أبو أحمد محمد بن جعفر بن حسن بن جعفر بن حسن بن

حسن بن علىّ بن أبى طالب، وحمل معهم أبو هاشم داود بن القاسم الجعفرىّ وذلك لثمانٍ خلون من شعبان منها .

* ذكر السبب فى حملهم :

وكان السبب — فيما ذكر — أنّ رجلا من الطالبيين شخص من بغداد فى جماعة من الجيشية والشاكريّة إلى ناحية الكوفة، وكانت الكوفة وسوادها من عمل أبى الساج فى تلك الأيام؛ وكان مقيمًا ببغداد لمناظرة ابن طاهر إياه فى الخروج إلى الرىّ، فلما بلغ ابنَ طاهر خبرُ الطالبىّ الشاخص من بغداد إلى ناحية الكوفة، أمر أبا الساج بالشخوص إلى عمله بالكوفة، فقدّم أبو الساج خليفته عبد الرحمن إلى الكوفة، فلقىَ أبا الساج أبو هاشم الجعفرىّ مع جماعة معه من الطالبيين ببغداد، فكلموه فى أمر الطالبىّ الشاخص إلى الكوفة، فقال لهم أبو الساج : قولوا له يتنحّى عنّى، ولا أراه. فلمّا صار عبد الرحمن خليفة أبى الساج إلى الكوفة ودخلها رُمىَ[1] بالحجارة حتى صار إلى المسجد، فظنّوا أنه جاء لحرب العلوىّ، فقال لهم : إنى لست بعامل؛ إنما أنا رجل وجّهتُ لحرب الأعراب، فكفّوا عنه؛ وأقام بالكوفة. وكان أبو أحمد محمد بن جعفر الطالبىّ الذى ذكرت أنه حمل من الطالبيين إلى سامُرّا كان المعتزّ ولاه الكوفة بعد ما هزم مزاحمُ بن خاقان العلوىّ الذى كان وُجّه لقتاله بها الذى قد مضى ذكره قبل فى موضعه، فعاث — فيما ذكر — أبو أحمد هذا فى نواحى الكوفة وآذى الناس، وأخذ أموالهم وضياعهم. فلمّا أقام خليفة أبى الساج بالكوفة لطف لأبى أحمد العلوىّ هذا وآنسه حتى خالطه فى المؤاكلة والمشاربة، وداخلَه[2]. ثم خرج متنزّهًا معه إلى بستان من بساتين الكوفة، فأمسى وقد عبّى له عبد الرحمن أصحابه، فقيّده وحمله مقيّداً بالليل على بغال الدخول؛ حتى ورد به بغداد فى أول شهر ربيع الآخر، فلما أتى به محمد بن عبد الله حبسه عنده، ثم أخذ منه كفيلا وأطلقه، ووجدت مع ابن أخ لمحمد بن علىّ بن خلف العطار كتبٌ من الحسن بن زيد؛ فكتب بخبره إلى المعتزّ، فورد الكتاب بحمله مع عتّاب بن عتّاب، وحمل هؤلاء الطالبيين، فحملوا جميعًا

١٦٨٣/٣

(١) ف : « فدخلها ورمى » .
(٢) داخله : راوغه وخادعه .

مع خمسين فارساً ، وحمل أبو أحمد هذا وأبو هاشم الجعفرىّ وعلىّ بن عبيد الله ابن عبد الله بن حسن بن جعفر بن حسن بن حسن بن علىّ بن أبى طالب . ٣/١٦٨٤

وتحدّث الناس فى علىّ بن عبيد الله أنه إنما استأذن فى المصير إلى منزله بسامُرّا ، فأذن له ووصّله — فيما قيل — محمد بن عبد الله بألف درهم ؛ لأنه شكا إليه ضيقه ، وودّع أبو هاشم أهله .

وقيل إن سبب حمل أبى هاشم ، إنما كان ابن الكردية وعبد الله بن داود بن عيسى بن موسى قالا للمعتزّ : إنك إن كتبتَ إلى محمد بن عبد الله فى حَمْل داود بن القاسم لم يحمله ، فاكتب إليه ، وأعلمه أنك تريد توجيهه إلى طبرستان لإصلاح أمرها[1] ، فإذا صار إليك رأيت فيه رأيك ؛ فحُمل على هذا السبيل ولم يُعرض له بمكروه .

* * *

وفيها ولّى الحسن بن أبى الشوارب قضاء القضاة ؛ وكان محمد بن عمران الضبى مؤدّب المعتزّ قد سمى رجالا للمعتزّ للقضاء نحو ثمانية رجال ؛ فيهم الخلنجىّ والخصّاف ، وكتب كتبَهم ، فوقّع فيه شفيع الخادم ومحمد بن إبراهيم بن الكردية وعبد السميع بن هارون بن سليمان بن أبى جعفر ، وقالوا : إنهم من أصحاب ابن أبى دواد ، وهم رافضة[2] وقدَرية وزيديّة وجهميّة[2] . فأمر المعتزّ بطردهم[3] وإخراجهم إلى بغداد ، ووثب العامة بالخصاف ، وخرج الآخرون إلى بغداد ، وعزل الضبىّ إلا عن المظالم .

وذكر أن أرزاق الأتراك والمغاربة والشاكريّة قُدّرت فى هذه السنة ، فكان مبلغ ما يحتاجون إليه فى السنة مائتى ألف ألف دينار ، وذلك[4] خراج المملكة كلها لسنتين . ٣/١٦٨٥

* * *

وفيها توجّه أبو الساج إلى طريق مكة ، وكان سبب ذلك — فيما ذكر — أن وَصيفًا لمّا صلَح أمره ، ودفع المعتزُّ إليه خاتمه كتب إلى أبى الساج يأمره

---

(١) ف : « أهلها » . (٢ — ٢) ف : « قدرية جهمية » .
(٣) بعدها فى ف : « من العسكر » . (٤) س : « وكذلك » .

بالخروج إلى طريق مكة ليصلحه، ووجّه إليه من المال ما يحتاج إليه؛ فأخذ في الجهاز ؛ فكتب محمد بن عبد الله يسأل أن يصير طريق مكة إليه ؛ فأجيب إلى ذلك ، فوجّه أبا الساج مِنْ قِبَله .

وفى أوّل ذى الحجة عقد لعيسى بن الشيخ بن السليل على الرَّمْلة ، فأنفذ خليفته أبا المغراء إليها ، فقيل : إنه أعطى بُغا أربعين ألف دينار على ذلك ، أو ضمنها إليه .

وفيها كتب وصيفٌ إلى عبد العزيز بن أبى دُلَف بتوليته الجَبل ، وبعث إليه بخِلَع ، فتولّى ذلك من قِبَله .

وفيها قتِل محمد بن عمرو الشارى بديار ربيعة ؛ قتله خليفة لأيوب بن أحمد فى ذى القعدة .

وفيها سخط على كنجور، وأمر بحبسه فى الجوْسق ، ثم حُمِل إلى بغداد مقيَّداً ، ثم وجّه به إلى اليمامة فحبس هنالك .

١٦٨٦/٣ وفيها أغار ابن جُسْتان صاحب الدّيْلم مع أحمد بن عيسى العلوىّ والحسين[١] ابن أحمد الكوكبىّ على الرّىّ فقتلوا وسبوا ، وكان ما بها حين قصدوها عبد الله ابن عزيز ، فهرب منها ؛ فصالحهم أهل الرّىّ على ألفى درهم ، فأدَّوْها ، وارتحل عنها ابن جُسْتان ، وعاد إليها ابنُ عزيز، فأسر أحمد بن عيسى وبعث به إلى نيسابور .

وفيها مات إسماعيل بن يوسف الطالبىّ الذى كان فعل بمكة ما فعل .

وحجّ فيها بالناس محمد بن أحمد بن عيسى بن المنصور من قبل المعتزّ .

---

(١) ط : « الحسن » ؛ وهو الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الأرقط بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب الكوكبى .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من عقد المعتزّ فى اليوم الرابع من رجب لموسى بن بُغا الكبير على الجبل ، ومعه من الجيش يومئذ من الأتراك ومَن يجرى مجراهم ألفان وأربعمائة وثلاثة وأربعون رجلا ، منهم مع مُفلح ألف ومائة وثلاثون رجلا .

* * *

[ذكر خبر أخذ الكرج من ابن أبى دلف]

وفيها أوقع مُفلح وهو على مقدّمة موسى بن بُغا بعبد العزيز بن أبى دُلف لثمان ليال بقين من رجب من هذه السنة وعبد العزيز فى زُهاء عشرين ألفا ١٦٨٧/٣ من الصعاليك وغيرهم ؛ وكانت الوقعة بينهما — فيما قيل — خارج همذان على نحو من ميل . فهزمه مُفْلح ثلاثة فراسخ يقتلون ويأسرون ، ثم رجع مفلح ومَن معه سالمين ؛ وكتب بالفتح فى ذلك اليوم . فلما كان فى شهر رمضان عبأ مفْلح خيله نحو الكرَج ، وجعل لهم كمينين ، ووجّه عبد العزيز عسكراً فيه أربعة آلاف فقاتلهم مفلح ، وخرج كمين مفلح على أصحاب عبد العزيز فانهزموا ، ووضع أصحاب مُفْلح فيهم السّيف ، فقتلوا وأسروا ، وأقبل عبد العزيز معيناً لأصحابه ؛ فانهزم بانهزام أصحابه ، وترك الكرَج ، ومضى إلى قلْعة له فى الكرَج يقال له زز ، متحصناً بها ، ودخل مفلح الكرَج ، فأخذ جماعة من آل أبى دُلَف أسراً ، وأخذ نساءً من نسائهم ؛ يقال إنه كان فيهم أمّ عبد العزيز ؛ فأوثقهم .

* * *

وذكر أنه وجّه سبعين حملا من الرءوس إلى سامرّا وأعلاماً كثيرة .

وشخص فيها موسى بن بُغا من سامرّا إلى همَذان فنزلها .

وفيها خلَع المعتزّ على بُغا الشرابىّ فى شهر رمضان ، وألبسه التاج والوشاحين ، فخرج فيهما إلى منزله .

[ذكر الخبر عن قتل وصيف]

وفيها قُتِل وصيف التركيّ ؛ وذلك لثلاث بَقِين من شوّال منها ؛ وكان السبب فى ذلك — فيما ذكر — أنّ الأتراك والفراغنة والأشر وسنيّة شغّبوا وطلبوا أرزاقهم لأربعة أشهر ؛ فخرج إليهم بُغا ووصيف وسيما الشرابىّ فى نحو من مائة إنسان من أصحابهم ؛ فكلّمهم وصيف ، وقال : ما تريدون ؟ قالوا : أرزاقنا ، فقال : خذوا تراباً ؛ وهل عندنا مال ! وقال بغا : نعم ، نسأل أميرَ المؤمنين فى ذلك ؛ ونتناظر فى دار أشناس ، وينصرف عنكم مَن ليس منكم ، فدخلوا دار أشناس ، ومضى سيما الشرابىّ منصرفًا إلى سامُرّا ، ثم تَبِعه بُغا لاستئمار الخليفة فى إعطائهم ؛ وكان وصيف فى أيديهم ؛ فوثب عليه بعضُهم ، فضربه بالسيف ضربتين ، ووجأه آخر بسكين ، فاحتمله نُوشرى بن طاجبك — وهو أحد قوّاده — إلى منزله ؛ فلما أبطأ عليهم بُغا ظنوا أنهم فى التعبية عليهم ؛ فاستخرجوه من منزل[1] نوشرى ؛ فضربوه بالطبرزينات حتى كسروا عُضُدَيه ، ثم ضربوا عنقَه ، ونصبوا رأسه على محراك تَنُّور ، وقصدت العامة بسامرّا الانتهاب لمنازل وصيف وولده ، فرجع بنو وَصيف ، فمنعوا منازلهم ، ثم جعل المعتزّ ما كان إلى وصيف من الأمور إلى بُغا الشرابىّ .

* * *

[ذكر الخبر عن قتل بندار الطبرىّ]

وفى يوم الفِطْر[2] من هذه السنة قُتِل بندار الطبرىّ .

* ذكر سبب قتله :

فكان سبب ذلك أنه حكّم بالبوازيج محكّم يدعى مُساور بن عبد الحميد ، فى رجب من هذه السنة ، فوجّه المعتزّ إليه فى شهر رمضان ساتكين ، فمال إلى ناحية طريق خراسان ، فوجّه محمد بن عبد الله إليه ؛ وذلك أنّ طريق خراسان كان إليه بندار ومظفر بن سيسل مَسْلَحة ، فلما صارا بدَسْكرة الملك أقاما ؛ فذُكِر أنّ بندار خرج فى آخر يوم من شهر رمضان متصيّداً ، فبَعُد فى

(١) س : « منازل » .

(٢) ف : « العيد » .

طلب الصَّيْد حتى جاوز دُور الدَّسْكرة بنحو[1] فرسخ ؛ فبينا هو كذلك ؛ إذ نظر إلى علَمين مقبلين معهما جماعة مُقبْلة نحو الدَّسْكرة ، فوجّه بعض أصحابه لينظر ما الأعلام ؛ فأخبره صاحب الجماعة أنه عامل كَرْخ جُدّان ، وأنه انتهى إليه أنّ رجلا يقال له مساور بن عبد الحميد من الدّهاقين من أهل البوازيج شَرَى[2] ، وأنه بلغه أنه يصير إلى كَرْخ جُدّان ؛ فلما بلغه ذلك خرج هارباً إلى الدّسْكرة ليأنس بقرب بندار ومظفر ؛ فانصرف بُندار من ساعته إلى المظفّر فقال له : إن الشارى يقصد كَرْخ جُدّان ، ويريدنا ؛ فامض بنا نتلقّاه ، فقال له المظفّر : قد أمسينا ونريد أن نصلّىَ الجمعة ، وغداً العيد ؛ فإذا انقضى العيد قصدناه . فأبى بُندار ، ومضى من ساعته طمعاً بالمظفر الشارى وحده دون مظفّر ؛ فأقام مظفّر ولم يبرح من الدّسكرة — وبين الدسكرة وتَلّ عُكْبَراء ثمانية فراسخ ، وبين تل عُكْبَراء وموضع الوقعة أربعة فراسخ — فصار بُندار إلى تلّ عُكبراء ، فوافاها عند العَتمة ليلة الفطر[3] . فعلف دوابه شيئاً ، ثم ركب ، فسار حتى أشرف على عسكر الشارى ليلاً وهم يصلّون ويقرءون القرآن ؛ فأشار عليه بعضُ أصحابه وخاصّته أن يبيّتهم وهم غارّون ، فأبى وقال : لا ؛ حتى أنظر إليهم وينظروا إلىّ . فوجّه فارسيْن أو ثلاثة ليأتوه بخبرهم ؛ فلمّا قَرُبوا من عسكرهم نَذِروا بهم ، فصاحوا : السلاح ! وركبوا فتواقفوا إلى أن أصبحوا ، ثم اقتتلوا ، فلم يمكن أصحابَ بندار أن يرموا بسَهْم واحد ، وكانوا زهاء ثلثمائة فارس وراجل فعبّاهُم ميمنة وميسرة وساقة ، وأقام هو فى القلب ، فحمل عليهم مساور وأصحابُه ، فثبت لهم بُندار وأصحابه ؛ ثم انحدر لهم الشُّراة عن موضع عسكرهم ومبيتهم ؛ ليطمع بندار وأصحابه فى النَّهْب ، فلم يعرض بُندار وأصحابه لعسكرهم . ثم كرّ الشُّراة عليهم بالسيوف والرماح ، وهم زهاء سبعمائة ؛ فصبر الفريقان ، فصار الشراة إلى السيوف دون الرماح ، فقتل من الشُّراة نحو من خمسين رجلا ، ومن أصحاب بندار مثلهم ، ثم حمل الشراة حملةً ، فاقتطعوا من أصحاب بُندار نحواً من

٣/١٦٩٠

(١) ف : « بنحو من فرسخ » .
(٢) شرى ، أى رأى رأى الخوارج .
(٣) ف : « ليلة العيد » .

مائة رجل، فصبر لهم المائة ساعة ، ثم قُتِلوا جميعًا ، وانهزم بُنْدار وأصحابه ، فجعلوا يقتطعونهم قطعة بعد قطعة فيقتلونهم . وأمعن بُنْدار فى الهَرَب ، فطلبوه فلحقوه بقرب تلّ عُكْبَرَاء على قَدْر أربعة فراسخ من موضع الوقعة ؛ فقتلوه ونصبوا رأسَه ، ونجا مِنْ أصحاب بُنْدار نحو من خمسين رجلا — وقيل مائة رجل — انحازوا عن[1] الوقْعَة عند اشتغال الخوارج بمَنْ كانوا يقتطعون[2] منهم ، وانتهى خبرُه إلى مظفّر وهو مقيم بالدّسْكرة ، فتنحّى من الدّسكرة إلى ما قَرُب من بغداد ،ووصل خبرُ مقتله إلى محمدبن عبد الله بعد[3] الفِطْر ، فذُكِر أنه لم يشرب ولم يَلْهُ كما كان يفعل ؛ غمًّا بما ورد عليه من مقتَله . ثم مضى مُساور من فوره إلى حُلْوان ؛ فخرج إليه أهلها فقاتلوه ، فقتل منهم أربعمائة إنسان ، وقتلوا جماعة من أصحاب الشارِى ، وقُتِل عدّةٌ من حجّاج خراسان كانو بحُلْوَان ، فأعانوا أهلَ حُلْوان ، ثم انصرفوا عنهم .

١٦٩١/٣

* * *

[ذكر خبر موت محمد بن عبد الله بن طاهر]

وليلة أربع عشرة من ذى القعدة منها ، انخسف[4] القمر ؛ فغرق[5] كله أو غاب أكثره ؛ ومات محمد بن عبد الله بن طاهر مع انتهاء خسوفه[6] — فيما ذكر — وكانت علّته التى مات فيها قروحاً أصابته فى حَلْقه ورأسه فذبحته . وذكر أن القروح التى كانت فى حَلْقه ورأسه كانت تدخل فيها الفتائل ؛ فلما مات تنازع الصلاةَ عليه أخوه عُبيد الله وابنه طاهر ؛ فصلّى عليه ابنُه . وكان أوصى بذلك — فيما قيل .

ثم وقع بين عبيد الله بن عبد الله أخى محمد بن عبد الله وبين حشم محمد بن عبد الله تنازعٌ حتى سلوا السيوف عليه ، ورُمى بالحجارة ، ومالت الغوغاء والعامة وموالى إسحاق بن إبراهيم مع طاهر بن محمد بن عبد الله بن طاهر ؛ ثم صاحوا : طاهر يا منصور ؛ فعبَر عبيدُ الله إلى ناحية الشرقية إلى داره ،

١٦٩٢/٣

(١) ف : « من الوقعة » .
(٢) س : « يقطعون » .
(٣) ف : « بعد الفطر» .
(٤) ف : « انكسف » .
(٥) س : « فعرف » .
(٦) ف : «كسوفه » .

ومال معه القوّاد لاستخلاف محمد بن عبد الله كان إياه على أعماله ووصيّته بذلك، وكتابه بذلك إلى عمّاله، ثم وجّه المعتزّ الخلع وولاية بغداد إلى عبيدالله ، وأمر عبيد الله للذى أتاه بالخلع من قِبَل المعتزّ فيما قيل بخمسين ألف درهم .

* * *

نسخة الكتاب الذى كتبه محمد بن عبد الله إلى عمّاله باستخلافه أخاه عبيد الله بعده :

أما بعد فإنّ الله عزّ وجل جعل الموت حَتْماً مقضيّاً جارياً على الباقين من خلقه ، حسبما جرى على الماضين ؛ وحقيق على من أُعطِىَ حظّاً من توفيق الله ، أن يكون على استعداد لحلول ما لابدّ منه ولامحيص عنه فى كلّ الأحوال . وكتابى هذا وأنا فى علّة قد اشتدّ الإشفاق منها ، وكاد الإياس يغلب على الرّجاء فيها ؛ فإن يَتَبَلَّ الله ويدفعُ فبقدرته وكريم عادته ؛ وإن يَحْدُث بى الحدثُ الذى هو سبيل الأولين والآخرين ؛ فقد استخلفتُ عبيد الله بن عبد الله مولى أمير المؤمنين أخى الموثوق باقتفائه أثرى، وأخذه بسدّ ما أنا بسبيله من سلطان أمير المؤمنين إلى أن يأتيَه من أمره ما يعمل بحسبه ؛ فاعلمْ ذلك وائتمِرْ فيما تتولاّه بما يرِد به كتب عبيد الله وأمره إن شاء الله .

وكتب يوم الخميس لثلاث عشرة خلت من ذى القعدة سنة ثلاث وخمسين ومائتين .

* * *

وفيها نفى المعتزُّ أبا أحمد بن المتوكل إلى واسط ، ثم إلى البصرة ، ثم رُدّ إلى بغداد ، وأنزل إلى الجانب الشرقىّ فى قصر دينار بن عبد الله . ١٦٩٣/٣

وفيها نفى أيضاً علىّ بن المعتصم إلى واسط ثم رُدّ إلى بغداد فيها .

وفيها مات مزاحم بن خاقان بمصر فى ذى الحجة .

وحجّ بالناس فى هذه السنة عبد الله بن محمد بن سليمان الزينبى .

وفيها غزا محمد بن معاذ بالمسلمين فى ذى القعدة من ناحية مَلَطية ، فهُزِموا وأسر محمد بن معاذ .

وفيها التقى موسى بن بُغا والكوكبيّ الطالبيّ على فرسخ من قَزْوين يوم الاثنين سَلْخ ذي القعدة منها ، فهزم موسى الكوكبيّ ، فلحق بالدّيْلم ، ودخل موسى بن بُغا قَزْوين .

وذكر لي بعض مَنْ شهد الوقعة ، أنّ أصحاب الكوكبيّ من الدّيلم لما التقوْا بموسى وأصحابه صفّوا صفوفاً ، وأقاموا تِرَسَتهم في وجوههم يتّقون بذلك سهام أصحاب موسى ؛ فلما رأى موسى أنّ سهام أصحابه لا تصل إليهم مع ما قد فعلوا ، أمر بما معه من النّفط أن يُصَبّ في الأرض التي التقى هو وهم فيها ؛ ثم أمر أصحابه بالاستطراد لهم ، وإظهار هزيمة منهم ؛ ففعل ذلك أصحابه ؛ فلمّا فعلوا ذلك ظنّ الكوكبيّ وأصحابه أنهم انهزموا[1] ؛ فتبعوهم . فلما علم موسى أن أصحاب الكوكبيّ قد توسطوا النّفْط أمر بالنار فأشعلتْ فيه ، فأخذتْ فيه النار ، وخرجت من تحت أصحاب الكوكبيّ ، فجعلت تحرقهم ؛ وهرب الآخرون . وكان هزيمة القوم عند ذلك ودخول موسى قَزْوين . ٣/١٦٩٤

وفيها لقي خطارمش مساور الشاري بناحية جَلُولاء في ذي الحجة ، فهزمه مساور .

(١) ف : « قد هزموا » .

ثم دخلت سنة أربع وخمسين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من مقتل بغا الشرابىّ .

* ذكر الخبر عن سبب مقتله :

* * *

[ذكر خبر مقتل بغا الشرابىّ]

ذُكِر أنّ السبب فى ذلك كان أنه كان يحضّ المعتزّ على المصير إلى بغداد ، والمعتزّ يأبى ذلك عليه . ثم إن بُغا اشتغل مع صالح بن وصيف فى خاصّته بعُرس جمعة بنت بُغا ؛ كان صالح بن وصيف تزوّجها للنصف من ذى القعدة ؛ فركب المعتزّ ليلاً ، ومعه أحمد بن إسرائيل إلى كَرْخ سامرّا يريد بايكباك ومَنْ كان معه على مثل ما هو عليه من انحرافه عن بُغا . وكان سببُ انحرافه عنه — فيما ذكر — أنهما كانا فى شراب لهما يشربانه ، فعربد أحدُهما على صاحبه ؛ فتهاجرا لذلك ؛ وكان بايكباك بسبب ذلك هارباً من بُغا مستخفياً منه ؛ فلما وافَى المعتزّ بمَنْ معه الكرْخ اجتمع مع بايكباك ١٦٩٥/٣ أهلُ الكَرْخ وأهل الدُّور ، ثم أقبلوا مع المعتزّ إلى الجوسق بسامُرّا ؛ وبلغ ذلك بُغا ، فخرج فى غلمانه وهم زُهاء خمسمائة ومثلهم من ولده وأصحابه وقوّاده ، وصار إلى نهر نَيزَك ، ثم انتقل إلى مواضع ، ثم صار إلى السنّ ، ومعه من العين تسع عشرة بَدْرة دنانير ومائة بَدْرة دراهم ؛ أخذها من بيت ماله وبيوت أموال السلطان ؛ فأنفق منها شيئاً يسيراً حتى قُتِل[1] .

وذكر أنه لما بلغه أن المعتزّ قد صار إلى موضع الكرْخ مع أحمد بن إسرائيل خرج فى خاصّة قوّاده حتى صار إلى تَلّ عُكْبَراء ، ثم مضى فصار إلى السنّ ؛ فشكا أصحابُه بعضُهم إلى بعض ما هم فيه من العسف[2] ، وأنهم

(١) ف : « إلى أن قتل » . (٢) ف : « القشف » .

لم يخرجوا معهم بمضارب ، ولا ما يتدفّئون به من البرد ، وأنهم فى شتاء . وكان بُغا فى مضرب له صغير على دِجْلة ، كان يكون فيه ، فأتاه[1] ساتكين ، فقال : أصلح الله الأمير ! قد تكلّم أهل العسكر ، وخاضوا فى كذا وأنا رسولهم إليك ، فقال : كلّهم يقول مثل قولك[2]؟ قال : نعم ؛ وإن شئت فابعثْ إليهم حتى يقولوا مثل قولى ، قال : دعْنى الليلة حتى أنظر ، ويخرج إليكم أمرى بالغَداة ، فلما جنّ عليه الليل دعا بزَوْرق ، فركبه مع خادمين معه ، وحمل معه شيئاً من المال ، ولم يحمل معه سلاحاً ولا سِكّيناً ولا عَموداً ، ولا يعلم أهل عسكره بذلك من أمره ، والمعتزّ فى غَيْبة بُغا لا ينام إلاّ فى ثيابه ، وعليه السلاح ، ولا يشرب نبيذاً ، وجميع جواريه على رجل . فصار بُغا إلى الجسر فى الثلث الأوّل من الليل ؛ فلما قارب الزّورق الجسر بعث الموكّلون به مَن فى الزّوْرق ، فصاح بالغلام ، فرجع إليهم . وخرج بُغا فى البستان الخاقانىّ ، فلحقه عدّة منهم ؛ فوقف لهم وقال : أنا بُغا . ولحقه[3] وليد المغربىّ ، فقال له : ما لك جعلت فداك ! فقال : إما أن تذهب[4] بى إلى منزل صالح بن وصيف ، وإما أن تصيروا معى إلى منزلى ؛ حتى أحسن إليكم . فوكّل[5] به وليد المغربىّ ، ومرّ يركض[6] إلى الجوْسق ، فاستأذن على المعتزّ ، فأذن له ، فقال : ياسيدى هذا بُغا قد أخذته ووكّلت به ، قال : ويلك ! جئنى برأسه ؛ فرجع وليد ، فقال للموكلين به : تنحَّوْا عنه حتى أبلغه الرّسالة ، فتنحَّوْا عنه ، فضربه ضربة على جبهته ورأسه ؛ ثم تناهى على يديْه فقطعهما ، ثم ضربه حتى صرعه وذبحه ، وحمل رأسه فى بِرْكة قبائه ، وأتى به المعتزّ ؛ فوهب له عشرة آلاف دينار ، وخلع عليه خِلعة ، ونصب رأسَه بسامرّا ؛ ثم ببغداد ، ووثبت المغاربة على جُثّته ، فأحرقوه بالنار ؛ وبعث المعتزّ من ساعته إلى أحمد بن إسرائيل والحسن بن مخْلد وأبى نوح ، فأحضرهم وأخبرهم ، وتتبّع عبيد الله بن طاهر بنيه ببغداد ؛ وكانوا صاروا إليها هُرّاباً مع قوم يثقون بهم ؛ فاستتروا عندهم

٣/١٦٩٦

---

(١) س : « وأتاه » .
(٢) س : « ذلك » .
(٣) س : « ولقيه » .
(٤) س : « إنما أريد » .
(٥) ف : « فوجه » .
(٦) ف : « ثم فر يركض » .

فذكر أنه حُبِس فى قصر الذّهب من ولده وأصحابه[1] ، خمسة عشر إنسانًا ، وفى المطْبق عشرة . ١٦٩٧/٣

وقيل : إنّ بُغا لمّا[2] انحدر إلى سامرّا ليلةَ أخذ شاور أصحابه فى الانحدار إليها مكتتمًا ، فيصير إلى منزل صالح بن وصيف ، وإذا قرب العيد دخل أهل العسكر ، وخرج هو وصالح بن وصيف وأصحابُه ، فوثبوا بالمغاربة ، فوثبوا بالمعتزّ .

* * *

وفيها عقد صالح بن وصيف لديوداد على ديار مُضَر وقِنّسْرين والعواصم فوثبوا بالمعتزّ فى ربيع الأوّل منها .

وفيها عقد بايكباك لأحمد بن طولون على مصر .

وفيها أوقع مفلح وباجور بأهل قمّ ، فقتلا منهم مقتلة عظيمة ؛ وذلك فى شهر ربيع الأوّل منها .

وفيها مات على بن محمد بن على بن موسى الرضا يوم الاثنين لأربع بقين من جمادى الآخرة ، وصلّى عليه أبو أحمد بن المتوكل فى الشارع المنسوب إلى أبى أحمد ، ودفن فى داره .

وفيها فى جمادى الآخرة وافى الأهواز دُلف بن عبد العزيز بن أبى دُلف بتوجيه والده عبد العزيز إيّاه إليها وجُنْدَىْ سابور وتُسْتَر ، فجباها مائتى ألف دينار ثم انصرف .

وفى شهر رمضان منها شخص نوشرى إلى مُساور الشارى فلقيَه وهزمه ، وقتل من أصحابه جماعة كثيرة .

وحجّ بالناس فى هذه السنة علىّ بن الحسين بن إسماعيل بن العباس بن محمد . ١٦٩٨/٣

---

(١) س : « وصحابته » . (٢) س : « إنما » .

ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من دخول مُفْلِح طَبَرستان ووقْعة كانت بينه وبين الحسن بن زيد الطالبيّ، هزم فيها مُفْلح الحسنَ بن زيد، فلحق[1] بالدّيلم، ثم دخل مفلح آمُل، وأحرق منازل الحسن بن زيد، ثم توجّه نحو الديلم فى طلب الحسن بن زيد.

* * *

[ذكر خبر استيلاء يعقوب بن الليث على كرمان]

وفيها كانت وقعة بين يعقوب بن الليث وطوق بن المغلّس خارج كِرْمان أسر فيها يعقوب طوقًا؛ وكان السبب فى ذلك — فيما ذكر — أنّ علىّ بن الحسين بن قُرَيش بن شِبْل كتب إلى السلطان يخطُب كِرْمان — وكان قَبْلُ من عمّال آل طاهر — وكتب يذكر ضعف آل طاهر وقلة ضبطهم، بما إليهم من البلاد، وأنّ يعقوب بن الليث قد غَلبهم على سجستان، وتباطأ على السلْطان بتوجيه خراج فارس؛ فكتب السلطان إليه بولاية كِرْمان، وكتب إلى يعقوب بولايتها يلتمس بذلك إغراءَ كلّ واحد منهما بصاحبه ليسقط مؤنة الهالك منهما عنه ويتفرّد بمُؤْنة الآخر؛ إذ كان كلّ واحد منهما عنده حربًا له وفى غير طاعته؛ فلما فعل ذلك بهما زحف يعقوب بن الليث من سِجِسْتان يريد كِرْمان، ووجّه علىّ بن الحسين طوق بن المغلّس وقد بلغه خبر يعقوب وقصده كِرْمان فى جيش عظيم من فارس، فصار طوق بكِرْمان، وسبق يعقوب إليها فدخلها، وأقبل يعقوب من سِجِسْتان، فصار من كِرْمان على مرحلة.

١٦٩٩/٣

فحدثنى مَنْ ذكر أنه كان شاهدًا أمرهما، أن يعقوب بَقِىَ مقيمًا فى

(١) س: «فألحق».

الموضع الذى أقام به من كِرْمان على مرحلة لا يرتحل عنه شهراً أو شهرين ، يتجسّس[1] أخبار طَوْق ؛ ويسأل عن أمره كلّ من مَرّ به خارجًا من كِرْمان إلى ناحيته ، ولا يَدَع أحداً يجوز عسكره من ناحيته إلى كِرْمان ، ولا يزحف طَوْقٌ إليه ولا هو إلى طَوْق. فلما طال ذلك من أمرهما كذلك أظهر يعقوب الارتحال عن معسكره[2] إلى ناحية سِجِسْتان، فارتحل عنه مرحلة. وبلغ طوْقًا ارتحالُه ، فظنّ أنه قد بدا له فى حربه[3] ، وترك عليه كِرْمان وعلىّ بن الحسين ؛ فوضع آلة الحرْب ، وقعد للشرب ، ودعا بالملاهى ، ويعقوب فى كلّ ذلك لا يغفل عن البحث عن أخباره . فاتصل به ووضع طوْق آلة الحرب وإقباله على الشراب واللهو بارتحاله[4] ؛ فكرّ راجعاً ، فطوى المرحلتيْن إليه فى يوم واحد ، فلم يشعر طوْق وهو فى لهوه وشربه[5] فى آخر نهاره إلا بغَبَرة قد ارتفعت من خارج المدينة التى هو فيها من كِرْمان ، فقال لأهل القرية : ما هذه الغَبَرة ؟ فقيل له : غَبَرَة مواشى أهل القرية منصرفة إلى أهلها ، ثم لم يكن إلا كلا ولا[6] ؛ حتى وفاه يعقوب فى أصحابه ، فأحاط به وبأصحابه ؛ فذهب أصحاب طوق لمّا أحيط بهم يريدون المدافعة عن أنفسهم ، فقال يعقوب لأصحابه : أفرِجوا للقوم ، فأفرَجوا لهم ، فمرّوا هاربين على وجوههم ، وخلَّوْا كلّ شىء[7] لهم مما كان معهم فى معسكرهم ، وأسر يعقوب طَوْقًا . ١٧٠٠/٣

فحدثنى ابنُ حماد البربرىّ أن علىّ بن الحسين لمّا وَجّه طوقًا حمّله صناديق فى بعضها أطواقه وأسورة ليطوّق ويسوّر من أبلى معه من أصحابه ، وفى بعضها أموال ليجيز من استحقّ الجائزة منهم ، وفى بعضها قيود وأغلال ليقيّد بها مَنْ أخذ من أصحاب يعقوب ؛ فلما أسَر يعقوب طَوقًا ورؤساء الجيش الذين كانوا معه أمر بحيازة كلّ ما كان مع طَوْق وأصحابه من المال والأثاث والكُراع والسلاح ، فحيزَ ذلك كله ، وجُمع إليه ؛ فلما أُتِىَ بالصناديق أُتِىَ بها مقفلة ، ١٧٠١/٣

---

(١) ب « يتحسس ».
(٢) ب : « من معسكره » .
(٣) ب : « حده » .
(٤) س : « وارتحاله » .
(٥) ف : « ولعبه » .
(٦) س : « مديدة » .
(٧) ب . « عن كل شىء » .

فأمر ببعضها أن يُفتح، ففتح فإذا فيه القيود والأغلال، فقال لطَوْق : يا طوْق؛ ما هذه القيود والأغلال؟ قال : حمّلنيها علىّ بن الحسين لأقيّد بها الأسرى وأغلّهم بها ، فقال : يا فلان، انظر أكبرها وأثقلها فاجعله فى رجلى طَوْق وغُلّه بغُلّ . ثم جعل يفعل مثل ذلك بمن أسر من أصحاب طوق . قال : ثمّ أمر بصناديق أخَر ففتحت ؛ فإذا فيها أطوقة وأسورة ، فقال : يا طوْق . ما هذه ؟ قال : حمّلنيها علىّ لأطوّق بها وأسوّر أهل البلاء من أصحابى ، قال : يا فلان ؛ خذ من ذلك طَوْق كذا وسوار كذا ، فطوّق فلاناً وسوّره ، ثم جعل يفعل ذلك بأصحاب نفسه حتى طوّقهم وسوّرهم ، ثم جعل يفعل كذلك بالصناديق .قال : ولما أمر يعقوب بمدّ يد طوق ليضعها [١] فى الغلّ ، إذا على ذراعه عصابة ، فقال له : ما هذا يا طوق ؟ قال : أصلح الله الأمير ! إنى [٢] وجدت حرارة ففصدتها ، فدعا بعض من معه فأمر بمدّ خفه من رجله ففعل ذلك ، فلما نزعه من رجله تناثر من خُفّه كسر خبز يابسة . فقال : يا طوْق هذا خفّى لم أنزعه من رجلى منذ شهرين ، وخبزى فى خفّى منه آكل لا أطأ فراشاً، وأنت جالس فى الشرب [٣] والملاهى ! بهذا التدبير أردت حربى وقتالى !

١٧٠٢/٣

فلمّا فرغ يعقوب بن الليث من أمر طَوْق دخل كِرْمان وحازها وصارت مع سِجِسْتان من عمَله .

* * *

[ذكر خبر دخول يعقوب بن الليث فارس]

وفيها دخل يعقوب بن الليث فارس وأسر علىّ بن الحسين بن قريش .

* ذكر الخبر عن سبب أسره إياه وكيف وصل إليه :

حدّثنى ابن حمّاد البربرىّ، قال : كنتُ يومئذ بفارس عند علىّ بن الحسين بن قريش ، فورد عليه خبر وقْعة يعقوب بن الليث بصاحبه طَوْق ابن المغلّس ودخول يعقوب كِرْمان واستيلائه عليها ، ورجع إليه الفَلّ ، فأيقن بإقبال يعقوب إلى فارس؛ وعلىّ يومئذ بشيراز من أرض فارس ، فضمّ إليه

١٧٠٣/٣

(١) ف : « ليجعلها » . (٢) ب ، ف : « كنت » .
(٣) ب : « الشراب » .

جيشه ورجّالة الفلّ من عند طَوْق وغيرهم ، وأعطاهم السلاح ، ثم برز من شيراز ، فصار إلى كُرّ خارج شيراز بين آخر طرفه عرضًا ممّا يلى أرض شيراز، وبين عَرْض جبل بها من الفضاء قدرُ ممرّ رجل أو دابة ، لا يمكن من ضيقه أن يمرّ فيه أكثر من رجل واحد . فأقام فى ذلك الموضع ، وضرب عسكره على شطّ ذلك الكُرّ مما يلى شيراز ، وأخرج معه المتسوّقة[1] والتجار من مدينة شيراز إلى مُعسكره ، وقال : إن جاء يعقوب لم يجد موضعًا يجوز الفلاة إلينا ؛ لأنه لا طريق له إلاّ الفضاء الذى بين الجبل والكرّ ؛ وإنما هو قدر ممرّ رجل ؛ إذا أقام عليه رجل واحد منع من يريد أن يجوزه ، وإن لم يقدر أن يجوز إلينا بقى فى البرّ بحيث لا طعام له ولا لأصحابه ولا علَف لدوابهم .

قال ابن حماد : فأقبل يعقوب حتى قَرُب من الكُرّ ، فأمر أصحابه بالنزول أوّل يوم على نحو من ميل من الكُرّ مما يلى كِرْمان ، ثم أقبل هو وحده وبيده رمح عُشارىّ ؛ يقول ابن حماد : كأنى أنظر إليه حين أقبل وحدَه على دابته ، ما معه إلا رجل واحد ، فنظر إلى الكُرّ والجبل والطريق ، وقرب من الكرّ ، وتأمل عسكر[2] علىّ بن الحسين ، فجعل أصحاب على يشتمونه[3] ، ويقولون : لنردنّك إلى شَعْب المراجل والقماقم ، يا صفّار — وهو ساكت لا يردّ عليهم شيئًا — قال : فلمّا تأمل ما أراد من ذلك ورآه ، انصرف راجعًا إلى أصحابه . قال : فلمّا كان من الغد عند الظهر أقبل بأصحابه ورجاله حتى صار على شطّ كُرّ مما يلى برّ كِرمان ، فأمر أصحابه فنزلوا عن دوابهم ، وحطّوا أثقالهم . قال : ثم فتح صندوقًا كان معه .

١٧٠٤/٣

قال ابن حماد : كأنى أنظُر إليهم وقد أخرجوا كلبًا ذئبيًّا ، ثم ركبوا دوابّهم أعراء ، وأخذوا رماحهم بأيديهم . قال : وقبل ذلك كان قد عبّأ علىّ ابن الحسين أصحابَه ، فأقامهم صفوفًا على الممرّ الذى بين الجبل والكُرّ ؛ وهم يرون أنه لا سبيل ليعقوب ، ولا طريق له يمكنه أن يجوزه غيره . قال : ثم

---

(١) ب « السوقة » . (٢) س : « وقام من معسكر » .
(٣) س : « يسبونه » .

جاءوا بالكلب ، فرموا به فى الكُرّ ، ونحن وأصحاب علىّ ينظرون إليهم يضحكون منهم ومنه . قال : فلما رموا بالكلب فيه ، جعل الكلب يسبَح فى الماء إلى جانب عسكر علىّ بن الحسين ، وأقحم أصحاب يعقوب دوابّهم خلْف الكلب ، وبأيديهم رماحُهم ، يسيرون فى أثر الكلب . فلما رأى علىّ ابن الحسين أن يعقوب قد قطع عامّة الكُرّ إليه وإلى أصحابه ، انتقض عليه تدبيرُه ، وتحيّر فى أمره ؛ ولم يلبث أصحاب يعقوب إلا أيسر ذلك حتى خرجوا من الكُرّ من وراء أصحاب علىّ بن الحسين ؛ فلم يكن بأسرَع من أن خرج أوائلهم منه حتى هرب أصحاب علىّ يطلبون مدينة[1] شيراز ، لأنهم كانوا يصيرون إذا خرج أصحاب يعقوب من الكرّ بين جيش يعقوب وبين الكُرّ ، ولا يجدون ملجأ إن هُزموا . وانهزم علىّ بن الحسين بانهزام أصحابه ؛ وقد خرج أصحاب يعقوب من الكُرّ ، فكبتْ به دابته ، فسقط إلى الأرض ولحقه بعض السِّجْزيّة فهمّ عليه بسيفه ليضربه ؛ فبلغ إليه خادم له ، فقال : الأمير . فنزل إليه السجزىّ ، فوضع فى عنقه عمامته ، ثم جرّه إلى يعقوب ، فلما أتى به أمر بتقييده ، وأمر بما كان فى عسكره من آلة الحرب من السلاح والكُراع وغير ذلك ، فجُمع إليه ، ثم أقام بموضعه حتى أمسى ، وهجم عليه الليل ، ثم رحل من موضعه . ودخل مدينة شيراز ليلا وأصحابه يضربون بالطبول ، فلم يتحرّك فى المدينة أحد ، فلمّا أصبح أنهب[2] أصحابه دار علىّ بن الحسين ودور أصحابه ؛ ثم نظر إلى ما اجتمع فى بيت المال من مال الخراج والضِّياع ، فاحتمله ووضع الخراج ، فجباه ، ثم شخص منها متوجِّهًا إلى سجستان ، وحمل معه ابن قريش ومَنْ أسِرَ معه . (١٧٠٥/٣)

* * *

وفيها وجّه يعقوب بن الليث إلى المعتزّ بدوابّ وبُزاة ومِسْك هديّةً . (١٧٠٦/٣)

وفيها ولِىَ سليمان بن عبد الله بن طاهر شرطة بغداد والسواد ، وذلك لستّ خلون من شهر ربيع الآخر ، وكانت موافاته سامُرّا من خُراسان — فيما ذكر —

---

(١) ب : « الهرب إلى مدينة شيراز » . (٢) ف : « انتهب » .

يوم الخميس لثمان خلون من شهر ربيع الأول، وصار إلى الإيتاخية، ثم دخل على المعتز يوم السبت، فخلع عليه وانصرف.

وفيها كانت وقعة بين مساور الشاري ويارجوخ، فهزمه الشاري وانصرف إلى سامرّا مفلولا.

ومات المعلّى بن أيوب في شهر ربيع الآخر منها.

* * *

[ذكر فعل صالح بن وصيف مع أحمد بن إسرائيل ورفيقيه]

وفيها أخذ صالح بن وصيف أحمد بن إسرائيل والحسن بن مخلد وأبا نوح عيسى بن إبراهيم فقيّدهم، وطالبهم بأموال؛ وكان سبب ذلك — فيما ذكر — أن هؤلاء الكتّاب الذين ذكرتُ كانوا اجتمعوا يوم الأربعاء لليلتين خلتا من جمادى الآخرة من هذه السنة على شراب لهم يشربونه، فلمّا كان يوم الخميس غد ذلك اليوم، ركب ابن إسرائيل في جمع عظيم إلى دار السلطان التي يَقعُد فيها، وركب ابن مخلد إلى دار قبيحة أم المعتز — وهو كاتبها — وحضر أبو نوح الدار، والمعتز نائم؛ فانتبه قريباً من انتصاف النهار، فأذن لهم، فحمل صالح بن وصيف على أحمد بن إسرائيل، وقال للمعتز: يا أميرَ المؤمنين؛ ليس للأتراك عطاء ولا في بيت المال مال؛ وقد ذهب ابن إسرائيل وأصحابه بأموال الدنيا، فقال له أحمد: يا عاصي يا بن العاصي! ثم لم يزالا يتراجعان الكلام حتى سقط صالح مغشيًّا عليه، فرُشّ على وجهه الماء. وبلغ ذلك أصحابه وهم على الباب، فصاحوا صيحةً واحدة، واخترطوا سيوفهم، ودخلوا على المعتز مُصْلِتين؛ فلما رأى ذلك المعتز دخل وتركهم، وأخذ صالح بن وصيف ابنَ إسرائيل وابنَ مخلد وعيسى بن إبراهيم فقيّدهم، وأثقلهم بالحديد، وحملهم إلى داره، فقال المعتز لصالح قبل أن يحملهم: هَبْ لي أحمد، فإنه كاتبي، وقد ربّاني؛ فلم يفعل ذلك صالح، ثم ضرب ابن إسرائيل؛ حتى كسرت أسنانه، وبطح ابن مخلد فضُرب مائة سوط؛ وكان عيسى بن إبراهيم محتجِماً فلم يزل يُصفع حتى جرت الدماء من محاجمه؛ ثم لم يُتركوا حتى أُخذت رقاعهم بمالٍ جليل قُسّط عليهم.

٣/١٧٠٧

وتوجّه قوم من الأتراك الى إسكاف ليأتوا بجعفر بن محمود ، فقال المعتزّ : أمّا جعفر فلا أرَبَ لى فيه ولا يعمل لى . فمضوا ، فبعث المعتزّ إلى أبى صالح عبد الله بن محمد بن يزداد المروزىّ ، فحمل ليصيّره وزيراً ، وبعث إلى إسحاق ابن منصور ، فأشخص . وبعثت قبيحة إلى صالح بن وصيف فى ابن إسرائيل : إمّا حملته إلى المعتزّ وإما ركبتُ إليك فيه .

١٧٠٨/٣

وقد ذُكر أنّ السبب فى ذلك كان أنّ الأتراك طلبوا أرزاقهم ، وأنهم جعلوا ذلك سبباً لما كان من أمرهم ، وأنّ الرسلَ لم تزل تختلف بينهم وبين هؤلاء الكتّاب ؛ إلى أن قال أبو نوح لصالح بن وصيف : هذا تدبيرك على الخليفة ، فغُشِىَ على صالح حينئذ مما داخله من الحَرَد والغَيْظ حتى رشّوا على وجهه الماء ، فلمّا أفاق جرى بين يدى المعتزّ كلام كثير ، ثم خرجوا إلى الصلاة ، وخلا صالح بالمعتزّ ، ثم دُعِىَ بالقوم فلم يلبثوا إلا قليلا ، حتى أخرجوا إلى قُبّة فى الصحن ؛ ثم دُعِى بأبى نوح وابن مخلد فأخذت سيوفُهما وقلانسهما ومُزّقت ثيابهما ، ولحقهما ابن إسرائيل فألقى نفسه عليهما ؛ فشُلّث به ؛ ثم أخرجوا إلى الدهليز وحُمِلوا على الدواب والبغال ، وارتدف خلف كلّ واحد منهم تركىّ ، وبعث بهم إلى دار صالح على طريق الحَيْر ، وانصرف صالح بعد ساعة ، وتفرّق الأتراك ، فانصرفوا . فلما كان بعد ذلك بأيام جُعل فى رجْل كلّ[1] واحد منهم ثلاثون رطلا ، وفى عنق كل واحد منهم عشرون رطلا من حديد ، وطولبوا بالأموال ، فلم يُجب واحد منهم إلى شىء ؛ ولم ينقطع أمرُهم إلى أن دخل رجب ؛ فوُجّهوا فى قبض ضياعهم ودورهم وضياع أسبابهم وأموالهم ، وسُمّوا الكتّاب الخونة ، فقدم جعفر بن محمود يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة فولِىَ الأمر والنهى .

١٧٠٩/٣

* * *

ولليلتين خلَتا من رجب ظهر بالكوفة عيسى بن جعفر وعلىّ بن زيد الحسنيّان ، فقتلا بها عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى .

* * *

---

(١) ف : « فى كعب كل رجل » .

[ذكر الخبر عن خلع المعتزّ ثم موته]

ولثلاث بقين من رجب منها خُلع المعتزّ . ولليلتين خلتا من شعبان أظهر موته ؛ وكان سبب خلعه — فيما ذكر — أن الكتّاب الذى ذكرنا أمرهم ، لمّا فعل بهم الأتراك ما فعلوا ، ولم يُقرّوا لهم بشىء ، صاروا الى المعتزّ يطلبون أرزاقهم ، وقالوا له : أعطِنا أرزاقنا حتى نقتُل لك صالح بن وصيف ، فأرسل المعتزّ إلى أمه يسألها أن تعطيَه مالا ليعطيَهم ، فأرسلت إليه : ما عندى شىء ، فلما رأى الأتراك ومَنْ بسامُرّا من الجند أن قد امتنع الكُتّاب من أن يُعطوهم شيئًا ، ولم يجدوا فى بيت المال شيئًا ، والمعتزّ وأمه قد امتنعا من أن يَسْمَحا لهم بشىء ؛ صارت كلمة الأتراك والفراغنة والمغاربة واحدةً ، فاجتمعوا على خَلْع المعتزّ ، فصاروا إليه لثلاث بَقِين من رجب؛ فذكر بعض أسباب السلطان أنه كان فى اليوم الذى صاروا إليه عند نحرير الخادم فى دار المعتز ، فلم يَرُعْه إلا صياح القوم من أهل الكَرْخ والدُّور ، وإذا صالح بن وصيف وبايكباك ومحمد بن بُغا المعروف بأبى نصر ، قد دخلوا[1] فى السلاح ، فجلسوا على باب المنزل الذى ينزله المعتزّ ، ثم بعثوا إليه : اخرُج إلينا ، فبعث إليهم : إنى أخذت الدّواء أمس ، وقد أجفلنى اثنتى عشرة مرّة ؛ ولا أقدر على الكلام من الضعف ؛ فإن كان أمراً لا بدّ منه ، فليدخل إلىّ بعضكم فَلْيُعْلِمْنى[2] . وهو يرى أن أمره واقف على حاله . فدخل إليه جماعة من أهل الكَرْخ والدّور من خلفاء القُوّاد ، فجرّوا برجْلِه إلى باب الحُجْرة ؛ قال : وأحسبهم كانوا قد تناولوه بالضّرْب بالدبابيس ، فخرج وقميصه مخرّق فى مواضع ، وآثار الدم على منكبه ، فأقاموه فى الشمس فى الدار فى وقت شديد الحرّ . قال : فجعلتُ أنظر إليه يرفعُ قدمه ساعة بعد ساعة من حرارة الموضع الذى قد أقيم فيه . قال : فرأيتُ بعضَهم يلطمه وهو يتّقى بيده ، وجعلوا يقولون : اخلعْها ، فأدخلوه حجرةً على باب حجرة المعتزّ كان موسى بن بُغا يسكنها حين[3] كان حاضرًا ، ثم بعثوا

٣/١٧١٠

---

(١) س : « فدخلوا » .
(٢) بعدها فى ب « ماهو » .
(٣) ف : « لما » .

إلى ابن أبى الشوارب ، فأحضروه مع جماعة من أصحابه ؛ فقال له صالح وأصحابه : اكتبْ عليه كتاب خَلْع ، فقال : لا أحسنه ؛ وكان معه رجل أصبهانىّ ، فقال : أنا أكتب ، فكتب وشهدوا عليه وخرجوا . وقال ابن أبى الشوارب لصالح : قد شهدوا أنّ له ولأخته[1] وابنه وأمه الأمان، فقال صالح بكفّه : أى نعم ؛ ووكلوا بذلك المجلس وبأمّه نساء يحفظنها .

١٧١١/٣

فذكر أن قبيحة كانت اتّخذت فى الدار التى كانت فيها سَرَبًا[2] ، وأنها احتالت هى وقُرْب وأخت المعتزّ ، فخرجوا من السَّرَب ، وكانوا أخذوا عليها الطرُق، ومنعوا الناس أن يجوزوا من يوم فعلوا بالمعتزّ ما فعلوا؛ وذلك يوم الاثنين إلى يوم الأربعاء لليلة بقيت من رجب .

فذُكر[3] أنه لما خُلع دفع إلى من يعذّبه ومُنِع الطعام والشراب ثلاثة أيام ، فطلب حَسْوةً من ماء البئر ، فمنعوه. ثم جصّصوا سرداباً بالجِصّ الثخين ، ثم أدخلوه فيه ، وأطبقوا عليه بابَه ، فأصبح ميّتًا .

وكانت وفاته لليلتين خَلَتا من شعبان من هذه السنة . فلمّا مات أشهد على موته بنو هاشم والقراد ؛ وأنه صحيح لا أثر فيه ، فدُفِن مع المنتصر فى ناحية قصر الصّوامع ؛ فكانت خلافته من يوم بويع له بسامُرّا إلى أن خُلع أربع سنين وستة أشهر وثلاثة وعشرين يومًا . وكانَ عمره كلّه أربعاً وعشرين سنة.

وكان أبيض أسود الشعر كثيفَه ، حسن العينين والوجه، ضيّق الجبين، أحمر الوجنتين[4] ، حسن الجِسم[5] ، طويلاً .

١٧١٢/٣

وكان مولده بسامُرّا .

---

(١) ف : « ولأخيه » .
(٢) السرب ، بالفتح : الحفير تحت الأرض .
(٣) ف : « فذكروا » .
(٤) ب : « اللون ».
(٥) ب : « الوجه » .

خلافة ابن الواثق المهتدى بالله

وفى يوم الأربعاء لليلة بقيت من رَجب من هذه السنة، بويع محمد بن الواثق ؛ فسُمّى بالمهتدى بالله ؛ وكان يكنى أبا عبد الله ؛ وأمه روميّة ؛ وكانت تسمى قُرْب .

وذكر عن بعض من كان شاهداً أمرهم ، أنّ محمد بن الواثق لم يقْبَل بيعةَ أحد ؛ حتى أُتِىَ بالمعتز فخلع نفسه ؛ وأخبَر عن عجزه عن القيام بما أسْنِد إليه ، ورغبته فى تسليمها إلى محمد بن الواثق ؛ وأن المعتزّ مدّ يده فبايع الواثق ؛ فسمَّوْه بالمهتدى ، ثم تنحّى وبايع خاصّة الموالى .

وكانت نسخة الرقعة بخلع المعتزّ نفسه :

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أشهد عليه الشهود المسمَّوْن فى هذا الكتاب ؛ شهدوا أنّ أبا عبد الله بن أمير المؤمنين المتوكل على الله أقرّ عندهم ، وأشهدهم على نفسه فى صحّة من عقله ، وجوازٍ من أمره ؛ طائعاً غير مكرهٍ ، أنه نظر فيما كان تقلّده من أمر الخلافة والقيام بأمور المسلمين ؛ فرأى أنه لا يصلحُ لذلك ، ولا يكمُل له ؛ وأنه عاجز عن القيام بما يجب عليه منها[1] ، ضعيف عن ذلك ؛ فأخرج نفسَه ، وتبرّأ منها ، وخلعها من رَقَبته ، وخلع نفسه منها ، وبَرّأ كلّ من كانت له فى عنقه بَيْعة من جميع أوليائه وسائر الناس مما كان له فى رقابهم من البيْعة والعهود[2] والمواثيق والأيمان بالطّلاق والعتاق والصَّدَقة والحجّ وسائر الأيمان، وحلّلهم من جميع ذلك[3] وجعلهم فى سَعَة منه فى الدنيا والآخرة، بعد أن تبين له أنّ الصلاح له وللمسلمين فى خروجه عن الخلافة والتبرؤ منها ، وأشهد على نفسه بجميع ما سمى، ووصف فى هذا الكتاب جميعَ الشهود المسمّيْن فيه ، وجميع مَنْ حضر ؛ بعد أن قرئ عليه حرفاً حرفاً ، فأقرّ بفهمه ومعرفته جميع ما فيه طائعاً غير مكره ؛ وذلك يوم الاثنين لثلاث بقين من رجب سنة

---

(١) ب ، ف : « فيها » . (٢) س ، ف : « والعقود » .
(٣) بعدها فى ف : « كله » .

خمس وخمسين ومائتين .

فوقّع المعتز فى ذلك : « أقرّ أبو عبد الله بجميع[1] ما فى هذا الكتاب ، وكتب بخطه » .

وكتب الشهود شهاداتهم : شهد الحسن بن محمد ومحمد بن يحيى وأحمد ابن جناب ويحيى بن زكرياء بن أبى يعقوب الأصبهانىّ وعبد الله بن محمد العامرىّ وأحمد بن الفضل بن يحيى وحماد بن إسحاق وعبد الله بن محمد وإبراهيم ابن محمد ؛ وذلك يوم الاثنين لثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين .

٣/١٧١٤

* * *

[قيام الشغب ببغداد ووثوب العامة بسليمان بن عبد الله]

وفى سلْخ[2] رَجَب من هذه السنة[3] ، كان ببغداد شَغَب ووُثوب العامة بسليمان بن عبد الله بن طاهر .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك وإلى ما آل الأمر إليه :

وكان السببُ فى ذلك ، أنّ الكتاب من محمد بن الواثق ورَد يوم الخميس سلْخ رجب على سليمان ببغداد ببيعة الناس له ، وبها أبو أحمد بن المتوكل ؛ وكان أخوه المعتزّ سيّره إلى البصرة حين سخط على أخيه من أمه المؤيد ؛ فلما وقعت العصبية بالبصرة نقله إلى بغداد ؛ فكان مقيمًا بها ، فبعث سليمان بن عبد الله بن طاهر وإليه الشرطة يومئذ ببغداد ، فأحضره دارَه ، وسمع مَنْ ببغداد من الجند والغَوْغاء بأمر المعتزّ وابن الواثق ، فاجتمعوا الى باب سليمان ، وضجّوا هنالك ، ثم انصرفوا على أنه قيل لهم : لم يَرِدْ علينا من الخبر ما نعلم به ما عمل به القوم ، فغَدَوْا يوم الجمعة على ذلك من الصياح والقَوْل الذى كان قيل لهم يوم الخميس ، وصلى الناس فى المسجديْن[4] ، ودُعِىَ فيهما للمعتزّ ، فلما كان يوم السبت غدا القوم ، فهجموا على دار سليمان ، وهتفوا باسم أبى أحمد ، ودَعَوْا إلى بيعته ، وخلصوا إلى سليمان فى داره ، وسألوه أن يريَهم أبا أحمد

٣/١٧١٥

(١) ف : « جميع » .
(٢) س : « شهر » .
(٣) س : « منها » .
(٤) ب : « المسجد » .

ابن المتوكل ، فأظهره لهم ، ووعدهم المصير الى محبّتهم إن تأخر عنهم ما يحبّون ، فانصرفوا عنه بعد أن أكّدُوا عليه فى حفظه .

وقدم يارجوخ فنزل البَرَدان ومعه ثلاثون ألف دينار لإعطاء الجند ممّن بمدينة السلام ، ثم صار الى الشّماسيّة ، ثم غدا ليدخل بغداد ؛ فبلغ الناسَ الخبرُ ، فضجّوا وتبادروا بالخروج إليه ، وبلغ يارجوخ الخبرُ ، فرجع إلى البَرَدان ، فأقام بها ، وكتب إلى السلطان ، واختلفت الكتب حتى وجّه إلى أهل بغداد بمال[1] رضُوا به ، ووقعت بيعة[2] الخاصّة ببغداد للمهتدى يوم الخميس لسبع ليالٍ خلَوْن[3] من شعبان ، ودعى له يوم الجمعة لثمانٍ خلوْن من شعبان[4] بعد أن كانت ببغداد فتنة ، قتل فيها وغرق فى دِجْلة قوم ، وجرِح آخرون لأن سليمان كان يحفظ داره قوم من الطّبَرية بالسلاح ، فحاربهم أهلُ بغداد فى شارع دِجْلة وعلى الجسر ؛ ثم استقام الأمر بعد ذلك وسكنوا[5] .

* * *

[ذكر خبر ظهور قبيحة أم المعتزّ]

وفى شهر رمضان من هذه السنة ظهرت قَبيحة للأتراك ، ودلّتهم على الأموال التى عندها والذخائر والجوهر ؛ وذلك أنها — فيما ذُكر — قد قدّرت الفتك بصالح ، وواطأت على ذلك النّفر من الكتّاب الذين أوقع بهم صالح ؛ ٣/١٧١٦ فلما أوقع بهم صالح ، وعلمت أنهم لم يطووا عن صالح شيئاً من الخبر بسبب ما نالهم من العذاب ؛ أيقنت بالهلاك ؛ فعملت فى التخلّص ، فأخرجت ما فى الخزائن داخل الجوْسق[6] من الأموال والجواهر[7] وفاخرِ المتاع ، فأودعت ذلك كله مع ما كانت أودعت قبل ذلك مما هو فى هذا المعنى ، ثم لم تأمن المعاجلة إلى ما نزَل بها وبابنها ، فاحتالت للهرب وجهاً ، فحفرت سَرَباً من داخل القصر من حجرة لها خاصّة ينفذ إلى موضع يفوت التفتيش ، فلمّا علمت

---

(١) ب : « بما رضوا به » .
(٢) ب : « معه » .
(٣) س : « لسبع بقين » .
(٤) ف : « منه » .
(٥) س : « وسكن » .
(٦) ف : « فى الجوسق » . (٧) ب : « والجوهر » .

بالحادثة بادرت من غير تلبّث ولا تلوّم ؛ حتى صارت فى ذلك السَّرَب ، ثم خرجت من القَصْر ؛ فلما فرغ الذين شغبوا فى أمر ابنها مما أرادوا إحكامه ؛ فصاروا الى طلبها غير شاكّين فى القدرة عليها ، وجدوا القصر منها خاليًا ، وأمْرَها عنهم مستترًا ؛ لا يقفون منه على شىء ؛ ولا ما يؤديهم إلى معرفته ؛ حتى وقفوا على السَّرَب ، فعلموا حينئذ أنهم منه أُوتوا فسلكوه ؛ وانتهوا الى موضع لا يُوقَف منه على خبر ولا أثر ، فأيقنوا بالفَوْت ، ثم رجعوا الظُّنُون ؛ فلم يجدوا لها معقلاً أعزّ ولا أمنع إن هى لجأت إليه من حبيبَ حرّة موسى بن بغا التى تزوّجها من جوارى المتوكل ، فأحالوا على تلك الناحية ، وكرهوا التعرّض لشىء من أسبابها ، ووضعوا العيون والأرصاد عليها ، وأظهروا التوعّد لمن وقفوا على معرفته بأمرها ؛ ثم لم يُظْهِرْهم عليها ؛ فلم يزل الأمر منطويًا عنهم ؛ حتى ظهرت فى شهر رمضان ؛ وصارت إلى صالح بن وصيف ، ووسَّطت بينها وبين صالح العطَّارة ؛ وكانت تثق بها ؛ وكانت لها أموال ببغداد ، فكتبت فى حَمْلها ؛ فاستخرج وحُمِل منها إلى سامُرّا .

١٧١٧/٣

فذُكِر أنه وافَى سامُرّا يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة خلَتْ من شهر رمضان من هذه السَّنَة قدر خمسمائة ألف دينار ، ووقَعُوا لها على خزائن ببغداد . فوجّه فى حملها ، فاستخرج وحمل منها ، فحمل إلى السلطان من ذلك متاعٌ كثير ، وأحيل من ببغداد من الجند والشاكرية المرتزقة بمال عظيم عليه ولم تزل تُباع تلك الخزائن متّصلا ببغداد وسامُرّا عدّة شهور ؛ حتى نفدت .

ولم تزل قبيحة مقيمة إلى أن شخص الناس إلى مكة فى هذه السنة ، فسُيّرت إليها مع رجاء الربابىّ ووحَشٍ مولى المهتدى ؛ فذُكِر عمّن سمعها فى طريقها وهى تدعو الله على صالح بن وصيف بصوت عالٍ وتقول : اللهم أخز صالح ابن وصيف ؛ كما هتك سترى ، وقتل ولدى ، وبدّد شملى ، وأخذ مالى ، وغرّبنى عن بلدى ، وركب الفاحشة منى ! فانصرف الناس عن الموسم[1] واحتبست بمكة .

١٧١٨/٣

وذكر أنّ الأتراك لما تحركوا ، وثاروا بالمعتزّ أرسلوا إليه يطلبون منه خمسين

---

(١) ب : « من الموسم » .

ألف دينار ؛ على أن يقتلوا صالحًا ؛ ويستوى لهم الأمر . فأرسل إلى أمه يعلمها اضطرابهم عليه ، وأنه خائف على نفسه منهم ، فقالت : ما عندى مال ، وقد وردت لنا سفاتج ؛ فلينتظروا حتى نقبض ونعطيهم ؛ فلما قُتل المعتزّ ، أرسل صالح إلى رجل جوهرىّ. قال الرجل : فدخلت إليه وعنده أحمد ابن خاقان ؛ فقال : ويحك ! هوذا ترى ما أنا فيه ! وكان صالح قد أخافوه وطالبوه بالمال ؛ ولم يكن عنده شىء ، فقال لى : قد بلغنى أنّ لقبيحة خزانةً فى موضع يرشدك إليه هذا الرجل — واذا رجلٌ بين يديه — فامض ومعك أحمد ابن خاقان ؛ فإن أصبتم شيئًا فأثبته عندك ، وسلّمه إلى أحمد بن خاقان ، وصِرْ إلىّ معه . قال : فضيت[1] إلى الصّفوف[2] بحضرة المسجد الجامع ؛ فجاء بنا ذلك الرّجُل الى دار صغيرة معمورة نظيفة ؛ فدخلنا ففتشنا كلّ موضع فيها فلم نجد شيئًا ، وجعل ذلك يغلُظ على أحمد بن خاقان ، وهو ٣/١٧١٩ يتهدّد الرجل ويتوعده ، ويُغلظ له ، وأخذ الرجل فأسًا ينقر به الحيطان يطلب موضعًا قد سُتِر فيه المال ؛ فلم يزل كذلك حتى وقع الفأس على مكان فى الحائط استدلّ بصوته على أن فيه شيئًا ، فهدمه وإذا من ورائه باب ، ففتحناه ودخلنا إليه ؛ فأدّانا إلى سرّب ، وصرنا إلى دار تحت الدار التى دخلناها على بنائها وقسمتها ، فوجدنا من المال على رُفوف فى أسفاط زهاء ألف ألف دينار ، فأخذ أحمد منها ومَن كان معه قدر ثلثمائة ألف دينار ، ووجدنا ثلاثة أسفاط : سَفَطًا فيه مقدار مكّوك زمرّد إلا أنه من الزّمرد الذى لم أر للمتوكل مثله ولا لغيره ، وسفَطًا دونه فيه نصف مكّوك حبّ كبار، لم أر والله للمتوكل ولا لغيره مثله ، وسفَطًا دونه فيه مقدار كيلجة ياقوت أحمر لم أر مثله ، ولا ظننت أن مثله يكون فى الدنيا ؛ فقوّمت الجميع على البيع ؛ فكانت قيمته ألفى ألف دينار ، فحملناه كله إلى صالح ؛ فلما رآه جعل لا يصدق ولا يوقنُ حتى أحضر[3] بحضرته ووقف عليه ، فقال عند ذلك : ٣/١٧٢٠ فعل الله بها وفعل ؛ عرّضت ابنها للقتْل فى مقدار خمسين ألف دينار ، وعندها مثل هذا فى خزانة واحدة من خزائنها !

---

(١) ب ، ف : « فضينا » . (٢) س : « إلى القصر » .

(٣) ف : « حتى أحضره » .

وكانت أمّ محمدبن الواثق توفّيت قبل أن يبايع؛ وكانت تحت المستعين؛ فلما قُتِل المستعين صيرها المعتزّ فى قصر الرّصافة الذى فيه الحرم، فلما ولى الخلافة المهتدى قال يوماً لجماعة من الموالى: أمّا أنا فليس لى أمّ أحتاج لها إلى غلّة عشرة آلاف ألف (١) فى كل سنة لجواريها وخدمها والمتصلين بها؛ وما أريد لنفسى وولدى إلا القوت، وما أريد فضلا إلاّ لإخوتى فإن الضّيقة قد مسّتهم.

* * *

[ذكر الخبر عن قتل أحمد بن إسرائيل وأبى نوح]

ولثلاث بقين من رمضان (٢) من هذه السنة قتِل أحمد بن إسرائيل وأبو نوح.

* ذكر الخبر عن صفة القِتْلة التى قتلا بها :

فأما السبب الذى أدّاهما إلى القتل؛ فقد ذكرناه قبلُ، وأما القِتْلة التى قُتِلا بها، فإنه ذكر أن صالح بن وصيف لما استصفى أموالهما ومال الحسن ابن مخْلَد، وعذّبهم بالضرب والقَيْد وقرّب كوانين الفحم (٣) فى شدّة الحرّ منهم، ومنعهم كلّ راحة، وهم فى يده على حالهم، ونسبهم الى أمور عظام من الخيانة والقصد لذلّ السلطان والحِرْص على دوام الفتن والسعى فى شقّ عصا المسلمين، فلم يعارضْه المهتدى فى شىء من أمورهم (٤)، ولم يوافقه على شىء أنكره من فعله بهم. ثمّ وجّه إليهم الحسن بن سليمان الدوشابىّ فى شهر رمضان، ليتولّى استخراجَ شىء إن كان زُوِىَ عنه من أموالهم. ٣/١٧٢١

قال: فأخرِج إلىّ أحمد بن إسرائيل، فقلت له: يا فاجر، تظنّ أنّ الله يُمهلك، وأنّ أمير المؤمنين لا يستحِل قتلك؛ وأنت السببُ فى الفتن، والشريك فى الدماء، مع عظيم الخيانة وفساد النية والطويّة! إنّ فى أقلّ من هذا ما تستوجب به المُثْلة كما استوجب مَن كان قبلك، والقتل فى العاجلة والعذاب

---

(١) بعدها فى ف: «دينار».
(٢) ب: «من شهر رمضان».
(٣) ف: «النار».
(٤) س: «أمرهم».

والخزى فى الآجلة، إن لم تسعد من الله بعفو وإمهال، ومن إمامك بصفح واحتمال؛ فاستر نفسك من نزول ما تستحقّ بالصدق عما عندك من المال؛ فإنك إن تفعل ويوقف على صدقك تسلم بنفسك. قال: فذكر أنه لاشىء عنده، ولا تُرك له إلى هذا الوقت مال ولا عُقْدة. قال: فدعوتُ بالمقارع وأمرت أن يقامَ فى الشمس، وأرعدتُ وأبرقتُ، وإن كان ليفوتنى الظفر منه بشىء من صرامة ورُجْلة[1] حتى أومَى إلى قدر تسعة عشر ألف دينار؛ فأخذت رقعته بها. ١٧٢٢/٣

قال: ثمّ أحضرت أبا نوح عيسى بن إبراهيم فقلت له مثل الذى قلت لأحمد أو نحوه، وزدت فى ذلك بأن قلت: وأنت مع هذا[2] مقيم على دينك النصرانية، مرتكب فروج المسلمات تشفّياً من الإسلام وأهله! ولا دلالة أدلّ على ذلك ممن لم يزل فى منزلك على حالِ النصرانية من أهلٍ وولدٍ، ومَن كان ذا عَقْدُه فقد أباح الله دمه.

قال: فلم يُجب إلى شىء، وأظهر ضعفًا وفقرًا.

قال: وأما الحسن بن مَخْلد فأخرجته؛ فلما خاطبته خاطبت رجلاً موضّعًا[3] رخواً، قال: فبكّتّه بما ظهر منه، وقلت: مَنْ كان له الراضة بين يديه إذا سار على الشهاريّ[4] وقدّر ما قدّرت، وأراد ما أردت، لم يكن موضّعًا رطبًا ولا مخنّثاً رخواً. قال: ولم أزل به حتى كتب رقعة بجوهر قيمته نيّف وثلاثون ألف دينار؛ قال: وردّوا جميعًا إلى موضعهم[5]؛ وانصرفت. فكانت مناظرة الحسن بن سليمان الدوشابىّ لهم آخر مناظرة كانت معهم؛ ولم يناظروا أيام المهتدى فيما بلغنى[6] مناظرة غيرها.

فلما كان يوم الخميس لثلاث بقين من شهر رمضان أخرج أحمد بن إسرائيل وأبو نوح عيسى بن إبراهيم إلى باب العامة، فقعد صالح بن وصيف ١٧٢٣/٣

---

(١) الرجلة: مثل الرجولية.
(٢) ف: «ذلك».
(٣) الموضع: المطرح، غير مستحكم الخلق.
(٤) الشهارى: نوع من البراذين، مفرده شهرية.
(٥) ف: «مواضعهم».
(٦) ب، ف: «نعلمه».

فى الدار ، ووكّل بضربهما حمّاد بن محمد بن حماد بن دَنْقَش ، فأقام أحمد بن إسرائيل وابن دَنْقَش يقول : أوجع ، وكان كلّ جلاّد يضربه سوطين ، ويتنحّى حتى وفّوْه خمسمائة سوط . ثم أقاموا أبا نوح أيضاً فضُرب خمسمائة سوط ضربَ التّلف ، ثم حُمِلا على بغلين من بغال السّقائين على بطونهما ، منكّسةً رءوسهما ، ظاهرة ظهورهما للناس . فأما أحمد فحين بلغ خشبةَ بابك مات ، وحين وصلوا بأبى نوح مات ؛ فدفن أحمد بين الحائطين . ويقال إن أبا نوح مات من يومه فى حبس السرخسىّ خليفة طلمجور على شُرَط الخاصّة ، وبقىَ الحسن بن مَخْلَد فى الحبس .

وذُكِر عن بعض من حضر أنه قال : لقد رأيت حمّاد بن محمد بن حماد بن دَنقش وهو يقول للجلادين : أنفسَكم يا بنى الفاعلة — لا يكنى — ويقول : أوجعوا وغيّروا السياط ، وبدّلوا الرّجال ، وأحمد بن إسرائيل وعيسى يستغيثان ؛ فذكِر أن المهتدى لمّا بلغه ذلك قال : أمّا عقوبة إلا السوط أو القتل ! أمّا يقوم مقام هذا شىء ! أما يكفى ! إنا لله وإنا إليه راجعون ، يقول ذلك ويسترجع مراراً .

٣/١٧٢٤ وذكر عن الحسن بن مَخْلَد أنه قال : لم يكن الأمر فينا عند صالح إذا لم يحضره عبد الله بن محمد بن يَزْدَاد على ما كان يكون عليه من الغلظة إذا حضر . قال : وكان يقول لصالح : اضرب وعذّب فإنّ الأصلح من وراء ذلك القتل ؛ فإنهم إن أفلتوا لم تؤمَن بوائقهم فى الأعقاب ؛ فضلا عن الواترين ؛ ويذكره قبيحَ ما بلغه عنهم . وكان يسرّ بذلك .

قال : وكان داود بن [أبى] [1] العباس الطوسىّ يحضرنا عند صالح فيقول : وما هؤلاء أعزّك الله ، فبلغ منك الغضب بسببهم هذا المبلغ ! فظنه يرقّقه علينا حتى يقول : على إنى والله أعلم أنهم إن تخلصوا انتشر [2] منهم شرٌّ كبير وفساد فى الإسلام عظيم ؛ فينصرف وقد أفتاه بقتلنا ، وأشار عليه بإهلاكنا ؛

---

(١) زيادة لازمة ؛ وهو داود بن محمد أبى العباس . وانظر الفهرس .

(٢) كذا فى ب وهو الوجه ، وفى ط : «تخلص».

فيزداد برأيه وما قال له علينا غيظاً ، وإلى الإساءة بنا أُنْساً ، فسُئل بعض من كان يخبر أمرهم : كيف نجا الحسن بن مَخْلَد مما صَلِيَ به صاحباه ؟ فقال : بخصلتين ؛ إحداهما أنه صدّقه عن الخبر في أوّل وهلة وأوجد الدّلائل على ما قاله له إنه حقّ ؛ وقد كان وعَده العفو إن صدّقه ، وحلف له على ذلك ، والأخرى أنّ أمير المؤمنين كلمه فيه وأعلمه حرمة أهله به ، وأومأ إلى محبته لإصلاح شأنه ، فردّه عن عظيم المكروه فيه ؛ وقد كنت أرى أنه لو طالت لصالح مدّة وهو في يده ، أطلقه واصطنعه ، ولم يكن صالح بن وصيف اقتصر في أمر الكتاب على أخذ أموالهم وأموال أولادهم ؛ حتى أخاف[1] أسبابهم وقراباتهم بأخذ أموالهم ، وتخطّى إلى المتصلين بهم . ٣/١٧٢٥

* * *

[شغب الجند والعامة ببغداد وولاية سليمان بن عبد الله بن طاهر عليها]

ولثلاث عشرة خلت من شهر رمضان منها فتح السجن ببغداد ، ووثبت الشاكرية والنائبة ببغداد من جندها بمحمد بن أوس البلخيّ :

* ذكر الخبر عن سبب ذلك وما آل الأمر إليه فيه :

ذُكر أنّ السبب في ذلك كان أنّ محمد بن أوس ، قدِم بغداد مع سليمان ابن عبدالله بن طاهر وهو على الجيش القادمين من خُراسان مع سليمان والصعاليك الذين تألّفهم سليمان بالرّيّ ، ولم تكن أسماؤهم في ديوان السلطان بالعراق ، ولا أمر سُليمان فيهم بشيء ؛ وكانت السنّة فيهم أن يقام لمن قدم معه من خراسان بالعراق حسب ما يُقام بخُراسان لنظرائهم من مال ضياع وَرَثة ذى اليمينين[2] ، ويكتب بذلك إلى خُراسان ليُعارض الوَرَثة هناك من مال العامة بدل ما كان دُفع من مالهم بالعراق . فلما قدم سُليمان بن عبد الله العراق ، وجد بيت مال الوَرَثة فارغاً وعبيد الله بن عبد الله بن طاهر قد تقدّم عند ما صحّ عنده من الخبر[3] بتصيير الأمر فيما كان يتولّاه إلى أخيه سليمان بن عبد الله ، ٣/١٧٢٦

---

(١) س : « خاف » .

(٢) في ابن الأثير : « ورثة طاهر بن الحسين » .

(٣) ب : « الأمر» .

فأخذ ما كان حاصلاً لورثة أبيه وجدّه فى بيت مالهم ، واستسلف على ما لم يرتفع ، وتعجّل من المتقبّلين أموال نجوم لم تحلّ حتى استنظفت ذلك أجمع ، وشخص[1] . فأقام بالجُوَيْث فى شرقىّ دِجْلة ، ثم عَبَر حتى صار فى غربيّها ، فضاقت بسليمان الدّنيا ، وتحرّك الشاكرية والجُند فى طلب الأرزاق ، وكتب سليمان إلى أبى عبد الله المعتزّ بذلك وقدّر أموالهم ، وأدخل فى المال تقدير القادمين معه ؛ ووجّه محمد بن عيسى بن عبد الرحمن الكاتب الخراسانىّ كاتبَه فى ذلك . فأجيب بعد مناظرات إلى أن سُبِّبَ له على عمال السَّواد مالٌ صودر عليه لطمع مَنْ بمدينة السلام وشِحَنِ السواد لا يقوم بما يجب للنائبة فضلا عن القادمين مع النائبة ؛ فلم يتهيأ لسُليمان الوصولُ إلى شىء من المال ، وقدم ابنُ أوس والصعاليك وأصحابه ، فقصّر المال عنه وعمن كان يقدّر وصوله إليه من النائبة[2] ، فوقفوا على ذلك وعلى السبب المضرّبهم فيه . وكان القادمون مع سليمان من الصّعاليك وغيرهم لما قدموا بغداد أساءوا المجاورة لأهلها ، وجاهروا بالفاحشة ، وتعرّضوا للحُرَم والعبيد والغِلْمان ، وعادوْهم لمكانهم من السلطان ؛ حتى امتلئوا عليهم غيظاً وحَنَقاً . وقد كان سليمان بن عبد الله وحَرَ[3] على الحسين بن إسماعيل بن إبراهيم بن مصعب بن رزيق ؛ لمكانه كان من عُبيد الله بن عبدالله [بن طاهر][4] ونصرته له وكفايته ، وانصرافه عن سليمان وأسبابه[5] . فلما انصرف الحسين ابن إسماعيل إلى بغداد بعقب ما كان يتولاّه لعبيد الله من أمر الجند والشاكرية ، فحبس كاتبه فى المطبق وحاجبه فى سجن باب الشأم ، ووكّل بباب الحسين ابن إسماعيل جنداً من قِبَل إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم ؛ لأنّ سليمان ولّى إبراهيم ما كان الحسين بن إسماعيل يتولاّه لعبيد الله من أمر جسرَىْ بغداد وطساسيج قطربُلّ ومسكن والأنبار ؛ فلما حدث ما حدث من بيعة المهتدى وشَغَب الجند والشاكرية بمدينة السلام ، ووقعت الحرب فى تلك الأيام ، شدّ محمد ابن أوس على رجل من المراوزة ، كان من الشيعة ، فضربه فى دار سليمان ثلثمائة

١٧٢٧/٣

---

(١) س : « وأشخص » .

(٢) س ، ف : « من مال النائبة » .

(٣) الوحر : الحقد .

(٤) من ب ، ف .

(٥) ب ، ف : « وأشباهه » .

سوط ضرباً مبرّحاً ، وحبسه بباب الشأم ؛ وكان هذا الرّجُل من خاصّة ٣/١٧٢٨
الحسين بن إسماعيل ؛ فلمّا حدث هذا الحادث احتيج إلى الُحسين بن إسماعيل ،
لفضل جلده وإقدامه فنُحِّىَ [١] منْ كان ببابه موكّلاً فظهر ، فتراجع
أصحابُه من غير أمر ؛ وقد كانوا فُرّقوا على القوّاد ، وضُمّ منهم جمع كبير
إلى محمد بن أبي عون القائد ؛ فذُكِر أن المضمومين [٢] إلى ابن أبي عون
لما صاروا إلى بابه [٣] ، فرّق فيهم من ماله ؛ للرّاجل عشرة دراهم ، وللفارس ديناراً ؛
فلما رجعوا إلى الحسين رفع ابن أبي عون بذكر ذلك ؛ فلم يخرج في ذلك تعيين
ولا أمر ؛ فلم يزل الحال على هذا والجند والشاكريّة يَصيحون في طلب مال
البيعة وما بقىَ لهم من مال الطمع المتقدّم ؛ وقد ردّ أمرهم في تقسيط مالهم ،
وقبضهم إلى الحسين على ما كان الأمر عليه أيام عبيد الله بن عبد الله بن
طاهر . وكان الحسين لا يزال يلقى إليهم ما عليه محمد بن أوس ومَنْ قدم مع
سليمان من القَصْد لأخذ أموالهم والفوز بها دونهم ؛ حتى امتلأت قلوبهم .
فلمّا كان يومُ الجمعة لثلاث عشرة خلتْ من شهر رمضان ، اجتمع جماعة
من الجند والشاكريّة ، ومعهم جماعة من العامة حتى صاروا إلى سجن باب
الشأم ليلاً ، فكسروا بابه ، وأطلقوا في تلك الليلة أكثرَ مَنْ كان فيه ، ولم ٣/١٧٢٩
يبقَ فيه من أصحاب الجرائم أحدٌ إلا الضعيف والمريض والمثقَل ؛ فكان ممن
خرج في تلك الليلة نفرٌ من أهل بيت مساور بن عبد الحميد الشارى ، وخرج
معهم المروزىّ مضروب محمد بن أوس وجماعة ممن قد لزم السلطانَ إلى أن
صاروا إلى قبْضته زُهاء خمسين ألفـاً ، وأصبح الناس في يوم الجمعة
وباب الحبس [٤] مفتوح ؛ فمَنْ قدر أن يمشىَ مشى ، ومَن لم يقدر اكترى
له ما يركبه ؛ وما يمنع من ذلك مانع ، ولا يدفع دافع ؛ فكان ذلك من أقوى
الأمور التي بعثت الخاصّة والعامة على دفع الهيْبة بينهم وبين سليمان بن عبد الله
وسُدّ باب السجن بباب الشأم بآجرٍّ وطين ؛ ولم يعلم أنه كان لإبراهيم ابن
إسحاق في هذه الليلة ولا لأحد من أصحابه حركة أصلا ؛ فتحدّث الناس
أن الذى جُنِىَ على سجن باب الشأم بمكان المروزىّ الذى ضربه ابن أوس فيه

(١) ف : « فتنحى » . (٢) س : « القادمين » .
(٣) ب : « باب ابن أبي عون » . (٤) ب ، ف : « السجن » .

حتى يخلص[١] . ثم لم يمض بعد ذلك خمسة أيام ، حتى نافر ابن أوس الحسينَ ابن إسماعيل فى أمر مال النائبة أراده محمد بن أوس لأصحابه ومنعه الحسين ، وتجاريا فى ذلك كلامًا غلظ بينهما ، فخرج محمد متنكراً ؛ فلما كان الغد من ذلك اليوم غدَا محمد بن أوس إلى دار سليمان ، وغدا الحسين بن إسماعيل والشاه بن ميكال مولى طاهر ، وحضر الناس باب سليمان ؛ وكان[٢] بين مَنْ حضر من أصحاب ابن أوس وبين النائبة محادثة ، علت فيها الأصوات ؛ فتبادر أصحابُ ابن أوس والقادمون إلى الجزيرة ، وعبر إليهم ابن أوس وولده ؛ وتصايح الناس بالسلاح ، وخرج الحسين بن إسماعيل والشاه بن ميكال والمظفر ابن سيسل فى أصحابهم ، وصاح الناس بالعامة : مَنْ أراد النَّهب فليلحق بنا ؛ فقيل : إنه عبر الجسرين من العامة فى ذلك الوقت مائة ألف إنسان فى الزَّواريق ، وتوافَى الجند والشاكرية بالسلاح ؛ فوافى أوائل الناس الجزيرة ؛ فلم يكن إلاّ قدر اللحظة حتى حمل رجل من أهل سَرَخس على الكبير من ولد محمد بن أوس ، وطعنه ، فأرْداه عن شهرىّ كان تحته ؛ ثم أخذته السيوف فانهزم عنه أصحابه ، فلم يعمل أحد منهم شيئًا ، وسُلب الجريح وحمل فى زورق ، حتى عُبِر به إلى دار سليمان بن عبد الله بن طاهر ، فألقى هناك . ١٧٣٠/٣

فذكر بعضُ مَنْ حضر سليمانَ ، أنه لما رآه اغرورقت عيناه من الدمع ، ومهّد له ، وأحضِر له الأطباء ، ومضى ابن أوس من وجهه[٣] إلى منزله ؛ وكان ينزل فى دار لآل أحمد بن صالح بن شيرزاد بالدّور ، مما يلى قصر جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك . وجدّ أهلُ بغداد فى آثارهم والقوّاد معهم حتى تلقوْهم[٤] ، فكانت بينهم وقعة بالدور ؛ أولها فى آخر الساعة الثانية وآخرها فى أوّل الساعة السابعة ؛ فلم يزالوا يتراشقُون بالنّشاب ، ويتطاعنون بالرِّماح ، ويتخابطون بالسيوف . وأعان ابنَ أوس جيرانه من أهل سويقة قُطوطا وأصحاب الزَّواريق من ملاّحى الدور . واشتدّت الحرب ، ووجّه أهلُ بغداد يطلبون نفّاطين ١٧٣١/٣

---

(١) ف : « تخلص » .
(٢) ب ، ف : « فكانت » .
(٣) ف : « فوره » .
(٤) ب : « حتى يلقوهم » .

من دار سليمان[١] . فذكروا أنّ حاجبه دخل ، فأعلمه ذلك ؛ فأمر بمنعهم منه ؛ وقاتل ابنُ أوس قتالا شديدًا ، فناله جِراحٌ من سهام وطعن ، فانهزم وأصحابه ؛ وقد كان أخرج حرمه من داره؛ فلم يزل أهلُ بغداد يتبعونهم حتى أخرجوهم من باب الشّماسية ، ووصل الناس إلى منزل ابن أوس ؛ فانتهبوا جميعَ ما كان فيه ؛ فذُكِر أنه انتهب له بقيمة ألفى ألف درهم ؛ والمقلّل يقول : ألف ألف وخمسين ألفًا ؛ وأنه انتهب له زُهاء مائة سراويل مبطّن بسمّور ؛ سوى ما كان مبطّناً بغيره من الوبَر مما يشاكل ذلك ؛ وانتهب له من الفرش الطبرىّ الخام والمقصور والمدرج والمقطوع ما يكون قيمته ألف ألف درهم ؛ وانصرف الناس ، فجعل الجند يدخلون دار سليمان ، وهم يكبّرون[٢] ، ومعهم النهب وهم يصيحون ، وما لهم مانع ولا زاجر. وأقام ابنُ أوس ليلتَه تلك بالشّماسيّة مع من لحق به من أصحابه . وقد كان أهل بغداد وثبوا بمنازل الصّعاليك التى كانوا فيها سكّانًا ، فنهبوها ، وتعرّضوا لمن كان تخلّف منهم ، فتلاحق القومُ هُرّابًا ، ولم يبق منهم فى اليوم الثانى ببغداد أحد ظاهراً .

١٧٣٢/٣

فذُكر أنّ سليمان وجّه تلك الليلة الى ابن أوْس ثيابًا وفرشًا وطعامًا ؛ فيقال : إنّ محمداً قبِله ، وقيل : إنه ردّه . وأصبح الناس فى اليوم الثانى وغدا الُحسين بن إسماعيل والمظفر بن سيسل إلى دار الشاه بن ميكال ، ولحق به وجوهُ الشاكرية والنائبة وغيرهم ؛ فأقاموا هناك مُراغمين سليمان بن عبد الله بن طاهر . وخلت دار سليمان فلم يحضرها الا جُميّعة . فبعث إليهم سليمان مع محمّد بن نصر بن حمزة بن مالك الخُزاعىّ ، وهو لا يعلم ما عليه عقد القوم ، يُعلمهم قبح[٣] ما ركبوا من محمد بن أوس ، وما يجب لمحمد بحُرمته وقديمه ، وأنّهم لو أنهوْا إليه ما أنكروا منه لتقدّم فى ذلك بما يكفيهم معه الحال التى ركِبوها ، فضجّ الشاكريّة الذين حضروا دار الشاه جميعًا وقالوا : لا نرضى بمجاورة ابن أوس ولا بمجاورة أحدٍ من أصحابه ولا من الصعاليك المنضمين إليه ؛ وإنهم إن

١٧٣٣/٣

(١) ف : « نفاطين من أهل بغداد من عند دار سليمان » .
(٢) ف : « يكبرون » .
(٣) س ، ف : « قبيح » .

أكرهوا على ذلك تعاقدوا مباينته ، وخلع مَنْ يسومهم إياه ، وأحال الشاه بن ميكال والحسين بن إسماعيل والمظفّر بن سيسل على كراهة القوم ، فرجع الرّسول بذلك إلى سليمان ، فردّه إليهم بكلام دون ذلك ، ووعدهم وقال : أنا أثق بقولكم وضمانكم[1] دون أيمانكم وعهودكم . ثمّ استوى جالسًا .

وذكر أنه لم يزل مستثقلا[2] محمد بن أوس ومَنْ لحق به من الصعاليك وغيرهم ، عارفًا بسوء رغبتهم ورداءة مذاهبهم ، وبسَوْم محمد بن أوس فى نفسه خاصّة ومحبّته وشروعه فى كلّ ما دعا إلى خلاف وفرقة ، وأسبغ هذا المعنى ، وكثّر فيه حتى خرج به إلى الإغراق فيه ؛ إلى أن قال : لقد كنت أدخِلُ فى قُنوتى فى الصلاة طلب الراحة من ابن أوس . ثم التفت إلى محمد بن علىّ بن طاهر ، فأمره بالمصير إلى ابن أوس ، والتقدّم إليه فى العزم على الانصراف إلى خُراسان ، وأن يعلمَه أنه لا سبيل له إلى الرجوع[3] إلى مدينة السلام ؛ ولا إلى تولّى شىء من الأمور التى يتولاّها لسليمان . ١٧٣٤/٣

فلمّا تناهى الخبرُ إلى ابن أوْس رحل من الشّمّاسيّة ، فصار فى رَقّة البرَدان على دجْلَة ، فأقام بها أيامًا حتى اجتمع إليه مَنْ تفرّق من أصحابه ، ثم رحل فنزل النّهروان ؛ فلم يزل بها مقيمًا . وقد كان كتب إلى بايكباك وصالح ابن وصيف يعرِض عليهما نفسه ، ويشكو إليهما ما نزل به ؛ فلم يجد عندهما شيئًا مما قصد ؛ وقد كان محمد بن عيسى بن عبد الرحمن مقيمًا بسامرّا لينجز أمورَ سليمان ، وكان كارهًا لابن أوْس ، منحرفًا عنه . وكان ابن أوْس مضطرب الأمر لسوء مَحْضر محمد بن عيسى الكاتب ؛ فلما انقطعت عن ابن أوس وأصحابه المادّة ، تعبّثوا بأهل القُرى والسابلة ، وأكثروا الغارات والنهب ، ورحل حتى نزل النّهروان .

فذُكر عن بعض مَنْ قصدوه لينتهبوه ، فذكّرهم المعاد ، وخوّفهم الله أنهم ردّوا عليه أن قالوا له : إن كان النهب والقتل جائزاً فى مدينة السلام ؛ وهى قبّة الإسلام ، ودار عز السلطان ، فما استنكارُ ذلك فى الصحارى والبرارى !

---

(١) ف : « وكلامكم » .
(٢) س ، ف : « مستقبلا » .
(٣) س : « رجوعه » .

ثم رحل ابنُ أوس عن النّهروان بعد أن أثّر فى تلك الناحية آثاراً قبيحة، وأخذ أهلَ البلاد بأداء الأموال، وحمل منها الطعام[1] فى السفن فى بطن النّهروان إلى إسكاف بنى جنيد لبيعه هناك.

٣/١٧٣٥

وكان محمد بن المظفّر بن سيسل بالمدائن، فلمّا بلغه مصيرُ ابنِ أوس إلى النّهروان صيّر إقامته بالنّعمانية من عمل الزوابى خوفاً على نفسه منه لحضور أبيه كان فى يوم الوقعة.

فذُكِر عن محمد بن نصر بن منصور بن بسام — وعبرتا ضيعتُه — أنّ وكيله انصرف عنها هارباً بعد أن أدّى إلى ابن أوس تحت العذاب وخوف الموت قريباً من ألف وخمسمائة دينار؛ ولم يزل ابن أوس مقيماً هناك، يقرّب ويباعد، ويقبض ويبسط، ويشتدّ ويلين، ويرهب؛ حتى أتاه كتاب بايكباك بولاية طريق خراسان من قِبَله؛ فكان من وقت خروجه من مدينة السلام إلى وقت ورود الكتاب عليه بالولاية شهران وخمسة عشر يوماً.

وذُكر عن بعض ولد عاصم بن يونس العِجلىّ أن أباه كان يتولّى ضياعاً للنوشرىّ بناحية طريق خُراسان، وأنه كتب الى النوشرىّ يذكر ما عاين من قُوّة عسكر ابن أوس وظاهر عدتهم، ويشير بأن يذكر ذلك لبايكباك، ويصف خلاء طريق خُراسان من سلطان يتولاّه ويحوط أهلَه[2]، وأنّ هذا عسكر مشحونٌ بالرّجال والعُدّة والعتاد، مقيم فى العمل، وأن النوشرى ذكر ذلك لبايكباك، وأشار عليه بتوليته طريق خراسان، وتخفيف المؤنة عن السلطان[3]، فقبِل ما أشار به عليه، وأمر بكتُبه فكتبت، وولّى طريق خراسان فى ذى القعدة من هذه السنة — وهى سنة خمس وخمسين ومائتين — وكان موسى خليفة مساور ابن عبد الحميد الشارى مقيماً بالدّسكرة ونواحيها فى زهاء ثلثمائة رجل، قد ولاّه مُساور ما بين حُلوان إلى السوس على طريق خُراسان وبطن جُوخى وما قرب ذلك من طساسيج السواد.

٣/١٧٣٦

* * *

(١) بعدها فى ف: «جملة».
(٢) ف: «ويحيط أمره»
(٣) ف: «على السلطان».

وفيها أمر المهتدى بإخراج القيان والمغنين والمغنيات من سامُرّا ونفيهم منها إلى بغداد ؛ بعد أمر كان قد تقدّم من قبيحة فى ذلك قبل أن ينزل بابنها ما نزل ، وأمر بقتل السباع التى كانت فى دار السلطان وطَرْد الكلاب وإبطال الملاهى وردّ المظالم ، وجلس لذلك للعامة ، وكانت ولايته والدّنيا كلها من أرض الإسلام مفتونة .

* * *

[ذكر خبر استيلاء مفلح على طبرستان ثمّ انصرافه عنها]

وفيها شخص موسى بن بغا ومَنْ معه من الموالى وجند السلطان من الرّىّ وانصرف مُفلح عن طبرستان بعد أن دخلها ، وهزم الحسن بن زيد ، وأخرجه عنها إلى أرض الديلم .

* ذكر الخبر عن شخوصه عنها :

١٧٣٧/٣ ذُكِر أنّ السبب فى ذلك أنّ قبيحة أمّ المعتزّ، لمّا رأت من الأتراك اضطراباً، وأنكرت أمرَهم ، كتبت إلى موسى بن بغا تسأله القدومَ إلى ما قِبَلها ، وأمّلت وروده[1] عليها قبل حدوث ما حدث عليها وعلى ابنها المعتزّ ، فعزم موسى على الانصراف إليها ، وكان ورودُ كتابِها عليه ومُفلح بطبرستان . فكتب[2] موسى إلى مفلح يأمره بالانصراف إليها وهو بالرّىّ، فحدّثنى بعض أصحابنا[3] من أهل طَبرستان ، أنّ كتاب موسى ورد على مُفلح بذلك ، وقد توجّه نحو أرض الدّيْلم فى طلب الحسن بن زيد الطالبىّ . فلما ورد عليه الكتابُ انصرف راجعًا إلى حيث توجه منه ، فعظم ذلك على قوم كانوا معه من رؤساء أهل طَبَرِستان ممن كان هاربًا قبل مقدم مُفلح عليهم من الحسن ابن زيد ، لمَا كانوا قد رجوْا من مقدمه عليهم وكفايتهم أمرَ الحسن بن زيد والرجوع إلى منازلهم وأوطانهم ؛ وذلك أنّ مفلحًا كان يعدُهم اتّباع الحسن ابن زيد حيث توجّه حتى يظفر به أو يُخترَم دونه ، ويقول لهم — فيما ذكر لى —

---

(١) ف : « قدومه » .
(٢) كذا فى ب ، وفى ط : « وكتب » .
(٣) ف : « أصحابه » .

لو رميتُ قلنسوتى فى أرض الدّيلم ما اجترأ أحد منهم أن يدنُوَ منها . فلما رأى القوم انصرافَه عن الوجه الذى توجّه له من غير عسكر للحسن بن زيد، ولا أحد من الديلم صدّه ، سألوه — فيما ذكر لى — عن السبب الذى صرَفه عما كان يعدُهم به من اتّباع ابن زيد ، وجعلوا يكلمونه — فيما أخبرت — وهو كالمسبوت[1] لا يجيبهم بشىء ؛ فلما أكثروا عليه قال لهم : ورد علىّ كتاب الأمير ٣/١٧٣٨ موسى بعزمة منه ألاّ أضع كتابه من يدى بعد ما يصل إلىّ حتى أقبِلَ إليه . وأنا مغموم بأمركم ؛ ولكن لا سبيل إلى مخالفة الأمير . فلم يتهيأ لموسى الشخوص من الرّىّ إلى سامرّا حتى وافاه الكتاب بهلاك المعتزّ وقيام المهتدى بعده بالأمر ، ففثأه[2] ذلك عمّا كان عزم عليه من الشخوص ، لفوته ما قدّر إدراكه من أمر المعتزّ .

ولمّا وردتْ عليه بيعة المهتدى ، امتنع أصحابه عليه من بيعته ، ثم بايعوا . فورد خبر بيعتهم سامُرّا لثلاث عشرة خلت من شهر رمضان من هذه السنة .

ثم إنّ الموالىَ الذين فى عسكر موسى بلغهم ما استخرج صالح بن وصيف من أموال الكتّاب وأسباب المعتزّ والمتوكل ، فشحّوا بذلك على المقيمين بسامُرّا ؛ فدعوا موسى إلى الانصراف بهم إلى سامُرّا .

وقدم مفلح على موسى بالرّىّ تاركًا طبرستان على الحسن بن زيد ، فذكر عن القاشانىّ أنه قال : كتب إلىّ ابن أخى من الرّىّ يذكر أنه لقى مفلحاً بالرّىّ ، فسأله عن سبب انصرافه فذكر أن الموالى قد أبوا أن يقيموا ، وأنهم إذا انصرفوا لم يُغنِ مقامه شيئًا .

ثم إن موسى افتتح خراج سنة ست وخمسين ومائتين يوم الأحد مستهلّ شهر رمضان سنة ستٍّ وخمسين ومائتين ، فاجتبى — فيما ذكر — فى يوم الأحد قدر خمسمائة ألف درهم ، فاجتمع أهل الرىّ ، فقالوا ، أعزّ الله الأمير! ٣/١٧٣٩ إنك تزعم أنّ الموالى يرجعون إلى سامُرّا لما يقدّرونه من كثرة العطاء هناك ، وأنت وأصحابُك فى أكثر وأوسع مما القوم هناك فيه ؛ فإن رأيتَ أن تسدّ هذا الثغر ، وتحتسب فى أهله[3] الأجر والثواب[3] ، وتلزمنا من خراجنا فى خاصّ أموالنا لمن معك ما ترى أن[4] نحتمله فعلت . فلم يُجبهم إلى ما سألوا ، فقالوا :

(١) المسبوت : الميت .
(٢) فثأه : كفه .
(٣– ٣) ف : « الثواب » .
(٤) ف : « أننا » .

أصلح الله الأمير ! فإذا كان الأمير عزم على تركنا ، والانصراف عنا ، فما معنى أخذنا بالخراج لسنة لم نبتدئ بعمارتها ؛ وأكثر غلة سنة خمس وخمسين ومائتين ، التى قد أخذ الأمير خراجها فى الصحارى لا يمكننا الوصول إليها إن رحل الأمير عنا ! فلم يلتفت إلى شىء مما وصفوه له ، وسألوه إياه .

واتصل خبرُ انصرافه بالمهتدى ، فكتب إليه فى ذلك كتباً كثيرة ، لم تؤثر أثراً . فلما انتهى إليه قفول موسى من الرّىّ ، ولم تغن الكتب شيئًا وجّه رجلين من بنى هاشم ، يقال لأحدهما عبد الصمد بن موسى ، ويعرف الآخر بأبى عيسى يحيى بن إسحاق بن موسى بن عيسى بن علىّ بن عبدالله بن عباس ، وحمّلا[1] رسالة إلى موسى وإلى من ضمّ عسكره من الموالى، يصدقهم فيها عن الحال بالحضْرة وضيق الأموال بها ، وما يُحاذر من ذهاب ما يخلفونه وراء ظهورهم ، وغلبة الطالبيين عليه واتساع آثارهم إلى ناحية الجبل . فشخص ٣/١٧٤٠ بذلك الهاشميان فى جماعة من الموالى [وأتباعهم من الديلم][2] ، وأقبل موسى ومن معه وصالح بن وصيف فى ذلك يعظم على المهتدى انصرافه ، وينسبه إلى المعصية والخلاف ، ويبتهل عليه فى أكثر ذلك ، ويبرأ إلى الله من فعله .

فذكر أن كتاب صاحب البريد بهمذان لمّا ورد على المهتدى بفصول موسى عنها ، رفع المهتدى يديه إلى السماء ، ثم قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : اللهمّ إنى أبرأ إليك من فعل موسى بن بُغا وإخلاله بالثّغر وإباحته العدوّ ؛ فإنى قد أعذرت إليه فيما بينى وبينه . اللهم تولّ كيد مَنْ كايد المسلمين ، اللهم انصر جيوش المسلمين حيث كانوا ، اللهم إنى شاخص بنيّتى واختيارى إلى حيث نكب المسلمون فيه، ناصراً لهم ودافعًا عنهم . اللهمّ فآجرْنى بنيّتى إذ عدمتُ صالحَ الأعوان ! ثم انحدرتْ دموعه يبكى .

وذكر عن بعض من حضر المهتدى فى بعض مجالسه التى يقول فيها هذا القول ، وحضره سليمان بن وهب ، فقال : أيأمرنى أميرُ المؤمنين أن أكتب إلى موسى بما أسمع منه ؟ فقال له : نعم ، اكتب بما تسمعُ منى ؛ وإن أمكنك ٣/١٧٤١ أن تنقشه فى الصخر[3] فافعل. فلقيه[4] الهاشميان فى الطريق، ولم يُغنيا شيئًا ،

---

(١) ب « وحملهما » . (٢) من ا .
(٣) ف : « على الصخر » . (٤) ط : « فلقياه » .

وضجّ الموالى ، وكادوا يثبون بالرّسل ، ورد موسى فى جواب الرّسالة يعتذر بتخلّف من معه عن الرجوع إلى قوله دون ورود باب أمير المؤمنين ، وأنه إن رام التخلف عنهم لم يأمنهم على نفسه ، ويحتجّ بما عاين الرّسل الموجهون إليه . فورد الرسل بذلك ، وأوفد مع الرسل موسى وفداً من عسكره ، فوافوا سامرّا لأربع خلوْن من المحرّم سنة ست وخمسين ومائتين .

* * *

[ذكر الخبر عن مفارقة كنجور علىّ بن الحسين بن قريش]

وفى هذه السنة فارق كنجور علىّ بن الحسين بن قريش ، وكان قد نُفِىَ أيام المعتزل إلى فارس ، فوكل به علىّ بن الحسين ، وحبسه ؛ فلما أراد علىّ ابن الحسين محاربة يعقوب بن الليث أخرجه من الحبس ، وضمّ إليه خيلا ورجالا ، فلما انهزم الناس عن علىّ بن الحسين لحق كنجور بناحية الأهواز ، فأثّر فى ناحية رامهرمز أثراً[1] ، ثم لحق بابن أبى دُلف ، فوافاه بهمذان ، وأساء السيرة فى أسباب[2] وصيف وضياعه ووكلائه فى تلك الناحية ، ثم لحق بعد ذلك بعسكر موسى . فلما أقبل موسى فيمن ضمه العسكر ، بلغ ذلك صالحاً ، فكتب عن المهتدى فى حمل كنجور إلى الباب مقيّداً ، فأبى ذلك الموالى ، ثم لم تزل الكتب تختلف فيه إلى أن نزل العسكر القاطول . ثم ظهر أن صالحاً قعد لمراغمته ، وأنّ موسى ترحّل إلى سامرّا على المباينة لصالح ومن مال إليه ، ولحق بايكباك بعسكر موسى ، وأقام موسى هناك يومين . ووجّه المهتدى إليه أخاه إبراهيم لأمه فى أمر كنجور يعلمه أنّ الموالى بسامرا قد أبوْا أن يقارّوا على دخول كنجور ، ويأمره بتقييده وحمله إلى مدينة السلام ؛ فلم يتهيأ فى ذلك ما قدّره[3] صالح ، وكان جوابهم أن قالوا : إذا دخلنا سامرّا امتثلنا ما أمر به أمير المؤمنين فى كنجور وغيره .

١٧٤٢/٣

* * *

---

(١) ا : «آثاراً قبيحة» . (٢) س : « أصحاب » . (٣) س : « ما قدر » .

خروج أول علوىّ بالبصرة

وللنصف من شوّال من هذه السنة ، ظهر فى فُرات البصرة رجل زعم أنه علىّ بن محمد بن أحمد بن علىّ بن عيسى بن زيد بن علىّ بن الحسين ابن علىّ بن أبى طالب ، وجمع إليه الزّنج الذين كانوا يكسحون السِّباخَ ، ثم عبر دِجلة ، فنزل الدّيناريّ .

* ذكر الخبر عن أمره والسبب الذى بعثه على الخروج هنالك :

وكان اسمه ونسبه — فيما ذُكر — علىّ بن محمد بن عبد الرحيم ، ونسبُه فى عبد القَيْس ، وأمه قرّة ابنة علىّ بن رحيب بن محمد بن حكيم ، من بنى أسد ابن خزيمة ، من ساكنى قرية من قرى الرّى ، يقال لها وَرْزَنين ، بها مولده ومنشؤه ؛ فذُكر عنه أنه كان يقول : جدّى محمد بن حكيم من أهل الكوفة أحد الخارجين على هشام بن عبد الملك مع زيد بن علىّ بن الحسين . فلما قُتل زيد هرب فلحق بالرّىّ ، فلجأ الى وَرْزَنين ، فأقام بها . وإن أبا أبيه عبد الرحيم رجلٌ من عبد القيس ، كان مولده بالطالقان ، وأنه قدم العراق فأقام بها ، واشترى جارية سنديّة ، فأولدها محمداً أباه ؛ فهو علىّ بن محمد هذا ، وأنه كان متصلا قبل بجماعة من آل المنتصر ؛ منهم غانم الشطرنجىّ وسعيد الصغير ويُسْر الخادم ؛ وكان منهم معاشه ومن قوم من أصحاب السلطان وكتّابه يمدحهم ويستميحهم بشعره . (١٧٤٣/٣)

ثم إنه شخص — فيما ذُكر — من سامرّا سنة تسع وأربعين ومائتين إلى البحرين ، فادّعى بها أنه علىّ بن محمد بن الفضل بن حسن بن عبيد الله بن العباس بن علىّ بن أبى طالب ، ودعا الناس بهجر إلى طاعته ، واتّبعه جماعة كثيرة من أهلها ، وأبته جماعة أخَر ؛ فكانت بسببه بين الذين اتبعوه والذين أَبَوْهُ عصبية قُتِلت بينهم جماعة ، فانتقل عنهم لما حدث ذلك إلى الأحساء ، وضوى إلى حىّ من بنى تميم ثم من بنى سعد ، يقال لهم بنو الشّماس ؛ فكان بينهم مقامه. وقد كان أهل البحرين أحلّوه من أنفسهم محلّ النبىّ — فيما ذكر — حتى جُبىَ له الخراج هنالك ونفذ حكمه بينهم ، وقاتلوا أسباب السلطان بسببه وتِر منهم جماعة كثيرة ، فتنكّروا له ، فتحوّل عنهم إلى البادية . (١٧٤٤/٣)

ولما انتقل إلى البادية صحبه جماعة من أهل البحرين ، منهم رجل كيّال من أهل الأحْساء، يقال له يحيى بن محمد الأزرق المعروف بالبَحْرانىّ ، مولى لبنى دارم ويحيى بن أبى ثعلب ، وكان تاجراً من أهل هَجَر، وبعضُ موالى بنى حنظلة أسود يقال له سليمان بن جامع ؛ وهو قائد جيشه ، ثم كان ينتقل فى البادية من حىّ إلى حىّ .

فذكر عنه أنه كان يقول : أوتيت فى تلك الأيام آيات من آيات إمامتى ظاهرة للناس؛ منها — فيما ذكر عنه — أنه قال : إنى لُقِّيتُ سُوَرًا من القرآن لا أحفظها ، فجرى بها لسانى فى ساعة واحدة ، منها سبحان والكهف وص . قال : ومن ذلك أنى لقيت نفسى على فراشى ، فجعلت أفكر فى الموضع الذى أقصد له ، وأجعل مقامى به ؛ إذ نَبَتْ بى البادية ، وضقت بسوء طاعة أهلها ، فأظلتْنى سحابة ، فبرقت ورعدت ، واتّصل صوت الرّعد منها بسمعى ، فخُوطبتُ فيه ، فقيل : اقصد البصرة ، فقلت لأصحابى وهم يكتنفوننى[1] : إنى أُمرت بصوت هذا الرّعد بالمصير إلى البصرة . ١٧٤٥/٣

وذكر أنه عند مصيره إلى البادية أوْهم أهلها أنه يحيى بن عمر أبو الحسين المقتول بناحية الكوفة، فاختدع بذلك قومًا منهم ؛ حتى اجتمع بها منهم جماعة كثيرة ، فزحف بهم إلى موضع بالبحرين يقال له الرّدْم ، فكانت بينهم وقعة عظيمة، كانت الدائرة فيها عليه وعلى أصحابه ، قُتلوا[2] فيها قتلا ذريعًا ، فنفرت عنه العرب وكرهتْه ، وتجنّبت صحبته . فلما تفرّقت عنه العرب ، ونبت به البادية ، شخص عنها إلى البصرة ، فنزل بها فى بنى ضُبيعة ، فاتّبعه بها جماعة ؛منهم علىّ بن أبان المعروف بالمهلبىّ وأخواه محمد والخليل وغيرهم . وكان قدومه البصرة فى سنة أربع وخمسين ومائتين ،ومحمد بن رجاء الحضارىّ عامل السلطان بها ، ووافق ذلك فتنةُ أهل البصرة بالبلالية والسعدية ، فطمع فى أحد الفريقين أن يميل إليه، فأمر أربعة نفر من أصحابه ، فخرجوا بمسجد عبّاد، أحدهم يسمى محمد بن سلْم القصاب الهجرىّ ، والآخر بُرَيْش القُرَيعىّ، والثالث علىّ الضرّاب ، والرابع الحسين الصيدنانىّ ؛ وهم الذين كانوا صحبوه

---

(١) ا : « مطيفون بى » . (٢) و : « فقتلوا » .

١٧٤٦/٣ بالبحرين ، فدعوا إليه[1] ، فلم يجبه من أهل البلد أحد، وثاب إليهم الجند، فتفرّقوا ولم يظفر بأحد منهم . فخرج من البصرة هاربًا ، فطلبه ابن رجاء فلم يقدِرْ عليه ، وأُخْبِر[2] ابن رجاء بميل جماعة من أهل البصرة إليه ، فأخذهم فحبسهم ؛ فكان فيمن حبس يحيي بن أبي ثعلب ومحمد بن الحسن الأيادىّ وابن صاحب الزّنْج علىّ بن محمد الأكبر وزوجتُه أمّ ابنه ومعها ابنة له وجارية حامل ، فحبسهم ومضى هو لوجهه يريد بغداد، ومعه من أصحابه محمد بن سلْم ويحيي بن محمد وسليمان بن جامع وبُريش القريعىّ. فلما صاروا بالبَطيحة نذِر بهم بعض موالى الباهليّين ، كان يلى أمر البَطيحة، يقال له عُمَير بن عمار، فأخذهم وحملهم إلى محمد بن أبى عَوْن ، وهو عامل السلطان بواسط ، فاحتال لابن أبى عَوْن حتى تخلّص هو وأصحابه من يده، ثم صار إلى مدينة السلام، فأقام بها حَوْلاً ، وانتسب فيها إلى أحمد بن عيسى بن زيد ؛ وكان يزعم أنه ظهر له أيام مقامه بها آيات ، وعرف ما فى ضمائر أصحابه ، وما يفعله كلّ واحد منهم ؛ وأنه سأل ربّه بها آيةً أن يعلم حقيقة أمره ، فرأى كتابًا يُكتب له ، وهو ينظر إليه على حائط ، ولا يرى شخص كاتبه .

وذكر عن بعض تُبّاعه أنه بمقامه بمدينة السلام استمال جماعةً ، منهم جعفر بن محمد الصُّوحانىّ — كان ينتسب إلى زيد بن صُوحان — ومحمد بن القاسم وغلاما يحيي بن عبد الرحمن بن خاقان : مشرق ورفيق ؛ فسمّى مشرقًا حمزة ١٧٤٧/٣ وكنّاه أبا أحمد ، وسمّى رفيقاً جعفراً وكناه أبا الفضل. ثم لم[3] يزل عامه ذلك بمدينة السلام[4] حتى عُزِل محمد بن رجاء عن البصرة ، فخرج عنها ، فوثب رؤساء الفتنة من البلاليّة والسعدية ، ففتحوا المحابس، وأطلقوا مَنْ كان فيها ؛ فتخلّصوا فيمن تخلّص. فلما بلغه خلاصُ أهله ، شخص إلى البصرة ، فكان رجوعه إليها فى شهر رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين ، ومعه علىّ بن أبان — وقد كان[5] لحق به وهو بمدينة السلام — ويحيي بن محمد ، ومحمد بن سلم ، وسليمان بن جامع ، وغلاما يحيي بن عبد الرحمن: مشرق ورفيق ؛ وكان يحضر

(١) س : « فذهبوا » . (٢) س : « فأخبر » .
(٣) ف : « ولم » . (٤) ف : « فى مدينة » . (٥) س : «وكان» .

هؤلاء الستة رجلٌ من الجند يكنى أبا يعقوب ، ولقّب نفسه بعد ذلك بُجرْبان، فساروا جميعًا حتى وافوْا برنخل ، فنزلوا قصراً هنالك يعرف بقصر القرشيّ ، على نهر يعرف بعمود ابن المنجم ؛ كان بنو موسى بن المنجم احتفروه ؛ وأظهر أنه وكيل لولد الواثق فى بيع السباخ ، وأمر أصحابه أن ينْتحلوه ذلك ، فأقام هنالك .

فذُكر عن ريحان بن صالح أحد غلمان الشُّورَجيّين — وهو أوّل من صحبه منهم — أنه قال : كنت موكلا بغلمان مولاى ، أنقل الدقيق إليهم من ٣/١٧٤٨ البصرة ، وأفرّقه فيهم ، فحملت ذلك إليهم كما كنت أفعل ، فمررت به وهو مقيم ببرنخل فى قصر القرشيّ ، فأخذنى أصحابه، فصاروا بى إليه ، وأمرونى بالتسليم عليه بالإمْرة ، ففعلت ذلك ، فسألنى عن الموضع الذى جئتُ منه ، فأخبرته أنى أقبلت من البصرة ، فقال : هل سمعتَ لنا بالبصرة خبراً ؟ قلت : لا ، قال : فما خبر الزينبيّ ؟ قلت : لا علم لى به ، قال : فخبر البلاليّة والسعديّة ؟ قلت : ولا أعرف أخبارهم أيضاً ، فسألنى عن أخبار غلمان الشُّورجيّين وما يجرى لكلّ غلام منهم من الدقيق والسويق والتمر وعمّن يعمل فى الشورج من الأحرار والعبيد ، فأعلمته ذلك ، فدعانى إلى ما هو عليه ، فأجبته ، فقال لى : احتَلْ فيمن قدرت عليه من الغلمان ، فأقبلْ بهم إلىّ . ووعدنى أن يقوّدنى على من آتيه به منهم ، وأن يحسن إلىّ ؛ واستحلفنى ألاّ أعلِم أحداً بموضعه ، وأن أرجع إليه . فخلّى سبيلى ، فأتيت بالدقيق الذى معى الموضع الذى كنت قصدته به ، وأقمت عنده يومى ، ثم رجعت إليه من غد ، فوافيته وقد قدم عليه رفيق غلام يحيى بن عبد الرحمن ، وكان وُجِّه إلى البصرة فى حوائج من حوائجه ، ووافاه بشبل بن سالم — وكان من غلمان الدّباسين — وبحريرة كان أمره بابتياعها ليتخذها لواء ؛ فكتب فيها بحمرة وخضرة : ﴿ إنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ المُؤْمِنينَ ٣/١٧٤٩ أَنْفُسَهُمْ وأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لهمُ الجنة يُقَاتِلُونَ فى سَبِيلِ اللَّهِ ﴾[١] ، إلى آخر الآية ، وكتب اسمه واسم أبيه ، وعلّقها فى رأس مُرْدِىّ[٢] ، وخرج فى السحر من ليلة السبت لليلتين بقيتا من شهر رمضان .

---

(١) سورة التوبة ١١١ . (٢) المردى : خشبة يدفع بها الملاح السفينة .

فلما صار إلى مؤخّر القصر الذى كان فيه ، لقيه غلمان رجل من الشورجيين يعرف بالعطار ، متوجّهين إلى أعمالهم[١] ، فأمر بأخذهم فأخذوا ، وكُتّف وكيلهم ، وأخذ معهم ، وكانوا خمسين غلاماً ، ثم صار إلى الموضع الذى يعمل فيه السّنائىّ ، فأخذ منه خمسمائة غلام ، فيهم المعروف بأبى حُدَيد ، وأمر بوكيلهم فأخذ معهم مكتوفاً ، وكانوا فى نهر يعرف بنهر المكاثر ، ثم مضى إلى موضع السيرافىّ ، فأخذ منه خمسين ومائة غلام ، فيهم زُرَيق وأبو الخنجر. ثم صار إلى موضع ابن عطاء ، فأخذ طريقًا وصبيحاً الأعسر وراشداً المغربىّ وراشداً القرماطىّ ، وأخذ معهم ثمانين غلاماً . ثم أتى موضع إسماعيل المعروف بغلام سَهْل الطحان ، ثم لم يزل يفعل ذلك كذلك فى يومه ، حتى اجتمع إليه بشر كثير من غلمان الشورجيّين ، ثم جمعهم وقام فيهم خطيبًا ، فمنّاهم ووعدهم أن يقودهم ويرأسهم ، ويملّكهم الأموال ، وحلف لهم الأيمان الغلاظ ألاّ يغدر بهم ، ولا يخذلهم ، ولا يدع[٢] شيئًا من الإحسان إلاّ أتى إليهم . ثم دعا مواليهم ، فقال : قد أردت ضرب أعناقكم لِمَا كنتم تأتون إلى هؤلاء الغلمان الذين استضعفتموهم وقهرتموهم ، وفعلتم بهم ما حرّم الله عليكم أن تفعلوه بهم ، وجعلتم عليهم ما لا يُطيقون ، فكلمنى أصحابى فيكم ، فرأيت إطلاقكم ، فقالوا : إنّ هؤلاء الغلمان أُبّاق ، وهم يهربُون منك فلا يُبقون عليك ولا علينا ، فخذ منا مالاً وأطلقهم لنا . فأمر غلمانهم فأحضروا شَطْبًا[٣] ثم بَطَح كلّ قوم مولاهم ووكيلهم ، فضرب كلّ رجل منهم خمسمائة شَطْبة ، وأحلفهم بطلاق نسائهم ألاّ يُعلموا أحداً بموضعه ، ولا بعدد أصحابه ، وأطلقهم . فمضوْا نحو البصرة .

1750/3

ومضى رجل منهم يقال له عبد الله ، ويعرف بكَرِيخَا ، حتى عَبَر دُجَيْلاً ، فأنذر الشورجيّين ليحرزوا غلمانهم ، وكان هناك خمسة عشر ألف غلام .

ثم سار بعد ما صلّى العصر حتى وافى دُجَيلا ، فوجد سفن سَمَاد تدخل فى المدّ ، فقدّمها ، فركب فيها ، وركب أصحابُه حتى عبروا دُجَيلا ،

---

(١) ب : « عمالهم » . (٢) ف : « لا يدع لهم شيئا » .

(٣) الشطب : السعف الأخضر الرطب من جريد النخل ، واحده شطبة .

وصاروا إلى نهر ميمون ، فنزل المسجد الذى فى وسط السوق الشارع على نهر ميمون ، وأقام هناك . ولم يزل ذلك دأبه ، يجتمع إليه السودان إلى يوم الفِطْر . فلما أصبح نادى فى أصحابه بالاجتماع لصلاة الفطر فاجتمعوا ، وركز المردىّ الذى عليه لواؤه ، وصلّى بهم وخطب خطبة ذكر فيها ما كانوا عليه من سوء الحال ، ١٧٥١/٣ وأن الله قد استنقذهم به من ذلك ، وأنه يريد أن يرفع أقدارهم ، ويملّكهم العبيد والأموال والمنازل ، ويبلغ بهم أعلى الأمور ، ثم حلف لهم على ذلك . فلما فرغ من صلاته وخطبته ، أمر الذين فهموا عنه قولَه أن يُفهِموه من لا فهم له من عجمهم ، لتطيب بذلك أنفسُهم . ففعلوا ذلك ، ودخل القصر . فلمّا كان بعد يوم قصد نهر بور ، فوافى جماعة من أصحابه هناك الحميرىّ فى جماعة ، فدفعوهم حتى أخرجوهم إلى الصحراء ، فلحقهم صاحب الزّنج فيمن معه ، فأوقع بالحميرىّ وأصحابه ، فانهزموا حتى صاروا إلى بطن دِجلة . واستأمن إليه رجل من رؤساء الزّنْج يكنى بأبى صالح ، يعرَف بالقصير ، فى ثلثمائة من الزّنج ، فمنّاهم ووعدهم .

فلما كثر مَن اجتمع إليه من الزّنج قوّد قواده ، وقال لهم : كلّ مَنْ أتى منكم برجل فهو مضموم إليه . وقيل إنه لم يقوّد قوّادَه إلاّ بعد مواقعه الحَوَل ببَيَان ومصيره إلى سَبخة القَنْدَل .

وكان ابنُ أبى عَون[1] نقِل عن ولاية واسط إلى ولاية الأبُلّة وكُور دِجلة ، فذُكِر أنه انتهى إليه فى اليوم الذى قوّد فيه قوّاده أن الحميرىّ وعَقيلا مع خليفة ابن أبى عون المقيم كان بالأبُلّة ، قد أقبلوا نحوه ، ونزلوا نهر طين ، فأمر أصحابه بالمصير إلى الرزيقية وهى فى مؤخّر الباذَاوَرْد ، فصار إليها فى وقت ١٧٥٢/٣ صلاة الظهر ، فصلوا بها ، واستعدُّوا للقتال ، وليس فى عسكره يومئذ إلا ثلاثة أسياف : سيفُه ، وسيف علىّ بن أبان ، وسيف محمد بن سلم . ونهض بأصحابه فيما بين الظهر والعصر راجعًا نحو المحمديّة ، وجعل علىّ بن أبان فى آخر أصحابه ، وأمره أن يعرف[2] خبر مَنْ يأتيه من ورائه ، وتقدّم فى أوائل الناس حتى وافى المحمدّية ، فقعد على النهر ، وأمر الناس فشربوا منه ، وتَوافَى إليه أصحابُه ، فقال له علىّ بن أبان : قد كنا نرى من ورائنا بارقةً ونسمع

(١) هو محمد بن أبى عون. (٢) ف «يتعرف».

حسّ قوم يتبعوننا ، فلسنا ندرى : أرجعوا عنا أم هم قاصدون إلينا ؟ فلم يستتمّ كلامه حتى لحق القوم ، وتنادى[1] الزنج السلاح ، فبدر مفرّج النوبىّ المكنى بأبى صالح ، وريحان ابن صالح ، وفتح الحجام — وكان فتْح يأكل — فلما نهض تناول طبقاً كان بين يديه ، وتقدّم أصحابه ، فلقيه رجل من الشورجيّين ، يقال له بلبل ، فلمّا رآه فتْح حمل عليه وحذَفه بالطبق الذى كان فى يده ، فرمى بلبل بسلاحه ، وولّى هارباً ، وانهزم أصحابه ، وكانوا أربعة آلاف رجل ، فذهبوا على وجوههم ، وقُتِل مَنْ قُتِل منهم ، ومات بعضهم عطشاً ، وأسِرَ منهم قوم ، فأتِىَ بهم صاحب الزّنج ، فأمر بضرب أعناقهم فضربت ، وحملت[2] الرءوس على بغال كان أخذَها من الشورجيّين ، ١٧٥٣/٣ كانت تنقل الشورج ؛ ومضى حتى وافى القادسيّة ؛ وذلك وقت[3] المغرب ، فخرج من القرية رجل من موالى بعض الهاشميين على أصحابه ، فقتل رجلاً من السودان ، فأتاه الخبر ، فقال له أصحابه : ائذن لنا فى انتهاب القرية وطلب قاتل صاحبنا ، فقال : لا سبيلَ إلى ذلك دون أن نعرف ما عند القوم ، وهل فعل القاتل ما فعل عن رأيهم ، ونسألهم أن يدفعوه إلينا ؛ فإن فعلوا وإلّا ساغ لنا قتالُهم .

وأعجلهم المسير ، فصاروا إلى نهر ميمون راجعين ، فأقام فى المسجد الذى كان أقام فيه فى بدأته وأمر بالرءوس المحمولة معه فنُصبت ، وأمر بالأذان أبا صالح النوبىّ فأذّن ، وسلم عليه بالإمْرَة ، فقام فصلى بأصحابه العشاء الآخرة ، وبات ليلته بها ، ثم مضى من الغد حتى مرّ بالكرخ فطواها ، وأتى قرية تعرف بجُبّى فى وقت صلاة الظهر ، فعبر دُجَيلا من مخاضَة دلّ عليها ، ولم يدخل القرية ، وأقام خارجاً منها ، وأرسل إلى مَنْ فيها ، فأتاه كبراؤهم وكبراء أهل الكَرْخ ، فأمرهم بإقامة الأنزال[4] له ولأصحابه[4] فأقيم له ما أراد ، وبات عندهم ليلته تلك ، فلما أصبح أهدى له رجل من أهل جُبّى فرساً كُميتاً ، فلم يجد سَرْجاً

---

(١) س : « ونادى » . (٢) س : « وجعلت » .
(٣) س : « فى وقت المغرب » .
(٤ — ٤) س : « لأصحابه » .

ولا لجاماً ، فركبه بحبل وسنّفه [1] بليف ، وسار حتى انتهى إلى المعروف بالعباسيّ العتيق ، فأخذ منه دليلا إلى السَّيب ، وهو نهر القرية المعروفة بالجعفريّة ، ونذِر به أهل القرية ، فهربوا عنها ، ودخلها فنزل دار جعفر بن سليمان وهى ٣/١٧٥٤ فى السوق، وتفرّق أصحابُه فى القرية ، فأتوْه برجل وجدُوه ، فسأله عن وكلاء الهاشميّين ، فأخبره أنهم فى الأجمة ، فوجّه الملقب بجُرْبان، فأتاه برئيسهم وهو يحيى بن يحيى المعروف بالزبيريّ أحد موالى الزياديّين ، فسأله عن المال ، فقال : لا مال عندى ، فأمر بضرب عنقه ، فلما خاف القتل أقرّ بشىء قد كان أخفاه ، فوجّه معه ، فأتاه بمائتى دينار وخمسين ديناراً وألف درهم ؛ فكان هذا أول ما صار إليه ، ثم سأله عن دوابّ وُكلاء الهاشميّين فدله على ثلاثة براذين : كُميت ، وأشقر ، وأشهب ؛ فدفع أحدها إلى ابن سلْم ، والآخر إلى يحيى ابن محمد ، وأعطى مُشْرقاً غلام يحيى بن عبد الرحمن الثالث .

وكان رفيق يركب بغلاً كان يحمل عليه الثَّقَل ، ووجد بعض السودان داراً لبعض بنى هاشم فيها سلاح ، فانتهبوه ، فجاء النوبىّ الصغير بسيف ، فأخذه صاحب الزّنج ، فدفعه إلى يحيى بن محمد ، فصار فى أيدى الزّنج سيوفٌ وبالات وزقايات وتِراس ، وبات ليلته تلك بالسَّيب ؛ فلما أصبح أتاه الخبر أن رُميساً والحميريّ وعَقيلا الأبُلّىّ قد وافوا السَّيب ، فوجّه يحيى ابن محمد فى خمسمائة رجل ، فيهم سليمان وريحان بن صالح وأبو صالح [2] النوبىّ الصغير ، فلقوا القوم فهزموهم ، وأخذوا سُمَيريّة [3] وسلاحاً ، وهرب ٣/١٧٥٥ مَنْ كان هنالك ، ورجع يحيى بن محمد فأخبره الخبر ، فأقام يومه ، وسار من غد يريد المذار ، بعد أن اتّخذ على أهل الجعفرية ألاّ يقاتلوه ، ولا يعينوا عليه أحداً ، ولا يستُروا عنه . فلما عبر السَّيب صار إلى قرية تعرف بقرية اليهود شارعة على دِجْلة ، فوافق هنالك رُمَيْساً فى جَمْع ، فلم يزل يقاتلهم

---

(١) سنفه : شده بالسناف ، والسناف : حبل يشد من التصدير إلى خلف الكركرة ؛ حتى يثبت التصدير .

(٢) هو أبو صالح القصير ، واسمه مفرج ، وانظر ص ٤١٥ .

(٣) السميرية : نوع من السفن النّهرية .

يومه ذلك ، وأسرَ من أصحابه عِدّة ، وعقر منهم جماعة بالنُّشاب . وقتِل غلام لمحمد بن أبى عون كان مع رُمَيْس ، وغرقت سميريّة كان فيها ملاّحُها ، فأخِذ وضربت عنقه ، وسار من ذلك الموضع يريد المذار . فلمّا صار إلى النهر المعروف بباب مداد جاوزه حتى أصحر ، فرأى بُستانًا ، وتلاًّ يعرف بجبل الشياطين ، فقصد للتلّ فقعد عليه ، وأثبت أصحابه فى الصحراء ، وجعل لنفسه طليعة .

فذُكر عن شبل أنه قال : أنا كنت طليعته على دِجْلة ، فأرسلت إليه أخبره أن رُميسًا بشاطئ دِجْلة يطلب رجُلاً يؤدّى عنه رسالة ، فوجّه إليه علىّ بن أبان ومحمد بن سلم وسليمان بن جامع ، فلما أتوْه قال لهم : اقرءوا على صاحبكم السلام ، وقولوا له : أنت آمن على نفسك حيث سلكت من الأرض ؛ لا يعرض لك أحدٌ ، واردد هؤلاء العبيد على مواليهم ، وآخذ لك عن كلّ رأس خمسة دنانير . فأتوْه فأعلموه ما قال لهم رُميس ، فغضب من ذلك وآلى[1] ليرجعنّ فليبقرنّ بطن امرأة رُميس ، وليحرقنّ داره ، وليخوضنّ الدماء هنالك . فانصرفوا إليه ، فأجابوه بما أُمِروا به ، فانصرف إلى مقابل الموضع الذى هو به من دِجْلة ، فأقام به ، فوافاه فى ذلك اليوم إبراهيم بن جعفر المعروف بالهمْدانىّ ؛ ولم يكن لحق به إلا فى ذلك الوقت ، ، وأتاه بكتب فقرأها ، فلما صلى العشاء الآخرة ، أتاه إبراهيم ، فقال له : ليس الرّأى لك إتيان المذار ، قال : فما الرأى ؟ قال : ترجع ، فقد بايع لك أهل عبّادان وميّان رُوذان وسليمانان ، وخلّفت جمعاً من البلالية بفوّهة القَنْدل وأبرسان ينتظرونك . فلمّا سمع السودان ذلك من قول إبراهيم مع ما كان رُمَيس عَرَض عليه فى ذلك اليوم خافوا أن يكونَ احتال عليهم ليردّهم إلى مواليهم ، فهرب بعضُهم ، واضطرب الباقون . فجاءه محمد بن سلْم فأعلمه اضطرابَهم ، وهرَب مَنْ هرب منهم ، فأمر بجمعهم فى ليلته تلك ، ودعا مصلحاً ، وميّز الزّنج من الفراتية . ثم أمر مصلحًا أن يعلمهم أنه لا يردّهم ولا أحداً منهم إلى مواليهم ، وحلف لهم على ذلك بالأيمان الغِلاظ ، وقال : ليَحُطْ بى منكم جماعة ، فإن أحسّوا منى غدراً فتكوا بى . ثم جمع

١٧٥٦/٣

١٧٥٧/٣

(١) ف « وإلا » .

الباقين ؛ وهم الفراتيّة والقرماطيّون والنوبة وغيرهم ممن يفصح بلسان العرب ، فحلف لهم على مثل ذلك ، وضمن ووثّق من نفسه ، وأعلمهم أنه لم يخرج لعرَض من أعراض الدنيا ، وما خرج إلا غضبًا لله ، ولمّا رأى ما عليه الناس من الفساد فى الدين ، وقال : ها أنا ذا معكم فى كلّ حرب ، أشرككم فيها بيدى ، وأخاطر معكم فيها بنفسى . فرضوا ودعوْا له بخير . فلمّا أسحر أمر غلامًا من الشورجيّين يكنى أبا منارة ، فنفخ فى بوق لهم كانوا يجتمعون بصوته ، وسار حتى أتى السِّيب راجعًا ، فألفَى هناك الحميرىّ ورُمَيْسًا وصاحب ابن أبى عون ، فوجّه إليهم مشرقاً برسالة أخفاها ، فرجع إليه بجوابها ، فصار صاحب الزّنج إلى النهر ، فتقدم صاحب محمد بن أبى عون ، فسلّم عليه ، وقال له : لم يكن جزاء صاحبنا منك أن تفسد عليه عمله ، وقد كان منه إليك ما قد علمت بواسط ، فقال : لم آت لقتالكم ، فقل لأصحابك يوسّعون[1] لى فى الطريق ، حتى أجاوزكم .

فخرج من النّهر إلى دِجْلة ، ولم يلبَثْ أن جاء الجند ومعهم[2] أهل الجعفريّة فى السلاح الشاك ؛ فتقدّم المكنى[3] بأبى يعقوب المعروف بجُرْبان ، فقال لهم : يا أهل الجعفريّة ، أما علمتم ما أعطيتمونا من الأيْمان المغلّظة ألاّ تقاتلونا ، ولا تُعينوا علينا أحداً ، وأن تعينونا متى اجتاز بكم أحد منا ! فارتفعت أصواتُهم بالنعير والضّجيج ، ورموْه بالحجارة والنّشاب . وكان هناك موضع فيه زُهاء ثلثمائة زرنوق ، فأمر بأخذها فأخذت ، وقرن بعضها ببعض حتى صارت كالشاشات ، وطرحت إلى الماء ، وركبها المقاتلة فلحقوا القوم ، فقال بعضهم : عبر علىّ بن أبان يومئذ قبل أخذ الزّرانيق سباحة ، ثم جمعت الزّرانيق ، وعبر الزنج ، وقد زالوا عن شاطئ النهر فوضعوا فيهم السيف ، فقتل منهم خلق كثير ، وأتى منهم بأسرى ، فوبّخهم وخلّى سبيلهم ، ووجه غلامًا من غلمان الشورجيين يقال له سالم يعرف بالزغاوىّ ، إلى مَنْ كان دخل الجعفرية من أصحابه ، فردّهم ، ونادى : ألا برئت الذّمة ممن انتهب شيئًا

٣/١٧٥٨

(١) س : « لصاحبك يوسع » .
(٢) س : « معهم » .
(٣) س : « ا لمكنى » .

من هذه القرية، أو سبى منها أحداً، فمن فعل ذلك فقد حلّت به العقوبة الموجعة .

ثم عبر من غربىّ السّيب إلى شرقيّه ، واجتمع أصحابه الرؤساء حتى إذا جاوز القرية بمقدار غَلْوة سمع النعير من ورائه فى بطن النهر ، فتراجع الزّنج ، فإذا رُميس والحميرىّ وصاحب ابن أبى عون قد وافوْه لمّا بلغهم حال أهل الجعفرية . فألقى السودان أنفسَهم عليهم، فأخذوا منهم أربع سُمَيريّات بملاّحيها ومقاتليها ، فأخرجوا السمَيريّات بمن فيها ، ودعا بالمقاتلة فسألهم، فأخبروه أن رُميساً وصاحب ابن أبى عون لم يَدَعاهم حتى حملاهم على المصير إليه، وأنّ أهل القرى حرّضوا رُميساً وضمِنوا له ولصاحب ابن أبى عون مالاً جليلا ، وضمن له الشورجيّون على ردّ غلمانهم ؛ لكلّ غلام خمسة دنانير ، فسألهم عن الغلام المعروف بالنميرىّ المأسور والمعروف بالحجّام، فقالوا : أما النميرىّ فأسير فى أيديهم ، وأما الحجام فإن أهل الناحية ذكروا أنه كان يتلصص فى ناحيتهم ، ويسفك الدماء ، فضُربت عنقه ، وصُلب على نهر أبى الأسد . فلما عرف خبرَهم أمر بضرب أعناقهم ، فضربت إلا رجلاً يقال له محمد بن الحسن البغدادىّ ، فإنه حلف له أنه جاء فى الأمان ، لم يُشْهِر عليه سيفاً ، ولا نصب له حرباً ، فأطلقه . وحمل الرءوس والأعلام على البغال ، وأمر بإحراق سفنهم فأحرقت .

٣/١٧٥٩

وسار حتى أتى نهر فريد ، فانتهى إلى نهر يعرف بالحسن بن محمد القاضى وعليه مسنّاة تعترض بين الجعفرية ورُستاق القُفْص ، فجاءه قوم من أهل القرية من بنى عجْل ، فعرضوا عليه أنفسَهم ، وبذلوا له ما لديْهم ، فجزاهم خيرا ، وأمر بترك العرض[1] لهم .

وسار حتى أتى نهراً يعرف ببباقثا ، فنزل خارجًا من القرية التى على النهر وهى قرية تشرع على دُجيل، فأتاه أهل الكرخ ، فسلّموا عليه ، ودعَوْا له بخير ، وأمدّوه من الأنزال بما أراد . وجاءه رجل يهودىّ خيبرىّ يقال له ماندويه فقبّل يده ، وسجَد له — زعم — شكراً لرؤيته إيّاه ، ثم سأله عن مسائل كثيرة ، فأجابه عنها ، فزعم أنه يجدُ صفته فى التوراة ، وأنه يرى القتال معه ، وسأله

٣/١٧٦٠

(١) س : « التعرض » .

عن علامات فى بدنه ذكر أنه عرفها فيه ، فأقام معه ليلَته تلك يحادثه .

وكان إذا نزل اعتزل عسكره بأصحابه الستة ، ولم يكن يومئذ يُنكر النبيذ على أحد من أصحابه ، وكان يتقدّم إلى محمد بن سلْم فى حفظ عسكره ؛ فلما كان فى تلك الليلة أتاه فى آخر الليل رجلٌ من أهل الكَرْخ ، فأعلمه أن رُمَيْساً وأهل المفتح والقرى التى تتصل بهاوَعقيلا وأهل الأبُلّة قد أتوه ومعهم الدّبيلا بالسلاح الشاك ، وأنّ الحميرىّ فى جمع من أهل الفُرات وقد صاروا فى تلك الليلة إلى قنطرة نهر ميمون ، فقطعوها ليمنعوه العبور . فلمّا أصبح أمر، فصيح بالزّنج ، فعبروا دُجيلا ، وأخذ فى مؤخّر الكرخ حتى وافى نهر ميمون ، فوجد القنطرة مقطوعة ، والناس فى شرقىّ[1] النّهر والسُّمَيْريّات فى بطنه ، والدبَيْلاَ فى السُّمَيْريّات ، وأهل القرى فى الجريبيّات والجونحات ؛ فأمر أصحابه بالإمساك عنهم ، وأن يرحلوا عن النهر توقّياً للنُّشاب ، ورجع فقعد على مائة ذراع من القرية ؛ فلمّا لم يروا أحداً يقاتلهم خرج منهم قوم ليعرفوا الخبر ، وقد كان أمر جماعة من أصحابه ، فأتوا القرية ، فكَمَنُوا فيها مخفين لأشخاصهم ؛ فلما أحسوا خروج مَنْ خرج منهم ، شدّوا عليهم ، فأسروا اثنين وعشرين رجلاً ، وسعوا نحو الباقين ، فقتلوا منهم جماعة على شاطئ النهر ، ورجعوا إليه بالرءوس والأسرى ، فأمر بضرب أعناقهم بعد مناظرة جرتْ بينه وبينهم ، وأمر بالاحتفاظ بالرءوس ، وأقام إلى نصف النهار ؛ وهو يسمع أصواتهم ، فأتاه رجل من أهل البادية مستأمناً ، فسأله عن غَوْر النهر ؛ فأعلمه أنه يعرف موضعاً منه يُخاض ، وأعلمه أن القوم على معاودته بجمْعهم يقاتلونه ؛ فنهض مع الرّجل حتى أتى به موضعاً على مقدار ميل من المحمّدية ، فخاض النهر بين يديه ، وخاض الناس خلفه ، وحمله ناصح المعروف بالرملىّ ، وعبر بالدوابّ ؛ فلما صار فى شرقىّ النهر كرّ راجعاً نحو نهر ميمون ؛ حتى أتى المسجد فنزل فيه ، وأمر بالرءوس فنُصبت ، وأقام يومه ، وانحدر جيش رُميس بجمعه فى بطن دُجيل ، فأقاموا بموضع يعرف بأقشَى بإزاء النهر المعروف

١٧٦١/٣

(١) س : « شرق » .

بِبَرد الخيار ، ووجّه طليعة فرجع إليه ، فأخبره بمقام القوم هناك ، فوجّه من ساعته ألفَ رجل ، فأقاموا بسبخة هناك على فُوّهة هذا النهر ، وقال لهم : إن أتوْكم إلى المغرب ؛ وإلاّ فأعلمونى . وكتب كتاباً إلى عَقيل ، يذكره فيه[1] أنه قد بايعه فى جماعة من أهل الأبُلّة ، وكتب إلى رُمَيس يذكّره حلفه له بالسيِّب أنه لا يقاتله ؛ وأنه يُنهِى أخبارَ السلطان إليه ، ووجّه بالكتابين إليهما مع بعض الأكرة بعد أن أحلفه أن يوصلهما .

١٧٦٢/٣

وسار من نهر ميمون يريد السَّبَخَة التى كان هيّأ فيها طليعةً ؛ فلمّا صار إلى القادسية والشيِّفيا ، سمع هناك نعيراً ، ورأى رمياً ؛ وكان إذا سار يتنكب القرى ؛ فلم يدخلْها ، وأمر محمد بن سَلْم أن يصير إلى الشِّيفيا فى جماعة ؛ فيسأل أهلها أن يُسلموا إليه قاتل الرجل من أصحابه فى ممرّه كان بهم ؛ فرجع إليه ، فأخبره أنهم زعموا أنّه لا طاقة لهم بذلك الرّجل لولائه من الهاشميين[2] ومنعهم له ؛ فصاح بالغلمان ، وأمرهم بانتهاب القريتين ، فانتهب منهما مالاً عظيماً ؛ عيناً وورِقا وجوهراً وحُلِيًّا وأوانى ذهب وفضة ، وسبى منهما يومئذ غلماناً ونسوة ؛ وذلك أوّلُ سَبْىٍ سُبِى ، ووقفوا على دار فيها أربعة عشر غلاماً من غلمان الشورج ، قد سُدّ عليهم باب ؛ فأخذهم وأُتِىَ بمولى الهاشميين القاتل صاحبه فأمر محمد بن سلم بضرب عنقه ، ففعل ذلك ، وخرج من القريتين فى وقت العصر ، فنزل السَّبَخة المعروفة ببرد الخيار .

١٧٦٣/٣

فلما كان فى وقت المغرب أتاه أحد أصحابه الستّة ، فأعلمه أن أصحابه ، قد شغلوا بخمور وأنبذة وجدوها فى القادسيّة ؛ فصار ومعه محمد بن سلم ويحيى ابن محمد إليهم ، فأعلمهم أنّ ذلك مما لا يجوز لهم ، وحرّم النبيذ فى ذلك اليوم عليهم ، وقال لهم : إنكم تلاقون جيوشاً تقاتلونهم[3] ، فدعوا شُرب النبيذ والتشاغل به ، فأجابوه إلى ذلك ؛ فلما أصبح جاءه غلام من السودان ، يقال له قاقويه ، فأخبره أن أصحاب رُميس قد صاروا إلى شرقىّ دُجيل ، وخرجوا إلى الشطّ ، فدعا علىّ بن أبان ، فتقدم إليه أن يمضِىَ بالزّنج ، فيوقع بهم ؛

(١) ف : « يذكر له » . (٢) س : « بالهاشميين لولائه منهم » .
(٣) س : « يقاتلونكم » .

ودعا مشرقًا ، فأخذ منه إصطرلاباً ، فقاس به الشمس ، ونظر فى الوقت ، ثم عبر وعبر الناس خلفه القنطرة التى على النهر المعروف ببرد الخيار ؛ فلما صاروا فى شرقيه ، تلاحق الناس بعلىّ بن أبان ، فوجدوا أصحاب رُميس وأصحاب عقيل على الشطّ ، والدّبيلا فى السفن يرمون بالنُّشاب ، فحملوا عليهم ؛ فقتلوا منهم مقتلةً عظيمة ، وهبّتْ ريح من غربىّ دُجيل ، فحملت السفن ، فأدنتها من الشطّ ، فنزل السودان إليها ، فقتلوا مَنْ وجدوا فيها ، وانحاز رُميس ومَنْ كان معه إلى نهر الدير على طريق أقشى ، وترك سفنه لم يحرّكها ليظنّ أنه مقيم ، وخرج عقيل وصاحب ابن أبى عون إلى دجْلة مبادريْن ؛ لا يلويان على شىء . ٣/١٧٦٤

وأمر صاحب الزّنْج بإخراج ما فى السفن التى فيها الدّبيلا ؛ وكانت مقرونًا بعضها ببعض ، فنزل فيها قاقويه ليفتّشها ، فوجد رجلا من الدّبيلا ، فحاول إخراجه فامتنع عليه ، وأهوى إليه بسُرتَى كان معه ؛ فضربه ضربة على ساعده ، فقطع بها عرقًا من عروقه ، وضربه ضربةً على رجله ، فقطعتْ عصبةً من عصبه ، وأهوى له قاقويه ، فضربه ضربةً على هامته فسقط ، فأخذ بشعره ، واحتزّ رأسه ؛ فأتى به صاحب الزّنج ، فأمر له بدينار خفيف ، وأمر يحيى بن محمد أن يقوّده على مائة من السودان . ثم سار صاحب الزّنج إلى قرية تعرف بالمهلبىّ تقابل قيّاران ، ورجع السودان الذين كانوا اتّبعوا[1] عقيلا وخليفة ابن أبى عون ، وقد أخذ سُميريّة فيها ملاّحان ؛ فسألهم عن الخبر ، فقالوا : اتّبعناهم فطرحوا أنفسهم إلى الشطّ ، وتركوا هذه السميريّة ، فجئنا بها . فسأل الملاّحيْن ، فأخبراه أن عقيلا حملهما على اتباعه قهراً ، وحبس نساءهما حتى اتّبعاه ، وفعل ذلك بجميع مَنْ تبعه[2] من الملاّحين ؛ فسألهما عن سبب مجىء الدّبيلا ، فقالا : إنّ عقيلا وعدهم مالا ؛ فتبعوه ؛ فسألهما عن السفن الواقعة بأقشى ، فقالا : هذه سفن رُميس وقد تركها ، وهرب فى أوّل النهار ، فرجع حتى إذا حاذاها[3] أمر السودان فعبروا ، فأتوه بها ؛ فأنهبهم ما كان فيها ، وأمر بها فأحرقت ، ثم صار إلى القرية المعروفة بالمهلّبيّة واسمها تنغت ، فنزل ٣/١٧٦٥

---

(١) س : « تبعوا » . (٢) س : « معه » . (٣) س : « جاوزها » .

قريبًا منها ، وأمر بانتهابها وإحراقها ؛ فانتُهِبتْ وأحرقت ، وسار على نهر المادِيان ، فوجد فيها تموراً ، فأمر بإحراقها .

وكان لصاحب الزّنج بعد ذلك أمور من عيشه هو وأصحابه فى تلك الناحية تركنا ذكرها ، إذ لم تكن عظيمة ؛ وإن كان كلّ أموره كانت عظيمة .

ثم كان من عظيم ما كان له من الوقائع مع أصحاب السلطان وقعة كانت مع رجل من الأتراك يكنى أبا هلال فى سوق الرّيان ؛ ذكر عن قائد من قوّاده يقال له ريحان ، أن هذا التركيّ وافاهم فى هذا السوق ، ومعه زهاء أربعة آلاف رجل أو يزيدون ؛ وفى مقدّمته قوم عليهم ثياب مُشهرّة وأعلام وطبول ، وأن السودان حملوا عليه حملة صادقة ، وأنّ بعض السودان ألقى صاحب علم القوم فضربه بخشبتين كانتا معه فى يده فصرعه ، وانهزم القوم ، وتلاحق السودان ، فقتلوا من أصحاب أبى هلال زُهاء ألف وخمسمائة . وإن بعضهم اتبع أبا هلال ففاته بنفسه على دابة عُرْى[1] ، وحال بينهم وبين من أفلت ظلمة الليل ؛ وأنه لما أصبحَ أمر بتتبعهم ، ففعلوا ذلك فجاءوا بأسرى ورءوس ، فقتل الأسرى كلهم.

٣/١٧٦٦

ثُمّ كانت له وقعة أخرى بعد هذه الوقعة مع أصحاب السلطان ؛ هزمهم[2] فيها ، وظفر[3] بهم ، وكان مبتدأ الأمر فى ذلك — فيما ذكر عن قائد لصاحب الزنج من السودان يقال له ريحان — أنه قال : لما كان فى بعض الليل من ليالى هذه السنة التى ذكرنا أنه ظهر فيها ، سمع نباح كلب فى أبواب تعرف بعمرو بن مسعدة ، فأمر بتعرّف الموضع الذى يأتى منه النّباح ، فوجّه لذلك رجلاً من أصحابه ، ثم رجع فأخبره أنه لم ير شيئًا ؛ وعاد النباح . قال ريحان : فدعانى ، فقال لى : صر إلى موضع هذا الكلب النابح ؛ فإنه إنما ينبح شخصًا يراه ، فصرتُ فإذا أنا بالكلب على المسنّاة ، ولم أر شيئًا ، فأشرفتُ فإذا أنا برجل قاعد فى درجات هنالك ، فكلّمتُه ، فلما سمعنى أفصُحُ بالعربيّة كلّمنى ، فقال : أنا سَيْران بن عفوالله ، أتيتُ صاحبكم بكتب من شيعته بالبصْرة ، وكان سيْران هذا أحدَ مَنْ صحب صاحبَ الزّنج أيام مُقامه بالبصرة ، فأخذته فأتيته به ، فقرأ الكتب التى كانت معه ، وسأله عن الزّينبىّ

---

(١) س : « عربية » . (٢) ف : « فهزمهم » . (٣) ب : « فظفر » .

وعن عدّة مَنْ كان معه ، فقال : إن الزّينبيّ قد أعدّ لك الخَوَل والمطّوعة ١٧٦٧/٣
والبلالية والسعدية ؛ وهم خلق كثير ، وهو على لقائك بهم ببَيَان . فقال له : اخفِض صوتَك ، لئلا يرتاع الغلمان بخبرك[1] . وسأله عن الذى[2] يقود هذا الجيش ، فقال : قد نُدِب لذلك المعروف بأبى منصور ؛ وهو أحد موالى الهاشميّين : قال له : أفرأيتَ جمعَهم ؟ قال : نعم ؛ وقد أعدّوا الشُّرُط لكتف من ظفروا به من السودان ، فأمره بالانصراف إلى الموضع الذى يكون فيه مُقامه ، فانصرف سيران إلى علىّ بن أبان ومحمد بن سلم ويحيى بن محمد ، فجعل يحدّثهم إلى أن أسفَر الصبح ، ثم سار صاحب الزّنج إلى أن أشرف عليهم . فلما انتهى إلى مؤخّر تُرْسَى وبرسونا وسنداذان بيَان ، عرض له قوم يريدون قتاله ، فأمر علىّ بن أبان فأتاهم فهزمهم ، وكان معهم مائة أسود ، فظفر بهم . قال ريحان : فسمعته يقول لأصحابه : من أمارات تمام أمركم ما ترونْ من إتيان هؤلاء القوم بعبيدهم فيسلّمونهم إليكم ؛ فيزيد الله فى عددكم . ثم سار حتى صار إلى بيَان .

قال ريحان : فوجّهنى وجماعة من أصحابه إلى الحجر لطلب الكاروان وعسكرهم فى طرف النخل فى الجانب الغربىّ من بيان ، فوجّهنا[3] إلى الموضع الذى أمرنا[4] بالمصير إليه ، فألفينا هنالك ألفاً وتسعمائة سفينة ، ١٧٦٨/٣
ومعها قوم من المطوّعة قد احتبسوها ، فلما رأوْنا خلّوْا عن السفن ، وعبروا سُلبان عرايا ماضين نحو جُوبك . وسقْنا السفن حتى وافيناه بها ، فلما أتيناه بها أمر فبُسِط له على نشز من الأرض وقعد ، وكان فى السفن قوم حجّاج أرادوا سلوك طريق البصرة؛ فناظرهم بقيّة يومه إلى وقت غروب الشمس ، فجعلوا يصدقونه فى جميع قوله ، وقالوا : لو كان معنا فضل نفقة لأقمنا معك ، فردّهم إلى سفُنهم ؛ فلما أصبحوا أخرجهم ، فأحلفهم ألاّ يخبروا أحداً بعدّة أصحابه ، وأن يقللوا أمره عند من سألهم عنه . وعرضوا عليه بساطًا كان معهم ، فأبدله ببساط كان معه ، واستحلفهم أنه لا مال

---

(١) ف : « لخبرك » . (٢) ب : « من الذى » .
(٣) س : « فتوجهنا » . (٤) ب : « أمر » .

للسلطان معهم ولا تجارة ، فقالوا : معنا رجل من أصحاب السلطان ، فأمر بإحضاره ، فأحضر ، فحلف الرّجل أنه ليس من أصحاب السلطان ، وأنه رجل معه نُقْل أراد به البصرة ، فأحضر صاحب السفينة التى وُجد فيها ، فحلف له أنه إنما اتّجر فيه ، فحمله فخلى سبيله ، وأطاق الحجاج فذهبوا، وشرع أهل سليمانان على بيان بإزائه فى شرقىّ النهر ؛ فكلمهم أصحابه وكان فيهم حسين الصيدنانىّ الذى كان صحبه بالبصرة ؛ وهو أحد الأربعة الذين ظهروا بمسجد عبّاد ، فلحق به يومئذ ؛ فقال له : لِمَ أبطأتَ عنى إلى هذه الغاية ؟ قال : كنتُ مختفيًا ، فلما خرج هذا الجيش دخلتُ فى سواده . قال : فأخبِرْنى عن هذا الجيش ، ما هم ؟ وما عدّة أصحابه ؟ قال : خرج من الحَوَل بحضرتى ألف ومائتا مقاتل، ومن أصحاب الزينبىّ ألف ، ومن البلالية والسعديّة زهاء ألفين ، والفرسان مائتا فارس . ولما صاروا بالأبُلّة وقع بينهم وبين أهلها اختلاف ؛ حتى تلاعنوا ، وشتم الحَوَلُ محمد بن أبى عون ، وخلفتُهم بشاطئ عثمان وأحسبهم مصبّحيك فى غد . قال : فكيف يريدون أن يفعلوا إذا أتونا ؟ قال : هم على إدخال الخيل من سندادان بَيان ، ويأتيك رجّالتهم من جنبَى النهر .

٣/١٧٦٩

فلما أصبح وجّه طليعةً ليعرف الخبر ، واختاره شيخًا ضعيفًا زمِنًا لئلا يُعرض له ؛ فلم يرجع إليه طليعتُه . فلمّا أبطأ عنه وجّه فتحًا الحجام ومعه ثلثمائة رجل ، ووجّه يحيى بن محمد إلى سندادان ، وأمره أن يخرج فى سوق بَيَان ، فجاءه فَتْح فأخبره أن القوم مقبلون إليه فى جمع كثير ، وأنهم قد أخذوا جنبَى النّهر ؛ فسأل عن المدّ ، فقيل : لم يأتِ بعدُ ، فقال : لم تدخل خيلُهم بعد ، وأمر محمد بن سَلْم وعلىّ بن أبان أن يقعدا لهم فى النخل ، وقعد هو على جبَل مشرف عليهم ؛ فلم يلبث أن طلعت الأعلام والرّجال حتى صاروا إلى الأرض المعروفة بأبى العلاء البلخىّ ؛ وهى عطفة على دُبَيران ؛ فأمر الزّنج فكبّروا ثم حملوا عليهم فوافوا بهم دبيران ، ثم حمل الحَوَل يقدُمهم أبو العباس بن أيمن المعروف بأبى الكباش وبشير القيسىّ ، فتراجع الزّنج حتى بلغوا الجبل الذى هو عليه ، ثم رجعوا عليهم ؛ فثبتوا لهم ؛ وحمل أبو الكباش على فَتْح الحجام فقتله ، وأدرك غلاماً يقال له دينار من السودان فضربه

٣/١٧٧٠

ضربات ، ثم حمل السودان عليهم ، فوافوْا بهم شاطئ بيان ، وأخذتهم السيوف .

قال ريحان : فعهدى بمحمد بن سلم وقد ضرب أبا الكباش ، فألقى نفسه فى الطين ، فلحقه بعضُ الزّنج ، فاحتزّ رأسه . وأما علىّ بن أبان ؛ فإنّه كان ينتحل قتل أبى الكباش وبشير القيسىّ ، وكان يتحدّث عن ذلك اليوم فيقول : كان أوّل مَنْ لقيَنى بشير القيسىّ ، فضربنى وضربتُه ، فوقعتْ ضربته فى تُرسى ، ووقعت ضربتى فى صدره وبطنه ؛ فانتظمتْ جوانح صدره ، وفريتُ بطنَه ، وسقط فأتيته ، فاحتززتُ رأسه . ولقيَنى أبو الكباش ، فشُغِل بى ، وأتاه بعضُ السودان من ورائه فضربه بعصًا كانت فى يده على ساقيه ؛ فكسرهما فسقط ، فأتيتُه ولا امتناع به ، فقتلته واحتززتُ رأسه ؛ فأتيت بالرأسين صاحب الزّنج .

قال محمد بن الحسن بن سهل : سمعت صاحبَ الزّنج يخبر أن عليًّا أتاه برأس أبى الكباش ورأس بشير القيسىّ — قال : ولا أعرفهما — فقال : كان هذان يقدمان[1] القوم ، فقتلتهما فانهزم أصحابهما لمّا رأوا مصرعهما . ١٧٧١/٣

قال ريحان — فيما ذكر عنه : وانهزم الناس فذهبوا كلّ مذهب ، واتّبعهم السودان إلى نهر بَيَان ، وقد جَزَر[2] النهر ، فلما وافوْه انغمسوا فى الوحْل ، فقتِل أكثرهم . قال : وجعل السودان يمرّون بصاحبِهم دينار الأسود الذى كان أبو الكباش ضربه ، وهو جريح ملقىً ، فيحسبونه من الخوَل فيضربونه بالمناجل حتى أثخِن ، ومرّ به من عرفه ، فحمل إلى صاحب الزّنج ، فأمر بمداواة كلومِه .

قال ريحان : فلما صار القوم إلى فُوّهة نهر بيان ، وغرق مَنْ غرق ، وأخذت السفن التى كانت فيها الدوابّ ، إذا ملوّح يلوّح من سفينة ، فأتيناه فقال : ادخلوا النهر المعروف بشريكان ، فإنّ لهم كمينًا هناك ، فدخل يحيى ابن محمد وعلىّ بن أبان ، فأخذ يحيى فى غربىّ النهر ، وسلك علىّ بن أبان فى شرقيّه ؛ فإذا كمين فى زهاء ألف من المغاربة ، ومعهم حسين الصَّيْدَانىّ

---

(١) س ، ف : « مقدمان » .
(٢) الجزر : ضد المد .

أسيراً قال: فلمّا رأوْنا شدّوا على الحسين، فقطّعوه قطعًا ، ثم أقبلوا إلينا ، ومدّوا رماحَهم ، فقاتلوا إلى صلاة الظهر ، ثم أكبّ السودان عليهم فقتلوهم أجمعين ، وحَوَوْا سلاحهم ؛ ورجع السودان إلى عسكرهم ؛ فوجدوا صاحبهم قاعداً على شاطئ بيان، وقد أُتِيَ بنيِّف وثلاثين علَمًا وزهاء ألف رأس ، فيها رءوس أنجاد الحَوَل وأبطالهم ؛ ولم يلبث أن أتوْه بزهير يومئذ .

١٧٧٢/٣ قال ريحان : فلم أعرفه ، فأتى يحيى وهو بين يديْه ، فعرفه فقال لى : هذا زهير الحَوَل ؛ فما استبقاؤك إياه ! فأمر به فضُربت عنقه . وأقام صاحب الزنج يومه وليلته . فلما أصبح وجّه طليعة إلى شاطئ دِجْلة، فأتاه طليعته ، فأعلمه أن بدجلة شَذاتَين لاصقتين بالجزيرة ، والجزيرة يومئذ على فُوّهة القَنْدَل ، فردّ الطليعة بعد العصر إلى دِجلة ليعرف الخبر ؛ فلمّا كان وقت المغرب أتاه المعروف بأبي العباس خال ابنه الأكبر ، ومعه رجل من الجند يقال له عمران ، وهو زَوْج أم أبي العباس هذا، فصفّ لهما أصحابه، ودعا بهما ؛ فأدّى إليه عمران رسالة ابن أبي عون ، وسأله أن يعبر بيانًا ليفارق عمله ، وأعلمه أنه قد نحّى الشذا عن طريقه ، فأمر بأخذ السفن التى تخترق بَيانا من جُبّى ، فصار أصحابه إلى الحجر ، فوجدوا فى سُلبان مائتى سفينة ، فيها أعدال دقيق ، فأخذَتْ ، ووُجد فيها أكسية وبرّكانات ، وفيها عشرة من الزَّنْج ، وأمر الناس بركوب السفن ؛ فلما جاء المدّ[1] — وذلك فى وقت المغرب — عبر وعبر أصحابه حيال فُوّهة القندل ، واشتدّت الريح ، فانقطع عنه من أصحابه المكنّى بأبي دلف ،

١٧٧٣/٣ وكان معه السفن التى فيها الدقيق ؛ فلمّا أصبح وافاه أبو دلف فأخبره أن الرّيح حملته إلى حسك عِمْران ، وأن أهل القرية همّوا به ؛ وبما كان معه ، فدفعهم عن ذلك . وأتاه من السودان خمسون رجلا ، فسار عند موافاة السفن والسودان إياه حتى دخل القَنْدل ، فصار إلى قرية للمعلّى بن أيوب ، فنزلها ، وانبثّ أصحابه إلى دُبّا ، فوجدوا هنالك ثلثمائة رجل من الزَّنْج ، فأتوْه بهم ، ووجدوا وكيلاً للمعلّى بن أيوب ، فطالبه بمال ، فقال : اعبُرْ إلى برسان ،

---

(١) س : « جاوزوا » .

فآتيكَ بالمال ، فأطلقه ، فذهب ولم يَعُد إليه؛ فلما أبطأ عليه أمر بانتهاب القرية فانتُهبت .

قال ريحان — فيما ذكر عنه : فلقد رأيتُ صاحب الزّنج يومئذ ينتهب معنا ، ولقد وقعتْ يدى ويده على جبّة صوف مُضرّبة ؛ فصار بعضها فى يده وبعضها فى يدى ، وجعل يجاذبنى عليها حتى تركتُها له . ثم سار حتى صار إلى مسلحة الزينبيّ على شاطئ القَنْدَل فى غربىّ النهر ، فثبت له القوم الذين كانوا فى المسلحة ؛ وهم يرْون أنهم يطيقونه ، فعجزوا عنه ؛ فقتلوا أجمعين ؛ وكانوا زُهاء مائتين ، وبات ليلته فى القَصْر ، ثم غدا فى وقت المدّ قاصداً إلى سَبَخة القَنْدل ، واكتنف أصحابه حافتى النهر ، حتى وافوا مُنْذُران ، فدخل أصحابُه القرية فانتهبوها ، ووجدوا فيها جمعاً من الزّنج ، فأتوه بهم ، ففرّقهم على قوّاده[1] ، ثم صار إلى مؤخّر القَنْدل ، فأدخل السفن النهر المعروف بالحسنىّ النافذ إلى النهر المعروف بالصالحىّ ؛ وهو نهر يؤدىّ إلى دُبّا ، فأقام بسبَخة هناك . ٣/١٧٧٤

فذكر عن بعض أصحابه أنه قال : ها هنا قوّد القوّاد ؛ وأنكر أن يكون قوّد قبل ذلك . وتفرّق أصحابُه فى الأنهار حتى صاروا إلى مربّعة دُبّا ، فوجدوا رجلا من التمّارين من أهل كلاّء البصرة ، يقال له محمد بن جعفر المُريدىّ ، فأتوه به ، فسلّم عليه وعرفه ، وسأله عن البلاليّة ، فقال : إنما أتيتُك برسالتهم ، فلقينى السودان ، فأتوك بى ، وهم يسألونك شروطاً إذا أعطيتَهم إياها سمعوا لك وأطاعوا ، فأعطاه ما سأل لهم ، وضمن القيام له بأمرهم ؛ حتى يصيروا فى حيّزه ، ثم خلّى سبيله ، ووجّه معه مَنْ صيّره إلى الفيّاض ، ورجع عنه ، فأقام أربعة أيام ينتظره ؛ فلم يأته ، فسار فى اليوم الخامس وقد سرّح السفن التى كانت معه فى النهر ، وأخذ هو على الظهر فيما بين نهر يقال له الدّاورْدانىّ والنهر المعروف بالحسنىّ والنهر المعروف بالصالحى ، فلم يتعدّ حتى رأى خيلا مقبلة من نحو نهر الأمير زهاء ستّمائة فارس ، فأسرع أصحابُه

(١) ف : « أصحابه » .

٣/١٧٧٥ إلى النهر الدّاوردانىّ، وكان الخيل فى غربيّه، فكلّموهم طويلاً ، وإذا هم قوم من الأعراب فيهم عنترة بن حجنا وثمال، فوجّه إليهم محمد بن سلم ، فكلّم ثمالا وعنترة ، وسألا عن صاحب الزّنج ، فقال : ها هو ذا ، فقال : نريد كلامَه ، فأتاه فأخبره بقولهما ، وقال له : لوكلّمتَهما ! فزجره، وقال : إنّ هذا مكيدة ، وأمر السودان بقتالهم ، فعَبَرُوا النهر ، فعدلت الخيل عن السودان ، ورفعوا علمًا أسود ، وظهر سليمان أخو الزينبىّ — وكان معهم — ورجع أصحاب صاحب الزّنْج ، وانصرف القوم ، فقال لمحمد بن سلم : ألم أعلمك أنهم إنما أرادوا كيدَنا !

وسار حتّى صار إلى دُبّا ، وانبثّ أصحابه فى النخل ، فجاءوا بالغنم والبقر ، فجعلوا يذبحون ويأكلون ، وأقام ليلته هناك ؛ فلمّا أصبح سار حتّى دخل الأرخنج المعروف بالمطّهرىّ ، وهو أرخنج ينفذ إلى نهر الأمير المقابل للفيّاض من جانبيه ، فوجدوا هناك شهاب بن العلاء العنبرىّ ، ومعه قوم من الخَوَل ، فأوقعوا به ، وأفلت شهاب فى نُفَير ممن كان معه ، وقُتِل من أصحابه ٣/١٧٧٦ جماعة ، ولحق شهاب بالمنصف من الفيّاض ، ووجد أصحاب صاحب الزّنج ستمائة غلام من غلمان الشورجيّين هناك ، فأخذوهم ، وقتلوا وكلاءهم، وأتوْه بهم ، ومضى حتّى انتهى إلى قصر يعرف بالجوهرىّ على السَّبَخة المعروفة بالبرامكة ، فأقام فيه[1] ليلتَه تلك ؛ ثم سار حيث أصبح حتّى وافى السَّبَخة التى تُشرَع على النهر المعروف بالدينارىّ ، ومؤخّرها يُفضى إلى النهر المعروف بالمحدث ، فأقام بها ، وجمع أصحابه ، وأمرهم ألاّ يعجّلوا بالذهاب إلى البصرة حتّى يأمرهم[2] وتفرّق أصحابُه فى انتهاب كلّ ما وجدوا ، وبات هناك ليلته تلك .

---

(١) ب : « فيهما » .
(٢) ف : « يعلمهم » .

ذكر الخبر عن مسير صاحب الزنج بزنوجه وجيوشه فيها إلى البصرة

ذكر أنه سار من السَّبخَة التى تشرع على النهر المعروف بالدينارىّ ، ومؤخّرها يفضى إلى النهر المعروف بالحدث ، بعد ما جمع بها أصحابه يريد البصرة ؛ حتى إذا قابل النهر المعروف بالرياحىّ أتاه قوم من السودان ، فأعلموه أنهم رأوا فى الرياحىّ بارقةً ، فلم يلبث إلاّ يسيراً حتى تنادى الزّنج السلاح ، فأمر علىّ بن أبان بالعُبور إليهم ، وكان القوم فى شرقىّ النهر المعروف بالدينارىّ ، فعبَر فى زهاء ثلاثة آلاف ، وحبَّش[1] صاحب الزّنج عنده أصحابه ، وقال لعلىّ : إن احتجتَ إلى مزيد فى الرّجال فاستمدّنى . فلما مضى ، صاح الزّنج : السلاح ! لحركة رأوْها من غير الجهة التى صار إليها علىّ ، فسأل عن الخبر ، فأخبِر أنه قد أتاه قوم من ناحية القرية الشارعة على نهر حرْب المعروفة بالجعفرّية ، فوجّه محمد بن سلْم إلى تلك الناحية . ١٧٧٧/٣

فذكر عن صاحبه المعروف بريحان ، أنه قال : كنتُ فيمن[2] توجّه مع محمد ، وذلك فى وقت صلاة الظهر ، فوافينا القومَ بالجعفريّة[3] ، فنَشب القتال بيننا وبينهم إلى آخر وقت العصر ، ثم حمل السودان عليهم حملةً صادقة ، فولّوْا منهزِمين وقُتِل من الجند والأعراب وأهل البصرة البلالية والسعدية خمسمائة رجل ، وكان فتْح المعروف بغلام أبى شيث معهم يومئذ ، فولّى هارباً ، فاتّبعه فيروز الكبير ؛ فلمّا رآه جادّاً فى طلبه رماه ببيضة كانت على رأسه ؛ فلم يرجع عنه ؛ فرماه بترسه فلم يرجع عنه ، فرماه بتنّور حديد كان عليه فلم يرجع عنه ؛ ووافى به نهر حرْب ، فألقى فتحٌ نفسه فيه ، فأفلت ورجع فيْروز ، ومعه ما كان فتح ألقاه من سلاحه ؛ حتى أتى به صاحب الزّنج .

قال محمد بن الحسن : قال شِبْل : حُكِىَ لنا أنّ فتحاً طفَر يومئذ نهرَ حرب ، قال : فحدّثت هذا الحديث الفضل بن عدىّ الدارمىّ ،

---

(١) س : « وجلس » . (٢) ب : « ممن » . (٣) ب : « فى الجعفرية » .

فقال : أنا يومئذ مع السعديّة ، ولم يكن على فتح تنّور حديد ، وما كان عليه إلا صُدْرة حرير صفراء ، ولقد قاتل يومئذ حتى لم يبق أحد يقاتل ، وأتى نهر حرب ، فوثبه حتى صار إلى الجانب الغربىّ منه . ولم يُعرف ما حكى ريحان من خبر فيروز . ١٧٧٨/٣

قال : وقال ريحان : لقيتُ فيروز قبل انتهائه إلى صاحب الزّنج ، فاقتصّ علىّ قصّته وقصّة فتْح ، وأرانى السلاح . وأقبل الزّنج على أخذ الأسلاب ، وأخذتُ على النهر المعروف بالدّينارىّ ؛ فإذا أنا برجل تحت نخلة عليه قلنسوة خزّ ، وخُفّ أحمر ودرّاعة ، فأخذتُه فأرانى كتبًا معه ، وقال لى : هذه كتبٌ لقوم من أهل البصرة ، وجّهونى بها ، فألقيت فى عنقه عمامة ، وقدته إليه ، وأعلمته خبره ، فسأله عن اسمه فقال: أنا محمد بن عبد الله ، وأكنَى بأبى الليث ، من أهل أصبهان ؛ وإنما أتيتُك راغبًا فى صحبتك ، فقبِله ، ولم يلبث أن سمع تكبيراً ؛ فإذا علىّ بن أبان قد وافاه ومعه رأسُ البلالىّ المعروف بأبى الليث القواريرىّ .

قال : وقال شِبْل : الذى قتل أبا الليث القواريرىّ وصيف المعروف بالزّهرىّ وهو من مذكورى البلاليّة ، ورأس المعروف بعبْدان الكسبىّ ، وكان له فى البلاليّة صوت فى رءوس جماعة منهم ، فسأله عن الخبر فأخبره أنه لم يكن فيمن قاتله أشدّ قتالا من هذين — يعنى أبا الليث وعبدان — وأنه هزمهم حتى ألقاهم فى نهر نافذ ؛ وكانت معهم شذاة فغرّقها ، ثم جاءه محمد بن سلْم ومعه رجل من البلالية أسيرًا ، أسره شِبْل يقال له محمد الأزرق القواريرىّ ، ومعه رءوس كثيرة ، فدعا الأسير فسأله عن أصحاب هذين الجيشين ، فقال له : أما الذين كانوا فى الرياحىّ فإنّ قائدهم كان أبا منصور الزّينبىّ ، وأما الذين كانوا مما يلى نهر حرب ، فإن قائدهم كان سليمان أخا الزينبى من ورائهم مُصْحرًا ، فسأله عن عددهم فقال له : لا أحصيهم ، إلاّ أنى أعلم أنهم كثير عددهم . فأطلق[1] محمد القواريرىّ ، وضمه إلى شِبْل ، وسار حتى وافى سبَخة ١٧٧٩/٣

(١) ف : « وأطلق » .

الجعفرية ، فأقام ليلتَه بين القتلى ؛ فلما أصبح جمع أصحابه فحذّرهم أن يدخل أحد منهم البصرة ، وسار فتسرّع منهم أنكلويه وزُريق وأبو الخَنْجر — ولم يكن قُوِّد يومئذ — وسليم ووصيف الكوفىّ . فوافَوا النهر المعروف بالشاذانى ، وأتاهم أهل البصرة ، وكثّروا عليهم ؛ وانتهى الخبر إليه ، فوجّه محمد بن سلْم وعلىّ بن أبان ومشرقاً غلام يحيى فى خلق كثير ، وجاء هو يسايرهم ؛ ومعه السفن التى فيها الدوابّ المحمولة ونساء الغلمان حتّى أقام بقنطرة نهر كثير .

قال ريحان : فأتيته وقد رُميت بحجر ، فأصاب ساقى ، فسألنى عن الخبر فأخبرته[1] أنّ الحرب قائمة ، فأمرنى بالرّجوع ، وأقبل معى حتى أشرف على نهر السيابجة . ثم قال لى : امض إلى أصحابنا ، فقل لهم يستأخروا عنهم ، فقلت له : ابعد عن هذا الموضع فإنى لست آمنُ عليك الخَول . فتنحّى ، ومضيت فأخبرت القوّاد[2] بما أمر به ، فتراجعوا ، وأكبّ أهل البصرة عليهم ، وكانت هزيمة وذلك عند العصر ، ووقع الناس فى النهرين : نهر كثير ونهر شَيْطان ، فجعل يهتف بهم ويردّهم فلا يرجعون ، وغرق جماعة من أصحابه فى نهر كثير ، وقتِل منهم جماعة على شطّ النهر وفى الشاذانىّ ؛ فكان ممن غرق يومئذ من قوّاده أبو الجون ومبارك البحرانىّ وعطاء البربرىّ وسلام الشامىّ ، ولحقه غلام أبى شيث وحارث القَيْسىّ وسُحيل ، فعلَوا القنطرة ، فرجع إليهم وانهزموا عنه حتى صاروا إلى الأرض ، وهو يومئذ فى دُرّاعة وعمامة ونعل وسيف ، وتُرسه فى يده ؛ ونزل عن القنطرة وصعدها البصريون يطلبونه ، فرجع فقتل منهم بيده رجلا على خمس مراق من القنطرة ، وجعل يهتف بأصحابه ويعرّفهم مكانه ، ولم يكن بقى معه فى ذلك الموضع من أصحابه إلا أبو الشَوْك ومصلح ورفيق غلام يحيى .

قال ريحان : فكنت معه فرجع ؛ حتى صار إلى المعلّى ، فنزل فى غربىّ نهر شيطان .

قال محمد بن الحسن : فسمعتُ صاحب الزّنج يحدّث ، قال : لقد

١٧٨٠/٣

---

(١) ف : « فأعلمته » .
(٢) س : « حتى أخبرت » .

رأيتُنى فى بعض نهار هذا اليوم ؛ وقد ضللت عن أصحابى ، وضلّوا عنى ،
فلم يبق معى إلا مصلح ورفيق ،وفى رِجْلى نعل سندىّ ، وعلىّ عمامة قد انحلّ ١٧٨١/٣
كُور منها فأنا أسحبها من ورائى ، ويعجلنى المشىُ عن رفعها ، ومعى سيفى
وتُرسِى . وأسرع[1] مصلح ورفيق فى المشى وقصّرتُ ، فغابا عنى ، ورأيت
فى أثرى رجلين من أهل البصرة ؛ فى يد أحدهما سيف ، وفى يد الآخر حجارة ،
فلما رأيانى عرَفانى ، فجدّا فى طلبى ، فرجعت إليهما ، فانصرفا عنى ،
ومضيتُ حتى خرجت إلى الموضع الذى فيه مجمع أصحابى ؛ وكانوا قد تحيّروا
لفقدى ؛ فلما رأوْنى سكنوا إلى رؤيتى .

قال ريحان : فرجع بأصحابه إلى موضع يعرف بالمعلّى فى غربىّ نهر شيطان،
فنزل به ، وسأل عن الرّجال ؛ فإذا قد هرب كثير منهم ، ونظر فإذا هو من
جميع أصحابه فى مقدار خمسمائة رجل ، فأمر بالنفخ فى البوق الذى كانوا
يجتمعون لصوته ، فلم يرجع إليه أحد ، وبات ليلته ، فلما كان فى بعض الليل
جاء الملقب بجُرْبان ، وقد كان هرب فيمن هرب ، ومعه ثلاثون غلاماً
فسأله : أين كانت غيبته ؟ فقال : ذهبت إلى الزّوارقة طليعةً.

قال ريحان : ووجّهنى لأتعرّف له مَنْ فى قنطرة نهر حرْب ، فلم أجد
هناك أحداً ، وقد كان أهل البصرة انتهبُوا السفن التى كانت معه ، وأخذوا
الدوابّ التى كانت فيها فى هذا اليوم ، وظفروا بمتاع من متاعه ، وكتب من
كتبه ، وإصطرلابات كانت معه ؛ فلما أصبح من غد هذا اليوم نظر فى عدة[2]
أصحابه ، فإذا هم ألف رجل قد كانوا ثابوا إليه فى ليلتهم تلك . ١٧٨٢/٣

قال ريحان : فكان فيمن هرب شبل ، وكان ناصح الرّملىّ ينكر هرب
شبل . قال ريحان : فرجع شبل من غد ، ومعه عشرة غلمان ، فلامه وعنّفه ،
وسأل عن غلام كان يقال له نادر يكنى بأبى نعجة ، وعن عنبر البربرىّ ؛
فأخبر أنهما هربا فيمن هرب ، فأقام فى موضعه ، وأمر محمد بن سلم أن يصير
إلى قنطرة نهر كثير ، فيعظ الناس ويُعلمهم ما الذى دعاه إلى الخروج، فصار
محمد بن سلم وسليمان بن جامع ويحيى بن محمد ، فوقف سليمان ويحيى ، وعبر

---

(١) ف : « فأسرع » . (٢) س : « عدد » .

محمد بن سلم حتى توسّط أهل البصرة ، وجعل يكلّمهم ، ورأوْا منه غِرّة فانطووا عليه ؛ فقتلوه .

قال الفضل بن عدىّ : عَبَر محمد بن سلم إلى أهل البصرة ليعظهم وهم مجتمعون فى أرض تعرف بالفَضْل بن ميمون ؛ فكان أوّل من بدر إليه وضربه بالسيف فَتحٌ غلام أبى شيث ، وأتاه ابن التّومنىّ السعدّى ، فاحتزّ رأسه ، فرجع سليمان ويحيى إليه ، فأخبراه الخبر ، فأمرهما بطىّ ذلك عن الناس حتى يكون هو الذى يقوله لهم ، فلمّا صلى العصر نعى محمد بن سلم لأصحابه ، وعرف خبره من لم يكن عرفه ، فقال لهم : إنكم تقتلون به فى غد عشرة آلاف من أهل البصرة. ووجّه زُريقاً وغلامًا له يقال له سقلبتويا ، وأمرهما بمنع الناس من العبور ؛ وذلك فى يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة خمس وخمسين ومائتين . ١٧٨٣/٣

قال محمد بن الحسن : فحدّثنى محمد بن سمعان الكاتب ، قال : لما كان فى يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من ذى القعدة جمع له أهل البصرة ، وحشدوا له لمَا رأوا من ظهورهم عليه فى يوم الأحد ، وانتدب لذلك رجل من أهل البصرة يعرف بحمّاد الساجىّ — وكان من غُزاة البحر — فى الشّذا ، وله علم بركوبها والحرب فيها ، فجمع المطوّعة ورماة الأهداف وأهل المسجد الجامع ومَنْ خفّ معه من حزبى البلالية والسعدية ، ومَنْ أحبّ النظر من غير هذه الأصناف من الهاشميّين والقرشيين وسائر أصناف الناس ، فشحن ثلاثة مراكب من الشّذا من الرماة ، وجعلوا يزدحمون فى الشذا حرصاً على حضور ذلك المشهد ، ومضى جمهور الناس رجّالة ، منهم من معه السلاح ، ومنهم نظّارة لا سلاح معهم ، فدخلت الشّذا والسفن النهرَ المعروف بأم حبيب بعد زوال الشمس من ذلك اليوم فى المدّ . ومرّت الرّجالة والنظارة على شاطئ النهر ، قد سدّوا ما ينفذ فيه البصر تكاثفاً وكثرة ، وكان صاحب الزنج مقيمًا بموضعه من النهر المعروف بشيطان .

قال محمد بن الحسن : فأخبرنا صاحبُ الزّنج أنه لما أحسّ بمصير الجمع إليه ، وأتته طلائعه بذلك وَجّه زُريقاً وأبا الليث الأصبهانىّ فى جماعة

٣/١٧٨٤ معهما فى الجانب الشرقىّ من النهر كمينا وشبْلاً وحسيناً الحمامىّ فى جماعة من أصحابه فى الجانب الغربىّ بمثل ذلك ، وأمر علىّ بن أبان ومَنْ بقى معه من جمْعه بتلقّى القوم ، وأن يجثوا لهم فيمن معه ، ويستتروا بتراسهم فلا يثور إليهم منهم ثائر حتى يوافيَهم القوم ويُومِوا إليهم بأسيافهم ؛ فإذا فعلوا ذلك ثاروا إليهم . وتقدّم إلى الكمينين : إذا جاوزهما الجمع وأحسّا بثورة أصحابهم إليهم أن يخرجا من جنبتى النهر ، ويصيحا بالناس . وأمر نساء الزّنج بجمع الآجرّ وإمداد الرجال به .

قال : وكان يقول لأصحابه بعد ذلك : لمّا أقبل إلىّ الجمع يومئذ وعاينته رأيت أمراً هائلاً راعنى ، وملأ صدرى رهبة وجزَعاً ، وفزعت إلى الدعاء ، وليس معى من أصحابى إلاّ نفر يسير ؛ منهم مصلح ؛ وليس منا أحد إلا وقد خُيِّل له مصرعه فى ذلك . فجعل مصلح يعجّبنى من كثرة ذلك الجمع ، وجعلت أومى إليه أن يمسك[1] فلما قرب القوم منى قلت : اللهم إن هذه ساعة العسرة ، فأعنى ، فرأيت طيوراً بيضاً تلقّتْ ذلك الجمع ، فلم أستتمّ كلامى حتى بصرت بُسميريّة قد انقلبتْ بمن فيها ، فغرقوا[2] ثم تلتها الشّذَا ، وثار أصحابى ٣/١٧٨٥ إلى القوم الذين قصدوا لهم فصاحوا بهم. وخرج الكمينان عن جنبتى النهر من وراء السفن والرّجّالة ، وخبطوا مَنْ ولّى من الرّجّالة والنظّارة الذين كانوا على شاطئ النهر المعروف ، فغرقت طائفة ، وقتلت طائفة ، وهربت طائفة نحو الشطّ طمعاً فى النجاة ، فأدركها السيف ؛ فمن ثبت قُتِل ، ومن رجع إلى الماء غرق ، ولجأ من كان على شاطئ النهر من الرّجّالة إلى النهر فغرقوا وقتلوا ، حتى أبير أكثر ذلك الجمع ، ولم ينج منهم إلا الشريد ، وكثر المفقودون بالبصرة ، وعلا العويل من نسائهم. وهذا يوم الشذا الذى ذكره الناس ، وأعظموا ما كان فيه من القتل . وكان فيمن قتل من بنى هاشم جماعة من ولد جعفر ابن سليمان وأربعون رجلا من الرّماة المشهورين ؛ فى خلق كثير لا يحصى عددهم

---

(١) ب « بالسكر » .

(٢) ب : « فغرقت » .

وانصرف الخبيث وجُمعت له الرءوس، فذهب إليه جماعة من أولياء القتلى ، فعرضها عليهم، فأخذوا ما عرفوا منها ، وعبّأ ما بقى عنده من الرءوس التى لم يأت لها طالب ، فى جريبيّة ملأها منها ، وأخرجها من النهر المعروف بأم حبيب فى الجزر ، وأطلقها . فوافت البصرة ، فوقفت فى مشرعة تعرف بمشرعة القيّار ، فجعل الناس يأتون تلك الرءوس ، فيأخذ رأسَ كل رجل أولياؤه، وقوىَ عدوّ الله بعد هذا اليوم ، وتمكن الرّعب فى قلوب أهل البصرة منه ، وأمسكوا عن حربه . وكتب إلى السلطان بخبر ما كان منه، فوجّه جُعْلان التركىّ مدداً لأهل البصرة، وأمر أبا الأحوص الباهلىّ بالمصير إلى الأبُلّة واليًا ، وأمدّه برجل من الأتراك يقال له جُريح . ١٧٨٦/٣

فزعم الخبيث أنّ أصحابه قالوا له بعقب هذه الوقعة : إنا قد قتلنا مقاتلة أهل البصرة، ولم يبق فيها إلا ضعفاؤهم ومَنْ لا حراك به، فأذنْ لنا فى تقحُّمها. فزَبَرَهم وهجّن آراءهم ، وقال لهم : لا بل ابعدوا عنها ؛ فقد أرعبناهم وأخفناهم وأمنتم جانبهم؛ فالرأى الآن أن تَدَعوا حربهم حتى يكونوا هم الذين يطلبونكم . ثم انصرف بأصحابه إلى سَبَخة بمآخير أنهارهم، إردبّ يقارب النهر المعروف بالحاجر . قال شبل : هى سَبخة أبى قرّة وقعها بين النهرين : نهر أبى قرّة والنهر المعروف بالحاجر .

فأقام هناك ، وأمر أصحابه باتخاذ الأكواخ ، وهذه السبخة متوسطة النخل والقرى والعمارات ، وبثّ أصحابه يمينًا وشمالاً يغير بهم على القرى ، ويقتل بهم الأكرة وينهب أموالهم ، ويسوق مواشيَهم . ١٧٨٧/٣

فهذا ما كان من خبره وخبر الناس الذين قربوا من موضع مخرجه فى هذه السنة .

* * *

ولليلتين بقيتا من ذى القعدة منها حُبس الحسن بن محمد بن أبى الشوارب القاضى ، ووُلِّىَ عبد الرحمن بن نائل البصرىّ قضاء سامرّا فى ذى الحجة منها .

وحجّ بالناس فيها علىّ بن الحسن بن إسماعيل بن العباس بن محمد بن علىّ .

ثم دخلت سنة ست وخمسين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجليلة

* * *

[ذكر الخبر عن وصول موسى بن بغا إلى سامرّا واختفاء صالح]

فمن ذلك ما كان من موافاة موسى بن بُغا سامُرّا واختفاء صالح بن وصيف لمقدَمه ، وحَمْل من كان مع موسى من قوّاد المهتدى من الجوسق إلى دار ياجور .

ذكر أنّ دخول موسى بن بغا سامرّا بمن معه كان يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة خلتْ من المحرّم من هذه السنة ؛ فلما دخلها أخذ فى الحَيْر ، وعبّأ أصحابه ميمنة وميسرة وقلباً فى السلاح ، حتى صار إلى باب الحَيْر مما يلى الجوسق والقصر الأحمر ؛ وكان ذلك يوماً جلس فيه المهتدى للناس للمظالم ؛ فكان ممن أحضره فى ذلك اليوم بسبب المظالم أحمد بن المتوكل بن فتيان ؛ فكان فى الدار إلى أن دخل الموالى ، فحملوا المهتدى إلى دار ياجور ، واتّبعه أحمد بن المتوكّل إلى ما هناك ، فلم يزل موكّلا به فى مضرب مفلح إلى أن انقطع الأمر، ورُدّ المهتدى إلى الجوسق ، ثم أطلق. وكان القيّم بأمر دار الخلافة بايكباك ، فصيّرها إلى ساتكين قبل ذلك بأيام ، فظنّ الناس أنه إنما فعل ذلك لثقته بساتكين ، وأنه على أن يغلب على الدار والخليفة وقت قدوم موسى . فلما كان فى ذلك اليوم لزم منزله ، وترك الدار خالية ، وصار موسى فى جيشه إلى الدار ، والمهتدى جالس للمظالم ؛ فأعلم بمكانه ، فأمسك ساعة عن الإذن ، ثم أذن لهم ، فدخلوا فجرى من الكلام نحوُ ما جرى يوم قدِم الوفد والرسل ، فلمّا طال الكلام تراطنوا فيما بينهم بالتركيّة ، وأقاموه من مجلسه ، وحملوه على دابة من دواب الشاكريّة ، وانتهبوا ما كان فى الجوْسق من دوابّ الخاصة ، ومضوْا يريدون الكرخ ، فلما صاروا عند باب الحيْر فى القطائع عند دار ياجور أدخلوه دار ياجور .

فذُكِر عن بعضِ الموالى ممن حضرهم ذلك اليوم، أنّ سبب أخذهم المهتدى

٣/١٧٨٨
٣/١٧٨٩

ذلك اليوم كان أنّ بعضهم قال لبعض : إنّ هذه المطاولة إنما هى حيلة عليكم حتى يكبسكُمْ صالح بن وصيف بجيشه . فخافوا ذلك ، فحملوه وذهبوا به إلى الموضع الآخر ؛ فذُكِر عمّن سمع المهتدى يقول لموسى : ما تريد ويحك ! اتّق الله وخَفْه ؛ فإنك تركب أمراً عظيماً . قال : فردّ عليه موسى : إنا ما نريد إلا خيراً ، ولا وتربة المتوكل لا نالك منا شرٌّ البتة .

قال الذى ذكر ذلك : فقلت فى نفسى : لو أراد خيراً لحلف بتربة المعتصم أو الواثق .

ولما صاروا به إلى دار ياجور أخذوا عليه العهود والمواثيق ألاّ يمايل صالحاً عليهم ، ولا يضمر[1] لهم إلا مثل ما يظهر ؛ ففعل ذلك ، فجدّدوا له البيعة ليلة الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة خلت من المحرّم ، وأصبحوا يوم الثلاثاء ، فوجّهوا إلى صالح أن يحضرهم للمناظرة ، فوعدهم أن يصير إليهم .

فذكر عن بعض رؤساء الفراغنة ، أنه قيل له : ما الذى تطالبون به صالح ابن وصيف ؟ فقال : دماء الكتّاب وأموالهم ودم المعتزّ وأمواله وأسبابه . ثم أقبل القوم على إبرام الأمور وعسكرهم خارج باب الحيْر عند باب ياجور ؛ فلما كانت ليلة الأربعاء استتر صالح ؛ فذكر عن طلمجُور أنه قال : لما كانت ليلة الأربعاء اجتمعنا عند صالح ، وقد أمر أن يفرّق أرزاق أصحاب[2] النوبة عليهم ، فقال لبعض من حضره : اخرج فأعرض ممّنْ حضر من الناس ، فكانوا بالغداة زُهاء خمسة آلاف . قال : فعاد إليه ، وقال : يكونون ثمانمائة رجل ، أكثرهم غلمانك ومواليك . فأطرق ملياً ، ثم قام وتركَنا ، ولم يأمر بشىء وكان آخر العهد . ١٧٩٠/٣

وذكر عمّن سمع بَخْتيشُوع يقول وهو يعرّض بصالح قبل قدوم موسى . حرّكْنا هذا الجيش الخشن ، وأرغمناه ، حتى إذا أقبل إلينا تشاغلنا بالنرد والشرب ، كأنا بنا وقد اختفينا إذا ورد القاطول ! فكان الأمر كذلك .

وغدا طُغتا إلى باب ياجور سَحَر يوم الأربعاء فلقيه مفلح ، فضربه بطبرزين ، فشجّه فى جانب جبينه الأيمن ، فكان الذين أقاموا مع صالح الليلة

(١) كذا فى ب . (٢) ب : « أصحابه » .

التى استتر فيها من القوّاد الكبار طُغُتا بن الصيغُون وطلمجُور صاحب المؤيد ومحمد بن تركش وخمّوش والنوشرىّ ، ومن الكتّاب الكبار أبو صالح عبد الله ابن محمد بن يزداد وعبد الله بن منصور وأبو الفرج . وأصبح الناس يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من المحرّم وقد استتر صالح ، وغدا أبو صالح إلى دار ياجور ، وجاء عبد الله بن منصور ، فدخل الدار مع سليمان بن وهب ، وتنصّح إليهم أن عنده سفاتج بخمسة آلاف دينار .

وذكر أن صالحاً أراده على حملها ، فأبى أن يقرّ الأمر قراره . ١٧٩١/٣

وخلع فى هذا اليوم على كنجور ليتولّى أمر دار صالح وتفتيشها ، ومضى ياجور صاحب موسى فأتى بالحسن بن مَخْلَد من الموضع الذى كان فيه محبوساً من دار صالح .

* * *

وفى هذا اليوم من هذا الشهر وُلِّىَ سليمان بن عبد الله بن طاهر مدينة السلام والسواد ، ووجّه إليه بخلَع ، وزيد على ما كان يخلع على عبيد الله بن عبد الله بن طاهر .

وفيه رُدّ المهتدى إلى الجوسق ، ودفع عبد الله بن محمد بن يزداد إلى الحسن ابن مَخْلَد .

وفيه أظهر النداء على صالح .

* * *

[ذكر الخبر عن قتل صالح بن وصيف]

ولثمان بقين من صفر من هذه السنة قتل صالح بن وصيف .

* ذكر الخبر عن سبب قتله وسبب الوصول إليه بعد اختفائه :

ذكر أن سبب ذلك كان أن المهتدى لمّا كان يوم الأربعاء لثلاث بقين من المحرّم سنة ست وخمسين ومائتين أظهر كتاباً ، ذكر أن سيما الشرابىّ زعم أنّ امرأة جاءت به مما يلى القصر الأحمر ، ودفعته إلى كافور الخادم الموكّل

بالحرم ، وقالت له : إن فيه نصيحة ، وإن منزلى فى موضع كذا فإن أردتمونى فاطلبونى هناك ، فأوصل الكتاب إلى المهتدى ، فلما طُلبت فى الموضع الذى وصفت حين احتيج إلى بحثها عن الكتاب لم توجد، ولم يعرف لها خبر . ١٧٩٢/٣

وقد ذُكر أن المهتدى أصاب ذلك الكتاب ، ولم يدر[1] من رمى به ، فذُكر أن المهتدى دعا سليمان بن وهب بحضرة جماعة من الموالى فيهم موسى ابن بغا ومفلح وبايكباك وياجور وبكالبا وغيرهم ؛ فدفع[2] الكتاب إلى سليمان، وقال له: تعرف هذا الخطّ؟ قال : نعم، هذا خطّ صالح بن وصيف ، فأمره أن يقرأه عليهم، فإذا صالح يذكر فيه أنه مستخف بسامرّا، وأنه إنما استتر متخيراً للسلامة وإبقاءً على الموالى، وخوفاً من إيصال الفتن بحرب إن حدثت بينهم ، وقصداً لأن يبيت القوم ، ويكون ما يأتونه بعد بصيرة مما ذكر فى هذا الباب . ثم ذكر ما صار إليه من أموال الكتّاب ، وقال : إنّ علم ذلك عند الحسن ابن مَخْلَد ، وهو أحدهم ، وهو فى أيديكم . ثم ذكر من وصل إليه ذلك المال وتولّى تفريقه ، وذكر ما صار إليه من أمر قبيحة ، وأشار إلى أن علم ذلك عند أبى صالح بن يزداد وصالح العطار ، ثم ذكر أشياء فى هذا المعنى ، بعضها يعتذر به وبعضها يحتجّ به ، ومخرج القول فى ذلك يدلّ على قوّة فى نفسه .

فلما فرغ سليمان من قراءة الكتاب وصله المهتدى بقول منه يحثّ على الصلح والهدنة والألفة والاتفاق، ويكرّه إليهم الفرقة والتفانى والتباغض، فدعا ذلك القوم إلى تُهمته ، وأنه يعلم بمكان صالح ، وأنه يتقدّمهم عنده ، فكان بينهم فى ذلك[3] كلام كثير ومناظرات طويلة ، ثم أصبحوا يوم الخميس لليلتين بقيتا من المحرّم سنة ست وخمسين ومائتين، فصاروا جميعاً إلى دار موسى بن بغا فى داخل الجوسق يتراطنون ويتكلمون . واتصل الخبر بالمهتدى . ١٧٩٣/٣

فذكر عن أحمد بن خاقان الواثقىّ أنه قال : من ناحيتى انتهى الخبر إلى

---

(١) ب : « ولا يدرى » . (٢) س : « فوقع » .
(٣) س : « هذا » .

المهتدى ؛ وذلك أنى سمعت بعض مَنْ كان حاضر المجلس وهو يقول : أجمع القوم على خلع الرجل .

قال : فصرت إلى أخيه إبراهيم ، فأعلمته بذلك ، فدخل عليه فأعلمه ذلك ، وحكاه عنى ؛ فلم أزل خائفًا أن يعجل أمير المؤمنين فيخبرهم عنى بالخبر ، فرزق الله السلامة .

وذكر أن أخا بايكباك قال لهم فى هذا المجلس لما أطلعوه على ما كانوا عزموا عليه : إنكم قتلتم ابن المتوكل ، وهو حسن الوجه ، سخىّ الكف ، فاضل النفس ، وتريدون أن تقتلوا هذا وهو مسلم يصوم ولا يشرب النبيذ من غير ذنب ! والله لئن قتلتم هذا لألْحَقنّ بخراسان ، ولأشيعنّ أمركم هناك .

فلما اتصل الخبر بالمهتدى خرج إلى مجلسه متقلّداً سيفًا ، وقد لبس ثيابًا نظافاً ، وتطيّب ، ثم أمر[1] بإدخالهم إليه ، فأبوْا ذلك مليًّا ، ثم دخلوا عليه ، فقال لهم : إنه قد بلغنى ما أنتم عليه من أمرى ؛ ولستُ كَمَنْ تقدّمنى مثل أحمد بن محمد المستعين ، ولا مثل ابن قبيحة ؛ والله ما خرجتُ إليكم إلاّ وأنا متحنّط ، وقد أوصيتُ إلى أخى[2] بولدى ، وهذا سيفى ؛ والله لأضربنّ به ما استمسك قائمه بيدى ؛ والله لئن سقط من شعرى شعرة ليهلكنّ أو ليذهبنّ بها أكثركم . أمَا دين ! أمَا حياء ! أمَا رِعة ! كم يكون هذا الخلاف على الخلفاء والإقدام والجرأة على الله ! سواء عليكم مَنْ قصد الإبقاء عليكم ومن كان إذا بلغه مثل هذا عنكم دعا بأرطال الشراب فشربها مسروراً بمكروهكم وحبًّا لبواركم ! خبِّرونى عنكم ؛ هل تعلمون أنه وصل إلىّ من دنياكم هذه شىء ! أما إنك تعلم يا بايكباك أنّ بعض المتصلين بك أيسر من جماعة إخوتى وولدى ؛ وإن أحببتَ أن تعرف ذلك فانظر : هل ترى فى منازلهم فرشاً أو وصائف أو خدماً أو جوارىَ ! أو لهم ضياع أو غلات ! سوءة لكم ! ثم تقولون : إنى أعلم علم صالح ، وهل صالحٌ إلاّ رجل من الموالى ، وكواحد منكم ! فكيف الإقامة معه إذا ساء رأيكم فيه ! فإن آثرتم الصلح كان ذلك ما أهوى لجمعكم ، ٣/١٧٩٤

---

(١) س : « ثم تطيب وأمر » . (٢) ب : « إخوتى » .

وإن أبيتم إلاّ الإقامة على ما أنتم عليه فشأنكم ؛ فاطلبوا صالحاً، ثم ابلغوا شفاء أنفسكم ؛ وأما أنا فما أعلم علمه . قالوا : فاحلف لنا على ذلك . قال : أمّا اليمين فإنى أبذلها لكم ؛ ولكنى أؤخرها حتى تكون بحضرة الهاشميين والقضاة والمعدّلين وأصحاب المراتب غداً إذا صلّيت الجمعة . فكأنهم لانوا قليلا ، ووجّه فى إحضار الهاشميين فحضروا فى عشيّتهم ، فأذن لهم ، فسلّموا ولم يذكرْ لهم شيئًا ، وأمِروا بالمصير إلى الدار لصلاة الجمعة ، فانصرفوا ، وغدا الناس يوم الجمعة ولم يحدثوا[1] شيئًا ، وصلّى المهتدى ، وسكن الناس وانصرفوا هادئين . ١٧٩٥/٣

وذُكِر عن بعض مَنْ سمع الكلام فى يوم الأربعاء يقول : إن المهتدى لما خُوّن صالح قال : إن بايكباك قد كان حاضراً ما عمل به صالح فى أمر الكتّاب ومال ابن قبيحة ، فإن كان صالح قد أخذ من ذلك شيئًا فقد أخذ مثل ذلك بايكباك ؛ فكان ذلك الذى أحفظ بايكباك .

وقال آخر : إنه سمع هذا القول ، وإنه ذكر محمد بن بغا ، وقال : قد كان حاضراً وعالمًا بما أجرَوْا عليه الأمر ، والشريك فى ذلك أجمع . فأحفظ ذلك أبا نصر .

وقد قيل : إن القوم من لدن قدم موسى كانوا مضمرين هذا المعنى ، منطوين على الغِلّ ؛ وإنما كان يمنعهم منه خوف الاضطراب وقلة الأموال ؛ فلما ورد عليهم مال فارس والأهواز تحرّكوا ، وكان ورود[2] ذلك عليهم يوم الأربعاء لثلاث بقين من المحرّم ، ومبلغه سبعة عشر ألف ألف درهم وخمسمائة ألف درهم .

[ذكر الخبر عن خروج العامة على المهتدى]

فلما كان يوم السبت انتشر الخبر فى العامة أنّ القوم على أن يخلعوا المهتدى ، ويفتكوا به ، وأنهم أرادوه على ذلك ، وأرهقوه ، وكتبوا الرقاع وألقوْها فى المسجد الجامع والطرقات ؛ فذكر بعض[3] من زعم أنه قرأ رقعة منها فيها :

---

(١) س : « فلم يحدثوا » . (٢) ب : « ورد » . (٣) س : « بعضهم » .

بسم الله الرحمن الرحيم ، يا معشرَ المسلمين ، ادعوا الله لخليفتكم العدْل الرضيّ المضاهي لعمر بن الخطاب أن ينصرَه على عدّوه ، ويكفيه مؤنة ظالمه ، ويتمّ النعمة عليه وعلى هذه الأمة ببقائه ؛ فإن الموالىَ قد أخذوه بأن يخلع نفسه وهو يعذَّب منذ أيام ، والمدبِّر لذلك أحمد بن محمد بن ثوابة والحسن بن مَخْلَد ، رحم الله من أخلص النيّة ودعا وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ! ١٧٩٦/٣

فلما كان يوم الأربعاء لأربع خلوْن من صفر من هذه السنة ، تحرّك الموالى بالكرْخ والدّور ، ووجّهوا إلى المهتدى على لسان رجل منهم يقال له عيسى : إنّا نحتاج أن نلقى إلى أمير المؤمنين شيئًا ، وسألوا أن يوجّه أمير المؤمنين إليهم أحد إخوته ، فوجّه إليهم أخاه عبد الله أبا القاسم ، وهو أكبر إخوته ، ووجّه معه محمد بن مباشر المعروف بالكرخيّ ، فمضيا إليهم ، فسألاهم عن شأنهم ، فذكروا أنهم سامعون مطيعون لأمير المؤمنين ، وأنه بلغهم أن موسى ابن بغا و بايكباك وجماعة من قوّادهم يريدونه على الخلع ، وأنهم يبذلون دماءهم دون ذلك ، وأنهم قد قرءوا بذلك رقاعًا أُلْقِيَتْ فى المسجد والطرقات ، وشكوا مع ذلك سوء حالهم ، وتأخُّر أرزاقهم ، وما صار من الإقطاعات إلى قوّادهم التى قد أجحفت بالضياع والخراج ، وما صار لكبرائهم من المعاون والزّيادات من الرسوم القديمة مع أرزاق النساء والدّخلاء الذين قد استغرقوا أكثر أموال الخراج . وكثر كلامهم فى ذلك ، فقال لهم أبو القاسم عبد الله ابن الواثق : اكتبوا هذا فى كتاب إلى أمير المؤمنين ، أتولّى إيصاله لكم ؛ فكتبوا ذلك ، وكاتبهم فى الذى يكتبون محمد بن ثقيف الأسود ؛ وكان يكتب لعيسى[1] صاحب الكرخ أحياناً . وانْصرف أبو القاسم ومحمد بن مباشر ، فأوصلا الكتاب إلى المهتدى ، فكتب جوابَه بخطّه ، وختمه بخاتمه ، وغدا أبو القاسم إلى الكَرْخ ، فوافاهم. فصاروا به إلى دار أشناس وقد صيروها مسجداً جامعاً لهم ، فوقف ووقفوا له فى الرَّحَبة ، واجتمع منهم زهاء مائة وخمسين فارسًا ونحو من خمسمائة راجل ، فأقرأهم من المهتدى السلام ، وقال : يقول ١٧٩٧/٣

(١) س : « يلقب بعيسى » .

لكم أمير المؤمنين : هذا كتابى إليكم بخطّى وخاتمى ، فاسمعوه وتدّبروه ، ثم دفع الكتاب إلى كاتبهم فقرأه، فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله،وصلى الله على محمد النبيّ وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً ، أرشدنا الله وإياكم ، وكان لنا ولكم وليّاً وحافظاً . فهمت كتابكُم ، وسرّنى ما ذكرتم من طاعتكم وما أنتم عليه ؛ فأحسن الله جزاءكم، وتولّى حياطتكم ؛ فأما ما ذكرتم من خلّتكم وحاجتكم، فعزيز علىّ ذلك فيكم ، ولوددت والله أنّ صلاحكم يهيّأ بألا آكل ولا أطعم ولدى وأهلى إلاّ القوت الذى لا شبع دونه ، ولا ألبس أحداً من ولدى إلا ما ستر العورة ، ولا والله—حاطكم الله—ما صار إلىّ منذ تقلدت أمركم لنفسى وأهلى وولدى ومتقدمى غلمانىّ وحشمى إلا خمسة عشر ألف دينار ، وأنتم تقفون على ما ورد ويرد ، كلّ ذلك مصروف إليكم ، غير مدّخر عنكم . وأما ما ذكرتم مما بلغكم ، ٣/١٧٩٨ وقرأتم به الرّقاع التى ألقيت فى المساجد والطرق ، وما بذلتم من أنفسكم ؛ فأنتم أهل ذلك . وأين تعتذرون مما ذكرتم ونحن وأنتم نفس واحدة ! فجزاكم الله عن أنفسكم وعهودكم وأمانتكم خيراً . وليس الأمر كما بلغكم ، فعلى ذلك فليكن عملكم إن شاء الله . وأما ما ذكرتم من الإقطاعات والمعاون وغيرها ، فأنا أنظر فى ذلك وأصير منه إلى محبّتكم إن شاء الله والسلام عليكم . أرشدنا الله وإياكم ، وكان لنا ولكم حافظاً ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد النبى وآله وسلم تسليماً كثيراً .

فلما بلغ القارئ من الكتاب إلى الموضع الذى قال : « ولم يصل إلىّ إلا قدر خمسة عشر ألف دينار »، أشار أبو القاسم إلى القارئ ، فسكت ثم قال : وهذا ما قدّر ، هذا قد كان أمير المؤمنين فى أيام إمارته يستحق فى أقلّ من هذه المدة ماهو أكثر منه بأرزاقه وأنزاله ومعونته ، وقد تعلمون ما كان مَنْ تقدّمه يصرفه فى صلات المخنّثين والمغنين وأصحاب الملاهى وبناء القصور وغير ذلك ، فادعوا الله لأمير المؤمنين . ثم قرأ الكتاب حتى أتى على الكتاب .

* * *

فلما فرغ كثُر الكلام وقالوا قولا ، فقال لهم أبو القاسم : اكتبوا بذلك كتاباً صدّروه على مجارى الكتب إلى الخلفاء ، واكتبوه عن القوّاد وخلفائهم والعُرفاء بالكرخ والدّور وسامرّا . فكتبوا — بعد أن دعوا الله فيه لأمير المؤمنين : إن الذى يسألون ، أن تردّ الأمور إلى أمير المؤمنين فى الخاصّ والعامّ ، ولا يعترض عليه معترض ، وأن تردّ رسومهم إلى ما كانت عليه أيام المستعين بالله ؛ وهو أن يكون على كلّ تسعة منهم عريف ، وعلى كل خمسين خليفة ، وعلى كل مائة قائد ، وأن تسقط النساء والزيادات والمعاون ، ولا يدخل[1] مولًى فى قبالة ولا غيرها ، وأن يوضع لهم العطاء فى كلّ شهرين على ما لم يزل ، وأن تبطل الإقطاعات ، وأن يكون أمير المؤمنين يزيد مَنْ شاء ويرفع مَنْ شاء . وذكروا أنهم صائرون فى أثر كتابهم إلى باب أمير المؤمنين ، ومقيمون هناك إلى أن تقضَى حوائجُهم . وإنه إن بلغهم أنّ أحداً اعترض أمير المؤمنين فى شىء من الأمور أخذوا رأسه ، وإن سقط من رأس أمير المؤمنين شعرة قتلوا به موسى بن بغا وبايكباك ومفلحاً وياجور وبكالبا وغيرهم . ١٧٩٩/٣

ودعوا الله لأمير المؤمنين ودفعوا الكتاب إلى أبى القاسم . فانصرف به حتى أوصله ، وتحرّك الموالى بسامرّا ، واضطرب القوّاد جدّاً ، وقد كان المهتدى قعد للمظالم وأدخل الفقهاء والقضاة ، وأخذوا مجالسهم ، وقام القوّاد فى مراتبهم ، وسبق دخول أبى القاسم دخول المتظلّمين .

فقرأ المهتدى الكتاب قراءة ظاهرة ، وخلا بموسى بن بغا ، ثم أمر سليمان بن وهب أن يوقّع فى رقعتهم بإجابتهم إلى ما سألوا ، فلما فعل ذلك فى فصل من الكتاب أو فصلين ، قال أبو القاسم : يا أمير المؤمنين ، لا يقنعهم إلا خطّ أمير المؤمنين وتوقيعه ، فأخذ المهتدى كتابهم فضرب على ما كان سليمان وقع فى ذلك ، ووقع فى كل باب بإجابتهم[2] إلى ما سألوا ، وبأن يفعل ذلك . ثم كتب كتاباً مفرداً بخطّه وختمه بخاتمه ، ودفعه إلى أبى القاسم ، فقال أبو القاسم لموسى وبايكباك ومحمد بن بغا : وجّهوا إليهم معى رسلا يعتذرون إليهم مما بلغهم عنكم . فوجّه كل واحد منهم رجلاً ، وصار أبو القاسم إليهم وهم فى مواضعهم ، ١٨٠٠/٣

---

(١) س : « ولا » . (٢) س : « إحابتهم » .

وقد صاروا زهاء ألف فارس وثلاثة آلاف راجل ؛ وذلك فى وقت الظهر من يوم الخميس لخمس ليال خلوْن من صفر من هذه السنة ، فأقرأهم من أمير المؤمنين السلام، وقال لهم : إنّ أمير المؤمنين ، قد أجابكم إلى كلّ ما سألتم ، فادعوا الله لأمير المؤمنين . ثم دفع كتابهم إلى كاتبهم ، فقرأه عليهم بما فيه من التوقيعات ؛ ثم قرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين ؛ فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله وحده ، وصلى الله على محمد النبى وآله وسلم ؛ أرشدكم الله وحاطكم ، وأمتع بكم ، وأصلح أموركم وأمور المسلمين بكم ؛ وعلى أيديكم . فهمتُ كتابكم ، وقرأته على رؤسائكم ، فذكروا مثل الذى ذكرتم ، وسألوا مثل الذى سألتم ، وقد أجبتكم إلى جميع ما سألتم محبّةً لصلاحكم وألفتكم واجتماع كلمتكم ، وقد أمرت بتقرير أرزاقكم ، وأن تصير دارّة عليكم ، فليست لكم حاجة إلى حركة ، فطيبُوا نفسًا ، والسلام. أرشدكم الله وحاطكم وأمتع بكم ، وأصلح أموركم وأمور المسلمين بكم ، وعلى أيديكم !

فلما فرغ القارئ من الكتاب ، قال لهم أبو القاسم : وهؤلاء رسل رؤسائكم يعتذرون إليكم من شىء إن كان بلغكم عنهم ، وهم يقولون: إنما أنتم إخوة ؛ وأنتم منّا وإلينا .

وتكلم الرسل بمثل ذلك ، فتكلّموا أيضًا كلامًا كثيراً، ثم كتبوا كتاباً يعتذرون فيه بمثل العذر الأوّل إلى أمير المؤمنين ، وذكروا فيه خصالا مما ذكروه فى الكتاب الذى قبله ، ووصفوا أنه لا يقنعهم إلاّ أن ينفذ إليهم خمس توقيعات ، توقيعًا بحط الزيادات ، وتوقيعاً بردّ الإقطاعات ، وتوقيعاً بإخراج الموالى البوابين من الخاصّة إلى عداد البرانيّين ، وتوقيعًا بردّ الرسوم إلى ما كانت عليه أيام المستعين ، وتوقيعاً بردّ التلاجئ حتى يدفعوها إلى رجل يضمّون إليه خمسين رجلاً من أهل الدور ، وخمسين رجلا من أهل سامرّا ينتجزون من الدواوين ، ثم يصير أمير المؤمنين الجيش إلى أحد إخوته أو غيرهم ممن يرى ليسفر بينه وبينهم بأمورهم، ولا يكون رجلا من الموالى ، وأن يؤمر صالح بن وصيف فيحاسب هو وموسى بن بغا على ما عندهم من الأموال ، وأنه لا يرضيهم دونَ ما سألوا فى كتبهم كلها مع تعجيل العطاء ، وإدرار أرزاقهم عليهم فى كلّ شهرين ،

١٨٠١/٣

وأنهم قد كتبوا إلى أهل سامُرّا والمغاربة فى موافاتهم ، وأنهم صائرون إلى باب أمير المؤمنين لينجز ذلك لهم ، ودفعوا الكتاب إلى أبى القاسم أخى أمير المؤمنين ، وكتبوا كتاباً آخر إلى موسى بن بغا وبايكباك ومحمد بن بغا ومفلح وياجور وبكالبا وغيرهم من القوّاد الذين ذكروا أنهم كتبوا كتابًا ، ذكروا فيه أنهم قد كتبوا إلى أمير المؤمنين بما كتبوا ، وأن أمير المؤمنين لا يمنعهم ما سألوا[1] إلا أن يعترضوا عليه ، وأنهم إن فعلوا ذلك وخالفوهم لم يوافقوهم على شىء ، وأنّ أمير المؤمنين إن شاكتْه شوكة أو أخذ من رأسه شعرة ، أخذوا رءوسهم جميعًا ، وأنه ليس يقنعهم إلاّ أن يظهر صالح بن وصيف حتى يجمع بينه وبين موسى ابن بُغا ، حتى ينظر أين موضع الأموال ؛ فإن صالحاً قد كان وعدهم قبل استتاره أن يعطيَهم أرزاق ستة أشهر .

١٨٠٢/٣

ثم دفعوا هذا الكتاب إلى رسول موسى ، ووجّهوا مع أبى القاسم عدّة نفر منهم ؛ ليوصلوا إلى أمير المؤمنين كتابهم ، وليستمعوا كلامه .

فلما رجع أبو القاسم وجّه موسى زهاء خمسمائة فارس ، فوقفوا على باب الحيْر بين الجوسق والكَرْخ ، فمال إليهم أبو القاسم ورسل القوم ورسل أنفسهم ، فدفع رسول موسى إلى موسى كتاب القوم إليه وإلى أصحابه — وفى الجماعة سليمان بن وهب وولده وأحمد بن محمد بن ثَوَابة وغيرهم من الكتاب — فلما قرأ الكتاب عليهم أعلمهم أبو القاسم أنّ معه كتاباً من القوم إلى أمير المؤمنين ، ولم يدفعه إليهم . فركبوا[2] جميعًا وانصرفوا إلى المهتدى ، فوجدوه فى الشمس قاعداً على لِبد ، قد صلّى المكتوبة ؛ وكسر جميع ما كان فى القصر من الملاهى وآلاتها وآلات اللعب والهَزْل ، فدخلوا فأوصلوا إليه الكتب ، وخلوا مليًّا . ثم أمر المهتدى سليمان بن وهب بإنشاء الكتب على ماسألوا فى خمس رقاع ، فأنفذها المهتدى فى دَرج كتاب منه بخطّه ، ودفعه إلى أخيه ، وكتب القُوّاد إليهم جواب كتابهم ، ودفعوه إلى صاحب موسى ، فصار إليهم أبو القاسم فى وقت المغرب ، فأقرأهم من المهتدى السلام ، وقرأ عليهم كتابه ، فإذا فيه :

١٨٠٣/٣

---

(١) س : « مما سألوا » .

(٢) س : « فرجعوا » .

بسم الله الرحمن الرحيم . وفّقنا الله وإياكم لطاعته وما يرضيه . فهمت كتابكم . حاطكم الله ، وقد أنفذت إليكم التوقيعات الخمس على ما سألتم ، فوكّلوا منْ يتنجّزها من الدواوين إن شاء الله . وأما ما سألتم من تصيير أمركم إلى أحد إخوتى ليوصل إلىّ أخباركم ، ويؤدى إلىّ حوائجكم ؛ فوالله إنى لأحبّ أن أتفقّد ذلك بنفسى ، وأن أطّلع على كلّ أمركم وما فيه مصلحتكم ، وأنا مختار لكم الرجل الذى سألتم ، من إخوتى أو غيرهم إن شاء الله ؛ فاكتبوا إلىّ بحوائجكم وما تعلمون أن فيه صلاحكم ؛ فإنى صائر من ذلك إلى ما تحبّون إن شاء الله ، وفّقنا الله وإياكم لطاعته وما يرضيه .

وأوصل إليهم رسول موسى كتاب موسى وأصحابه ؛ فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . أبقاكم الله وحفظكم ، وأتمّ نعمته عليكم ، فهمنا كتابكم ؛ وإنما أنتم إخواننا وبنو عمنا ، ونحن صائرون إلى ما تحبّون ، وقد أمر أمير المؤمنين أعزه الله فى كل ما سألتم بما تحبون وأنفذ التوقيعات به إليكم . وأما ذكرتم من أمر صالح مولى أمير المؤمنين وتغيّرنا له فهو الأخ وابن العم ، وما أردنا من ذلك ما تكرهون ؛ فإن وعدكم أن يعطيكم أرزاق ستة أشهر فقد رفعنا إلى أمير المؤمنين رقاعاً، نسأله مثل الذى سألتم . وأما ما قلتم من ترك الاعتراض على أمير المؤمنين وتفويض الأمر إليه ، فنحن سامعون مطيعون لأمير المؤمنون ، والأمور مفوّضة إلى الله وهو مولانا ونحن عبيده ، وما نعترض[1] عليه فى شىء من الأمور أصلا . وأما ما ذكرتم أنا نريد بأمير المؤمنين سوءاً ، فمَنْ أراد ذلك فجعل الله دائرة السوْء عليه ، وأخزاه فى دنياه وآخرته . أبقاكم الله وحفظكم ، وأتمّ نعمتَه عليكم ! ١٨٠٤/٣

فلما قرأ الكتابات[2] عليهم ، قالوا لأبى القاسم : هذا المساء قد أقبل ، ننظر فى أمرنا الليلة ، ونعود بالغداة لنعرّفك رأينا . فافترقوا ، وانصرف أبو القاسم إلى أمير المؤمنين .

---

(١) س : « ولا نعترض » .
(٢) س : « الكتاب » ، ابن الأثير : « الكتابين » .

ثم أصبح القوم من غداة يوم الجمعة ، فلما كان فى آخر الساعة الأولى ، ركب موسى بن بغا من دار أمير المؤمنين ، وركب الناس معه وهم قدر ألف وخمسمائة رجل ؛ حتى خرج من باب الحيْر الذى يَلِى القطائع من الجوْسق والكَرْخ ، فعسكر هناك ، وخرج أبو القاسم أخو المهتدى ، ومعه الكرخىّ ، حتى صار إلى القوم ، وهم زهاء خمسمائة فارس وثلاثة آلاف راجل ؛ وقد كان أبو القاسم انصرف فى الليل ومعه التوقيعات ؛ فلما صار بينهم أخرج كتابًا من المهتدِى نسخته شبيه بالكتاب الذى فى درجه التوقيعات[1] . فلما قرأ الكتاب ضجّوا، واختلفتْ أقاويلهم، وكَثُر مَنْ يلحقُ بهم من رجّالة الموالى من ناحية سامرّا فى الحيْر[2] ؛ فلم يزل أبو القاسم ينتظر أن ينصرف من عندهم بجواب يحصّله يؤديه إلى أمير المؤمنين ، فلم يتهيأ ذلك إلى الساعة الرابعة ، وانصرفوا، فطائفة يقولون: نريد أن يعزّ الله أمير المؤمنين ، ويوفّر علينا أرزاقنا ؛ فإنا قد هلكنا بتأخيرِها عنا . وطائفة يقولون : لا نرضى حتى يوَلِّىَ علينا أمير المؤمنين إخوته ، فيكونَ واحدٌ بالكرْخ ، وآخر بالدّور ، وآخر بسامُرّا ، ولا نريد أحداً من الموالى يكون علينا رأسًا . وطائفة تقول : نريد أن يظهر صالح بن وصيف — وهى الأقل .

١٨٠٥/٣

فلما طال الكلام بهذا منهم ، انصرف أبو القاسم إلى المهتدِى بجملة من الخبر ، وبدأ بموسى فى الموضع الذى هو معسكر فيه ؛ فانصرف بانصرافه ، فلما صلّى المهتدى الجمعة صيّر الجيش إلى محمد بن بغا ، وأمره بالمصير إلى القوم مع أخيه أبى القاسم ، فركب معه محمد بن بُغا فى زهاء خمسمائة فارس ، ورجع موسى إلى الموضع الذى كان فيه بالغَدَاة ، ومضى أبو القاسم ومحمد ابن بغا حتى خالطا القوم ، وأحاط الجميع به ، فقال أبو القاسم لهم : إنّ أمير المؤمنين يقول : قد أخرجت التوقيعات لكم بجميع ما سألتم ، ولم يبق لكم مما تحبّون شىء إلاّ وأمير المؤمنين يبلغ فيه الغاية ؛ وهذا أمان لصالح بن وصيف بالظهور . وقرأ عليهم أمانًا لصالح ، بأنّ موسى وبايكباك سألا أمير المؤمنين أعزّه الله ذلك ، فأجابهما إليه ، وأكده بغاية التأكيد ، ثم قال : فعلامَ

١٨٠٦/٣

(١) س : « فى درج التوقيعات » . (٢) س : «الحيز» .

اجتماعكم ! فأكثروا الكلام ؛ فكان الذى حصّله عند انصرافه أن قالوا : نريد أن يكون موسى فى مرتبة بُغا الكبير ، وصالح فى مرتبة وصيف أيام بُغا ، وبايكباك فى مرتبته الأولى ، ويكون الجيش فى يد مَن هو فى يده ؛ إلى أن يظهر صالح ابن وصيف ، فيوضع[1] لهم العطاء ، وتتنجّز لهم الأرزاق بما فى التوقيعات . فقال : نعم .

فانصرف القوم ، فلما صاروا على قدر خمسمائة ذراع اختلفوا ، فقال قوم : قد رضينا ، وقال قوم : لم نرض ، وانصرف رسل المهتدى إليه : إنّ القومَ قد تفرّقوا ؛ وهم على أن ينصرفوا ، فانصرف موسى عند ذلك ، وتفرّق الناس إلى مواضعهم من الكَرْخ والدّور وسامرّا . فلما كان غداة يوم السبت ، ركب ولد وصيف وجماعة من مواليهم وغلمانهم ، وتنادى الناس : السلاح ! وانتهب دوابّ العامة الرّجالة ؛ رجّالة أصحاب صالح بن وصيف ، ومضوا فعسكروا بسامرّا فى طرف وادى إسحاق بن إبراهيم ، عند مسجد لُجَين أمّ ولد المتوكل . وركب أبو القاسم عند ذلك يريد دار المهتدى ، فمرّ بهم فى طريقه ، فتعلّقوا به وبمن كان معه من حشمه وغلمانه ، فقالوا له : تؤدى إلى أمير المؤمنين عنا رسالة ؟ فقال لهم : قولوا ، فخلطوا ولم يتحصل من قولهم شيئًا إلا : إنا نريد صالحًا ، فمضى حتى أدى إلى أمير المؤمنين ذلك وإلى موسى ، وجماعة القواد حضور .

١٨٠٧/٣

فذُكر عمّن حضر المجلس أنّ موسى بن بغا ، قال : يطلبون صالحًا منى ؛ كأنى أنا أخفيتُه وهو عندى ! فإن كان عندهم[2] فينبغى لهم أن يظهروه . وتأكّد عندهم الخبر باجتماع القوم ، وتحلّب الناس إليهم ، وتهايجوا من دار أمير المؤمنين ؛ فركبوا فى السلاح ، وأخذوا فى الحيْر حتى اجتمعوا ما بين الدكّة[3] وظهر المسجد الجامع ؛ فاتّصل الخبر بالأتراك ومَنْ كان ضَوَى إليهم ، فانصرفوا ركضًا وعدْوًا لا يلوى فارس على راجل ، ولا كبير على صغير حتى دخلوا الدروب والأزقة ، ولحقوا بمنازلهم ، وزحف موسى وأصحابه جميعًا ، فلم يبق بسامُرّا قائد يركب إلى دار أمير المؤمنين إلاّ ركب معه ، ولزموا الحيْر

---

(٢) س « عندكم » .

(١) س : « فيوقع » .

(٢) س : « الرحبة » .

حتّى خرجوا مما يلى الحائطين . ثم خرجوا ؛ فأما مفلح وواجن ومن انضم إليهما فسلكوا شارع بغداد حتّى بلغوا سوق الغنم ، ثم عطفوا إلى شارع أبى أحمد ، حتّى لحقوا بجيش موسى . وأما موسى وجماعة القواد الذين كانوا معه مثل ياجور وساتكين ويارْجُوخ وعيسى الكرخىّ ، فإنهم سلكوا على سَمْت شارع أبى أحمد ، حتّى صاروا إلى الوادى ، وانصرفوا إلى الجوْسق ؛ فكان تقدير الجيش الذين كانوا مع موسى فى هذا اليوم — وهو يوم السبت — أربعة آلاف فارس فى السلاح والقِسىّ الموتّرة والدّروع والجَواشن[1] والرّماح والطبرزينات[2] . وكان أكثرُ القوّاد الذين كانوا بالكرْخ يطلبون صالحًا[3] مع موسى فى هذا الجيش يريدون محاربة مَنْ يطلب صالحاً .

٣/١٨٠٨ وقد ذكر عن بعض من تخيّر أمرهم ؛ أنّ أكثر مَنْ كان راكبًا مع موسى كان هواه مع صالح ، ولم يكن للكرخيين والدّوريّين فى هذا اليوم حركة ؛ فلمّا وصل القوم إلى الجوسق كان أوّل ما ظهر منهم[4] النداء بأن مَنْ لم يحضر دار أمير المؤمنين فى غداة يوم الأحد من قُوّاد صالح وأهله وغلمانه وأصحابه أسقِط[5] اسمه ، وخُرّب منزله ، وضرب وقُيّد وحُدِّر إلى المطبَق ؛ ومن وُجد بعد ثالثة من هذه الطبقة ظاهراً بعد استتار ، فقد حلّ به مثل ذلك ، ومن أخذ دابّة لعامىّ أو تعرّض له فى طريق ؛ فقد حلّت به العقوبة المُوجعة .

وبات الناس ليلة الأحد لثمان خلون من صَفَر على ذلك ؛ فلما كان غداة يوم الاثنين انتهى إلى المهتدى أنّ مساورا[6] الشارى صار إلى بَلَد ، فقتل بها وحرّق ، فنادى فى مجلسه بالنفير ، وأمر موسى ومفلحاً وبايكباك بالخروج ، وأخرج موسى[7] مضاربه ؛ فلمّا كان يوم الأربعاء لإحدى عشرة مَضت من صَفَر بطل أمر موسى ومحمد بن بغا ومُفْلح فى الخروج ، وقالوا : لا يبرح

---

(١) الجواشن : جمع جوشن ؛ وهو نوع من الدروع .

(٢) فى معرب الجواليقى : « الطبرزين فارسى ، وتفسيره فأس السرج ؛ لأن فرسان العجم تحمله معها يقاتلون به » .

(٣) ب : « صلحا » .

(٤) س : « عنهم » .

(٥) س : « سقط » .

(٦) س : « مشاور » .

(٧) ب : « مفلح » .

أحدٌ منا[1] حتى ينقطع أمرنا وأمر صالح ؛ وهم مجمعون على ذلك ، يخافون من صالح أن يخلفهم بمكروه .

وذكر عن بعض الموالى أنه قال : رأيت بعض بنى وصيف — وهو الذى كان جمع تلك الجموع — يلعب مع موسى وبايكباك بالصوالجة فى ميدان بغا الصغير يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة خلت من صفر . ثم جدّ هؤلاء فى طلب صالح بن وصيف ، فهُجم بسببه على جماعة ممن كان متصلا به قبل ذلك. وممّن اتهموه أنه آواه، منهم إبراهيم بن سعدان النحوىّ وإبراهيم الطالبىّ ٣/ ١٨٠٩ وهارون بن عبد الرحمن بن الأزهر الشيعىّ وأبو الأحوص بن أحمد بن سعيد ابن سلْم بن قُتيبة وأبو بكر ختَن أبى حَرْملة الحجّام وشارية المغنية والسرخسىّ صاحب شُرطة[2] الخاصة وجماعة غيرهم .

فذُكر عن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مصعب بن زريق ، قال : حدّثنى صاحب رُبع القبّة — وهو رُبع تلقاء دار صالح بن وصيف — قال : بينا[3] نحن قعود يوم الأحد ، إذا غلام قد خرج من زُقاق ، وأراه مذعوراً، فأنكرناه ، فأردنا مسألتَه عن شأنه ؛ ففاتنا ؛ فلم نلبث أن أقبل عيّار من موالى صالح بن وصيف يعرف بروزبه ، ومعه ثلاثة نفر أو أربعة ، فدخلوا الزّقاق ، فأنكرناهم ، فلم يلبثوا أن خرجوا ، وأخرجوا صالح بن وصيف ، فسألنا عن الخبر ، فإذا الغلام قد دخل داراً فى الزّقاق يطلب ماءً ليشربه . قال : فسمع قائلا يقول بالفارسية : أيها الأمير تنحّ ، فإن غلاماً قد جاء يطلب ماء ؛ فسمع الغلام ذلك ، وكان بينه وبين هذا العيّار معرفة[4] ، فجاء فأخبره ، فجمع العيّار ثلاثة أناسىّ ، وهجم عليه فأخرجه .

وذكر عن العيّار الذى هجم عليه ، أنه قال : قال لى الغلام ما قال ، فأقبلت ومعى ثلاثة نفر ، فإذا بصالح بن وصيف بيده مرآة ومُشط ، وهو يسرّح لحيته ، فلما رآنى بادر فدخل بيتاً ، فخفت أن يكون قصد لأخذ سيف أو سلاح ، فتلوّمت ثم نظرت إليه ؛ فإذا هو قد لجأ إلى زاوية ، فدخلت ٣/ ١٨١٠

(١) س : « منا أحد » .
(٢) س : « شرط » .
(٣) س : « بينما » .
(٤) س : « مقة » .

إليه فاستخرجتُه فلم يزدنى على التضرّع شيئاً . قال : فلما تضرّع إلىّ قلت : ليس إلى تركك سبيل ؛ ولكنى أمرّ بك على أبواب إخوتك وأصحابك وقوّادك وصنائعك ؛ فإن اعترض لى منهم اثنان أطلقتُك فى أيديهم . قال : فأخرجته فما لقيت إلاّ مَنْ هو عونى على مكروهه .

فذكر أنه لما أخذ مضى به نحو ميلين ، ليس معه إلا أقلّ من خمسة نفر من أصحاب السلطان . وذكر أنه أخذ حين أخذ ، وعليه قميص ومبطّنة ملحم وسراويل ، وليس على رأسه شىء وهو حاف .

وقيل إنه حمل على بِرْذون صِنابىّ[1] والعامة تعدو خلفَه وخمسة من الخاصّة يمنعون منه ؛ حتى انتهوْا به إلى دار موسى بن بُغا ؛ فلما صاروا به إلى دار موسى بن بغا أتاه بايكباك ومُفْلح وياجور وساتكين وغيرهم من القوّاد ، ثمّ أخرجوه من باب الحَيْر الذى يلى قِبْلة المسجد الجامع ؛ ليذهبوا به إلى الجوسق ، وهو على بغل بإكاف ، فلمّا صاروا به إلى حدّ المنارة ، ضربه رجل من أصحاب مفلح ضربة من ورائه على عاتقه كاد يقدُّه منها ، ثم احتزّوا رأسه وتركوا جيفته هناك ، وصاروا به إلى المهتدى ؛ فوافوْا به قبيل المغرب وهو فى بِرْكة قباء رجل من غلمان مفلح يقطر دماً ، فوصلوا به إليه ، وقد قام لصلاة المغرب ، فلم يره ، فأخرجوه ليُصلَح[2] ، فلما قضى المهتدى صلاته ، وخبّروه أنهم قتلوا صالحاً ، وجاءوا برأسه لم يزدهم على أن قال : واروُه ؛ وأخذ فى تسبيحه . ووصل الخبر إلى منزله ، فارتفعت الواعية وباتوا ليلتهم .

٣/١٨١١

فلما كان يوم الاثنين لسبع بقين من صفر حُمل رأس صالح بن وصيف على قناة ، وطِيف به ، ونودى عليه : هذا جزاء مَنْ قتَل مولاه ، ونصب بباب العامة ساعة ثم نُحّى ، وفُعِل به ذلك ثلاثة أيام تتابعاً ، وأخرِج رأس بغا الصغير فى وقت صلب رأس صالح يوم الاثنين ، فدُفع إلى أهله ليدفنوه .

فذكر عن بعض الموالى أنه قال : رأيت مفلحاً وقد نظر إلى رأس بغا ،

---

(١) برذون صنابى : أشقر أو كميت .

(٢) س : « ليصلى » .

فبكى وقال : قتلنى الله إنْ لم أقتل قاتلك ؛ فلمّا كان يوم الخميس لأربع بقين من صفر ، وجّه موسى بالرأس إلى أمّ الفضل ابنة وصيف ، وهى امرأة النوشرىّ، وكانت قبله عند سلمة بن خاقان .

فذُكر عن بعض بنى هاشم أنه قال : هنّأتُ موسى بن بغا بقتل صالح فقال : كان عدوّ أمير المؤمنين استحقّ القتل . قال : وهنّأتُ بايكباك بذلك؛ فقال : مالى أنا وهذا ! إنما كان صالح أخى ، فقال السّلولىّ لموسى إذ قتل صالح بن وصيف :

وَنِلْتَ وِتْرَكَ من فرعون حينَ طَغَى ... وجئتَ إذْ جئتَ يا مُوسى على قَدَرِ

ثلاثةٌ كُلُّهم باغٍ أخو حَسَدٍ ... يَرميكَ بالظّلم والعُدْوانِ عن وَتَرِ ١٨١٢ / ٣

وصيفُ بالكَرْخِ ممثُولٌ به وبُغا ... بالجِسْرِ محتَرِقٌ بالجمرِ والشَّررِ

وصالحُ بن وصيفٍ بَعدُ مُنعَفِرٌ ... فى الحيْرِ جيفَتُه ، والرُّوحُ فى سَقَرِ

* * *

وفى مستهلّ جُمادى الأولى من هذه السنة رحل[1] موسى بن بغا وبايكباك إلى مساور ، وشيّعهم محمدٌ بن الواثق .

وفى جمادى الأولى أيضًا منها التقى مُساور بن عبد الحميد وعُبيدة العَمروسىّ الشارى بالكُحَيل، وكانا مختلفى الآراء ، فظفر مساور بعبيدة فقتله .

وفى هذا الشهر من هذه السنة التقى مساور الشارى ومفلح ، فحُدّثت عن مساور ، أنه انصرف من الكُحَيل بعد قتله العمروسىّ ، وقد كُلِم كثير من أصحابه فلم تندمل كُلُومهم ، ولَغِبوا من الحرب التى كانت جرت بين الفريقين إلى عسكر موسى ومن ضمّه ذلك العسكر وهم حامون ، فأوقع بهم ؛ فلما لم يصل إلى ما أراد منهم من الظفر بهم ، وكان التقاؤهم بجبل زينى تعلق هو وأصحابه بالجبل فصاروا إلى ذِرْوته[2] ، ثم أوقدوا النيران ، وركزوا رماحهم، ١٨١٣/٣

---

(١) س : « ترحل » .
(٢) س : « فى دروته » .

وعسكر موسى بسفح الجبل ثم هبط مساور وأصحابه من الجبل،من غير الوجه الذى عسكر به موسى،فمضى وموسى وأصحابه يحسبون أنهم فوق الجبل ففاتوهم.

* * *

[ذكر الخبر عن خلع المهتدى ثم موته]

وفى رجب من هذه السنة لأربع عشرة ليلة خلت منه خُلِع المهتدى ، وتوفِّىَ يوم الخميس لاثنتى عشرة ليلة بقيت من رجب .

* ذكر الخبر عن سبب خلعه ووفاته :

ذكر أن ساكنى الكرخ بسامرّا[1] والدور تحرّكوا لليلتين خلتا من رجب من هذه السنة ، يطلبون أرزاقهم ، فوجّه إليهم المهتدى طبايغو الرئيس عليهم وعبد الله أخا المهتدى ، فكلّمهم فلم يقبلوا منهما ، وقالوا : نحن نريد أن نكلِّم أميرَ المؤمنين مشافهةً . وخرج أبو نصر بن بُغا تحت ليلتِه إلى عسكر أخيه ، وهو بالسِّنّ بالقرب من الشارى ، ودخل دار الجوْسق جماعة منهم ؛ وذلك يوم الأربعاء ، فكلّمهم المهتدى بكلام كثير ، وقطع العطاء عن الناس يوم الأربعاء والخميس والناس متوقّفون حتى يعرفوا ما يصنع موسى بن بُغا ، وكان موسى وضع العطاء فى عسكره لشهر ، وكان على مناجزة الشارى إذ استوى[2] أصحابه ، فوقع الاختلاف ، ومضى موسى يريد طريق خُراسان. ١٨١٤/٣

واختُلف فى سبب الاختلاف الذى جرى ، فصار من أجله موسى إلى طريق خُراسان ، والسبب الذى من أجله خرج المهتدى لحرب من حاربه من الأتراك ، فقال بعضهم: كان السبب الذى من أجْله تنحّى موسى عن وجه الشارى وترَك حربه وصار إلى طريق خُراسان ، أنّ المهتدى استمال بايكباك ، وهو مع موسى مقيم فى وجه الشارى مساور ، وكتب إليه يأمره أن يضمّ العسكر الذى مع موسى إلى نفسه ، وأن يكون هو الأميرَ عليهم ، وأن يقتل موسى بن بغا ومُفلحاً ، أو يحملَهما إليه مقيَّديْن . فلما وصل الكتاب إلى بايكباك ، أخذه ومضى به إلى موسى بن بغا ، فقال : إنى لستُ أفرح بهذا ؛ وإنما هذا

(١) س : « بسر من رأى» .
(٢) س : « إذا استوى » .

تدبير علينا جميعًا ، وإذا فُعِل بك اليوم شيء فُعِل بى غداً مثلُه ، فما ترى ؟ قال : أرى أن تصير إلى سامرّا ، فتخبره أنك فى طاعته ، وناصرُه على موسى ومفلح ؛ فإنه يطمئنّ إليك ، ثم ندبّر فى قتله .

فقدم بايكباك فدخل على المهتدى ، وقد مضوْا إلى منازلهم كما قدموا من عند الشارى ؛ فأظهر له المهتدى الغضب ، وقال : تركتَ العسكر ، وقد أمرتُك أن تقتل موسى ومفلحاً ، وداهنتَ فى أمرهما ! قال : يا أمير المؤمنين ، وكيف لى بهما ؟ وكيف يتهيأ لى قتلهما ؟ وهما أعظم جيشًا منى ، وأعز منى ! ولقد جرى بينى وبين مفلح شىء فى بعض الأمر ؛ فما انتصفتُ منه ؛ ولكنى قد قدمتُ بجيشى وأصحابى ومَنْ أطاعنى لأنصرْك عليهما ، وأقوّى أمرك ؛ وقد بقى موسى فى أقلّ العدد . قال : ضعْ سلاحك ، وأمر بإدخاله داراً ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، ليس هذا سبيل مثلى إذا قدم من مثل هذا الوجه ؛ حتى أصير إلى منزلى ، وآمر أصحابى وأهلى بأمرى . قال : ليس إلى ذلك[1] سبيل ، أحتاج إلى مناظرتك . فأخذ سلاحه ، فلما أبطأ خبرُه على أصحابه سعى فيهم أحمد بن خاقان حاجب بايكباك ، فقال : اطلبوا صاحبكم قبل أن يحدُث به حدث ؛ فجاشت الترك ، وأحاطوا بالجوسق . فلما رأى ذلك المهتدى وعنده صالح بن علىّ بن يعقوب بن أبى جعفر المنصور شاوره ، وقال : ما ترى ؟ قال : يا أمير المؤمنين ؛ إنه لم يبلغْ أحد من آبائك ما بلغتَه[2] من الشجاعة والإقدام ، وقد كان أبو مسلم أعظمَ شأناً عند أهل خراسان من هذا التركىّ عند أصحابه ؛ فما كان إلا أن طرح رأسه إليهم حتى سكنوا[3] ، وقد كان فيهم مَنْ يعبده ويتّخذه ربًّا ، فلو فعلتَ مثل ذلك سكنوا ؛ فأنت أشدّ من المنصور إقدامًا ، وأشجع قلباً . فأمر المهتدى الكرخىّ — واسمه محمد ابن المباشر ، وكان حدّاداً بالكرخ يطرق المسامير ، فانقطع إلى المهدى ببغداد فوثق به ولزمه — فأمره بضرب عنق بايكباك ، فضرب عنقه ، والأتراكُ مصطفون فى الجوسَق فى السلاح ، يطلبون بايكباك ؛ فأمر المهتدى عتّاب بن عتّاب القائد

٣/١٨١٥

(١) ب : « هذا » . (٢) ب : « بلغت » .
(٣) ب : « فسكنوا » .

أن يرميَـهم برأسه فأخذ عتّاب الرأس ؛ فرمى به إليهم ، فتأخّروا وجاشوا ، ثم شدّ رجل منهم على عتّاب ، فقتله ، فوجّه المهتدى إلى الفراغنة والمغاربة والأوكشيّة والأشروسنيّة والأتراك الذين بايعوه[1] على الدرهمين والسويق ، فجاءوا ، فكانت بينهم قتلى كثيرة ، كثُر فيها الناسُ ، فقيل : قُتل من الأتراك الذين قاتلوا نحو من أربعة آلاف ، وقيل ألفان وقيل ألف ؛ وذلك يومَ السبت لثلاث عشرة خلتْ من رجب من هذه السنة . ٣/١٨١٦

ثمّ تتامّ القوم يوم الأحد ، فاجتمع جميع الأتراك ، فصار أمرهم واحداً ، فجاء منهم زُهاء عشرة آلاف رجل ، وجاء طوغيتا أخو بايكباك وأحمد بن خاقان حاجب بايكباك فى نحو من خمسمائة ؛ مع مَنْ جاء مع طوغيتا من الأتراك والعجم ، وخرج المهتدى ومعه صالح بن علىّ ، والمصحفُ فى عنقه ، يدعو الناس إلى أن ينصروا خليفتَهم . فلما التحم الشرّ مال الأتراك الذين مع المهتدى إلى أصحابهم الذين مع أخى بايكباك ، وبقى المهتدى فى الفراغنة والمغاربة ومَنْ خفّ معه من العامة ، فحمل عليهم طوغيتا أخو بايكباك حملةَ ثائر حرّان موتور ، فنقض تعبيتَهم ، وهزمهم ، وأكثر فيهم القتلَ وولّوْا منهزمين ، ومضى المهتدى يركضُ منهزماً ، والسيف فى يده مشهور ، وهو ينادى : يا معشرَ الناس ، انصروا خليفتَكم ؛ حتى صار إلى دار أبى صالح عبدالله بن محمد بن يزداد وهى بعد خشبة بابك ؛ وفيها أحمد بن جُمَيل صاحب المعونة ، فدخلها ووضع سلاحه ، ولبس البياض ليعلوَ داراً وينزل أخرى ويهرب . فطُلِب فلم يوجَد ، وجاء أحمد بن خاقان فى ثلاثين فارساً يسأل عنه حتى وقف على خبره فى دار ابن جميل ، فبادرهم ليصعد ، فرمى بسهم وبُعِج بالسيف ، ثم حمله أحمد بن خاقان على دابة أو بغل ، وأردف خلفه سائساً حتى صار به إلى داره ، فدخلوا عليه ، فجعلوا يصفعونه ويبزُقون فى وجهه ، وسألوه عن ثمن ما باع من المتاع والخُرْثىّ ، فأقرّ لهم بستمائة ألف قد أودعها الكرخىَّ الناسَ ببغداد ، وأصابوا عنده خسفَ الواضحة مُغنّية ، فأخذوا رقعته بستمائة ألف دينار ؛ ودفعوه إلى رجل ، فوطئ على خُصيتَيْه حتى قتله . ٣/١٨١٧

(١) س : « بايعوا » .

وقال بعضهم : كان السببُ وأول الخلاف ، أنّ اللاحِقين من أولاد الأتراك اجتمعوا، وقالوا : لا نرضى أن يكون علينا رئيسٌ غير أمير المؤمنين ، وكتبوا إلى موسى بن بُغا وبايكباك ؛ وهما فى وجه الشارى ، فوافى موسى فى رجاله حتّى صار إلى قنطرة فى ناحية الوزيريّة يوم الجمعة ، وعسكر المهتدى فى الحَيْر ، وقرب منهم ، ثم خرج إلى الجوْسق ، وعليه السلاح ؛ فلما كان يوم السبت لثلاث عشرة خلتْ من رجب ، دخل بايكباك طائعًا ، ومضى موسى إلى ناحية طريق خراسان فى نحو من ألفى رجل ، وجاء المهتدِى رجلٌ من الموالى ؛ فقال له : إنّ بايكباك قد وعد موسى أن يفتك بك فى الجوسق ، فأخذ المهتدى بايكباك ، وأمر بنزع سلاحه وحبسه ، فحُبس يوم السبت إلى ٣/١٨١٨ وقت[1] العصر ، ثم خرج أهل الكرخ وأهل الدّور يطلبونه ، وانصرفوا وبكّروا يوم الأحد ، فلم يتخلفْ منهم أحد إلا حضر راكبًا وراجلا فى السلاح ، فلما صاروا إلى الجوْسق ، صلّى المهتدى الظهر ، وخرج إليهم فى الفراغنة والمغاربة ، فتطارد لهم الأتراك ، فحملوا عليهم . فلمّا تَبِعوهم خرج كمين لهم ، فقتل من الفراغنة والمغاربة جماعةً كبيرة ، وهرب المهتدى ، ومرّ على باب أبى الوزير وغلام له يصيح : يا معشرَ الناس ، هذا خليفتكم ؛ وتراكض الأتراكُ خلْفه ، فدخل دار أحمد بن جميل ، وتسلق المهتدى من دار إلى دار ، وأحدق الأتراك بتلك الناحية كلها ، فأخرجوه من دار غلام لعبد الله بن عمر البازيار ، وحملوه وبه طعنةٌ فى خاصرته على برْذون أعجف ، فى قميص وسراويل ، وانتهبوا دار الكرخىّ ودور بنى ثوَابة وجماعة من الناس ؛ فلمّا كان يوم الاثنين حمل أحمد بن المتوكل المعروف بابن فتيان إلى دار يارْجوخ ، والأتراك يدورون فى الشوارع ، ويحمَدون العامة إذ لم يتعرّضوا لهم .

وقال آخرون : بل كان السبب فى ذلك ؛ أنّ أهل دور سامرّا والكرخ تحرّكوا فى يوم الاثنين لليلة خلتْ من رجب من هذه السنة ، واجتمعوا بالكرْخ وفوقها ، فوجّه المهتدى إليهم كيغَلَغ وطبايغو بن صول أرتكين وعبد الله أخا ٣/١٨١٩ نفسه ، فلم يزالوا بهم حتى سكنوا ورجعوا إلى الدار ، وبلغ أبا نصر محمد بن

(١) ب : « فى » .

بغا الكبير أنّ المهتدى قد تكلّم فيه وفى أخيه موسى ، وقال للموالى: إنّ الأموال عندهم ، فتخوّفه وإياهم ، فهرب فى ليلة الأربعاء لثلاث خلوْن من رجب ، فكتب إليه المهتدى أربعة كتب يعطيه فيها الأمان على نفسه ومَنْ معه ، ووصل كتابان إليه وهو بالمحمّدية مع أبرتكين بن برنمكاتكين ، ووصل الآخران إليه مع فرج الصغير ، فوثِق بذلك ، فرجع حتى دخل الدار هو وأخوه حَبَشْشون وبكالبا ، فحبِسوا وحُبِس معهم كَيَغْلَغ ، فأفرد أبو نصر عنهم ؛ فطلب منه المال ، فقبض من وكيله خمسة عشر ألف دينار ، وقتِل يوم الثلاثاء لثلاث خلوْن من رجب ، ورُمِى به فى بئر من آبار القناة ، وأخرج من البئر يوم الاثنين للنصف من رجب ، ومضى به إلى منزله وقد أراح ، فاشتُرِى له ثلثمائة مثقال مسك وستّمائة مثقال كافور ، وصُيِّر عليه فلم تنقطع الرائحة ، وصلى عليه الحسن بن المأمون ، وكتب المهتدى إلى موسى بن بُغا عند حبسه أبا نصر يأمره بتسليم العسكر إلى بايكباك والإقبال إلى سامرّا فى مواليه ، وكتب إلى بايكباك فى تسلّم العسكر والقيام بقتال الشارى ، فصار بايكباك بالكتاب إلى موسى فقرأه ، فاجتمعوا على الانصراف إلى سامرّا ، وبلغ المهتدى ذلك ، وأنهم على خلافه ، فجمع الموالى ، فحضّهم على الطاعة ، وأمرهم بلزومه فى الدّار وترك الإخلال به ، وأجرى على كل رجل من الأتراك ومَنْ يجرى مجراهم فى كلّ يوم درهمين ، وعلى كلّ رجل من المغاربة درهمًا . فاجتمع له من الفريقين وأخدانهم زهاء خمسة عشر ألف إنسان ، منهم من الأتراك المعروف بالكاملى فى الجوْسق وغيره من المقاصير . وكان القيّم بأمر الدار بعد حبس كيغلَغ مسرور البلخىّ والرئيس من القوّاد طبايغو ، والقيّم بحبس من حُبِس من هؤلاء عبد الله بن تكين . وبلغ موسى ومفلحاً وبايكباك حبسُ أبى نصر وحبشون ومَنْ حُبِس ، فأخذوا حذرَهم .

١٨٢٠/٣

وجرت الرسل والكتب بينهم وبين المهتدى يوم الخميس ، وخرج المهتدى يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلتْ من رجب بجمعه متوقّعًا ورود القوم عليه ؛ فلم يأت أحد . فلما كان يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة خلت من رجب صحّ الخبر بأنّ موسى قد عرّج عن طريق سامرّا إلى ناحية الجبل مع مفلح ،

ودخل يوم السبت بايكباك ويارجوخ وأساتكين وعلىّ بن بارس وسيما الطويل وخطارمش إلى الدار ، فحبس بايكباك وأحمد بن خاقان خليفته ، وصُرِف الباقون ، فاجتمع أصحاب بايكباك وغيره من الأتراك ، وقالوا : لمَ يُحبَسُ قائدنا ؟ ولمَ قتِل أبو نصر ؟ فخرج إليهم المهتدى يوم السبت – ولم يكن بينهم حرب – فرجع ، وخرج يوم الأحد وقد اجتمعوا له[1] ، وجمع هو المغاربة والأتراك البرّانيين والفراغنة فصيّر على الميمنة مسرورًا البلخىّ ، وعلى الميسرة يارجوخ ، والمهتدى فى القلب مع أساتكين وطبايغوا وغيرهما من القوّاد . ١٨٢١/٣

فلما حميت الشمس ، قرب القوم بعضهم من بعض ، وهاجت الحرب ، وطلبوا بايكباك ، فرمى إليهم المهتدى برأسه – وكان عتّاب بن عتاب أخرجه من بركة قبائه – فلما رأوه شدّ أخوه طغوتيا فى جماعة من خاصّته على جمع المهتدى ، وعطفت الميمنة والميسرة من عسكر المهتدى ، فصاروا معهم ، وانهزم الباقون عن المهتدى ، وقُتِل جماعة من الفريقين .

فذُكر عن حبَشْون بن بغا ، أنه قال : قُتِل سبعمائة وثمانون إنسانًا ، وتفرّق الناس ، ودخل المهتدى الدار ، فأغلق الباب الذى دخل منه ، وخرج من باب المصافّ حتّى خرج من الباب المعروف بإيتاخ ، ثم إلى سويقة مسرور ، ثم درب الواثق ؛ حتّى خرج إلى باب العامة ، وهو ينادى : يا معشرَ الناس ، أنا أمير المؤمنين ؛ قاتلوا عن خليفتكم . فلم تجبه العامة إلى ذلك ، وهو يمرّ فى الشارع وينادى ، فلم يرهم ينصرونه ، فصار إلى باب السجن ، فأطلق مَنْ فيه ، وهو يظنّ أنهم يعينونه ؛ فلم يكن منهم إلا الهرب ، ولم يجبه أحد . فلمّا لم يجيبوه ، صار إلى دار أبى صالح عبد الله بن محمد بن يزداد ، وفيها أحمد بن جميل صاحب الشُّرطة[2] نازل ، فدخل عليه ، فأخرج من ناحية ديوان الضياع ، ثم صيّر به إلى الجوسق ، فحبس فيه عند أحمد بن خاقان ، وانتهب دار أحمد ابن حُمَيل . ١٨٢٢/٣

وكان ممن قتل فى المعركة من قواد المغاربة نصر بن أحمد الزبيرىّ ، ومن

---

(١) س : « إليه » . (٢) س : « الشرط » .

قوّاد الشاكرية عتّاب بن عتاب حين جاء برأس بايكباك إليهم ، وقتل المهتدى – فيما قيل – فى الوقعة عدة كثيرة بيده ، ثم جرى بينهم وبينه بعد أن حُبس كلام شديد ، وأرادوه على الخلع فأبى ، واستسلم للقتل ، فقالوا : إنه كان كتب رُقعة بيده لموسى بن بغا وبايكباك وجماعة من القوّاد ؛ أنه لا يغدر بهم ولا يغتالهم ، ولا يفتك بهم ، ولا يهمّ بذلك ، وأنه متى فعل ذلك بهم أو بأحد منهم ووقفوا عليه فهمْ فى حلٍّ من بيعته ، والأمر إليهم يُقعدون من شاءوا . فاستحلّوا بذلك نقضَ أمره .

وقد كان يارجوخ بعد انهزام الناس صار إلى الدار ، فأخرج من ولد المتوكل جماعة ، فصار بهم إلى داره ، فبايعوا أحمد بن المتوكل المعروف بابن فتْيان يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من رجب ، وسُمّى المعتمد على الله ، وأشهِد يوم الخميس لاثنتى عشرة ليلة بقيت من رجب على وفاة المهتدى محمد بن الواثق ، وأنه سليم ليس به إلاّ الجراحتان اللتان نالتاه يوم الأحد فى الوقعة ؛ إحداهما من سَهْم والأخرى من ضَرْبة ، وصلى عليه جعفر بن عبد الواحد وعدّة من إخوة أمير المؤمنين ، ودُفِن فى مقبرة المنتصر ، ودخل موسى بن بغا ومفلح سامرّا يوم السبت لعشر بقين من رَجب ، فسلّم على المعتمد فخلَع عليه ، وصار إلى منزله وسكن الناس .

٣/١٨٢٣

وقال بعضهم – وذكر أنه كان شاهداً أمرهم : لمّا كان ليلة الاثنين لليلة خلت من رجب ثار أهل الكرْخ والدّور جميعًا ، فاجتمعوا ، وكان المهتدى يوجّه إليهم إذا تحرّكوا أخاه عبد الله ، فوجّه إليهم فى هذا اليوم عبد الله أخاه كما كان يوجّهه ، فصار إليهم ؛ فوجَدهم قد أقبلوا يريدون الجوْسق ، فكلّمهم ، وضمِن لهم القيام بحوائجهم ، فأبوْا وقالوا : لا نرجع حتى نصيرَ إلى أمير المؤمنين ونشكُو إليه قصتنا . فانصرف منهم عبد الله ؛ وفى الدار فى هذا الوقت أبو نصر محمد بن بغا وحبَشون وكَيْغَلغ ومسرور البلخىّ وجماعة ؛ فلما أدّى عبد الله إلى المهتدى ما دار بينه وبينهم ، أمره بالرجوع إليهم ، وأن يأتىَ بجماعة منهم فيوصلَهم إليه ؛ فخرج فتلقاهم قريبًا من الجوْسَق ، فأدارهم على أن يقفوا بموضعهم ، ويوجّهوا معه جماعة منهم فأبوْا . فلمّا تناهَى الخبر

إلى أبى نصر ومَن كان معه فى الدّار بأنّ جمعهم قد أقبل . خرجوا جميعًا ١٨٢٤/٣
من الدار مما يلى باب النزالة، فلم يبق فى الدّار إلا مسرور البلخىّ وألطون
خليفة كيغلغ ، ومن الكتّاب عيسى بن فرّخانشاه ، ودخل الموالى مما يلى باب القصر
الأحمر ، فملئوا الدار زُهاء أربعة آلاف ، فصاروا إلى المهتدى ، فشكوْا إليه
حالهم .

وكان اعتمادهم فى مسألتهم أن يعزل عنهم أمراءهم ، ويضمّ أمورهم إلى
إخوة أمير المؤمنين ، وأن يُؤخذ الأمراء والكتّاب بالخروج مما اختانوه من أموال
السلطان ؛ وذكروا أن قدره خمسون ومائة ألف ألف . فوعدهم النظر فى أمرهم
وإجابتهم إلى ما سألوا ، فأقاموا يومَهم ذلك فى الدّار ، فوجّه المهتدى محمد
ابن مباشر الكرخىّ ، فاشترى لهم الأسوقة ، ومضى أبو نصر بن بغا من فوره
ذلك ؛ حتى عسكر فى الحَيْر بالقرب من موضع الحَلْبة ، فلحق به زهاء خمسمائة
رجل ، ثم تفرّقوا عنه فى ليلتهم ؛ فلم يبقَ إلاّ فى أقلّ من مائة ، ومضى فصار
إلى المحمّدية ، وأصبح الموالى فى غداة يوم الأربعاء يطالبون بما كانوا يطالبون
به أولا ، فقيل لهم : إنّ هذا الأمر الذى تريدونه أمرٌ صعب ، وإخراج الأمر
عن أيدى هؤلاء الأمراء ليس بسهل عليكم ؛ فكيف إذا جمع إلى ذلك أخذهم
بالأموال ! فانظروا فى أموركم ؛ فإن كنتم تظنون أنكم تصبرون على هذا الأمر
حتى يبلغَ منه غايته أجابكم إليه أمير المؤمنين ، وإن تكن الأخرى فإنّ ١٨٢٥/٣
أميرَ المؤمنين يحسن لكم النظر . فأبوْا إلاّ ما سألوه أولا ، فدُعوا إلى أيمان البيعة على
أن يقيموا على هذا القول ، ولا يرجعوا عنه ، وأن يقاتلوا مَن قاتلهم فيه ، وينصحوا
لأمير المؤمنين ويوالُوه . فأجابوه إلى ذلك ، فأخذت عليهم أيمان البيعة ، فبايع
فى ذلك اليوم زُهاء ألف رجل وعيسى بن فرّخا نشاه الذى تجرى على يده الأمور ،
ومقامه مقام الوزير . ثم كتبوا إلى أبى نصر كتابًا عن أنفسهم ؛ كتبه لهم
عيسى بن فرّخانشاه ، يذكرون فيه إنكارهم خروجَه من الدار عن غير سبب ،
وأنهم إنما قصدوا أميرَ المؤمنين ليشكوا إليه حاجتَهم ، وأنهم لما وجدوا الدار
فارغة أقاموا فيها ، وأنهم إذا عاد ردّوه إلى حاله ، ولم يهيّجوه . وكتب عيسى
عن الخليفة بمثل ذلك إليه ، فأقبل من المحمّدية بين العصر والعشاء ، فدخل

الدار ،ومعه أخوه حَبْشون وكيغلغ وبكالبا وجماعة منهم ، فقام الموالى فى وجوههم معهم السلاح ، وقعد المهتدى ، فوصل إليه أبو نصر ومَنْ معه ، فسلّم عليه، ودنا فقبل يد المهتدى ورجلَه والبساط ، وتأخّر فخاطبه المهتدى بأن قال له : يا محمد ، ما عندك فيما يقول الموالى ؟ قال : وما يقولون ؟ قال : يذكرون أنكم احتجنتم الأموال ، واستبددتم بالأعمال ، فما تنظرون فى شىء من أمورهم ، ولا فيما عاد لمصلحتهم[1] . فقال محمد: يا أميرَ المؤمنين ؛ وما أنا والأموال ! ما كنتُ كاتبَ ديوان ، ولا جرتْ على يدى أعمال[2] . فقال له : فأين هى الأموال ؟ وهل هى إلا عندك وعند أخيك ، وكتّابكم وأصحابكم ! ودنا الموالى ، فتقدّم عبد الله بن تكين وجماعة منهم ، فأخذوا بيد أبى نصر وقالوا : هذا عدوّ أمير المؤمنين ، يقوم بين يديه بسيفٍ ، فأخذوا سيفَه ، ودخل غلام لأبى نصر كان حاضراً يقال له ثيتل ، فسلّ سيفه ، وخطا ليمنعهم من أبى نصر ، وكانت خطوته تلى الخليفة، فسبقه عبد الله بن تكين ، فضرب رأسه بالسيف ، فما بَقِىَ فى الدار أحدٌ إلا سلّ سيفه ، وقام المهتدى ، فدخل بيتًا كان بقربه ، وأخِذ محمد بنُ بغا ، فأدخِل حجرة فى الدار ، وحُبس أصحابه الباقون ، وأراد القوم قتلَ الغلام، فمنعهم المهتدى ، وقال : إنّ لى فى هذا نظرًا . ثم أمر[3] فأعطِىَ قميصًا من الخزانة ، وأمر بغسل رأسه من الدّم ، وحُبِس .

١٨٢٦/٣

فأصبح الناس يوم الأربعاء وقد كثُروا ، والبيعة تؤخذ ، ثمّ أمر عبد الله ابن الواثق بالخروج إلى الرفيف فى ألف رجل من الشاكرية والفراغنة وغيرهم ؛ وكان ممن أمر بالخروج من قوّاد خراسان محمد بن يحيى الواثقىّ وعتاب بن عتاب وهارون بن عبد الرحمن بن الأزهر وإبراهيم أخو أبى عون ويحيى بن محمد بن داود وولد نصر بن شيث وعبد الرحمن بن دينار وأحمد بن فريدون وغيرهم .

ثم إن عبد الله بن الواثق بلغه عن هؤلاء القوّاد أنهم يقولون : إنه ليس بصواب شخوصهم إلى تلك الناحية ، فترك الخروج إليها .

١٨٢٧/٣

(١) س : « إلى مصلحتهم » . (٢) س : « أموال » .
(٣) س : « وأمر » .

ثم إنهم أرادوا أن يكتبوا إلى موسى ومفلح بالانصراف وتسليم العسكر إلى مَنْ فيه من القوّاد ، فأجمعوا[1] على أن يكتبوا إليهما بذلك كتاباً ، وكتبا إلى بعض القوّاد فى تسلّم[2] العسكر منهما ، وكتبا إلى الصغار بما سأل أصحابهم بسامُرّا ، وما أجيبوا إليه ، وأمر بنسخ الكتب التى كُتبت إلى القوّاد ، وأن ينظروا ؛ فإن سارع موسى ومفلح إلى ما أمرا به من الإقبال إلى الباب فى غلمانهم وتسليم العسكر إلى مَن أمرا بتسليمه إليه ؛ وإلاّ شدّوهما وثاقاً ، وحملوهما إلى الباب ، ووجّهوا هذه الكتب مع ثلاثين رجلا منهم ، فشخصوا عن سامرّا ليلة الجمعة لخمس خلون من رجب من هذه السنة ؛ وأجْرِىَ على مَنْ أخذت عليه البيعة فى الدار على كلّ رجل منهم فى اليوم درهمان ، فكان المتولى لتفرقة ذلك عليهم عبد الله بن تكين ، وهو خال ولد كنجور .

ولما تناهى الخبر إلى موسى وأصحابه اتّهم كنجور ، وأمر بحبسه بعد أن ناله بالضرب ، وموسى حينئذ بالسنّ . ولما انتهى الخبر إلى بايكباك وهو بالحديثة أقبل إلى السنّ ، فاستخرج كنجور من الحبس ، واجتمع العسكر بالسنّ ، ووصل إليهم الرّسل ، وأوصلوا الكتب ، وقرءوا بعضها على أهل العسكر ، وأخذوا عليهم البيعة بالنصرة لهم ، فارتحلوا حتّى نزلوا قنطرة الرفيف يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب ؛ وخرج المهتدى فى هذا اليوم إلى الحَيْر ، ١٨٢٨/٣ وعرض الناس ، وسار قليلاً ، ثم عاد وأمر أن تخرج الخيام والمضارب فتضرب فى الحَيْر ، وأصبح الناس يوم الجمعة ، وقد انصرف من عسكر موسى زُهاء ألف رجل ؛ منهم كوتكين وحشنج .

ثم خرج المهتدى إلى الحَيْر ، ثم صيّر ميمنته عليها كوتكين ، وميسرته عليها حشنج ، وصار هو فى القلب ، ثم رجع الرسل تختلف بين العسكرين . والذى يريد موسى بن بغا أن يُولّى ناحية ينصرف إليها ، والذى يريد القوم من موسى أن يُقبل فى غلمانه ليناظرهم ؛ فلم يتهيّأ بينهم فى ذلك اليوم شىء . فلما كان ليلة السبت ، انصرف مَنْ أراد الانصراف عن موسى ، ورجع موسى ومفلح يريدان طريق خُراسان فى زهاء ألف رجل ، ومضى بايكباك

(١) س : « فاجتمعوا ». (٢) س : « تسليم » .

وجماعة من قوّاده فى ليلتهم مع عيسى الكرخىّ ، فباتوا معه ، ثم أصبحوا يوم السبت ، وأقبل بايكباك ومَنْ معه حتّى دخلوا الدار ، فأخذت سيوفهم بايكباك ويارجوخ وأساتكين وأحمد بن خاقان وخطارمش وغيرهم . فوصلوا جميعًا إلى المهتدِى ، فسلّموا ، فأمِروا بالانصراف إلاّ بايكباك ؛ فإنّ المهتدى أمر أن يوقَف بين يديه ، ثم أقبل يعدّد عليه ذنوبه ، وما ركب من أمر المسلمين والإسلام.

ثم إنّ الموالى اعترضوه ، فأدخلوه حجرة فى الدار ، وأغلقوا عليه الباب ، ثم لم يلبث إلا قدر خمس ساعات حتّى قُتِل يوم السبت من الزّوال . واستوى ٣/١٨٢٩ الأمر ، فلم تكن حركة، ولا تكلّم أحد إلاّ نَفر يسير أنكروا أمر بايكباك ، ولم يُظهروا كلّ الجزع . فلما كان يوم الأحد ، أنكر الأتراك مساواة الفراغنة لهم فى الدار ودخولهم معهم ، ووضَح عندهم أنّ التدبير إنما جرى فى قتل رؤسائهم حتّى يقدم عليهم الفراغنة والمغاربة ، فخرجوا من الدّار بأجمعهم ، وبقيت الدّار على الفراغنة والمغاربة ، وأنكر الأتراك بناحية الكَرْخ ذلك ، وأضافوا إليه طلب بايكباك لاجتماع أصحاب بايكباك معهم ، فأدخل المهتدى إليه جماعة من الفراغنة، وأخبرهم بما أنكره الأتراك، وقال لهم : إنْ كنتم تعلمون أنكم تقومون بهم ؛ فما يكره أمير المؤمنين قربكم ؛ وإن كنتم بأنفسكم تظنّون عجزًا عنهم أرضيناهم بالمصير إلى محبتهم من قَبْل تفاقم الأمر . فذكر الفراغنة أنهم يقومون بهم ويقهرونهم ، إذا اجتمعت كلمتهم وكلمة المغاربة ، وعدّدوا أشياء كثيرة من تقديمهم عليهم . وأرادوا المهتدى على الخروج إليهم ؛ فلم يزل كذلك إلى الظهر ، ثم ركب وأكثر الفرسان الفراغنة وأكثر الرجّالة المغاربة، ووجّه إليهم وهُم بين الكرخ والقطائع والأتراك زُهاء عشرة آلاف، وهم فى ستة آلاف لم يكن معهم من الأتراك إلاّ أقل من ألف ، وهم أصحاب صالح ابن وصيف وجماعة مع يارجوخ . فلما التقى الزّحفان ، انحاز يارجوخ بمَن معه من الأتراك ، وانهزم أصحاب صالح بن وصيف ، فرجعوا إلى منازلهم ٣/١٨٣٠ وخرج طاشتُمُر من خلف الدكّة، وكانوا جعلوا كمينًا ، وتصادم القوم ، فكانت الحرب بينهم ساعة من النهار ، ضربًا وطعنًا ورميًا .

ثم وقعت الهزيمة على أصحاب المهتدى ، فثبت وأقبل يدعوهم إلى نفسه ،

ويقاتل حتى يئس من رجوعهم ؛ ثم انهزم وبيده سيف مشطّب ، وعليه درْع وقَباء ؛ ظاهَرَ به حرير أبيض معيّن ، فمضى حتى صار إلى موضع خشبة بابك ، وهو يحثّ الناس على مجاهدة القوم ونُصرِه ؛ فلم يتبعه أحد إلا جماعة من العيّارين ؛ فلما صاروا إلى باب السجن تعلقوا بلجامه ، وسألوه إطلاق مَن فى السجن ، فانصرف بوجهه عنهم ، فلم يتركوه حتى أمر بإطلاقهم ، فانصرفوا عنه ، واشتغلوا بباب السجن ، وبقىَ وحده ، فمرّ حتى صار إلى موضع دار أبى صالح بن يَزْداد ، وفيها أحمد بن جُمَيل ، فدخل الدار وأغلِقت الأبواب ، فنزع ثيابه وسلاحه ؛ وكانت به طعنة فى وركه ، فطلب قميصاً وسراويل ، فأعطاه أحمد بن جُمَيل ، وغسل الدّم عن نفسه ، وشرب ماء وصلّى ، فأقبل جماعة من الأتراك مع يارْجوخ نحو من ثلاثين رجلا ؛ حتى صاروا إلى دار أبى صالح ، فضربوا الباب حتى دخلوها ؛ فلما أحسّ بهم أخذ السيف وسعى ، فصعِد على درجة فى الدار ، ودخل القوم ؛ وقد علا السطح ، فأراد بعضُهم الصعود لأخذه ، فضربه بالسيف فأخطأه ، وسقط الرجل عن الدّرجة[1] ، فرمَوْه بالنشاب ، فوقعت نُشّابة فى صدره ، فجرحته جراحة خفيفة ، وعلم[2] أنه الموت ؛ فأعطى بيده ، ونزل فرمى بسيفه فأخذوه ، فجعلوه على دابة بين يدى أحدهم ، وسلكوا الطريق الذى جاء منه ، حتى صيّروه إلى دار يارْجوخ فى القطائع ، وأنهبوا الجوسق ؛ فلم يبق فيه شىء ، وأخرجوا أحمد بن المتوكل المعروف بابن فتْيان — وكان محبوساً فى الجوْسق — وكتبوا إلى موسى بن بغا وسألوه الانصراف إليهم ، فأقام المهتدى عندهم لم يُحدثوا فى أمره شيئاً ؛ فلما كان يوم الثلاثاء بايعوا أحمد بن المتوكل فى القَطائع ، وصاروا به يوم الأربعاء إلى الجوْسق فبايعه الهاشميون والخاصّة ، وأرادوا المهتدى على الخلْع فى هذه الأيام ، فأبى ولم يجبهم ، ومات يوم الأربعاء ، وأظهروه يوم الخميس لجماعة الهاشميّين والخاصّة ، فكشفوا عن وجهه وغسلوه ، وصلى عليه جعفر بن عبد الواحد يوم الخميس لاثنتى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين .

١٨٣١/٣

وقدم موسى بن بغا يوم السبت لعشر بقين من رجب وركب أحمد بن

---

(١) س : « على الدرجة » . (٢) س : « فعلم » .

فتيان إلى دار العامة يوم الاثنين لثمان بقين من رجب ، فبايعوه بيعة العامة .

فذكر عن محمد بن عيسى القرشيّ أنه قال : لما صار المهتدى فى أيديهم أبى أن يخلع نفسَه ، فخلعوا أصابع يديْه ورجليْه من كفيه وقدميه ، حتى ورمت كفاه وقدماه ، وفعلوا به غير شىء حتى مات .

وقد ذكر فى[1] سبب قتل أبى نصر محمد بن بغا أنه كان خرج من سامرّا يريد أخاه موسى ، فوجّه إليه المهتدى أخاه عبد الله فى جماعة من المغاربة والفراغنة ، فلحقوه بالرّفيف ، فجىء به فحبس ، وكان قد دخل على المهتدى مسلِّما قبل خلافهم ، فقال له : يا محمد ؛ إنما قدم أخوك موسى فى جيشه وعبيده حتى يُقتل[2] صالح بن وصيف وينصرف ، قال : يا أميرَ المؤمنين ؛ أعيذك بالله! موسى عبدُك وفى طاعتك ؛ وهو مع هذا فى وجه عدوّ كلِب ، قال : قد كان صالحٌ أنفعَ لنا منه ، وأحسنَ سياسة للملك ، وهذا العَلَوىّ قد رجع[3] إلى الرّىّ ، قال : وما حيلته يا أمير المؤمنين ؟ قد هزمه وقتل أصحابه وشرّد به كلّ مشرّد ، فلما انصرف عاد ، وهذا فعله أبدًا ؛ اللهمّ إلاّ أن تأمره بالمقام بالرّىّ دهرَه . قال : دع هذا عنك ، فإنّ أخاك ما صنع شيئًا أكثر من أخذ الأموال واحتجانها لنفسه . فأغلظ له أبو نصر ، وقال : يُنظر فيما صار إليه وإلى أهل بيته منذ وليتَ الخلافة فيردّ ، ويُنْظَر ما صار إليك وإلى إخوتك فيردّ . فأمر به فأخِذ وضُرِب وحُبِس ، وانتُهِبت داره ودار ابن ثوابة ، ثم أباح دم الحسن بن مَخْلَد وابن ثوابة وسليمان بن وهب القطان كاتب مُفلِح ، فهربوا فانتهِبت[4] دورهم . ثم جاء المهتدى بالفراغنة والأشروسنية والطبرية والديالمة والإشتاخنيّة ومَنْ بقى من أتراك الكرخ وولد وصيف ، فسألهم النصرة على موسى ومفلح ، وضرب بينهم ، وقال : قد أخذوا الأموال واستأثروا بالفىء ، وأنا أخاف أن يقتلونى ، وإن نصرتمونى أعطيتكُم جميعَ ما فاتكم ، وزدتكم فى أرزاقكم . فأجابوه إلى نصره والخلاف على موسى وأصحابه ، ولزموا

٣/١٨٣٢

٣/١٨٣٣

---

(١) س : « عن سبب » .
(٢) س : « ليقتل » .
(٣) س : « قد خرج » .
(٤) س : « فنهبت » .

الجَوْسق ، وبايعوه[1] بيعة جديدة وأمر بالسويق والسكر فاشتُرِى لهم ، وأجرَى على كلّ رجل منهم فى كلّ يوم درهمين ، وأطعِموا فى بعض أيامهم الخبز واللحم. وتولى أمرَ جيشه أحمد بن وصيف وعبد الله بن بُغا الشرابىّ والتفتْ ، معهم بنو هاشم ، وجعل يركب فى بنى هاشم ، ويدور فى الأسواق ، ويسأل الناس النصرة ، ويقول : هؤلاء الفساق يقتلون الخلفاء ، ويثِبون على مواليهم ، وقد استأثروا بالفىء ، فأعينوا أمير المؤمنين وانصروه. وتكلّم صالح بن يعقوب ابن المنصور وغيره من بنى هاشم ، ثم كتب بعدُ إلى بايكباك يأمره أن يضمّ الجيش كله إليه ، وأنه الأمير على الجيش أجمَع ، ويأمره بأخذ موسى ومفلح .

ولما هلك المهتدى طلبوا أبا نصر بن بغا ، وهم يظنّون أنه حىّ ، فدُلوا على موضعه ، فنُبِش فوجدوه مذبوحًا ، فحمِل إلى أهله ، وحُمِلت جثّة بايكباك فدُفنت. وكسرت الأتراك على قبر محمد بن بغا ألف سيف ، وكذلك يفعلون بالسيد منهم إذا مات . وقيل إنّ المهتدى لما أبى أن يخلعها ، أمروا مَنْ عَصَر خصيته حتى مات ؛ وقيل : إنّ المهتدى لما احتُضر قال :

أَهُمُّ بِأَمْرِ الحزْمِ لو أَسْتطيعُهُ ... وقدْ حِيلَ بينَ العيرِ والنّزوانِ

١٨٣٤/٣ وقيل إنّ محمد بن بغا لم يحدثوا فى أمره يوم حُبِس شيئًا ، وطالبوه بالأموال ، فدفع إليهم نيّفًا وعشرين ألف دينار ، ثم قتلوه بعد ؛ بعجوا بطنَه ، وعصروا حلْقه ، وألْقِىَ فى بئر من القناة ، فلم يزل هنالك حتى أخرجه الموالى بعد أسرهم المهتدى بيوم ، فدفن .

وكانت خلافة المهتدى كلها إلى أن انقضى أمره أحدَ عشر شهراً وخمسة وعشرين يوماً ، وعمره كله ثمان وثلاثون سنة . وكان رحْبَ الجبهة ، أجْلَح ، جهم الوجه ، أشْهَلَ ، عظيم البطن ، عريض المنكبين ، قصيراً ، طويل اللحية . وكان ولِد بالقاطول .

---

(١) س : « وبايعوا » .

[ذكر أخبار صاحب الزنج مع جُعلان]

وفى هذه السنة وافى جعلان البصرة لحرب صاحب الزنج .

* ذكر الخبر عما كان من أمرهما هنالك :

ذكر أن جُعلان لما صار إلى البصرة زحف بعسكره منها ، حتى صار بينه وبين عسكر صاحب الزَّنْج فرسخ ، فخندق على نفسه ومَنْ معه ، فأقام ستة أشهر فى خندقه ، فوجّه الزينبيُّ وبُرَيه وبنو هاشم ومَنْ خفّ لحرب الخبيث من أهل البصرة فى اليوم الذى تواعدهم جعلان للقائه ، فلما التقوْا لم يكن بينهم إلا الرمىُ بالحجارة والنشاب ، ولم يجد جعلان إلى لقائه سبيلا لضيق الموضع بما فيه من النخل والدَّغل عن مجال الخيل ، وأصحابه أكثرهم فرسان.

١٨٣٥/٣ فذكر عن محمد بن الحسن أنّ صاحب الزنج قال : لمّا طال مقام جُعلان فى خندقه ، رأيتُ أن أخفِيَ له من أصحابى جماعة يأخذون عليه مسالك الخندق ، ويبيّتونه فيه ، ففعل ذلك ، وبيته فى خندقه ، فقُتِل جماعة من رجاله ، وريع الباقون رَوْعًا شديداً . فترك جعلان عسكره ذلك ، وانصرف إلى البصرة ؛ وقد كان الزينبيّ قبل بيات الخبيث جعلان جمع مقاتلة البلالية والسعدية ، ثم وجّه لهم من ناحية نهر نافذ وناحية هزَارْدر ، فواقعوه[١] من وجهين ، ولقيهم الزَّنْج ، فلم يثبتوا لهم ، وقهرهم[٢] الزّنج ، فقتلوا منهم مقتلةً عظيمة ، وانصرفوا مفلولين ، وانحاز جعلان إلى البصرة ، فأقام بها وظهر عجزه للسلطان .

* * *

وفيها صرف جُعلان عن حرب الخبيث ، وأمر سعيد الحاجب بالشخوص إليها لحربه .

وفيها تحوّل صاحب الزَّنْج من السَّبَخة التى كان ينزلها إلى الجانب الغربىّ

(١) س : « فوافقوه » .
(٢) س : « فهزمهم » .

من النهر المعروف بأبي الخصيب .

وفيها أخذ صاحب الزّنج – فيما ذكر – أربعة وعشرين مركبًا من مراكب البحر ، كانت اجتمعت تريد البصرة ، فلمّا انتهى إلى أصحابها خبره وخبر مَن معه من الزّنج وقطعهم السبيل ، اجتمعت آراؤهم على أن يشدّوا مراكبهم بعضها إلى بعض ؛ حتى تصير كالجزيرة ، يتصل أولها بآخرها ، ثم يسيروا بها في دِجْلة . فاتّصل به خبرها ، فندب إليها أصحابه ، وحرّضهم عليها ، وقال لهم : هذه الغنيمة الباردة .

قال أبو الحسن : فسمعت صاحب الزّنْج يقول : لمّا بلغني قربُ المراكب مني[1] نهضت للصلاة ، وأخذت في الدعاء والتضرّع ، فخوطبتُ بأن قيل لي : قد أطلّك فتح عظيم ، والتفتُّ فلم ألبث أن طلعت المراكب ، فنهض أصحابي إليها في الجريبيّات ؛ فلم يلبثوا أن حَوَوْها وقتلوا مقاتلتها ، وسبَوْا ما فيها من الرّقيق ، وغنموا منها أموالاً عظامًا لا تُحصَى ولا يعرف قدرها ، فأنهب ذلك أصحابه ثلاثة أيام ، ثم أمر بما بقي فحِيزَ له . ١٨٣٦/٣

* * *

[ذكر الخبر عن دخول الزنج الأبلّة]

ولخمس بقِين من رجب من هذه السنة ، دخل الزّنج الأبلّة ، فقتلوا بها خلقاً كثيراً وأحرقوها .

* ذكر الخبر عنها وعن سبب الوصول إليها :

ذكر أن صاحب الزّنج لما تنحّى جعلان عن خندقه بشاطئ عثمان الذي كان فيه ، وانحاز إلى البصرة ألحّ بالسرايا على أهل الأبُلّة ، فجعل يحاربهم من ناحية شاطئ عثمان بالرجالة ، وبما خفّ له من السفن من ناحية دِجْلة ، وجعلت سراياه تضرب إلى ناحية نهر مَعْقِل .

فذكر عن صاحب الزّنج ، أنه قال : ميّلت[2] بين عبّادان والأبُلّة ، فلتُ

---

(١) س : « منهم » . (٢) ميلت ، أي أخذت أرجح وأوزان .

إلى التوجّه إلى عبّادان ، وندبتُ الرّجالة لذلك ، فقيل لى : إن أقرب العدو داراً، وأولاه بألاّ تتشاغل بغيره عنه أهلُ الأبُلّة ، فرددت الجيش الذى كنت سيّرتُ نحو عبّادان إلى الأبلّة . فلم يزالوا يحاربون أهل الأبلّة إلى ليلة الأربعاء لخمس بقين من رجب سنة ست وخمسين ومائتين. فلما كان فى هذه الليلة اقتحموا الزنج مما يلى دجْلة ونهر الأبُلّة ، فقتل بها أبو الأحوص وابنه ، وأضرمت ناراً ،وكانت مبنية بالساج محفوفة بناء متكاثفًا . فأسرعت فيها النار ، ونشأت ريحٌ عاصف ، فأطارت شرر ذلك الحريق حتى وصلت بشاطئ عثمان ، فاحترق .وقُتِل بالأبُلّة خلقٌ كثير ، وغرق خلق كثير ، وحُويت الأسلاب ، فكان ما احترق من الأمتعة أكثر مما انتُهِب .

١٨٣٧/٣

وقتِل فى هذه الليلة عبدُالله بن حميد الطوسىّ وابنٌ له ؛ كانا فى شَذاة بنهر مَعْقِل مع نُصير المعروف بأبى حمزة .

* * *

[ذكر خبر استيلاء صاحب الزنج على عبّادان]

وفيها استسلم أهل عبّادان لصاحب الزّنج فسلّموا إليه حصنهم .

* ذكر الخبر عن السبب الذى دعاهم إلى ذلك :

ذُكر أنّ السبب فى ذلك أنّ الخبيث لما فعل أصحابُه من الزّنج بأهل الأبُلّة ما فعلوا ، ضعفت قلوبهم، وخافوهم على أنفسهم وحُرمهم ، فأعطوا بأيديهم ، وسلموا إليه بلدهم ، فدخلها أصحابه، فأخذوا مَنْ كان فيها من العبيد[1] ، وحملوا ما كان فيها من السلاح إليه ، ففرّقه عليهم .

* * *

[ذكر خبر دخول أصحاب صاحب الزنج الأهواز]

وفيها دخل أصحابه الأهواز وأسروا إبراهيم بن المدبر .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك :

وكان الخبيث لما أوقع أصحابه بالأبُلّة، وفعلوا بها ما فعلوا ، واستسلم له

(١) ب : « العسكر » .

أهلُ عَبَّادان ، فأخذ مماليكهم ، فضمّهم إلى أصحابه من الزَّنْج ، وفرّق بينهم[1] ما أخذ من السلاح الذى كان بها ، طمع فى الأهواز ، فاستنهض ٣/١٨٣٨ أصحابه نحو جُبّى ، فلم يثبتْ لهم أهلها ، وهربوا منهم ، فدخلوا ، فقتلوا وأحرقوا ، ونهبوا وأخربوا ما وراءها ؛ حتى وافوا الأهواز ، وبها يومئذ سعيد بن يكسين والٍ وإليه حربها ، وإبراهيم بن محمد بن المدبّر وإليه الخراج والضّياع ؛ فهرب الناس منهم أيضًا فلم يقاتلهم كثير أحد ، وانحاز سعيد ابن تكسين فيمن كان معه من الجُند ، وثبت إبراهيم بن المدبّر فيمن كان معه من غلمانه وخدَمِه ، فدخلوا المدينة ، فاحتووْها ، وأسروا إبراهيم بن محمد بعد أن ضُرب ضربةً على وجهه ، وحوَوْا كلّ ما كان يملك من مال وأثاث ورقيق ؛ وذلك يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ست وخمسين ومائتين .

ولما كان من أمره ما كان بالأهواز بعد الذى كان منه بالأبُلّة ، رعب أهل البصرة رعبًا شديداً ، فانتقل كثير من أهلها عنها ، وتفرّقوا فى بلدان شتّى ، وكثرت الأراجيف من عوامّها .

* * *

وفى ذى الحجة من هذه السنة وجّه صاحب الزَّنْج إلى شاهين بن بسْطام جيشًا عليهم يحيى بن محمد البحرانىّ لحربه ؛ فلم ينَلْ يحيى من شاهين ما أمّل وانصرف عنه .

وفى رجب من هذه السنة وافى البصرة سعيد بن صالح المعروف بالحاجب من قِبَل السلطان لحرب صاحب الزَّنْج .

وفيها كانت بين موسى بن بُغا الذين كان توجّهوا معه إلى ناحية الجبل ٣/١٨٣٩ مخالفينْ لمحمد بن الواثق وبين مساور بن عبد الحميد الشارى وقعة بناحية خانِقين ومُساور فى جمع كثير وموسى وأصحابه فى مائتين ، فهزموا مساوراً وقتلوا من أصحابه جماعة كثيرة .

---

(١) س : « عليهم » .

خلافة المعتمد على الله

وفيها بويع أحمد بن أبى جعفر المعروف بابن فِتْيان، وسُمِّىَ المعتمد على الله ، وذلك يوم الثلاثاء لأربع عشرة بقيت من رجب.

* * *

وفيها بعث إلى موسى بن بغا وهو بخانِقين بموت محمد بن الواثق وبيعة المعتمد ، فوافى سامُرَّا لعشر بقين من رجب .

ولليلتين خَلَتا من شعبان ، ولِىَ الوزارة عبيد الله بن يحيى بن خاقان .

وفيها ظهر بالكوفة علىّ بن زيد الطالبىّ ، فوجّه إليه الشاه بن ميكال فى عسكر كثيف ، فلقيَه علىّ بن زيد فى أصحابه ، فهزمه وقتل جماعة كثيرة من أصحابه ، ونجا الشاه .

وفيها وثب محمد بن واصل بن إبراهيم التميمىّ ؛ وهو من أهلِ فارس ، ورجلٌ من أكرادها يقال له أحمد بن الليث بالحارث بن سيما الشرابىّ عامل فارس، فحارباه ، فقتِل الحارث ، وغلب محمد بن واصل على فارس .

١٨٤٠/٣ وفيها وجّه مفلح لحرب مساور الشارى وكنجور لحرب علىّ بن زيد الطالبىّ بالكوفة .

وفيها غَلَبَ جيش الحسن بن زيد الطالبىّ على الرىّ، فى شهر رمضان منهـــا .

وفيها شخص موسى بن بغا — لإحدى عشرة ليلةً خلت من شَوّال منها — من سامرّا إلى الرىّ ، وشيّعه المعتمد .

وفيها كانت بين أماجور وابن لعيسى بن الشيخ على باب دِمشق وقعة ، فسمعتُ مَنْ ذكر أنه حضر أماجور ، وقد خرج فى اليوم الذى كانت فيه هذه الوقْعة من مدينة دمشق مرتاداً لنفسه عسكراً وابنُ عيسى بن الشيخ وقائد لعيسى يقال له أبو الصهباء فى عسكر لهما بالقرب من مدينة دمشق ، فاتصل

بهما خبرُ خروج أماجور ، وأنه خرج فى نفر من أصحابه يسير ، فطمعا فيه ، فزحفا بمَنْ معهما إليه ، ولا يعلم أماجور بزحُوفهما إليه حتّى لقياه ، والتحمت الحرب بين الفريقين ، فقتِل أبو الصهباء ، وهُزِم الجمع الذى كان معه ومع ابن عيسى ؛ ولقد سمعتُ مَنْ يذكر أنّ عيسى وأبا الصهباء كانا يومئذ فى زُهاء عشرين ألفًا من رجالهما ، وأن أماجور فى مقدار مائتين إلى أربعمائة .

وفى يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من ذى الحجة منها قدم أبو أحمد ابن المتوكل من مكة إلى سامرا .

وفيها وجّه إلى عيسى بن الشيخ إسماعيل بن عبد الله المروزىّ المعروف بأبى النصر ومحمد بن عبيدالله الكريزىّ القاضى والحسين الخادم المعروف بعرق الموت ، بولاية أرمينيَة ، على أن ينصرف عن الشأم آمناً ؛ فقبل ذلك وشخص عن الشأم إليها . ١٨٤١/٣

وحج بالناس فى هذه السنة محمد بن أحمد بن عيسى بن أبى جعفر المنصور .

ثم دخلت سنة سبع وخمسين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأمور الجليلة

* * *

[ذكر خبر مسير يعقوب بن الليث إلى فارس وانصرافه عنها]

فمن ذلك ما كان من مصير يعقوب بن الليث إلى فارس ، وبعثة المعتمد إليه طُغتا[1] وإسماعيل بن إسحاق وأبا سعيد الأنصاريّ فى شعبان منها، وكتاب أبى أحمد بن المتوكل إليه بولاية بَلْخ وطَخارستان إلى ما يلى ذلك من كَرْمان وسجستان والسِّند وغيرها ، وما جعل له من المال فى كلّ سنة ، وقبوله ذلك وانصرافه .

وفى ربيع الآخر منها قدم رسول يعقوب بن الليث بأصنام ذكر أنه أخذها من كابُل .

ولاثنتى عشرة خلتْ من صفر عقد المعتمد لأخيه أبى أحمد على الكوفة وطريق مكة والحرمين واليمن، ثم عقد له أيضًا بعد ذلك لسبع خلَوْن من شهر رمضان على بغداد والسواد وواسط وكُور دجلة والبصرة والأهواز وفارس ، وأمر أن يُوَلّىصاحب بغداد أعماله، وأن يُعقد ليارْجوخ على البصرة وكُور دجْلة واليمامة والبحرين مكان سعيد بن صالح ، فولّى يارجوخ منصور بن جعفر بن دينار البصرة وكُور دجلة إلى ما يلى الأهواز . ١٨٤٢/٣

* * *

[ذكر خبر انهزام الزنج أمام سعيد بن الحاجب]

وفيها أمر بُغراج باستحثاث سعيد الحاجب فى المصير إلى دجْلة والإناخة بإزاء عسكر صاحب الزّنج ، ففعل ذلك بُغراج — فيما قيل — ومضى سعيد الحاجب لما أُمِر به من ذلك فى رجب من هذه السنة .

(١) م : « طغبا » .

فذُكر أن سعيدا لمّا صار إلى نهر مَعْقِل وجد هنالك جيشاً لصاحب الزّنج بالنهر المعروف بالمُرْغاب – وهو أحدُ الأنهار المعترضة فى نهر معقِل – فأوقع بهم فهزمهم، واستنقذ ما فى أيديهم من النِّساء والنهب، وأصابت سعيداً فى تلك الوقعة جراحات، منها جراحة فى فيه. ثم سار سعيد حتى صار إلى الموضع المعروف بعسكر أبى جعفر المنصور، فأقام به ليلة، ثم سار حتى أناخ بموضع يقال له هَطْمة من أرض الفرات، فأقام هنالك أيامًا يعبّى أصحابه، ويستعدّ للقاء صاحب الزَّنْج. وبلغه فى أيام مقامه هنالك، أن جيشاً لصاحب الزَّنْج بالقُرات، فقصد لهم بجماعة من أصحابه، فهزمهم، وكان فيهم عمران زَوْج جدّة ابن صاحب الزّنج المعروف بأنكلاى، فاستأمن عمران هذا إلى بُغراج، وتفرّق ذلك الجمع. قال محمد بن الحسن: فلقد رأيتُ المرأة من سكان الفرات تجد الزنجىّ مستتراً بتلك الأدغال، فتقبض عليه حتى تأتى به عسكر سعيد ما به منها امتناع. ثم قصد سعيد حرب الخبيث فعبر إلى غربىّ دجلة، فأوقع به وقعات فى أيام متوالية، ثم انصرف سعيد إلى معسكره بهَطْمة؛ فأقام به يحاربه باقى رجب وعامّة شعبان. ١٨٤٣/٣

* * *

[خلاص ابن المدبّر من صاحب الزنج]

وفيها تخلص إبراهيم بن محمد بن المدبر من حبس الخبيث، وكان سبب تخلصه منه – فيما ذكر – أنه كان محبوسًا فى غرفة فى منزل يحيى بن محمد البحرانىّ، فضاق مكانه على البَحْرانىّ، فأنزله إلى بيت من أبيات داره، فحبسه فيه، وكان موكّلا به رجلان، ملاصقٌ مسكنهما المنزل الذى فيه إبراهيم، فبذل لهما، ورغّبهما، فسرّبا له سرَباً إلى الموضع الذى فيه إبراهيم من ناحيتهما، فخرج هو وابن أخ له يعرف بأبى غالب ورجل من بنى هاشم كان محبوساً معهما.

[ذكر خبر إيقاع صاحب الزنج بسعيد وأصحابه]

وفيها أوقع أصحاب الخبيث بسعيد وأصحابه فقتلوه ومَنْ معه.

* ذكر الخبر عن هذه الوقعة :

ذُكر أن الخبيث وجّه إلى يحيى بن محمد البحرانيّ وهو مقيم بنهر مَعْقِل في جيش كثيف يأمره بالتوجّه بألف رجل من أصحابه ، يرئّس عليهم سليمان ابن جامع وأبا الليث ، ويأمرهما بالقَصْد لعسكر سعيد ليلا حتى يوقعا به في وقت طلوع الفجر . ففعل ذلك ، فصارا إلى عسكر سعيد ، فصادفا منهم غِرّةً وغفلة ، فأوقعا بهم وقْعةً ، فقتلا منهم مقتلة عظيمة ، وأحرق الزّنج يومئذ عسكر سعيد ، فضعف سعيد ومَنْ معه ، ودخل أمرَهم خللٌ للبيات الذي تهيّأ عليهم ، ولاحتباس الأرزاق عنهم، وكانت سبّبت لهم من مال الأهواز ؛ فأبطأ بها عليهم منصور بن جعفر الخياط ، وكان إليه يومئذ حرب الأهواز ، وله من ذلك يدٌ في الخراج . ٣/١٨٤٤

ولما كان من أمر سعيد بن صالح ما كان، أمِر بالانصراف إلى باب السلطان وتسليم الجيش الذى معه وما إليه من العمل هنالك إلى منصور بن جعفر ؛ وذلك أنّ سعيداً ترك[1] بعد ما كان من بيات الزّنْج أصحابه و إحراقهم عسكره ؛ فلم يكن له حركة إلى أن صُرِف عمّا كان إليه من العمل هنالك .

* * *

[خبر الوقعة بين منصور بن جعفر وصاحب الزنج]

وفيها كانت وقعة بين منصور بن جعفر الخياط وبين صاحب الزّنج ، قُتل فيها من أصحاب منصور جماعة كثيرة .

* ذكر الخبر عن صفة هذه الوقعة :

ذُكر أن سعيداً الحاجب لمّا صُرف عن البصرة، أقام بغُرّاج بها يحمي أهلها ،وجعل منصور يَجمع السفن التي تأتي بالميرة ، ثم يُبذْرِقها في الشّذا إلى البصرة ، فضاق بالزنج الميرة . ثم عبّأ منصور أصحابه ، وجمع إلى الشذا

(١) ط : « نزل » .

التى كانت معه الشَّذَا الجنّابيات والسفن ، وقصد صاحبَ الزّنج فى عسكره ؛ فصعد قصراً على دجلة ، فأحرقه وما حوله ، ودخل عسكر الخبيث من ذلك الوجه، ووافاه الزّنج ، وكمّنوا له كميناً ، فقتلوا من أصحابه مقتلة عظيمة ؛ وألجئ الباقون الى الماء ، فغرق منهم خلق كثير ؛ وحمِل من الرءوس يومئذ — فيما ذكر — زهاء خمسمائة رأس إلى عسكر يحيى بن محمد البحرانى بنهر معقِل ، وأمر بنصبها هنالك . ٣/١٨٤٥

وفيها ظَهر من بغداد بموضع يقال له برْكةُ زازل، على خنّاق. وقد قتل خلقاً كثيراً من النساء ودفنهن فى دار كان فيها ساكناً، فحمِل إلى المعتمد ؛ فبلغنى أنه أمَر بضربه ، فضُرِب ألفى سوط وأربعمائة أرزن فلم يمت حتى ضرب الجلاّدون أنثييْه بخشب العقابيْن ، فمات ، فرُدّ إلى بغداد فصُلب بها ثم أحرِقت جثته .

* * *

[خبر مقتل شاهين بن بسطام وهزيمة إبراهيم بن سيما]

وفيها قتِل شاهين بن بسطام وهزِم إبراهيم بن سيما .

* ذكر الخبر عن سبب مقتل شاهين وانهزام إبراهيم :

ذُكر أن البحرانىّ كان كتب إلى الخبيث يُشير عليه بتوجيه جيش إلى الأهواز للمقام بها ، ويرغّبه فى ذلك ، وأن يبدأ بقطع قنطرة أرْبُك ؛ لئلا يصلَ الخيل إلى الجيش . وإن الخبيث وجّه علىّ بن أبان لقطع القنطرة ، فلقيَه إبراهيم ابن سيما منصرفاً من فارس؛ وكان بها مع الحارث بن سيما فى الصَّحْراء المعروفة بدَسْت أربُك، وهى صحراء بين الأهواز والقنطرة . فلما انتهى علىّ بن أبان إلى القنطرة ، أقام مُخْفِياً نفسه ومَنْ معه، فلمّا أصحرت الخيل ، خرجت عليه من جهات، فَقَتَلَتْ من الزّنْج خلْقاً كثيراً ، وانهزم علىّ ، وتبعته الخيل إلى الفَنْدم، وأصابته طعنة فى أخمَصه، فأمسك عن التوجّه إلى الأهواز ، وانصرف على وجهه إلى جُبّى، وصُرف سعيد بن يكسين ووليَ إبراهيم بن ٣/١٨٤٦

سيما ، وكاتبه شاهين ، فأقبلا جميعًا ، إبراهيم بن سيما على طريق الفرات قاصدًا لذُنَابة نهر جُبِّي ، وعليّ بن أبان بالخيزرانيّة ؛ فأقبل شاهين بن بِسْطام على طريق نهر موسى ، يقدّر لقاء إبراهيم فى الموضع الذى قصد إليه ، وقد اتّعدا لمواقعة عليّ بن أبان ، فسبق شاهين . وأتى عليّ بن أبان رجلٌ من نهر موسى فأخبره بإقبال شاهين إليه ؛ فوجّه عليّ نحوه ، فالتقيا فى وقت العصر على نهر يعرف بأبى العباس — وهو نهر بين نهر موسى ونهر جُبّى — ونشبت الحرب بينهما ، وثبت أصحاب شاهين ، وقاتلوا قتالا شديداً ، ثم صدمهم الزّنج صدمة صادقة ، فولّوْا منهزمين ؛ فكان أوّل مَنْ قتِل يومئذ شاهين وابن عمّ له يقال له حيّان ، وذلك أنه كان فى مقدّمة القوم ، وقُتِل معه من أصحابه بشر كثير . وأتى عليّ بن أبان مخبر فأخبره بورود إبراهيم بن سيما ؛ وذلك بعد فراغه من أمر شاهين ، فسار من فوره إلى نهر جُبّى ، وإبراهيم بن سيما معسكر هنالك لا يعلم خبر شاهين ، فوافاه عليّ فى وقت العشاء الآخرة ، فأوقع بهم وقعة غليظة قتل فيها جمعاً كثيراً ؛ وكان قتلُ شاهين والإيقاع بإبراهيم فيما بين العصر والعشاء والآخرة .

١٨٤٧/٣ قال محمد بن الحسن : فسمعت عليّ بن أبان يحدّث عن ذلك ، قال : لقد رأيتُنى يومئذ ، وقد ركبنى حُمّى نافض[1] كانت تعتادنى ، وقد كان أصحابى حين نالوا ما نالوا من شاهين تفرّقوا عنى ، فلم يصر إلى عسكر إبراهيم بن سيما معى إلا نحو من خمسين رجلا ، فوصلت إلى العسكر ، فألقيت نفسى قريباً منه ، وجعلت أسمع ضجيج أهلِ العسكر وكلامَهم ؛ فلما سكنَتْ حركتهم ، نهضت فأوقعتُ بهم .

ثم انصرف عليّ بن أبان عن جُبّى لمّا قُتِل شاهين ، وهُزِم إبراهيم بن سيما ، لورود كتاب الخبيث عليه بالمصير إلى البصرة لحرب أهلها .

---

(١) حمّى النافض : حمى الرعدة .

[ذكر خبر دخول الزنج البصرة هذا العام]

وفيها دخل أصحاب الخبيث البصرة .

* ذكر الخبر عن سبب وصولهم إلى ذلك وما عملوا بها حين دخلوها :

ذُكر أنّ سعيد بن صالح لمّا شخَص من البَصْرة ضمّ السلطان عملَه إلى منصور بن جعفر الخياط ؛ وكان من أمرِ منصور وأمرِ أصحاب الخبيث ما قد ذكرناه قبلُ، وضعف أمر منصور ، ولم يَعُدْ لقتال الخبيث فى عسكره، واقتصر علىَ بذْرقة[1] القَيْروانات، واتّسع أهلُ البصرة لوصول الميَر إليهم ؛ وكان انقطاع ذلك عنهم قد أضرّ بهم ، وانتهى إلى الخبيث الخبر بذلك ، واتساعُ أهل البصرة ، فعظم ذلك على الخبيث، فوجّه علىّ بن أبان إلى نواحى جُبّى، فعسكر بالخيزُرانيّة ، وشغل منصور بن جعفر عن بَذْرَقة القيْروانات إلى البصرة ، فعاد حال أهل البصرة إلى ما كانت عليه من الضيق . وألحّ أصحاب الخبيث على أهل البصرة بالحرب صباحاً ومساء . ١٨٤٨/٣

فلما كان فى شوال من هذه السنة أزمع الخبيث على جَمْع أصحابه للهجوم على أهل البصرة ، والجدّ فى خرابها ، وذلك لعلمه بضعف أهلها وتفرّقهم ، وإضرار الحصار بهم، وخراب ما حولها من القرى ؛ وكان قد نظر فى حساب النجوم ، ووقف على انكساف القمر ليلة الثلاثاء لأربع عشرة ليلة تخلُو من الشهر .

فذكر عن محمد بن الحسن بن سهل أنه قال : سمعتُه يقول : اجتهدتُ فى الدعاء على أهل البصرة ، وابتهلت إلى الله فى تعجيل خرَابها ، فخوطبتُ، فقيل لى : إنما البصرة خُبْزة لك تأكلها من جوانبها ؛ فإذا انكسر نصْفُ الرغيف خربت البصرة ؛ فأوّلْتُ انكسار نصف الرغيف انكساف القمر المتوقّع فى هذه الأيام ، وما أخلق أمر البصرة أن يكون بعده .

قال : فكان يحدّث بهذا حتى أفاض فيه أصحابه ، وكثر تردده فى أسماعهم وإحالته إياه بينهم .

---

(١) البذرقة : الحراسة ، والقيروان : القافلة .

ثم ندب محمد بن يزيد الدارمىّ ؛ وهو أحد مَنْ كان صحبه بالبحرين للخروج إلى الأعراب ،وأنفذه فأتاه منهم خَلْق كثير ، فأناخو بالقنْدل ، ووجّه إليهم الخبيث سليمان بن موسى الشعرانىّ ، وأمرهم بتطرّق البصرة ، والإيقاع بها ، وتقدّم إلى سليمان بن موسى فى تمرين الأعراب على ذلك ؛ فلمّا وقع الكسوف أنهض علىّ بن أبان ، وضمّ إليه طائفة من الأعراب ، وأمره بإتيان البصرة مما يلى بنى سعد ، وكتب إلى يحيى بن محمد البحرانىّ –وهو يومئذ محاصر أهل البصرة – فى إتيانها مما يلى نهر عدىّ ، وضمّ سائر الأعراب إليه . قال محمد بن الحسن : قال شبل : فكان أوّل مَنْ واقع أهل البصرة علىّ بن أبان ، وبُغراج يومئذ بالبصرة فى جماعة من الجُند ، فأقام يقاتلهم يومين ، ومال الناس نحوه .

١٨٤٩/٣

وأقبل يحيى بمن معه مما يلى قصر أنس قاصداً نحو الجسر ، فدخل علىّ ابن أبان المهلبىّ وقت صلاة الجمعة لثلاث عشرة ليلة بقيت من شوال ، فأقام يقتل ويحرق يوم الجمعة وليلة السبت ويوم السبت . وغادى يحيى البصرة يوم الأحد،فتلقّاه بُغراج وبُرَيْه فى جَمْع فردّاه،فرجع فأقام يومه ذلك، ثم غاداهم يوم الاثنين،فدخل وقد تفرّق الجند،وهرب بُريه ، وانحاز بغراج بمَن معه ، فلم يكن فى وجهه أحدٌ يدافعه ، ولقيَه إبراهيم بن يحيى المهلبىّ ، فاستأمنه لأهل البصرة فآمنهم ، ونادى منادى إبراهيم بن يحيى : مَنْ أراد الأمان فليحضر دار إبراهيم ، فحضر أهل البصرة قاطبةً حتى ملئوا الرّحاب . فلما رأى اجتماعَهم انتهز الفرصة فى ذلك منهم ، فأمر بأخذ السكاك والطرق والدّروب لئلا يتفرقوا ، وغَدر بهم ، وأمر أصحابه بقتلهم ، فقتل كلّ مَنْ شهد ذلك المشهد إلا الشاذّ . ثم انصرف يومَه ذلك ، فأقام بقصر عيسى بن جعفر بالخُرَيبة .

١٨٥٠/٣

قال محمد : وحدّثنى الفضل بن عدىّ الدارمىّ ، قال : أنا حين وجّه الخائن لحرب أهل البصرة فى حَيز أهل البصرة مُقيمٌ فى بنى سعد . قال : فأتانا آت فى الليل ؛ فذكر أنه رأى خيلاً مجتازة تؤمّ قصر عيسى بالخريبة ،

فقال لى أصحابى : اخرج فتعرّف لنا خبَر هذه الخيل ، فخرجتُ فإذا جماعة من بنى تميم وبنى أسد ، فسألتُهم عن حالهم ، فزعموا أنهم أصحاب العلَوىّ المضمومون إلى علىّ بن أبان ، وأنّ عليًّا يوافى البصرة فى غد تلك الليلة ، وأنّ قصده لناحية بنى سعد ، وأن يحيى بن محمد بجمعه قاصد لناحية آل المهلب . فقالوا : قل لأصحابك من بنى سعد : إن كنتم تريدون تحصينَ حُرَمكم ، فبادروا إخراجهم قبل إحاطة الجيش بكم .

قال الفضل : فرجعتُ إلى أصحابى ، فأعلمتُهم خبرَ الأعراب فاستعدّوا . فوجهوا إلى بُرَيْه يعلمونه الخبر ، فوافاهم فيمن كان بقىَ من الحَول وجماعة من الجند وقت طلوع الفجر ، فساروا حتى انتهوْا إلى خندق يعرف ببنى حِمَّان ، ووافاهم بنو تميم ومقاتلة السعديّة ، فلم يلبثوا أن طلع عليهم علىّ ابن أبان فى جماعة الزّنْج والأعراب على متُون الخيل ، فذهل بُرَيه قبل لقاء القوم ، فرجع إلى منزله ؛ فكانت هزيمةٌ ، وتفرّق مَنْ كان اجتمع من بنى تميم . ووافى علىّ فلم يدافعه أحدٌ ، ومرّ قاصداً إلى المِرْبد ، ووجّه بُرَيه إلى بنى تميم يستصرخُهم ؛ فنهض إليه منهم جماعة ، فكان القتال بالمِرْبَد ١٨٥١/٣ بحضرة دار بُرَيْه ، ثم انهزم بُريه عن داره ، وتفرّق الناس لانهزامه ، فأحرقت الزنج دارَه ، وانتهبوا ما كان فيها ، فأقام الناس يقتلون هنالك ، وقد ضعُف أهلُ البصرة ، وقَوِى عليهم الزّنْج ، واتصلت الحرب بينهم إلى آخر ذلك اليوم ، ودخل علىّ المسجد الجامع فأحرقه ، وأدركه فتح غلام أبى شيث فى جماعة من البصريّين ، فانكشف علىّ وأصحابه عنهم ، وقُتِل من الزّنْج قوم ، ورجع علىّ فعسكر فى الموضع المعروف بمقبرة بنى شيبان ، فطلب الناس سلطاناً يقاتلون معه فلم يجدوه ، وطلبوا بُرَيْهاً ، فوجدوه قد هرب ، وأصبح أهلُ البصرة يوم السبت ، فلم يأتهم علىّ بن أبان ، وغاداهم يوم الأحد ، فلم يقف له أحد ، وظفر بالبصرة .

قال محمد بن الحسن : وحدّثنى محمد بن سمعان ، قال : كنت مقيماً بالبصرة فى الوقت الذى دخلها الزّنْج ، وكنت أحضرُ مجلس إبراهيم بن محمد

ابن إسماعيل المعروف ببُرَيه ، فحضرته وحضر يوم الجمعة لعشر ليال خلون من شوال سنة سبع وخمسين ومائتين وعنده شهاب بن العلاء العنبرىّ ، فسمعتُ شهاباً يحدّثه أن الخائن قد وجّه بالأموال إلى البادية ليعرّض بها رجال العرب ، وأنه قد جمع جمعاً كثيرًا من الخيل ، وهو يريد تورّد البصرة بهم وبرجّالته من الزنج ، وليس بالبصرة يومئذ من جند السلطان إلا نيّف وخمسون فارساً مع بُغراج ، فقال بُريه لشهاب : إنّ العرب لا تقدم علىّ بمساءة ؛ وكان بُريه مطاعاً فى العرب ، محبّبًا إليهم .

١٨٥٢/٣

قال ابن سمعان : فانصرفت من مجلس بُريّه ، فلقيت أحمد بن أيوب الكاتب ، فسمعته يحكى عن هارون بن عبد الرحيم الشيعىّ ؛ وهو يومئذ يلى بريد البصرة[1] ، أنّه صحّ عنده أنّ الخائن جمّع لثلاث خَلَوْن من شوّال فى تسعة أنفس ؛ فكان وجوه أهل البصرة وسلطانها المقيم بها من الغَبَا عن حقيقة خبر الخائن على ما وصفت . وقد كان الحصار عضّ أهل البصرة ، وكثر الوباء بها ، واستعرت الحرب فيها بين الحزبين المعروفين بالبلالية والسعدية .

فلما كان يوم الجمعة لثلاث عشرة بقيتْ من شوّال من هذه السنة ، أغارت خيل الخائن على البَصْرة صبحًا فى هذا اليوم ؛ من ثلاثة أوجه من ناحية بنى سَعْد والمربد والخُرَيبة ؛ فكان يقودُ الجيش الذى سار إلى المربَد علىّ بن أبان ، وقد جعل أصحابه فرقتين ؛ فرقة ولّى عليها رفيقاً غلام يحيى بن عبد الرحمن بن خاقان ، وأمرهم بالمصير إلى بنى سعد ، والفرقة الأخرى سار هو فيها إلى المِرْبَد ؛ وكان يقود الخيل التى أتت من ناحية الخُريبة يحيى بن محمد الأزرق البحرانىّ ، وقد جمع أصحابه من جهة واحدة ؛ وهو فيهم ؛ فخرج إلى كلّ فرقة من هؤلاء من خفّ من ضعفاء أهل البصرة ، وقد جهَدهم الجوع والحصار ، وتفرّقت الخيل التى كانت مع بُغراج فرقتين : فرقة صارت إلى ناحية المِربَد وفرقة صارت إلى ناحية الخُرَيبة ، وقاتل من ورد ناحية بنى سعد جماعة من مقاتلة السعديّة فتح غلام أبى شيث[2] وصحبه ، فلم يُغْنِ قليلٌ من أهل البصرة إلى جموع الخبيث شيئًا ، وهجم القوم بخيلهم ورجلهم .

١٨٥٣/٣

(١) س : « الموصل » . (٢) س : « شبيب » .

قال ابن سمعان: فإنّى يومئذ لفِى المسجد الجامع ، إذ ارتفعت نيران ثلاث من ثلاثة أوجه : زهران والمِرْبد وبنى حِمَّان فى وقت واحد ؛ كأنّ موقِديها كانوا على ميعاد ؛ وذلك صدْر يوم الجمعة ، وجلّ الخطب ، وأيقن أهل البصرة بالهلاك ، وسَعَى مَنْ كان فى المسجد[1] الجامع إلى منازلهم ، ومضيتُ مبادراً إلى منزلى ؛ وهو يومئذ فى سكة المِرْبد ، فلقينى منهزمو أهل البصرة فى السكة راجعين نحو المسجد الجامع ، وفى أخراهم القاسم بن جعفر بن سليمان الهاشمىّ ؛ وهو على بغل متقلّد سيفاً يصيح بالناس: ويحكم! أتسلمون بلدكم وحرمكم ! هذا عدوّكم قد دخل البلد، فلم يلووا عليه ، ولم يسمعوا منه ، فمضى وانكشفت سكة المِرْبد ؛ فصار بين المنهزمين والزّنج فيها فضاء يسافر فيه البصَر .

قال محمد : فلما رأيتُ ذلك دخلت منزلى ، وأغلقت بابى ، وأشرفتُ فإذا خيل من الأعراب ورجّالة الزنج ، تقدّمهم رجل على حصان كُميت ، بيده رمح ، عليه عَذَبة صفراء ؛ فسألت بعد أن صِير بى إلى مدينة الخائن عن ذلك الرجل ، فادّعى علىّ بن أبان أنه ذلك الرجل، وأنّ الراية الصفراء رايتُه ، ودخل القوم ، فغابوا فى سكة المِرْبد إلى أن بلغوا باب عثمان ؛ وذلك بعد الزوال ثم انصرفوا ، فظنّ الناس من رعاع أهل البصرة وجهالهم أنّ القوم قد مضوْا لصلاة الجمعة ؛ وكان الذى صرفهم أنهم خشوا أن يخرجَ عليهم جمع السعديّة والبِلالية من المربّعة ، وخافوا الكمناء هناك، فانصرفوا وانصرف من كان بناحية زَهْران وبنى حصن ؛ وذلك بعد أن أحرقوا وأنهبوا واقتدروا على البلد ، وعلموا أنه لا مانع لهم منه ، فأغبّوا السبت والأحد، ثم غادوا البصرة يوم الاثنين ، فلم يجدوا عنها مدافعًا ، وجُمع الناس إلى باب إبراهيم بن يحيى المهلبىّ وأعطوا الأمان . ٣/١٨٥٤

قال محمد بن سمعان: فحدثنى الحسن بن عثمان المهلبىّ الملقب بمُنْدَلِقَة — وكان من أصحاب يحيى بن محمد — قال : أمرنى يحيى فى تلك الغداة بالمصير

---

(١) ب : « مسجد » .

إلى مقبرة بنى يَشْكر ، وحَمْل ما كان هناك من التنانير ، فصرتُ إليها ، فحملتُ نَيِّفاً وعشرين تَنّوراً على رءوس الرجال ، حتى أتيت بها دار إبراهيم ابن يحيى ، والناس يظنّون أنها تعدّ لاتّخاذ طعام لهم ؛ وهم من الجوع وشدة الحصار والجهد على أمر عظيم ، وكثر الجمع بباب إبراهيم بن يحيى ، وجعلوا ينوبون ويزدادون ؛ حتى أصبحوا وارتفعت الشمس .

قال ابن سمعان : وأنا يومئذ قد انتقلت من سكة المربد من منزلى إلى دار جدّ أمى هشام المعروف بالدافّ ، وكانت فى بنى تميم ، وذلك للذى استفاض فى الناس من دخول بنى تميم فى سِلْم الخائن ؛ فإنى لهناك إذ أتى المخبرون بخبر الوَقْعة بحضرة دار إبراهيم بن يحيى ، فذكروا أن يحيى بن محمد البحرانىّ أمر الزّنج ، فأحاطوا بذلك الجمع ، ثم قال : مَنْ كان من آل المهلب فلْيدخل دار إبراهيم بن يحيى ، فدخلتْ جماعة قليلة ، وأغلقوا الباب دونهم . ثم قيل للزّنج : دونكم الناس فاقتلوهم ، ولا تُبقوا منهم أحداً . فخرج إليهم محمد بن عبد الله المعروف بأبى الليث الأصبهانى ، فقال للزّنج : كيلوا — وهى العلامة التى كانوا يعرفونها فيمن يؤمرون بقتله — فأخذ الناسَ السيف .

١٨٥٥/٣

قال الحسن بن عثمان : فإنى لأسمع تشهّدهم وضجيجهم ، وهم يقتَلون ، ولقد ارتفعت أصواتهم بالتشهّد ؛ حتى لقد سمعت بالطُّفَاوة ، وهم على بُعد من الموضع الذى كانوا به . قال : ولما أتىَ على الجمع الذى ذكرنا أقبل الزّنج على قتل مَنْ أصابوا ، ودخل علىّ بن أبان يومئذ ، فأحرق المسجد الجامع ، وراح إلى الكلّاء ، فأحرقه من الجبل[1] إلى الجسر ، والنار فى كلّ ذلك تأخذ فى كلّ شىء مرّت به من إنسان وبهيمة وأثاث ومتاع ، ثم ألحّوا بالغُدوّ والرّواح على مَنْ وجدوا يسوقونهم إلى يحيى بن محمّد ؛ وهو يومئذ نازلٌ بسَيْحان ؛ فمن كان ذا مال قرّره حتى يستخرج ماله ، ويقتله ، ومن كان مُمْلِقاً قتله .

وذُكِرَ عن شبْل أنه قال : باكر يحيى البصْرة يوم الثلاثاء بعد قتل مَنْ قتل بباب إبراهيم بن يحيى ، فجعل ينادى بالأمان فى الناس ليظهروا ، فلم يظهر له أحدٌ ، وانتهى الخبر إلى الخبيث ، فصرف علىّ بن أبان عن البصرة ، وأفرد

١٨٥٦/٣

(١) ط : « الحبل » .

يحيى بها لموافقة ما كان أتى يحيى من القتل إياه ووقوعه لمحبّته ، وأنه استقصر ما كان من علىّ بن أبان المهلبىّ من الإمساك عن العيْث بناحية بنى سعد .
وقد كان علىّ بن أبان أوفد إلى الخبيث من بنى سعد وفداً ، فصاروا إليه ، فلم يجدوا عنده خيراً ، فخرجوا إلى عبّادان ، وأقام يحيى بالبصرة ، فكتب إليه الخبيث يأمره بإظهار استخلاف شِبْل على البصرة ليسكن الناس ، ويظهر المستخفى ومَنْ قد عُرِف بكثرة المال ، فإذا ظهروا أخذوا بالدلالة على مادفنوا وأخفَوْا من أموالهم . ففعل ذلك يحيى ؛ فكان لا يخلو فى يوم من الأيام من جَماعة يُؤتى بهم ، فمَنْ عُرِف منهم باليسار استنظف ما عنده وقتله ، ومن ظهرت له خَلّته عاجله بالقتل ؛ حتى لم يدع أحداً ظهر[1] له إلا أتى عليه ، وهرب الناس على وجوههم ، وصرف الخبيث جيشه عن البصرة .

قال محمد بن الحسن : ولما أخرب الخائن البصرة ، وانتهى إليه عظيم ما فعل أصحابه فيها ، سمعته يقول : دعوتُ على أهل البصرة فى غداة اليوم الذى دخلها أصحابى ، واجتهدت فى الدعاء ، وسجدت ، وجعلت أدعو فى سجودى ، فرُفعتْ إلىّ البصرة ، فرأيتها ورأيت أصحابى يقاتلون فيها ، ورأيت بين السماء والأرض رجلاً واقفاً فى الهواء فى صورة جَعْفر المعلوف المتَولّى كان للاستخراج فى ديوان الخراج بسامُرّا ، وهو قائم قد خفض يده اليسرى ، ورفع يده اليمنى ، يريد قلب البصرة بأهلها ، فعلمتُ أن الملائكة تولّت إخرابها دون أصحابى ، ولو كان أصحابى تولّوْا ذلك لما بلغوا هذا الأمر العظيم الذى يحكى عنها . وإن الملائكة لتنصرنى وتؤيدنى فى حربى[2] ، وتثبّت مَن ضعُف قلبه من أصحابى . ١٨٥٧/٣

قال محمد بن الحسن : وانتسب الخبيث إلى يحيى بن زيد بن علىّ بعد إخرابه البصرة ، وذلك لمصير جماعة من العلويّة الذين كانوا بالبصرة إليه ، وأنه كان فيمن أتاه منهم علىّ بن أحمد بن عيسى بن زيد ، وعبد الله بن علىّ فى

---

(١) س : « أظهر » . (٢) س : « حروبى » .

جماعة من نسائهم وحُرَمهم ، فلمّا جاءوه ترك الانتساب إلى أحمد بن عيسى، وانتسب إلى يحيى بن زيد .

قال محمد بن الحسن : سمعتُ الخبيث وقد حضره جماعة من النوْفليّين ، فقال القاسم بن الحسن النوفلىّ : إنه قد كان انتهى إلينا أنك من ولد أحمد بن عيسى بن زيد ، فقال : لست من ولد عيسى ، أنا من ولد يحيى بن زيد . وهو فى ذلك كاذب ، لأن الإجماع فى يحيى أنه لم يعقِب إلا بنتًا ماتت وهى ترضع .

* * *

[ذكر الخبر عن الحرب بين محمد المولّد والزنج]

وفيها أشخص السلطان محمداً المولّد إلى البصرة لحرب صاحب الزّنْج ، فشخص من سامُرّا يوم الجمعة لليلة خلت من ذى القعدة .

* ذكر الخبر عما كان من أمر المولّد هناك :

ذكر أن محمداً المعروف بالمولّد لما صار إلى ما هنالك نزل الأبُلّة ، وجاء بُرَيه، فنزل البصرة، واجتمع إلى بُريه من أهل البصرة خلق كثير ممن كان هرب ، وكان يحيى حين انصرف عن البصرة أقام بالنهر المعروف بالغوثىّ. ٣/١٨٥٨

قال محمد : قال شِبْل : فلما قدم محمد المولد كتب الخبيث إلى يحيى يأمره بالمصير إلى نهر أوًّا ، فصار إليه بالجيش، وأقام يحارب المولّد عشرة أيام ، ثم أوطن المولّد المقام ، واستقرّ وفتر عن الحرب ، فكتب الخبيث إلى يحيى يأمره بتبييته، ووجّه إليه الشذامع المعروف بأبى الليث الأصبهانىّ، فبيّته ونهض المولّد بأصحابه ، فقاتلهم بقية ليلته ومن غدٍ إلى العصر ، ثم ولى منصرفًا ، ودخل الزّنج عسكره، فغنموا ما فيه . فكتب يحيى إلى الخبيث بخبره ، فكتب إليه يأمره باتباعه ، فاتبعه إلى الحوانيت، وانصرف، فمرّ بالجامدة ، فأوقع بأهلها ، وانتهب كلّ ما كان فى تلك القرى ، وسفك ما قدر على سفكه من الدماء ، ثم عسكر بالحالة ، فأقام هناك مدّة، ثمّ عاد إلى نهر معقل.

وفيها أخذ محمد المولّد سعيد بن أحمد بن سعيد بن سَلْم الباهلىّ ،وكان قد تغلّب على البطائح ، هو وأصحابه من باهلة وأفسدوا الطريق .

وفيها خالف محمد بن واصل السلطان بفارس ، وغلب عليها .

وحجّ بالناس فى هذه السنة الفضل بن إسحاق بن الحسن بن إسماعيل بن العباس بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن العباس .

٣/١٨٥٩ وفيها وثب بسيل المعروف بالصقلبىّ — وقيل له الصقلبىّ وهو من أهل بيت المملكة ،لأن أمه صقلبيّة— على ميخائيل بن توفيل ملك الروم فقتله ، وكان ميخائيل منفرداً بالمملكة أربعًا وعشرين سنة ، وتملّك الصقلبىّ بعده على الروم .

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأمور الجليلة

فمن ذلك ما كان من الموافاة بسعيد بن أحمد بن سعيد بن سلْم الباهليّ باب السلطان[١] ، وأمر السلطان بضربه بالسياط ، فضرب سبعمائة سوط – فيما قيل – فى شهر ربيع الآخر منها ، فمات فصُلِب .

وفيها ضُرب عنق قاضٍ لصاحب الزّنج ، كان يقضى له بعبّادان ، وأعناق أربعة عشر رجلا من الزّنْج بباب العامّة بسامُرّا ؛ كانوا أُسِروا من ناحية البصرة .

وفيها أوقع مُفْلح بأعراب بتكريت ، ذكر أنهم كانوا مايَلوا[٢] الشارى مساوراً .

وفيها أوقع مسرور البلخىّ بالأكراد اليعقوبيّة فهزمهم ، وأصاب فيهم .

وفيها دخل محمد بن واصل فى طاعة السلطان ، وسلم الخراج والضياع بفارس إلى محمد بن الحسين بن الفيّاض .

وعقد المعتمد يوم الاثنين لعشر بقين من شهر ربيع الأول لأبى أحمد أخيه على ديار مُضر وقنّسرين والعواصم ، وجلس يوم الخميس[٣] مستهلّ شهر ربيع الآخر ، فخلع عليه وعلى مُفلِح ، فشخصا نحو البصرة وركب ركوباً عامّاً ، وشيع أبا أحمد إلى بَرْكُوَار ، وانصرف . ١٨٦٠/٣

(١) ب : « الأحداث » .
(٢) ابن الأثير : « أعانوا » .
(٣) س : « الجمعة » .

[ذكر الخبر عن قتل منصور بن جعفر الخياط]

وفيها قُتِل منصور بن جعفر بن دينار الخياط .

* ذكر الخبر عن سبب مقتله وكيف كان أمره :

ذكر أن الخبيث لما فرغ أصحابه من أمر البصرة ، أمر علىّ بن أبان المهلبىّ بالمصير إلى جُبّى لحرب منصور بن جعفر ، وهو يومئذ بالأهواز ، فخرج إليه ، فأقام بإزائه شهرًا ، وجعل منصور يأتى عسكر علىّ وهو مقيم بالخيزُرانيّة ، ومنصور إذ ذاك فى خفّ من الرجال ، فوجّه الخبيث إلى علىّ ابن أبان باثنتى عشرة شذاة مشحونة بجُلْد[1] أصحابه، وولّى أمرها المعروف بأبى الليث الأصبهانىّ ، وأمره بالسمع والطاعة لعلىّ بن أبان ، فصار المعروف بأبى الليث إلى علىّ ، فأقام مخالفًا له ، مستبدًّا بالرأى عليه ، وجاء منصور كما كان يجىء للحرب ، ومعه شذوات ، فبدر إليه أبو الليث عن غير مؤامرة منه لعلىّ بن أبان ، فظفر منصور بالشّذَوات التى كانت معه ، وقَتَل فيها من البيضان والزّنج خلقاً كثيرًا ، وأفلت أبو الليث ، فانصرف إلى الخبيث ، فانصرف علىّ بن أبان وجميع مَنْ كان معه ، فأقاموا شهراً ، ثم رجع علىّ لمحاربة منصور فى رجاله ، فلما استقرّ علىّ وجّه طلائع يأتونه بأخبار منصور وعساكره ، وكان لمنصور وال مقيم بكَرْنبا ، فبيّت علىّ بن أبان ذلك القائد ، فقتله وقتل عامّة مَنْ كان معه ، وغنم ما كان فى عسكره ، وأصاب أفراسًا ، وأحرق العسكر ، وانصرف من ليلته حتى صار فى ذُنابة نهر جُبّى . وبلغ الخبر منصورًا ، فسار حتى انتهى إلى الخيزُرانيّة ، فخرج إليه علىّ فى نُفَير من أصحابه ، وكانت الحرب بينهما منذ ضحى ذلك اليوم إلى وقت الظهر ، ثم انهزم منصورٌ ، وتفرّق عنه أصحابُه ، وانقطع عنهم ، وأدركته طائفة من الزّنج اتبعوا أثره إلى نهر يعرف بعمر بن مهْران ، فلم يزل يكرّ عليهم حتى تقصّفت رماحه ، ونفدت سهامه ، ولم يبق معه سلاح ، ثم حمل نفسه على

١٨٦١/٣

---

(١) س : «بجلّة أصحابه» .

النهر ليعبر ، فصاح بحصان كان تحته ، فوثب وقصرت رجلاه ، فانغمس في الماء .

قال شبل : كان سبب تقصير الفرس عن عبور النهر بمنصور ، أنّ رجلا من الزّنْج كان ألقى نفسه لمّا رأى منصوراً قاصداً نحو النهر يريد عبورَه فسبقه سباحةً ، فلمّا وثب الفرس تلقاه الأسود ، فنكص به ، فغاضا معًا ، ثم أطلع منصور رأسَه ، فنزل إليه غلام من السودان من عُرفاء مصلِح يقال له أبرون ، فاحتزّ رأسَه ، وأخذ سَلَبه ، وقُتل ممن كان معه جماعة كثيرة ، وقُتل مع منصور أخوه خلَف بن جعفر ، فولّى يارجوخ ما كان إلى منصور من العمل أصغجون .

* * *

[ذكر الخبر عن قتل مفلح]

١٨٦٢/٣ ولاثنتي عشرة بقيتْ من جُمادى الأولى منها ، قُتِل مُفلِح بسهم أصابه بغير نصل في صُدغه يوم الثلاثاء ، فأصبح ميتاً يوم الأربعاء في غدِ ذلك اليوم ، وحُمِلت جثّته إلى سامُرّا ، فدفن بها .

* ذكر الخبر عن سبب مقتله وكيف كان الوصول إليه :

قد مضى ذكري شخوص أبي أحمد بن المتوكل من سامُرّا إلى البصرة لحرب اللعين لمّا تناهى إليه وإلى المعتمد ما كان من فظيع ما ركب من المسلمين بالبصرة ، وما قرب منها من سائر أرض الإسلام ، فعاينتُ أنا الجيش الذي شخص فيه أبو أحمد ومفلح ببغداد ، وقد اجتازوا بباب الطاق ، وأنا يومئذ نازلٌ هنالك ، فسمعت جماعةً من مشايخ أهل بغداد يقولون : قد رأينا جيوشًا كثيرة من الخلفاء ، فما رأينا مثلَ هذا الجيش أحسن عُدّة ، وأكمل سلاحًا وعتاداً ، وأكثر عدداً وجمعاً ، وأتبع ذلك الجيش من متسوّقة[1] أهل بغداد خلق كثير .

---

(١) ابن الأثير : « سوقة » .

وذكر عن محمد بن الحسن أن يحيى بن محمد البحرانيّ كان مقيمًا بنهر معقِل قبل موافاة أبى أحمد موضعَ الخبيث ، فاستأذنه فى المصير إلى نهر العباس ، فكره ذلك، وخاف أن يوافيَه جيشُ السلطان، وأصحابه متفرّقون ، فألحّ عليه يحيى حتى أذن له ، فخرج واتّبعَه أكثر أهل عسكر الخبيث .

وكان علىّ بن أبان مقيماً بجُبَّى فى جمع كثير من الزّنج ، والبصرة قد صارت مغنماً لأهل عسكر الخبيث ؛ فهم يغادونها ويراوحونها لنقل ما نالته أيديهم منها ، فليس بعسكر الخبيث يومئذ من أصحابه إلاّ القليل ؛ فهو على ذلك من حاله حتى وافى أبو أحمد فى الجيش الذى كان معه فيه مفلح ، فوافى جيشٌ عظيم هائل لم يرد على الخبيث مثله ؛ فلمّا انتهى إلى نهر معقِل هرب مَنْ كان هناك من جيش الخبيث ، فلحقوا به مرعوبين ، فراع ذلك الخبيث ، فدعا برئيسين من رؤساء جيشه الذى كان هناك ، فسألهما عن السبب الذى له تركا موضعهما ؛ فأخبراه بما عاينا من عظم[1] أمر الجيش الوارد، وكثرة عدد أهله[2] وإحكام عُدّتهم ؛ وأنّ الذى عاينا من ذلك لم يكن فى قوتهما الوقوف له فى العدّة التى كانا فيها ، فسألهما : هل علما مَنْ يقود الجيش؟ فقالا : لا قد اجتهدنا فى علم ذلك ، فلم نجد من يصدُقنا عنه . فوجّه الخبيث طلائعَه فى سُميريّات لتَرف الخبر ، فرجعت رسله إليه بتعظيم أمر الجيش وتفخيمه ؛ ولم يقف أحدٌ منهم على مَنْ يقوده ويرأسه ، فزاد ذلك فى جزعه وارتياعه ، فبادر بالإرسال إلى علىّ بن أبان ، يعلمه خبر الجيش الوارد ، ويأمره بالمصير إليه فيمن معه ، ووافى الجيش ، فأناخ بإزائه ؛ فلما كان اليوم الذى كانت فيه الوقعة وهو يوم الأربعاء ، خرج الخبيث ليطوف فى عسكره ماشيًا ، ويتأمل الحال فيمن هو مقيم معه من حزبه ومَنْ هو مقيم بإزائه من أهل حربه ، وقد كانت السّماء مطرت فى ذلك اليوم مطراً خفيفًا والأرض ثريّة تزلّ عنها الأقدام ، فطوّف ساعة من أول النهار ، ثم رجع فدعا بدواة وقرطاس لينفذ كتاباً إلى علىّ بن أبان، يعلمه ما قد أَظلّه من الجيش

٣/١٨٦٣ ٣/١٨٦٤

(١) ب : « وعظم » ، س : « من عظيم » . (٢) س : « عدة أهله » .

و يأمره بتقديم مَنْ قدر على تقديمه من الرّجال ، فإنه لَفِى ذلك إذ أتاه المكتنى أبا دُلف — وهو أحد قوّاد السودان — فقال له : إن القوم قد صعدوا وانهزم عنهم الزّنج ، وليس فى وجوههم مَنْ يردّهم[1] حتى انتهوْا إلى الحبل الرابع . فصاح به وانتهره ،وقال : اغرُب عنى فإنك كاذب فيما حكيتَ ؛ وإنما ذلك جزع دخلك لكثرة ما رأيتَ من الجمع ،فانخلع قلبُك ، ولست تدرى ماتقول . فخرج أبو دلف من بين يديه ، وأقبل على كاتبه ، وقد كان أمر جعفر بن إبراهيم السجّان بالنداء فى الزّنج وتحريكهم للخروج إلى موضع الحرب ؛ فأتاه السجّان ، فأخبره أنه قد ندب الزّنج ، فخرجوا . وإنّ أصحابه قد ظفروا بسُمَيريّتين ، فأمره بالرجوع لتحريك الرّجّالة ، فرجع ولم يلبث بعد ذلك إلاّ يسيراً ، حتى أصيب مفلح بسهم غَرَبٍ لا يُعرف الرامى به ، ووقعت الهزيمة، وقَوِىَ الزنج على أهل حربهم ، فنالوهم بما نالوهم به من القتل. ووافى الخبيث زنجه بالرءوس قابضين عليها بأسنانهم حتى ألقوْها بين يديه ، فكثرت الرءوس يومئذ حتى ملأت كلّ شىء ، وجعل الزّنج يقتسمون لحوم القتلى و يتهادوْنها بينهم .

وأُتِىَ الخائن بأسير من أبناء الفراغنة ، فسأله عن رأس الجيش ، فأعلمه بمكان أبى أحمد ومفلِح ، فارتاع لذكر أبى أحمد — وكان إذا راعه أمر كذّب به — فقال : ليس فى الجيش غير مفلح! لأنى لست أسمع الذكر إلا له ؛ ولو كان فى الجيش مَنْ ذكر هذا الأسير لكان صوتُه أبعد ، ولمّا كان مفلح إلاّ تابعاً له ، ومضافاً إلى صحبته .

١٨٦٥/٣

وقد كان أهلُ عسكر الخبيث لمّا خرج عليهم أصحاب أبى أحمد، جزعوا جزعًا شديداً ، وهربوا من منازلهم ، ولجئوا إلى النهر المعروف بنهر أبى الخصيب ولا جسر يومئذ عليه ، فغرق فيه يومئذ خلق كثير من النساء والصبيان، ولم يلبث الخبيث بعد الوقعة إلا يسيراً ، حتى وافاه علىّ بن أبان فى جمع من أصحابه، فوافاه وقد استغنى عنه ، ولم يلبث مُفلحٌ أن مات ، وتحيّز أبو أحمد

(١) س : « يرادهم » .

إلى الأبُلّة، ليجمع ما فرّقت الهزيمة منه، ويجدّد الاستعداد، ثم صار إلى نهر أبي الأسد فأقام به.

قال محمد بن الحسن: فكان الخبيث لا يدرى كيف قُتل مُفْلِح، فلما بلغه أنه أصيب بسهم، ولم يرَ أحداً ينتحل رميته ادّعى أنه كان الرامىَ له.

قال: فسمعته يقول: سقط بين يدىّ سهم، فأتانى به واح[1] خادمى، فدفعه إلىّ، فرميت به فأصبت مفلحًا.

قال محمد: وكذَب فى ذلك، لأنى كنت حاضرًا ذلك المشهد، وما زال عن فرسه حتّى أتاه المخبر بخبر الهزيمة، وأُتِىَ بالرءوس وانقضت الحرب.

* * *

وفى هذه السنة وقع الوباء فى الناس فى كور دِجْلة، فهلك فيها خَلْق كثير فى مدينة السّلام وسامُرّا وواسط وغيرها.

وفيها قُتل خرسخارس ببلاد الروم فى جماعة من أصحابه.

* * *

[ذكر خبر أسر يحيى بن محمد البحرانىّ ثم قتله]

وفيها أسِر يحيى بن محمد البحرانىّ صاحب قائد الزّنج، وفيها قُتِل. ١٨٦٦/٣

* ذكر الخبر عن أسره وقتله وكيف كان ذلك:

ذُكِر عن محمد بن سمعان الكاتب أنه قال: لمّا وافَى يحيى بن محمد نهر العباس، لقيه بفُوّهة النهر ثلثمائة وسبعون فارسًا من أصحاب أصغجون العامل — كان عامل الأهواز[2] فى ذلك الوقت، كانوا مرتّبين فى تلك الناحية — فلما بصر بهم يحيى استقلّهم، ورأى كثرة مَنْ معه من الجمع [3]مما لا خوف عليه معهم، فلقيتهم[3] أصحابه غير مستجنّين بشىء يردّ عنهم عاديتَهم، ورشقتهم أصحابُ أصغجون بالسهام، فأكثروا الجراح فيهم. فلمّا رأى ذلك

(١) م: «راح».
(٢) س: «على كور الأهواز».
(٣ – ٣) س: «من لا خوف عليه منهم فلقيه».

يحيى عبّر إليهم عشرين ومائة فارس كانت معه ، وضمّ إليهم من الرّجال جمعًا كثيراً ، وانحاز أصحاب أصغجون عنهم ، وولج البحرانيّ ومَنْ معه نهر العباس ؛ وذلك وقت قلّة الماء فى النهر ، وسفنُ القيْروانات جانحة على الطين. فلما أبصر أصحابُ تلك السفن بالزّنْج تركوا سفنَهم ، وحازها الزّنج ، وغنموا ما كان فيها غنائم عظيمة جليلة ، ومضوْا بها متوجّهين نحو البطيحة المعروفة ببطيحة الصحناة ، وتركوا الطريق النّهج ، وذلك للتحاسد الذى كان بين البحرانيّ وعلىّ بن أبان المهلبىّ . وإن أصحاب يحيى أشاروا عليه ألاّ يسلك الطريق الذى يمرّ فيها بعسكر علىّ ، فأصغى إلى مشورتهم ، فشرعوا[1] له الطريق المؤدى إلى البطيحة التى ذكرنا ، .فسلكها حتى ولج البطيحة ، وسرّح الخيل التى كانت معه ، وجعل معها أبا الليث الأصبهانىّ ، وأمره بالمصير بها إلى عسكر قائد الزّنج . ١٨٦٧/٣

وكان الخبيث وجّه إلى يحيى البحرانىّ يعلمه ورودَ الجيش الذى ورد عليه ، ويأمره بالتحرّز فى منصرفه من أن يلقاه أحدٌ منهم ، فوجّه البحرانىّ الطلائع إلى دجْلة ، فانصرفت[2] طلائعه وجيش أبى أحمد منصرف من الأبُلّة إلى نهر أبى الأسد ، وكان السبب فى رجوع الجيش إلى نهر أبى الأسد ، أنّ رافع بن بِسطام وغيره من مجاورى نهر العباس وبطيحة الصّحْناة كتبوا إلى أبى أحمد يعرّفونه خبر البحرانىّ وكثرة جمعه ، وأنه يقدّر أن يخرج من نهر العباس إلى دِجْلة ، فيسبق إلى نهر أبى الأسد ويعسكر به ، ويمنعه المِيرة ، ويحولُ بينه وبين من يأتيه أو يصدر عنه ؛ فرجعت إليه طلائعهُ بخبره ، وعظم أمر الجيش عنده ، وهيبته منه ؛ فرجع فى الطريق الذى كان سلكه بمشقة شديدة نالتْه ونالت أصحابه ، وأصابهم وباء من تردّدهم فى تلك البطيحة ، فكثُر المرض فيهم . فلما قربوا من نهر العباس جعل يحيى بن محمد سليمان بن جامع على مقدّمته ، فمضى يقود أوائل الزّنْج ، وهم يجرّون سفنَهم ، يريدون الخروج من نهر العباس ، وفى النهر للسلطان شذوات وسميريات تحمى فوّهته من قبل أصغجون ، ومعها جَمْعٌ من الفُرْسان والرّجالة ، فراعه وأصحابه ذلك ،

---

(١) ب : « وشرعوا » .

(٢) كذا فى س ، وفى ط : « فانصرف » .

فخلَّوْا سفنهم ، وألقَوْا أنفسهم فى غربىّ نهر العباس ، وأخذوا على طريق ٣/١٨٦٨
الزّيدان ماضين نحو عسكر الخبيث ، ويحيى غارّ بما أصابهم ، لم يأته علم شىء[١] من خبرهم ، وهو متوسّط عسكره ، قد وقف على قنطرة قُورَج العباس فى موضع ضيّق تشتدّ فيه جرية الماء ، فهو مشرف على أصحابه الزّنْج ، وهم فى جرّ تلك السفن التى كانت معهم ، فمنها ما يغرق ، ومنها ما يسلم .

قال محمد بن سمعان : وأنا فى تلك الحال معه واقف ، فأقبل علىّ متعجّبًا من شدّة جرية الماء وشدّة ما يلقى أصحابه من تلقّيه بالسفن ، فقال لى : أرأيتَ لو هجم علينا عدوّنا فى هذه الحال ، مَنْ كان أسوأ حالا منا! فما انقضى كلامُه حتى وافاه طاشتمر التركىّ فى الجيش الذى أنفذه إليهم أبو أحمد عند رجوعه من الأبُلّة إلى نهر أبى الأسد ، ووقعت الضّجّة فى عسكره .

قال محمد : فنهضت مُتشوّقًا للنظر ؛ فإذا الأعلام الحمر قد أقبلتْ فى الجانب الغربىّ من نهر العباس ويحيى به ؛ فلما رآها الزّنْج ألقَوْا أنفسهم فى الماء جملة ، فعبروا إلى الجانب الشرقىّ ، وعرِىَ الموضع الذى كان فيه يحيى ، فلم يبق معه[٢] إلا بضعة عشر رجلا ، فنهض يحيى عند ذلك ، فأخذ درقتَه وسيفه ، واحتزم بمنديل ، وتلقّى القوم الذين أتوْه فى النفر الذين معه ، فرشقهم[٣] أصحاب طاشتمر بالسهام ، وأسرع فيهم الجراح ، وجرح البحرانىّ بأسهم ثلاثة فى عَضُدَيْه وساقه اليسرى . فلما رآه أصحابه جريحًا تفرّقوا عنه ، فلم يعرف فيقصد له . فرجع حتى دخل بعض تلك السفن ، وعَبَر به إلى الجانب الشرقىّ ٣/١٨٦٩
من النهر ؛ وذلك وقت الضحى من ذلك اليوم ، وأثقلَت يحيى الجراحات التى أصابتْه . فلما رأى الزّنج ما نزل به اشتدّ جزعهم ، وضعفت قلوبهم ، فتركوا القتال . وكانت همّتهم النجاة بأنفسهم ، وحاز أصحاب السلطان الغنائم التى كانت فى السفن بالجانب الغربىّ من النهر ؛ فلما حوَوْها أقعدوا فى بعض تلك السفن النّفاطين ، وعبّروهم[٤] إلى شرقىّ النهر ، فأحرقوا ما كان هناك من السفن

---

(١) س : « بشىء » .
(٢) ب : « فيه » .
(٣) ب : « معهم فرشقوهم » .
(٤) س : «وغيرهم» .

التى كانت فى أيدى الزّنج ، وانفضّ الزّنج عن يحيى ، فجعلوا يتسللون بقية نهارهم بعد قتل فيهم ذريع ، وأسر كثير ؛ فلمّا أمسوا وأسدف الليل طاروا على وجوههم ، فلما رأى يحيى تفرّق أصحابه ، ركب سُمَيرِيّة كانت لرجل من المقاتلة البيضان ، وأقعَد معه فيها متطبّبًا يقال له عبّاد يعرف بأبى جيش ؛ وذلك لمّا كان به من الجراح ، وطمع فى التخلّص إلى عسكر الخبيث ، فسار حتى قرب من فُوّهة النهر ، فبصُر ملاحو السميريّة بالشذا والسميريّات واعتراضها فى النهر ، فجزعوا من المرور بهم ، وأيقنوا أنهم مدركون ، فعبروا إلى الجانب الغربىّ ، فألقَوْه ومَنْ معه على الأرض فى زرع كان هناك ، فخرج يمشى وهو مثقَل ؛ حتى ألقى نفسه ؛ فأقام بموضعه ليلته تلك ، فلما أصبح بموضعه ذلك نهض عبّاد المتطبّب الذى كان معه ، فجعل يمشى متشوقًا لأن يرى إنسانًا ، فرأى بعض أصحاب السلطان ، فأشار إليهم فأخبرهم بمكان يحيى ، وأتاه بهم حتى سلّمه إليهم . ١٨٧٠/٣

وقد زعم قوم أنّ قومًا مرّوا به ، فرأوه فدلّوا عليه ، فأُخِذ . فانتهى خبره إلى الخبيث صاحب الزّنْج ، فاشتدّ لذلك جزعه ، وعظم عليه توجّعه .

ثم حمِل يحيى بن محمد الأزرق البحرانىّ إلى أبى أحمد ، فحمله أبو أحمد إلى المعتمد بسامُرّا ، فأمر ببناء دكة بالحَيْر ، بحضرة مجرى الحلبة فبُنيت ، ثم رفع للناس حتى أبصروه ، فضرب بالسياط .

وذُكر أنه دخل سامرّا يوم الأربعاء لتسع خلوْن من رجب على جمل ، وجلس المعتمد من غد ذلك اليوم — وذلك يوم الخميس — فضُرب بين يديه مائتى سوط بثمارها ، ثم قُطعت يداه ورجلاه من خلاف ، ثم خُبط بالسيوف ثم ذُبح ثم أحرق .

قال محمد بن الحسن : لمّا قُتِل يحيى البحرانىّ وانتهى خبره إلى صاحب الزّنج ، قال : عَظُم علىّ قتله ، واشتدّ اهتمامى به ، فخوطبتُ فقيل لى : قتلُه خير لك ، إنه كان شرهًا . ثم أقبل على جماعة كنت أنا فيهم ، قال : ومنْ شرهه أنا غنمنا غنيمة من بعض ما كنّا نصيبه ؛ فكان فيه عقدان ، فوقعا فى

يد يحيى ، فأخفى عنى أعظمهما خطرًا ، وعرض علىّ أخسهما ، واستوهبنيه فوهبته له ، فرُفع (١) لى العقد الذى أخفاه ، فدعوته فقلت : أحضرْنى العقد الذى أخفيتَه ، فأتانى بالعقد الذى وهبتُه له ، وجحد أن يكون أخذه غيره ، فرُفِع لى العقد ، فجعلت أصفه وأنا أراه ، فبُهت ، وذهب فأتانى به ، واستوهبنيه فوهبتُه له ، وأمرته بالاستغفار .

١٨٧١/٣

وذكر عن محمد بن الحسن أن محمد بن سمعان حدّثه أنّ قائد الزنج قال لى فى بعض أيامه : لقد عُرِضَتْ علىّ النبوّة فأبيتُها ، فقلتُ : ولِمَ ذاك ؟ قال : لأنّ لها أعباء خِفت ألاّ أطيق حملها !

* * *

[ذكر خبر انحياز أبى أحمد بن المتوكل إلى واسط]

وفى هذه السنة انحاز أبو أحمد بن المتوكل من الموضع الذى كان به من قرب موضع قائد الزّنج إلى واسط .

* ذكر الخبر عن سبب انحيازه ذلك إليها :

ذُكر أنّ السبب فى ذلك كان أنّ أبا أحمد لمّا صار إلى نهر أبى الأسد ، فأقام به ، كثُر العلل فيمن معه من جنده وغيرهم ، وفشا فيهم الموت ؛ فلم يزل مقيماً هنالك حتى أبلّ مَنْ نجا منهم من الموت من علّته ، ثم انصرف راجعاً إلى باذاوَرْد ، فعسكر به ، وأمر بتجديد الآلات وإعطاء مَنْ معه من الجند أرزاقَهم وإصلاح الشذوات والسميريات والمعابر ، وشحنها بالقوّاد مِنْ مواليه وغلمانه ، ونهض نحو عسكر الخبيث ، وأمر جماعة من قُوّاده بقصد مواضع سمّاها لهم من نهر أبى الخصيب وغيره ، وأمر جماعة منهم بلزومه والمحاربة معه فى الموضع الذى يكون فيه ، فمال أكثر القوم حين وقعت الحرب ، والتقى الفريقان إلى نهر أبى الخصيب ، وبقى أبو أحمد فى قلّة من أصحابه ، فلم يزُلْ عن موضعه إشفاقًا من أن يطمع فيه الزّنْج ، وفيمن بإزائهم من أصحابه وهم بسبخة

---

(١) س : « فوقع » .

١٨٧٢/٣ نهر منكى ، وتأمل الزّنج تفرّق أصحاب أبى أحمد عنه ، وعرفوا موضعه ، فكثروا[1] عليه ، واستعَرَت الحرب ، وكثر القتل والجراح بين الفريقين ،وأحرق أصحاب أبى أحمد قصورًا ومنازل من منازل الزّنْج ، واستنقذوا من النساء جمعًا كثيراً ،وصرف الزّنج جمعهم[2] إلى الموضع الذى كان به[3] أبو أحمد فظهر الموفّق على الشّذَا ،وتوسّط الحرب محرّضاً أصحابه حتى أتاه مِنْ جمع الزّنْج ما علم أنه لا يقاوَم بمثل العدّة اليسيرةالتى كان فيها ،فرأى أنّ الحزم فى محاجزتهم ، فأمر أصحابه عند ذلك بالرجوع إلى سفنهم على تُؤدَة ومَهَل ، فصار أبو أحمد إلى الشّذَا التى كان فيها بعد أن استقرّ أكثرُ الناس فى سفنهم ، وبقيت طائفة من الناس ، ولجئوا إلى تلك الأدغال والمضايق ، فانقطعوا عن أصحابهم ، فخرج عليهم كُمناء الزّنج ، فاقتطعوهم ووقعوا بهم ، فحاموْا عن أنفسهم ، وقاتلوا قتالا شديداً ، وقتلوا عدداً كثيراً من الزّنْج ، وأدركتهم المنايا فقتلوا ، وحَمَلوا إلى قائد الزنج مائة رأس وعشرة أرؤس ، فزاد ذلك فى عتُوّه . ثم انصرف أبو أحمد إلى الباذاوَرْد فى الجيش ، وأقام يعبى أصحابه للرجوع إلى الزّنج ، فوقعت نار فى طرف من أطراف عسكره ؛ وذلك فى أيام عصوف الريح ، فاحترق العسكر ، ورحل أبو أحمد منصرفًا ، وذلك فى شعبان من هذه السنة إلى واسط ، فلمّا صار إلى واسط تفرّق عنه عامة من كان معه من أصحابه .

* * *

١٨٧٣/٣ ولعشر خلون من شعبان كانت هدّة صعبة هائلة بالصَّيْمَرَة. ثم سُمع من غد ذلك اليوم وذلك يوم الأحد ، هدّة هى أعظم من التى كانت فى اليوم الأول ، فتهدّم من ذلك أكثر المدينة ، وتساقطت الحيطان وهلك من أهلها — فيما قيل — زهاء عشرين ألفًا .

وضرب بباب العامة بسامرّا رجل يعرف بأبى فَقْعَس ، قامت عليه البيّنة — فيما قيل — بشتم السلف ألف سوط وعشرين سوطا ، فمات وذلك يوم الخميس

(١) م : « فأكبوا » . (٢) ب : « أجمعهم » . (٣) ب : « فيه » .

لسبع خلوْن من شهر رمضان .

ومات يارْجُوخ يوم الجمعة لثمان خلون من شهر رمضان ، فصلى عليه أبو عيسى بن المتوكل، وحضر جعفر بن المعتمد .

وفيها كانت وقْعَة بين موسى بن بُغا وأصحاب الحسن بن زيد ، فهزم موسى أصحابَ الحسن .

وفيها انصرف مسرور البلخيّ عن مساور الشارى إلى سامُرّا ، ومعه أسراء من الشُراة، واستخلف على عسكره بالحَديثة جعلانَ. ثم شخص أيضاً مسرور البلخىّ إلى ناحية البوازيج ، فلقىَ مساوراً بها ، فكانت بينهما وقعة بها أسر مسرور من أصحابه جماعة ، ثم انصرف لليال بقيت من ذى الحجة .

وفى هذه السنة حدث فى الناس ببغداد داء كان أهلها يسمُّونه القُفَّاع .

وفيها رجع أكثر الحاجّ من القَرْعاءِ خوفَ العطش ، وسلم مَنْ سار منهم إلى مكة .

وحجّ بالناس فيها الفضل بن إسحاق بن الحسن .

٣/١٨٧٤

ثم دخلت سنة تسع وخمسين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك منصرف أبي أحمد بن المتوكل من واسط ، وقدومه سامُرّا يوم الجمعة لأربع بقين من شهر ربيع الأول ، واستخلافه على واسط وحرب الخبيث بتلك[1] الناحية محمداً المولّد[2] .

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل كنجور]

ومن ذلك مقتل كَنْجور .

* ذكر الخبر عن سبب مقتله :

وكان سبب ذلك أنه كان والىَ الكوفة ، فانصرف عنها يريد سامُرّا بغير إذن ، فأمِر بالرجوع فأبى ، فحمِل إليه — فيما ذكر — مالٌ ليفرّق فى أصحابه أرزاقهم منه ، فلم يقنع بذلك ، ومضى حتى ورد عُكْبَرَاء فى ربيع الأول ، فتوجّه إليه من سامُرّا عدّة من القواد ، فيهم : ساتكين وتكين وعبد الرحمن ابن مفلح وموسى بن أتامش وغيرهم ؛ فذبحوه ذبحًا ، وحُمِل رأسه إلى سامُرّا ، لليلة بقيت من شهر ربيع الأول ، وأصيب معه نيّف وأربعون ألف دينار ، وألزم كاتب له نصرانىّ مالا ، ثم ضرِب هذا الكاتب فى شهر ربيع الآخر بباب العامة ألف سوط ، فمات .

* * *

٣/١٨٧٥

وفيها غلب شركب الجمّال على مرْو وناحيتها وأنهبها .

وفيها انصرف يعقوب بن الليث عن بلخ ، فأقام بقُهِستان ، وولّى عماله هَرَاة وبُوشَنج وباذَغيس ، وانصرف إلى سِجستان .

---

(١) س : « فى تلك » .   (٢) م : « أحمد المولّد » .

وفيها فارق عبد الله السجزىّ يعقوب بن الليث مخالفًا له ، وحاصر نيسابور ، فوجّه محمد بن طاهر إليه الرّسل والفقهاء ، فاختلفوا بينهما ، ثمّ ولاه الطّبَسَين وقُهِستان .

* * *

[ذكر خبر دخول المهلبىّ ويحيى بن خلف سوق الأهواز]

ولست خلوْن من رجب منها ، دخل المهلبىّ ويحيى بن خلف النّهْرَبَطّىّ سوق الأهواز ، فقتلوا بها خَلْقاً كثيراً ، وقتلوا صاحب المعونة بها .

* ذكر الخبر عن سبب هذه الوقعة وكيف كان هلاك صاحب الحرب من قبل السلطان فيها :

ذُكر أنّ قائد الزنج خفِىَ عليه أمرُ الحريق الذى كان فى عسكر أبى أحمد بالباذاورد ، فلم يُعلم[1] خبرُه إلاّ بعد ثلاثة أيام ، ورد به عليه رجلان من أهل عبّادان فأخبراه ، فعاد للعيْث ، وانقطعت عنه الميرة ، فأنهض علىّ ابن أبان المهلبىّ، وضمّ إليه أكثر الجيْش ، وسار معه سليمان بن جامع ، وقد ضمّ إليه الجيش الذى كان مع يحيى بن محمد البحرانىّ وسليمان بن موسى الشعرانىّ، وقد ضُمّت إليه الخيل وسائر الناس مع علىّ بن أبان المهلبىّ والمتولى للأهواز يومئذ رجلٌ يقال له أصغجون ، ومعه نيزَك فى جماعة من القوّاد ، فسار ٣/١٨٧٦ إليهم علىّ بن أبان فى جمعه من الزنج ، ونذِر به أصغجون ، فنهض نحوه فى أصحابه ، فالتقى العسكران بصحراء تُعرف بدَسْتماران ، فكانت الدّبرة يومئذ على أصغجون ، فقُتِل نَيْزك فى جمع كثير من أصحابه ، وغرق أصغجون ، وأسِر الحسن بن هرثمة المعروف بالشار يومئذ ، والحسن بن جعفر المعروف براوشار[2] .

قال محمّد بن الحسن : فحدّثنى الحسن بن الشار ، قال : خرجنا يومئذ مع أصغجون للقاء الزّنج ؛ فلم يثبت أصحابنا ، وانهزموا ، وقُتِل نيزك ، وفقد أصغجون ، فلمّا رأيت ذلك نزلت عن فرس محذوف[3] كان تحتى ، وقدّرتُ

---

(١) ب : « يعرف » . (٢) ط : « بزادشار » ، وانظر تصويبات ط .
(٣) المحذوف : المقطوع الذنب .

أن أتناول بذنَب جَنيبة كانت معى ، وأقحمها النهر ، فأنجو بها . فسبقنى إلى ذلك غلامى ، فنجا وتركنى ، فأتيت موسى بن جعفر لأتخلّص معه ، فركب سفينة ، ومضى فيها ، ولم يُقِمْ علىّ ، وبصرت بزورق فأتيته فركبته ، فكثر الناس علىّ وجعلوا يطلبون الركوب معى فيتعلّقون بالزّورق حتى غرقوه ، فانقلب ،وعلوتُ ظهره ، وذهب الناس عنى ، وأدركنى الزّنْج ، فجعلوا يرمونني بالنُّشاب ، فلما خفت التّلف قلت : أمسكوا عن رميى ، وألقوا إلىّ شيئًا أتعلّق به ، وأصير إليكم ، فمدّوا إلىّ رمحاً ، فتناولتُه بيدىّ وصرت إليهم .

وأما الحسن بن جعفر ، فإن أخاه حمله على فرس ، وأعدّه ليسفر[1] بينه بين أمير الجيش ، فلما وقعت الهزيمة بادر فى طلب النجاة[2] ، فعثر به فرسُه فأخِذ .

١٨٧٧/٣

فكتب علىّ بن أبان إلى الخبيث بأمر الوقعة ، وحمل إليه رءوساً وأعلامًا كثيرة ، ووجّه الحسن بن الشار والحسن بن جعفر وأحمد بن روح ، فأمر بالأسرى إلى السجن ، ودخل علىّ بن أبان الأهواز ، فأقام يعيث بها إلى أن ندب السلطان موسى بن بُغا لحرب الخبيث .

* * *

[شخوص موسى بن بغا لحرب صاحب الزنج]

وفيها شخص موسى بن بُغا عن سامرّا لحربه ، وذلك لثلاث عشر بقيت من ذى القعدة ، وشيّعه المعتمد إلى خلف الحائطيْن ، وخلع عليه هناك .

• وفيها وافى عبد الرحمن بن مفلح الأهواز وإسحاق بن كُنْداج البصرة وإبراهيم بن سيما باذاورد لحرب قائد الزنج من قبل موسى بن بغا .

* ذكر الخبر عما كان من أمر هؤلاء فى النواحى التى ضمت إليهم مع أصحاب قائد الزّنج فى هذه السنة :

ذكر أن ابن مُفلِح لما وافى الأهواز ، أقام بقنطرة أربُك عشرة أيام ، ثم

(١) ب : « يسفر » .

(٢) س : « طلباً للنجاة » .

مضى إلى المهلبىّ ، فواقعه ، فهزمه المهلبىّ وانصرف ، واستعدّ ثم عاد لمحاربته ، فأوقع به وقعة غليظة ، وقتل من الزّنْج قتلا ذريعًا ، وأسر أسرى كثيرة ، وانهزم علىّ بن أبان ، وأفلت ومن معه من الزّنج ، حتى وافوا بَيانا ، فأراد الخبيث ردّهم ، فلم يرجعوا للذّعر الذى خالط قلوبَهم . فلمّا رأى ذلك أذن لهم فى دخول عسكره ، فدخلوا جميعًا ، فأقاموا بمدينته . ووافى عبد الرحمن حصن المهدىّ ليعسكر به ، فوجّه إليه الخبيث علىّ بن أبان ، فواقعه فلم يقدر[1] عليه ، ومضى علىّ يريد الموضع المعروف بالدّكر ، وإبراهيم بن سيما يومئذ بالباذاوَرْد ، فواقعه إبراهيم ، فهُزم علىّ بن أبان ، وعاوده فهزمه أيضاً إبراهيم ، فمضى فى الليل ، وأخذ معه أدلّاء ، فسلكوا به الآجام والأدغال ؛ حتى وافى نهر يحيى ، وانتهى خبره إلى عبد الرحمن ، فوجّه إليه طاشتِمُر فى جمع من الموالى ، فلم يصل إلى علىّ ومَنْ معه لوعورة الموضع الذى كانوا فيه ، وامتناعه بالقصب والحلافى ، فأضرمه عليهم ناراً ، فخرجوا منه هاربين ، فأسر منهم أسرى ، وانصرف إلى عبد الرحمن بن مفلح بالأسرى والظّفَر ، ومضى علىّ ابن أبان حتى وافى نسوخا ، فأقام هناك فيمن معه من أصحابه ، وانتهى الخبر بذلك إلى عبد الرحمن بن مفلح ، فصرف وجهه نحو العمود ، فوافاه وأقام به.

٣/١٨٧٨

وصار علىّ بن أبان إلى نهر السِّدرة ، وكتب إلى الخبيث يستمدّه ويسأله التوجيه إليه بالشذاءات ، فوجّه إليه ثلاث عشرة شَذاة ، فيها جمع كثير من أصحابه فسار علىّ ومعه الشّذا حتى وافى عبد الرحمن ، وخرج إليه عبد الرحمن بمن معه ، فلم يكن بينهما قتال ، وتواقف الجيشان يومَهما ذلك ؛ فلما كان الليل ، انتخب علىّ بنْ أبان من أصحابه جماعةً يثق بجَلَدهم وصبرهم ، ومضى فيهم ومعه سليمان بن موسى المعروف بالشعرانى ، وترك سائر عسكره[2] مكانَه[3] ليخفى أمرُه ، فصار من وراء عبد الرحمن ، ثم بيّته فى عسكره ، فنال منه ومن أصحابه نيلاً ، وانحاز عبد الرحمن عنه ، وخلى عن أربع شذوات من شَذَواته ،

٣/١٨٧٩

---

(١) س : « يعد إليه » .
(٢) س : « عسكره » .
(٣) س : « بمكانه » .

فأخذها علىّ وانصرف ، ومضى عبد الرحمن لوجهه حتى وافى الدولاب فأقام به ، وأعدّ رجالا من رجاله ، وولّى عليهم طاشتمر ، وأنفذهم إلى علىّ ابن أبان . فوافوه بنواحى بياب آزر ، فأوقعوا به وقعة ، انهزم منها إلى نهر السِّدرة ، وكتب طاشتمر إلى عبد الرحمن بانهزام علىّ عنه ، فأقبل عبد الرحمن بجيشه حتى وافى العمود ، فأقام به ، واستعدّ أصحابه للحرب ، وهيّأ شذواته ، وولّى عليها طاشتمر ، فسار إلى فُوّهة نهر السدرة ، فواقع علىّ بن أبان وقعةً عظيمة ، انهزم منها علىّ ، وأخذ منه عشر شذوات ، ورجع علىّ إلى الخبيث مفلولاً مهزوماً ، وسار عبد الرحمن من فورِه ، فعسكر ببيّان ، فكان عبدالرحمن ابن مفلح وإبراهيم بن سيما يتناوبان المصير إلى عسكر الخبيث ، فيوُقعان به ، ويُخيفان مَنْ فيه ، وإسحاق بن كُنْداج[1] يومئذ مقيم بالبصرة ، قد قطع المِيرة عن عسكر الخبيث ؛ فكان الخبيث يجمع أصحابه فى اليوم الذى يخاف فيه موافاة عبد الرحمن بن مفلح وإبراهيم بن سيما حتى ينقضىَ الحرب ، ثم يصرف فريقاً منهم إلى ناحية البصرة ، فيواقع بهم إسحاق بن كُنْداج ، فأقاموا فى ذلك بضعة عشر شهراً إلى أن صُرِف موسى بن بغا عن حرب الخبيث ، ووُلِّيَها مسرور البلخىّ ، وانتهى الخبر بذلك إلى الخبيث . ٣/١٨٨٠

* * *

وفيها غلب الحسن بن زيد على قومِس ، ودخلها أصحابه .

وفيها كانت وقعة بين محمد بن الفضل بن سنان القزوينى ووهْسُوذان بن جُسْتان الديلمىّ ، فهزِم محمد بن الفضل وهسوذان .

وفيها ولّى موسى بن بغا الصّلابىَّ الرّىّ حين وثب كَيَغْلَغ على تكين ، فقتله فسار إليها .

وفيها غلب صاحب الروم على سُميساط ، ثم نزل على مَلَطْية ، وحاصر أهلها ، فحاربه أهل مَلَطْية فهزموه ، وقتل أحمدُ بن محمد القابوس نصراً الإقريطشىّ بطريق البطارقة .

وفيها وُجّه من الأهواز جماعة من الزّنْج أسروا إلى سامُرّا ، فوثبت العامة بهم بسامُرّا ، فقتلوا أكثرهم وسلبوهم .

(١) م : « كنداجين » .

[ذكر الخبر عن دخول يعقوب بن الليث نيسابور]

وفيها دخل يعقوب بن الليث نيسابور .

* ذكر الخبر عن الكائن الذى كان منه هناك : ٣ / ١٨٨١

ذكر أن يعقوب بن الليث صار إلى هَرَاة ، ثم قصد نيسابور ، فلمّا قرب منها وأراد دخولَها ، وجّه محمد بن طاهر يستأذنه فى تلقّيه ، فلم يأذن له ، فبعث بعمومته وأهل بيته ، فتلقّوْه ، ثم دخل نيسابور لأربع خَلَوْن من شوال بالعشىّ ، فنزل طرفاً من أطرافها يعرف بداوداباذ، فركب إليه محمد بن طاهر ، فدخل عليه فى مضربه ،فساءله ،ثم أقبل على تأنيبه وتوبيخه على تفريطه فى عمله ، ثم انصرف وأمر عُزَير بن السرىّ بالتوكيل به ،وصرف محمد بن طاهر وولّى عزيراً نيسابور ، ثم حبس محمد بن طاهر وأهل بيته . وورد الخبر بذلك على السلطان ، فوجّه إليه حاتم بن زيرك بن سلام، ووردت كتب يعقوب على السلطان لعشر بقين من ذى القعدة ، فقعد — فيما ذكر — جعفر ابن المعتمد وأبو أحمد بن المتوكل فى إيوان الجوسق ، وحضر القوّاد ، وأذن لرسل يعقوب . فذكر رسلُه ما تناهَى إلى يعقوب من حال أهل خراسان ، وأنّ الشراة والمخالفين قد غلبوا عليها، وضعف محمد بن طاهر ،وذكروا مكاتبة أهل خراسان يعقوب ومسألتهم إياه قدومَه عليهم واستعانتهم ، وأنه صار إليها ، فلمّا كان على عشرة فراسخ من نيسابور ، سار إليه أهلُها ، فدفعوها إليه فدَخلها . فتكلّم أبو أحمد وعبيد الله بن يحيى ،وقالا للرسل : إنّ أمير المؤمنين لا يقارّ يعقوب على ما فعل ، وأنه يأمره بالانصراف إلى العمل الذى ولاه إياه ، وأنه لم يكن له أن يفعل ذلك بغير أمره فليرجع ، فإنه إن فعل كان من الأولياء، وإلا لم يكن له إلا ما للمخالفين . وصرف إليه رسله بذلك ووصلوا ، وخلَع على كلّ واحد منهم خلعة فيها ثلاثة أثواب؛ وكانوا أحضروا رأساً على قناة فيه رقعة فيها : هذا رأس عدوّ الله عبد الرحمن الخارجىّ بهَرَاة ، ينتحل الخلافة منذ ثلاثين سنة ، قتله يعقوب بن الليث . ٣/١٨٨٢

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن علىّ بن عبد الله بن عباس المعروف ببُرَيه .

ثم دخلت سنة ستين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك قتلُ رجل من أكراد مساور الشارى محمد بن هارون بن المعمَّر ، وجده فى زورق يريد سامُرّا ، فقتله وحَمَل رأسه إلى مساور ، فطلبت ربيعة بدمه فى جمادى الآخرة ، فندب مسرور البلخىّ وجماعة من القوّاد إلى أخذ الطريق على مساور.

٣/١٨٨٣ وفيها قُتِل قائد الزّنج علىّ بن زيد العلوىّ صاحب الكوفة .

* * *

[خبر الوقعة بين يعقوب بن الليث والحسن بن زيد الطائىّ]

وفيها واقع يعقوب بن الليث الحسنَ بن زيد الطالبىّ ، فهزمه ودخل طبرستان.

* ذكر الخبر عن هذه الوقعة وعن سبب مصير يعقوب إلى طبرستان :

أخبرنى جماعة من أهل الخِبرة بيعقوب أنّ عبد الله السجزىّ كان ينافس الرياسة بسجستان ، فقهره يعقوب ، فتخلّص منه عبد الله ، فلحق بمحمد بن طاهر بنيسابور ، فلمّا صار يعقوب إلى نيسابور وهرب عبد الله ، فلحق بالحسن بن زيد ، فشخص يعقوب فى أثره بعد ما كان من أمره وأمر محمد بن طاهر ما قد ذكرت قبلُ ، فمرّ فى طريقه إلى طبرستان بأسفرائيم ونواحيها ، وبها رجل كنت أعرفه يطلب الحديث ، يقال له بديل الكشّىّ ، يظهر التطوّع والأمر بالمعروف ، وقد استجاب له عامة أهل تلك الناحية ، فلما نزلها يعقوب راسلَه ، وأخبره أنه مثله فى التطوّع وأنه معه ، فلم يزل يرفق به حتى صار إليه بديل ، فلمّا تمكن منه قيّده ، ومضى به معه إلى طَبَرِستان ، فلما صار إلى قرب ساريَة لقيه الحسن بن زيد .

فقيل لى : إنّ يعقوب بعث إلى الحسن بن زيد يسأله أن يبعث إليه بعبد الله

السجزىّ حتى ينصرف عنه ؛ فإنه إنما قصد طَبَرستان من أجله لا لحربه ، فأبى الحسن بن زيد تسليمَه إليه ، فآذنه يعقوب بالحرب ، فالتقى عسكراهما[1] ، ٣/١٨٨٤ فلم تكن إلا كَلَاَ ولا ، حتى هزم الحسن بن زيد ، ومضى نحو الشِّرْز وأرض الديلم ، ودخل يعقوب سارية ، ثم تقدّم منها إلى آمُل ، فجبى أهلَها خراج سنة ، ثم شخص من آمُل نحو الشِّرْز فى طلب الحسن بن زيد حتى صار إلى بعض جبال طَبَرستان ، فأدركَتْه فيه الأمطار ، وتتابعت عليه — فيما ذكر لى — نحواً من أربعين يوماً ، فلم يتخلّص من موضعه ذلك إلاّ بمشقة شديدة. وكان — فيما قيل لى — قد صعد جبلا ، لمّا رام النزول عنه لم يمكنه ذلك إلاّ محمولا على ظهور الرجال ، وهلك عامّة ما كان معه من الظهر .

ثم رام الدخول خلْف الحسن بن زيد إلى الشِّرز ؛ فحدثنى بعض أهل تلك الناحية أنه انتهى إلى الطريق الذى أراد سلوكَه إليه ، فوقف عليه ، وأمر أصحابه بالوقوف ، ثم تقدّم أمامهم يتأمّل الطريق ، ثم رجع إلى أصحابه ، فأمرهم بالانصراف ، وقال لهم : إن لم يكن إليه طريق غير هذا فلا طريق إليه.

فأخبرنى الذى ذكر لى ذلك ، أن نساء أهل تلك الناحية قلن لرجالهنّ : دعُوه يدخل هذا الطريق ؛ فإنه إنْ دخل كفيناكم أمرَه ، وعلينا أخذُه وأسره لكم . فلما انصرف راجعاً ، وشخص عن حدود طَبَرستان ، عرض رجالَه ، ففقد منهم — فيما قيل لى — أربعين ألفاً ، وانصرف عنها ، وقد ذهب عظم ما كان معه من الخيل والإبل والأثقال .

وذُكر أنه كتب إلى السلطان كتاباً يذكر فيه مسيرَه إلى الحسن بن زيد ، وأنه سار من جُرجان إلى طَمِيس. فافتتحها . ثم سار إلى سارية ، وقد أخرب ٣/١٨٨٥ الحسن بن زيد القناطر ، ورفع المعابر ، وعوّر الطريق ، وعسكر الحسن بن زيد على باب سارية متحصِّناً بأودية عظام ، وقد مالأه خُرْشاد بن جيلاو ، صاحب الدَّيْلم ، فزحف باقتدار فيمن جمع إليه من الطبرية والديالمة والخراسانية والقُمّية والجبلية والشأمية والجزْريّة ، فهزمتُه وقتلت عدّةً لم يبلغها بعهدى عدّة ،

---

(١) ب : « عسكرهما » .

وأسرتْ سبعين من الطالبيّين ؛ وذلك فى رجب ، وسار الحسن بن زيد إلى الشّرْز ومعه الديلم .

* * *

وفى هذه السنة اشتدّ الغلاء فى عامّة بلاد الإسلام ، فانجلى — فيما ذكر — عن مكة من شدة الغلاء مَنْ كان بها مجاوراً إلى المدينة وغيرها من البلدان ، ورحل عنها العامل الذى كان بها مقيماً وهو بُرَيه ، وارتفع السعر ببغداد ، فبلغ الكُرّ[1] الشعير عشرين ومائة دينار ، والحنطة خمسين ومائة ، ودام ذلك شهوراً .

وفيها قتلت الأعراب منجور والى حمص ، فاستعمل عليها بُكْتمر .

وفيها صار يعقوب بن الليث حين انصرف عن طَبَرستان إلى ناحية الرىّ ، وكان السبب فى مصيره إليها — فيما ذكر لى — مصير عبد الله السجزىّ إلى الصّلابىّ مستجيراً به من يعقوب ، لمّا هزم يعقوب الحسن بن زيد ، فلما صار يعقوب إلى خوار[2] الرىّ كتب إلى الصّلابىّ يخيّره بين تسليم عبد الله السجْزىّ إليه حتى ينصرف عنه ، ويرتحل عن عمله ، وبين أن يأذن بحربه . فاختار الصّلابىّ — فيما قيل لى — تسليم عبد الله ، فسلّمه إليه ، فقتله يعقوب ، وانصرف عن عمل الصلابىّ . ٣/١٨٨٦

* * *

[ذكر خبر مقتل العلاء بن أحمد الأزدىّ]

وفيها قتِل العلاء بن أحمد الأزدىّ .

* ذكر الخبر عن سبب مقتله :

ذُكر أن العلاء بن أحمد فُلِج وتعطّل ، فكتب السلطان إلى أبى الرُّدَيْنىّ عمر بن علىّ بن مُرّ بولاية أذْرَبيجان ، وكانت قبلُ إلى العلاء ، فصار أبو الردينىّ إليها ليتسلّمها من العلاء ، فخرج العلاء فى قُبّة فى شهر رمضان

---

(١) فى القاموس : « الكر : مكيال للعراق وستة أوقار حمار ، أو هو ستون قفيزاً ، أو أربعون إردباً » .

(٢) ط : « جدار » تحريف .

لحرب أبى الرديني ، ومع أبى الرديني جماعة من الشُّراة[1] وغيرهم ، فقتِل العلاء .

فذكر أنه وجّه عدّة من الرجال فى حمل ما خلّف العلاء ، فحُمل من قلعته ما بلغت قيمته ألفى وسبعمائة ألف درهم .

* * *

وفيها أخذت الروم لؤلؤة من المسلمين .

وحجّ بالناس فيها إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن على المعروف ببُرَيْه .

---

(١) س : « الشراد » ، ابن الأثير : « الخوارج » .

ثم دخلت سنة إحدى وستين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من انصراف الحسن بن زيد من أرض الدّيلم إلى طَبرستان وإحراقه شالوس لمَا كان من ممالأتهم يعقوب وإقطاعه ضياعهم الدّيالمة . ١٨٨٧/٣

ومن ذلك ما كان من أمر السلطان عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بجمع مَنْ كان[1] ببغداد من حاجّ خراسان والريّ وطبرستان وجرجان ، فجمعهم فى صفر منها ، ثم قرئ عليهم كتاب يُعلَمون[2] فيه أنّ السلطان لم يولّ يعقوب بن الليث خُراسان ، و يأمرهم بالبراءة منه لإنكاره دخولَه خُراسان وأسره محمد بن طاهر .

* * *

وفى هذه السنة تُوفِّيَ عبد الله بن الواثق فى عسكر الصفار يعقوب .

وفيها قَتَلَ مساور الشارى يحيى بن حفص الذى كان يلِى خراسان بكَرْخ جُدّان فى جمادى الآخرة ، فشخص مسرور البلخىّ فى طلبه ، ثم تبعه أبو أحمد ابن المتوكل ، وتنحّى مساور فلم يلحق .

وفى جمادى الأولى منها هلك أبو هاشم داود بن القاسم[3] الجعفرىّ .

* * *

[ذكر خبر وقعة كانت برامَهُرْمز فى هذا العام]

وفيها كانت بين محمد بن واصل وعبد الله بن مُفلِح وطاشتمر وقعة برامَهُرْمُز ، فقتَل ابنُ واصل طاشتمر ، وأسر ابن مُفلح .

* ذكر الخبر عن هذه الوقعة والسبب فيها :

كان السبب فى ذلك — فيما ذكر لى — أنّ ابن واصل قتل الحارث بن سيما وهو عامل السلطان بفارس وتغلّب عليها ، فضُمّت إلى موسى بن بُغا فارس

---

(١) ب : « فجمع ما كان » . (٢) س : « يعلمهم » .
(٣) ط : « سليمان » ، وانظر الفهرس .

والأهواز والبَصْرة والبحرين واليمامة ؛ مع ما كان إليه من عمل المشرق ؛ فوجّه موسى بن بغا عبدَ الرحمن بن مفلح إلى الاهواز ، وولاّه إياها وفارس ، وضمّ إليه طاشتمر ، فاتّصل بابن واصل ذلك من فعل موسى ، وأنّ ابن مفلح قد توجّه إلى فارس يريده ، وكان قبلُ مقيمًا بالأهواز على حرب الخارجيّ بناحية البصرة . فزحف إليه ابنُ واصل، فالتقيا برامَهُرْمز ، وانضمّ أبو داود الصّعلوك إلى ابن واصل معينًا له على ابن مُفْلِح ، فظفر ابن واصل بابن مُفْلِح ، فأسره وقتل طاشتمر ، واصطلم عسكرَ ابن مفلح ، ثمّ لم يزل ابن مُفلح فى يده حتى قتله ، وقد كان السلطان وجّه إسماعيل بن إسحاق إلى ابن واصل فى إطلاق ابن مُفلح ، فلم يجبه إلى ذلك ابنُ واصل . ولما فرغ ابنُ واصل من ابن مُفلح أقبل مظهرًا أنه يريد واسطاً لحرب موسى بن بغا حتى انتهى إلى الأهواز ، و بها إبراهيم بن سيما فى جمع كثير. فلما رأى موسى بن بغا شدّة الأمر وكثرة المتغلّبين على نواحى المشرق،وأنه لا قَوام له بهم ، سأل أن يُعفَى من أعمال المشرق،فأعفِىَ منها ، وضُمّ ذلك إلى أبى أحمد ، ووُلّيه أبو أحمد بن المتوكل ، فانصرف موسى بن بغا من واسط إلى باب السلطان مع عُمّاله عن أعمال المشرق .

٣/١٨٨٨

* * *

وفيها ولِّىَ أبو الساج الأهواز وحرب قائد الزّنج ، فصار إليها أبو الساج بعد شخوص عبد الرحمن بن مفلح إلى ناحية فارس .

وفيها كانت بين عبد الرحمن صهر أبى الساج وعلىّ بن أبان المهلبىّ وقعة بناحية[1] الدولاب ، قُتِل فيها عبدُ الرحمن ، وانحاز أبو الساج إلى عسكر مكرَم ، ودخل الزّنج الأهواز ، فقتلوا أهلَها ، وسبَوْا وانتهبوا ،وأحرقوا دورَها . ثمّ صُرِف أبو الساج عمّا كان إليه من عمل الأهواز وحرب الزّنج ، ووُلّىَ ذلك إبراهيم بن سيما ، فلم يزل مقيماً فى عمله ذلك حتى انصرف عنه بانصراف موسى ابن بغا ، عمّا كان إليه من عمل المشرق .

٣/١٨٨٩

(١) ب : « بموضع يقال له » .

وفيها وُلّيَ محمد بن أوس البلخىّ طريقَ خراسان .

ولما ضُمّ عمل المشرق إلى أبى أحمد ولّى مسروراً البلخىّ الأهواز والبصرة وكُور دِجْلة واليمامة والبحرين فى شعبان من هذه السنة ، وحرب قائد الزنج .

وفيها وُلّيَ نصر بن أحمد بن أسد السامانىّ ما وراءَ نهر بلخ ، وذلك فى شهر رمضان منها ، وكتب إليه بولايته ذلك .

وفى شوّال منها زحف يعقوب بن الليث إلى فارس ، وابنُ واصل مقيم بالأهواز ، فانصرف منها إلى فارس ، فالتقى هو ويعقوب بن الليث فى ذى القعدة ، فهزمه يعقوب وفلّ عسكره ، وبعث إلى خُرَّمَة إلى قلعة ابن واصل ، فأخذ ما كان فيها ، فذُكر أنه بلغت قيمة ما أخذ يعقوب منها أربعين ألف ألف درهم ، وأسر مرداساً خال ابن واصل .

* * *

١٨٩٠/٣

وفيها أوْقع أصحابُ يعقوب بن الليث بأهل زَمّ موسى بن مِهْران الكردىّ ، لما كان من ممالأتهم محمد بن واصل ، فقتلوهم ، وانهزم موسى بن مِهْران .

وفيها لاثنتى عشرة مضت من شوّال منها ، جلس المعتمد فى دار العامّة ، فولّى ابنه جعفراً العهد ، وسماه المفوّض إلى الله ، وولاّه المغرب ، وضمّ إليه موسى بن بغا ، وولاّه إفريقية ومصر والشأم والجزيرة والموصل وإرمينيَة وطريق خراسان ومِهْرَجا نقَذَق وحُلوان ، وولّى أخاه أبا أحمد العهد بعد جعفر ، وولاّه المشرق ، وضمّ إليه مسروراً البلخىّ ، وولاّه بغداد والسواد والكوفة وطريق مكة والمدينة واليمن وكَسْكَر وكُورِ دِجلة والأهواز وفارس وأصبهان وقمّ والكَرَج والدِّينَوَر والرّىّ وزنجان وقزوين وخراسان وطَبَرِستان وجُرجان وكَرْمان وسِجِستان والسند ، وعقد لكلّ واحد منهما لواءين : أسود وأبيض ، وشرط إن حدث به حدث الموت وجعفر لم يكمل للأمر ، أن يكون الأمر لأبى أحمد ثم لجعفر . وأخذت البيعة على الناس بذلك ، وفرّقت نسخ الكتاب ، وبُعث بنسخة مع الحسن بن محمد بن أبى الشوارب ليعلّقها فى الكعبة ، فعقد جعفر المفوّض[1] لموسى بن بغا على المغرب فى شوال وبعث إليه بالعقد مع محمد المولّد.

---

(١) ب ، س : « الأمر » .

وفيها فارق محمد بن زَيْدَوَيه يعقوبَ بن الليث، فاعتزل عسكره فى آلاف ١٨٩١/٣ من أصحابه ، فصار إلى أبى الساج فقبله ، وأقام معه بالأهواز ، وبعث إليه من سامُرّا بخلعة ، ثم سأل ابن زيدويه السلطان توجيه الحسين بن طاهر بن عبد الله معه إلى خراسان .

وسار مسرور البلخىّ مقدّمة لأبى أحمد من سامُرّا ، لسبع خلَوْن من ذى الحجة ، وخلع عليه وعلى أربعة وثلاثين من قوّاده — فيما ذكر — وشيَّعه وليِّا العهد ، واتبعه الموفّق شاخصًا من سامُرّا لتسع بقين من ذى الحجة .

وحجّ بالناس فيها الفضل بن إسحاق بن الحسن بن إسماعيل بن العباس بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس .

ومات الحسن بن محمد بن أبى الشوارب فيها بمكّة بعد ما حجّ .

ثم دخلت سنة اثنتين وستين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر دخول يعقوب بن الليث رامهرمز]

فمما كان فيها من ذلك موافاة يعقوب بن الليث رامَهُرْمُز في المحرّم وتوجيه السلطان إليه إسماعيل بن إسحاق وبُغراج، وإخراج السلطان مَنْ كان محبوسًا من أسباب يعقوب بن الليث من السجْن؛ لأنه لما كان من أمره ما كان في أمر محمد بن طاهر، حبَس السلطانُ غلامَه وصيفًا ومَنْ كان قِبَلَه من أسبابه، فأطلق عنهم بعد ما وافى يعقوب رامهرمز؛ وذلك لخمس خَلَوْن من شهر ربيع الأول. ثم قدم إسماعيل بن إسحاق من عند يعقوب، وخرج إلى سامُرّا برسالة من عنده، فجلس أبو أحمد ببغداد، ودعا بجماعة من التجار، وأعلمهم أنّ أمير المؤمنين أمر بتولية يعقوب بن الليث خُراسان وطَبَرِستان وجُرجان والرّيّ وفارس والشُّرطة بمدينة السلام؛ وذلك بمحضر من درْهم بن نصر صاحب يعقوب. وكان المعتمد قد صرف درهمًا هذا من سامُرّا إلى يعقوب بجواب ما كان يعقوب أرسله، يسأله لنفسه، فأرسل معه إليه عمر بن سيما ومحمد بن تركشه، ووافى فيها رسل ابن زيدويه بغداد في شهر ربيع الأول منها برسالة من عنده، فخلع عليه أبو أحمد، ثمّ انصرف في هذه السنة الذين توجّهوا[1] إلى يعقوب بن الليث إلى السلطان، فأعلموه أنه يقول: إنه لا يرضيه ما كتب إليه دون أن يصير إلى باب السلطان، وارتحل يعقوب من عسكر مَكْرَم، فصار أبو الساج إليه، فقبله وأكرمه ووصله.

٣/١٨٩٢

ولما رجعت الرسل بما كان من جواب يعقوب عسكر المعتمد يوم السبت لثلاث خلوْن من جمادى الآخرة بالقائم بسامُرّا، واستخلَف على سامُرّا ابنه جعفراً، وضمّ إليه محمداً المولّد، ثم سار منها يوم الثلاثاء لستّ خلون من جمادى

---

(١) م: «وجهوا».

الآخرة ، ووافى[1] بغداد يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة ، فاشتقّها حتّى جازها ، وصار إلى الزعفرانيّة فنزلها[2] ، وقدّم أخاه ٣ /١٨٩٣ أبا أحمد من الزعفرانيّة . فسار يعقوب بجيشه من عسكر مكرّم ؛ حتّى صار من واسط على فرسخ[3] ، فصادف هنالك بَثْقًا قد بثقة مسرور البلخىّ من دِجلة لئلا يقدر على جوازه ، فأقام عليه حتّى سدّه وعبره ؛ وذلك لست بقين من جمادى الآخرة ، وصار إلى باذبين ، ثم وافَى محمد بن كثير من قِبَل يعقوب عسكرَ مسرور البلخىّ ، فصار بإزائه ، فصار مسرور بعسكره إلى النعمانيّة ، ووافى يعقوب واسطًا ، فدخلها لستّ بقين من جمادى الآخرة .

وارتحل المعتمد من الزعفرانيّة يوم الخميس لليلة بقيت من جمادى الآخرة ؛ حتّى صار إلى سيب بنى كُوما ، فوافاه هنالك مسرور البلخىّ ؛ وكان مسيرُ مسرور البلخىّ إليه فى الجانب الغربىّ من دِجْلة ، فعبرَ إلى الجانب الذى فيه العسكر ، فأقام المعتمد بسيب بنى كوما أيامًا ، حتّى اجتمعت إليه عساكره ، وزحف يعقوب من واسط إلى دير العاقول ، ثم زحف من دير العاقول نحو عسكر السلطان ، فأقام المعتمد بالسِّيب ، ومعه عبيد الله بن يحيى ، وأنهض أخاه أبا أحمد لحرب يعقوب ، فجعل أبو أحمد موسى بن بغا على ميمنته ، ومسرورًا البلخىّ على ميسرته ، وصار هو فى خاصته ، ونخبة رجاله فى القلب . والتقى العسكران يوم الأحد لليال خَلَوْن من رجب بموضع يقال له اضطربد بين سيب بنى كوما ودير العاقول . فشدّت ميسرة يعقوب على ميمنة أبى أحمد ٣/١٨٩٤ فهزمتها ، وقتلت منها جماعة كثيرة منهم من قوّادهم إبراهيم بن سيما التركىّ وطباغوا التركىّ ومحمد طُغتا التركىّ والمعرف بالمبرقع المغربىّ وغيرهم . ثم ثاب المنهزمون وسائر عسكر أبى أحمد ثابت ، فحملوا على يعقوب وأصحابه ، فثبتوا وحاربوا حربًا شديدًا ، وقتِل من أصحاب يعقوب جماعة من أهل البأس ؛ منهم الحسن الدرهمىّ ومحمد بن كثير . وكان على مقدمة يعقوب — والمعروف بلبادة — فأصابت يعقوب ثلاثة أسهم فى حَلْقه ويديه ، ولم تزل الحرب بين الفريقين — فيما قيل — إلى آخر وقت صلاة العصر .

---

(١) ب : « ووافوا » . (٢) ب : « فنزلوها » . (٣) ب : « فراسخ » .

ثمّ وافى أبا أحمد الدّيرانىّ ومحمد بن أوس ، واجتمع جميعُ من فى عسكر أبى أحمد، وقد ظهر من كثير ممن مع يعقوب كراهة القتال معه إذ رأوا السلطان قد حضر لقتاله ، فحملوا على يعقوب ومَن قد ثبت معه للقتال ، فانهزم أصحابُ يعقوب ، وثبت يعقوب فى خاصّة أصحابه[1] ؛حتى مضوا وفارقوا موضع الحرب .

فذُكر أنه أخذ من عسكره من الدّوابّ والبغال أكثر من عشرة آلاف رأس ، ومن الدنانير والدّراهم ما يكلّ عن حمله، ومن جرب المسك أمر عظيم، وتخلّص محمد بن طاهر بن عبد الله، وكان مثقلاً بالحديد ؛ خلّصه الذى كان موكّلا به .

ثم أحضر محمد بن طاهر ، فخُلع عليه على مرتبته ، وقرئ على الناس كتابٌ فيه :

١٨٩٥/٣

ولم يزل الملعون المارق المسمّى يعقوب بن الليث الصفار ينتحل الطاعة ، حتى أحدث الأحداث المنكرة ؛ من مصيره إلى صاحب خراسان ، وغلبته إياه عليها، وتقلّده الصلاة والإحداث بها ، ومصيره إلى فارس مرّة بعد مرة ، واستيلائه على أموالها ، وإقباله إلى باب أمير المؤمنين مُظهرًا[2] المسألة فى أمور أجابه أمير المؤمنين منها ما لم يكن يستحقه ، استصلاحًا[3] له ، ودفعًا بالتى هى أحسن ؛ فولّاه خراسان والرّىّ وفارس وقزوين وزنجان والشرطة بمدينة السلام ، وأمر بتكنيته فى كُتبه، وأقطعه الضياع النفيسة ؛ فما زاده ذلك إلاّ طغياناً وبغيًا ، فأمره بالرجوع فأبى ، فنهض أمير المؤمنين لدفع الملعون حين توسّط الطريق بين مدينة السلام وواسط ، وأظهر يعقوب أعلامًا على بعضها الصّلبان ، فقدّم أمير المؤمنين أخاه أبا أحمد الموفق بالله ولىّ عهد المسلمين فى القلب ، ومعه أبو عمران موسى بن بغا فى الميمنة وفى جناح الميمنة إبراهيم ابن سيما ، وفى الميسرة أبو هاشم مسرور البلخىّ ، وفى جناح الميسرة الديرانىّ ، فتسرّع وأشياعه[4] فى المحاربة ، فحاربه حتى أثخن بالجراح ، وحتى انتزع

(١) م «فى حامية من أصحابه» .
(٢) س : «يظهر» .
(٣) ب : «واستصلاحاً» .
(٤) س : «وأصحابه» .

أبو عبد الله محمد بن طاهر سالماً من أيديهم ، وولوْا منهزمين مجروحين مسلوبين ، وسلّم الملعون كلّ ما حواه ملكه » .

كتاباً مؤرخاً بيوم الثلاثاء لإحدى عشرة خلت من رجب .

ثم رجع المعتمد إلى معسكره وكتب إلى ابن واصل بتولية فارس ، وقد كان صار إليها وجمع جماعة . ١٨٩٦/٣

ثم رجع المعتمد إلى المدائن ، ومضى أبو أحمد ومعه مسرور وساتكين وجماعة من القوّاد ، وقبض على ما لأبى الساج[1] من الضّياع والمنازل ، وأقطعها مسروراً البلخىّ . وقدم محمد بن طاهر بن عبد الله بغداد يوم الاثنين لأربع عشرة بقيت من رجب ، وقد رُدّ إليه العمل ، فخُلع عليه فى الرُّصافة ، فنزل دار عبد الله بن طاهر ، فلم يعزل أحداً ، ولم يولِّ وأمر له بخمسمائة ألف درهم.

وكانت الوقعة التى كانت بين السلطان والصفّار يوم الشعانين[2] .

وقال محمد بن علىّ بن فَيْد الطائىّ يمدح أبا أحمد ويذكر أمر الصفّار :

نَعَبَ الغرابُ عَدِمتُه من ناعِبِ وصَبا فؤادى لادِّكارِ حَبائبى
نادى ببَينهمُ فجادَتْ مُقْلَتى لزِيالِ أرحُلهم بدَمْعٍ ساكب
بانوا بأَتراب أوانِسَ كالدُّمَى مثلِ المَهَا قُبِّ البُطونِ كواعبِ
فأُولئكنَّ غرائرٌ تيَّمْنَنى بسَوالفٍ وقَوائمٍ وحَواجبِ
لوَلِىِّ عهدِ المسلمينَ مَناسِبٌ شَرُفَتْ وأَشرقَ نورُها بمناصِبِ ١٨٩٧/٣
ومراتبٌ فى ذِرْوةٍ لا تُرْتَقَى أَكرِمْ بها من ذِرْوةٍ ومراتبِ
ولقد أتى الصَّفارُ فى عُددٍ لها خُشْنٌ فَوَافتْهُنَّ نكبةُ ناكبِ
جَلبَ القضاءُ إليه حَتْفاً عاجلا سَقياً ورَعْياً للقضاءِ الجالِبِ
أغواه إبليسُ اللعينُ بكَيْدِه واغترّه منه بوعدٍ كاذبِ

(١) ط : « مالا لأبى الساج » ، وصوابه فى ما أثبته من م

(٢) يوم الشعانين : عيد للنصارى قبل الفصح بأسبوع ، يخرجون فيه بصلبانهم .

حتى إذا اختلَفوا وظنَّ بأنّه ... قد عزَّ بين عساكرٍ وكتائبِ
دَلَفَتْ إليه عساكرٌ مَيْمونةٌ ... يَلقَوْنَ زَحفاً باللواءِ الغالب
فى جَحفلٍ لجِبٍ تُرى أبطالُه ... من دارعٍ أو رامحٍ أو ناشب
وبدا الإمامُ بِرَايةٍ منصُورةٍ ... لمحمّدٍ سَيفِ الإله القاضبِ
ووليُّ عهدِ المسلمينَ موفقٌ ... باللهِ أمضى من شِهَابٍ ثاقبِ
وكأنّه فى الناسِ بَدْرٌ طالع ... متهلّلٌ بالنورِ بين كواكب
لمّا التقَوْا بالمشرَفيّة والقنا ... ضرباً وَطعْنَ محاربٍ لمحاربِ
ثارَ العجاجُ وفوقَ ذاك غمامةٌ ... غَرّاءُ تَسكُبُ وَبْلَ صَوْبٍ صائبِ
فَلَّ الجُموعَ بحَزمِ رأيٍ ثاقب ... منه وأفرَدَ صاحباً عن صاحبِ
للهِ دَرُّ مُوَفّق ذى بهجةٍ ... ثَبْتِ المقامِ لدَى الهياج مواثِب
يا فارسَ العربِ الذى ما مثله ... فى الناس يُعرفُ آخَرٌ لنَوائب
من فادحِ الزَّمَنِ العضوضِ ومن لُقَا ... جيشٍ لِذِى غدر خَئُونٍ غاصب

* * *

[ذكر خبر توجه رجال الزنج إلى البطيحة ودست ميسان]

وفيها وجه قائد الزنج جيوشه إلى ناحية البطيحة ودَست مَيسَان.

* ذكر الخبر عن سبب توجيهه إياهم إليها :

ذُكر أنّ سبب ذلك كان أنّ المعتمد لمّا صرف موسى بن بغا عن أعمال المشرق وما كان متّصلا بها، وضمّها إلى أخيه أبى أحمد، وضمّ أبو أحمد عمل كُور دِجلة إلى مسرور البلخىّ، وأقبل يعقوب بن الليث مريداً أبا أحمد، وصار إلى واسط، خَلَت كُور دجْلة من أسباب السلطان، خلا المدائن وما فوق ذلك. وكان مسرور قد وجّه قبل ذلك إلى الباذاوَرْد مكان موسى بن أتامش جُعلان التركىّ، وكان بإزاء موسى بن أتامش، من قِبَل قائد الزَّنْج سليمان ابن جامع، وقد كان سليمان قبل أن يصرف ابنُ أتامش عن الباذاوَرْد، قد نال

(١) ط : « حرون »، والوجه ما أثبته من م.

١٨٩٨/٣ ١٨٩٩/٣

من عسكره ؛ فلمّا صُرف ابن أتامش وجُعل موضعه جعلان، وجّه سليمان من قِبَله رجلا من البحرانيّين يقال له ثعلب بن حفص ، فأوقع به ، وأخذ منه خيلاً ورجلا ، ووجّه قائد الزنج من قِبَله رجلاً من أهل جُبّى يقال له أحمد ابن مهديّ فى سُميريّات ، فيها رماة من أصحابه ، فأنفذه إلى نهر المرأة ، فجعل الجبائىّ يوقع بالقُرى التى بنواحى المذار — فيما ذكر — فيعيث فيها ، ويعود إلى نهر المرأة فيقيم به .

فكتب هذا الجبائىّ إلى قائد الزّنج يخبر بأن[1] البطيحة خالية من رجال السلطان ، لانصراف مسرور وعساكره عند ورود يعقوب بن الليث واسطاً . فأمر قائد الزّنْج سليمان بن جامع وجماعة من قُوّاده بالمصير إلى الحوانيت ، وأمر رجلا من الباهليّين يقال له عُميْر بن عمار ، كان عالمًا بطرق البَطيحة ومسالكها ، أن يسير مع الجبائىّ حتى يستقرّ بالحوانيت .

٣/١٩٠٠ فذكر محمد بن الحسن أن محمد بن عثمان العبّادانىّ قال : لمّا عزم صاحب الزّنْج على توجيه الجيوش إلى ناحية البطيحة ودَسْتُميسان أمر سليمان بن جامع أن يعسكر بالمُطوّعة وسليمان بن موسى أن يعسكر على فُوّهة النهر المعروف باليهوديّ ، ففعلا ذلك ، وأقاما إلى أن أتاهما إذنه ، فنهضا ، فكان مسير سليمان بن موسى إلى القَرْية المعروفة بالقادسيّة ، ومسير سليمان بن جامع إلى الحوانيت والجُبّائىّ فى السميريّات أمام جيش سليمان بن جامع ، ووافى أبَّا التركىّ دجْلة فى ثلاثين شَذاة ، فانحدر يريد عسكر قائد الزّنج ، فمرّ بالقرية التى كانت داخلة فى سلْم الخبيث فنال منها ، وأحرق ؛ فكتب الخبيث إلى سليمان بن موسى فى منعه الرجوع ، وأخذ عليه سليمان الطريق ، فأقام شهراً يقاتل حتى تخلّص فصار إلى البطيحة .

وذكر محمد بن عثمان أن جَبَّاشًا الخادم زعم أنّ أبَّا التركىّ لم يكن صار إلى دجلة فى هذا الوقت ، وأنّ المقيم كان هناك نُصير المعروف بأبى حمزة .

وذكر أن سليمان بن جامع لمّا فصل متوجّهاً إلى الحوانيت ، انتهى إلى موضع

(١) س : « يخبره أن » .

يعرف بنهر العتيق . وقد كان الجبائىّ سار فى طريق المادیان[1]، فتلقاه رميس ، فواقعه الجبائىّ، فهزمه، وأخذ منه أربعاً وعشرين سميريّة ونيّفاً وثلاثين صلغة[2]، وأفلت رميس، فاعتصم بأجَمة لجأ إليها ، فأتاه قوم من الجوخانيّين ، فأخرجوه منها فنجا . ووافق المنهزمين من أصحاب رميس خروج سليمان من النهر العتيق ، فتلقاهم فأوقع بهم ، ونال منهم نيلا ، ومضى رميس حتى لحق بالموضع المعروف ببرّمساور[3]، وانحاز إلى سليمان جماعة من مذكورى البلاليّين وأنجادهم فى خمسين ومائة سُميريّة ، فاستخبرهم عما أمامه ، فقالوا : ليس بينك وبين واسط أحدٌ من عمّال السلطان وولاته . فاغترّ سليمان بذلك ، وركن إليه ، فسار حتى انتهى إلى الموضع الذى يعرف بالجازرة ، فتلقاه رجل يقال له أبو معاذ القرشىّ ، فواقعه ، فانهزم سليمان عنه ، وقتل أبو معاذ جماعة من أصحابه ، وأسر قائداً من قواد الزّنْج ، يقال له رياح القندلىّ . فانصرف سليمان إلى الموضع الذى كان معسكراً به ، فأتاه رجلان من البلاليّة ، فقالا له : ليس بواسط أحد يدفع عنها غير أبى معاذ فى الشّذَوات الخمس التى لقيك بها . فاستعدّ سليمان وجمع أصحابه وكتب إلى الخبيث كتاباً مع البلاليّة الذين كانوا استأمنوا إليه وأنفذهم إلا جُمَيّعة يسيرة فى عشر سُميريّات ، انتخبهم للمقام معه ، واحتبس الاثنين معه اللذين أخبراه عن واسط بما أخبراه به ، وصار قاصداً لنهر أبان ، فاعترض له أبو معاذ فى طريقه ، وشبّت الحرب بينهما ، وعصفت الريح ، فاضطربت شذا أبى معاذ، وقوىَ عليه سليمان وأصحابه، فأدبر عنهم معرّداً، ومضى سليمان حتى انتهى إلى نهر أبان، فاقتحمه، وأحرق وأنهب، وسبى النساء والصبيان، فانتهى الخبر بذلك إلى وُكلاء كانوا لأبى أحمد فى ضياع من ضياعه مُقيمين بنهر سِنداد ، فساروا إلى سليمان فى جماعة ، فأوقعوا به وقعةً ، قتلوا فيها جمعاً كثيراً من الزّنْج ، وانهزم سليمان وأحمد بن مهدىّ ومن معهما إلى معسكرهما

١٩٠١/٣

١٩٠٢/٣

قال محمد بن الحسن : قال محمد بن عثمان : لما استقرّ سليمان بن جامع بالحوانيت ، ونزل بنهر يعرف بيعقوب بن النضر ، وجّه رجلا ليعرف خبر واسط

---

(١) م : « الماذيان » . (٢) فى القاموس : « الصلغة : السفينة الكبيرة » .
(٣) م : « بئر مساور » .

ومَنْ فيها من أصحاب السلطان ؛ وذلك بعد خروج مسرور البلخيّ وأصحابه عنها ، لورود يعقوب إياها . فرجع إليه ، فأخبره بمسير يعقوب نحو السلطان، وقد كان مسرور قبل شخوصه عن واسط إلى السِّيب وجّه إلى سليمان رجلا يقال له وصيف الرّحال في شَذَوات ؛ فواقعه سليمان فقتله ، وأخذ منه سبع شَذَوات ، وقتل مَنْ ظفر به ، وألقى القتلى بالحوانيت ليُدخل الرّهبة في قلوب المجتازين بهم من أصحاب السلطان .

فلمّا ورد على سليمان خبرُ مسير مسرور عن واسط ، دعا سليمان عُمير ابن عمار خليفته ورجلا من رؤساء الباهليّين يقال له أحمد بن شريك ، فشاورهما في التنحّي عن الموضع الذى تصل إليه الخيل والشّذَوات ، وأن يلتمس موضعًا يتصل بطريق متى أراد الهرب منه إلى عسكر الخبيث سلكه ، فأشارا عليه بالمصير إلى عقر ماور ، والتحصّن بطهيثَا والأدْغال التى فيها . وكره الباهليون ١٩٠٣/٣ خروجَ سليمان بن جامع من بين أظهرهم لغمسهم أيديهم معه ، وما خافوا من تعقب السلطان إياهم ، فحمل سليمان بأصحابه ماضيًا فى نهر البرور إلى طَهيثا ، وأنفذ الجُبّائىّ إلى النهر المعروف بالعتيق فى السَّمَيريّات ، وأمره بالبدار إليه بما يعرف من خبر الشذا ، ومن يأتى فيها ومن أصحاب السلطان، وخلّف جماعة من السودان لإشخاص مَنْ تخلّف من أصحابه ، وسار حتى وافى عقر ماور ، فنزل القرية المعروفة بقرية مرْوان بالجانب الشرقىّ من نهر طهيثا فى جزيرة هناك .

وجمع إليه رؤساء الباهليّين وأهل الطفوف ، وكتب إلى الخبيث يعلمه ما صنع ، فكتب إليه يصوّب رأيه ، ويأمره بإنفاذ ما قبله من ميرَة ونَعَم وغنم ، فأنفذ ذلك إليه ، وسار مسرور إلى موضع معسكر سليمان الأول ، فلم يجد هناك كثير شيء ، ووجد القوم قد سبقوه إلى نقل ما كان فى معسكرهم ، وانحدر أبَا التركىّ إلى البطائح فى طلب سليمان ؛ وهو يظنّ أنه قد ترك الناحية ، وتوجّه نحو مدينة الخبيث فمضى . فلم يقف لسليمان على أثر ، وكرّ راجعًا ، فوجد سليمان قد أنفذ جيشاً إلى الحوانيت ليطرُق من شذّ من عسكر مسرور ، ١٩٠٤/٣ فخالف الطريق الذى خاف أن يؤدّيَهُ إليهم ، ومضى فى طريق آخر ؛ حتى

انتهى إلى مسرور ، فأخبره أنه لم يعرف لسليمان خبراً .

وانصرف جيش سليمان إليه بما امتاروا ، وأقام سليمان ، فوجّه الجُبائىّ فى الشّميريّات للوقوف على مواضع الطعام والمِيَر[1] والاحتيال فى حَمْلها . فكان الجبائىّ لا ينتهى إلى ناحية فيجد فيها شيئًا من المِيَرة إلاّ أحرقه ، فساء ذلك سليمان ، فنهاه عنه فلم ينْتَهِ ، وكان يقول : إن هذه المِيرة مادّة لعدوّنا ، فليس الرأى ترك شىء منها .

فكتب سليمان إلى الخبيث يشكو ما كان من الجُبّائىّ فى ذلك ، فورد كتاب الخبيث على الجُبّائىّ يأمره بالسمع والطاعة لسليمان ، والائتمار له فيما يأمره به[2] .

وورد على سليمان أن أغرتمش وخُشيشا قد أقبلا قاصدين إليه فى الخيل والرِّجال والشّذا والسُّميريّات ، يريدان مواقعته . فجزع جزعاً شديداً ، وأنفذ الجبائىّ ليعرف أخبارهما ، وأخذ فى الاستعداد للقائهما ، فلم يلبث أن عاد إليه الجُبائىّ مهزومًا ، فأخبره أنهما قد وافيا باب طنج ؛ وذلك على نصف فرسخ من عسكر سليمان حينئذ ، فأمره بالرّجوع والوقوف فى وجه الجيش ، وشغله عن المصير إلى العسكر إلى أنْ يلحق به ؛ فلما أنفذ الجبائىّ لما وُجّه له صعد سليمان سطحًا ، فأشرف منه ، فرأى الجيش مقبلاً ، فنزل مسرعًا ، فعبَر نهر طهيثا ، ومضى راجلا ، وتبعه جَمْعٌ من قوّاد السودان حتى وافوْا باب طنج ، فاستدبر أغرتمش، وتركهم حتى جدُّوا فى المسير إلى عسكره . وقد كان ٣/١٩٠٥ أمر الذى استخلفه على جيشه ألاّ يدع أحدًا من السودان يظهر لأحد من أهل جيش أغرتمش ، وأن يخفوا أشخاصهم ما قدرُوا ، ويَدَعُوا القوم حتى يتوغّلوا النهر إلى أن يسمعوا أصوات طبوله ؛ فإذا سمعوها خرجوا عليهم ، وقصدوا أغرتمش .

فجاء أغرتمش بجيشه حتى لم يكن بينه وبين العسكر إلاّ نهر يأخذ من طهيثا يقال له جارورة بنى مَرْوان . فانهزم الجُبائىّ فى السُّميريّات حتى وافى

---

(١) ب : « من المير » . (٢) ب : « فى أمره » .

طهيثا ، فخلف سُميريّاته بها ، وعاد راجلا إلى جيش سليمان ، واشتدّ جزع أهل عسكر سليمان منه، فتفرّقوا أيادى سبا ، ونهضت منهم شرذمة فيها قائد من قوّاد السودان يقال له أبو النداء ، فتلقّوْهم فواقعوهم ، وشغلوهم عن دخول العسكر ، وشدّ سليمان من وراء القوم ، وضرب الزّنج بطبولهم ، وألقوْا أنفسهم فى الماء للعبور إليهم ؛ فانهزم أصحابُ أغرتمش وشدّ عليهم مَنْ كان بطهيثا من السودان ، ووضعوا السيوف فيهم ،وأقبل خُشيش على أشهب كان تحته يريد الرجوع إلى عسكره ، فتلقّاه السودان ، فصرعوه وأخذتْه سيوفهم ، فقتِل وحُمل رأسه إلى سليمان ، وقد كان خُشيش حين[1] انتزعوا إليه ، قال لهم: أنا خُشيش؛ فلا تقتلونى ، وامضوا بى إلى صاحبكم . فلم يسمعوا لقوله وانهزم أغرتمش ، وكان فى آخر أصحابه ، ومضى حتّى ألقى نفسه إلى الأرض ، فركب دابّة ومضى ، . وتبعهم[2] الزّنج حتّى وصلوا إلى عسكرهم ؛ فنالوا حاجتَهم منه ، وظفروا بشذوات كانت مع خُشيش ، وظفر الذين اتبعوا الجيش المولى بشَذَوات كانت مع أغرتمش فيها مال . فلما انتهى الخبر إلى أغرتمش ، كرّ راجعًا حتى انتزعها من أيديهم ، ورجع سليمان إلى عسكره ، وقد ظفر بأسلاب ودوابّ ، وكتب بخبر الوقعة إلى قائد الزّنْج ؛ وما كان منه فيها . وحمل إليه رأس خشيش وخاتمه ، وأقرّ الشّذَوات التى أخذها فى عسكره . فلما وافى كتابُ سليمان ورأس خُشيش ، أمر فطِيف به فى عسكره ، ونصب يومًا ؛ ثم حمله إلى علىّ بن أبان ، وهو يومئذ مقيم بنواحى الأهواز ، وأمر بنصبه هنالك؛ وخرج سليمان والجُبائىّ معه وجماعة من قُوّاد السودان إلى ناحية الحوانيت متطرّفين ، فتوافقوا هناك ثلاث عشرة شَذَاة مع المعروف بأبى تميم أخى المعروف بأبى عَوْن صاحب وصيف التركىّ ، فأوقعوا به ، فقتل وغرق ، وظفروا من شَذَواته بإحدى عشرة شذاة .

١٩٠٦/٣

قال محمد بن الحسن: هذا خبر محمد بن عثمان العبّادانىّ ؛ فأما جَبّاش ؛ فزعم أن الشّذا التى كانت مع أبى تَميم كانت ثمانية ، فأفلت منها شذاتان كانتا

---

(١) ب : « حيث » . (٢) ابن الأثير : « وتبعه » .

١٩٠٧/٣ متأخّرتين ، فضتا بمَنْ فيهما وأصاب سلاحاً ونهبًا ، وأتى على أكثر مَنْ كان فى تلك الشّذَوات من الجيش ، ورجع سليمان إلى عسكره ، وكتب إلى الخبيث بما كان منه[1] مِنْ قتل المعروف بأبى تميم ؛ ومن كان معه : واحتبس الشّذَوات فى عسكره .

* * *

وفيها كبس ابن زيدويه الطّيِّبَ ، فأنهبها .

وفيها وُلِّىَ القضاء علىّ بن محمد بن أبى الشوارب .

وفيها خرج الحسين بن طاهر بن عبد الله بن طاهر من بغداد لليال بقين منه ، فصار إلى الجبل .

وفيها مات الصّلابىّ ، وُولِّىَ الرىّ كيغلغ .

ومات صالح بن علىّ بن يعقوب بن المنصور فى ربيع الآخر منها . ووُلِّىَ إسماعيل بن إسحاق قضاء الجانب الشرقىّ من بغداد ، فجمع له قضاء الجانبين .

وفيها قتل محمد بن عتّاب بن عتّاب ، وكان وُلِّىَ السّيبيْن فصار إليها ، فقتلتْه الأعراب .

وللنصف من شهر رمضان صار موسى بن بغا إلى الأنبار متوجّهاً إلى الرّقة.

وفيها قتل أيضاً القطان صاحب مفلح، وكان عاملا بالموصل على الخراج ، فانصرف منها ، فقتل فى الطريق .

١٩٠٨/٣ وعقد فيها لكفتمر علىّ بن الحسين بن داود كاتب أحمد بن سهل اللطفىّ على طريق مكة فى شهر رمضان .

وفيها وقع بين الحنّاطين والجزّارين بمكة قتال قبل يوم التّروية بيوم ، حتى خاف الناس أن يبطل الحج ، ثم تحاجزوا إلى أن يحجّ الناس ، وقد قتل

---

(١) س : « منه » .

منهم سبعة عشر رجلا .

وفيها غلب يعقوب بن الليث على فارس وهرب ابن واصل

* * *

[ذكر خبر الوقعة بين الزنج وأحمد بن ليثويه]

وفيها كانت وقعة بين الزّنج وأحمد بن لَيْثَوَيْه، فقتل منهم خلقاً كثيراً ، وأسر أبا داود الصعلوك وقد كان صار معهم[1] .

* ذكر الخبر عن هذه الوقعة وسبب أسر الصعلوك :

ذكر أن مسروراً البلخيّ وجه أحمد بن ليثويه إلى ناحية كور الأهواز ، فلما وصل إليها نزل السوس، وكان الصّفار قد قلّد محمد بن عبيدالله بن أزاذَمَرْد[2] الكرديّ كُور الأهواز ، فكتب محمد بن عبيد الله إلى قائد الزّنج يطمعه فى الميل إليه ، وقد كانت العادة جرت بمكاتبة محمد إياه من أوّل مخرجه، وأوهمه أنه يتولّى له كور الأهواز ويدارى الصّفار حتى يستوىَ له الأمر فيها ، فأجابه الخبيث[3] إلى ذلك على أن يكون علىّ بن أبان المتولى لها ، ويكون محمد بن عبيد الله يخلفُه عليها ، فقبل محمّد بن عبيد الله ذلك ، فوجّه علىّ بن أبان أخاه الخليل بن أبان ، فى جمع كثير من السودان وغيرهم ، وأيّدهم محمد بن عبيد الله بأبى داود الصُّعلوك ، فمضوْا نحو السوس ؛ فلم يصلوا إليها ، ودفعهم ابن ليثويه ومن كان معه من أصحاب السلطان عنها ، فانصرفوا مفلولين ، وقد قتل منهم مقتلة عظيمة ، وأسر منهم جماعة ، وسار أحمد بن ليثويه حتى نزل جنْدىْ سابور .

١٩٠٩/٣

وسار علىّ بن أبان من الأهواز منجداً محمد بن عبيد الله على أحمد بن لَيثوَيْه، فتلقاه محمد بن عبيد الله فى جَمْع من الأكراد والصعاليك ؛ فلما قرب منه محمد بن عبيد الله سارا جميعاً ، وجعلا بينهما المسرُقان ؛ فكانا يسيران

(١) س : « منهم » .
(٢) س : « أزامرد » ، ابن الأثير : « هزارمرد » .
(٣) ب : « الصفار » .

عن جانبيه ، ووجّه محمد بن عبيد الله رجلا من أصحابه فى ثلثمائة فارس ، فانضمّ إلى علىّ بن أبان ، فسار علىّ بن أبان ومحمد بن عبيد الله إلى أن وافيَا عسكر مُكْرَم ، فصار محمد بن عبيد الله إلى علىّ بن أبان وحده ، فالتقيا وتحادثا ، وانصرف محمد إلى عسكره ، ووجّه إلى علىّ بن أبان القاسم بن علىّ ورجلاً من رؤساء الأكراد ، يقال له حازم ، وشيخاً من أصحاب الصفار يعرف بالطّالقانىّ ، وأتوْا عليًّا ، فسلّموا عليه ، ولم يزل محمد وعلىّ على ألفة ، إلى أن وافى علىٌّ قنطرة فارس ، ودخل محمد بن عبيد الله تُسْتَر ، وانتهى إلى أحمد بن ليثَوَيْه تضافُر علىّ بن أبان ومحمد بن عبيد الله على قتاله ، فخرج عن جنديْ سابور ، وصار إلى السوس . وكانت موافاة علىّ قنطرة فارس فى يوم الجُمعة ، وقد وعده محمد بن عبيد الله أن يخطُب الخاطب يومئذ ، فيدعو لقائد الزّنج ، وله على منبر تُسْتَر ، فأقام علىّ منتظراً ذلك ، ووجّه بهبوذ بن عبد الوهاب لحضور الجمعة وإتيانه بالخبر ؛ فلما حضرت الصلاة قام الخطيب ، فدعا للمعتمد والصّفار ومحمد بن عبيد الله ، فرجع بهبوذ إلى علىّ بالخبر ، فنهض علىّ من ساعته ، فركب دوابّه ، وأمر أصحابه بالانصراف إلى الأهواز ، وقدّمهم أمامه ، وقدّم معهم ابن أخيه محمد بن صالح ومحمد بن يحيى الكرمانىّ خليفته ، وكاتبه وأقام حتى إذا جاوزوا كسر قنطرة كانت هناك لئلا يتبعه الخيل . ٣/١٩١٠

قال محمد بن الحسن : وكنت فيمن انصرف مع المتقدّمين من أصحاب علىّ ، ومرّ الجيش فى ليلتهم تلك مسرعين ، فانتهوْا إلى عسكر مكرَم فى وقت طلوع الفجر ؛ وكانت داخلة فى سلْم الخبيث ، فنكث أصحابه ، وأوقعوا بعسكر مكْرَم ، ونالوا نهبًا . ووافى علىّ بن أبان فى أثر أصحابه ، فوقف على ما أحدثوا فلم يقدِر على تغييره ، فمضى حتى صار إلى الأهواز ولما انتهى إلى أحمد بن ليثويْه انصرافُ علىّ ، كرّ راجعًا حتى وافى تُسْتَر ، فأوقع بمحمد بن عبيد الله ومَنْ معه ، فأفلت محمد ، ووقع فى يده المعروف بأبى داود الصعلوك ، فحمله إلى باب السلطان المعتمد ، وأقام أحمد بن ليثويْه بتُسْتَر .

قال محمد بن الحسن : فحدّثنى الفضل بن عدىّ الدارمىّ — وهو أحد مَن كان من أصحاب قائد الزّنج انضمّ إلى محمد بن أبان أخى علىّ بن أبان قال : لمّا استقرّ أحمد بن ليثويْه بتُسْتَر ، خرج إليه علىّ بن أبان بجيشه ، فنزل قرية يقال لها برنجان ، ووجّه طلائع يأتونه بأخباره ، فرجعوا إليه ، فأخبروه أنّ ابن ليثويْه قد أقبل نحوه ، وأنّ أوائل خيله قد وافت قرية تعرف بالباهليّين ، فزحف علىّ بن أبان إليه ، وهو يبشّر أصحابَه ، ويعِدُهم الظفر ، ويحكى لهم ذلك عن الخبيث . فلمّا وافى الباهليين تلقاه ابن ليثويه فى خيله ، وهى زهاء أربعمائة فارس ؛ فلم يلبثوا أن أتاهم مدد خيل ، فكثرت خيلُ أصحاب السلطان واستأمن جماعة من الأعراب الذين كانوا مع علىّ بن أبان إلى ابن ليثوْيه ، وانهزم باقى خيل علىّ بن أبان ، وثبت جُميْعة من الرّجّالة ، وتفرّق عنه أكثرهم ، واشتدّ القتال بين الفريقين ، وترجّل علىّ بن أبان ، وباشر القتال بنفسه راجلاً ، وبين يديه غلام من أصحابه يقال له فَتَنْح ، يعرف بغلام أبى الحديد ، فجعل يقاتل معه . وبصر بعلىّ أبو نصر سَلْهب وبدر الرومىّ المعروف بالشعرانىّ فعرفاه ، فأنذر الناس به ، فانصرف هارباً حتّى لجأ إلى المسرُقان ، فألقى بنفسه فيه ، وتلاه فَتَنْح ، فألقى نفسه معه ، فغرق فتح ، ولحق علىّ بن أبان نصر المعروف بالرومىّ ، فتخلّصه من الماء ، فألقاه فى سُمَيريّة ورُمِىَ علىّ بسهم ، وأصيب به فى ساقه ، وانصرف مفلولا ، وقتل من أنجاد السودان وأبطالهم جماعة كثيرة . ١٩١١/٣

* * *

وحج بالناس فيها الفضل بن إسحاق بن الحسن بن العباس بن محمد . ١٩١٢/٣

ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من ظفر عُزَيز بن السرىّ صاحب يعقوب بن الليث بمحمد ابن واصل وأخذه أسيراً .

وفيها كانت بين موسى دالجويه والأعراب بناحية الأنبار وقعة ، فهزموه وفلّوه ، فوجّه أبو أحمد ابنه أحمد فى جماعة من قوّاده فى طلب الأعراب الذين فلّوا موسى دالجويه

وفيها وثب الدّيرانىّ بابن أوس فبيّته ليلاً ، وفرّق جمعه ، ونهب عسكره ، وأفلت ابن أوس ، ومضى نحو واسط .

وفيها خرج فى طريق الموصل رجلٌ من الفراغنة ، فقطع[1] الطريق ، فظُفِر به فقتِل .

* * *

[ذكر الوقعة بين ابن ليثوْيه مع أخى علىّ بن أبان]

وفيها أقبل يعقوب بن الليث من فارس ، فلمّا صار إلى النّوبنْدَجان انصرف أحمد بن ليثوْيه عن تُسْتَر ، وصار فيها يعقوب إلى الأهواز ، وقد كان لابن ليثويه قبل ارتحاله عن تُستر وقعة مع أخى علىّ بن أبان ، ظفر فيها بجماعة كثيرة من زنوجه .

* ذكر الخبر عن هذه الوقعة :

١٩١٣/٣

ذكر عن علىّ بن أبان ، أن ابن ليثويْه لما هزمه فى الوقْعة التى كانت بينهما فى الباهليّين ، فأصابه ما أصابه فيها ، ووافى الأهواز ، لم يقمْ بها ، ومضى

(١) ب : « يقطع » .

إلى عسكر صاحبه قائد الزّنج، فعالج ما قد أصابه من الجراح حتى برأ، ثم كرّ راجعًا إلى الأهواز، ووجّه أخاه الخليل بن أبان وابن أخيه محمد بن صالح المعروف بأبي سهل، في جيش كثيف إلى ابن لَيْثوْيه؛ وهو يومئذ مقيم بعسكر مكرَم، فسارا فيمن معهما، فلقيهما ابنُ ليثوْيه على فرسخ من عسكر مكرَم، قاصداً إليهما، فالتقى الجمعان، وقد كمّن ابن ليثوْيه كمينًا. فلما استحرّ[1] القتال تطارد ابن ليثوْيه، فطمع الزّنج فيه، فتبعوه حتى جاوزوا الكمين، فخرج من ورائهم؛ فانهزموا وتفرّقوا، وكرّ عليهم ابن ليثوْيه، فنال حاجته منهم، ورجعوا مفلولين. فانصرف ابن ليثويه بما أصاب من الرءوس إلى تُسْتَر، ووجّه عليّ بن أبان انكلويه مسلحةً إلى المسرُقان إلى أحمد بن لَيْثَوَيْه، فوجّه إليه ثلاثين فارسًا من جُلْد أصحابه، وانتهى إلى الخليل بن أبان مسيرُ أصحاب ابن ليثويه إلى المسلّحة، فكمن لهم فيمن معه، فلما وافوْه خرج إليهم، فلم يفلِتْ منهم أحد، وقُتلوا عن آخرهم، وحُمِلت رءوسهم إلى عليّ بن أبان، وهو بالأهواز، فوجّهها إلى الخبيث، وحينئذ أتى الصفّار الأهواز، وهرب عنها ابن ليثويه.

١٩١٤/٣ * ذكر الخبر عما كان من أمر الصفّار هنالك في هذه السنة:

ذُكر أنّ يعقوب بن الليث لما صار إلى جنديْ سابور، نزلها وارتحل عن تلك الناحية كلّ مَنْ كان بها من قبَل السلطان، ووجّه إلى الأهواز رجلاً من قبَله يقال له الحصن بن العنبر، فلمّا قاربها خرج عنها عليّ بن أبان صاحب قائد الزّنج، فنزل نهر السدرة، ودخل حصن الأهواز، فأقام بها، وجعل أصحابه وأصحاب عليّ ابن أبان يُغير بعضهم على بعض، فيصيب كلّ فريق منهم من صاحبه، إلى أن استعدّ عليّ بن أبان، وسار إلى الأهواز، فأوقع بالحصن ومَنْ معه وقعةً غليظة، قتلَ فيها من أصحاب يعقوب خلقًا كثيراً، وأصاب خيلا، وغنم غنائم كثيرة، وهرب الحصن ومَنْ معه إلى عسكر مكرَم، وأقام عليّ بالأهواز حتى استباح ما كان فيها، ثم رجع[2] عنها إلى

---

(١) س: «اشتجر» (٢) س: «خرج».

نهر السدرة، وكتب إلى بَهْبُوذ يأمره بالإيقاع برجل من الأكراد من أصحاب الصفّار كان مقيماً بدَوْرَق ، فأوقع به بهبوذ، فقتل رجاله وأسره ، فمنّ عليه وأطلقه؛ فكان علىّ بعدذلك يتوقّع مسير يعقوب إليه فلم يَسِرْ ، وأمدّ الحصن ابن العنبر بأخيه الفضل بن العنبر ، وأمرهما بالكفّ عن قتال أصحاب الخبيث ، والاقتصار على المقام[1] بالأهواز . وكتب إلى علىّ بن أبان يسأله المهادنة ، وأن يقرّ أصحابه بالأهواز، فأبى ذلك علىّ دون نقل طعام كان هناك[2] ، فتجافى له الصفّار عن نقل ذلك الطعام ، وتجافى علىّ للصفار عن علَف كان بالأهواز ، فنقل علىّ الطعام ، وترك العلَف ، وتكافّ الفريقان ، أصحاب علىّ وأصحاب الصفار .

٣/١٩١٥

* * *

وفيها توفّىَ مَساور بن عبد الحميد الشارى .

وفيها مات عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، سقط عن دابته فى الميدان من صدمة خادم له ، يقال له رشيق ، يوم الجمعة لعشر خلَوْن من ذى القعدة ، فسال من منخره وأذنه دمٌ ، فمات بعد أن سقط بثلاث ساعات ، وصلى عليه أبو أحمد بن المتوكل ، ومشى فى جنازته ، واستوزر من الغد الحسن بن مخلد . ثم قدم موسى بن بغا سامرّا لثلاث بقين من ذى القعدة ، فهرب الحسن بن مخلد إلى بغداد ، واستوزر مكانه سليمان بن وهب ، لستّ ليال خلَوْن من ذى الحجة ، ثم ولى عبيد الله بن سليمان كتبة المفوّض والموفق إلى ما كان يلى من كتبة موسى بن بغا ، ودفعت دار عبيد الله بن يحيى إلى كيغلَغ .

وفيها أخرج أخو شركب الحسينَ بن طاهر عن نيسابور ، وغلب عليها ، وأخذ أهلها بإعطائه ثلث أموالهم، وصار الحسين إلى مَرْو، و بها أخو خوارزم شاه يدعو لمحمد بن طاهر .

وفى هذه السنة سلّمت الصقالبة لؤلؤة إلى الطاغية .

وحجّ بالناس فيها الفضل بن إسحاق بن الحسن بن إسماعيل .

---

(١) ب : « بالمقام » . (٢) س : « دون نقل الطعام » .

ثم دخلت سنة أربع وستين ومائتين

١٩١٦/٣

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك توجيهُ يعقوب الصفّار جيشًا إلى الصَّيْمَرَة، فتقدّمه إليها، وأخذوا صَيغُون ومُضِيَ به إليه أسيراً، فمات عنده.

ولإحدى عشرة خلت من المحرّم، عسكر أبو أحمد ومعه موسى بن بغا بالقائم، وشيّعهما المعتمد، ثم شخصا من سامرّا لليلتين خلتا من صفر، فلمّا صارا ببغداد، مات بها موسى بن بغا، وحُمِل إلى سامرّا، فدفن بها.

وفيها فى شهر ربيع الأول ماتت قَبيحة أمّ المعتزّ.

وفيها صار ابن الدَّيرانيّ إلى الدينَور، وتعاون ابن عياض ودُلَف بن عبد العزيز بن أبى دلَف عليه، فهزماه وأخذا أمواله وضياعه، ورجع إلى حُلوان مفلولاً.

* * *

[خبر أسر الروم لعبد الله بن رشيد]

وفيها أسرت الروم عبد الله بن رشيد بن كاوس.

* ذكر الخبر عن سبب أسرهم إياه:

ذُكِر أنّ سبب ذلك كان، أنه دخل أرض الروم فى أربعة آلاف من أهل الثغور الشأمية، فصار إلى حصنَيْن والمسكنين، فغنم المسلمون، وقفل، فلمّا رحل عن البَدَنْدون، خرج عليه بطريق سلوقيَة وبطريق قَذَيذيَة وبطريق قُرّة وكوكب وخَرْشنة، فأحدقوا بهم، فنزل المسلمون فعرقبوا[1] دوابهم، وقاتلوا، فقُتلوا، إلا خمسمائة أو ستمائة، وضعوا السياط فى خواصر دوابّهم، وخرجوا،

١٩١٧/٣

(١) ب: «فعرضوا».

فقتل الرّوم مَنْ قتلوا ، وأسر عبد الله بن رشيد بعد ضربات أصابته ، وحُمِل إلى لؤلؤة ، ثم حمِل إلى الطاغية على البريد .

* * *

[ذكر خبر الوقعة بين محمد المولّد وقائد الزنج]

وفيها وُلِّيَ محمد المولّد واسطًا ، فحاربه سليمان بن جامع ، وهو عامل على ما يلى تلك الناحية من قِبَل قائد الزّنج ، فهزمه وأخرجه عن واسط فدخلها .

* ذكر الخبر عن هذه الوقعة وسببها :

ذُكر أنّ السبب فى ذلك كان أنّ سليمان بن جامع الموجّه كان من قبل قائد الزّنج إلى ناحية الحوانيت والبطائح ، لمّا هزم جُعلان التركىّ عامل السلطان ، وأوقع بأغَرْتمِش ، ففلّ عسكره ، وقتل خُشْتَيْشًا ، ونهب ما كان معهم ، كتب إلى صاحبه قائد الزّنج يستأذنه فى المصير إليه ، ليحدث به عهداً ، ويصلح أموراً من أمور منزله ؛ فلمّا أنفذ الكتاب بذلك ، أشار عليه أحمد بن مهدىّ الجبائىُّ بتطرُّق[1] عسكر البخارىّ ، وهو يومئذ مقيم بِبَرْدُودا ، فقبل ذلك ، وسار إلى بَرْدودًا ، فوافى موضعًا يقال له أكرمهر ؛ وذلك على خمسة فراسخ من عسكر تكين . فلما وافى ذلك الموضع ، قال الجبائىّ لسليمان : إن الرأى أن تقيم أنت ها هنا ، وأمضى أنا فى السُّميريّات ، فأجرّ[2] القوم إليك ، وأتعبهم فيأتوك وقد لغِبوا ، فتنال حاجتك منهم . ففعل سليمان ذلك ، فعبّى خيله ورجّالته فى موضعه ذلك ، ومضى أحمد بن مهدىّ فى السُّميريات مُسحراً ، فوافى عسكر تكين ، فقاتله ساعة ، وأعدّ تكين خيلَه ورجاله ، وتطارد الجُبائىّ له ، وأنفذ غلاماً إلى سليمان يعلمه أنّ أصحاب تكين واردون عليه بخيلهم . فلقى الرسول سليمان ، وقد أقبل يقفو أثر الجُبّائىّ لمّا أبطأ عليه خبره . فردّه إلى معسكره ، ووافى رسول آخر للجبائىّ بمثل الخبر الأوّل ، فلما رجع سليمان إلى عسكره ، أنفذ ثعلب بن حفص البحرانىّ وقائداً من قواد الزّنج ، يقال

٣/١٩١٨

(١) م : « بتطرف » . (٢) م : « فأجتر » .

له منينا فى جماعة من الزَّنْج ، فجعلهما كميناً فى الصحراء ممّا يلى ميسرة خيل تكين ، وأمرهما إذا جاوزهم خيل تكين أن يخرجوا من ورائهم . فلما علم الجبائىُّ أن سليمان قد أحكم لهم خيلته وأمر الكمين ، رفع صوته ليسمع أصحاب تكين ؛ يقول لأصحابه : غررتمونى وأهلكتمونى ، وقد كنت أمرتكم ألاّ تدخلوا هذا المدخل ، فأبيتم إلاّ إلقائى وأنفسكم هذا الملْقَى الذى لا أرانا ننجو منه . فطمع أصحاب تكين لمّا سمعوا قوله ، وجدُّوا فى طلبه ، وجعلوا ينادون : بلبل فى قفص. ١٩١٩/٣ وسار الجبائىُّ سيراً حثيثاً ، وأتبعوه يرشقونه بالسهام ، حتى جاوزوا موضع الكمين ، وقاربوا عسكر سليمان[1] ، وهو كامن من وراء الجدُر فى خيله وأصحابه ، فزحف سليمان ، فتلقّى الجيش ، وخرج الكمين من وراء الخيل ، وثنى الجبائىّ صدور سُميريّاته إلى مَنْ فى النهر ، فاستحكمت الهزيمة عليهم من الوجوه كلها ، وركبهم الزّنج يقتلونهم ويسلبونهم ؛ حتى قطعوا نحوًا من ثلاثة فراسخ.

ثم وقف سليمان وقال للجبائىّ : نرجع فقد غنمنا وسلمنا ، والسلامة أفضل من كل شىء . فقال الجبائىُّ : كلا ؛ قد نَخبنا قلوبَهم ، ونفذتْ حيلتنا فيهم ، والرأى أن نكسبهم فى ليلتنا هذه ، فلعلّنا أن نزيلهم عن عسكرهم ، ونفضّ جمعهم . فأتبع سليمان رأى الجبّائىّ ، وصار إلى عسكر تكين ، فوافاه فى وقت المغرب ، فأوقع به ، ونهض تكين فيمن معه ، فقاتل قتالا شديداً ، فانكشف عنه سليمان وأصحابه . ثم وقف سليمان وعبّأ أصحابه ، فوجّه شبلا فى خيل من خيله ، وضمّ إليه جمعاً من الرّجّالة إلى الصحراء ، وأمر الجبّائىّ ، فسار فى السُّمَيريّات فى بطن النهر ، وسار هو فيمن معه من أصحابه الخيّالة والرجّالة ، فتقدّم أصحابه حتى وافى تكين ، فلم يقف له أحد ، وانكشفوا جميعًا وتركوا عسكرهم ، فغنم ما وجد فيه ، وأحرق العسكر ، وانصرف إلى معسكره بما أصاب من الغنيمة[2] . ووافى عسكره ، فألفى كتاب الخبيث قد ورد بالإذن له فى المصير إلى منزله ، فاستخلف الجُبائىّ ، وحمل الأعلام التى أصابها من ١٩٢٠/٣ عسكر تكين والشّذوات التى أخذها من المعروف بأبى تميم ومن خُشيش ومن

---

(١) س : « موضع سليمان ومعسكره » . (٢) س : « القسمة » .

تكين ، وأقبل حتى ورد عسكر الخبيث ؛ وذلك فى جمادى الأولى من سنة أربع وستين ومائتين .

* * *

* ذكر الخبر عن السبب الذى من أجله تهيأ للزنج دخول واسط ، وذكر الخبر عن الأحداث الجليلة فى سنة أربع وستين ومائتين :

ذكر أن الجُبّائىّ يحيى بن خلف لمّا شخص سليمان بن جامع من معسكره بعد الوقعة التى أوقعها بتكين إلى صاحب الزّنْج ، خرج فى السُّمَيْريّات بالعسكر الذى خلّفه سليمان معه إلى مازروان لطلب المِيرة ، ومعه جماعة من السودان ، فاعترضه أصحاب جُعْلان ، فأخذوا سفنًا كانتْ معه ، وهزموه ، فرجع مفلولاً حتى وافى طهيثا ، ووافتْه كتب أهل القرية ، يخبرونه أنّ منجور مولى أميرالمؤمنين ومحمد بن علىّ بن حبيب اليشكرىّ لما اتّصل بهما خبر غيبة سليمان بن جامع عن طهيثا ، اجتمعا وجمعا أصحابهما ، وقصدا القرية ، فقتلا فيها وأحرقا وانصرفا ، وجلا من أفلت ممن كان فيها ، فصاروا إلى القرية المعروفة بالحجّاجية ، فأقاموا بها[1] . فكتب الجُبّائىّ إلى سليمان بخبر ما وردت به كُتُب أهل القرية ، مع ما ناله من أصحاب جُعْلان ، فأنهض قائد الزّنج سليمان إلى طهيثا معجّلاً ، فوافاها ، فأظهر أنه يقصد لقتال جُعْلان ، وعبّأ جيشه ، وقدّم الجبائىّ أمامه فى السميريّات ، وجعل معه خيلاً ورجلا ، وأمره بموافاة مازروان والوقوف بإزاء عسكر جُعْلان ، وأنْ يظهر الخيل ويرعاها بحيث يراها أصحاب جُعْلان ، ولا يُوقع بهم ، وركب هو فى جيشه أجمع إلاّ نفراً يسيراً خلّفهم فى عسكره ، ومضى فى الأهواز حتى خرج على الهورَيْن المعروفين بالربّة والعمرقة . ثم مضى نحو محمد بن علىّ بن حبيب ، وهو يومئذ بموضع يقال له تلّفَخّار ، فوافاه فأوقع به وقعةً غليظة ، قتل فيها قتلى كثيرة ، وأخذ خيلا كثيرة وحاز غنائم جزيلة ، وقتل أخا لمحمد بن علىّ ، وأفلت محمد ، ورجع سليمان ،

٣/١٩٢١

(١) ب : « فيها » .

فلما صار فى صحراء بين البزّاق والقرية وافتْه خيل لبنى شيبان ، وقد كان فيمن أصاب سليمان بتلّفخّار سيد من سادات بنى شيبان ، فقتله وأسر ابنًا له صغيراً ، وأخذ حِجْراً [١] كانت تحته ، فانتهى خبره إلى عشيرته ، فعارضوا سليمان بهذه الصحراء فى أربعمائة فارس . وقد كان سليمان وجّه إلى عُمير بن عمار خليفته بالطفّ حين توجّه إلى ابن حبيب ، فصار إليه ، فجعله دليلا لعلمه بتلك الطريق ، فلمّا رأى سليمان خيل بنى شيبان قدّم أصحابه أجمعين إلاّ عمير بن عمار فإنه انفرد ، فظفرت به بنو شيبان فقتلوه ، وحملوا رأسه ، وانصرفوا . ١٩٢٢/٣

وانتهى الخبر إلى الخبيث ، فعظُم عليه قتل عُمير ، وحمل سليمان إلى الخبيث ما كان أصاب من بلد محمد بن علىّ بن حبيب ؛ وذلك فى آخر رجب من هذه السنة . فلما كان فى شعبان نهض سليمان فى جَمْع من أصحابه ؛ حتّى وافى قرية حسان ، وبها يومئذ قائد من قوّاد السلطان يقال له جيْش ابن حمرتكين ، فأوقع به ، فأجفل عنه ، وظفر بالقرية فانتهبها ، وأحرق فيها وأخذ خيلا ، وعاد إلى عسكره . ثم خرج لعشر خلوْن من شعبان إلى الحوانيت ، وأصعد الجبائىّ فى السميريّات إلى برمساور ، فوجد هنالك صلاغاً فيها خيل من خيل جُعلان ، كان أراد أن يوافى بها نهر أبان . وقد كان خرج إلى ما هناك متصيّداً ، فأوقع الجبائىّ بتلك الصلاغ ، فقتل مَنْ فيها ، وأخذ الخيل — وكانت اثنى عشر فرساً — وعاد إلى طهيثا . ثم نهض سليمان إلى تلّ رمانا ، لثلاث بقين من شعبان فأوقع بها ، وجلا عنها أهلها ، وحاز ما كان فيها . ثم رجع إلى عسكره ، ونهض لعشر ليال خلوْن من شهر رمضان إلى الموضع المعروف بالجازرة ، وأبّا يومئذ هناك ، وجُعلان بمازروان .

وقد كان سليمان كتب إلى الخبيث فى التوجيه إليه بالشّذا ، فوجّه إليه عشر شذوات ، مع رجل من أهل عبّادان يقال له الصقر بن الحسين ، فلمّا وافى سليمان الصّقر بالشّذا أظهر أنه يريد جُعلان ، وبادرت [٢] الأخبار إلى جُعلان ١٩٢٣/٣

(١) الحجر : الأنثى من الخيل ، وفى ب : « فرس » . (٢) ابن الأثير : « فبلغت » .

بأن سليمان يريد موافاته ؛ فكانت همّته ضبط عسكره . فلما قرُب سليمان من موضع أبّا مال إليه ، فأوقع به، وألفاه غارًّا بمجيئه ، فنال حاجته ، وأصاب ستّ شذَوات .

قال محمد بن الحسن : قال جبّاش : كانت الشّذَوات ثمانية ، وجدها فى عسكره ، وأحرق شذاتين كانتا على الشطّ ، وأصاب خيلاً وسلاحًا وأسلاباً ، وانصرف إلى عسكره ، ثم أظهر أنه يريد قصد تكين البخارىّ ، وأعدّ مع الجبائىّ وجعفر بن أحمد خال ابن الخبيث الملعون المعروف بأنكلاى سفنا . فلما وافت السفن عسكر جُعْلان ، نهض إليها ، فأوقع بها ، وحازها وأوقع سليمان من جهة البرّ ، فهزمه إلى الرُّصافة ، واسترجع سفنه ، وحاز سبعة وعشرين فرسًا ومهرين من خيل جُعْلان وثلاثة أبغل ، وأصاب نهبًا كثيراً وسلاحًا ، ورجع إلى طهيثا .

قال محمد : أنكر جبّاش أن يكون لتكين فى هذا الموضع ذكر ، ولم يعرف خبر العباداني فى تكين[1] ، وزعم أنّ القصد لم يكن إلاّ إلى جُعْلان ، وقد كان خبره خفىَ على أهل عسكره حتى أرجفوا بأنه قد قُتِل وقتل الجبّائىّ معه ، فجزعوا أشدّ الجزع ، ثم ظهر خبره وما كان منه من الإيقاع بجعلان ، فسكنوا وقرّوا إلى أن وافى[2] سليمان ، وكتب بما كان منه إلى الخبيث ، وحمل أعلامًا وسلاحًا ، ثم صار سليمان إلى الرُّصافة فى ذى القعدة ، فأوقع بمطر بن جامع ، وهو يومئذ مقيم بها ، فغنم غنائم كثيرة ، وأحرق الرّصافة ، واستباحها ، وحمل أعلاماً إلى الخبيث ، وانحدر لخمس ليال خلون من ذى الحجة سنة أربع وستين ومائتين إلى مدينة الخبيث ، فأقام ليعيّد هناك ويقيم فى منزله ، ووافى مطر بن جامع القرية المعروفة بالحجّاجية ، فأوقع بها ، وأسر جماعةً من أهلها . وكان القاضى بها من قبل سليمان رجلاً من أهلها يقال له سعيد بن السيد العدوىّ ، فأسِر وحُمِل إلى واسط هو وثعلب بن حفص وأربعة قوّاد كانوا معه ، فصاروا إلى الحرجليّة على فرسخين ونصف من طهيثا ، ومضى الجبائىّ فى الخيل والرجل

١٩٢٤/٣

(١) ب : « وتكين » .
(٢) ب : « فوافيا » .

لمعارضة مطر ، فوافى الناحية وقد نال مطر ما نال منها ، فانصرف عنها ، وكتب إلى سليمان بالخبر ، فوافى سليمان يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من ذى الحجة من هذه السنة ، ثم صرف جُعْلان،ووافى أحمد بن ليثويه ، فأقام بالشديديّة ، ومضى سليمان إلى موضع يقال له نهر أبان ، فوجد هناك قائداً من قوّاد ابن ليثوْيه يقال له طَرْناج ، فأوقع به وقتله .

قال محمد : قال جبّاش : المقتول بهذا الموضع بينَك ، فأما طُرْناج فإنه قتِل بمازروان . ثم وافى الرّصافة ، وبها يومئذ عسكر مطر بن جامع ، فأوقع به ، فاستباح عسكره ، وأخذ منه سبع شَذَوات ، وأحرق شَذَاتين ، وذلك ١٩٢٥/٣ فى شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين ومائتين .

قال محمد : قال جبّاش : كانت هذه الوقعة بالشديديّة ، والذى أخذ يومئذ ستّ شذوات ، ثم مضى سليمان فى خمس شَذَوات ، ورتّب فيها صناديد قوّاده وأصحابه ، فواقعه تكين البخاريّ بالشديديّة ، وقد كان ابن ليثويه حينئذ صار إلى ناحية الكوفة وجَنْبُلاء، فظهر تكين على سليمان ، وأخذ منه الشذّوات التى كانت معه بآلتها وسلاحها ومقاتلتها ، وقتِل فى هذه الوقعة جِلّة قوّاد سليمان .

ثم زحف ابن ليثوْيه إلى الشديديّة ، وضبط تلك النواحى إلى أن ولّى أبو أحمد محمّداً المولّد واسطاً .

قال محمد : قال جبّاش : لمّا وافى ابن ليثويه الشديديّة سار إليه سليمان، فأقام يومين يقاتله، ثم تطارد له سليمان فى اليوم الثالث، وتبعه ابن ليثويه فيمن تسرّع معه ، فرجع إليه سليمان، فألقاه فى فوّهة بردودا ، فتخلص بعد أن أشفى على الغرق . وأصاب سليمان سبع عشرة دابة من دوابّ ابن ليثويه .

قال : وكتب سليمان إلى الخبيث يستمدّه ، فوجّه إليه الخليل بن أبان فى زُهاء ألف وخمسمائة فارس، ومعه المذوّب ، فقصد عند موافاة هذا المدد إياه لمحاربة محمد المولّد ، فأوقع به فهرب المولّد،ودخل الزّنج واسطاً ، فقتِل بها

خلق كثير ، وانتهبت وأحرقت ، وكان بها إذ ذاك كنجور البخاريّ ، فحامى يومه ذلك إلى وقت العصر ، ثم قتل. وكان الذى يقود الخيل يومئذ فى عسكر سليمان بن جامع الخليل بن أبان وعبد الله المعروف بالمذوّب . وكان الجُبّائىّ فى السميريّات ، وكان الزنجىّ بن مهربان فى الشذَوات ، وكان سليمان بن جامع فى قوّاده من السودان ورجّالته منهم ، وكان سليمان بن موسى الشعرانىّ وأخواه فى خيله ورجْله مع سليمان بن جامع ؛ فكان القوم جميعًا يدًا واحدة . ثم انصرف سليمان بن جامع عن واسط ، ومضى بجميع الجيش إلى جُنْبُلاء ليعيث ويخرب ، ووقع بينه وبين الخليل بن أبان اختلافٌ ، فكتب الخليل بذلك إلى أخيه علىّ بن أبان ، فاستعفى له قائد الزنج من المُقام مع سليمان ، وأذن للخليل بالرجوع إلى مدينة الخبيث مع أصحاب علىّ بن أبان وغلمانه ، وتخلّف المذوّب فى الأعراب مع سليمان ، وأقام بمعسكره أيامًا ، ثم مضى إلى نهر الأمير ، فعسكر به ، ووجّه الجبائىّ والمذوّب إلى جُنْبُلاء ، فأقاما هنالك تسعين ليلة ، وسليمان معسكر بنهر الأمير . (أ ١٩٢٦/٣)

قال محمد : قال جبّاش : كان سليمان معسكرا بالشديديّة .

* * *

[ذكر خبر خروج سليمان بن وهب من بغداد إلى سامرّا]

وفى هذه السنة خرج سليمان بن وهب من بغداد إلى سامُرّا ، ومعه الحسن ابن وهب ، وشيّعه أحمد بن الموفّق ومسرور البلخىّ وعامة القواد ؛ فلما صار بسامُرّا غضب عليه المعتمد وحبسه وقيّده ، وانتهب داره ودارى ابنيْه وهب وإبراهيم ، واستوزر الحسن بن مخلّد لثلاث بقين من ذى القعدة ، فشخص الموفّق من بغداد ومعه عبيد الله بن سليمان ، فلما قرب أبو أحمد من سامُرّا تحوّل المعتمد إلى الجانب الغربىّ ، فعسكر به ، ونزل أبو أحمد ومَنْ معه جزيرة المؤيّد ، واختلفت الرسل بينهما . فلمّا كان بعد أيام خلَوْن من ذى الحجة ، صار المعتمد إلى حَرّاقة فى دِجْلة ، وصار إليه أخوه أبو أحمد فى زلاّل ؛ فخلع على أبى أحمد وعلى مسرور البلخىّ وكيغْلغ وأحمد بن موسى (١٩٢٧/٣)

ابن بغا . فلما كان يوم الثلاثاء لثمان خلَوْن من ذى الحجة يوم التّروية عبّر أهلُ عسكر أبى أحمد إلى عسكر المعتمد ، وأطلق سليمان بن وهب ، ورجع المعتمد إلى الجوْسق ، وهرب الحسن بن مخلّد وأحمد بن صالح بن شيرزاد ، وكتب فى قبض أموالهما وأموال أسبابهما ، وحبس أحمد بن أبى الأصبغ ، وهرب القوّاد المقيمون كانوا بسامرّا إلى تكْريت ، وتغيّب أبو موسى بن المتوكل ، ثم ظهر . ثم شخص القوّاد الذين كانوا صاروا إلى تكْريت إلى الموْصل ، ووضعوا أيديهم فى الجباية .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى الهاشمىّ الكوفىّ .

ثم دخلت سنة خمس وستين ومائتين

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر الوقعة بين أحمد بن ليثويه وسليمان قائد الزنج]

فمن ذلك ما كان من وقعة كانت بين أحمد بن لَيْثُويْه وسليمان بن جامع قائد صاحب الزّنج بناحية جُنْبُلاء .

١٩٢٨/٣

* ذكر الخبر عن هذه الوقعة وسببها :

ذُكر أن سليمان بن جامع كتب إلى صاحب الزّنج ، يخبره بحال نهر يعرف بالزهيريّ ، ويسأله الإذن له في النفقة على إنفاذ كَرْيِه إلى سَوَاد الكوفة والبرار، ويُعلمه أنّ المسافة فى ذلك قريبة ،وأنه متى أنفذه تهيّأ له بذلك حَمْل كلّ ما بنواحى جُنْبُلاء وسواد الكوفة من المِيرة [1] . فوجّه الخبيث بذلك رجلاً يقال له محمد بن يزيد البصريّ ،وكتب إلى سليمان بإزاحة عِلله فى المال والإقامة معه فى جيشه إلى وقت فراغه ، مما وُجّه له، فمضى سليمان بجميع جيشه حتى أقام بالشريطيّة نحواً من شهر ، وألقى الفعَلة فى النهر ؛ وخلال ذلك ما كان سليمان يتطرّق ما حوله من أهل خُسْرُ سابور؛ وكانت المِيرة تتّصل به من ناحية الصين وما والاها إلى أن واقعه ابن لَيْثُويْه عامل أبى أحمد على جُنْبُلاء، فقتل له أربعة عشر قائداً .

قال محمد بن الحسن : قتل سبعة وأربعين قائداً وخَلْقاً من الخلق لا يحصى كثرة ،واستبيح عسكره ، وأحرِقت سفنه ، وكانت مقيمةً فى هذا النهر الذى كان مقيماً على إنفاذه ، فمضى مفلولا حتى وافى طَهيثا ، فأقام بها ، ووافى الجُبّائىُّ فى عقب ذلك ، ثم أصعد فأقام بالموضع المعروف ببرّتمرتا، واستخلف

(١) ب : « الرحلة » .

على الشَّذَوات الاشتيام الذى يقال له الزنجىّ بن مهربان ، وقد كان السلطان ١٩٢٩/٣
وجّه نُصيراً لتقييد شامرْج ، وحمْله إلى الباب ، وتقلّد ما كان يتقلّده ، فوافى
نصير الزّنجىّ بن مهربان بعد حمله شامرج مقيّداً بنهر برّتمرتا ، وأخذ منه
تسع شَذَوات ، واستردّ الزنجىّ منها ستًّا .

قال محمد بن الحسن : أنكر جبّاش أن يكون الزّنجىّ بن مهربان استردّ
من الشَّذَوات شيئًا ، وزعم أنّ نصيراً ذهب بالشَّذَوات أجمع ، وانصرف إلى
طَهيثا ، وبادر بالكتاب إلى سليمان ، ووافاه . فأقام سليمان بطهيثا إلى أن اتّصل
به خبر إقبال الموفّق .

* * *

وفيها أوقع أحمد بن طولون بسيما الطويل بأنطاكية ، فحصره بها ، وذلك
فى المحرّم منها ، فلم يزل ابن طولون مقيمًا عليها حتى افتتحها ، وقتل سيما .

وفيها وثب القاسم بن مماه بدُلَف بن عبد العزيز بن أبى دُلف بأصبهان ،
فقتله . ثم وثب جماعة من أصحاب دُلف على القاسم ، فقتلوه ورأسوا عليهم
أحمد بن عبد العزيز .

وفيها لحق محمد المولّد بيعقوب بن الليث ، فصار إليه ، وذلك فى المحرّم
منها ، فأمر السلطان بقبض أمواله وعقاراته .

وفيها قتلت الأعراب جُعلان المعروف بالعيّار بِدِ ممًّا ، وكان خرج لِبَذْرقة
قافلة ، فقتلوه ؛ وذلك فى جمادى الأولى ؛ فوجّه السلطان فى طلب الذين قتلوه
جماعةً من الموالى ، فهرب الأعراب ، وبلغ الذين شخصوا فى طلبهم عين ١٩٣٠/٣
التّمر ، ثم رجعوا إلى بغداد ، وقد مات منهم من البرد جماعة ؛ وذلك أنّ البرد
اشتدّ فى تلك الأيام ودام أياماً ، وسقط الثلج ببغداد .

وفيها أمر أبو أحمد بحبس سليمان بن وهب وابنه عُبيد الله ، فحبسا وعدة
من أسبابهم فى دار أبى أحمد ، وانتهبت دور عِدّة من أسبابه ، ووكل
بحفظ دارى سليمان وابنه عبيد الله ، وأمر بقبض ضياعهما وأموالهما وأموال

---

(١) ب : « شاموح » .

أسبابهما وضياعهم خلا أحمد بن سليمان . ثم صولح سليمان وابنه عبيد الله على تسعمائة ألف دينار ، وصيِّرا فى موضع يصل إليهما من أحبّا .

وفيها عسكر موسى بن أتامش وإسحاق بن كُنْداجيق و بنغجور بن أرخُوز والفضل بن موسى بن بغا بباب الشماسيّة ، ثم عبروا جسر بغداد ، فصاروا إلى السفينتين ، وتبعهم أحمد بن الموفّق ، فلم يرجعوا ، ونزلوا صَرْصَر .

وفيها استكتب أبو أحمد صاعد بن مخلَد ؛ وذلك لاثنتى عشرة بقيت من جمادى الآخرة ، وخلع عليه ، فضى صاعد إلى القوّاد بصرصَر ، ثم بعث أبو أحمد ابنه أحمد إليهم ، فناظرهم فانصرفوا معه فخلع عليهم .

وفيها خرج — فيما ذكر — خمسة من بطارقة الرّوم فى ثلاثين ألفاً من الروم إلى أذَنة ، فصاروا إلى المصلى [1] .

١٩٣١/٣ وأسروا أرخوز — وكان والى الثغور — ثم عُزِل ، فرابط هناك فأسِر ، وأسِر معه نحوٌ من أربعمائة رجل ، وقَتَلوا ممّن نفر إليهم نحواً من ألف وأربعمائة رجل ، وانصرفوا اليوم الرابع ، وذلك فى جُمادى الأولى منها .

وفى رجب منها عسكر موسى بن أتامش وإسحاق بن كُنْداجيق و بنغجور ابن أرخوز بنهر دَيالى .

وفيها غلب أحمد بن عبد الله الخُجُستانىّ على نيسابور ، وصار الحسين ابن طاهر عامل محمد بن طاهر إلى مَرْو ، فأقام بها وأخو شركب الجمّال بين الحسين والخُجستانىّ أحمد بن عبد الله .

وفيها أخربت طوس .

وفيها استورز إسماعيل بن بلبُل .

وفيها مات يعقوب بن الليث بالأهواز وخلفه أخوه عمرو بن الليث ؛ وكتب عمرو إلى السلطان بأنه سامع له ومطيع ؛ فوجّه إليه أحمد بن أبى الأصبغ فى ذى القعدة منها .

---

(١) ب : «والموصل» .

وفيها قتلت جماعة من أعراب بنى أسد علىّ بن مسرور البلخىّ بطريق مكة قبل مصيره إلى المُغيثة ، وكان أبو أحمد ولى محمد بن مسرور البلخىّ طريق مكة ، فولاّه أخاه علىّ بن مسرور .

وفيها بعث ملك الروم بعبد الله بن رشيد بن كاوس الذى كان عامل الثغور فأسِرَ إلى أحمد بن طولون مع عِدّة من أسراء المسلمين وعِدّة مصاحف هدية منه له .

وفيها صارت جماعة من الزّنج فى ثلاثين سُميريّة إلى جَبُّل ، فأخذوا أربع سفن فيها طعام ، ثم انصرفوا .

٣/ ١٩٣٠ وفيها لحق العباس بن أحمد بن طولون مع مَنْ تبعه ببرْقة ، مخالفًا لأبيه أحمد، وكان أبوه أحمد استخلفه — فيما ذكر — على عمله بمصر لمّا توجّه إلى الشأم؛ فلما انصرف أحمد عن الشأم راجعًا إلى مصر حمل العباس ما فى بيت مال مصر من الأموال ، وما كان لأبيه هنالك من الأثاث وغير ذلك . ثم مضى إلى بَرْقة ، فوجّه إليه أحمد جيشًا ، فظفروا به وردّوه إلى أبيه أحمد ، فحبسه عنده ، وقُتِل لسبب ما كان منه جماعةٌ كانوا شايعوا ابنَه على ذلك .

وفيها دخل الزّنج النّعمانيّة ، فأحرقوا سوقَها ، وأكثر منازل أهلها ، وسَبَوا ، وصاروا إلى جَرْجَرَايا ، ودخل أهلُ السواد بغداد .

وفيها ولّى أبو أحمد عمرو بن الليث خُراسان وفارس وأصبهان وسِجِسْتان وكَرْمان والسند ، وأشهد له بذلك ، ووجّه بكتابه إليه بتوليته ذلك مع أحمد ابن أبى الأصبغ ، ووجّه إليه مع ذلك العهد والعقد والخلع .

وفى ذى الحجة منها صار مسرور البلخىّ إلى النيل ، فتنحّى عنها عبد الله ابن ليثوْيه فى أصحاب أخيه ، وقد أظهر الخلاف على السلطان ، فصار ومَنْ معه إلى أحمد أباذ ، فتبعهم مسرور البلخىّ يريد محاربتهم ؛ فبدر[1] عبدالله ابن ليثوْيه ومَنْ كان معه ، فترجّلوا لمسرور، وانقادوا له بالسمع والطاعة ، ١٩٣٣/٣

(١) س : « فندر » .

وعبد الله بن ليثويه نزع سيفه ومنطقته فعلقهما فى عُنُقه ، يعتذر إليه ، ويحلف أنه حمل على ما فعل ، فقبل منه ، وأمر فخلع عليه وعلى عدّة من القوّاد معـــه .

[ذكر خبر شخوص تكين البخارىّ إلى الأهواز]

وفيها شخص تكين البخارىّ إلى الأهواز مقدّمة لمسرور البلخىّ .

* ذكر الخبر عمّا كان من أمر تكين بالأهواز حين صار إليها :

ذكر محمد بن الحسن أنّ تكين البخارىّ ولاّه مسرور البلخىّ كور الأهواز حين ولاّه أبو أحمد عليها ، فتوجّه تكين إليها ، فوافاها ، وقد صار إليها علىّ بن أبان المهلبىّ ، فقصد تُسْتَرَ [1] ، فأحاط بها فى جَمْع كثير من أصحابه الزّنج وغيرِهم ؛ فراع ذلك أهلَها ، وكادوا أن يُسلموها ، فوافاها تكين فى تلك الحال ، فلم يضع عنه ثياب السَّفَر ؛ حتى واقع علىّ بن أبان وأصحابه ؛ فكانت الدَّبَرَة على الزّنج ، فقتِلوا وهزِموا وتفرّقوا ، وانصرف علىّ فيمن بقى معه مفلولاً مدحوراً ، وهذه وقعة باب كُودَك المشهورة .

ورجع تكين البخارىّ ، فنزل تُسْتَر ، وانضمّ إليه جمعٌ كثير من الصعاليك وغيرهم ، ورحل إليه علىّ بن أبان فى جمع كثير من أصحابه ، فنزل شرقىّ المسرُقان ، وجعل أخاه فى الجانب الغربىّ فى جماعة من الخيل ، وجعل رجّالة الزّنج معه ، وقدم جماعة من قوّاد الزّنج ؛ منهم أنكلويه وحسين المعروف بالحمامىّ وجماعة غيرهما [2] ، فأمرهم بالمقام بقنطرة فارس .

١٩٣٤/٣

وانتهى الخبر بما دبّره علىّ بن أبان إلى تكين ، وكان الذى نقل إليه الخبر غلاماً يقال له وصيف الرومىّ ، وهرب إليه من عسكر علىّ بن أبان ، فأخبره بمقام هؤلاء القوم بقنطرة فارس ، وأعلمه تشاغُلَهم بشرب النبيذ وتفرّق أصحابهم [3] فى جمع الطعام ، فسار إليهم تكين فى الليل فى جمع من أصحابه ، فأوقع بهم ؛ فقتل من قوّاد الزّنج أنكلويه والحسين المعروف بالحمّامىّ ومفرّج

---

(١) س : « لتستر » . (٢) س : « غيرهم » . (٣) ب : « أصحابه » .

المكنى أبا صالح وأندرون ، وانهزم الباقون ، فلحقوا بالخليل بن أبان، فأعلموه ما نزل بهم ؛ وسار تكين على شرقىّ المسرُقان حتى لقىَ علىّ بن أبان فى جمعه، فلم يقف له علىّ وانهزم عنه، وأسِر غلام لعلىّ من الخيالة يعرف بجَعْفَرَوْيه ، ورجع علىّ والخليل فى جمعهما إلى الأهواز، ورجع تكين إلى تُسْتَر ، وكتب علىٌّ بن أبان إلى تكين يسأله الكفَّ عن قتل جعفرويه. فحبسه ، وجرت بين تكين وعلىّ بن أبان مراسلات وملاطفات ، وانتهى الخبر بها إلى مسرور ، فأنكرها. وانتهى إلى مسرور أنّ تكين قد ساءت طاعته ، وركن إلى علىّ بن أبان ومايله .

قال محمد بن الحسن : فحدّثنى محمد بن دينار ، قال : حدّثنى محمد ابن عبد الله بن الحسن بن علىّ المأمونىّ الباذغيسىّ — وكان من أصحاب تكين البخارىّ — قال: لمّا انتهى إلى مسرور الخبر بالتياث تكين عليه توقّف[1] حتى ١٩٣٥/٣ عرف صحة أمره ، ثم سار يريد كُور الأهواز وهو مظهرٌ الرضا عن تكين والإحماد لأمره، فجعل طريقه على شابَرْزان، ثم سار منها حتى وافَى السوس، وتكين قد عرف ما انتهى إلى مسرور من خبرِه ، فهو مستوحش من ذلك ومن جماعة كانت تبعته عند مسرور من قوّاده ، فجرت بين مسرور وتكين رسائل حتى أمنَ تكين ، فصار مسرور إلى وادى تُسْتَر ، وبعث إلى تكين ، فعبَر إليه مسلّما ، فأمر به فأخِذ سيفه ، ووُكّلَ به؛ فلما رأى ذلك جيش تكين انفضّوا من ساعتهم ، ففرقة منهم صارت إلى ناحية صاحب الزّنج ، وفرقة صارت إلى محمد بن عبيد الله الكردىّ. وانتهى الخبر إلى مسرور، فبسط الأمان لمن بقى من جيش تكين ، فلحقوا به .

قال محمد بن عبد الله بن الحسن المأمونىّ: فكنت أحد الصائرين إلى عسكر مسرور، ودفع مسرور تكين إلى إبراهيم بن جُعْلان ، فأقام فى يده محبوساً ، حتى وافاه أجلُه فتوفّىَ .

وكان بعض أمر مسرور وتكين الذى ذكرناه فى سنة خمس وستين، وبعضه فى سنة ست وستين .

---

(١) ب: « فوقف » .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة هارون بن محمد بن إسحق بن موسى بن عيسى الهاشمىّ .

١٩٣٦/٣ وفيها كانت موافاة المعروف بأبى المغيرة بن عيسى بن محمد المخزومى متغلّباً بزنج معه على مكة .

ثم دخلت سنة ست وستين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من تولية عمرو بن الليث عبيد الله بن عبد الله بن طاهر خلافتَه على الشرْطة ببغداد وسامُرّا فى صفر ، وخلع أبى أحمد عليه ، ثم مصير عبيد الله بن عبد الله إلى منزله ، فخلع عليه فيه خلعة عمرو بن الليث ، وبعث إليه عمرو بعمود من ذهب .

وفى صفر منها غلب أساتكين على الرّىّ ، وأخرج عنها طَلْمَجُور العامل كان عليها ، ثم مضى هو وابنه أذكوتكين إلى قَزْوين ، وعليها أبرون أخو كيغَلَغ ، فصالحاه ودخلا قَزْوين ، وأخذا محمد بن الفضل بن سنان العجلىّ ، فأخذا أمواله وضياعه ، وقتله أساتكين . ثم رجع إلى الرّىّ ، فقاتله أهلها فغلبهم ودخلها .

وفيها وردت سريّة من سرايا الرّوم تلّ بَسْمَى من ديار ربيعة ، فقتلَتْ من المسلمين ، وأسرَتْ نحواً من مائتين وخمسين إنسانًا ، فنفر أهلُ نَصِيبين وأهل الموصِل ، فرجعت الروم . ١٩٣٧/٣

وفيها مات أبو الساج بجنْدَيسابور فى شهر ربيع الآخر ، منصرفًا عن عسكر عمرو بن الليث إلى بَغداد ، ومات قبله فى المحرّم منها سليمان بن عبد الله ابن طاهر .

وولّى عمرو بن الليث فيها أحمد بن عبد العزيز بن أبى دُلف، أصبهان .

وولّى فيها محمد بن أبى الساج الحَرَمَيْن وطريق مكة .

وفيها ولّى أغرتمش ما كان تكين البخارىّ يليه من عمال الأهواز ، فسار أغرتمش إليها ، ودخلها فى شهر رمضان ، فذكر محمد بن الحسن أن مسروراً وجّه أغرتمش وأبَا ومَطَر بن جامع لقتال علىّ بن أبان ، فساروا حتى انتهوْا إلى تُسْتَر ، فأقاموا بها ، واستخرجوا مَن كان فى حبس تكين ، وكان فيه جعفرويه فى جماعة من أصحاب قائد الزّنج ، فقتلوا جميعًا . وكان مطر بن

جامع المتولّى قتلهم ، ثم ساروا حتى وافَوْا عسكر مكرَم ، ورحل إليهم علىّ ابن أبان ، وقدّم أمامه إليهم الخليل أخاه ، فصار إليهم الخليل ، فواقفهم وتلاه علىّ ، فلما كثر عليهم جمْع الزّنج ، قطعوا الجسر وتحاجزوا ، وجنّهم الليل ، فانصرف علىّ بن أبان فى جميع أصحابه ، فصار إلى الأهواز ، وأقام الخليل فيمن معه بالمسرُقان ، وأتاه الخبر بأن أغرتمش وأبّا ومَطَر بن جامع قد أقبلوا نحوه ، ونزلوا الجانب الشرقىّ من قنطرة أربُك ليعبروا إليه ، فكتب الخليل بذلك إلى أخيه علىّ بن أبان ، فرحل علىّ إليهم[1] حتى وافاهم بالقنطرة ، ووجّه إلى الخليل يأمره بالمصير إليه ، فوافاه وارتاع مَنْ كان بالأهواز من أصحاب علىّ ، فقلعوا عسكره ، ومضوْا إلى نهر السّدرة ، ونشبت الحرب بين علىّ بن أبان وقوّاد السلطان هناك ؛ وكان ذلك يومهم ، ثم تحاجزوا . وانصرف علىّ بن أبان إلى الأهواز ، فلم يجد بها أحداً ، ووجد أصحابه أجمعين قد لحقوا بنهر السّدرة ، فوجّه إليهم مَنْ يردّهم ، فعسر ذلك عليه فتبعهم ، فأقام بنهر السّدرة ، ورجع قوّاد السلطان حتى نزلوا عسكر مكرم ؛ وأخذ علىّ ابن أبان فى الاستعداد لقتالهم . وأرسل إلى بهبوذ بن عبد الوهاب ، فأتاه فيمن معه من أصحابه ، وبلغ أغرتمش وأصحابه ما أجمع عليه من المسير إليهم علىّ ، فساروا نحوه ، وقد جعل علىّ بن أبان أخاه على مقدّمته ، وضمّ إليه بَهْبُوذ وأحمد بن الزّرنجىّ ، فالتقى الفريقان بالدُّولاب . فأمر علىّ الخليلَ بن أبان أن يجعل بَهْبُوذ كميناً ، فجعله . وسار الخليل حتى لقِىَ القوم ، ونشب القتال بينهم ، فكان أوّل نهار ذلك اليوم لأصحاب السلطان ، ثم جالوا جَوْلة وخرج عليهم الكمين ، وأكبّ الزّنج إكبابةً ، فهزموهم ، وأسِر مطر بن جامع ، صُرِعَ عن فرس كان تحته ، فأخذه بهبوذ ، فأتى به عليّاً ، وقتل سيما المعروف بصغراج فى جماعة من القوّاد .

٣/١٩٣٨

ولمّا وافى بهبوذ عليّاً بمطر ، سأله مطر استبقاءه ، فأبى ذلك علىّ ، وقال : لو كنت أبقيت على جعفرويه لأبقينا عليك . وأمر به فأدْنِىَ إليه ، فضرب عنقه بيده .

٣/١٩٣٩

---

(١) س : « عن المهر » .

ودخل علىّ بن أبان الأهواز ، وانصرف أغرتمش وأبَّا فيمن أفلت معهما ، حتى وافيا تُسْتَر ، ووجّه علىّ بن أبان بالرءوس إلى الخبيث ، فأمر بنصبها على سُور مدينته .

قال : وكان علىّ بن أبان بعد ذلك يأتى أغرتمش وأصحابه ، فتكون الحرب بينهم سِجالاً عليه وله ، وصرف الخبيث أكثر جنوده إلى ناحية علىّ بن أبان ، فكثروا على أغرتمش ، فركن إلى الموادعة ، وأحبّ علىّ بن أبان مثل ذلك ، فتهادنا . وجعل علىّ بن أبان يُغير على النواحى ، فمن غاراته مصيره إلى القرية المعروفة ببيرُوذ ، فظهر عليها ، ونال منها غنائم كثيرة ، فكتب بما كان منه من ذلك إلى الخبيث ، ووجّه بالغنائم التى أصابها وأقام .

* * *

وفيها فارق إسحاق بن كُنْداجيق عسكر أحمد بن موسى بن بُغا ؛ وذلك أن أحمد بن موسى بن بغا لمّا شخص إلى الجزيرة ولّى موسى بن أتامش ديار ربيعة ، فأنكر ذلك إسحاق ، وفارق عسكره لسبب ذلك ، وصار إلى بَلَد ، فأوقع بالأكراد اليعقوبية فهزَمهم ، وأخذ أموالهم فقوىَ بذلك ، ثم لقى ابن مساور الشارى فقتله .

وفى شوّال منها قَتَل أهلُ حِمْص عاملَهم عيسى الكرخىّ .

وفيها أسر لؤلؤ غلام أحمد بن طولون موسى بن أتامش ؛ وذلك أنّ لؤلؤاً كان مقيماً برابية بنى تميم ، وكان موسى بن أتامش مقيماً برأس العين ، فخرج ليلاً سكران ليكبِسهم ، فكمنوا له[1] ، فأخذوه أسيراً ، وبعثوا به إلى الرّقة. ٣/١٩٤٠ ثم لقى لؤلؤ أحمدَ بن موسى وقوّاده ومَنْ معهم من الأعراب فى شوّال ، فهزم لؤلؤ ، وقُتل من أصحابه جماعة كثيرة ، ورجع ابن صفوان العُقَيلىّ والأعراب إلى ثقل عسكر أحمد بن موسى لينتهبوه ، وأكبّ عليهم أصحاب لؤلؤ ، فبلغت هزيمة المنفلت منهم قَرقيسيا ، ثم صاروا إلى بغداد وسامرّا ، فوافوْها فى ذى القعدة ، وهرب ابنُ صفوان إلى البادية .

---

(١) ب : عليهم .

وفيها كانت بين أحمد بن عبد العزيز بن أبى دُلف وبكتمر وَقْعة ؛ وذلك فى شوّال منها ، فهزم أحمد بن عبد العزيز بكتمر فصار إلى بغداد .

وفيها أوْقَع الخُجُستانىّ بالحسن بن زيد بجُرجان على غِرّة من الحسن ، فهرب منه الحسن ، فلحق بآمُل ، وغلب الخُجُسْتَانىّ على جُرجان وبعض أطراف طَبَرِستان ؛ وذلك فى جُمادى الآخرة منها ورجب .

وفيها دعا الحسن بن محمد بن جَعفر بن عبد الله بن حسن الأصغر العقيقىّ أهل طبرسْتان إلى البَيْعة له ؛ وذلك أنّ الحسن بن زيد عند شخوصه إلى جُرجان كان استخلفه بسارية ، فلمّا كان من أمر الخُجُستانىّ وأمر الحسن ما كان بجُرجان ، وهرب الحسن منها ، أظهر العقيقىّ بسارية أنّ الحسن قد أُسِرَ ؛ ودعا من قبَله إلى بيعته ، فبايعه قومٌ ، ووافاه الحسن بن زيد فحاربه ، ثمّ احتال له الحسن حتّى ظفر به فقتله .

١٩٤١/٣ وفيها نهب الخُجستانىّ أموالَ تجّار أهل جُرجان ؛ وأضرم النار فى البلد .

وفيها كانت وقعة بين الخُجُسْتانىّ وعمرو بن الليث ، علا فيها الخجستانىّ على عمرو وهزمه ، ودخل نيسابور ، فأخرج عامل عمرو بها عنها ، وقتل جماعة ممّا كان يميل إلى عمرو بها .

* * *

[ذكر الخبر عن الفتنة بين الجعفرية والعلوية]

وفيها كانت فتنة بالمدينة ونواحيها بين الجعفريّة والعَلويّة .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك :

وكان سببُ ذلك — فيما ذُكر — أنّ القيِّم بأمر المدينة ووادى القرى ونواحيها كان فى هذه السنة إسحاق بن محمد بن يوسف الجعفرىّ ، فولّى وادى القرى عاملاً من قبَله ، فوثَب أهلُ وادى القُرى على عامل إسحاق بن محمد ، فقتلوه ، وقتلوا أخوين لإسحاق ، فخرج إسحاق إلى وادى القُرى ، فمرض به ومات . فقام بأمر المدينة أخوه موسى بن محمد ، فخرج عليه الحسن بن موسى بن

جعفر ، فأرضاه بثمانمائة دينار . ثم خرج عليه أبو القاسم أحمد بن إسماعيل ابن الحسن بن زيد ، ابن عمّ الحسن بن زيد صاحب طبَرستان ؛ فقتل موسى ، وغلب على المدينة . وقدمها أحمد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد، فضبط المدينة ؛ وقد كان غلا بها السعر ، فوجّه إلى الجار ، وضمن للتجار أموالهم ، ورفع الجباية ؛ فرخُص السعر ، وسكنت المدينة ، فولّى السلطان الحسنىّ المدينة إلى أن قدمها ابنُ أبى الساج .

* * *

وفيها وثبت الأعراب على كُسوة الكعبة ، فانتهبوها ، وصار بعضُها إلى صاحب الزّنج ، وأصاب الحاجّ فيها شدّة شديدة .

١٩٤٢/٣ وفيها خرجت الرّوم إلى ديار ربيعة ، فاستنفر الناس ، فنفروا فى برد ووقت لا يمكنُ الناس فيه دخول الدّرب .

وفيها غزا سيما خليفة أحمد بن طولون على الثغور الشامية فى ثلثمائة رجل من أهل طَرَسُوس، فخرج عليهم العدوّ فى بلاد هرَقلة ، وهم نحو من أربعة آلاف ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتل المسلمون من العدوّ خلْقاً كثيراً ، وأصيب من المسلمين جماعة كثيرة .

وفيها كانت بين إسحاق بن كُنْداجيق وإسحاق بن أيوب وقْعة ، هزم فيها ابن كنداجيق إسحاق بن أيوب ، فألحقه بنصيبين ، وأخذ ما فى عسكره ، وقتل من أصحابه جماعة كثيرة ، وتبعه ابن كُنْداجيق ، وصار إلى نَصيبين ، فدخلها ، وهرب إسحاق بن أيوب منه ، واستنجد عليه عيسى ابن الشيخ وهو بآمِد وأبا المَغراء بن موسى بن زرارة ؛ وهو بأرْزَن ، فتظاهروا على ابن كُنْداجيق ، وبعث السلطان إلى ابن كُنْداجيق بخلع ولواء على الموصل وديار ربيعة وأرمينيَة مع يوسف بن يعقوب ، فخلع عليه ، فبعثوا يطلبون الصّلح ، ويبذلون له مالاً على أن يُقرّهم على أعمالهم مائتى ألف دينار .

وفيها وافى محمد بن أبى الساج مكة ، فحاربه ابن المخزومىّ ، فهزمه ابن

أبى الساج ، واستباح ماله ؛ وذلك يوم التَّروية من هذه السنة .

وفيها شخص كيغَلغ إلى الجبل،ورجع بكتمر إلى الدِّينور .

* * *

[ذكر خبر دخول أصحاب قائد الزنج رامهرمز]

وفيها دخل أصحاب قائد الزنج رَامَهُرْمُز .

٣/١٩٤٣ * ذكر الخبر عن سبب مصيرهم إليها :

قد ذكرنا قبلُ ما كان من أمر محمد بن عبيد الله الكردىّ وعلىّ بن أبان صاحب الخبيث ، حين تلاقَيا على صلْح منهما ، فذُكِر أنّ عليًّا كان قد احتجن على محمد ضِغْنًا فى نفسه ؛ لما كان فى سفره ذلك؛ وكان يرصده بشرّ، وقد عرف ذلك منه محمد بن عبيد الله ،وكان يروم النَّجاة منه ؛ فكاتبَ ابنَ الخبيث المعروف بأنكلاى ، وسأله مسألة الخبيث ضمّ ناحيته إليه لتزول يد علىّ منه ، وهاداه ، فزاد ذلك علىّ بن أبان عليه غيظًا وحنَقًا ؛ فكتب إلى الخبيث يعرّفه به ، ويصحّح عنده أنه مصرّ على غدرِه ، ويستأذنه فى الإيقاع به ، وأن يجعل الذّريعة إلى ذلك مسألته حمْل خراج ناحيته إليه ، فأذن له الخبيث فى ذلك ، فكتب علىّ إلى محمد بن عبيد الله فى حمْل المال ، فلواه به ، ودافعه عنه ، فاستعدّ له علىّ ، وسار إليه ، فأوقع برامهرمُز ، ومحمدُ بن عبيد الله يومئذ مقيمٌ بها ، فلم يكن لمحمد منه امتناع ، فهرب ودخل علىّ رامهرمُز ، فاستباحها ، ولحق محمد بن عبيد الله بأقصى معاقله من أرْبَقَ والبيلم ، وانصرف علىّ غانمًا ، وراع ما كان من ذلك من علىٍّ محمداً ، فكتب يطلب المسألة ، فأنهى ذلك علىّ إلى الخبيث ،فكتب إليه يأمره بقبول ذلك ، وإرهاق محمد بحمْل المال ، فحمل محمد بن عبيد الله مائتى ألف درهم ، فأنفذها علىّ ٣/١٩٤٤ إلى الخبيث ، وأمسك عن محمد بن عبيد الله وعن أعماله .

* * *

[ذكر الخبر عن وقعة أكراد داربان مع صاحب الزنج]

وفيها كانت وقعةٌ لأكراد الداربان مع زَنْج الخبيث ، هُزِموا فيها وفُلُّوا .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك :

ذُكر عن محمد بن عبيد الله بن أزارمَرْد أنه كتب إلى علىّ بن أبان بعد حمله إليه المالَ الذى ذكرنا مبلغه قبلُ ، وكفّ علىّ عنه وعن أعماله ، يسأله المعونة على جماعة من الأكراد كانوا بموضع يقال له الداربان ، على أن يجعل له ولأصحابه غنائمهم . فكتب علىّ إلى الخبيث يسأله الإذن له فى النهوض لذلك ، فكتب إليه أن وجّه الخليل بن أبان وبهبوذ بن عبد الوهاب ، وأقِمْ أنت ، ولا تنفُذ جيشك حتى تتوثّق من محمد بن عبيد الله برهائن تكون فى يدك منه ، تأمن بها من غدره فقد وترتَه ، وهو غير مأمون على الطلب بثأره . فكاتب علىّ محمّدَ بن عبيدالله بما أمره به الخبيث ، وسأله الرهائن ، فأعطاه محمد ابن عبد الله الأيمان والعهود ، ودافعه على الرهائن . فدعا عليًّا الحِرْصُ على الغنائم التى أطمعه فيها محمد بن عبيد الله إلى أن أنفذ الجيش ، فساروا ومعهم رجال محمد بن عبيد الله ؛ حتى وافوا الموضع الذى قصدوا له ، فخرج إليهم أهله ، ونشبت الحرب ، فظهر الزّنج فى ابتداء الأمر على الأكراد ، ثم صدّقهم الأكراد ، وخذلهم أصحاب محمد بن عبيد الله ، فتصدّعوا وانهزموا مفلولين مقهورين ؛ وقد كان محمد بن عبيد الله أعدّ لهم قومًا أمرهم بمعارضتهم إذا انهزموا ، فعارضوهم وأوقعوا بهم ، ونالوا منهم أسلابًا ، وأرجلوا[1] طائفة منهم عن دوابّهم فأخذوها ، فرجعوا بأسوإ حال ، فكتب المهلبىّ إلى الخبيث بما نال أصحابه . فكتب إليه يعنّفه ، ويقول : قد كنتُ تقدّمت إليك ألاّ تركن إلى محمد ابن عبيد الله ، وأن تجعل الوثيقة بينك وبينه الرّهائن ، فتركتَ أمرى ، واتبعتَ هواك ، فذاك الذى أردَاك وأردى جيشك . ١٩٤٥/٣

وكتب الخبيث إلى محمد بن عبيد الله ، أنه لم يخف علىّ تدبيرُك على جيش علىّ بن أبان ، ولن تعدم الجزاء على ما كان منك .

فارتاع محمد بن عبيد الله مما ورد به عليه كتاب الخبيث ، وكتب إليه بالتضرّع والخضوع ، ووجّه بما كان أصحابه أصابوا من خيل أصحاب علىّ

(١) س : « أرحلوا » .

حيث عورضوا وهم منهزمون ، فقال : إنى صرتُ بجميع مَنْ معى إلى هؤلاء القوم الذين أوقعوا بالخليل وبَهْبُوذ، فتوعّدتهم وأخفتهم، حتى ارتجعت هذه الخيل منهم ، ووجّهت بها . فأظهر الخبيث غضباً ، وكتب إليه يتهدده بجيش كثيف يرميه به ، فأعاد محمد الكتاب بالتضرّع والاستكانة ، فأرسل إلى بَهْبُوذ، فضمن له مالاً ، وضمن لمحمد بن يحيى الكِرمانىّ مثل ذلك ، ومحمد بن يحيى يومئذ الغالب على علىّ بن أبان ، والمصرّف له برأيه ، فصار بَهْبُوذ إلى علىّ بن أبان ، وظاهره محمد بن يحيى الكِرْمانىّ على أمره حتى أصلحا رأى علىّ فى محمد بن عبيد الله وسلاّما فى قلبه من الغَيْظ والحَنَق عليه ، ثم مضيا إلى الخبيث . ووافق ذلك ورودُ كتاب محمد بن عبيد الله عليه ، فصوّبا وصعّدا حتى أظهر لهما الخبيث قبولَ قولهما ، والرجوعَ لمحمد بن عبيد الله إلى ما أحبّ ، وقال : لست قابلاً منه بعد هذا إلا أن يَخطب لى على منابر أعماله . ١٩٤٦/٣

فانصرف بَهْبُوذ والكرمانىّ بمافارقهما عليه الخبيث، وكتبا به إلى محمد ابن عبيد الله ، فأصدر جوابه إلى كلّ ما أراده الخبيث ، وجعل يُراوغ عن الدّعاء له على المنابر . وأقام علىّ بعد هذا مدّة ، ثم استعدّ لمَتّوث ، وسار إليها ؛ فرامها فلم يطقها لحصانتها وكثرة مَنْ يدافع عنها من أهلها ، فرجع خائباً ، فاتّخذ سلاليم وآلات ليرقى بها السور ، وجمع أصحابه واستعدّ . وقدكان مسرور البلخىّ عرف قصدَ علىّ مَتُّوث، وهو يومئذ مقيمٌ بكُور الأهواز . فلما عاود المسيرَ إليها ، سار إليه مسرور ، فوافاه قبيل غروب الشمس ، وهو مقيم عليها؛ فلما عاين أصحاب علىّ أوائل خيل مسرور ، انهزموا أقبحَ هزيمة ، وتركوا جميع آلاتهم التى كانوا حملوها ، وقتِل منهم جمع كثير ،وانصرف علىّ بن أبان مدحوراً ، ولم يلبث بعد ذلك إلاّ يسيرا حتى تتابعت الأخبار بإقبال أبى أحمد ، ثم لم يكن لعلىّ بعد رجوعه من متُّوث وقعة حتى فتحت سوق الخميس وطهيثا على أبى أحمد ، فانصرف بكتاب ورد عليه من الخبيث يحفزه فيه حفزاً شديداً بالمصير إلى عسكره . ١٩٤٧/٣

* * *

وحجّ بالناس فيها هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى الهاشمى الكوفىّ .

ثم دخلت سنة سبع وستين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك حبس السلطان محمد بن طاهر بن عبد الله وعدّة من أهل بيته بعقب هزيمة أحمد بن عبد الله الخُجُستانيّ عمرو بن الليث وتهمة عمرو بن الليث محمد بن طاهر بمكاتبة الخُجُسْتانيّ والحسين بن طاهر، ودعا الحسين والخجستانيّ لمحمد بن طاهر على منابر خراسان.

* * *

[ذكر خبر غلبة أبي العباس بن الموفق على سليمان بن جامع]

وفيها غلب أبو العباس بن الموفّق على عامة ما كان سليمان بن جامع صاحب قائد الزنج غلب عليه من قرى كور دجلة كَعَبَنْدَسِي ونحوها.

* ذكر الخبر عن سبب غلبة أبي العباس على ذلك، وما كان من أمره وأمر الزّنج في تلك الناحية :

ذكر محمد بن الحسن أنّ محمد بن حماد حدّثه أن الزّنج لمّا دخلوا واسطاً وكان منهم بها ما قد ذكرناه قبلُ، واتّصل الخبر بذلك إلى أبي أحمد بن المتوكل ندب ابنَه أبا العباس للشخوص إلى ناحية واسط لحرب الزّنج، فخفّ لذلك أبو العباس. فلما حضر خروج أبي العباس ركب أبو أحمد إلى بستان موسى الهادي في شهر ربيع الآخر سنة ست وستين ومائتين، فعرض أصحاب أبي العباس، ووقف على عدّتهم؛ فكان جميع الفرسان والرّجّالة عشرة آلاف رجل في أحسن زِيّ وأجمل هيئة وأكمل عِدّة، ومعهم الشَّذا والسُّمَيريّات والمعابر للرجّالة؛ كل ذلك قد أحكمت صنعته. فنهض أبو العباس من بستان الهادي، وركب أبو أحمد مشيِّعًا له حتى نزل الفِرْك، ثم انصرف. وأقام أبو العباس بالفِرْك أيامًا، حتى تكاملت عُدده، وتلاحق أصحابه، ١٩٤٨/٣

ثم رحل إلى المدائن ، وأقام بها أيضًا ، ثم رحل إلى دير العاقول .

قال محمد بن حمّاد : فحدّثني أخي إسحاق بن حماد وإبراهيم بن محمد ابن إسماعيل الهاشميّ المعروف ببُريه ، ومحمد بن شعيب الاشتيام ، فى جماعة كثيرة ممن صحب أبا العباس فى سفره – دخل حديث بعضهم فى حديث بعض – قالوا : لمّا نزل أبو العباس دير العاقول ، ورد عليه كتاب نُصير المعروف بأبى حمزة صاحب الشذّا والسمَيريّات ، وقد كان أمضاه على مقدّمته ، يعلمه فيه أن سليمان بن جامع قد وافى فى خيل ورجّالة وشذوات وسميريّات ، والجبائىّ يقدمه ، حتى نزل الجزيرة التى بحضرة بردودا ، وأن سليمان بن موسى الشعرانىّ قد وافى نهر أبان برجّالة وفرسان وسُميريّات ، فرحل أبو العباس حتى وافى جرجرايا ، ثم فم الصِّلْح ، ثم ركب الظهر ، فسار حتى وافى الصِّلح ، ووجّه[1] طلائعه ليعرف الخبر ، فأتاه منهم مَنْ أخبره بموافاة القوم وجمعهم وجيشهم ، وأن أولهم بالصِّلح وآخرهم ببستان موسى بن بغا ، أسفلَ واسط . فلما عرف ذلك عدل عن سَنَن الطريق ، واعترض فى مسيره ، ولقى أصحابه أوائل القوم ؛ فتطاردوا لهم حتى طمعوا واغترّوا ، فأمعنوا فى إتباعهم ، وجعلوا يقولون لهم : اطلبوا أميرًا للحرب ؛ فإنّ أميركم قد شغَل نفسه بالصيد . فلمّا قَرُبوا من أبى العباس بالصِّلْح ، خرج عليهم فيمن معه من الخيل والرَّجْل ، وأمر فصيح بنُصير : إلى أين تتأخر عن هؤلاء الأكلب ! ارجع إليهم ؛ فرجع نُصير إليهم .

٣/١٩٤٩

وركب أبو العباس سُميريّة ، ومعه محمد بن شعيب الاشتيام ، وحفّ بهم أصحابه من جميع جهاتهم ، فانهزموا ، ومنح الله أبا العباس وأصحابه أكتافهم ؛ يقتلونهم ويطردونهم ؛ حتى وافَوْا قرية عبد الله ؛ وهى على ستة فراسخ من الموضع الذى لقوهم فيه ، وأخذوا منهم خمس شَذَوات وعدّة سُميريّات ، واستأمن منهم قوم ، وأسر منهم أسرى ، وغرق ما أدرك من سفنهم ؛ فكان ذلك أوّلَ الفتح على العباس بن أبى أحمد .

---

(١) س : « ثم وجه » .

ولما انقضت[1] الحربُ فى هذا اليوم ، أشار على أبى العباس قوّاده وأولياؤه ، أن يجعل معسكَرَهُ بالموضع الذى كان انتهى إليه من الصِّلح ؛ إشفاقًا عليه من مقاربة القوم ، فأبى إلاّ نُزُول واسط .

ولما انهزم سليمان بن جامع ومَنْ معه ، وضرب اللهُ وجوهَهم ، انهزم سليمان بن موسى الشعرانىّ عن نهر أبان ؛ حتى وافى سوق الخميس ، ولحق سليمان بن جامع بنهر الأمير ؛ وقد كان القوم حين لقوا أبا العباس أجالُوا الرّأى بينهم ، فقالوا : هذا فتًى حَدَثٌ ؛ لم تطل ممارسته الحروب[2] وتدرّبه بها ، فالرّأى لنا أن نرميَه بحدّنا كلِّه ، ونجتهد فى أوّل لقية نلقاه فى إزالته ؛ فلعلّ ذلك أن يروعه ، فيكون سبباً لانصرافه عنا . ففعلوا ذلك ، وحشدوا واجتهدوا ، فأوقع الله بهم بأسَه ونقمته . وركب أبو العباس من غدِ يوم الوقعة ، حتى دخل واسطاً فى أحسن زىّ ، وكان يوم جُمعة ، فأقام حتى صلى بها صلاة الجمعة ، واستأمن إليه خلق كثير ، ثم انحدر إلى العُمْر — وهو على فرسخ من واسط — فقدّم فيه عسكره ، وقال : أجعل معسكرى أسفلَ واسط ، ليأمن مَنْ فوقه الزّنج . وقد كان نُصير المعروف بأبى حمزة والشاه بن ميكال أشارا عليه أن يجعل مُقامه فوق واسط . فامتنع من ذلك ، وقال لهما : لست نازلاً إلا العُمْر ؛ فانزلا أنتما فى فُوّهة بردودا . وأعرض أبو العباس عن مشاورة أصحابه واستماع شىء من آرائهم ؛ فنزل العُمر ، وأخذ فى بناء الشَّذَوات ، وجعل يراوح القوم القتال ويغاديهم ؛ وقد رتّب خاصّة غلمانه فى سُميريّات فجعل فى كلّ سميريّة اثنين منهم . ثم إن سليمان استعدّ وحشد وجمع وفرّق أصحابه فجعلهم فى ثلاثة أوجه : فرقة أتت من نهر أبان ، وفرقة من برتمرتا ، وفرقة من بردودا ، فلقيَهم أبو العباس ؛ فلم يلبثوا أن انهزموا ، فخلفت طائفة منهم بسوق الخميس وطائفة بمازروان ، وأخذ قوم منهم فى برّتمرتا وآخرون أخذوا الماديان ، وقوم منهم اعتصموا للقوم الذين سلكوا الماديان ؛ فلم يرجع عنهم حتى وافى نهر بَرْمساور ، ثم انصرف ، فجعل يقف على القُرى والمسالك ، ومعه الأدلاّء ؛ حتى وافَى عسكره ، فأقام به مريحاً نفسه وأصحابه . ثم أتاه مخبرٌ فأخبره أنّ

٣/١٩٠٠

٣/١٩٠١

(١) ب : « انفضت » . (٢) س : « الحرب » .

الزّنج قد جمعوا واستعدّوا لكبس عسكره ، وأنهم على إتيان عسكره من ثلاثة أوجه ، وأنهم قالوا : إنه حدَثٌ غِرٌّ يغرّ بنفسه ، وأجمع رأيهم على تكمين الكُمناء والمصير إليه من الجهات الثلاث التي ذكرنا ، فحذر لذلك ، واستعدّ له ، وأقبلوا إليه وقد كمنوا زُهاء عشرة آلاف في برتـمرتا ونحوًا من هذه العدّة في قُسّ‌هثا . وقدّموا عشرين سُميريّة إلى العسكر ليغترّ بها أهلُه ، ويجيزوا المواضع التي فيها كمناؤهم ؛ فمنع أبو العباس الناس من اتباعهم ؛ فلما علموا أن كيدهم لم ينفذ ، خرج الجُبّائيّ وسليمان في الشّذَوات والسميريّات ، وقد كان أبو العباس أحسن تعبئة أصحابه ، فأمر نصيرًا المعروف بأبي حمزة أن يبرز للقوم في شذواته ، ونزل أبو العباس عن فرس كان ركبه ، ودعا بشذاة من شذَواته قد كان سماها الغزال ، وأمر اشتيامه محمد بن شعيب باختيار الجذّافين لهذه الشذاة ، وركبها ، واختار من خاصّة أصحابه وغلمانه جماعة دفع إليهم الرّماح ، وأمر أصحاب الخيل بالمسير بإزائه على شاطئ النهر ، وقال لهم :

١٩٥٢/٣ لا تدعوا المسير ما أمكنكم إلى أن تقطعكم الأنهار ، وأمر بتعبير بعض الدوابّ التي كانت ببردودا ، ونشبت الحرب بين الفريقين ؛ فكانت معركة القتال من حدّ قرية الرمل إلى الرّصافة ؛ فكانت الهزيمة على الزّنج ، وحاز أصحاب أبي العباس أربع عشرة شذَاة ، وأفلت سليمان والجبّائي في ذلك اليوم بعد أن أشفيا على الهلاك راجلين ، وأخذت دوابّهما بحلاها وآلتها ، ومضى الجيش أجمع لا ينثني أحد منهم حتى وافوا طهيثا ، وأسلموا ما كان معهم من أثاث وآلة ، ورجع أبو العباس ، وأقام بمعسكره في العمر ، وأمر بإصلاح ما أخذ منهم من الشّذا والسميريّات وترتيب الرجال فيها ، وأقام الزّنج بعد ذلك عشرين يومًا ؛ لا يظهر منهم أحد . وكان الجبائيّ يجيء في الطلائع في كلّ ثلاثة أيام وينصرف ، وحفر آبارًا فوق نهر سِنْداد ، وصيّر فيها سفافيد حديد ، وغشّاها بالبواريّ ، وأخفى مواضعها ، وجعلها على سَنَن مسير الخيل ليتهوّر فيها المجتازون بها ؛ وكان يوافي طرف العسكر متعرّضًا لأهله ، فتخرج الخيل طالبةً له ، فجاء في بعض أيامه ، وطلبته الخيل كما كانت تطلبه ، فقطر فرس رجل من قوّاد الفراغنة في بعض تلك الآبار ، فوقف أصحاب أبي العباس بما ناله من

ذلك على ما دبّر الجُبّائىّ ، فحذروا ذلك ، وتنكّبوا سلوك ذلك الطريق ، وألحّ الزّنج فى مغاداة العسكر فى كلّ يوم للحرب ، وعسكروا بنهر الأمير فى جمع كثير ؛ فلمّا لم يجد ذلك عليهم أمسكوا عن الحرب قَدْر شهر . ٣/١٩٠٣

وكتب سليمان إلى صاحب الزّنج يسأله إمداده بسُميريّات ؛ لكلّ واحدة منهنّ أربعون مجدافًا ، فوافاه من ذلك فى مقدار عشرين يوماً أربعون سُميريّة ، فى كل سُميريّة مقاتلان ، ومع ملاحيها السيوف والرماح والتّراس ، وجعل الجُبّائىّ موقفه حيال عسكر أبى العباس ، وعاودُوا التعرّض للحرب فى كلّ يوم ؛ فإذا خرج إليهم أصحاب أبى العباس انهزموا عنهم ، ولم يثبتوا لهم ؛ وخلال ذلك ما تأتى طلائعهم ، فتقطع القناطر ، وترمى ما ظهر لها من الخيل بالنّشاب ، وتضرم ما وجدت فى النوبة من المراكب التى مع نصير بالنار ؛ فكانوا كذلك قدر شهرين .

ثم رأى أبو العباس أن يكمّن لهم كمينًا فى قرية الرمل ، ففعل ذلك ، وقدّم لهم سُميريّات أمام الجيش ليطمعوا فيها ، وأمر أبو العباس فأعِدّت له سُميريّة ولزيرك سميريّة وحمل جماعة من غلمانه الذين اختارهم ، وعرفهم بالنجدة فى السميريّات ، فحمل بدراً ومؤنساً فى سُميريّة ورشيقاً الحجّاجىّ ويُمْناً فى سميريّة وخَفيفاً ويُسراً فى سميريّة ، ونذيراً ووصيفاً فى سُميريّة ؛ وأعدّ خمس عشرة سُميريّة ، وجعل فى كلّ سميريّة مقاتلين ، وجعلها أمام الجيش .

* * *

قال محمد بن شعيب الاشتيام : وكنتُ فيمن تقدّم يومئذ ، فأخذ الزّنج من السميريّات المتقدّمة عدّة ، وأسروا أسرى ، فانطلقتُ مسرعًا ، فناديتُ بصوت عال : قد أخذ القوم سُميريّاتنا . فسمع أبو العباس صوتى وهو يتغدّى ، فنهض إلى سُميريّته التى كانت أعدّت له ؛ وتقدّم العسكر ، ولم ينتظر لحاق أصحابه ، فتبعه منهم من خفّ لذلك . ٣/١٩٠٤

قال : فأدركنا الزّنج ، فلمّا رأونا قذف الله الرّعب فى قلوبهم ، فألقوا

أنفسهم فى الماء ، وانهزموا فتخلّصنا[1] أصحابنا ، وحوينا يومئذ إحدى وثلاثين سُميرِيّة من سُميْريّات الزنج ، وأفلت الجبائىّ فى ثلاث سُميريّات ، ورمى أبو العباس يومئذ عن قوس كانت فى يده حتى دميت إبهامه ؛ فانصرف ؛ ولو أنا جددنا فى طلب الجبائىّ فى ذلك اليوم ظننتُ أنا أدركناه ، فمنعنا من ذلك شدّة اللغوب . ورجع أبو العباس وأكثر أصحابه بمواضعهم من فُوّهة بردودا لم يُرْمَ أحد منهم ؛ فلمّا وافى عسكره أمر لمن كان صحبه بالأطواق والخِلَع والأسورة ، وأمر بإصلاح السميريّات المأخوذة من الزّنج ، وأمر أبا حمزة أن يجعل مقامه بما معه من الشَّذا فى دِجْلة بحذاء خُسْرُسابور .

ثم إنّ أبا العباس رأى أن يتوغّل فى مازروان حتى يصير إلى القرية المعروفة بالحجّاجيّة ، وينتهى إلى نهر الأمير ، ويقف على تلك المواضع ، ويتعرّف الطرق التى تجتاز فيها سُميريّات الزّنج ، وأمر نصيراً فقدّمه بما معه من الشَّذا والسميريّات ، فسار نصير لذلك ؛ فترك طريق مازروان ، وقصد ناحية نهر الأمير ، فدعا أبو العباس سُميريّته ، فركبها ومعه محمد بن شعيب ، ودخل مازروان وهو يرى أن نصيراً أمامه ، وقال لمحمد : قدّمنى فى النهر لأعرف خبر نُصير . وأمر الشذا والسميريّات بالمصير خلفه .

١٩٥٥/٣ قال محمد بن شعيب : فمضينا حتى قاربنا الحجّاجية ، فعرضت لنا فى النهر صلْغة[2] فيها عشرة زنوج ؛ فأسرعنا إليها ، فألقى الزّنوج أنفسهم فى الماء ، وصارت الصلغة فى أيدينا ، فإذا هى مملوءة شعيراً ، وأدركنا فيها زنجيًّا فأخذناه ، فسألناه عن خبر نصير وشذواته فقال : ما دخل هذا النهر شىء من الشَّذا والسُّميريّات . فأصابتنا حيرة ، وذهب الزنج الذين أفلتوا من أيدينا فأعلموا أصحابهم بمكاننا ، وعرض للملاحين الذين كانوا معنا غنمٌ فخرجوا لانتهابها .

قال محمد بن شعيب : وبقيتُ مع أبى العباس وحدى ، فلم نلبث أن وافانا قائد من قوّاد الزنج ، يقال له مُنتاب ، فى جماعة من الزّنج من أحد جانبى

---

(١) يقال : خلصته من كذا ، أى نجيته ، مثل تخلصته .

(٢) الصلغة : السفينة الكبيرة .

النهر ، ووافانا من الجانب الآخر عشرة من الزّنج ، فلمّا رأينا ذلك خرج أبو العباس ، ومعه قوسه وأسهمه ، وخرجتُ برمح كان فى يدى ، وجعلتُ أحميه بالرّمح وهو يرمى الزّنج ، فجرح منهم زنجيّين ، وجعلوا يثوبون ويكثرون ، وأدركنا زيرك فى الشّذا ومعه الغلمان ؛ وقد كان أحاط بنا زُهاء ألفى زنجىّ من جانبى مازروان ، وكفى الله أمرهم ، وردّهم بذلّة وصَغار ، ورجع أبو العباس إلى عسكره ، وقد غنم أصحابه من الغنم والبقر والجواميس شيئًا كثيراً ، وأمر أبو العباس بثلاثة من الملاّحين الذين كانوا معه ، فتركوه[1] لانتهاب الغنم ، فضربت أعناقهم ، وأمر لمن بقى بالأرزاق لشهر ، وأمر بالنداء فى الملاّحين ألاّ يبرح أحدٌ من السميريّات فى وقت الحرب ؛ فمن فعل ذلك فقد حلّ دمه. ١٩٥٦/٣

وانهزم الزّنج أجمعون حتى لحقوا بطَهيثا ، وأقام أبو العباس بمعسكره فى العُمر ، وقد بثّ طلائعه فى جميع النواحى . فمكث بذلك حيناً ، وجمع سليمان بن جامع عسكره وأصحابه ، وتحصّن بطهيثا ، وفعل الشعرانىّ مثل ذلك بسوق الخميس ؛ وكان بالصِّينيّة لهم جيش كثيف أيضاً ، يقود أهله رجل منهم يقال له نصر السِّندىّ ، وجعلوا يُخربون كلّ ما وجدوا إلى إخرابه سبيلا ، ويحملون ما قدروا على حمله من الغلاّت ، ويعمرون مواضعهم التى هم مقيمون بها . فوجّه أبو العباس جماعة من قوّاده ، منهم الشاه وكُمُشْجُور والفضل بن موسى بن بغا ، وأخوه محمد على الخيل إلى ناحية الصِّينيّة ، وركب أبو العباس ومعه نصير وزيرك فى الشّذا والسميريّات ، وأمر بخيل فعبرَ بها من بَرْمساور إلى طريق الظهر .

وسار الجيش حتى صار إلى الهُرْث ، فأمر أبو العباس بتعبير الدوابّ إلى الهُرْث ، فعبرت ، فصارتْ إلى الجانب الغربىّ من دِجْلة ، وأمَر بأن يُسلك بها طريق دير العمال . فلما أبصر الزّنج الخيل دخلتهم منها رهبة شديدة ، فلجئوا إلى الماء والسفن ، ولم يلبثوا أن وافتهم الشّذا والسميريّات ، فلم يجدوا ملجأ واستسلموا ، فقتِل منهم فريق ، وأسِر فريق ، وألقى بعضهم نفسه فى الماء . فأخذ أصحاب أبى العباس سفنهم ؛ وهى مملوءة أرزًّا ، فصارت فى ١٩٥٧/٣

---

(١) س : « تركوه وخرجوا » .

أيديهم ، وأخذوا سُميريّة رئيسهم المعروف بنصر السندىّ ، وانهزم الباقون ، فصارت طائفة منهم إلى طَهيثا وطائفة إلى سوق الخميس ، ورجع أبو العباس غانمًا إلى عسكره ، وقد فتح الصينيّة وأجلى الزّنج عنها .

قال محمد بن شعيب : وبينا نحن فى حرب الزّنج بالصينيّة إذ عرض لأبى العباس كُرْكىّ طائر ، فرماه بسهم ، فشكّه فسقط بين أيدى الزّنج ، فأخذوه ، فلما رأوا موضع السهم منه ، وعلموا أنه سهم أبى العباس زاد ذلك فى رعبهم ؛ فكان سببًا لانهزامهم يومئذ .

وقد ذُكر عمن لا يتّهم أن خبر السهم الذى رمى به أبو العباس الكُرْكىّ فى غير هذا اليوم ، وانتهى إلى أبى العباس أنّ بِعَبْدَسِى جيشًا عظيمًا يرأسهم ثابت بن أبى دلف ولؤلؤ الزنجيّان ، فصار أبو العباس إلى عَبْدَسى قاصدًا للإيقاع بهما ومَنْ معهما فى خيل جريدة ، قد انتخبت من جُلد غلمانه وحماة أصحابه ، فوافى الموضع الذى فيه جمعهم فى السَّحَر ، فأوقع بهم وقعة غليظة ، قُتل فيها من أبطالهم ، وجُلد من رجالهم خلق كثير ، وانهزموا . وظفر أبو العباس برئيسهم ثابت بن أبى دلف ، فمنّ عليه واستبقاه ، وضمّه إلى بعض قوّاده ، وأصاب لؤلؤًا سهم فهلك منه ، واستنقذ يومئذ من النساء اللواتى كنّ فى أيدى الزّنْج خلق كثير ، فأمر أبو العباس بإطلاقهنّ وردّهن إلى أهلهنّ ، وأخذ كلّ ما كان الزنج جمعوه . ١٩٥٨/٣

ثم رجع أبو العباس إلى معسكره ، فأمر أصحابه أن يُريحوا أنفسَهم ليسير بهم إلى سوق الخميس ، ودعا نصيرًا فأمره بتعبئة أصحابه للمسير إليها ، فقال له نصير : إنّ نهر سوق الخميس ضيّق ، فأقم أنت وائذن لى فى المسير[1] إليه حتى أعاينه ، فأبى أن يدَعه حتى يعاينه ، ويقف على علم مايحتاج إليه منه قبل موافاة أبيه أبى أحمد ؛ وذلك عند ورود كتاب أبى أحمد عليه بعزمه على الانحدار .

* * *

(١) س : « لنا فى المصير » .

قال محمد بن شعيب : فدعانى أبو العباس ، فقال لى : إنه لا بدّ لى من دخول سوق الخميس ، فقلت : إن كنتَ لا بدّ فاعلا ما تذكر فلا تكثر عدد مَنْ تحمل معك فى الشّذَا ، ولا تزد على ثلاثة عشر غلاماً عشرة رماة وثلاثة فى أيديهم الرماح ؛ فإنى أكره الكثرة فى الشّذَا مع ضيق النهر ، فاستعدّ أبو العباس لذلك ، وسار إليه ونُصير بين يديه حتى وافى فم بَرْمساور ، فقال له نُصير : قدّمنى أمامك ، ففعل ذلك ، فدخل نُصير فى خمس عشرة شَذَاة. واستأذنه رجل من قوّاد الموالى يقال له موسى دالجويه فى التقدّم بين يديه ، فأذن له ، فسار وسار أبو العباس حتى انتهى به مسيره إلى بَسَامى ، ثم إلى فوّهة براطق ونهر الرّق والنهر الذى ينفذ إلى رواطا وعَبْدَسِى ؛ وهذه الأنهار الثلاثة تؤدّى إلى ثلاث طرق مفترقة ، فأخذ نصير فى طريق نهر براطق وهو النهر المؤدى إلى مدينة سليمان بن موسى الشعرانىّ التى سمّاها المنيعة بسوق الخميس . وأقام أبو العباس على فُوّهة هذا النهر ، وغاب عنه نُصَير حتى خفىَ عنه خبره. وخرج علينا فى ذلك الموضع من الزّنج خلق كثير ، فمنعونا من دخول النهر ، وحالوا بيننا وبين الانتهاء إلى السور — وبين هذا الموضع الذى انتهينا إليه والسور المحيط بمدينة الشعرانىّ مقدار فرسخين — فأقاموا هناك يحاربوننا ، واشتدّت الحرب بيننا وبينهم وهم على الأرض ؛ ونحن فى السفن من أوّل النهار إلى وقت الظهر ، وخفىَ علينا خبرُ نُصَير ، وجعل الزّنج يهتفون بنا : قد أخذنا نُصيراً فماذا تصنعون ؟ ونحن تابعوكم حيثما ذهبتم . فاغتمّ أبو العباس لما سمع منهم هذا القول ، فأستأذنه محمد بن شعيب فى المسير ليتعرّف خبر نصير ، فأذن له ، فمضى فى سُميريّة بعشرين جذّافاً حتى وافى نصيراً أبا حمزة ، وقد قرب من سَكْر كان الفسقة سكروه ، ووجده قد أضرم النار فيه وفى مدينتهم ، وحارب حرباً شديداً ورزق الظفر بهم ، وكان الزّنج ظفروا ببعض شذوات أبى حمزة ، فقاتل حتى انتزع ما كانوا أخذوا من أيديهم ، فرجع محمد بن شعيب إلى أبى العباس ، فبشره بسلامة نصير ومَنْ معه ، وأخبره خبره . فسرّ بذلك وأسَرَ نصير يومئذ من الزنج جماعة كثيرة ، ورجع حتى وافى أبا العباس بالموضع الذى كان واقفاً به. فلمّا رجع نصير قال أبو العباس : لستُ زائلا عن موضعى

٣/١٩٥٩
٣/١٩٦٠

هذا حتى أراوحهم القتال فى عشىّ هذا اليوم ؛ ففعل ذلك ، وأمر بإظهار شذاة واحدة من الشذوات التى كانت معه لهم ، وأخفى باقيها عنهم ، فطمعوا فى الشذاة التى رأوها ، فتبعوها ، وجعل مَنْ كان فيها يسيرون سيراً ضعيفاً حتى أدركوها ، فعلقوا بسكانها ، وجعل الملاحون يسيرون حتى وافَوا المكان الذى كانت فيه الشذوات المكمّنة .

وقد كان أبو العباس ركب سُميريّة ، وجعل الشذا خلفه ، فسار نحو الشذاة التى علق بها الزّنج لما أبصرها ، فأدركها ، والزّنج ممسكون بسُكّانها يحيطون بها من جوانبها ، يرمون بالنُّشاب والآجرّ ، وعلى أبى العباس كيز تحته درع .

قال محمد : فنزعنا يومئذ من كيز أبى العباس خمساً وعشرين نُشابة ، ونزعتُ من لُبّادة كانت علىّ أربعين نشابة ، ومن لبابيد سائر الملاحين الخمس والعشرين والثلاثين . وأظفر الله أبا العباس بستّ سُميريّات من سُميريّات الزّنج ، وتخلص الشذا من أيديهم ، وانهزموا ، ومال أبو العباس وأصحابه نحو الشّط ، وخرج من الزّنج المقاتلة بالسيوف والتّراس ، فانهزموا لا يلوون على شىء للرهبة التى وصلت إلى قلوبهم ، ورجع أبو العباس سالماً غانماً ، فخلع على الملاّحين ووصلهم ، ثم صار إلى معسكره بالعُمر ، فأقام به إلى أن وافى الموفّق .

* * *

٣/١٩٦١

ولإحدى عشرة ليلةً خلت من صفر منها ، عسكر أبو أحمد بن المتوكل بالفِرْك ، وخرج من مدينة السلام يريد الشخوص إلى صاحب الزّنْج لحربه ؛ وذلك أنه — فيما ذكر — كان اتّصل به أنّ صاحب الزنج كتب إلى صاحبه علىّ ابن أبان المهلبىّ يأمره بالمصير بجميع من معه إلى ناحية سليمان بن جامع ، ليجتمعا على حرب أبى العباس بن أبى أحمد ، وأقام أبو أحمد بالفِرْك أياماً ؛ حتى تلاحق به أصحابه ومَنْ أراد النهوض به إليه ، وقد أعدّ قبل ذلك الشذا والسُّميريّات والمعابر والسفن ، ثم رحَل من الفِرْك — فيما ذكر — يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول فى مواليه وغلمانه وفرسانه ورجّالته فصار إلى رومية المدائن ، ثم صار منها ، فنزل السِّيب ثم دَيْر العاقول ثم جَرْجَرَايا ، ثم قُنّى ، ثم نزل جَبُّل ، ثم نزل الصِّلح ، ثم نزل على فرسخ من واسط ، فأقام

هنالك يومه وليلته، فتلقّاه ابنه أبو العبّاس به فى جريدة خيل فيها وجوه قوّاده وجنده ، فسأله أبو أحمد عن خبر أصحابه ، فوصف له بلاءهم ونصحهم ، فأمر أبو أحمد له ولهم بخِلَع فخُلِعت عليهم ، وانصرف أبو العباس إلى معسكره بالعُمْر، فأقام يومه . فلمّا كانت صبيحة الغد رحل أبو أحمد منحدراً فى الماء، وتلقّاه ابنه أبو العباس بجميع مَنْ معه من الجند فى هيئة الحرب والزّىّ الذى كانوا يلقوْن به أصحاب الخائن ، فجعل يسير أمامه حتى وافى عسكره بالنهر المعروف بشيرزاد ؛ فنزل به أبو أحمد ، ثم رحل منه يوم الخميس لليلتين بقيتا من شهر ربيع الأول ؛ فنزل على النهر المعروف بِسِنْداد بإزاء القرية المعروفة بعبد الله ، وأمر ابنه أبا العباس ، فنزل شرقىّ دجْلة بإزاء فُوّهة بردودا ، وولاّه مقدّمته ، ووضع العطاء فأعطى الجيش ، ثم أمر ابنه بالمسير أمامه بما معه من آلة الحرب إلى فُوّهة بَرْمساور . فرحل أبو العباس فى المختارين من قواده ورجاله ، منهم زِيرك التّركىّ صاحب مقدّمته ، ونُصَير المعروف بأبى حمزة صاحب الشّذا والسّميريّات . ١٩٦٢/٣

ورحل أبو أحمد بعد ذلك فى الفرسان والرجّالة المنتخبين ، وخلّف سواد عسكره وكثيراً من الفرسان والرّجالة بمعسكره ؛ فتلقّاه ابنه أبو العباس بأسرى ورءوس وقتلى قتلهم من أصحاب الشعرانىّ ؛ وذلك أنه وافى عسكره الشعرانىّ فى ذلك اليوم قبل مجىء أبيه أبى أحمد ؛ فأوقع به وأصحابه ؛ فقتل منهم مقتلةً عظيمة ، وأسر منهم جماعة ؛ فأمر أبو أحمد بضرب أعناق الأسرى فضُربت ، ونزل أبو أحمد فوّهة بَرْمساور ، وأقام به يومين ، ثم رحل يريد المدينة التى سمّاها صاحب الزّنج المنيعةَ من سوق الخميس فى يوم الثلاثاء لثمانى ليال خلوْن من شهر ربيع الآخر من هذه السنة بمن معه من الجيش وما معه من آلة الحرب ، وسلك فى السفن فى برمساور ، وجعلت الخيل تسير بإزائه شرقىّ برمساور ، حتى حاذى النهر(١) المعروف ببراطق الذى يوصل إلى مدينة الشعرانىّ .

١٩٦٣/٣ وإنما بدأ أبو أحمد بحرب سليمان بن موسى الشعرانىّ قبل حرب سليمان بن جامع من أجل أن الشعرانىّ كان وراءه ، فخاف إن بدأ بابن جامع أن يأتيه

(١) ابن الأثير : « جاوزوا » .

الشعرانيّ من ورائه ، ويشغله عمّن هو أمامه ؛ فقصده من أجل ذلك ؛ وأمر بتعبير الخيل وتصبيرها على جانبي النهر المعروف ببراطق ، وأمر ابنه أبا العباس بالتقدّم فى الشذا والسُّميريّات ، وأتبعه أبو أحمد فى الشّذا بعامّة الجيش . فلمّا بصر سليمان ومَنْ معه من الزّنج وغيرهم بقصد الخيل والرجّالة سائرين على جنبتى النهر ومسير الشذا والسميريّات فى النهر ، وقد لقيهم أبو العباس قبل ذلك ، فحاربوه حربًا ضعيفة ، انهزموا وتفرّقوا .

وعلا أصحاب أبى العباس السور ، ووضعوا السيوف فيمن لقيهم وتفرّق الزّنج وأتباعهم ، ودخل أصحاب أبى العباس المدينة ، فقتلوا فيها خلقًا كثيراً ، وأسروا بشراً كثيراً ، وحوَوْا ما كان فى المدينة ، وهرب الشعرانىّ ومَنْ أفلت منهم معه ، وأتبعهم أصحاب أبى أحمد حتى وافَوْا بهم البطائح ، فغرق منهم خلق كثير ، ونجا الباقون إلى الآجام ، وأمر أبو أحمد أصحابه بالرجوع إلى معسكرهم قبل غروب الشمس من يوم الثلاثاء ، وانصرف وقد استنقذ من المسلمات زُهاء خمسة آلاف امرأة؛ سوى مَنْ ظَفِر به من الزنجيات اللواتى كنّ فى سوق الخميس . فأمر أبو أحمد بحياطة النساء جميعًا ، وحملهنّ إلى واسط ليُدفعن إلى أوليائهنّ . وبات أبو أحمد بحيال النهر المعروف ببراطق ، ثم باكر المدينة من غد ، فأذن للناس[1] فى حياطة ما فيها من أمتعة الزّنج ، وأخذ ما كان فيها أجمع ، وأمر بهدم سورها وطمّ خندقها وإحراق ما كان بقى فيها من السفن ، ورحل إلى معسكره ببرمساور بالظفر بما بالرساتيق والقرى التى كانت فى يد الشعرانىّ وأصحابه من غلاّت الحِنْطة والشعير والأرزّ ، فأمر ببيع ذلك ، وصرف ثمنه فى أعطيات مواليه وغلمانه وجنده وأهل عسكره . وانهزم سليمان الشعرانىّ وأخواه ومَنْ أفلت ، وسُلب الشعْرانىّ ولده وما كان بيده من مال ، ولحق بالمذار ، فكتب إلى الخائن بخبره وما نزل به واعتصامه بالمـــذار .

٣/١٩٦٤

فذكر محمد بن الحسن ، أن محمد بن هشام المعروف بأبى واثلة الكرمانىّ

---

(١) ابن الأثير : « وأمر الناس » .

قال : كنتُ بين يدى الخائن وهو يتحدّث ، إذ ورد عليه كتاب سليمان الشعرانىّ بخبر الوقعة وما نزل به ، وانهزامه إلى المذار ، فما كان إلاّ أن فضّ الكتاب ، فوقعت عينُه على موضع الهزيمة حتى انحلّ وكاءُ بطنه ، ثم نهض لحاجته ، ثم عاد . فلمّا استوى به مجلسه أخذ الكتاب وعاد يقرؤه ، فلما انتهى إلى الموضع الذى أنهضه ، نهض حتى فعل ذلك مراراً . قال : فلم أشكّ فى عظم المصيبة ، وكرهتُ أن أسأله ، فلمّا طال الأمر تجاسرتُ ، فقلت : أليس هذا كتاب سليمان بن موسى ؟ قال : نعم ، ورد بقاصمة الظّهر ، أنّ الذين أناخوا عليه أوقعوا به وقعة لم تبق منه ولم تذَرْ ؛ فكتب كتابه هذا وهو بالمَذار ، ولم يسلم بشىء غير نفسه . قال : فأكبرتُ ذلك ، واللهُ يعلم مكروه ما أخفى من السرور الذى وصل إلى قلبى ، وأمسكُ مُبشراً بدنوّ الفرج . وصبرَ الخائنُ على ما وصل إليه ، وجعل يظهر الجلَد ، وكتب إلى سليمان بن جامع يحذّره مثل الذى نزل بالشعرانىّ ، ويأمره بالتيقّظ فى أمره وحفظ ما قبَله . ١٩٦٥/٣

وذكر محمد بن الحسن أن محمد بن حماد قال : أقام الموفّق بعسكره ببر مساور يومين ، لتعرّف أخبار الشعرانىّ وسليمان بن جامع والوقوف على مستقرّه ، فأتاه بعضُ مَنْ كان وجّهه لذلك ، فأخبره أنه معسكر بالقرية المعروفة بالحوانيت . فأمر عند ذلك بتعبير الخيل إلى أرض كَسْكَر فى غربىّ دِجْلة ، وسار على الظهر ، وأمر بالشّذا وسفن الرجّالة فحُدّرت إلى الكثيثة ، وخلّف سواد عسكره وجمعًا كثيراً من الرجال والكُراع بفوّهة برمساور ، وأمر بُغْراج بالمقام هناك ؛ فوافى أبو أحمد الصينيّة ، وأمر أبا العباس بالمصير فى الشذا والسميريّات إلى الحوانيت مخِفًّا لتعرّف حقيقة خبر سليمان بن جامع فى مقامه بها ، وإن وجد منه غِرّة أوقع به . فسار أبو العباس فى عشىّ ذلك اليوم إلى الحوانيت ، فلم يلفِ سليمانَ هنالك ، وألفى من قوّاد السودان المشهورين بالبأس والنجدة شِبْلاً وأبا النداء وهما من قدماء أصحاب الفاسق الذين كان استتبعهم فى بدء مخرجه . ١٩٦٦/٣ وكان سليمان بن جامع خلّفهما هذين القائدين فى موضعهما لحفظ غلات كثيرة كانت هناك ، فحاربهما أبو العباس ، وأدخل الشّذا موضعًا ضيقاً من النهر ، فقتل مِنْ رجالهما ، وجرح بالسهام خلقًا كثيراً — وكانوا أجلد رجال سليمان بن

جامع ونخبتهم الذين يعتمد عليهم — ودامت الحرب بينهم إلى أن حجز الليل بين الفريقين .

قال : وقال محمد بن حماد : فى هذا اليوم كان من أمرِ أبى العباس فى الكركىّ الذى ذكره محمد بن شعيب فى يوم الصّينيّة ، وقد مرّ به سانحاً ، قال : واستأمن فى هذا اليوم رجلٌ إلى أبى العباس ، فسأله عن الموضع الذى فيه سليمان بن جامع ، فأخبره أنه مقيم بطَهِيثا ، فانصرف أبو العباس حينئذ إلى أبيه بحقيقة مقام سليمان بمدينته التى سماها المنصورة ، وهى فى الموضع الذى يعرف بطَهِيثا ، وأن معه هنالك جميع أصحابه غير شبل وأبى النداء ؛ فإنهما بموضعهما من الحوانيت لما أُمِروا بحفظه . فلما عرف ذلك أبو أحمد ، أمر بالرّحيل إلى بردودا ؛ إذ كان المسلك إلى طهِيثا منه ؛ وتقدّم أبو العباس فى الشّذا والسمَيريّات ، وأمر من خلّفه ببرمساور أن يصيروا جميعًا إلى بردودا . ورحل أبو أحمد فى غد ذلك اليوم الذى أمر أبا العباس فيه بما أمره به إلى بردودا ، وسار إليها يومين ؛ فوافاها يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة سبع وستين ومائتين ، فأقام بها يصلح ما يحتاج إلى إصلاحه[1] من أمر عسكره ، وأمر بوضع العطاء وإصلاح سفن الجسور[2] ليحدرها معه ، واستكثر من العمال والآلات التى تُسَدّ بها الأنهار ، وتُصلح بها الطرق للخيل، وخلّف ببردودا بُغْرَاج التركىّ ، وقد كان لمّا عزم على الرجوع إلى بردودا أرسل إلى غلام له يقال له جعلان وكان مخلَّفًا مع بغراج فى عسكره ، فأمر بقلع المضارب وتقديمها مع الدوابّ المخلّفة قِبَله والسلاح إلى بردودا ، فأظهر جعلان ما أمر به فى وقت العشاء الآخرة ، ونادى فى العسكر والناس غارّون ، فأُلقِىَ فى قلوبهم أنّ ذلك لهزيمة كانت . فخرجوا على وجوههم ، وترك الناس أسواقَهم وأمتعتَهم ، ظنًّا منهم أن العدوّ قد أظلّهم ، ولم يلوِ منهم أحد على أحد ، وقصدوا قصد الرجوع إلى عسكرهم ببردودا ، وساروا فى سواد ليلتهم تلك ، ثم ظهر لهم بعد ذلك حقيقة الخبر ، فسكنوا واطمأنّوا .

١٩٦٧/٣

---

(١) ب : « صلاحه » .

(٢) س : « السفن للجسور » .

وفى صفر من هذه السنة كان بين أصحاب كَيَشْغَلَغ التركىّ وأصحاب أحمد بن عبد العزيز بن أبى دلف وقْعة بناحية قَرْماسين ، فهزمهم كَيَشْغَلَغ ، وصار إلى هَمَذان ، فوافاه أحمد بن عبد العزيز فيمن قد اجتمع من أصحابه فى صفر ، فحاربه فانهزم كيغلغ ، وانحاز إلى الصَّيْمَرَة .

* * *

وفى هذه السنة لثلاث بَقين من شهر ربيع الآخر دخل أبو أحمد وأصحابه طَهيثا ، وأخرجوا منها سليمان بن جامع ، وقُتِل بها أحمد بن مهدىّ الجبّائىّ .

ذكر الخبر عن سبب دخول أبى أحمد وأصحابه طَهيثا ومقتل الجبائىّ

١٩٦٨/٣

ذكر محمد بن الحسن أن محمّد بن حماد حدّثه أن أبا أحمد لما أعطى أصحابه بردودا ، فأصلح ما أراد إصلاحه من عُدّة حرب مَنْ قصد لحربه فى مخرجه ، سار متوجّها إلى طهيثا ؛ وذلك يوم الأحد لعشر بقين من شهر ربيع الآخر سنة سبع وستين ومائتين ، وكان مسيره على الظهر فى خَيْله . وحُدِّرت السفن بما فيها من الرّجّالة والسلاح والآلات ، وحُدِّرت المعابر والشَّذوات والسُّميريّات ، إلى أن وافى بها النهر المعروف بمَهْرُوذ بحضرة القرية المعروفة بقرية الجوزيّة ، فنزل أبو أحمد هنالك ، وأمر بعقد الجسر على النهر المعروف بمَهْروذ ، وأقام يومه وليلته . ثم غدا فعبَّر الفرسان والأثقال بين يديه على الجسر ، ثم عبر بعد ذلك ، وأمر القوّاد والناس بالمسير إلى طَهيثا ، فصاروا إلى الموضع الذى ارتضاه أبو أحمد لنفسه منزلاً على ميلين من مدينة سليمان بن جامع ، فأقام هنالك بإزاء أصحاب الخائن يوم الاثنين والثلاثاء لثمان بقين من شهر ربيع الآخر ، ومطر السماء مَطَراً جَوْدا ، واشتدّ البرد أيامَ مقامه هنالك ، فشغِل بالمطر والبرد عن الحرب ، فلم يحارب هذه الأيام وبقية الجمعة . فلما كان عشية يوم الجمعة ركب أبو أحمد فى نفر من قوّاده ومواليه لارتياد موضع لمجال الخيل ، فانتهى إلى قريب من سور

٣/١٩٦٩ سليمان بن جامع ، فتلقّاه منهم جمع كثير . وخرج عليه كُمناء من مواضع شتّى ، ونشبت الحرب واشتدّت ؛ فترجّل جماعة من الفرسان ، ودافعوا حتى خرجوا عن المضايق التى كانوا وغاوها ، وأسر من غلمان أبى أحمد وقوّاده غلام يقال له وصيف عَلَمْدار وعدّة من قوّاد زيرك ، ورمى أبو العباس أحمدَ بن مهدىّ الجبائىّ بسهم فى إحدى منخريه ، فخرق كلّ شىء وصل إليه حتى خالط دماغه ، فخرّ صريعًا ، وحُمِل إلى عسكر الخائن وهو لمآبه ، فعظُمت المصيبة به عليه ؛ إذ كان أعظَم أصحابه غِنًى عنه ، وأشدّهم بصيرةً فى طاعته ، فمكث الجبائىّ يعالَج أيامًا ، ثم هلك ، فاشتدّ جزع الخائن عليه ، فصار إليه ، فولِىَ غسله وتكفينه والصلاة عليه والوقوف على قبره إلى أن دفن ، ثم أقبل على أصحابه فوعظَهم ، وذكر موت الجبائىّ . وكانت وفاته فى ليلة ذات رعود وبروق . وقال فيما ذكر : علمتُ وقت قَبْض روحه قبل وصول الخبر إليه بما سمع من زَجَل الملائكة بالدّعاء له والترحّم عليه .

قال محمد بن الحسن : فانصرف إلىّ أبو واثِلة — وكان فيمن شهده — فجعل يُعجّبنى مما سمع ، وجاءنى محمد بن سمعان فأخبرنى بمثل خبر محمد ابن هشام ، وانصرف الخائن من دفن الجبائىّ منكسراً عليه الكآبة .

٣/١٩٧٠ قال محمد بن الحسن : وحدثنى محمد بن حماد أنّ أبا أحمد انصرف من الوقعة التى كانت عشيّة يوم الجمعة لأربع ليال بقين من شهر ربيع الآخر ، وكان خبره قد انتهى إلى عسكره ، فنهض إليه عامة الجيش ، فتلقوْه منصرفًا ، فردّهم إلى عسكره ؛ وذلك فى وقت المغرب ؛ فلمّا اجتمع أهلُ العسكر أمِروا بالتحارس ليلتَهم والتأهّب للحرب ، فأصبحوا يوم السبت لثلاث بقِين من شهر ربيع الآخر ؛ فعبّأ أبو أحمد أصحابه ، وجعلهم كتائب يتلُو بعضُها بعضًا ؛ فرسانًا ورجّالة ، وأمر بالشّذا والسميريّات أن يُسار بها معه فى النهر الذى يشقّ مدينة طَهيثا المعروف بنهر المُنذر ، وسار نحو الزّنْج حتى انتهى إلى سور المدينة ، فرتّب قُوّاد غلمانه فى المواضع التى يخاف خروج الزّنج عليه منها ، وقدّم الرجّالة أمام الفرسان ، ووكّل بالمواضع التى يخاف خروج الكُمناء منها ، ونزل فصلى أربع ركعات ، وابتهل إلى الله عزّ وجلّ فى النصر

له وللمسلمين . ثم دعا بسلاحه فلبسه ، وأمر ابنه أبا العباس بالتقدّم إلى السور وتحضيض الغلمان على الحرب ، ففعل ذلك ؛ وقد كان سليمان بن جامع أعدّ أمام سور مدينته التى سمّاها المنصورة خندقًا ، فلمّا انتهى إليه الغلمان تهيبوا عبورَه ، وأحجموا عنه ، فحرّضهم قوّادُهم وترجّلوا معهم ، فاقتحموه متجاسرين عليه ، فعبروه ، وانتهوا إلى الزّنْج وهم مشرفون من سور مدينتهم ، فوضعوا السلاح فيهم ، وعبرت شِرْذمة من الفرسان الخندق خوضًا . ١٩٧١/٣

فلمّا رأى الزّنج خبر هؤلاء القوم الذين لقوهم وكرّهم[1] عليهم ولّوْا منهزمين ، وأتبعهم أصحاب أبى أحمد ، ودخلوا المدينة من جَوانبها . وكان الزّنج قد حصنوها بخمسة خنادق ، وجعلوا أمام كلّ خندق منها سورًا يمتنعون به ، فجعلوا يقفون عند كلّ سور وخندق إذا انتهوا إليه ، وجعل أصحاب أبى أحمد يكشفونَهم فى كلّ موقف وقفوه ، ودخلت الشّذا والسميريّات مدينتهم من النهر المشقق لها بعد انهزامهم ، فجعلت تغرق كلّ ما مرّت لهم به من شَذاة وسُميريّة ، وأتبعوا مَنْ بحافتى النهر ، يقتلون ويؤسرون ، حتى أجلَوا عن المدينة وعمّا اتصل بها ، وكان زهاءُ ذلك فرسخًا ، فحوى أبو أحمد ذلك كله ، وأفلت سليمان بن جامع فى نفر من أصحابه ، فاستحرّ القتل فيهم والأسر ، واستنقذ أبو أحمد من نساء أهل واسط وصبيانهم ومما اتصل بذلك من القُرى ونواحى الكوفة زُهاء عشرة آلاف . فأمر أبو أحمد بحياطتهم والإنفاق عليهم ، وحُملوا إلى واسط ، ودُفعوا إلى أهليهم . واحتوى أبو أحمد وأصحابه على كلّ ما كان فى تلك المدينة من الذخائر والأموال والأطعمة والمواشى ، وكان ذلك شيئًا جليل القدر ، فأمر أبو أحمد ببيع ما أصاب من الغلاّت وغير ذلك ، وحمله إلى بيت ماله ، وصرفه فى أعطيات من فى عسكره من مواليه وجنوده ، فحملوا من ذلك ما تهيّأ لهم حمله ، وأسر من نساء سليمان وأولاده عدّة ، واستُنقِذ يومئذ وصيف علمدار ومَنْ كان أسر معه عشيّة يوم الجمعة ، فأخرجوا من الحبس ، وكان الأمر أعجل الزّنج عن قتلهم ، ولجأ ١٩٧٢/٣

---

(١) س : « وجرأتهم » .

جمع كثير ممن أفلت إلى الآجام المحيطة بالمدينة . فأمر أبو أحمد فعُقد جسرٌ على هذا النهر المعروف بالمنذر ، فعبر الناس إلى غربيّه ، وأقام أبو أحمد بطهيثا سبعة عشر يومًا ، وأمر بهدم سور المدينة وطمّ خنادقها ، ففعل ذلك ، وأمر بتتبع مَنْ لجأ إلى الآجام ، وجعل لكل مَنْ أتاه برجل منهم جُعْلاً ، فتسارع الناس إلى طلبهم ؛ فكان إذا أُتِيَ بالواحد منهم عفا عنه ، وخلع عليه وضمّه إلى قوّاد غلمانه لما دبّر من استمالتهم وصرفهم عن طاعة صاحبهم ، وندب أبو أحمد نُصيراً فى الشّذا والسميريّات لطلب سليمان بن جامع والهرب معه من الزنج وغيرهم ، وأمره بالجِدّ فى اتباعهم حتى يجاوز البطائح ، وحتى يلج دِجْلة المعروفة بالعوراء ، وتقدّم فى فتح الكُور التى كان الفاسق أحدثها ، ليقطع بها الشذا عن دِجلة فيما بينه وبين النهر المعروف بأبى الخصيب ، وتقدّم إلى زيرك فى المقام بطهيثا ليتراجع إليها الذين كان الفاسق أجلاهم عنها من أهلها ، وأمره بتتبع مَنْ بَقِيَ فى الآجام من الزّنج حتى يظفر بهم .

* * *

وفى شهر ربيع الآخر منها ماتت أم حبيب بنت الرّشيد . ورحل أبو أحمد بعد إحكامه ما أراد إحكامه إلى معسكره[١] ببَرْدُودا ، مزمعًا علَى التوجّه[٢] نحو الأهواز ليصلحها ؛ وقد كان اضطرب أمرُ المهلبيّ وإيقاعه بمن أوقع عليه من الجيوش التى كانت بها وغلبته على أكثر كُورها ، وقد كان أبو العباس تقدّمه فى مسيره ذلك . فلما وافَى بردودا أقام أيامًا ، وأمر بإعداد ما يحتاج إليه للمسير على الظهر إلى كُور الأهواز ، وقدِمَ مَنْ يصلح الطريق[٣] والمنازل ، ويعدّ فيها المِيرَ للجيوش التى معه ، ووافاه قبل أن ترحّل عن واسط زيرك منصرفًا عن طهيثا ؛ بعد أن تراجع إلى النواحى التى كان بها الزّنج أهلُها ، وخلّفهم آمنين . فأمره أبو أحمد بالاستعداد والانحدار فى الشّذَا والسُّميريّات فى نخبة أصحابه وأنجادهم ، ليصير بهم إلى دِجْلة العوراء ، فتجتمع يدُه

٣/١٩٧٣

(١) س : « عسكره » (٢) س : « التوجيه » .
(٣) س : « الطرق » .

ويد أبي حمزة على نفض دِجْلة واتباع المنهزمين من الزّنْج والإيقاع بكلّ مَن لقوا من أصحاب الفاسق ، إلى أن ينتهيَ بهم السير إلى مدينته بنهر أبي الخصيب ، وإن رأوا موضع حرب حاربوه فى مدينته ، وكتبوا بما كان منهم إلى أبي أحمد ليردّ عليهم من أمره ما يعملون بحسبه. واستخلف أبو أحمد على من خلّف فى عسكره بواسط ابنه هارون ، وأزمع على الشخوص فيمن خفّ من رجاله وأصحابه ، ففعل ذلك بعد أن تقدّم إلى ابنه هارون فى أن يحدّر الجيش الذى خلّفه معه فى السفن إلى مستقرّه بدِجْلة إذا وافى كتابه بذلك

* * *

وفى يوم الجمعة لليلة خلت من جمادى الآخرة من هذه السنة — وهى سنة سبع وستين ومائتين . ارتحل أبو أحمد من واسط شاخصاً إلى الأهواز وكورها ، فنزل باذ بين ثم جوخَى ثم الطّيب ثم قُرقوب ثم درستان ثم على وادى السوس ، وقد كان عُقد له عليه جسر ، فأقام به من أوّل النهار إلى آخر وقت الظهر ، حتى عبّر أهلَ عسكره أجمع ، ثم سار حتى وافَى السوس ، فنزلها — وقد كان أمر مسروراً — وهو عامله على الأهواز — بالقدوم عليه ، فوافاه فى جيشه وقوّاده من غد اليوم الذى نزل فيه السوس ، فخلع عليه وعليهم ، وأقام السوس ثلاثاً . ١٩٧٤/٣

وكان ممن أسِرَ بطَهيثا من أصحاب الفاسق أحمد بن موسى بن سعيد البصريّ المعروف بالقَلُوص ، وكان أحد عُدَده وقدماء أصحابه ، أسِر بعد أن أثخِن جراحاً كانت منها منيّته ؛ فلمّا هلك أمر أبو أحمد باحتزاز رأسه ونصبه على جسر واسط . /

وكان ممّن أسِر يومئذ عبد الله بن محمد بن هشام الكَرْمانىّ ؛ وكان الخبيث اغتصبه أباه ، فوجّهه إلى طهيثا ، وولاّه القضاء والصّلاة بها. وأسِر من السودان جماعةٌ كان يعتمد عليهم ، أهل نجدة وبأس وجَلَد ؛ فلمّا اتصل به الخبر بما نال هؤلاء انتقض عليه تدبيرُه ، وضلّت حِيَله ، فحمله فَرْط الهَلَع على أن كتب إلى المهلبىّ وهو يومئذ مقيم بالأهواز فى زهاء ثلاثين ألفاً مع رجل كان صحِبه ، يأمره بترك كلّ ما قِبَله من المِيَر والأثاث ، والإقبال إليه ؛ فوصل

٣/١٩٧٥ الكتاب إلى المهلبيّ وقد أتاه الخبر بإقبال أبي أحمد إلى الأهواز وكُوَرِها ، فهو لذلك طائر العقل ، فترك جميع ما كان قِبَلَه ، واستخلف عليه محمد بن يحيى ابن سعيد الكَرْنبائيّ ، فدَخِل قلبُ[1] الكرنبائيّ من الوَجل ، فأخلى ما استُخلِف عليه ، وتبع المهلّبيّ ؛ وبجُبَّى والأهواز ونواحيها يومئذ من أصناف الحبوب والتمر والمواشي شيء عظيم ، فخرجوا عن ذلك كله .

وكتب أيضًا الفاسق إلى بَهْبوذ بن عبد الوهاب . وإليه يومئذ عمل الفَنْدم والباسيَان وما اتّصل بهما من القُرى التي بين الأهواز وفارس ، وهو مقيم بالفَنْدم ، يأمره بالقدوم عليه ، فترك بَهْبوذ ما كان قِبَله من الطعام والتمر — وكان ذلك شيئًا عظيمًا — فحوى جميع ذلك أبو أحمد ، فكان ذلك قوةً له على الفاسق ، وضعفًا للفاسق .

ولمّا فصل المهلبيّ عن الأهواز تفرّق أصحابُه في القرى التي بينها وبين عسكر الخبيث فانتهبوها ، وأجْلَوْا عنها أهلَها ؛ وكانوا في سِلْمِهم ، وتخلّف خلْق كثير ممّن كان مع المهلبيّ من الفرسان والرجّالة عن اللحاق به ، فأقاموا بنواحي الأهواز . وكتبوا يسألون أبا أحمد الأمان لما انتهى إليهم من عفوه عمّن ظفر به من أصحاب الخبيث بطهيثا ، ولحق المهلبيّ ومَنْ اتّبعه من أصحابه بنهر أبي الخصيب .

وكان الذي دعا الفاسق إلى أمر المهلبيّ وبهبوذ بسرعة المصير إليه خوفُه

٣/١٩٧٦ موافاة أبي أحمد وأصحابه إياه على الحال التي كانوا عليها من الوَجَل وشدّة الرّعب مع انقطاع المهلبيّ وبهبوذ فيمن كان معهما عنه ، ولم يكن الأمر كما قدّر .

وأقام أبو أحمد حتى أحرز ما كان المهلبيّ وبهبوذ خلّفاه ، وفُتِحت السكور التي كان الخبيث أحدثها في دِجْلة ، وأصلِحت له طرقه ومسالكه ورحل أبو أحمد عن السوس إلى جند يسابور ، فأقام بها ثلاثًا ؛ وقد كانت الأعلاف ضاقت على أهل العسكر ، فوجّه في طلبها ، وحملها ورحل عن

---

(١) دخل قلبه ، أي دخله الاضطراب .

جند يسابور إلى تُسْتَر ، وأمر بجباية الأموال من كُور الأهواز ، وأنفذ إلى كلّ كورة قائداً ليرُوج بذلك حمل الأموال . ووجّه أحمد بن أبى الأصبغ إلى محمد ابن عبيد الله الكردىّ ، وقد كان خائفاً أن يأتيه صاحب الفاسق قبل موافاة أبى أحمد كور الأهواز ، وأمره بإيناسه وإعلامه ما عليه رأيُه من العفو عنه ، والتغمّد لزلته ، وأن يتقدّم إليه فى تعجيل حمل الأموال والمسير إلى سوق الأهواز ، وأمر مسروراً البلخىّ عامله بالأهواز بإحضار مَنْ معه من الموالى والغلمان والجند ليعرضهم ، ويأمرَ بإعطائهم الأرزاق ، وينهِضهم [1] معه لحرب الخبيث . فأحضرهم ، وعُرضوا رجلا رجلا ، وأعطُوا . ثم رحل إلى عسكر مُكْرَم ، فجعله منزلا اجتازه [2] . ورحل منه فوافى الأهواز ، وهو يرى أنه قد تقدّمه إليها من الميرة ما يحمل عساكره . فغلُظ الأمر فى ذلك اليوم ، واضطرب له الناس اضطراباً شديداً ، وأقام ثلاثة أيام ينتظر ورود المِيَر ؛ فلم تَرِد ، فساءت أحوال الناس ، وكاد ذلك يفرّق جماعتهم ، فبحث أبو أحمد عن السبب المؤخّر ورودها ، فوجد الجند قد كانوا قطعوا قنطرة قديمة أعجمية كانت بين سوق الأهواز ورامَ هرمز يقال لها قنطرة أربُك ، فامتنع التجار ومن يحمل الميرة من تطرّقه لقطع تلك القنطرة . فركب أبو أحمد إليها وهى على فرسخين من سُوق الأهواز ، فجمع مَنْ كان بقِىَ فى العسكر من السودان ، وأمرهم بنقل الحجارة والصّخْر لإصلاح هذه القنطرة وبَذَل لهم الأموال الرغيبة ، فلم يرِمْ حتى أصلحت فى يومه ذلك ، ورُدّت إلى ما كانت عليه . فسلكها الناس ، ووافت القوافل بالمِيَر ، فحيِىَ أهل العسكر ، وحسنت أحوالهم . ١٩٧٧/٣

وأمر أبو أحمد بجمع السفن لعقد الجسر على دُجيل ، فجمعت من كُور الأهواز وأخذ فى عقد الجسر ، وأقام بالأهواز أياماً حتى أصلح أصحابُه أمورهم ، وما احتاجوا من آلاتهم ، وحسُنت أحوال دوابّهم ، وذهب عنها ما كان نالها من الضرّ بتخلف الأعلاف ، ووافت كتب القوم الذين كانوا تخلّفوا عن المهلبىّ ، وأقاموا بسوق الأهواز يسألونه الأمان ؛ فآمنهم ، فأتاه نحو

(١) س : « وينهض » .
(٢) س : « اختاره » .

من ألف رجل ، فأحسن إليهم ، وضمهم إلى قُوّاد غلمانه ، وأجرى لهم الأرزاق ، وعقد الجسر على دُجَيل ، فرحل بعد أن قدّم جيوشه ، فعبر الجسر ، وعسكر بالجانب الغربىّ من دُجيل فى الموضع المعروف بقصر المأمون ، فأقام هنالك ثلاثاً ؛ وأصابت[1] الناس فى هذا الموضع من الليل زازلة هائلة ، وقَى الله شرّها ، وصرف مكروهها .

وقد كان أبو أحمد قبل عبور الجسر المعقود على دُجَيل قدّم أبا العباس ابنه إلى الموضع الذى كان عزم على نزوله من دِجلة العوراء ، وهو الموضع المعروف بنهر المبارك من فُرات البصرة ، وكتب إلى ابنه هارون بالانحدار فى جميع الجيش المتخلف معه إلى نهر المبارك أيضًا لتجتمع العساكر هناك ، فرحل أبو أجمد عن قصر المأمون ، فنزل بقُورَج العباس ، ووافاه أحمد بن أبى الأصبغ هنالك بما صالح عليه محمد بن عبيد الله وبهدايا أهداها إليه من دوابّ وضوارٍ وغير ذلك . ثم رحل عن القورَج ، فنزل بالجعفرية ، ولم يكن بهذه القرية ماء إلا من آبار كان أبو أحمد تقدّم بحفرها فى عسكره ، وأنفذ لذلك سعداً الأسود مولى عبيد الله بن محمد بن عمار من قورَج العباس ، فحُفرت ، فأقام بهذا الموضع يومًا وليلة ، وألفَى هناك ميَرًا مجموعة ، واتّسع الناس بها ، وتزوّدوا منها .

١٩٧٨/٣

ثم رحل إلى الموضع المعروف بالبشير ، وألفى فيه غديراً من المطر ، فأقام به يومًا وليلة ، ورحل فى آخر الليل يريد نهر المبارك ، فوافاه بعد صلاة الظهر ، وكان منزلا بعيد المسافة ؛ وتلقّاه ابناه أبو العباس وهارون فى طريقه ، فسلّما عليه ، وسارا بسيره حتى ورد نهر المبارك ، وذلك يوم السبت للنصف من رجب سنة سبع وستين ومائتين .

وكان لزيرك ونصير فى الذى كان أبو أحمد وجّه فيه زيرك من تتبّع فلّ الخبيث من طَهيثا أثرٌ فيما بين فصول أبى أحمد من واسط إلى حال مصيره إلى نهر المبارك ؛ وذلك ما ذكره محمد بن الحسن عن محمد بن حماد ، قال :

---

(١) س : « وأصاب » .

٣/١٩٧٩ لمّا اجتمع زِيرك ونصير بدِجْلة العوراء انحدرا حتى وافيا الأبُلّة ، فاستأمن إليهما رجل من أصحاب الخبيث ، فأعلمهما أن الخبيث[1] قد أنفذ عدداً كثيراً من السُّميريّات والزّواريق والصلاغ مشحونة بالزّنج ، يرأسهم رجل من أصحابه ، يقال له محمد بن إبراهيم ، يكنى أبا عيسى ، ومحمد بن إبراهيم هذا رجل من أهل البصرة ، كان جاء به رجل من الزّنج عند خراب البصرة يقال له يَسار ، كان على شُرْطة الفاسق ، فكان يكتب ليسار على ما كان يلى حتى مات ، وارتفعت حال أحمد بن مهدى الجبائىّ عند الخبيث ، فولاّه أكثر أعمالِه ، وضمّ محمد بن إبراهيم هذا إليه ، فكان كاتبه إلى أن هلك الجبائىّ — فطمِع محمد بن إبراهيم هذا فى مرتبته ، وأن يحلّه الخبيث محلّ الجبائىّ ، فنبذ الدواة والقلم ، ولبس آلة الحرب ، وتجرّد للقتال ، فأنهضه الخبيث فى هذا الجيش ، وأمره بالاعتراض فى دجْلة لمدافعة مَنْ يردُها من الجيوش ، فكان فى دجْلة أحيانًا ، وأحيانًا يأتى بالجمع الذى معه إلى النهر المعروف بنهر يزيد ، ومعه فى ذلك الجيش شِبْل بن سالم وعمرو المعروف بغلام بوذى وأجلاد من السودان وغيرهم ، فاستأمن رجل كان فى ذلك الجيش إلى زيرك ونُصير ، وأخبرهما خبره ، وأعلمهما أن محمد بن إبراهيم على القصد لسواد عسكر نُصَير ، ونصير يومئذ معسكر بنهر المرأة ، وأنهم على أن يسلكوا الأنهار المعترضة على نهر معقِل ٣/١٩٨٠ وبثْق شيرين ، حتى يوافوا الموضع المعروف بالشرطة ، ليخرجوا من وراء العسكر فيكبّوا على طرفيْه ؛ فرجع نصير عند وصول هذا الخبر إليه من الأبُلّة مبادرًا إلى معسكره ، وسار زيرك قاصداً لبَثْق شيرين ؛ حتى صار من مؤخّرة فى موضع يعرف بالميشان ؛ وذلك أنه قدّر أن محمد بن إبراهيم ومن معه يأتون عسكر نُصير من ذلك الطريق ؛ فكان ذلك كما ظنّ ، ولقيهم فى طريقهم فوهب الله له العلوّ عليهم بعد صبر منهم له ومجاهدة شديدة ؛ فانهزموا ولجئوا إلى النهر الذى كانوا وضعوا الكمين فيه ، وهو نهر يزيد ، فدُلّ زيرك عليهم ، فتوغّلت عليهم سُميريّاته وشذواته ، فقتِل منهم طائفة ، وأسِر طائفة ؛ وكان ممن ظفِر به منهم محمد بن إبراهيم المكنى أبا عيسى وعمرو المعروف بغلام بوذى ، وأخذ

(١) س : أن أصحاب الخبيث .

ما كان معهم من السُّميريّات ، وذلك نحو من ثلاثين سُميريّة ، وأفلت شبل في الذين نجوْا ، فلحق بعسكر الخبيث ، وخرج زيرك من بثق شيرين ظافراً ومعه الأسارى ورءوس مَنْ قتل مع ما حوى من السميريّات والزّواريق وسائر السفن ، فانصرف زيرك من دِجْلة العَوْراء إلى واسط ؛ وكتب إلى أبي أحمد بما كان من حربه والنصر والفتح .

وكان فيما كان من زيرك في ذلك وصول الجزَع إلى كلّ مَنْ كان بدِجْلة وكُورها من أتباع الفاسق ، فاستأمن إلى أبي حمزة وهو مقيم بنهر المرأة منهم زهاء ألفي رجل – فيما قيل – فكتب بخبرهم إلى أبي أحمد ، فأمره بقبولهم وإقرارهم على الأمان وإجراء الأرزاق عليهم ، وخلطهم بأصحابه ومناهضته العدوّ بهم .

١٩٨١/٣

وكان زيرك مقيماً بواسط إلى حين ورود كتاب أبي أحمد على ابنه هارون بالمصير بالجيش المتخلّف معه إلى نهر المبارك ، فانحدر زيرك مع هارون ، وكتب أبو أحمد إلى نصير وهو بنهر المرأة يأمره بالإقبال إليه إلى نهر المبارك ، فوافاه هنالك ؛ وكان أبو العباس عند مصيره[1] إلى نهر المبارك انحدر إلى عسكر الفاسق في الشّذا والسُّميريّات ، فأوقع به في مدينته بنهر أبي الخصيب.

وكانت الحرب بينه وبينهم من أوّل النهار إلى آخر وقت الظهر ، واستأمن إليه قائد من قوّاد الخبيث المضمومين كانوا إلى سليمان بن جامع ، يقال له منتاب ، ومعه جماعة من أصحابه ؛ فكان ذلك مما كسر الخبيث وأصحابه ، وانصرف أبو العباس بالظّفَر ، وخلع على منتاب ووصله وحمله ، ولمّا لقيَ أبو العباس أباه أعلمه خبر منتاب ، وذكر له خروجه إليه بالأمان ، فأمر أبو أحمد لمنتاب بخِلْعة وصِلة وحُملان ، وكان منتاب أوّل مَنْ استأمن من قوّاد الزّنج .

ولما نزل أبو أحمد نهر المبارك يوم السبت للنصف من رجب سنة سبع وستين ومائتين ، كان أول ما عمل به في أمر[2] الخبيث – فيما ذكر محمد بن الحسن بن سهل ، عن محمد بن حمّاد بن إسحاق بن حمّاد بن زيد – أن

---

(١) س : « مصيرهم » . (٢) س : « أمور » .

كتب إليه كتاباً يدعوه فيه إلى التوبة والإنابة إلى الله تعالى مما ركب من سفك الدماء وانتهاك المحارم وإخراب البلدان والأمصار ، واستحلال الفروج والأموال ، وانتحال ما لم يجعله الله له أهلا من النبوّة والرسالة ، ويعلمه أن التوبة له[1] مبسوطة ، والأمان له موجود ؛ فإن هو نزع عما هو عليه من الأمور التي يسخطها الله ، ودخل في جماعة المسلمين ، محا ذلك ما سلف من عظيم جرائمه ؛ وكان له به الحظّ الجزيل في دنياه . وأنفذ ذلك مع رسوله إلى الخبيث ، والتمس الرّسول إيصاله ، فامتنع أصحاب الخبيث من إيصال الكتاب ، فألقاه الرسول إليهم ، فأخذوه وأتوا به إلى الخبيث ، فقرأه فلم يزدْه ما كان فيه من الوعظ إلا نفوراً وإصراراً ، ولم يجب عن الكتاب بشيء ، وأقام على اغتراره ، ورجع الرسول إلى أبي أحمد فأخبَره بما فعل ، وترك الخبيث الإجابة عن الكتاب . وأقام أبو أحمد يوم السبت والأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء متشاغلاً بعرض الشّذَا والسُّميريّات وترتيب قوّاده ومواليه وغلمانه فيها ، وتخيّر الرماة وترتيبهم في الشّذَا والسُّميريّات ، فلما كان يوم الخميس سار أبو أحمد في أصحابه ، ومعه ابنه أبو العباس الى مدينة الخبيث التي سمّاها المختارة من نهر أبي الخصيب ، فأشرف عليها وتأمّلها ، فرأى من منَعتها وحصانتها بالسُّور والخنادق المحيطة بها وما عوّر من الطرق المؤدية إليها وأعِدّ من المجانيق والعرّادات والقسيّ الناوكيّة وسائر الآلات على سورها ما لم ير مثله ممن تقدّم من منازعي السلطان ، ورأى من كثرة عدد مقاتلتهم واجتماعهم ما استغلظ أمره . فلمّا عاين أصحابه أبا أحمد ، ارتفعت أصواتُهم بما ارتجّت له الأرض ، فأمر أبو أحمد عند ذلك ابنه أبا العباس بالتقدّم إلى سُور المدينة ورَشْق مَنْ عليه بالسهام ، ففعل ذلك ودنا حتى ألصق شذَواته بمسنّاة قصر الخائن ، وانحازت الفسقة إلى الموضع الذي دنت منه الشّذَا ، وتحاشدوا ، وتتابعت سهامهم وحجارة مجانيقهم وعرّاداتهم ومقاليعهم ، ورمى عوامُّهم بالحجارة عن أيديهم ، حتى ما يقع طرف ناظر من الشذا على موضع إلاّ رأى فيه سهماً أو حجراً ، وثبت أبو العباس ، فرأى الخائن وأشياعه من جدّهم واجتهادهم وصبْرهم ما لا عهد لهم بمثله من أحد حاربهم .

١٩٨٢/٣

١٩٨٣/٣

(١) س : « إليه » .

فأمر أبو أحمد أبا العباس ومن معه بالرجوع إلى مواقفهم ليروّحوا عن أنفسهم ويداووا جراحهم ، ففعلوا ذلك .

واستأمن إلى أبى أحمد فى تلك الحال مقاتلان من مقاتلة السُّميريّات ، فأتوه بسُمَيْريتهما وما فيها من الآلات والملاّحين ، فأمر للمقاتلين بخلَع ديباج ومناطق محلاّة ، ووصلهما ، وأمر للملاحين بخلَع من خلع الحرير الأحمر والثياب البيض بما حسن موقعه منهم وعمّهم جميعاً بصلاته ، وأمر بإدنائهم من الموضع الذى يراهم فيه نظراؤهم ؛ فكان ذلك من أنجع المكايد التى كيد بها الفاسق . فلما رأى الباقون ما صار إليه أصحابهم من العفو عنهم والإحسان إليهم ، رغبوا فى الأمان وتنافسوا فيه ، فابتدروه مسرعين نحوه ، راغبين فيما شرع لهم منه. فصار إلى أبى أحمد فى ذلك اليوم عدد من أصحاب السميريّات ، فأمر فيهم بمثل ما أمر به فى أصحابهم . فلما رأى الخبيثُ ركونَ أصحاب السميريّات إلى الأمان واغتنامهم له أمر بردّ مَنْ كان منهم فى دِجْلة إلى نهر أبى الخصيب ، ووكل بفوّهة النهر مَنْ يمنعهم من الخروج ، وأمر بإظهار شذواته ، وندب لهم بَهْبوذ بن عبد الوهاب وهو من أشدّ حماته بأساً ، وأكثرهم عدداً وعِدّة ، فانتدب بهبوذ لذلك فى أصحابه ، وكان ذلك فى وقت إقبال المدّ وقوّته ، وقد تفرّقت شَذَوات أبى أحمد ، ولحق أبو حمزة فيما معه منها بشرقىّ دِجْلة ؛ فأقام هنالك وهو يرى أنّ الحرب قد انقضت ، واستُغْنى عنه .

٣/١٩٨٤

فلما ظهر بَهْبوذ فيما معه من الشّذَوات أمر أبو أحمد بتقديم شَذَواته ، وأمر أبا العباس بالحمل على بهبوذ بما معه من الشّذا ، وتقدّم إلى قُوّاده[1] وغلمانه بالحمل معه ؛ وكان الذى صَلِىَ بالحرب من الشّذوات التى مع أبى العباس وزيرك من الشّذَوات التى رتب فيها قوّاد الغلمان اثنتى عشرة شذاة . فنشبت الحرب ، وطمع أصحاب الفاسق فى أبى العباس وأصحابه لقلة عدد شذواتهم . فلما صُدِموا انهزموا. ووجّه أبو العباس ومَنْ معه فى طلب بهبوذ ، فألجئوه إلى فناء قصر الخبيث ، وأصابتْه طعنتان ، وجُرِح بالسهام جراحات ، وأوهِنت

(١) س : « أعضاده » .

أعضاؤه[١] بالحجارة، وخلّى ما كان عليه مع أصحابه، فأولجوه نهر أبى الخصيب وقد أشفى على الموت، وقتل يومئذ ممن كان مع بهبوذ قائد من قوّاده ذو بأس ١٩٨٥/٣ ونجدة وتقدّم فى الحرب، يقول له عميرة[١]، وظفر أصحاب أبى العباس بشذاة من شذَوات بهبوذ، فقتل أهلها، وغرقوا، وأخذت الشذاة، وصار أبو العباس ومَنْ معه بشذواتهم بعد أن أتاهم أمر أبى أحمد بذلك، وبإلحاق الشذا بشرقىّ دِجلة وصرف الجيش. فلمّا رأى الفاسق جيش أبى أحمد منصرفًا أمر مَنْ كان انهزم فى شذَواته إلى نهر أبى الخصيب بالظهور ليسكّن بذلك روعةَ أصحابه، وليكون صرفه إياهم إذا صرفهم عن غير هزيمة. فأمر أبو أحمد جماعة من غلمانه بأن يثبّتوا صدور شذواتهم إليهم، ويقصدوهم. فلما رأوا ذلك ولّوْا منهزمين مذعورين، وتأخرت عنهم شذاة من شذواتهم، فاستأمن أهلُها إلى أبى أحمد، ونكسوا علماً أبيض كان معهم، فصاروا إليه فى شذاتهم، فأومنوا وحُبوا ووُصِلوا وكُسوا. فأمر الفاسق عند ذلك بردّ شذواتهم إلى النهر ومنعها من الخروج، وكان ذلك فى آخر النهار، وأمر أبو أحمد أصحابه بالرجوع إلى معسكرهم بنهر المبارك.

واستأمن إلى أبى أحمد فى هذا اليوم عند منصرَفه خَلْق كثير من الزَّنْج وغيرهم، فقبلهم، وحملهم فى الشّذا[٢] والسميريّات، وأمر أن يخلع عليهم ويوصلوا ويُحبَوْا، وتُكتب أسماؤهم فى المضمومين إلى أبى العباس.

١٩٨٦/٣ وسار أبو أحمد، فوافى عسكره بعد العشاء الأخيرة[٣]، فأقام به يوم الجمعة والسبت والأحد، ثم عزم على نقل عسكره إلى حيث يقرب منه عليه القَصْد لحرب الخبيث، فركب الشّذا فى يوم الاثنين لستّ ليال بقين من رجب سنة سبع وستين ومائتين، ومعه أبو العباس والقوّاد من مواليه وغلمانه، فيهم زيرك ونصير حتى وافى النهر المعروف بنهر جَطّى فى شرقىّ دِجْلة، وهو حيال النهر المعروف باليهودىّ، فوقف عليه، وقدّر فيه ما أراد وانصرف، وخلّف به أبا العباس وزيرك ونُصيراً، وعاد إلى معسكره. فأمر فنودى فى الناس

---

(١) ب: «عنترة». (٢) س: «الشذوات».

(٣) ب: «وقت العشاء».

بالرحيل إلى الموضع الذى اختار من نهر جَطَّى ، وتقدّم فى قوْد الدوابّ بعد أن أصلحت لها الطرق ، وعقدت القناطر على الأنهار ، وغدا فى يوم الثلاثاء لخمس بقين من رجب فى جميع عساكره حتى نزل نهر جَطّى ، فأقام به إلى يوم السبت لأربع عشرة ليلة خلت من شعبان سنة سبع وستين ومائتين ، ولم يحارب فى شىء من هذه الأيام ، وركب فى هذا اليوم فى الخيل والرجّالة ، ومعه جميع الفرسان ، وجعل الرجالة والمطوّعة فى السفن والسميريّات ، على كل رجل منهم لأمَتُه وزِيّه ، وسار حتى وافى الفرات ، ووازى عسكر الفاسق وأبو أحمد من أصحابه وأتباعه فى زُهاء خمسين ألف رجل أو يزيدون ، والفاسق يومئذ فى زهاء ثلثمائة ألف إنسان ، كلهم يقاتل أو يدافع ؛ فمن ضاربٍ بسيف[1] ، وطاعن برمح ، ورامٍ بقوس ، وقاذف بمقلاع ، ورامٍ بعرّادة أو منجنيق ؛ وأضعفهم أمرُ الرماة بالحجارة عن أيديهم وهم النظارة المكثّرون[2] السواد ، والمعتَنون بالنعير والصّياح ، والنساء يشركنهم فى ذلك .

١٩٨٧/٣

فأقام أبو أحمد فى هذا اليوم بإزاء عسكر الفاسق إلى أن أضحى ، وأمر فنودى أنّ الأمان مبسوط للناس ؛ أسودِهم وأحمرِهم إلاّ الخبيث ، وأمر بسهام فعُلّقت فيها رقاع مكتوب فيها من الأمان مثل الذى نودى به ، ووعد الناس فيها الإحسان ، ورمى بها إلى عسكر الخبيث ، فمالت إليه قلوب أصحاب المارق بالرّهبة والطمع فيما وعدهم من إحسانه وعفوه ؛ فأتاه فى ذلك اليوم جمع كثير يحملهم الشَّذا إليه ، فوصلهم وحباهم. ثم انصرف إلى معسكره بنهر جطّى ، ولم يكن فى هذا اليوم حرب .

وقدم عليه قائدان من مواليه ؛ أحدهما بكتمر والآخر جعفر بن بغلاغز ، فى جمع من أصحابهما فكان ورودهما زائداً فى قوّة مَن مع أبى أحمد .

ورحل أبو أحمد عن نهر جَطّى إلى معسكر قد كان تقدم فى إصلاحه ، وعقد القناطر على أنهاره ، وقطع النهر ليوسعه بفرات البصرة بإزاء مدينة الفاسق ؛ فكان نزوله هذا المعسكر فى يوم الأحد للنصف من شعبان سنة سبع وستين

---

(١) س : « بالسيف » . (٢) س : « والمكثرون » .

ومائتين ، وأوطن هذا المعسكر ، وأقام به ، ورتب قوّاده ورؤساء أصحابه مراتبهم فيه ، فجعل نُصيراً صاحب الشَّذا والسميريات فى جيشه فى أوّل العسكر وآخره بالموضع الموازى النهر المعروف بجُوَى كور ، وجعل زيرك التركىّ صاحب مقدّمة أبى العباس فى أصحابه موازيًا ما بين نهر أبى الخصيب وهو النهر الموسوم بنهر الأتراك والنهر المعروف بالمغيرة ، ثم تلاه علىّ بن جهشيار حاجبه فى جَيْشه . ١٩٨٨/٣

وكانت مضاربُ أبى أحمد وابنيه حيالَ الموضع المعروف بديْر جابيل ، وأنزل راشداً مولاه فى مواليه وغلمانه الأتراك والخزر والرّوم والديالمة والطبرية والمغاربة والزّنج على النهر المعروف بهَطَمة ، وجعل صاعد بن مَخْلَد وزيره فى جيشه من الموالى والغلمان فُويق عسكر راشد ، وأنزل مسروراً البلخىّ فى جيشه على النهر المعروف بسِنْدادان ، وأنزل الفضل ومحمداً ، ابنى موسى ابن بُغا فى جيشهما على النهر المعروف بهالة ، وتلاهما موسى دالجويه فى جيشه وأصحابه ، وجعل بُغْراج التركىّ على ساقته نازلا على نهر جَطّى ، وأوطنوه ، وأقاموا به . ورأى أبو أحمد من حال الخبيث وحصانة موضعه وكثرة جمعه ما علم أنه لا بدّ له من الصبر عليه ومحاصرته وتفريق أصحابه عنه ؛ ببذل الأمان لهم ، والإحسان إلى مَنْ أناب منهم ، والغلظة على مَنْ أقام على غيّه منهم ، واحتاج إلى الاستكثار من الشَّذا وما يحارب به فى الماء .

فأمر بإنفاذ الرّسل فى حمل[١] المِيَر فى البرّ والبحر وإدرارها إلى معسكره بالمدينة التى سماها الموفّقيّة ، وكتب إلى عماله فى النواحى فى حمل الأموال إلى بيت ماله فى هذه المدينة. وأنفذ رسولا إلى سيراف وجنّابا فى بناء الشذا والاستكثار منها لما احتاج إليه من ترتيبها فى المواضع التى يقطع بها المِيَر عن الخائن وأشياعه . وأمر بالكتاب إلى عمّاله فى النواحى بإنفاذ كل مَنْ يصلح للإثبات فى الديوان ، ويرغب فى ذلك ، وأقام ينتظر شهراً أو نحوه ؛ فوردت المِيَر متتابعةً يتلو بعضها بعضًا ، وجهّز التجار صنوف التجارات والأمتعة وحملوها إلى المدينة الموفقيّة ، واتخذت بها الأسواق ، وكثر بها التجار والمتجهزون من كلّ بلد، ووردتها ١٩٨٩/٣

(١) ط : « حمد » ، تصحيف .

مراكب البحر ؛ وقد كانت انقطعت لقطع الفاسق وأصحابه سبلها قبل ذلك بأكثر من عشر سنين ، وبنى أبو أحمد مسجد الجامع ، وأمر الناس بالصّلاة فيه ، واتّخذ دُورَ الضَّرْب ، فضرب فيها الدنانير والدراهم ، فجمعت مدينة أبى أحمد جميع المرافق ، وسيق إليها صنوف المنافع حتى كان ساكنوها لايفقدون بها شيئًا مما يوجد فى الأمصار العظيمة القديمة، وحملت الأموال ، وأدرّ للناس العطاء فى أوقاته ، فاتّسعوا وحسنت أحوالهم ، ورغب الناس جميعًا فى المصير إلى المدينة الموفقيّة والمقام فيها .

٣/١٩٩٠ وكان الخبيث بعد ليلتين من نزول أبى أحمد مدينته الموفقيّة أمر بهبوذ بن عبد الوهاب ، فعبَر والناس غارّون فى سُميريّات إلى طرف عسكر أبى حَمْزة ، فأوقع به ، وقتل جماعة من أصحابه ، وأسر جماعة ، وأحرق كوخات كانت لهم قبل أن يبنى الناس هنالك . فأمر أبو أحمد نُصيراً عند ذلك بجمع أصحابه ، وألاّ يطلق لأحد مفارقة عسكره ، وأن يحرس أقطار عسكره بالشّذا والسميريّات والزّواريق فيها الرجّالة إلى آخر ميَان رُوذان والقَنْدل وأبرسان ، للإيقاع بمن هنالك من أصحاب الفاسق .

وكان بميان روذان من قوّاده أيضًا إبراهيم بن جعفر الهمدانىّ فى أربعة آلاف من الزّنج ، ومحمد بن أبان المعروف بأبى الحسن أخو علىّ بن أبان بالقَنْدل فى ثلاثة آلاف ، والمعروف بالدّور فى أبرسان فى ألف وخمسمائة من الزّنج والجبائيّين ، فبدأ أبو العباس بالهمدانىّ فأوقع به ، وجرت بينهما حروب ، قُتِل فيها خلق كثير من أصحاب الهمدانىّ ، وأسر منهم جماعة ، وأفلت الهمدانىّ فى سُميريّة قد كان أعدّها لنفسه ، فلحق فيها بأخى المهلبىّ المكنى بأبى الحسن ، واحتوى أصحاب أبى العباس علىّ ما كان فى أيدى الزّنج وحملوه إلى عسكرهم .

وقد كان أبو أحمد تقدم إلى ابنه أبى العباس فى بذل الأمان لمن رغب فيه ، وأن يضمن لمن صار إليه الإحسان، فصار إليه طائفة منهم فى الأمان فآمنهم، فصار بهم إلى أبيه ، فأمر لكل واحد منهم من الخِلَع والصلات على أقدارهم

٣/١٩٩١ فى أنفسهم ،وأن يوقفوا بإزاء نهر أبى الخصيب ليعاينهم أصحابهم . . وأقام

أبو أحمد يكايد الخائن ببذل الأمان لمن صار إليه من الزّنج وغيرهم ، ومحاصرة الباقين والتضييق عليهم ، وقطع الميَر والمنافع عنهم ؛ وكانت ميرة الأهواز وما يرد من صنوف التجارات منها ومن كورها ونواحي أعمالها يسلَك به النهر المعروف ببيان ، فسرى بهبوذ فى جُلد رجاله ليلة من الليالى ، وقد نمِى إليه خبر قيروان[1] ورد بصنوف من التجارات والمير وكمَن فى النخل ؛ فلما ورد القَيْروان خرج إلى أهله، وهم غارّون ، فقتَل منهم وأسَر ، وأخذ ما أحبّ أن يأخذ من الأموال .

وقد كان أبو أحمد أنفذ لبَذرقة[2] ذلك القَيْروان رجلاً من أصحابه فى جمع ، فلم يكن للموجَّه لذلك ببهبوذ طاقة ، لكثرة عدد مَنْ معه وضيق الموقع على الفرسان ، وأنه لم يكن بهم فيه غناء . فلما انتهى ذلك إلى أبى أحمد ، غلظ عليه ما نال الناس فى أموالهم وأنفسهم وتجارتهم ، وأمر بتعويضهم ، وأخلف عليهم مثلَ الذى ذهب لهم ، ورتّب الشذا على فوّهة بيان وغيره من الأنهار التى لا يتهيّأ للفرسان سلوكُها فى بنائها والإقبال بها إليه ، فورد عليه منها عددٌ صالح ، فرتّب فيها الرجال ، وقلّد أمرها أبا العباس ابنه ، وأمره أن يوكل بكل موضع يرد إلى الفَسقة منه ميرة ، فانحدر أبو العباس لذلك إلى فوّهة البحر فى الشذوات ، ورتب فى جميع تلك المسالك القوّاد ، وأحكم الأمر فيه غاية الإحكام .

* * *

١٩٩٢/٣ وفى شهر رمضان منها كانت وقعة بين إسحق بن كُنْداج وإسحاق بن أيوب وعيسى بن الشيخ وأبى المغراء وحمدان الشارى ومن تأشّب[3] إليهم من قبائل ربيعة وتَغْلِب وبكْر واليمن، فهزمهم ابن كُنْداج إلى نَصيبين، وتَبِعهم إلى قريب من آمِد ، واحتوى على أموالهم ، ونزلوا آمِد ، فكانت بينه وبينهم وقعات .

* * *

(١) القيروان : القافلة . (٢) البذرقة : الخفارة .
(٣) ابن الأثير : «اجتمع» .

[ذكر خبر مقتل صندل الزنجيّ]

وفى شهر رمضان منها قُتل صندل الزنجيّ، وكان سبب قتله أن أصحاب الخبيث عبَرَوا لليلتين خلتا من شهر رمضان من هذه السنة فيما ذكر – أعنى سنة سبع وستين ومائتين – يريدون الإيقاع بعسكر نصير وعسكر زيرك ، فنذر بهم الناس ، فخرجوا إليهم ، فردّوهم خائبين ، وظفروا بصندل هذا . وكان – فيما ذكروا – يكشف وجوه الحرائر المسلمات ورءوسهنّ ويقلّبهنّ تقليب الإماء، فإن امتنعت منهنّ امرأة ضرب وجهها ودفعها إلى بعض علوج الزّنج يبيعها بأوكس الثمن. فلما أتِىَ به أبو أحمد، أمر به فشُدّ بين يديه ، ثم رمِىَ بالسهام ، ثم أمر به فقتل .

* * *

[ذكر خبر استئمان الزنج إلى أبى أحمد]

وفى شهر رمضان من هذه السنة استأمن إلى أبى أحمد خلْق كثير من عند الزنج[1] .

* ذكر سبب ذلك :

وكان السبب فى ذلك أنه كان – فيما ذكر – استأمن إلى أبى أحمد رجلٌ من مذكورى أصحاب الخبيث ورؤسائهم وشجعانهم ، يقال له مهذّب ، فحمِل فى الشذا إلى أبى أحمد ، فأتِىَ به فى وقت إفطاره ، فأعلمه أنه جاء متنصّحاً راغباً فى الأمان ، وأن الزّنج على العبور فى ساعتهم تلك إلى عسكره للبيات ، وأنّ الذين ندب الفاسق لذلك أنجادهم وأبطالهم ؛ فأمر أبو أحمد بتوجيه مَنْ يحاربهم إليهم ومن يمنعهم من العبور وأن يعارضوا بالشّذا . فلما علم الزّنج أن قد نذِر[2] بهم انصرفوا منهزمين ، فكثر المستأمنة من الزّنج وغيرهم وتتابعوا ؛ فبلغ عدد مَنْ وافى عسكر أبى أحمد منهم إلى آخر شهر رمضان سنة سبع وستين ومائتين خمسة آلاف رجل من بين أبيض وأسود .

٣/١٩٩٣

(١) س : « عدد » .
(٢) س : « شعر » .

وفى شوال من هذه السنة ورد الخبر بدخول الخجُستانىّ نيسابور وانهزام عمرو بن الليث وأصحابه ، فأساء السيرة فى أهلها ، وهدم دور آل مُعاذ بن مسلم ، وضرب من قدر عليه منهم واقتطع ضياعهم ، وترك ذكر محمد بن طاهر ، ودعا له على منابر ما غلب عليه من مدن خراسان وللمعتمد ، وترك الدعاء لغيرهما .

* * *

[ذكر خبر الإيقاع بالزنج فى هذا العام]

وفى شوال من هذه السنة كانت لأبى العباس وقعة بالزّنج ، قُتِل فيها منهم جمع كثير .

* ذكر سبب ذلك :

وكان السبب فى ذلك — فيما بلغنى — أنّ الفاسق انتخب من كلّ قيادة من أصحابه أهل الجلَد والبأس منهم ، وأمر المهلبىّ بالعبور بهم ليبيّت عسكر أبى أحمد ، ففعل ذلك ، وكانت عِدّة مَنْ عَبَر من الزّنج وغيرهم زهاء خمسة آلاف رجل أكثرهم من الزنج ، وفيهم[1] نحو من مائتى قائد ، فعَبَرُوا إلى شرقىّ دِجْلة ، وعزموا على أن يصير[2] القوّاد منهم إلى آخر النخل مما يلى السَّبَخة ؛ فيكونوا فى ظهر عسكر أبى أحمد ، ويعبر جماعة كثيرة منهم فى الشَّذَا والسُّميريّات والمعابر قبالة عسكر أبى أحمد ، فإذا نشبت الحرب بينهم انكبّ مَنْ كان عبر من قوّاد الخبيث ، فصار إلى السَّبخة على عسكر أبى أحمد الموفق ، وهم غارّون مشاغيل بحرب مَنْ بإزائهم ، وقدّر أن يتهيأ له فى ذلك ما أحبه . فأقام الجيش فى الفُرات ليلَتهم ، ليغادوا الإيقاع بالعسكر . فاستأمن إلى أبى أحمد غلام كان معهم من الملاّحين ، فأنهى إليه خبرَهم وما اجتمعت عليه آراؤهم ، فأمر أبو أحمد أبا العباس والقُوّاد والغلمان بالنهوض إليهم ؛ وقصد الناحية التى فيها أصحاب الخبيث ، وأنفذ جماعة من قُوّاد غلمانه فى الخيل إلى السَّبَخة التى فى مؤخّر النخل بالفرات ، لتقطعهم عن

٣/١٩٩٤

(١) س : « ومعهم » .
(٢) س : « يصيروا » .

الخروج إليها ، وأمر أصحاب الشّذا والسميريّات ، فاعترضوا فى دجلة ، وأمر الرّجالة بالزّحف إليهم من النخل . فلما رأى الفجّار[1] ما أتاهم من التدبير الذى لم يحتسبوه كرّوا راجعين فى الطريق الذى أقبلوا منه طالبين التخلص، فكان قصدهم لجويث بارويه ، وانتهى خبر رجوعهم إلى الموفّق، فأمر أبا العباس ٣/١٩٩٥ وزيرك بالانحدار فى الشّذاوات يسبقونهم إلى النهر ؛ ليمنعوهم من عبوره . وأمر غلاماً من غلمانه ، يقال له ثابت، له قيادة على جمع كثير من غلمانه السودان أن يحمل أصحابه فى المعابر والزّواريق وينحدر معهم إلى الموضع الذى فيه أعداء الله للإيقاع بهم حيث كانوا ، فأدركهم ثابت فى أصحابه بجويث بارويه، فخرج إليهم فحاربهم محاربة طويلة ، وثبتوا له،واستقبلوا جمعه وهو من أصحابه فى زهاء خمسمائة رجل ، لأنهم لم يكونوا تكاملوا وطمعوا فيه ، ثم صدقهم وأكبّ عليهم ، فمنحه الله أكتافهم ؛ فمن مقتول وأسير وغريق وملجّج فى الماء بقدر اقتداره على السباحة التقمطته الشذا والسميريّات فى دجلة والنهر ، فلم يفلت من ذلك الجيش إلا أقله . وانصرف أبو العباس بالفتح ، ومعه ثابت وقد علّقت الرءوس فى الشّذاوات وصلب الأسارى فيها ، فاعترضوا بهم مدينتهم ليرهبوا بهم أشياعهم؛ فلما رأوهم أبلسوا وأيقنوا بالبوار، وأدخل الأسارى والرءوس إلى الموفقيّة ، وانتهى إلى أبى أحمد أن صاحب الزّنج موّه على أصحابه ، وأوهمهم أن الرءوس المرفوعة مثل مثّلت لهم ليراعوا[2] ، وأن الأسارى من المستأمنة . فأمر الموفق عند ذلك أبا العباس بجمع الرءوس والمسير ٣/١٩٩٦ بها إلى إزاء قصر الفاسق والقذف بها فى منجنيق منصوب فى سفينة إلى عسكره ، ففعل أبو العباس ذلك، فلما سقطت الرءوس فى مدينتهم، عرف أولياء القتلى رءوس أصحابهم ، فظهر بكاؤهم ، وتبين[3] لهم كذب الفاجر وتمويهه .

* * *

وفى شوال من هذه السنة كانت لأصحاب ابن أبى الساج وقعة بالهيصم العجلىّ ، قتلوا فيها مقدّمته ، وغلبوا على عسكره فاحتووه .

---

(١) ب : « الفاجر » . (٢) س : « لكم لتراعوا » .

(٣) س : « وظهر » .

[ذكر خبر الوقعة مع الزنج بنهر ابن عمر]

وفى ذى القعدة منها كانت لزيرك وقعة مع جيش لصاحب الزنج بنهر ابن عمر ، قتل زيرك منهم فيها خلقاً كثيراً .

* ذكر الخبر عن سبب هذه الوقعة :

ذكر أن صاحب الزّنج كان أمر باتّخاذ شَذَوات ، فعُمِلت له ، فضمها إلى ما كان يحارب به ، وقسّم شذواته ثلاثة أقسام بين بَهْبوذ ونصر الرومىّ وأحمد ابن الزرَنجىّ ، وألزم كلّ واحدمنهم غرْمَ ما يصنع على يديه منها ، وكانت زهاء خمسين شَذاة ، ورتّب فيها الرّماة وأصحاب الرماح ، واجتهدوا فى إكمال عُدّتهم وسلاحهم ، وأمرهم بالمسير فى دِجْلة والعبور إلى الجانب الشرقىّ والتعرّض لحرب أصحاب الموفق ، وعدّة شذوات الموفّق يومئذ قليلة ، لأنه لم يكن وافاه كلّ ما كان أمر باتّخاذه ، وما كان عنده منها فمتفرّق فى فُوّهة الأنهار التى يأتى الزّنج منها الميِرَة . فغلظ أمر أعوان الفاجر ، وتهيّأ له أخذ شذاة بعد شذاة من شذا الموفّق ، وأحجم نصير المعروف بأبى حمزة عن قتالهم والإقدام عليهم ، كما كان يفعل لقلة ما معه من الشّذا ، وأكثر شذوات الموفق يومئذ مع نصير ، وهو المتولّى لأمرها . فارتاع لذلك أهلُ عسكر الموفق ، وخافوا أن يقدم على عسكرهم الزّنج بما معهم من فضل الشّذَا ، فورد عليهم فى هذه الحال شَذوات كان الموفّق تقدّم فى بنائها بجنّابَا ، فأمر أبا العباس بتلقّيها فيما معه من الشّذَا حتى يوردها العسكر ، إشفاقًا من اعتراض الزّنج عليها فى دِجْلة ، فسلمت ، وأتى بها حتى إذا وافت عسكر نُصير ، فبصر بها الزنج طمعوا فيها ، فأمر الخبيث بإخراج شَذواته ، وأمر أصحابه بمعارضتها والاجتهاد فى اقتطاعها ، فنهضوا[1] لذلك . فتسرّع غلام من غلمان أبى العباس شجاع يقال له وصيف يعرف بالحجْرَاى ، فى شذوات كُنّ معه ، فشدّ على الزنج فانكشفوا ، وتبعهم حتى وافى بهم نهر أبى الخصيب ، وانقطع عن أصحابه ، فكرّوا عليه شذواتِهم ، وانتهى إلى مضيق ، فعلقت مجاديف بعض شذواته — ٣/١٩٩٧

(١) س : « فنهض » .

بمجاديف بعض شذواتهم ، فجنحت وتقصّفت بالشطّ ، وأحاط به الآخرون واكتنفوه من جوانبه ، وانحدر عليه الزّنْج من السور ، فحاربهم بمَنْ كان معه حرباً شديداً حتّى قتلوا .

وأخذ الزّنج شذواتِهم ، فأدخلوها نهر أبي الخصيب . ووافى أبو العباس بالشذوات الجنّابية سالمة بما فيها من السلاح والرجال ، فأمر أبو أحمد أبا العباس بتقلّد أمر الشّذَوات كلها والمحاربة بها ، وقطع مواد المِير عنهم من كلّ جهة . ففعل ذلك ، فأصلحت[1] الشذوات ، ورتّب فيها المختارون من الناشبة والرّامحة ؛ حتّى إذا أحكم أمرها أجمع ، ورتّبها فى المواضع التى كانت تقصد إليها شذوات الخبيث ، وتعيث فيها ، أقبلت شذواته على عادتها التى كانت قد جرت عليها . فخرج إليهم أبو العباس فى شَذَواته ، وأمر سائر أصحاب الشّذا أن يحملوا بحملته ، ففعلوا ذلك وخالطوهم ، وطفِقوا يرشُقونهم بالسهام ، ويطعنونهم بالرماح ، ويقذفونهم بالحجارة ؛ وضرب الله وجوهَهم ، فولوْا منهزمين ، وتبعهم أبو العباس وأصحابه حتّى أولجوهم نهر أبي الخصيب ، وغرق لهم ثلاث شَذَوات ، وظفر بشذاتَين من شَذَواتهم بما فيها من المقاتلة والملاّحين . فأمر أبو العباس بضرب أعناق مَنْ ظفِر به منهم .

فلما رأى الخبيث ما نزل بأصحابه ، امتنع من إخراج الشّذا عن فناء قصره ، ومنع أصحابه أن يجاوزوا بها الشطّ إلا فى الأوقات التى يخلو دِجْلة فيها من شَذَوات الموفّق .

فلمّا أوقع بهم أبو العباس هذه الوقعة اشتدّ جزعُهم ، وطلب وجوه أصحاب الخبيث الأمانَ فأومِنوا ، فكان ممن استأمَن من وجوههم — فيما ذكر — محمد بن الحارث العميّ ، وكان إليه حفظ عسكر منكى والسور الذى يلى عسكر الموفّق ، وكان خروجُه ليلاً مع عدّة من أصحابه ، فوصله الموفّق بصلات كثيرة ، وخلع عليه ، وحمله على عدّة دوابّ بحليتها وآلتها ، وأسنى له الرّزق ، وكان محمد بن الحارث حاول إخراج زَوْجته معه ، وهى إحدى بنات عمه ،

٣/١٩٩٨ ٣/١٩٩٩

(١) ب : « فأصبحت » .

فعجزت المرأة عن اللحاق به ، فأخذها الزنج فردّوها إلى الخبيث ، فحبسها مدّة ، ثم أمر بإخراجها والنداء عليها فى السوق ، فبيعت ؛ ومنهم أحمد المعروف بالبَرذعىّ. وكان — فيما قيل — من أشجع رجال الخبيث الذين كانوا فى حيِّز المهلبىّ ومن قوّاده الزنج مدبد وابن أنكلويه ومنينة ، فخلع عليهم جميعًا ، ووُصلوا بصلات كثيرة ، وحُمِلوا على الخيل ، وأحسن إلى جميع من جاءوا به معهم من أصحابهم ، وانقطعت عن الخبيث موادّ الميرة ، وسُدّت عليه وعلى من أقام معه المذاهب. وأمر شبلا وأبا النداء — وهما من رؤساء قوّاده وقدماء أصحابه الذين كان يعتمد عليهم و يثق بمناصحتهم — بالخروج فى عشرة آلاف من الزّنج وغيرهم ، والقصد لنهر الدير ونهر المرأة ونهر أبى الأسد ، والخروج من هذه الأنهار إلى البَطيحة للغارة على المسلمين ، وأخذ ما وجدا من طعام وميرة ليُقطع عن عسكر الموفق ما يرده من الميرة وغيرها من مدينة السلام وواسط ونواحيها . فندب الموفّق لقصدهم حين انتهى إليه خبر مسيرهم مولاه زيرك صاحب مقدمة أبى العباس ، وأمره بالنهوض فى أصحابه إليهم ، وضمّ إليه من اختار من الرجال ، فمضى فى الشَّذَوات والسُّميريّات ، وحمل الرجّالة فى الزواريق والسفن الخِفاف حثيثًا ، حتى صار إلى نهر الدير ، فلم يعرف لهم هنالك خبراً ، ٢٠٠٠/٣ فصار منه إلى بشْق شيرين . ثم سلك فى نهر عدىّ حتى خرج إلى نهر ابن عمر ، فالتقى به[1] جيش الزّنج فى جمع راعتْه كثرته ، فاستخار الله فى مجاهدتهم[2] ، وحمل عليهم فى ذوى البصائر والثبات من أصحابه ، فقذف الله الرعب فى قلوبهم ، فانفضّوا ، ووضع فيهم السلاح ، فقتَل منهم مقتلةً عظيمة ، وغرِق منهم مثل ذلك ، وأسَر خلقًا كثيراً ، وأخذ من سفنهم ما أمكنه أخذه ، وغرق منها ما أمكن تغريقه ؛ فكان ما أخذ من سفنهم نحواً من أربعمائة سفينة ، وأقبل بمن معه من الأسارى و بالرءوس إلى عسكر الموفق .

---

(١) س : « فيه » .
(٢) ب : « محاربتهم » .

[خبر عبور الموفق إلى مدينة صاحب الزنج لحربه]

وفى ذى الحجة لست بقين منه عبر الموفق بنفسه إلى مدينة الفاسق وجيشه لحربه .

* ذكر السبب الذى من أجله كان عبوره إليها :

وكان السبب فى ذلك – فيما ذكر – أنّ الرؤساء من أصحاب الفاسق ، لمّا رأوْا ما قد حلّ بهم من البلاء مِنْ قتل مَنْ يظهر منهم وشدّة الحصار على مَنْ لزم المدينة ؛ فلم يظهر منهم أحد ، وحالَ مَنْ خرج منهم بالأمان من الإحسان إليه ، والصفح عن جُرْمه ، مالوا إلى الأمان ، وجعلوا يهربون فى كلّ وجه ، ويخرجون إلى أبى أحمد فى الأمان كلّما وجدوا إليه السبيل . فلبِئَ الخبيث من ذلك رُعْبًا ، وأيقن الهلاك ، فوكّل بكلّ ناحية كان يرى أنّ فيها طريقًا للهرب من عسكره أحراسًا وحَفَظَة[1] ، وأمرهم بضبط تلك النواحى ، ووكّل بفُوّهة الأنهار مَنْ يمنع السفن من الخروج منها ، واجتهد فى سدّ كلّ مسلك وطريق وثلمة ؛ لئلا يطمع فى الخروج عن مدينته .

٣/٢٠٠١

وأرسل جماعة من قوّاد الفاجر صاحب الزنج إلى الموفق يسألونه الأمان ، وأن يوجه لمحاربة الخبيث جيشًا ليجدوا إلى المصير إليه سبيلاً ، فأمر الموفق أبا العباس بالمصيرِ فى جماعة من أصحابه إلى الموضع المعروف بنهر الغربىّ ، وعلىّ بن أبان حينئذ يحوط ذلك النهر ؛ فنهض أبو العباس فى المختارين من أصحابه ، ومعه الشّذا والسُّميريّات والمعابر ، فقصد النهر الغربىّ ، وانتدب المهلبىّ وأصحابه لحربه ، فاستعرت الحرب بين الفريقين ، وعلا أصحاب أبى العباس ، وقهر الزّنْج ، وأمدّ الفاسق المهلبىّ بسليمان بن جامع فى جمع من الزّنْج كثير ، واتصلت الحرب يومئذ من أوّل النهار إلى وقت العصر ؛ وكان الظفر فى ذلك اليوم لأبى العباس وأصحابه ، وصار إليه القوم الذين كانوا طلبوا الأمان من قُوّاد الخبيث ، ومعهم جمع كثير من الفرسان وغيرهم من الزّنْج ، فأمر أبو العباس عند ذلك أصحابه بالرجوع إلى الشّذا والسفن ،

(١) س : « وحفظا » .

وانصرف فاجتاز فى منصرفه بمدينة الخبيث ، حتى انتهى إلى الموضع المعروف بنهر الأتراك ، فرأى أصحابه من قلة عدد الزّنْج فى هذا الموضع من النهر ما طمعوا له فيمن كان هناك ، فقصدوا نحوهم ، وقد انصرف أكثر أصحابهم إلى المدينة الموفّقية ، فقربوا إلى الأرض ، وصعِدوا وأمعنوا فى دخول تلك المسالك، ٣/٢٠٠٢ وعاثَتْ جماعةٌ منهم السور ، وعليه فريق من الزّنج وأشياعهم ، فقتلوا مَنْ أصابوا منهم هنالك ، ونذِر الفاسق بهم ، فاجتمعوا لحربهم ، وأنجد بعضهم بعضًا .

فلمّا رأى أبو العباس اجتماعَ الخبثاء وتحاشدَهم وكثرة مَن ثاب إلى ذلك الموضع منهم ، مع قلة عدد مَنْ هنالك[1] من أصحابه ، كرّ راجعًا إليهم فيمن كان معه فى الشّذَا ، وأرسل إلى الموفّق يستمدّه ، فوافاه لمعونته مَنْ خفّ لذلك من الغلمان فى الشّذَا والسُّميريّات ، فظهروا على الزّنْج وهزموهم ؛ وقد كان سليمان بن جامع لما رأى ظهور أصحاب أبى العباس على الزّنْج ، وغل فى النهر مصاعداً فى جمع كثير ؛ فانتهى إلى النّهر المعروف بعبد الله ، واستدبر أصحاب أبى العباس وهم فى حربِهم ، مقبلين علَى مَنْ بإزائهم ممّن يحاربهم ، فيمعنون فى طلب مَن انهزم عنهم من الزّنْج . فخرج عليهم من ورائهم ، وخفقت طبوله ، فانكشف أصحاب أبى العباس ، ورجع عليهم مَنْ كان انهزم عنهم من الزّنْج ، فأصيبت جماعة من غلمان الموفّق وغيرهم من جُنده ، وصار فى أيدى الزّنْج عدّة أعلام ومطارد ، وحامى أبو العباس عن الباقين من أصحابه ، فسلم أكثرُهم ، فانصرف بهم ؛ فأطمعت هذه الوقعة الزّنْج وتبّاعهم[2] ، وشدّت قلوبهم ، فأجمع الموفّق على العبور بجيشه أجمع لمحاربة الخبيث ، وأمر أبا العباس وسائر القوّاد والغلمان بالتأهّب للعبور ، وأمر بجمع السفن والمعابر وتفريقها عليهم ، ووقف على يوم بعينه أراد العبور فيه ، فعصفت رياحٌ منعت من ذلك ، واتصل عصوفها أيامًا كثيرة ؛ فأمهل ٣/٢٠٠٣ الموفّق حتى انقضى هبوب تلك الرياح ، ثم أخذ فى الاستعداد للعبور ومناجزة الفاجر .

---

(١) س : « هناك » .
(٢) س : « وأتباعهم » .

فلما تهيأ له ما أراد من ذلك عبر يوم الأربعاء لست ليال بقين من ذي الحجة من سنة سبع وستين ومائتين في أكثف جَمْع وأكمل عدّة، وأمر بحمل خيل كثيرة في السفن، وتقدّم إلى أبي العباس في المسير في الخيل ومعه جميع قوّاده الفرسان ورجّالتهم، ليأتيَ الفجرة مِن ورائهم من مؤخّر النهر المعروف بمنكى، وأمر مسروراً البلخيّ مولاه بالقصد إلى نهر الغربيّ ليضطر الخبيث بذلك إلى تفريق أصحابه، وتقدّم إلى نصير المعروف بأبي حمزة ورشيق غلام أبي العباس وهو من أصحابه — وشذواته في مثل العدّة التي فيها نصير — بالقصد لفوّهة نهر أبي الخصيب والمحاربة لما يظهر من شذَوات الخبيث، وقد كان استكثر منها، وأعدّ فيها المقاتلة وانتخبهم. وقصد أبو أحمد بجميع مَنْ معه لركن من أركان مدينة الخبيث قد كان حصّنه بابنه المعروف بأنكلاي، وكنفه بعليّ بن أبان وسليمان بن جامع وإبراهيم بن جعفر الهمدانيّ وحفّه بالمجانيق والعرّادات والقسيّ الناكيّة، وأعدّ فيه الناشبة وجمع فيه أكثر جيشه.

فلما التقى الجمعان أمر الموفّق غلمانه: الناشبة والرامحة والسودان، بالدنوّ من الركن الذي فيه جمع الفسقة، وبينه وبينهم النهر المعروف بنهر الأتراك؛ وهو ٢٠٠٤/٣ نهر عريض غزير الماء. فلما انتهوْا إليه أحجموا عنه، فصيح بهم، وحُرِّضوا على العبور فعبروا سباحة، والفسقة يرمونهم بالمجانيق والعرّادات والمقاليع والحجارة عن الأيدي، وبالسهام عن القسيّ الناوكية، وقسيّ الرِّجْل وصنوف الآلات التي يرمَى عنها؛ فصبروا على جميع ذلك حتى جاوزوا النهر، وانتهوْا إلى السور، ولم يكن لحِقهم من الفعَلة مَن كان أعِدّ لهدمه. فتولّى الغلمان تشعيث السور بما كان معهم من سلاحهم ويسّر الله ذلك، وسهّلوا لأنفسهم السبيل إلى علُوّه، وحضرهم بعض السلاليم التي كانت أعِدّت لذلك، فعلَوا الركن، ونصبوا هنالك علماً من أعلام الموفق، وأسلم الفسقة سورهم، وخلوْا عنه بعد أن حوربوا عليه أشدّ حرب، وقتِل من الفريقين خلقٌ كثير، وأصيب غلامٌ من غلمان الموفّق يقال له ثابت بسهم في بطنه فمات، وكان من قوّاد الغلمان وجِلّتهم.

ولما تمكن أصحاب الموفّق من سُور الفسقة، أحرقوا ما كان عليه من مِنجنيق

وعرّادة وقوس ناوكيّة . وخلّوْا عن تلك الناحية وأسلموها . وقد كان أبو العباس قصد بأصحابه فى الخيل النهر المعروف بمنكى ، فمضى علىّ بن أبان المهلبىّ فى أصحابه ، قاصداً لمعارضته ودفعه عمّا صمد له ، والتقيا ، فظهر أبو العباس عليه وهزمه ، وقتل جمعاً كثيراً من أصحابه ، وأفلت المهلبىّ راجعاً ، وانتهى أبو العباس إلى الموضع الذى قدّر أن يصل منه إلى مدينة الفاسق من مؤخر نهر منكى ، وهو يرى أنّ المدخل من ذلك الموضع سهلٌ ، فدخل إلى الخندق فوجده عريضاً ممتنعاً ، فحمل أصحابه على أن يعبروه بخيولهم ، وعبَره الرّجّالة سباحةً حتّى وافوا السور ، فثلموا فيه ثلماً اتّسع لهم منه الدخول فدخلوا ، فلقى أوائلُهم سليمان بن جامع ، وقد أقبل للمدافعة عن تلك الناحية لمّا انتهى إليه انهزام المهلبىّ عنها ، فحاربوه ، وكان إمام القوم عشرة من غلمان الموفق ، فدافعوا سليمان وأصحابَه ، وهم خلق كثير ، وكشفوهم مراراً كثيرة ، وحاموا عن سائر أصحابهم حتى رجعوا إلى مواضعهم[1] . ٣/٢٠٠٥

وقال محمد بن حمّاد : لما غلب أصحاب الموفّق على الموضع الذى كان الفاسق حرسه بابنه والمذكورين من أصحابه وقوّاده ، وشعّثوا من السور الذى أفضوْا إليه ما أمكنهم تشعيثُه ، وافاهم الذين كانوا أعدّوا للهدم بمعاولهم وآلاتهم ، فثلموا فى السور عدّة ثلم ، وقد كان الموفّق أعدّ لخندق الفسقة جسراً يُمَدّ عليه ، فمُدّ عليه ، وعبر جمهور الناس . فلما عاين الخبثة ذلك ، ارتاعوا فانهزموا عن سور لهم ثان قد كانوا اعتصموا به ، ودخل أصحابُ الموفق مدينة الخائن ، فولّى الفاجرُ وأشياعُه منهزمين ، وأصحابُ الموفق يتبعونهم ويقتلون مَن انتهوا إليه منهم ؛ حتى انتهوا إلى النهر المعروف بابن سمعان ، وصارت دار ابن سمعان فى أيدى أصحاب الموفق . وأحرقوا ما كان فيها وهدموها ، ووقف الفجرة على نهر ابن سمعان وقوفاً طويلا ، ودافعوا مدافعة شديدة ، وشدّ بعض غلمان الموفق على علىّ بن أبان المهلبى ، فأدبر عنه هارباً ، فقبض على مئزره ، فخلّى عن المئزر ، ونبذه إلى الغلام ، ونجا بعد أن أشفى على الهلكة ، وحمل أصحاب الموفق على الزّنج حملةً صادقة ، فكشفوهم عن النهر المعروف بابن سمعان ، ٣/٢٠٠٦

(١) س : « موضعهم » .

حتى وافَوْا بهم طرف ميدان الفاسق ، وانتهى إليه خبرُ هزيمة أصحابه ودخول أصحاب الموفّق مدينته من أقطارها ، فركب فى جمع من أصحابه ، فتلقّاه أصحاب الموفق ، وهم يعرفونه فى طرف ميدانه ، فحملوا عليه ، فتفرّق عنه أصحابُه ومَن كان معه وأفردوه ، وقَرُب منه بعض الرجّالة حتى ضرب وجه فرسه بتُرسه؛ وكان ذلك مع مغيب الشمس، فأمر الموفّق أصحابه بالرجوع إلى سفنهم ، فرجعوا سالمين ، قد حملوا من رءوس الخبثاء شيئًا كثيراً ، ونالوا كلّ الذى أحبّوا منهم من قتل وجراح وتحريق منازل وأسواق، وقد كان استأمن إلى أبى العباس فى أول النهار عدد من قوّاد الفاجر وفرسانه، فاحتاج إلى التوقف على حملهم فى السفن ، وأظلم الليل ، وهبّت ريح شمال عاصف ، وقوِىَ الجزر ، فلصِق أكثر السفن بالطين .

وحرّض الخبيث أشياعَه واستنجدهم ، فبانت منهم جماعة ، وشدّوا على السفن المتخلّفة ، فنالوا منها نَيْلاً ،وقتلوا فيها نفراً ؛ وقد كان بهبوذ بإزاء مسرور البلخىّ وأصحابه فى هذا اليوم فى نهر الغربىّ ، فأوقع بهم ، وقتل جماعة منهم ، وأسر أسارى ، وصارت فى يده دوابّ من دوابهم ، فكسر ذلك نشاط أصحاب الموفّق . وقد كان الخبيثُ أخرجَ فى هذا اليوم [1] جميع شذَاوته إلى دجْلة محاربين فيها رشيقاً ، وضرب منها رشيق على عدّة شذَوات ، وغرّق منها وحرّق ، وانهزم الباقون إلى نهر أبى الخصيب .

٣/٢٠٠٧

وذُكر أنه نزل فى هذا اليوم بالفاسق وأصحابه مادعاهم إلى التفرّق والهرب على وجوههم نحو نهر الأمير والقَنْدل وإبرسان وعبّادان وسائر القرى ، وهرب يومئذ أخوا سليمان بن موسى الشعرانىّ: محمد وعيسى ، فمضيا يؤمّان البادية ، حتى انتهى إليهما رجوع أصحاب الموفق ، فرجعا ، وهرب جماعة من العرب الذين كانوا فى عسكر الفاسق ، وصاروا إلى البصرة ، وبعثوا يطلبون الأمان من أبى أحمد ، فآمنهم ، ووجّه إليهم السفن ، فحملهم إلى الموفقيّة ، وأمر أن يخلَع عليهم، ويوصلوا، ويجرَى عليهم الأرزاق والأنزال ، ففعل ذلك بهم .

---

(١) س : « الموضع » .

وكان فيمن رغب فى الأمان من جلّة قوّاد الفاجر ريحان بن صالح المغربىّ ، وكانت له رياسة وقيادة ، وكان يتولّى حجبة ابن الخبيث المعروف بأنكلاى ، فكتب ريحان يطلب الأمان لنفسه ولجماعة من أصحابه ، فأجيب إلى ذلك ، وأنفذ إليه عدد كثير من الشذا والسميريّات والمعابر مع زيرك القائد صاحب مقدّمة أبى العباس ، فسلك النهر المعروف باليهودىّ ؛ حتّى وافى الموضع المعروف بالمطّوعة ، فألفى به ريحان ومن معه من أصحابه ، وقد كان الموعد تقدم فى موافاة ذلك الموضع زيرك ريحان ومن معه ، فوافى بهم دار الموفق ، فأمر لريحان بخلع ، وحمل على عدّة من أفراس بآلتها ، وأجيز بجائزة سنية ، وخلع على أصحابه ، وأجيزوا على أقدارهم ، وضُمّ إلى أبى العباس ، وأمر بحمله وحمل أصحابه والمصير بهم إلى إزاء دار الخبيث ، فوقفوا هنالك فى الشّذَا ، فعرفوا خروج ريحان وأصحابه فى الأمان ، وما صاروا إليه من الإحسان ، فاستأمن فى ساعتهم تلك من أصحاب ريحان الذين كانوا تخلّفوا وغيرهم جماعة ، فألحقوا فى البرّ والإحسان بأصحابهم ؛ وكان خروج ريحان بعد الوقعة التى كانت يوم الأربعاء فى يوم الأحد لليلة بقيت من ذى الحجة سنة سبع وستين ومائتين .

٣/٢٠٠٨

* * *

وفى هذه السنة أقبل أحمد بن عبد الله الخُجُستانىّ يريد العراق بزعمه ؛ حتّى صار إلى سِمْنان ، وتحصّن منه أهل الرّىّ وحصّنوا مدينتهم ؛ ثم انصرف من سِمْنان راجعًا إلى خُراسان .

وفيها انصرف خلقٌ كثير من طريق مكة فى البدأة لشدّة الحرّ ، ومضى خلق كثير ، فمات ممن مضى خَلْقٌ كثير من شدّة الحرّ ، وكثير منهم من العطش ، وذلك كله فى البدأة ، وأوقعت فزارةُ فيها بالتجار ، فأخذوا — فيما ذكر — منهم سبعمائة حمل بزّ .

وفيها اجتمع بالموسم عامل لأحمد بن طولون فى خيله وعامل لعمرو بن الليث فى خيله ، فنازع كلّ واحد منهما صاحبه فى ركز علمه على يمين المنبر فى مسجد إبراهيم خليل الرحمن ، وادّعى كلٌّ واحد منهما أنّ الولاية

لصاحبه ، وسلاّ السيوف ، فخرج معظم الناس من المسجد ، وأعان موالى هارون ابن محمد من الزّنْج صاحبَ عمرو بن الليث ، فوقف حيث أراد ، وقصر هارون — وكان عامل مكة — الخطبةَ وسلم الناس ، وكان المعروف بأبى المغيرة المخزومىّ حينئذ يحرس فى جميّعة .

٢٠٠٩/٣

وفيها نُفِى الطباع عن سامُرّا .

وفيها ضرب الخُجُستانىّ لنفسه دنانير ودراهم ووزن الدينار[1] منها عشرة دوانيق ، ووزن الدرهم ثمانية دوانيق ، عليه : «المُلْك والقدرة لله ، والحوْل والقوّة بالله ؛ لا إله إلا الله محمد رسول الله » ، وعلى جانب منه : «المعتمد على الله باليمن والسعادة » ، وعلى الجانب الآخر : « الوافى أحمد بن عبد الله » .

وحجّ بالناس فيها هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى الهاشمىّ .

---

(١) ب : « الدراهم » .

ثم دخلت سنة ثمان وستين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر استئمان جعفر بن إبراهيم إلى أبى أحمد الموفق]

فمن ذلك ما كان من استئمان جعفر بن إبراهيم المعروف بالسجّان إلى أبى أحمد الموفّق فى يوم الثلاثاء فى غرّة المحرم منها. وذكر أن السبب كان فى ذلك الوقعة التى كانت لأبى أحمد فى آخر ذى الحجة من سنة سبع وستين ومائتين التى ذكرناها قبلُ، وهرب ريحان بن صالح المغربىّ من عسكر الفاجر وأصحابه ولحاقه بأبى أحمد، فنخب قلب الخبيث لذلك؛ وذلك أنّ السجّان كان - فيما قيل - أحد ثقاته، فأمر أبو أحمد للسجان هذا بخِلَع وجوائز وصِلات وحُملان وأرزاق، وأقيمت له أنزال، وضُمّ إلى أبى العباس، وأمره بحمله فى الشّذاة إلى إزاء قصر الفاسق؛ حتى رآه وأصحابه، وكلّمهم السّجّان، وأخبرهم أنهم فى غرور من الخبيث، وأعلمهم ما قد وقف عليه من كذبه وفجورِه؛ فاستأمن فى هذا اليوم الذى حُمل فيه السجان من عسكر الخبيث خلقٌ كثير من قُوّاده الزّنج وغيرهم، وأحسِن إليهم، وتتابع الناس فى طلب الأمان والخروج من عند الخبيث، ثم أقام أبو أحمد بعد الوقعة التى ذكرتُ أنها كانت لليلة بقيت من ذى الحجة من سنة سبع وستين ومائتين، لا يعبر إلى الخبيث لحرب، يُجِمّ بذلك أصحابه إلى شهر ربيع الآخر . ٣/٢٠١٠

* * *

وفى هذه السنة صار عمرو بن الليث إلى فارس لحرب عامله محمد بن الليث عليها، فهزمه عمرو، واستباح عسكره، وأفلت محمد بن الليث فى نفر، ودخل عمرو إصطخر، فانتهبها أصحابه، ووجّه عمرو فى طلب محمد بن الليث فظفِر به، وأتِى به أسيرًا، ثم صار عمرو إلى شيراز فأقام بها .

٣/٢٠١١ وفى شهر ربيع الأول منها زُلزلت بغداد لثمانٍ خلوْن منه ، وكان بعد ذلك ثلاثة أيام مطر شديد ، ووقعت بها أربع صواعق .

وفيها زحف العباس بن أحمد بن طولون لحرب أبيه ، فخرج إليه أبوه أحمد إلى الإسكندرية ، فظفِرَ به وردّه إلى مصر فرجع معه إليها .

* * *

[ذكر خبر عبور الموفّق إلى مدينة الزنج]

ولأربع عشرة ليلة بقيت من ربيع الآخر منها عبر أبو أحمد الموفق إلى مدينة الفاجر ، بعد أن أوْهَى قوّته فى مُقامه بمدينة الموفّقية ، بالتضييق عليه والحصار ، ومنعه وصول المِيَر إليه ؛ حتى استأمن إليه خلق كثير من أصحابه ؛ فلما أراد العبور إليها أمر — فيما ذكر — ابنه أبا العباس بالقَصْد للموضع الذى كان قصده من ركن مدينة الخبيث الذى يحوطه بابنه وجِلّة أصحابه وقوّاده ، وقصد أبو أحمد موضعًا من السور فيما بين النهر المعروف بمنكى والنهر المعروف بابن سِمْعان ، وأمر صاعداً وزيرَه بالقصد لفوّهة النهر المعروف بجرى كور ، وتقدّم إلى زِيرك فى مكانفته ، وأمر مسروراً البلخىّ بالقَصْد لنهر الغربىّ ، وضمّ إلى كلّ واحد منهم من الفَعَلة جماعة لهدم ما يليهم من السُّور ، وتقدّم إلى جميعهم ألاّ يزيدوا على هدم السور ، وألا يدخلوا مدينة الخبيث . ووكّل بكلّ ناحية من النواحى التى وجه إليها القوّاد شَذَوات فيها الرّماة ، وأمرهم أن يحموا بالسهام مَنْ يهدم السور من الفَعَلة والرجّالة الذين يخرجون للمدافعة عنهم ، فثُلِم فى السور ثلم كثيرة ، ودخل أصحابُ أبى أحمد مدينة ٣/٢٠١٢ الفاجر من جميع تلك الثُّلَم ، وجاء أصحاب الخبيث يحاربونهم ، فهزمهم أصحابُ أبى أحمد ، وأتبعوهم حتى وغلوا فى طلبهم ، واختلفت بهم طرق المدينة ، وفرّقت بينهم السكك والفِجاج ، فانتهوْا إلى أبعد من الموضع الذى كانوا وصلوا إليه فى المرّة التى قبلها ، وحرّقوا وقتّلوا .

ثم تراجع أصحاب الخبيث ، فشدّوا على أصحاب أبى أحمد ، وخرج كمناؤهم من نواحٍ يهتدون لها ولا يعرفها الآخرون ، فتحيّر مَنْ كان داخل

المدينة من أصحاب أبى أحمد ، ودافعوا عن أنفسهم ، وتراجعوا نحو دِجْلة حتى وافاها أكثرُهم ؛ فمنهم مَنْ دخل السفينة ، ومنهم مَنْ قذف نفسه فى الماء ، فأخذه أصحاب الشَّذَا ، ومنهم مَنْ قتِل . وأصاب أصحاب الخبيث أسلحةً وأسلابًا ، وثبت جماعة من غلمان أبى أحمد بحضرة دار ابن سمعان ، ومعهم راشد وموسى بن أخت مفلِح ، فى جماعة من قُوّاد الغلمان كانوا آخر مَنْ ثبت من الناس ، ثم أحاط بهم الزَّنج وكثَرُوهم ، وحالوا بينهم وبين الشَّذَا ، فدافعوا عن أنفسهم وأصحابهم ، حتى وصلوا إلى الشَّذَا فركبوها . وأقام نحو من ثلاثين غلاماً من الديالمة فى وجوه الزَّنْج وغيرهم ، يحمون الناس ، ويدفعون عنهم حتى سلِموا ، وقتِل الثلاثون من الدّيالمة عن آخرهم ، بعد ما نالوا من الفجّار ما أحبوا ، وعظم على الناس ما نالهم فى هذه الوَقْعة ، وانصرف أبو أحمد بمَنْ معه إلى مدينته الموفقيّة ، وأمر بجمعهم وعَذْلِهم[1] على ما كان منهم من مخالفة أمره ، والافتيات عليه فى رأيه وتدبيره ، وتوعدهم بأغلظ العقوبة إن عادوا لخلاف أمره بعد ذلك ، وأمر بإحصاء[2] المفقودين من أصحابه فأحْصُوا له ، فأتِىَ بأسمائهم ، وأقرَّ ما كان جاريًا لهم على أولادهم وأهاليهم ، فحسُن موقع ذلك منهم ، وزاد فى صحة نياتهم لِمَا رأوْا من حياطته خلْف مَنْ أصيب فى طاعته .

٢٠١٣/٣

* * *

[ذكْر وقعة أبى العباس بمن كان يمدّ الزنج من الأعراب]

وفيها كانت لأبى العباس وقعةٌ بقوم من الأعراب الذين كانوا يميرون الفاسق اجتاحهم فيها .

* ذكر الخبر عن السبب الذى كانت من أجله هذه الوقعة :

ذُكر أنّ الفاسق لما خرّب البصرة ولّاها رجلاً من قدماء أصحابه يقال له أحمد بن موسى بن سعيد المعروف بالقَلُوص ؛ فكان يتولّى أمرها ، وصارت

(١) س : « وعدلهم » . (٢) س : « بإحضار » .

فرصة للفاسق يَرِدها الأعراب والتّجار، ويأتونها بالميَر وأنواع التجارات ، ويُحمل ما يردها إلى عسكر الخبيث ، حتى فتح أبو أحمد طهيثا ، وأسر القَلوص. فولّى الخبيثُ ابنَ أخت القلوص — يقال له مالك بن بِشران — البَصْرة وما يليها . فلمّا نزل أبو أحمد فرات البَصْرة خاف الفاجر إيقاع أبي أحمد بمالك هذا ، وهو يومئذ نازل بسَيْحان على نهر يعرف بنهر ابن عتبة . فكتب إلى مالك يأمره بنقل عسكره إلى النهر المعروف بالديناريّ ، وأن ينفذ جماعة ممّن معه لصيد السمك وإدرار حمله إلى عسكره ، وأن يوجّه قومًا إلى الطريق التي يأتي منها الأعراب من البادية ، ليعرف ورود مَن يرد منهم بالميَر ، فإذا وردت رُفقة من الأعراب خرج إليها بأصحابه ، حتى يحمل ما تأتي به إلى الخبيث ؛ ففعل ذلك مالك ابن أخت القلوص ، ووجّه إلى البَطيحة رجلين من أهل قرية بسمى ، يعرف أحدهما بالرّيان والآخر الخليل ، كانا مقيمين بعسكر الخبيث ، فنهض الخليل والرّيان وجمعا جماعةً من أهل الطّفّ ، وأتيا قرية بسمى ، فأقاما بها يحملان السمك من البَطيحة أوّلاً أوّلاً إلى عسكر الخبيث في الزواريق الصغار التي تسلك بها الأنهار الضّيقة والأرخنجان التي لا تسلكها الشّذا والسُّميريّات ؛ فكانت موادّ سمك البَطيحة متّصلة إلى عسكر الخبيث بمقام هذين الرجلين بحيث ذكرنا ، واتّصلت أيضا ميَر الأعراب وما كانوا يأتون به من البادية . فاتّسع أهلُ عسكره ، ودام ذلك إلى أن استأمن إلى الموفّق رجلٌ من أصحاب الفاجر الذين كانوا مضمومين إلى القلوص ، يقال له عليّ بن عمر ، ويعرف بالنقّاب ، فأخبر بخبر مالك بن بِشْران ومقامه بالنهر المعروف بالديناريّ ، وما يصل إلى عسكر الخبيث بمقامه هناك من سمك البطيحة وجلَب الأعراب . فوجّه الموفق زيرك مولاه في الشّذا والسُّميريّات إلى الموضع الذي به ابن أخت القلوص ، فأوقع به وبأهل عسكره ، فقتل منهم فريقًا وأسر فريقًا ، وتفرّق أهلُ ذلك العسكر ، وانصرف مالك إلى الخبيث مفلولا ، فردّه الخبيث في جمع إلى مؤخّر النهر المعروف باليهوديّ ؛ فعسكر هنالك بموضع قريب من النهر[1] المعروف بالفيّاض ، فكانت الميَر تتّصل بعسكر الخبيث مما يلي سَبخة

٣/٢٠١٤ ٣/٢٠١٥

(١) س : « إلى النهر » .

الفيّاض . فانتهى خبر مالك ومقامه بمؤخّر نهر اليهودى ووقْعُ المِيَر من تلك الناحية إلى عسكر الفاجر إلى الموفّق، فأمر ابنه أبا العباس بالمصير إلى نهر الأمير، والنهر المعروف بالفيّاض لتعرّف حقيقة ما انتهى إليه من ذلك ؛ فنفذ الجيش ، فوافق جماعةً من الأعراب يرأسهم رجلٌ قد أورد من البادية إبلاً وغنماً وطعاماً ، فأوقع بهم أبو العباس ، فقتل منهم جماعةً وأسر الباقين ، ولم يُفلت من القوم إلا رئيسهم ؛ فإنه سبق على حِجْر[1] كانت تحته، فأمعن هرباً ، وأخذ كلّ ما كان أولئك الأعراب أتوْا به من الإبل والغنم والطعام ، وقطع أبو العباس يدَ أحد الأسرى وأطلقه ، فصار إلى معسكر الخبيث ، فأخبرهم بما نزل به، فريعَ مالك ابن أخت القَلوص بما كان من إيقاع أبى العباس بهؤلاء الأعراب . فاستأمن إلى أبى أحمد ، فأومن وحُبِيَ وكُسِيَ وضُمّ إلى أبى العباس وأجريت له الأرزاق ، وأقيمت له الأنزال . وأقام الخبيث مقام مالك رجلاً كان من أصحاب القَلوص ، ويقال له أحمد بن الجنيد ، وأمره أن يعسكر بالموضع المعروف بالدهرشير ومؤخّر نهر أبى الخصيب ، وأن يصير فى أصحابه إلى ما يقبل من سمك البَطيحة ، فيحمله إلى عسكر الخبيث ، وتأدّى إلى أبى أحمد خبر أحمد بن الجنيد ، فوجّه قائداً من قوّاد الموالى يقال له الترمدان فى جيش ، فعسكر بالجزيرة المعروفة بالروّحية ، فانقطع ما كان يأتى إلى عسكر الخبيث من سمك البَطيحة ، ووجّه الموفق شهاب بن العلاء ومحمد بن الحسن العنبريّين فى خيل لمنع الأعراب من حمل المِير إلى عسكر الخبيث ، وأمر بإطلاق السوق لهم بالبصرة ، وحمل ما يريدون امتيارَه من التمر ؛ إذ كان ذلك سبب مصيرهم إلى عسكر الخبيث ، فتقدّم شهاب ومحمد لما أمرا به، فأقاما بالموضع المعروف بقصر عيسى ؛ فكان الأعراب يوردون إليهما ما يجلبونَه من البادية ، ويمتارون التمر ممّا قِبَلَهما . ٢٠١٦/٣

ثم صرف أبو أحمد الترمدان عن البصرة ، ووجّه مكانه قائداً من قُوّاد الفراغنة ، يقال له قيصر بن أرْخُوز إخشاذ فَرْغانة ، ووجّه نصيراً المعروف بأبى حمزة فى الشّذا والسّميريات ، وأمره بالمقام بفيض البصرة ونهر دُبَيْس

(١) الحجر : الأنثى من الخيل .

وأن يخترق نهر الأبُلّة ونهر معقل ونهر غربىّ ، ففعل ذلك .

قال محمد بن الحسن : وحدّثنى محمد بن حماد ، قال : لما انقطعت الميِر عن الخبيث وأشياعه بمقام نصير وقيصر بالبصرة ، ومنعهم المِيرة من البَطيحة والبحر بالشّذا ، صرفوا الحيلة إلى سلوك نهر الأمير إلى القَنْدل ، ثم سلوك المسيحىّ إلى الطرق المؤدية إلى البرّ والبحر ؛ فكانت مِيَرهُم من البرّ والبحر ، وامتيارهم سمك البحر من هذه الجهة ، فانتهى ذلك إلى الموفّق ، فأمر رشيقًا غلام أبى العباس باتّخاذ عسكر بجَوّيْث بارويه فى الجانب الشرقى من دِجْلة بإزاء نهر الأمير ، وأن يحفر له خندقًا حصينًا ، وأمَر أبا العباس أن يضمّ إلى رشيق من خيار أصحابه خمسة آلاف رجل وثلاثين شَذاة ، وتقدّم إلى رشيق فى ترتيب هذه الشّذا على فُوّهة نهر الأمير ، وأن يجعل على كلّ خمس عشرة شَذَاة منها نوبة يلِج فيها نهرَ الأمير ، حتى ينتهىَ إلى المعترض الذى كان الزّنج يسلكونه إلى دُبّا والقَنْدل والنهر المعروف بالمسيحىّ؛ فيكون هناك ؛ فإن طلع عليهم من الخُبثَاء طالع أوقعوا به ؛ فإذا انقضت نَوْبتهم انصرفوا وعاقبهم أصحابهم المقيمون على فُوّهة النهر ففعلوا مثل هذا الفعل . فعسكر رشيق فى الموضع الذى أمِر بترتيبه به ، فانقطعت طرق الفَجَرة التى كانوا يسلكونها إلى دُبّا والقَنْدل والمسيحىّ ؛ فلم يكن لهم سبيل إلى برّ ولا بحر ، فضاقت عليهم المذاهب ، واشتدّ عليهم الحصار .

٢٠١٧/٣

* * *

وفيها أوقع أخو شركب بالخُجُستانىّ وأخذ أمّه .

وفيها وثب ابن شبَث بن الحسن ، فأخذ عمر بن سيما والى حلوان .

وفيها انصرف أحمد بن أبى الأصبغ من عند عمرو بن الليث ، وكان عمرو قد وجّهه إلى أحمد بن عبد العزيز بن أبى دلف ، فقدم معه بمال ، فوجّه عمرو ممّا صودر عليه ثلثمائة ألف دينار ونيّفاً وهدية فيها خمسون منًّا مسكًا وخمسون منًّا عنبراً ، ومائتا منّ عوداً ، وثلثمائة ثوب وشى وغيره ، وآنية ذهب وفضة ودواب وغلمان بقيمة مائتى ألف دينار ؛ فكان ما حمل وأهدى بقيمة خمسمائة ألف دينار .

٢٠١٨/٣

وفيها ولّى كَيْغَلَغ الخليل بن ريمال حُلوان ، فنالهم بالمكاره بسبب عمر ابن سيما وأخذهم بجريرة ابن شبَث ، فضمِنوا له خلاصَ ابن سيما وإصلاح أمر ابن شبَث .

* * *

[ذكر خبر إيقاع رشيق بمن أعان الزنج من تميم]

وفيها أوقع رشيق غلام أبى العباس بن الموفّق بقوم من بنى تميم ، كانوا أعانوا الزّنج على دخول البصرة وإحراقها ، وكان السبب فى ذلك أنه كان انتهى إليه أنّ قومًا من هؤلاء الأعراب قد جلبوا ميرةً من البرّ إلى مدينة الخبيث ؛ طعامًا وإبلا وغنمًا ، وأنهم فى مؤخّر نهر الأمير ينتظرون سفنًا تأتيهم من مؤخّر عسكر الفاجر تحملهم وما معهم . فسرَى إليهم رشيق فى الشّذَا ، فوافى الموضع الذى كانوا حلّوا به ، وهو النهرُ المعروف بالإسحاقىّ ، فأوقع بهم وهم غارّون ، فقَتل أكثرَهم وأسر جماعة منهم[1] وهم تجار كانوا خرجوا[2] من عسكر الخبيث لجلْب الميرة ، وحوى ما كان معهم من أصناف الميِر والشاء والإبل والحمير التى كانوا حملوا عليها[3] الميرة . فحمل الأسرى والرءوس فى الشّذا وفى سفن كانت معه إلى الموفقيّة ، فأمر الموفق فعلِّقت الرءوس فى الشّذا ، وصُلِب الأسارى[4] هنالك ؛ وأظهر ما صار إلى رشيق وأصحابه ، وطِيف بذلك فى أقطار العسكر ، ثم أمر بالرءوس والأسارى ، فاجتيز بهم على عسكر الخبيث حتى عرفوا ما كان من رشيق من الإيقاع بجالبى الميَر إليهم ، ففعل ذلك . وكان فيمن ظفِر به رشيق رجل من الأعراب ، كان يُسفِر بين صاحب الزّنْج والأعراب فى جلب الميرة ، فأمر به الموفّق فقُطعت يدُه ورجله ، وألقى فى عسكر الخبيث . ثم أمر بضرب أعناق الأسارى فضربت ، وسوّغ أصحاب رشيق ما أصابوا من أموالهم ، وأمر لرشيق بخلع وصلة ، وردّه إلى عسكره ، فكثر المستأمنون إلى رشيق . فأمر أبو أحمد بضمّ مَنْ خرج منهم إلى رشيق إليه ، فكثروا حتى كان كأكثر العساكر جمعًا ، وانقطعت عن

٢٠١٩/٣

(١) س : « وأسر أكثر من بقى » .
(٢) ب : « أخرجوا » .
(٣) س : « المير عليها » .
(٤) ب : « الأسرى » .

الخبيث وأصحابه الميسَّر من الوجوه كلِّها ، وانسدَّ عليهم كلُّ مسلك كان لهم ، فأضرَّ بهم الحصار ، وأضعف أبدانهم ؛ فكان الأسير منهم يُؤسر ؛ والمستأمِن يُستأمَن ، فيسألُ عن عهده بالخبز ، فيعجب من ذلك ؛ ويذكر أنَّ عهده بالخبز مذ سنة وسنتين . فلما صار أصحاب الخائن إلى هذه الحال ، رأى الموفّق أن يتابع الإيقاع بهم ، ليزيدهم بذلك ضُرًّا وجهداً ، فخرج إلى أبي أحمد في هذا الوقت في الأمان خلْق كثير ، واحتاج مَنْ كان مقيمًا في حيِّز الفاسق إلى الحيلة لقوّته ، فتفرّقوا في القُرى والأنهار النائية عن معسكرهم في طلب القوت ، فتأدّى الخبر بذلك إلى أبي أحمد ، فأمر جماعةً من قوّاد غلمانه السودان وعُرفائهم بأن يقصدوا المواضع التي يعتادها الزَّنْج ، وأن يستميلوهم ويستدعوا طاعتَهم ؛ فمَنْ أبَى الدّخولَ منهم في ذلك قتلوه وحملوا رأسه ، وجعل لهم[1] جُعْلاً ؛ فحرصوا وواظبوا على الغدوّ والرواح ؛ فكانوا لا يخلون في يوم من الأيام من جماعة يجلبونهم ، ورءوس يأتون بها ، وأسارى يأسرونهم .

٢٠٢٠/٣

قال محمد بن الحسن : قال محمد بن حمّاد : ولمّا كثر أسارى الزَّنج عند الموفّق ، أمر باعتراضهم ؛ فمَنْ كان منهم ذا قوّة وجَلَد ونهوض بالسلاح منّ عليه ، وأحسن إليه ، وخلطه بغلمانه السودان ، وعرّفهم ما لهم عنده من البرّ والإحسان ، ومَن كان منهم ضعيفًا لا حَراك به ، أو شيخًا فانيًا لا يُطيق حمل السلاح ، أو مجروحًا جراحة قد أزمَنَتْه ، أمر بأن يُكْسَى ثوبين ، ويوصَل بدراهم ، ويزوّد ويحمل إلى عسكر الخبيث ؛ فيلقَى هناك بعد ما يؤمر بوصف ما عاين من إحسان الموفّق إلى كلّ مَنْ يصير إليه ، وأنّ ذلك رأيه في جميع مَنْ يأتيه مستأمِنًا ويأسره منهم ؛ فتهيّأ له من ذلك ما أراد من استمالة أصحاب صاحب الزَّنْج ؛ حتى استشعروا الميل إلى ناحيته[2] والدخول في سلْمه[3] وطاعته ؛ وجعل الموفّق وابنه أبو العباس يغاديان حرب الخبيث ومَنْ معه ، ويراوحانها بأنفسهما ومَنْ معهما ، فيقتلان ويأسران ويجرحان ، وأصاب أبا العباس في بعض تلك الوقعات سهم جرحه فبرأ منه .

٢٠٢١/٣

* * *

(١) ب : « وجعلوا له » .
(٢) س : « طاعته » .
(٣) س : « إلى سلمه » .

[ذكر الخبر عن قتل بهبوذ بن عبد الوهاب]

وفى رجب من هذه السنة قتل بهبوذ صاحب الخبيث.

* ذكر الخبر عن سبب مقتله :

ذُكر أن أكثر أصحاب الفاسق غارات ، وأرشدهم[1] تعرّضًا لقطع السبيل وأخذ الأموال ، كان بهبوذ بن عبد الوهاب ، وكان قد جمع من ذلك مالاً جليلا ، وكان كثير الخروج فى السميريّات الخِفاف ، فيخترق الأنهار المؤدّية إلى دِجْلة ، فإذا صادف سفينةً لأصحاب الموفّق أخذها فأدخلها النهر الذى خرج منه ، فإن تبعه تابع حتى توغّل فى طلبه خرج عليه من النّهر قوم من أصحابه قد أعدّهم لذلك ، فاقتطعوه وأوقعوا به ؛ فلما كثر ذلك وتُحُرِّزَ منه ركب شذاةً ، وشبّهها بشذوات الموفّق ، ونصب عليها مثل أعلامه ، وسار بها فى دِجْلة ، فإذا ظفر بغِرّة من أهل العسكر أوْقع بهم ؛ فقتل وأسر ، ويتجاوز إلى نهر الأُبُلّة ونهر مَعْقِل وبَثْق شيرين ونهر الدير فيقطع السبل، ويعبث فى أموال السابلة ودمائهم ؛ فرأى الموفّق عند ما انتهى[2] إليه من أفعال[3] بَهْبوذ أن يَسكر جميع الأنهار التى يخفّ سَكْرُها ، ويرتّبَ الشذاة على فُوّهة الأنهار العظام ؛ ليأمن عبث بهبوذ وأشياعه ، ويأمن سُبُل الناس ومسالكهم . فلمّا حُرِست هذه المسالك، وسُكِر ما أمكن سكرُه من الأنهار ، وحيل بين بهبوذ وبين ما كان يفعل ؛ أقام منتهزًا فرْصة فى غفلة أصحاب الشَّذا الموكلين بفوّهة نهر الأُبُلّة ؛ حتى إذا وجد ذلك اجتاز من مؤخر نهر أبى الخصيب فى شَذَوات مثل أصحاب الموفق وسُميريّاتهم ، ونصب عليها مثل أعلامهم ، وشحنها بجُلد أصحابه وأنجادهم وشجعانهم ، واعترض بها فى معترَض يؤدّى إلى النهر المعروف باليهوديّ ، ثم سلك نهر نافذ حتى خرج منه إلى نهر الأُبُلّة ، وانتهى إلى الشَّذَوات والسميريّات المرتبة لحفظ النهر، وأهلها غارّون غافلون ، فأوقع بهم ، وقتل جَمْعًا ، وأسر أسرى ، وأخذ ستّ شَذَوات ، وكرّ راجعًا فى نهر الأُبُلّة ، وانتهى الخبر بما كان من بَهبوذ

٣/٢٠٢٢

---

(١) س : « أرشدهم » .
(٢) س : « فعال » .
(٣) س : « أنهى » .

إلى الموفق ، فأمر أبا العباس بمعارضته فى الشَّذَا من النَّهر المعروف باليهودىّ ، ورجا أن يسبقه إلى المعترَض فيقطعه عن الطريق المؤدّى إلى مأمنه .

فوافى أبو العباس الموضع [١] المعروف بالمطوّعة ، وقد سبق بهبوذ ، فوَلَج النهر المعروف بالسعيدىّ ؛ وهو نهر يؤدىّ إلى نهر أبى الخصيب . وبصر أبو العباس بشَذوات بهبوذ ، وطمِع فى إدراكها ، فجدّ فى طلبها ، فأدركها ونشبت الحرب ، فقتل أبو العباس من أصحاب بَهْبوذ جَمْعًا ، وأسر جمعًا ، ٣/٢٠٢٣ واستأمن إليه فريق منهم ، وتلقى بهبوذَ من أشياعه خلق [٢] كثير ، فعاونوه ودافعوا عنه دفعًا شديداً ، وقد كان الماء جزَر ، فجرتْ شذواتُه فى الطين فى المواضع التى [٣] نَضَبَ الماء عنها من تلك الأنهار والمعترضات ، فأفلت بهبوذ والباقون من أصحابه بجُريعة الذَّقَن .

وأقام الموفق على حصار الخبيث ومَن معه ، وسدّ المسالك التى كانت المِيَر تأتيهم منها ، وكثر المستأمنون منهم ، فأمر الموفّق لهم بالخِلَع والجوائز ، وحملوا على الخيل الجياد بسروجها ولجمها وآلتها ، وأجريت لهم الأرزاق ، وانتهى الخبر إلى الموفق بعد ذلك أن الضرّ والبؤس قد أحوج جماعةً من أصحاب الخبيث إلى التفرّق فى القرى لطلب القوت من السمك والتمر ، فأمر ابنَه أبا العباس بالمصير إلى تلك القرى والنواحى والإسراع إليها فى الشذَا والسميريّات ، وما خفّ من الزواريق وأن يستصحب جُلْد أصحابه [٤] وشجعانهم وأبطالهم ليحولَ بين هؤلاء الرّجال والرجوع إلى مدينة صاحب الزّنج ؛ فتوجّه أبو العباس لذلك ، وعلم الخبيث بمسير أبى العباس له ، فأمر بهبوذ أن يسير فى أصحابه فى المعترَضات والأنهار الغامضة ليخفى خبره ، إلى أن يوافى القَنْدل وأبراسان ونواحيها ، فنهض بهبوذ لما أمره [٥] به الخبيث من ذلك فاعترضت له فى طريقه ٣/٢٠٢٤ سُميرية من سُميريات أبى العباس ، فيها غلمان من غلمانه [٦] الناشبة فى جماعة الزَّنْج ، فقصد بهبوذ لهذه السميريّة طامعًا فيها ، فحاربه أهلُها ،

(١) ب : « بالموضع » (٢) ب : « جمع » .
(٣) ب : « فى الموضع الذى » . (٤) ب : « جلة أصحابه » .
(٥) س : « أمر » . (٦) ب ، س : « غلام من غلمانه » .

فأصابته طعنة في بطنه من يد غلام من مقاتلة السميرية أسود، فهوى إلى الماء، فابتدره أصحابه، فحملوه، وولّوا منهزمين إلى عسكر الخبيث، فلم يصلوا به إليه؛ حتى أراح الله منه؛ فعظمت الفجيعة به على الفاسق وأوليائه، واشتد عليه جزعهم، وكان قتله الخبيث من أعظم الفتوح، وخفي هلاكه على أبي أحمد؛ حتى استأمن رجل من الملاحين، فأنهى إليه الخبر، فسرّ بذلك، وأمر بإحضار الغلام الذي ولي قتله، فأحضر، فوصله وكساه وطوّقه، وزاد في أرزاقه، وأمر لجميع من كان في تلك السميرية بجوائز وخلع وصلات.

* * *

وفي هذه السنة كان أول شهر رمضان منها يوم الأحد، وكان الأحد الثاني من السّعانين[1] وفي الأحد الثالث الفصح، وفي الأحد الرابع النيروز[2]، وفي الأحد الخامس انسلاخ الشهر.

وفيها ظفر أبو أحمد بالذوائبيّ، وكان ممايلاً لصاحب الزّنج.

وفيها كانت وقعة بين يدكوتكين بن إساتكين وأحمد بن عبد العزيز، فهزمه يدكوتكين وغلبه على قم.

وفيها وجّه عمرو بن الليث قائداً بأمر أبي أحمد إلى محمد بن عبيد الله بن أزار مرد الكرديّ، فأسره القائد وحمله إليه.

٢٠٢٥/٣ وفي ذي القعدة منها خرج رجل من ولد عبد الملك بن صالح الهاشميّ بالشام يقال له بكّار بين سلمية وحلب وحمص؛ فدعا لأبي أحمد، فحاربه ابن عباس الكلابيّ، فانهزم الكلابيّ، ووجّه إليه لؤلؤ صاحب ابن طولون قائداً يقال له بودن في عسكر وجيش كثيف، فرجع وليس معه كثير أحد.

وفيها أظهر لؤلؤ الخلاف على ابن طولون.

وفيها قتل صاحب الزنج ابن ملك الزّنج، وكان بلغه أنه يريد اللحاق بأبي أحمد.

---

(١) السعانين: عيد للنصارى قبل الفصح بأسبوع، يخرجون فيه بصلبانهم.

(٢) النيروز: أول يوم من السنة، معرب: «نوروزا».

وفيها قتِل أحمد بن عبد الله الخُجُسْتانىّ، قتله غلام له فى ذى الحجة ؛

وفيها قتل أصحاب ابن أبى الساج محمدَ بن علىّ بن حبيب اليشكرىّ بالقرية ناحيةَ واسط، ونُصِب رأسُه ببغداد .

وفيها حارب محمد بن كُمُشْجور علىّ بن الحسين كفْتمر ، فأسر ابنُ كُمُشْجُور كفتمر ثم أطلقه ، وذلك فى ذى الحجة .

وفيها أسِر العلَوىُّ الذى يعرف بالحَرُون ، وذلك أنه اعترض الخريطة التى يوجَّه بها بخبر الموسم فأخذها ، فوجَّه خليفة ابن أبى الساج على طريق مكة مَنْ أخذ الحرُون ، ووجَّهَهُ إلى الموفّق .

٢٠٢٦/٣

وفيها كان مصير أبى المغيرة المخزومىّ إلى مكة ،وعاملها هارون بن محمد بن إسحاق الهاشمىّ ، فجمع هارون جمعاً[1] نحواً من ألفين ، فامتنع بهم منه[2] فصار المخزومىّ إلى عين مُشَاش فعوّرها، وإلى جُدّة ، فنهب الطعام، وحرّق بيوت أهلها ، فصار الخبز بمكة أوقيّتان[3] بدرهم .

وفيها خرج ابن الصّقْلبيّة طاغية الرّوم ، فأناخ على مَلَطْيَة ، وأعانهم أهل مَرْعش والحدَث ، فانهزم الطاغية ، وتبعوه إلى السريع .

وغزا الصائفة من ناحية الثغور الشأمية خلف الفرغانىّ عامل ابن طولون، فقتل من الرّوم بضعة عشر ألفاً ، وغنم الناس . فبلغ السهم أربعين ديناراً .

* * *

وحجّ بالناس فيها هارون بن محمد بن إسحاق الهاشمىّ،وابن أبى الساج على الأحداث والطريق .

(١) س : « جماعة » . (٢) ب : « منهم » .
(٣) ط : « أوقتين » .

ثم دخلت سنة تسع وستين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من إدخال العلَوىّ المعروف بالحرُون عسكر أبى أحمد فى المحرّم على جمل، وعليه قباء ديباج وقلنسوة طويلة، ثم حُمل فى شذاة، ومُضِىَ به حتى وُقِف به حيث يراه صاحب الزنج، ويسمع كلام الرسل.

وفى المحرّم منها قطع الأعراب على قافلة من الحاجّ بين تُوز وسَميراء، فسلبوهم واستاقوا نحوًا من خمسة آلاف بعير بأحْمالها وأناساً كثيرين. ٢٠٢٧/٣

وفى المحرّم منها فى ليلة أربع عشرة انخسف القمر وغاب منخسفًا، وانكسفت الشمس يوم الجمعة لليلتين بقيتا من المحرّم وقت المغيب، وغابت منكسفة، فاجتمع فى المحرّم كسوف الشمس والقمر.

وفى صفر منها كان ببغداد وثوب العامّة بإبراهيم الخليجىّ، فانتهبوا دارَه؛ وكان السبب فى ذلك أنّ غلامًا له رمى امرأة بسهم فقتلها، فاستعدَى السلطان عليه؛ فبعث إليه فى إخراج الغلام، فامتنع ورمى غلمانه الناس، فقتلوا جماعة وجرحوا جماعة؛ فمنعهم من أعوان السلطان رجلان، فهرب وأخِذ غلمانه، ونُهِب منزلُه ودوابّه، فجمع محمد بن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر — وكان على الجسر من قبَل أبيه — دوابّ إبراهيم، وما قدر عليه مما نُهب له، وأمر عبيدُ الله بتسليم ذلك إليه، وأشهد عليه بردّه عليه.

وفيها وجه ابن أبى الساج بعد ما صار إلى الطائف منصرفًا من مكة إلى جُدّة جيشًا، فأخذوا للمخزومىّ مركبين فيهما [1] مالٌ وسلاح.

وفيها أخذ رومىّ بن خَسنج[2] ثلاثة نفر من قُوّاد الفراغنة، يقال لأحدهم صديق، والآخر طخشى، وللثالث طُغشان، فقيّدهم، وجرح صديق جراحات وأفلت.

وفيها كان وثوب خلَف صاحب أحمد بن طولون فى شهر ربيع الأول

---

(١) س: «فيها».

(٢) ط: «خشنج»، وانظر الفهرس.

منها بالثغور الشأمية ؛ وهو عامله عليها، بيازمان الخادم مولى الفتح[1] بن خاقان فحبسه ، فوثبت جماعة من أهل الثّغر بخلَف ، وتخلّصوا يازمان ، وهرب خلف ، وتركوا الدّعاء لابن طولون ، ولعنوه على المنابر ؛ فبلغ ذلك ابنَ طولون ، فخرج من مصر ، حتى صار إلى دمشق ، ثم صار إلى الثغور الشأميّة ، فنزل أذَنة ، وسدّ يازمان وأهلُ طَرَسُوس أبوابَها ، خلا بابَ الجهاد وباب البحر ، وبَثَقُوا الماء ، فجرى إلى قرب أذَنة وما حولها ، فتحصّنوا بها ، فأقام ابن طولون بأذَنة ، ثم انصرف فرجع إلى أنطاكيّة ، ثم مضى إلى حِمْص ، ثم إلى دمشق فأقام بها .

وفيها خالفَ لؤلؤ غلام ابن طولون مولاه ؛ وفى يده حين خالفه حِمْص وحلب وقِنَّسرين وديار مُضر ، وسار لؤلؤ إلى بالس فنهبها ، وأسر سعيداً وأخاه ابنَى العباس الكلابىّ . ثم كاتب لؤلؤ أبا أحمد فى المصير إليه ومفارقة ابن طولون ، ويشترط لنفسه شروطاً ، فأجابه أبو أحمد إلى ما سأله ؛ وكان مقيماً بالرَّقّة ، فشخص عنها ، وحمل جماعة من أهل الرّافقة[2] وغيرهم معه ، وصار إلى قرقيسيا ، وبها ابن صفوان العُقَيلىّ ، فحاربه فأخذ لؤلؤ قرْقيسيا ، وسلّمها إلى أحمد بن مالك بن طوْق ، وهرب ابن صفوان ، وأقبل لؤلؤ يريد بغداد .

٢٠٢٩/٣

* * *

[ذكر خبر إصابة الموفّق]

وفيها رُمىَ أبو أحمد الموفّق بسهم — رماه غلام رومىّ ، يقال له قرطاس — للخبيث بعد ما دخل أبو أحمد مدينتَه التى كان بناها لهدم سورها ، وكان السبب فى ذلك — فيما ذُكر — أنّ الخبيث بهبوذ لمّا هلك ، طمع الزّنْج فيما كان بهبوذ قد جمع من الكنوز والأموال ، وكان قد صحّ عنده أن ملكه قد حوى مائتى ألف دينار وجوهراً وذهباً وفضّة لها قدر ، فطلب ذلك بكلّ حيلة ، وحَرَص عليه ،

(١) س : « فتح » ، ابن الأثير : « مفلح » .
(٢) س : « الرقة » .

وحبس أولياءه وقرابته وأصحابه ، وضربهم بالسّياط ، وأثار دوراً من دوره ، وهدم أبنيةً من أبنيته؛ طمعاً في أن يجد في شيء[1] منها دفيناً، فلم يجد من ذلك شيئاً ؛ وكان فعله الذي فعله بأولياء بهبوذ في طلب المال أحد ما أفسد قلوب أصحابه ، ودعاهم إلى الهرَب[2] منه والزّهد في صحبته ؛ فأمر الموفّق بالنداء في أصحاب بهبوذ بالأمان ، فنُودي بذلك، فسارعوا إليه راغبين فيه ، فألحِقوا في الصِّلات والجوائز والخلَع والأرزاق بنظرائهم . ورأى أبو أحمد لما كان يتعذّر عليه من العُبور إلى عسكر الفاجر في الأوقات التي تهبّ فيها الرياح وتحرّك فيها الأمواج في دِجْلة أن يوسع لنفسه وأصحابه موضعاً في الجانب الغربيّ من دِجْلة ليعسكر به فيما بين ديْر جابيل ونهر المغيرة ، وأمر بقطع النخل وإصلاح موضع الخندق ، وأن يُحفّ بالخنادق ، ويحصّن بالسور ليأمن بيات الفجّار واغتيالهم إياه ، وجعل على قُوّاده نوائب؛ فكان لكلّ واحد منهم نوْبة يغدو إليها برجاله ، ومعه العمال في كلّ يوم لإحكام أمر العسكر الذي عزم على اتّخاذه هنالك ، فقابَل الفاسق ذلك بأن جعل علىّ عليّ بن أبان المهلّبيّ وسليمان بن جامع وإبراهيم بن جعفر الهمْدانيّ نُوباً ، فكان لكلّ واحد منهم يوم ينوب فيه . ٢٠٣٠/٣

وكان ابنُ الخبيث المعروف بأنكلاى يحضرُ في كلّ يوم نوبة سليمان ، وربما حضر في نوبة إبراهيم . ثم أقامه الخبيث مقام إبراهيم بن جعفر ، وكان سليمان بن جامع يحضُر معه في نوبته ، وضمّ إليه الخبيث سليمان بن موسى الشعرانيّ وأخويه ، وكانوا يحضُرون بحضوره ، ويغيبون بغيبته . وعلم الخبيثُ أن الموفّق إذا جاوره في محاربته ، وقرب على مَن يريد اللحاق به المسافةُ فيما يحاول من الهرب إليه ، مع ما يدخل قلوبَ أصحابه من الرهبة بتقارب العسكرين أنّ في ذلك انتقاضَ تدبيره ، وفسادَ جميع أموره ؛ فأمر أصحابَه بمحاربة من يعبر من القوّاد في كلّ يوم ، ومنعهم من إصلاح ما يحاولون إصلاحَه من أمر عسكرهم الذي يريدون الانتقال إليه ، وعصفت الرياح في بعض تلك ٢٠٣١/٣

---

(١) س : «يجد فيها» . (٢) كذا في ابن الأثير وفي ط : «الحرب» .

الأيام وبعض قوّاد الموفّق فى الجانب الغربىّ لِمَا كان يعبر له . فانتهز الفاسق الفرصةَ فى انفراد هذا القائد وانقطاعه عن أصحابه ، وامتناع دِجْلة بعصوف الريح من أن يرام عبُورها ، فرمى القائد المقيم فى غربى دِجْلة بجميع جيشه ، وكاثره برجاله[1] ، ولم تجد الشَّذَاوات التى كانت تكون مع القائد الموجَّه سبيلا إلى الوقوف بحيث كانت تقف لحمل الرياح إياها على الحجارة ، وما خاف أصحابها عليها من التكسّر ، فقوىَ الزَّنْج على ذلك القائد وأصحابه ، فأزالوهم من موضعهم ، وأدركوا طائفةً منهم ، فثبتوا فقُتِلوا عن آخرهم ؛ ولجأت طائفةٌ إلى الماء ، فتبعهم الزَّنْج ، فأسروا منهم أسارى ، وقتلوا منهم نفراً ، وأفلت أكثرُهم ، وأدركوا سفنَهم ، فألقوا أنفسهم فيها ، وعَبَروا إلى المدينة الموفقيّة ، فاشتدّ جزع الناس لما تهيّأ للفسقة ، وعَظُم بذلك اهتمامُهم . وتأمّل أبو أحمد فيما كان دبّر من النزول فى الجانب الغربىّ من دِجْلة أنه أكدى ، وما لا يؤمن من حيلة الفاسق وأصحابه فى انتهاز فرصة ، فيوقع[2] بالعسكر بياتًا ، أو يجد مساغًا إلى شىء مما يكون له فيه متنفَّس ؛ لكثرة الأدغال فى ذلك الموضع وصعوبة المسالك ، وأنّ الزنج على التوغّل إلى المواضع الوحشة أقدرُ ، وهو عليهم[3] أسهل من أصحابه . ٣/٢٠٣٢

فانصرف عن رأيه فى نزول غربىّ دِجْلة ، وجعل قصده لهدم سور الفاسق وتوسّعه الطرق والمسالك منها[4] لأصحابه ، فأمر عند ذلك أن يبدأ بهدْم السور مما يلى النهر المعروف بمنكى ؛ فكان تدبير الخبيث فى ذلك توجيه ابنه المعروف بأنكلاى وعلىّ بن أبان وسليمان بن جامع للمنع من ذلك ؛ كلّ واحد منهم فى نَوْبته فى ذلك اليوم ، فإذا كثر عليهم أصحابُ الموفق اجتمعوا جميعًا لمدافعة مَنْ يأتيهم .

فلمّا رأى الموفّق تحاشُدَ الخبثاء وتعاونَهم على المنع من الهدم للسور ، أزْمَع على مباشرة ذلك وحضوره ليستدعىَ به جِدّ أصحابه واجتهادهم ،

---

(١) س : « برجالته » .
(٢) س : « فنوقع » .
(٣) ب : « وهم عليه » .
(٤) س : « فيها » .

ويزيدَ فى عنايتهم ومجاهدتهم ؛ ففعل ذلك ، واتّصلت الحرب ، وغَلُظت على الفريقين ؛ وكثر القتلى والجراح فى الحزبَيْن كليْهما ، فأقام الموفّق أياماً يغادِى الفسقة ويراوحهم ؛ فكانوا لا يفترُّون من الحرب فى يوم من الأيام ، وكان أصحاب أبى أحمد لا يستطيعون الوُلوج على الخبثة لقنطرتين كانتا على نهر منكى كان الزّنج يسلكونهما فى وقت استعار الحرب ، فينتهون منهما إلى طريق يخرجهم فى ظهور أصحاب أبى أحمد ، فينالون منهم ، ويحجزونهم عن استتمام ما يحاولون من هدم السور ، فرأى الموفّق إعمال الحيلة فى هدم هاتيْن القنطرتين ليمنع الفسقة عن الطّريق الذى كانوا يصيرون[1] منه إلى استدبار أصحابه فى وقت احتدام الحرب ؛ فأمر قوّاداً من قوّاد غلمانه بقصد هاتين القنطرتين ، وأن يختلوا الزنج ، وينتهزوا الفرصة فى غفلتهم عن حراستهما ؛ وتقدّم إليهم فى أن يُعِدُّوا لهما من الفؤوس والمناشير والآلات التى يحتاج إليها لقطعهما ما يكون عوناً لهم على الإسراع فيما يقصدون له من ذلك . ٢٠٣٣/٣

فانتهى الغلمان إلى ما أمِروا به ، وصاروا إلى نهر منكى وقت نصف النهار ، فبرز لهم الزّنج ، فبادروا وتسرَّعوا ، فكان ممّن تسرع إليهم أبو النداء فى جماعة من أصحابه يزيدون على الخمسمائة ، ونشبت الحرب بين أصحاب الموفق والزّنج ، فاقتتلوا صدرَ النهار ، ثم ظهر غلمان أبى أحمد على الفسقة فكشفوهم عن القنطرتين ، فأصاب المعروفَ بأبى النداء سهمٌ فى صدره وصل إلى قلبه فصرعه ، وحامى أصحابه على جيفته فاحتملوها ، وولّوْا منهزمين ، وتمكن قوّاد غلمان الموفّق من قطع القنطرتين ، فقطعوهما وأخرجوهما إلى دِجْلة ، وحملوا خشبهما إلى أبى أحمد ، وانصرفوا على حال سلامة ، وأخبروا الموفّق بقتل أبى النداء وقَطْع القنطرتين ، فعظم سروره وسرورُ أهل العسكر بذلك ، وأمر لرامى أبى النداء بصِلة وافرة .

وألحّ أبو أحمد على الخبيث وأشياعه بالحرب ، وهدم من السور ما أمكنهم به الولوج عليهم ، فشغلوهم بالحرب فى مدينتهم عن المدافعة عن سورهم ، فأسرع ٢٠٣٤/٣

(١) س : « يصلون » .

الهدْم فيه ، وانتهى منه إلى دارَى ابن سمعان وسليمان بن جامع ، فصار ذلك أجمع فى أيدى[1] أصحاب الموفّق ، لا يستطيع الفسقة دفعَهم عنه ولا منعَهم من الوصول إليه ، وهُدِمت هاتان الداران ، وانتُهِب ما فيهما ، وانتهى أصحاب الموفّق إلى سوق لصاحب الزَّنج كان اتخذها مظلة على دِجْلة ، سماها الميمونة ، فأمر الموفّق زيرك صاحب مقدّمة أبى العباس بالقصْد لهذه السوق ، فقصد بأصحابه لذلك ، وأكبَّ عليها ، فهدمت تلك السوق وأخربَتْ ، فقصد الموفّق الدار التى كان صاحب الزنج اتّخذها للجُبّائىّ فهدمها ، وانتهب ما كان فيها وفى خزائن الفاسق كانت متّصلة بها .

وأمر أصحابه بالقصْد إلى الموضع الذى كان الخبيث اتخذ فيه بناء سماه مسجد الجامع ، فاشتدّت محاماة الفسقة عن ذلك والذبّ عنه ؛ بما كان الخبيث يحضُّهم عليه ، ويُوهمهم أنه يجب عليهم من نُصرة المسجد وتعظيمه ؛ فيصدّقُون قولَه فى ذلك ، ويتبعون فيه رأيه . وصعُب على أصحاب الموفّق ما كانوا يرومون من ذلك ؛ وتطاولت الأيام بالحرب على ذلك الموضع . والذى حصل مع الفاسق يومئذ نخبة أصحابه وأبطالُهم والموطّنون أنفسهم على الصبر معه ، فحاموْا جهدَهم ؛ حتى لقد كانوا يقفون الموقف فيصيب أحدَهم السهمُ أو الطعنة أو الضربة فيسقط ، فيجذبه الذى إلى جنبه ويقف موقفه[2] إشفاقًا من أن يخْلُوَ موقف رجل منهم ؛ فيدخل الخلل على سائر أصحابه .

٢٠٣٥/٣

فلمّا رأى أبو أحمد صبر هذه العصابة ومحاماتها ، وتطاول الأيام بمدافعتها[3] ، أمر أبا العباس بالقصد لركن البناء الذى سماها الخبيث مسجداً ، وأن يندب لذلك أنجادَ أصحابه وغلمانه ، وأضاف إليهم الفَعَلة الذين كانوا أعِدّوا للهدم ، فإذا تهيّأ لهم هدمُ شىء أسرعوا فيه ، وأمر بوضع السلاليم على السور فوضعوها ، وصعِد الرماة فجعلوا يرشقون بالسهام من وراء السور من الفَسَقة ، ونظم الرجال من حدّ الدار المعرُوفة بالجُبّائىّ إلى الموضع الذى رتّب فيه أبا العباس ، وبذل الموفق الأموال والأطوقة والأسورة لمن سارع إلى هدم سور الفاسق وأسواقه

(١) س : « فى يدى » .
(٢) س : « فى موضعه » .
(٣) س : « ومدافعتها » .

ودور أصحابه ، فتسهّل ما كان يصعُب بعد محاربة طويلة وشدّة ، فهدم البناء الذى كان الخبيث سماه مسجداً ، ووُصل إلى مِنْبره فاحتُمِل ، فأُتِيَ به الموفّق، وانصرف به إلى مدينته الموفقيّة جذلاً مسروراً . ثم عاد الموفّق لهدم السور فهدّمه من حدّ الدار المعروفة بأنكلاى إلى الدار المعروفة بالجُبّائىّ . وأفضى أصحاب الموفّق إلى دواوين من دواوين الخبيث وخزائن من خزائنه ؛ فانتُهبت وأحرقت ؛ وكان ذلك فى يوم ذى ضباب شديد ، قد ستر بعضَ الناس عن بعض ؛ فما يكاد الرجل يبصره صاحبُه . فظهر فى هذا اليوم للموفّق تباشير الفتح ، فإنهم لعلى ذلك ؛ حتى وصل سهمٌ من سهام الفسقة إلى الموفّق ، رماه به غلام رومىّ كان مع الفاسق يقال له قرطاس، فأصابه فى صدره، ٣/٢٠٣٦ وذلك فى يوم الاثنين لخمس بقين من جمادى الأولى سنة تسع وستين ومائتين، فستر الموفّق ما ناله من ذلك السهم ، وانصرف إلى المدينة مع الموفقية ، فعُولج فى ليلته تلك من جراحته[1] ، وبات ثم عاد إلى الحرب على ما به من ألم الجراح[2] ، يشدّ[3] بذلك قلوبَ أوليائه من أن يدخلها وَهْم أو ضعف، فزاد ما حَمَل نفسه عليه من الحركة فى قوة علّته ، فغلُظت وعظُم أمرُها حتى خيف عليه ، واحتاج إلى علاجه بأعظم ما يعالَج به الجراح ؛ واضطرب لذلك العسكر والجند والرعية ، وخافوا قوّة الفاسق عليهم ؛ حتى خرج عن مدينته جماعةٌ ممن كان مقيماً بها ، لما وصل إلى قلوبهم من الرّهبة ، وحدَثت فى حال صعوبة العلّة عليه حادثة فى سلطانه ، فأشار عليه مشيرون من أصحابه وثقاته بالرحلة عن معسكره إلى مدينة السلام ، ويخلّف مَنْ يقوم مقامه ؛ فأبى ذلك ، وخاف أن يكون فيه ائتلاف ما قد تفرّق من شمل الخبيث . فأقام على صعوبة علّته عليه ، وغلظ الأمر الحادث فى سلطانه ؛ فمنّ الله بعافيته ، وظهر لقوّاده وخاصته ؛ وقد كان أطال الاحتجاب عنهم ، فقويَتْ بذلك مُنّتُهم ، وأقام متماثلاً مودّعًا نفسه إلى شعبان من هذه السنة ، فلمّا أبلّ وقوىَ على النهوض لحرب الفاسق ، تيقظ لذلك، وعاود ما كان مواظبًا عليه من الحرب ، وجعل الخبيث لمّا صحّ عنده ٣/٢٠٣٧

---

(١) س : « جراحه » . (٢) س : « الجرح » .

(٣) ابن الأثير : « ليشتد » .

الخبر عما أصاب أبا أحمد يعدُ أصحابَه العِدات ، ويمنّيهم الأمانيّ الكاذبة ، وجعل يحلف على منبره — بعد ما اتّصل به الخبر بظهور أبي أحمد وركوبه الشّذا — أن ذلك باطلٌ لا أصل له ، وأن الذى رأوه فى الشذا مثال مُوِّه لهم وشُبِّه لهم .

* * *

[ذكر عزم المعتمد على اللحاق بمصر]

وفيها فى يوم السبت للنصف من جمادى الأولى ، شخص المعتمد يريد اللّحاق بمصر ، وأقام يتصيّد بالكُحَيْل ، وقدم صاعد بن مخلَد من عند أبى أحمد ؛ ثم شخص إلى سامُرّا فى جماعة من القوّاد فى جمادى الآخرة ، وقدم قائدان لابن طولون — يقال لأحدهما أحمد بن جبغَوَيْه وللآخر محمد بن عباس الكلابيّ — الرّقة ، فلما صار المعتمد إلى عمل إسحاق بن كنداج — وكان العاملَ على الموصل وعامّة الجزيرة — وثب ابن كنداج بمَنْ شخص مع المعتمد مِنْ سامُرّا يريد مصر ، وهم تينك وأحمد بن خاقان وخطارمِش ، فقيّدهم وأخذ أموالهم ودوابّهم ورقيقهم . وكان قد كتب إليه بالقبض عليهم وعلى المعتمد ، وأقطع إسحاق بن كنداج ضياعهم وضياع فارس بن بغا .

وكان سبب وصوله إلى القبض على مَن ذكرتُ ، أنّ ابن كنداج لما صار إلى عمله ، وقد نفذت إليه الكتب من قِبَل صاعد بالقبض عليهم ، أظهر أنه معهم ، وعلى مثل رأيهم فى طاعة المعتمد ؛ إذ كان الخليفة ، وأنه غير جائز له الخلاف عليه . وقد كان مَنْ مع المعتمد من القوّاد حذّروا المعتمد المرورَ به ، وخوّفوه وثوبه بهم ؛ فأبى إلاّ المرورَ به — فيما ذكر[1] — وقال لهم : إنما هو مولاى وغلامى ، وأريد أن أتصيّد ؛ فإنّ فى الطريق إليه صيداً كثيراً . فلما صاروا فى عمله ، لقيَهم وسار معهم كى يردّ المعتمِد — فيما ذكر — منزلاً قبل وصوله إلى عمل ابن طولون ، فلمّا أصبح ارتحل التبّاع والغلمان الذين كانوا مع المعتمِد ومن شخص معه من سامُرّا ، وخلا ابن كنداج بالقُوّاد الذين مع المعتمد ، فقال لهم : إنكم قد قربتم من عمل ابن طولون والمقيم بالرّقة من قوّاده ؛ وأنتم

٢٠٣٨/٣

(١) س : « فيما ذكروا » .

إذا صرتم إلى ابن طولون ؛ فالأمر أمرُه ، وأنتم من تحت يده ومن جنده ؛ أفترضوْن بذلك؛وقد علمتم أنه إنما هو كواحد منكم ! وجرت بينه وبينهم فى ذلك مناظرة حتى تعالَى النهار ، ولم يرتحل المعتمد بعدُ لاشتغال القوّاد بالمناظرة بينهم بين يديه ، ولم يجتمع رأيهم بعدُ على شىء . فقال لهم ابن كنداج : قوموا بنا حتى نتناظر فى هذا فى غير هذا الموضع ، وأكرِموا مجلس أمير المؤمنين عن ارتفاع الصوت فيه . فأخذ بأيديهم ، وأخرجهم من مضرب المعتمد فأدخلهم مضرب نفسه ؛ لأنه لم يكن بقِىَ مضرب إلاّ قد مضِى به غير مضربه ؛ لما كان من تقدّمه إلى فرّاشيه وغلمانه وحاشيته وأصحابه فى ذلك اليوم ألاّ تبرحوا إلاّ ببراحه . فلما صاروا إلى مضربه دخل عليه وعلى مَنْ معه[1] من القواد جِلّةُ غلمانه وأصحابه ، وأحضرت القيود ، وشدّ غلمانه على كلّ مَنْ كان ٣/٢٠٣٩ شخص مع المعتمد من سامرّا من القوّاد ، فقيّدوهم ؛ فلما قيّدوا وفرغ من أمرهم مضى إلى المعتمِد ، فعذلَه فى شخوصه عن دار ملكه وملك آبائه وفراقه أخاه على الحال التى هو بها من حرب مَنْ يحاول قتلَه وقتل أهل بيته وزوال ملكهم ، ثم حمله والذين كانوا معه فى قيودهم حتى وافى بهم سامرّا .

* * *

وفيها قام رافع بن هرثمة بما كان الخُجُسْتانىّ غلب عليه من كُور خراسان وقراها ؛ وكان رافع بن هـَرْثمة قد اجتبَى عِدّةً من كور خراسان خراجها سلفًا لبضع عشرة سنة ، فأفقر أهلها وخرّبها .

وفيها كانت وقعة بين الحُسَيْنيّين والحسَنيّين والجعفريّين ، فقتِل من الجعفريّين ثمانية نفر ، وعلا الجعفريون فتخلّصوا الفضلَ بن العباس العباسىّ العامل على المدينة .

وفى جمادى الآخرة عقد هارون بن الموفّق لابن أبى الساج على الأنبار وطريق الفرات ورحبةَ طوْق ، وولّى أحمد بن محمد الطائىّ الكوفة وسوادها المعاون والخراج ، فصيّر المعاون باسم علىّ بن الحسين المعروف بكفتمر ، فلقى ٣/٢٠٤٠

(١) ب : « وعلى كل من معه » .

أحمد بن محمد الهيصم العجلىّ فيها ، فانهزم الهيصم واستباح الطائىّ أمواله وضياعه .

ولأربع خلَوْن من شعبان منها ردّ إسحاق بن كنداج المعتمد إلى سامُرّا فنزل الجوسق المطلّ على الحيْر .

ولثمان خلَوْن من شعبان خلع على ابن كنداج ، وقلّد سيفين بحمائل : أحدهما عن يمينه ، والآخر عن يساره ، وسُمّىَ ذا السيفين ، وخُلع عليه بعد ذلك بيومين قَباء ديباج ووشاحان ، وتوّج بتاج ، وقلّد سيفاً كلّ ذلك مفصص بالجوهر ، وشيّعه إلى منزله هارون بن الموفق وصاعد بن مخلد والقوّاد ، وتغدّوا عنده .

* * *

[ذكر الخبر عن إحراق قصر صاحب الزنج]

وفى شعبان من هذه السنة أحرق أصحاب أبى أحمد قصر الفاسق ، وانتهبوا ما فيه .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك وسبب وصولهم إليه :

ذكر محمد بن الحسن ، أن أبا أحمد لما برأ الجرح الذى كان أصابه ، عاد للذى كان عليه من مغاداة الفاسق الحرب ومراوحته ؛ وكان الخبيث قد أعاد بناء بعض الثُّلَم التى ثُلِمَت فى السور ، فأمر الموفّق بهدم ذلك ، وهدم مايتّصل به ، وركب فى عشيّة من العشايا فى أوّل وقت العصر ؛ وقد كانت الحرب متّصلة فى ذلك اليوم مما يلى نهر منْكى ، والفسقة مجتمعون فى تلك الناحية قد شغَلوا أنفسهم بها ، وظنّوا أنهم لا يحارَبون إلاّ فيها ، فوافى الموفق وقد أعدّ الفعلة ، وقرب على نهر منكى وناوش الفسقة فيه ؛ حتى إذا استعرت[1] الحرب أمر الجذّافين والاشتيامين أن يحثّوا السير حتى ينتهوا إلى النّهر المعروف بجُوى كور ، وهو نهر يأخذ من دِجْلة أسفل من النهر المعروف بنهر أبى الخصيب ؛ ففعلوا ذلك ؛ فوافَى جوى كور ، وقد خلا من المقاتلة والرّجال ، فقرب وأخرج الفعلة ،

٢٠٤١/٣

(١) ابن الأثير : « اشتدت » .

فهدموا من السور ما كان يلى ذلك النهر ، وصعد المقاتلة وولجوا النهر ؛ فقتلوا فيه مقتلةً عظيمة ، وانتهوْا إلى قصور من قصور الفسَقة ، فانتهبوا ما كان فيها وأحرقوها ، واستنقذوا عدداً من النساء اللواتى كنّ فيها ، وأخذوا خيلا من خيل الفجرة ، فحملوها إلى غربىّ دِجْلة ، فانصرف الموفّق فى وقت غروب الشمس بالظفر والسلامة ، وغاداهم الحرب والقصد لهدم السور ، فأسرع فيه حتى اتّصل بدار المعروف بأنكلاى ؛ وكانت متصلة بدار الخبيث ؛ فلما أعيت الحيلُ الخبيث فى المنْع من هدم السور ، ودفع أصحاب الموفّق عن ولوج مدينته ، أسقِط فى يديه ؛ ولم يدر كيف يحتال لحسْم ذلك ، فأشار عليه علىّ بن أبان المهلبىّ بإجراء الماء على السباخ التى يسلكها أصحاب الموفق لئلا يجدوا إلى سلوكها سبيلا ، وأن يحفر خنادق فى مواضع عدّة يعوقهم بها عن دخول المدينة ، فإن حملوا أنفسهم[1] على اقتحامها فوقعت عليهم هزيمة ، لم[2] يسهل عليهم الرجوع إلى سفنهم ؛ ففعلوا ذلك فى عِدّة مواضع من مدينتهم ، وفى الميدان الذى كان الخبيث جعله طريقاً حتى انتهت تلك الخنادق إلى قريب من داره . فرأى الموفّق بعد ما هيّأ الله له من هدم سور مدينة الفاسق ما هيّأ أن جعل قصده لطمّ الخنادق والأنهار والمواضع المعوّرة[3] كى تصاح فيها مسالك الخيل والرّجالة . فرام ذلك ، فحامى عنه الفسقة . ودامت الحرب وطالت ووصل إلى الفريقين من القتل والجراح أمرٌ عظيم[4] ؛ حتى لقد عُدّ الجرحى فى بعض تلك الأيام زُهاء ألفىْ جَريح ؛ وذلك لتقارُب الفريقين فى وقت القتال ، ومنع الخنادق كلّ فريق منهم عن إزالة مَنْ بإزائه عن موضعهم . فلما رأى ذلك الموفّق قصد لإحراق دار الخبيث والهجوم عليها من دِجْلة ، وكان يعوّق عن ذلك كثرةُ ما أعدّ الخبيث من المقاتلة والحماة عن داره ؛ فكانت الشذا إذا قربت من قَصْره رموا من سُوره ومن أعلى القصر بالحجارة والنشّاب والمقاليع والمجانيق والعرّادات ، وأذيب الرصاص ، وأفرغ عليهم ؛ فكان إحراق داره يتعذّر عليهم لما وصفنا ؛ فأمر الموفّق بإعداد ظلال من خشب

٢٠٤٢/٣

(١) ب : « نفسهم » . (٢) س : « ولم » .
(٣) ابن الأثير : « المغوّرة » . (٤) س : « غليظ » .

للشذا وإلباسها جلود الجواميس، وتغطية ذلك بالخيش المطلى بصنوف العقاقير والأدوية التى تمنع النار من الإحراق، فعمل ذلك، وطُليت به عدّة شذوات ورتّب فيها جميعاً شجعاء غلمانه: الرامحة والناشبة، وجمعاً من حذّاق النفّاطين وأعدّهم لإحراق دار الفاسق صاحب الزّنج.

فاستأمن إلى الموفّق محمد بن سمعان كاتب الخبيث ووزيره فى يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة تسع وستين ومائتين، وكان سبب استئمانه — فيما ذكر محمد بن الحسن — أنه كان ممّن امتحن بصحبته، وهو لها كاره على علم منه بضلالته. قال: وكنتُ له على ذلك مواصلاً، وكنّا جميعاً ندبّر الحيلة فى التخلّص، فيتعذّر علينا، فلما نزل بالخبيث من الحصار ما نزل، وتفرّق عنه أصحابه، وضعُف أمره، شمّر فى الحيلة للخلاص، وأطلعنى على ذلك، وقال: قد طبتُ نفسا بألاّ أستصحب ولداً ولا أهلا، وأن أنجوَ وحيداً؛ فهل لك فى مثل ما عزمت عليه؟ فقلت له: الرأى لك ما رأيت؛ إذ كنتَ إنما تخلّف ولداً صغيراً لا سبيل للخائن عليه إلى أن يصول به، أو أن يحدث عليك فيه حدثًا يلزمك عاره؛ فأمّا أنا فإنّ معى نساء يلزمنى عارهنّ، ولا يسعنى تعريضهنّ لسطوة الفاجر؛ فامض لشأنك؛ فأخبِرْ عنى بما علمت من نيّتى فى مخالفة الفاجر وكراهة صحبته؛ وإن هيّأ الله لى الخلاص بولدى، فأنا سريع اللحاق بك، وإن جرت المقادير فينا بشىء كنا معًا وصبرنا. ٣/٢٠٤٤

فوجّه محمد بن سمعان وكيلاً له يعرف بالعراقىّ، فأتى عسكر الموفّق، فأخذ له ما أراد من الأمان، وأعدّ له الشذا، فوافته فى السّبَخة فى اليوم الذى ذكرنا، فصار إلى عسكر الموفق. وأعاد الموفّق محاربة الخبيث والقصد للإحراق من غد اليوم الذى استأمن فيه محمد بن سمعان؛ وهو يوم السبت لإحدى عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة تسع وستين ومائتين، فى أحسن زىّ، وأكمل عدّة، ومعه الشّذَوات المطلية بما وصفنا، وسائر شذواته وسُميريّاته فيها مواليه وغلمانه والمعابر التى فيها الرّجالة. فأمر الموفّق ابنَه أبا العباس بالقصد إلى دار محمد ابن يحيى المعروف بالكرَنْبائىّ، وهى بإزاء دار الخائن فى شرقىّ النهر المعروف بأبى الخصيب، يشرع على النهر وعلى دجْلة، وتقدّم إليها فى إحراقها وما يليها

من منازل قوّاد الخائن ، وشغلهم بذلك عن إنجاده ومعاونته ، وأمر المرتبين فى الشّذا المظلّلة بالقصد ؛ لما كان مطلاًّ على دِجْلة من رواشين الخبيث وأبنيته ، ففعلوا ذلك ، وألصقوا شذَواتِهم بسور القصر ، وحاربوا الفجَرة أشدّ حرب ، ونضحوهم بالنيران ، وصبر الفسَقة وقاتلوا ، فرزق الله النصر عليهم ، فتزحزحوا عن تلك الرواشين والأبنية التى كانوا يحامون عليها ، وأحرقها غلمان الموفق ، وسلِم مَنْ كان فى الشّذا مما كان الخبثاء يكيدونهم به من النشاب والحجارة وصبّ الرصاص المذاب وغير ذلك بالظلال التى كان اتّخذها على الشّذا ، فكان ذلك سبباً لتمكنها من دار الخبيث . ٢٠٤٥/٣

وأمر الموفّق مَنْ كان فى الشّذا بالرجوع فرجعوا ، فأخرج مَنْ كان فيها من الغلمان ، ورتّب فيها آخرين ، وانتظر إقبال المدّ وعلوّه ؛ فلما تهيّأ ذلك عادت الشّذَوات المظللة إلى قصر الخبيث ، فأمر الموفّق مَنْ كان فيها بإحراق بيوت كانت تشرَع على دِجْلة من قصر الفاسق ؛ ففعلوا ذلك ، فاضطرمت النار فى هذه البيوت ، واتّصلت بما يليها من الستارات التى كان الخبيث ظلّل بها دارَه ، وستور كانت على أبوابه ، فقويت النار عند ذلك على الإحراق ، وأعجلت الخبيث ومَنْ كان معه عن التوقّف على شىء مما كان فى منزله من أمواله وذخائره وأثاثه وسائر أمتعته ، فخرج هارباً ، وترك ذلك كله . وعلا غلمان الموفّق قصر الخبيث مع أصحابهم ؛ فانتهبوا ما لم تأت النار عليه من الأمتعة الفاخرة والذهب والفضة والجوهر والحلْى وغير ذلك ؛ واستنقذوا جماعة من النساء اللواتِى كان الخبيث استرقّهنّ ، ودخل غلمان الموفّق سائرَ دور الخبيث ودور ابنه أنكلاى ، فأضرموها ناراً ، وعظم سرور الناس بما هيأ الله لهم فى هذا اليوم . فأقام جماعة يحاربون الفَسَقة فى مدينتهم وعلى باب قصر الخبيث ، مما يلِى الميدان ، فأثخنوا فيهم القتل والجراح والأسْر ، وفعل أبو العباس فى دار المعروف بالكرنبائىّ وما يتّصل بها من الإحراق والهدم والنهب مثل ذلك. ٢٠٤٦/٣ وقطع أبو العباس يومئذ سلسلة حديد عظيمة وثيقة كان الخبيث قطع بها نهر أبى الخصيب ليمنع[1] الشّذا من دخوله ، وحازها ، فحُملت فى بعض شَذَواته

(١) ب : « ليمتنع » .

وانصرف الموفّق بالناس صلاة المغرب بأجمل ظفر ، وقد نال الفاسقَ فى ذلك اليوم فى نفسه وماله وولده وما كان غلب عليه من نساء المسلمين مثل الذى أصاب المسلمين منه من الذّعر والجلاء وتشتيت الشمل والمصيبة فى الأهل والولد ، وجُرح ابنه المعروف بأنكلاى فى هذا اليوم جراحة شديدة فى بطنه أشفى منها على التلف [١] .

* * *

[ذكر الخبر عن غرق نصير المعروف بأبى حمزة]

وفى غد هذا اليوم وهو يوم الأحد لعشر بقين من شعبان من هذه السنة غرق نصير .

* ذكر سبب غرقه :

ذَكر محمد بن الحسن أنه لما كان غد هذا اليوم [٢] ، باكر الموفّق محاربة الخبيث ، وأمر نصيراً المعروف بأبى حمزة بالقَصْد لقنطرة كان الخائن عملها بالسياج على النهر المعروف بأبى الخصيب ، دون الجسريْن اللذيْن اتخذهما عليه ، وأمر زيرَك بإخراج أصحابه مما يلى دار الجُبّائىّ لمحاربة مَنْ هناك من الفَجَرة ، وأخرج [٣] جمعًا من قوّادها مما يلى دار أنكلاى لمحاربتهم أيضًا ، فتسرّع نُصير ، فدخل نهر أبى الخَصيب فى أوّل المدّ فى عدّة من شَذَوَاته ، فحملها المدّ فألصقها بالقنطرة ، ودخلت عِدّة من شَذَوَات موالى الموفّق وغلمانه ممن لم يكن أمِر بالدخول ، فحملهم المدّ فألقاهم على شَذَوَات نصير ، فصكّت الشّذوات بعضها بعضًا ؛ حتى لم يكن للاشتيامين والجذّافين فيها حيلة ولا عمل . ورأى الزّنج ذلك ، فاجتمعوا على الشّذوات ، وأحاطوا بها من جانبى نهر أبى الخصيب ، فألقى الجذّافُون أنفسَهم فى الماء ذعراً ووجلاً ،

٢٠٤٧/٣

(١) ب : « الموت » ، ابن الأثير : « الهلاك » .
(٢) بعدها فى س : « وهو يوم الأحد » .
(٣) ط : « وإخراجا » ، وما أثبته من س .

ودخل الزّنج الشّذَوات ، فقتلوا بعض المقاتلة ، وغرق أكثرُهم ، وحاربهم نصير فى شذَواته حتى خاف الأسر ، فقذف نفسه فى الماء فغرق ، وأقام الموفّق فى يومه يحارب الفسَقة ، وينهب ويحرق منازلَهم ، ولم يزَلْ باقى يومه مستعليًا عليهم ؛ وكان ممّن حامى على قصر الخائن يومئذ وثبت فى أصحابه سليمان بن جامع ، فلم تزل الحرب بين أصحاب الموفّق وبينه ، وهو مقيم بموضعه لم يزَل عنه إلى أن خرج فى ظهره كمين من غلمان الموفّق السودان ، فانهزم لذلك ، واتّبعه الغلمان يقتلون أصحابه ، ويأسرون منهم ، وأصابت سليمان فى هذا الوقت جراحة فى ساقه ، فهوى لفيه فى موضع ؛ قد كان الحريق ناله ببعض جمرٍ فيه ، فاحترق بعض جسَده ، وحامى عليه جماعة من أصحابه ، فنجا بعد أن كاد الأسر يحيط به ، وانصرف الموفّق ظافرًا سالمًا ، وضعفت الفسقة ، واشتدّ خوفُهم لمّا رأوا من إدبار أمرهم ، وعرضت لأبى أحمد علّة من وجع المفاصل ؛ فأقام فيها بقية شعبان وشهر رمضان وأيامًا من شوال ممسكًا عن حرب الفاسق . فلما استبلّ من علّته وتماثل، أمر بإعداد ما يحتاج إليه للقاء الفسَقة ، فتأهّب لذلك جميع أصحابه . ٣/٢٠٤٨

* * *

وفى هذه السنة كانت وفاة عيسى بن الشيخ بن السليل .

وفيها لعن ابن طولون المعتمد فى دار العامّة ، وأمر بلعنه على المنابر ، وصار جعفر المفوّض إلى مسجد الجامع يوم الجمعة ، ولعن ابن طولون وعقد لإسحاق ابن كنداج على أعمال ابن طولون، وولىَ من باب الشماسية إلى إفريقية وولِىَ شُرْطة الخاصة .

وفى شهر رمضان منها كتب أحمد بن طولون إلى أهل الشأم يدعوهم إلى نصر الخليفة ، ووُجد فَتيْجٌ يريد ابنَ طولون معه كتُب من خليفته ، جوّاب بأخبار ، فأخذ جوّاب فحبس وأخذ له مال ورقيق ودوابّ .

وفى شوال منها كانت وقعة بين أبى السّاج والأعراب ، فهزموه فيها ، ثم بيّتهم فقتل منهم وأسر ، ووجّه بالرءوس والأسارى إلى بغداد ، فوصلت فى شوال منها .

ولإحدى عشرة ليلة بقيت من شوال منها عقد جعفر المفوّض لصاعد بن مَخْلَد على شهرزور وداباذ والصامغان وحلوان وماسبذان ومهرجانقَذف وأعمال الفرات ، وضمّ إليه قوّاد موسى بن بغا خلا أحمد بن موسى وكَيَغْلَغ وإسحاق ابن كُنداجيق[1] وأساتكين ، فعقد صاعد للؤلؤ على ما عهد له عليه من ذلك المفوّض يوم السبت لثمان بقين من شوال ، وبعث إلى ابن أبى الساج بعقد من قِبَله على العمل الذى كان يتولاّه ، وكان يتولى الأنبار وطريق الفرات ورحبة طوق بن مالك من قِبَل هارون بن الموفّق ، وكان شخص إليها فى شهر رمضان ، فلمّا ضُمّ ذلك إلى صاعد أقرّه صاعد على ما كان إليه من ذلك .

٣/٢٠٤٩

وفى آخر شوّال منها دخل ابن أبى الساج رحبة طوق بن مالك بعد أن حاربه أهلُها ، فغلبهم وهرب أحمد بن مالك بن طَوْق إلى الشأم. ثم صار ابن أبى الساج إلى قَرْقِيسياء ؛ فدخلها وتنحّى عنها ابن صفوان العُقيلىّ .

* * *

[ذكر الخبر عن الوقعة التى كانت بين الموفّق وبين الزنج]

وفى يوم الثلاثاء لعشر خلوْن من شوال من هذه السنة ، كانت بين أبى أحمد وبين الزَّنْج وقعة فى مدينة الفاسق أثّر فيها آثاراً، وصل بها إلى مراده منها.

* ذكر السبب فى هذه الوقعة وما كان منها :

ذكر محمد بن الحسن أنّ الخبيث عدوّ الله كان فى مدّة اشتغال الموفق بعلّته أعاد القنطرة التى كانت شَذَوات نصير لجّجت[2] فيها ، وزاد فيها ما ظنّ أنه قد أحكمها ، ونصب دونها أدقال ساج وصل بعضها ببعض ، وألبسها الحديد ، وسكَر أمام ذلك سِكْراً بالحجارة ليضيق المدخل على الشّذا ، وتحتدّ جرية الماء فى النهر المعروف بأبى الخصيب ، فيهاب الناس دخولَه ، فندب الموفّق قائدين من قُوّاد غلمانه فى أربعه آلاف من الغلمان، وأمرهما أن يأتيا نهر أبى الخصيب ؛ فيكون أحدهما فى شرقيه والآخر[3] فى

٣/٢٠٥٠

(١) س : « كنداج » .
(٢) ط : «لحجت» وما أثبته من ن .
(٣) س : « وأحدهما » .

غربيه ؛ حتى يوافيا القنطرة التى أصلحها الفاجر وما عمل فى وجهها[١] من السكْر[٢] فيحاربا أصحاب الخبيث حتى يجلياهم عن القنطرة ، وأعدّ معهما النجارين والفعلة لقطع القنطرة والبدود التى كانت جعلت أمامها ، وأمر بإعداد سفن محشوّة بالقصب المصبوب عليه النفط ، لتدخل ذلك النهر المعروف بأبى الخصيب ، وتضرم ناراً لتحترق بها القنطرة فى وقت المدّ . فركب الموفّق فى هذا اليوم فى الجيش حتى وافى فوّهة نهر أبى الخصيب ، وأمر بإخراج المقاتلة فى عدّة مواضع من أعلى عسكر الخبيث وأسفله ، ليشغلهم بذلك عن التعاون على المنع عن القنطرة ، وتقدّم القائدان فى أصحابهما ، وتلقاهما أصحاب الخائن من الزّنج وغيرهم ، يقودهم ابنه أنكلاى وعلىّ بن أبان المهلبىّ وسليمان بن جامع ؛ فاشتبكت الحرب بين الفريقيْن ، ودامت ، وقاتل الفسقة أشدّ قتال ، محاماةً عن القنطرة ، وعلموا ما عليهم فى قطعها من الضّرر ، وأنّ الوصول[٣] إلى ما بعدها من الجسرين العظيمين اللذيْن كان الخبيث اتخذهما على نهر أبى الخصيب سهْل مرامه ، فكثر القتل والجراح بين الفريقيْن ، واتّصلت الحرب إلى وقت صلاة العصر . ثم إنّ غلمان الموفّق أزالوا الفسَقة عن القنطرة وجاوزوها ، فقطعها النّجارون والفعلة ، ونقضوها وما كان اتخذ من البدود التى ذكرناها . ٣/٢٠٥١

وكان الفاسق أحكم أمر هذه القنطرة والبدود إحكاماً تعذّر على الفعلة والنّجارين الإسراع فى قطعها ، فأمر الموفّق عند ذلك بإدخال السفن التى فيها القصب والنّفط ، وضربها بالنار وإرسالها مع الماء ؛ ففعل ذلك ، فوافت السفن القنطرة فأحرقتها ، ووصل النّجارون إلى ما أرادوا من قطع البدود فقطعوها ، وأمكن أصحاب الشّذا دخول النهر فدخلوه ، وقوىَ نشاطُ الغلمان بدخول الشّذا ؛ فكشفوا أصحاب الفاجر عن مواقفهم حتى بلغوا بهم الجسر الأوّل الذى يتلو هذه القنطرة ، وقُتل من الفجَرة خلق كثير ، واستأمن فريق منهم ؛ فأمر الموفّق أن يخلع عليهم فى ساعتهم تلك ، وأن يوقفوا بحيث يراهم أصحابُهم ، ليرغبوا فى مثل ما صاروا إليه ؛ وانتهى الغلمان إلى الجسر الأوّل ، وكان ذلك

---

(١) ب : « بوجوهها » . (٢) السكر : سد فم النهر.
(٣) س : « والوصول » .

قبيل المغرب ، فكر الموفّق أن يُظلم الليل ، والجيش موغل فى نهر أبى الخصيب ، فيتهيّأ للفجرة بذلك انتهازُ فرصة ، فأمر الناسَ بالانصراف ، فانصرفوا سالمين إلى المدينة الموفقيّة ، وأمر الموفق بالكتاب إلى النواحى بما هيأ الله له من الفتح والظّفر ؛ ليقرأ بذلك على المنابر ، وأمر بإثابة المحسنين من غلمانه على قدر غَنائهم وبلائهم وحسن طاعتهم ؛ ليزدادوا بذلك جدًّا واجتهاداً فى حرب عدوّهم .

٢٠٥٢/٣

ففعل ذلك ، وعَبر الموفّق فى نفر من مواليه وغلمانه فى الشّذَوات والسميريّات وما خفّ من الزّواريق إلى فُوّهة نهر أبى الخصيب ؛ وقد كان الخبيث ضيّقها ببرجين عملهما بالحجارة ليضيّق المدخل وتحتدّ الجرية ، فإذا دخلت الشّذَا النهر لحّجتْ فيه ، ولم يسهل السبيل إلى إخراجها منه ؛ فأمر الموفّق بقطع ذينك البُرْجين ، فعمل فيهما نهار ذلك اليوم ؛ ثم انصرف العمال وعادوا من غد لاستتمام قلع ما بقى من ذلك ؛ فوجدوا الفَجَرة قد أعادوا ما قاع منهما فى ليلتهم تلك ؛ فأمر بنصب عرّادتين قد كانتا أعدّتا فى سفينتين ، نُصبتا حيال نهر أبى الخصيب ، وطرحت لهما الأناجر حتى استقرّتا ؛ ووكّل بهما من أصحاب الشّذَا ، وأمر بقطع هذين البُرْجَيْن ، وتقدّم إلى أصحاب العرّادتين فى رَمْى كلّ من دنا من أصحاب الفاسق ؛ لإعادة شىء من ذلك فى ليل أو نهار ؛ فتحامى الفجرة الدنوّ من الموضع ، وأحجموا عنه ، وألحّ الموكّلون بقلع هذه الحجارة بعد ذلك ، حتى استتمّوا ما أرادوا ، واتّسع المسْلَك للشذا فى دخول النهر والخروج منه .

* * *

[خبر انتقال صاحب الزنج إلى شرقىّ نهر أبى الخصيب]

وفى هذه السنة تحوّل الفاسق من غربىّ نهر أبى الخصيب إلى شرقيّه وانقطعت عنه الميرة من كلّ وجهة .

ذكر الخبر عن حاله وحال أصحابه وما آل إليه أمرهم عند انتقاله من الجانب الغربيّ

٢٠٥٣/٣

ذُكر أن الموفّق لما أخرب منازل صاحب[(١)] الزّنج وحرّقها ، لجأ إلى التحصّن فى المنازل الواغلة فى نهر أبى الخصيب ، فنزل منزلاً كان لأحمد بن موسى المعروف بالقَلُوص ، وجمع عيالَه وولده حوله هناك ، ونقل أسواقه إلى السوق القريبة من الموضع الذى اعتصم به ؛ وهى سوق كانت تعرف بسوق الحسين ، وضعُف أمره ضعفًا شديداً ، وتبين للناس[(٢)] زوالُ أمره ، فتهيّبوا جلْب المِيرة إليه ، فانقطعت عنه كلّ مادّة ، فبلغ عنده الرّطل من خبز البرّ عشرة دراهم ؛ فأكلوا الشعير ، ثم أكلوا أصناف الحبوب ، ثم لم يزل الأمر بهم إلى أن كانوا يتبعون الناس ؛ فإذا خلا أحدُهم[(٣)] بامرأة أو صبىّ أو رجل ذبحه وأكله ، ثم صار قوىّ الزّنج يَعْدو على ضعيفهم ؛ فكان إذا خلا به ذبَحه وأكل لحمه ؛ ثم أكلوا لحوم أولادهم ، ثم كانوا ينبشون الموتى ، فيبيعون أكفانَهم ويأكلون لحومهم ، وكان لا يعاقب الخبيثُ أحداً ممن فعل شيئًا من ذلك إلاّ بالحبس ، فإذا تطاول حبسُه أطلقه .

وذكر أن الفاسق لما هُدمت داره وأحرِقت ، وانتُهب ما فيها ، وأخرِج طريداً سليبًا من غربىّ نهر أبى الخصيب ، تحوّل إلى شرقيّه ، فرأى أبو أحمد أن يخرب عليه الجانب الشرقىّ لتصير حال الخبيث فيه كحاله فى الغربىّ فى الجلاء عنه ، فأمر ابنه أبا العباس بالوقوف فى جمع من أصحابه فى الشّذا فى نهر أبى الخصيب ، وأن يختار من أصحابه وغلمانه جمعًا يخرجهم فى الموضع الذى كانت فيه دار الكرنبائىّ من شرقىّ نهر أبى الخصيب ، ويخرج معهم الفَعَلة لهدم كلّ ما يلقاهم من دور أصحاب الفاجر ومنازلهم ، ووقف الموفّق على قصر المعروف بالهمدانىّ — وكان الهمدانىّ يتولى حياطة هذا الموضع ، وهو أحد قادة جيوش الخبيث وقدماء أصحابه — وأمر الموفّق جماعة من قوّاده ومواليه فقصدوا

٢٠٥٤/٣

(١) ب : « أصحاب » .
(٢) س : « الناس » .
(٣) س : « أحدثهم » .

لدار الهَمْدانىّ ، ومعهم الفَعلة ؛ وقد كان هذا الموضع محصّنًا بجمع كثير من أصحاب الخبيث من الزّنْج وغيرهم ، وعليه عرّادات ومجانيق منصوبة وقسىّ ناوكية ، فاشتبكت الحرب وكثُر القتلى والجراح إلى أن كشف أصحاب الموفق الخبثاءَ ، ووضعوا فيهم السلاح ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وفعل أصحاب أبى العباس مثل ذلك بمن مرّ بهم من الفَسَقة .

والتقى أصحابُ الموفّق وأصحاب أبى العباس ؛ فكانوا يدًا واحدة على الخبثاء ، فولّوْا منهزمين ، وانتهوْا إلى دار الهمدانىّ ، وقد حصّنها ونصب عليها العرّادات ، وحفّها بأعلام بيض من أعلام الفاجر ، مكتوب عليها اسمه ، فتعذّر على أصحاب الموفق تسوّر هذه الدار لعلوّ سورها وحصانتها ، فوضعوا عليها السلاليم الطوال ، فلم تبلغ آخره ، فرمى بعضُ غلمان الموفّق بكلاليب كانوا أعدّوها ، وجعلوا فيها الحبال لمثل هذا الموضع ، فأثبتوها فى أعلام الفاسق[1] وجذبوها ، فانقلبت الأعلام منكوسة من أعلى السور ؛ حتى صارت فى أيدى أصحاب الموفّق ، فلم يشكّ المحامون عن هذه الدار أنّ أصحاب أبى أحمد قد علوْها ، فوجلوا فانهزموا ، وأسلموها وما حوْلها ، وصعد النّفّاطون فأحرقوا ما كان عليها من المجانيق والعرّادات ، وما كان فيها للهمدانىّ من متاع وأثاث ، وأحرقوا ما كان حولها من دور الفجرة ، واستنقذوا فى هذا اليوم من نساء المسلمين المأسورات عددًا كثيرًا ، فأمر الموفّق بحملهنّ فى الشّذَا والسميريّات والمعابر إلى الموفقية والإحسان إليهنّ .

٣/٢٠٥٥

ولم تزل الحرب فى هذا اليوم قائمةً من أوّل النهار إلى بعد صلاة العصر ، واستأمن يومئذ جماعةٌ من أصحاب الفاسق وجماعة من خاصّة غلمانه الذين كانوا فى داره يلون خدمته والوقوف على رأسه ؛ فآمنهم الموفّق وأمر بالإحسان إليهم ، وأن يُخلَع عليهم ، ويوصلوا وتُجرى لهم الأرزاق ، وانصرف الموفق ، وأمر أن تنكّس أعلام الفاسق فى صدور الشّذَوات ليراها أصحابه ، ودلّت جماعة من المستأمنة الموفّق على سوق عظيمة كانت للخبيث فى ظهر دار

---

(١) س : « الفاجر » .

الهمدانىّ متصلة بالجسر الأوّل المعقود على نهر أبى الخصيب ، كان الخبيث سمّاها المباركة ، وأعلموه أنه إن تهيأ له إحراقها لم يبق لهم سوق ، وخرج عنهم تجّارهم الذين بهم قوامهم ؛ واستوحشوا لذلك. واضطروا إلى الخروج فى الأمان. فعزم الموفّق عند ذلك على قصد هذه السوق وما يليها بالجيوش من ثلاثة أوجه ؛ فأمر أبا العباس بقصدجانب[1] من هذه السوق مما يلى الجسر الأول ؛ وأمر راشداً مولاه بقصدها مما يلى دار الهمدانىّ ، وأمر قوّاداً من قواد غلمانه السودان بالقصد لها من نهر أبى شاكر ، ففعل كلّ فريق ما أمِر به ، ونذر الزّنج بمسير الجيوش إليهم ، فنهضوا فى وجوههم ، واستعرت الحرب وغلظت ، فأمدّ الفاجر أصحابه . وكان المهلبىّ وأنكلاى وسليمان بن جامع فى جميع أصحابهم بعد أن تكاملوا ووافتهم أمداد الخبيث بهذه السوق يحامون عنها ، ويحاربون فيها أشدّ حرب . ٢٠٥٦/٣

وقد كان أصحاب الموفّق فى أول خروجهم إلى هذا الموضع وصلوا إلى طرف من أطراف هذه السوق ، فأضرموه ناراً فاحترق ، فاتّصلت النار بأكثر السوق ، فكان الفريقان يتحاربون والنار محيطة بهم ؛ ولقد كان ما علا من ظلال يحترق فيقع على رءوس المقاتلة ؛ فربما أحرق بعضهم ، وكانت هذه حالهم إلى مغيب الشمس وإقبال الليل . ثم تحاجزوا ، وانصرف الموفّق وأصحابه إلى سفنهم ، ورجع الفسقة إلى طاغيتهم بعد أن احترق السوق ، وجلا عنها أهلها ومن كان فيها من تجار عسكر الخائن وسوقتهم ، فصاروا فى أعلى مدينته بما تخلّصوا به من أموالهم وأمتعتهم . وقد كانوا تقدّموا فى نقل جلّ تجاراتهم وبضائعهم من هذه السوق خوفًا من مثل الذى نالهم فى اليوم الذى أظفر الله فيه الموفّق بدار الهمْدانىّ وهيّأ له إحراق ما أحرق حولها . ٢٠٥٧/٣

ثم إن الخبيث فعل فى الجانب الشرقىّ من حفر الخنادق وتعوير الطرق ما كان فعل فى الجانب الغربىّ بعد هذه الوقعة ، واحتفر خندقًا عريضًا من حدّ جوى كور إلى نهر الغربىّ ، وكان أكثر عنايته بتحصين ما بين دار

---

(١) س : « بالقصد لجانب ».

الكرْنبائىّ إلى النهر المعروف بجُوى كور ؛ لأنه كان فى هذا الموضع جُلّ منازل أصحابه ومساكنهم ، وكان من حدّ جوى كور إلى نهر الغربىّ بساتين ومواضع قد أخلَوْها ، والسُّور والخندق محيطان بها ، وكانت الحرب إذا وقعت فى هذا الموضع قصدوا من موضعهم إليه للمحاماة عنه والمنع منه ؛ فرأى الموفّق عند ذلك أن يخرب باقى السور إلى نهر الغربىّ ، ففعل ذلك بعد حرب طويلة فى مدة بعيدة .

وكان الفاسق فى الجانب الشرقىّ من نهر الغربىّ فى عسكر فيه جمع من الزّنْج وغيرهم متحصّنين بسور منيع وخنادق ، وهم أجلد أصحاب الخبيث وشجعانهم ، فكانوا يحامون عما قَرُب من سور نهر الغربىّ ، وكانوا يخرجون فى ظهور أصحاب الموفّق فى وقت الحرب على جوى كور وما يليه ، فأمر الموفّق بقصد هذا الموضع ومحاربة مَنْ فيه وهدم سُوره وإزالة المتحصّنين به ، فتقدّم عند ذلك إلى أبى العباس وعدّة من قوّاد غلمانه ومواليه فى التأهّب لذلك ، ففعلوا ما أمِروا به ، وصار الموفق بمَنْ أعدّه إلى نهر الغربىّ ، وأمر بالشّذَا فنُظمت من حدّ النهر المعروف بجوى كور إلى الموضع المعروف بالدبّاسين ، وخرج المقاتلة على جنبتى نهر الغربىّ ، ووُضعت السلاليم على السور . ٣/٢٠٥٨

وقد كانت لهم عليه عدّة عرّادات ، ونشبت الحرب ، ودامت مذ أول النهار إلى بعد الظهر ، وهُدم من السور مواضع ، وأحرِق ما كان عليه من العرّادات ، وتحاجز الفريقان ، وليس لأحدهما فضل على صاحبه إلاّ ما وصل إليه أصحاب الموفّق من هذه المواضع التى هدموها وإحراق العرّادات ، ونال الفريقين من ألم الجراح أمرٌ غليظ موجع .

فانصرف الموفّق وجميعُ أصحابه إلى الموفقيّة ، فأمر بمداواة الجرحى ، ووصلَ كلّ امرئ على قدر الجراح التى أصابته ؛ وعلى ذلك كان أجرى التدبير فى جميع وقائعه منذ أول محاربته الفاسق إلى أن قتله الله .

وأقام الموفّق بعد هذه الوقعة مدّة ، ثم رأى معاودة هذا الموضع والتشاغل به دون المواضع ، لما رأى من حصانته وشجاعة مَنْ فيه وصبرهم ، وأنه لا يتهيأ

ما يقدر فيما بين نهر الغربىّ وجوى كور إلا بعد إزالة هؤلاء ، فأعدّ ما يحتاج إليه من آلات الهدم ، واستكثر من الفعلة ، وانتخب المقاتلة الناشبة والرّامحة والسودان أصحاب السيوف ، وقصد هذا الموضع على مثل قصده له المرّة الأولى ، فأخرج الرجّالة فى المواضع التى رأى إخراجهم فيها ، وأدخل عدداً من الشّذا النهر ، ونشبت الحرب ودامت ، وصبَر الفسقة أشدّ صبر ، وصبر لهم أصحاب الموفق .

واستمدّ الفسقة طاغيتهم ؛ فوافاهم المهلبىّ وسليمان بن جامع فى جيشهما[1] ، فقويت قلوبهم عند ذلك ، وحملوا على أصحاب الموفق ، وخرج سليمان كميناً مما يلى جوى كور ، فأزالوا[2] أصحاب الموفّق حتى انتهوْا إلى سفنهم ، وقتلوا منهم جماعة وانصرف الموفق ولم يبلغ كلّ الذى أراد ، وتبيّن أنه قد كان يجب أن يحارب الفسقة من عدّة مواضع ، ليفرّق جمعهم ، فيخفّ وطؤهم على مَنْ يقصد لهذا الموضع الصعب ، وينال منه ما يحبّ ، فعزم على معاودتهم ، وتقدّم إلى أبى العباس وغيره من قوّاده فى العبور واختيار أنجاد رجالهم ، ووكّل مسروراً مولاه بالنهر المعروف بمنكى ، وأمره أن يخرج رجاله فى ذلك الموضع وما يتصل به من الجبال والنخل ، لتشتغل[3] قلوب الفجَرة ، وليروْا أنّ عليهم تدبيراً من تلك الجهة . وأمر أبا العباس بإخراج أصحابه على جوى كور ، ونظم الشذا على هذه المواضع حتى انتهى إلى الموضع المعروف بالدّباسين ؛ وهو أسفل نهر الغربىّ ، وصار الموفّق إلى نهر الغربىّ ، وأمر قوّاده وغلمانه أن يخرجوا فى أصحابهم فيحاربوا الفسقة فى حصنهم ومعقلهم ، وألا ينصرفوا عنهم حتى يفتح الله لهم ، أو يبلغ إرادته منهم . ووكل بالسور مَنْ يهدمه ، وتسرّع الفسقة كعادتهم ، وأطمعهم ما تقدّم من الوقعتين اللتيْن ذكرناهما ، فثبت لهم غلمان الموفق ، وصدقوهم اللقاء ؛ فأنزل الله عليهم نصره ، فأزالوا الفسقة عن مواقفهم ، وقوىَ أصحابُ الموفق ، فحملوا عليهم حملةً كشفوهم بها ، فانهزموا وخلّوْا عن حصنهم ، وصار فى أيدى غلمان الموفق فهدموه ، وأحرقوا

٣/٢٠٥٩

(١) س : « جيوشهما ». (٢) س : « فأزال ».
(٣) س : « لتشغل ».

٣/٢٠٦٠ منازلهم ، وغنموا ما كان فيها ، واتّبعوا المنهزمين منهم ، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وأسروا ، واستنقذوا من هذا الحصن من النساء المأسورات خلْقًا كثيراً ، فأمر الموفّق بحملهن والإحسان إليهن ، وأمر أصحابه بالرجوع إلى سفنهم ففعلوا ، وانصرف إلى عسكره بالموفقيّة ، وقد بلغ ما حاول من هذا الموضع .

* * *

[ذكر خبر دخول الموفق مدينة صاحب الزنج]

وفيها دخل الموفق مدينة الفاسق ، وأحرق منازله من الجانب الشرقيّ من نهر أبي الخصيب .

* ذكر الخبر عن سبب وصوله إلى ذلك :

ذُكر أنّ أبا أحمد لما أراد ذلك بعد هدمه سورَ داره ذلك ، أقام يصلح المسالك في جنبتي نهر أبي الخصيب وفي قصر الفاسق ، ليتسع على المقاتلة الطريق في الدخول والخروج للحرب ، وأمر بقلع باب قصر الخبيث الذي كان انتزعه من حصن أرْوَخ بالبصرة ، فقُلع وحُمل إلى مدينة السلام . ثم رأى القصد لقطع الجسر الأوّل الذي كان على نهر أبي الخصيب ، لما في ذلك من منع معاونة بعضهم بعضًا عند وقوع الحرب في نواحي عسكرهم ، فأمر بإعداد سفينة كبيرة تُملأ قصبًا قد سُقِيَ النّفْط ، وأن يُنْصَب في وسط السفينة دَقَلٌ طويل يمنعها من مجاوزة الجسر إذا لصقت به ، وانتهز الفرصة في غفلة الفسقة وتفرّقهم .

٣/٢٠٦١ فلما وجد ذلك في آخر النهار قُدِّمت السفينة ، فجرّها الشذا حتى وردت النهر ، وأشعل فيها النيران ، وأرسلت وقد قوي المدّ ، فوافت القنطرة ، ونَذِر الزّنج بها ، وتجمعوا وكثروا حتى ستروا الجسر وما يليه ، وجعلوا يقذفون السفينة بالحجارة والآجرّ ، ويهيلون عليها التراب ، ويصبّون الماء ، وغاص بعضهم فنقبها ؛ وقد كانت أحرقت من الجسر شيئًا يسيراً ، فأطفأه الفسقة ، وغرّقوا السفينة وحازوها ؛ فصارت في أيديهم .

فلما رأى أبو أحمد فعلَهم ذلك ، عزم على مجاهدتهم على هذا الجسر

حتى يقطعه ، فسمّى لذلك قائدين من قوّاد غلمانه ، وأمرهما بالعبور فى جميع أصحابهما فى السلاح الشاك والّلأمة الحصينة والآلات المحكمة ، و إعداد النفاطين والآلات التى تُقْطع بها الجسور ، فأمر أحد القائدين أن يقصد غربىّ النهر ، وجعل الآخر فى شرقيّه ، وركب الموفّق فى مواليه وخدّامه وغلمانه الشّذّوات والسُّميريّات ، وقصد فُوّهَة نهر أبى الخصيب ؛ وذلك فى غداة يوم السبت لأربع عشرة ليلة خلت من شوّال سنة تسع وستين ومائتين ، فسبق إلى الجسر القائد الذى كان أمِر بالقصد له من غربىّ نهر أبى الخصيب ، فأوقع بمَن كان موكّلا به من أصحاب الفاسق ، وقُتلت منهم جماعة ، وضُرب الجسر بالنار ، وطرح عليه القصب وما كان أعِدّ له من الأشياء المحرقة ، فانكشف مَن كان هناك من أعوان الخبيث ، ووافى بعد ذلك مَنْ كان[1] أمر بالقصد للجسر من الجانب الشرقىّ ، ففعلوا ما أمِروا به من إحراقه . ٣/٢٠٦٢

وقد كان الخبيث أمر ابنه أنكلاى وسليمان بن جامع بالمقام فى جيشهما للمحاماة عن الجسر ، والمنع من قطعه ؛ ففعلا ذلك ، فقصد إليهما[2] مَنْ كان بإزائهما ، وحاربوهم حرباً غليظاً حتى انكشفا ، وتمكنوا من إحراق الجسر فأحرقوه ، وتجاوزوه إلى الحظيرة التى كان يعمل فيها شذّوات الفاسق وسُميريّاته وجميع الآلات التى كان يحارب بها ، فأحرِق ذلك عن آخره إلا شيئاً يسيراً من الشّذوات والسميريّات كان فى النهر ، وانهزم أنكلاى وسليمان بن جامع ، وانتهى غلمان الموفق إلى سجْن كان للخبيث فى غربىّ نهر أبى الخصيب ، فحامى عنه[3] الزّنج ساعة من النهار حتى أخرجوا منه جماعة ، وغلبهم عليه غلمان الموفّق ، فتخلّصوا مَنْ كان فيه من الرجال والنساء ، وتجاوز من كان فى الجانب الشرقىّ من غلمان الموفق ، بعد أن أحرقوا ما وُلّوا من الجسر إلى الموضع المعروف بدار مصلح ؛ وهو من قدماء قوّاد الفاسق ، فدخلوا داره وأنهبوها ، وسَبوْا ولده ونساءه ، وأحرقوا ما تهيأ لهم إحراقه فى طريقهم[4] ، و بقيت من الجسر فى وسط منه أدقال قد كان الخبيث أحكمها ، فأمر

---

(١) ب : « الذين كانوا » .
(٢) س : « لهما » .
(٣) س : « عليه » .
(٤) ب : « طريقه » .

الموفق أبا العباس بتقديم عدّة من الشّذا إلى ذلك الموضع ، ففعل ذلك ؛ فكان فيمن تقدّم زيرك[1] فى عدد من أصحابه ، فوافَى هذه الأدقال ، وأخرجوا إليها قوماً قد كانوا أعدّوهم لها معهم الفئوس والمناشير ، فقطعوها ، وجُذبت وأخرجتْ عن النهر ، وسقط ما بقى من القنطرة ، ودخلت شذوات الموفّق النهر ، وسار القائدان فى جميع أصحابهما على حافتيه[2] فهُزم أصحاب الفاجر فى الجانبين ، وانصرف الموفّق وجميع أصحابه سالمين ، واستُنقذ خلق كثير . وأُتِىَ الموفق بعدد كثير من رءوس الفسقة ، فأثاب مَنْ أتاه بها ، وأحسن إليه ووصله .

٢٠٦٣/٣

وكان انصرافه فى هذا اليوم على ثلاث ساعات من النهار ، بعد أن انحاز الفاسق وجميع أصحابه من الزّنْج وغيرهم إلى الجانب الشرقىّ من نهر أبى الخصيب ، وأخلوْا غربيّه ، واحتوى عليه أصحاب الموفّق ، فهدموا ما كان يعوق عن محاربة الفَجَرة من قصور الفاسق وقصور أصحابه ، ووسّعوا مخترقات ضيّقة كانت على نهر أبى الخصيب ، فكان ذلك مما زاد فى رعب أصحاب الخائن . ومال جمعٌ كثير من قوّاده وأصحابه الذين كان لا يرى أنهم يفارقونه إلى طلب الأمان ، فبُذل ذلك لهم ، فخرجوا أرسالا ، فقبِلوا ، وأحسِن إليهم وألحقوا بنظرائهم فى الأرزاق والصِّلات والخلع .

ثم إن الموفق واظب على إدخال الشذا النهر ، وتقحّمه فى غلمانه ، وأمر بإحراق ما على حافتيه من منازل الفجرة ومافى بطنه من السفن ، وأحبّ تمرين أصحابه على دخول النهر وتسهيل سلوكه لهم لِمَا كان يقدّر من إحراق الجسر الثانى ، والتوصّل[3] إلى أقصى مواضع الفجرة .

٢٠٦٤/٣

فبينا الموفق فى بعض أيامه — التى ألحّ فيها على حرب الخبيث وولوج نهر أبى الخصيب — واقف فى موضع من النهر ؛ وذلك فى يوم جمعة ، إذ استأمن إليه رجل من أصحاب الفاجر ، وأتاه بمنبر كان للخبيث فى الجانب الغربىّ ، فأمره بنقله إليه ، ومعه قاض كان للخبيث فى مدينته ؛ فكان ذلك مما فتّ فى أعضادهم ؛ وكان الخبيث جمع ما كان بقىَ له من السفن البحرية وغيرها ،

(١) س : « وذزل » . (٢) س : « على حافتى النهر » .
(٣) س : « التوغل » .

فجعلها عند الجسر الثانى ، وجمع قوّاده وأصحابه وأنجاد رجاله هنالك ؛ فأمر الموفّق بعض غلمانه بالدنوّ من الجسر وإحراق ما تهيأ إحراقُه من المراكب البحرية التى تليه ، وأخذ ما أمكن أخذُه منها . ففعل ذلك المأمورون به من الغلمان ، فزاد فعلهم فى تحرّز الفاجر ومحاماته عن الجسر الثانى ، فألزم نفسه وجميع أصحابه حفظه وحراسته خوفًا من أن تتهيّأ حيلة ، فيخرج الجانب الغربىّ عن يده ، ويُوطئه أصحاب الموفّق ؛ فيكون ذلك سببًا لاستئصاله ، فأقام الموفّق بعد إحراق الجسر الأول أيامًا يعبرُ بجمع بعد جمع من غلمانه إلى الجانب الغربىّ من نهر أبى الخصيب ، فيحرقون ما بقِى من منازل الفجرة ، ويقرُبون من الجسر الثانى فيحاربهم عليه الزنج .

وقد كان تخلّف[1] منهم جمعٌ فى منازلهم فى الجانب الغربىّ المقاربة للجسر الثانى ، وكان غلمان الموفق يأتون هذا الموضع ويقفون على الطرق والمسالك التى كانت تخفى عليهم من عسكر الخبيث ؛ فلما وقف الموفّق على معرفة غلمانه وأصحابه بهذه الطريق واهتدائهم لسلوكها ، عزم على القصد لإحراق الجسر الثانى ليحوز الجانب الغربىّ من عسكر الخبيث ، وليتهيأ لأصحابه مساواتُهم على أرض واحدة ، لا يكون بينهما[2] فيها حائل غير نهر أبى الخصيب ؛ فأمر الموفّق عند ذلك أبا العباس بقصد الجانب الغربىّ فى أصحابه وغلمانه ، وذلك فى يوم السبت لثمان بقين من شوال سنة تسع وستين ومائتين ، وتقدّم إليه أن يجعل خروجه بأصحابه فى موضع البناء الذى كان الفاجر سمّاه[3] مسجد الجامع ، وأن يأخذ[4] الشارع المؤدى إلى الموضع الذى كان الخبيث اتخذه مصلًّى يحضره فى أعياده ؛ فإذا انتهى إلى موضع المصلى عطف منه إلى الجبل المعروف بجبل المكتنى بأبى عمرو أخى المهلبىّ ، وضمّ إليه من قُوّاد غلمانه الفرسان والرّجالة زُهاء عشرة آلاف ، وأمره أن يرتّب زيرك صاحب مقدّمته فى أصحابه فى صحراء المصلى ، ليأمن خروج كمين إن كان للفسقة[5] من ذلك الموضع ، وأمر

٣/٢٠٦٥

---

(١) س : « يختلف » .
(٢) س : « بينهم » .
(٣) س : « سماه الفاجر » .
(٤) ب ، س : «يجعل» .
(٥) ب ، س : « الفسقه » .

جماعة من قوّاد الغلمان أن يتفرقوا فى الجبال التى فيها بين الجبل المعروف بالمكتنى بأبى عمرو وبين الجبل المعروف بالمكتنى أبا مقاتل الزنجىّ ، حتى توافَوْا جميعًا من هذه الجبال موضع الجسر الثانى فى نهر أبى الخصيب ، وتقدّم إلى جماعة من قوّاد الغلمان المضمومين إلى أبى العباس أن يخرجوا فى أصحابهم بين دار الفاسق ودار ابنه أنكلاى ، فيكون مسيرهم على شاطئ نهر أبى الخصيب وما قاربه ؛ ليتصلوا بأوائل الغلمان الذين يأتون على الجبال ، ويكون قصدُ الجميع إلى الجسر . وأمرهم بحمل الآلات من المعاول والفؤوس والمناشير مع جمع[1] من النّفاطين لقطع ما يتهيّأ قطعُه ، وإحراق ما يتهيأ إحراقه ، وأمر راشداً مولاه بقصد الجانب الشرقىّ من نهر أبى الخصيب فى مثل العدّة التى كانت مع أبى العباس وقصد الجسر ومحاربة مَنْ يدافع عنه ، ودخل أبو أحمد نهر أبى الخصيب فى الشذا ، وقد أعدّ منها شذَوات رتّب فيها من أنجاد غلمانه الناشبة والرّامحة مَن ارتضاه ، وأعدّ معهم من الآلات التى يقطع بها الجسر ما يحتاج إليه لذلك ؛ وقدّمهم أمامه فى نهر أبى الخصيب ، واشتبكت الحرب فى الجانبين جميعًا بين الفريقين ، واشتدّ القتال .

٢٠٦٦/٣

وكان فى الجانب الغربىّ بإزاء أبى العباس ومَنْ معه أنكلاى ابن الفاسق فى جيشه ، وسليمان بن جامع فى جيشه ، وفى الجانب الشرقىّ بإزاء راشد ومَن معه الفاجر صاحب الزّنج والمهلّبىّ فى باقى جيشهم ، فكانت الحرب فى ذلك اليوم إلى مقدار ثلاث ساعات من النهار . ثم انهزمت الفسقة لا يلوُون على شىء ، وأخذت السيوفُ منهم مأخذَها ، وأخذ من رءوس الفسقة ما لم يقع عليه إحصاء لكثرته ؛ فكان الموفّق إذا أتِى برأس من الرءوس[2] أمر بإلقائه فى نهر أبى الخصيب ، ليدع المقاتلة الشغل بالرءوس ، ويجدّوا فى اتباع عدوّهم ، وأمر أصحاب الشذا الذين رتبهم فى نهر أبى الخصيب بالدنوّ من الجسر وإحراقه ، ودفع مَنْ تحامى عنه من الزّنج بالسهام ؛ ففعلوا ذلك وأضرموا الجسر ناراً ، ووافى أنكلاى وسليمان فى ذلك الوقت جريحيْن مهزوميْن[3] ، يريدان العبور إلى

٢٠٦٧/٣

(١) ب : « بجميع » . (٢) س : « من الرءوس بشىء » .
(٣) س : « منهزمين » .

شرقيّ نهر أبي الخصيب ، فحالت النار بينهما وبين الجسر ، فألقوْا أنفسهما ومن كان معهما من حُماتهم في نهر أبي الخصيب ، فغرق منهم خلق كثير ، وأفلت أنكلاى وسليمان بعد أن أشفيا على الهلاك ، واجتمع على الجسر من الجانبين خلق كثير ، فقطع بعد أن ألقيت عليه سفينة مملوءة قصباً مضروماً بالنار ، فأعانت على قطعه وإحراقه ، وتفرّق الجيش في نواحي مدينة الخبيث من الجانبين جميعاً ، فأحرقوا من دورهم وقصورهم وأسواقهم شيئاً كثيراً ، واستنقذوا من النساء المأسورات والأطفال ما لا يُحصى عدده ، وأمرَ الموفّق المقاتلة بحملهم في سفنهم والعبور بهم إلى الموفقيّة .

وقد كان الفاجر سكن بعد إحراق قصره ومنازله الدّار المعروفة بأحمد بن موسى القلوص والدّار المعروفة بمحمد بن إبراهيم أبي عيسى ، وأسكن ابنه أنكلاى الدار المعروفة بمالك ابن أخت القلُوص ؛ فقصد جماعة من غلمان الموفق المواضع التي كان الخبيث يسكنها فدخلوها[1] ، وأحرقوا منها مواضع ، وانتهبوا منها ما كان سلِم للفاسق من الحريق الأول ، وهرب الخبيث ولم يوقف[2] في ذلك اليوم على مواضع[3] أمواله . واستنقذ في هذا اليوم نسوة علويّات كنّ محتبسات في موضع قريب من داره التي كان يسكنها ، فأمر الموفق بحملهن إلى عسكره[4] ، وأحسن إليهنّ ، ووصلهنّ ؛ وقصد جماعة من غلمان الموفق من المستأمنة المضمومين إلى أبي العباس سجناً كان الفاسق اتّخذه في الجانب الشرقيّ من نهر أبي الخصيب ، ففتحوه وأخرجوا منه خلقاً كثيراً ممّن كان أسر من العساكر التي كانت تحارب الفاسق وأصحابه ، ومن سائر الناس غيرهم . فأخرج جميعهم في قيودهم وأغلالهم حتى أتىَ بهم الموفّق ، فأمر بفكّ الحديد عنهم وحملهم إلى الموفقيّة ، وأخرج في ذلك اليوم كل ما كان بقي في نهر أبي الخصيب من شذاً ومراكب بحرية وسفن صغار وكبار وحرّاقات وزلاّلات وغير ذلك من أصناف السفن من النهر إلى دجْلة ، وأباحها الموفق أصحابه وغلمانه مع ما فيها من السلب والنهب الذى حازوا في ذلك اليوم من

٢٠٦٨/٣

(١) س : « ودخلوها » .
(٢) ب : « فلم يوقف » .
(٣) ب : « موضع » .
(٤) ب : « معسكره » .

عسكر الخبيث ، وكان ذلك قدر جليل وخطر عظيم .

* * *

وفيها كان إحدار المعتمد إلى واسط ، فسار إليها فى ذى القعدة وأنزل دار زيرك .

وفيها سأل أنكلاى ابن الفاسق أبا أحمد الموفّق الأمان ، وأرسل إليه فى ذلك رسولا ، وسأل أشياء فأجابه الموفق إلى كلّ ما سأله ، وردّ إليه رسوله ، وعرض للموفّق بعقب ذلك ما شغله عن الحرب . وعلم الفاسق أبو أنكلاى بما كان من ابنه فعذّله – فيما ذكر – على ذلك ، حتّى ثناه [1] عن رأيه فى طلب الأمان ، فعاد للجدّ فى قتال أصحاب الموفق ، ومباشرة الحرب بنفسه . ٣/٢٠٦٩

* * *

[ذكر طلب رؤساء صاحب الزنج الأمان]

وفيها وجه أيضًا سليمان بن موسى الشعرانىّ – وهو أحد رؤساء أصحاب الفاسق – من يطلب الأمان له من أبى أحمد ، فمنعه أبو أحمد ذلك ، لمَا كان سلف منه من العبث وسفك الدماء ، ثم اتصل به أنّ جماعةً من أصحاب الخبيث [2] قد استوحشوا لمنعة ذلك الشعرانىّ ، فأجابه أبو أحمد إلى إعطائه الأمان ؛ استصلاحًا بذلك غيرَه من أصحاب الفاسق [3] ، وأمر بتوجيه الشّذَا إلى الموضع الذى واعدهم الشعرانىّ ، ففعل ذلك ، فخرج الشعرانىّ وأخوه وجماعة من قوّاده ، فحملهم فى الشّذا ، وقد كان الخبيث حرسّ به مؤخّر نهر أبى الخصيب ، فحمله أبو العباس إلى الموفق ، فمنّ عليه ، ووفّى له بأمانه ، وأمر به فوُصل ووُصل أصحابه ، وخلع عليهم ، وحمل على عدّة أفراس بسروجها وآلتها ، ونزّله وأصحابه أنزالا سنية ، وضمه وإياهم إلى أبى العباس ، وجعله فى جملة أصحابه ، وأمره [4] بإظهاره فى الشّذَا لأصحاب الخائن ليزدادوا ثقةً بأمانه ؛ فلم يبرح الشّذا من موضعها من نهر أبى الخصيب ، حتّى استأمن جمع كثير من قوّاد الزّنج وغيرهم ، فحملوا إلى أبى أحمد ، فوصلهم

(١) س : « وثناه » .
(٢) س : « الفاسق » .
(٣) س : « الخبيث » .
(٤) س : « وأمر » .

وألحقهم فى الخلع والجوائز بمن تقدّمهم . ٣/٢٠٧٠

ولما استأمن الشعرانىّ اختلّ ما كان الخبيث يضبط به من مؤخر عسكره ، ووَهى أمرُه وضعف ؛ فقلّد[1] الخبيث ما كان إلى الشعرانىّ من حفظ ذلك شِبل بن سالم ، وأنزله مؤخّر نهر أبى الخصيب ، فلم يُمسِ الموفّق من اليوم الذى أظهر فيه الشعرانىّ لأصحاب الخبيث حتى وافاه رسولُ شبْل بن سالم يطلب الأمان ، ويسأل أن يوقف شَذَوات عند دار ابن سمعان ؛ ليكون قصدُه فيمن يصحبه من قوّاده ورجاله فى الليل إليها .

فأعطِىَ الأمانَ ، ورُدّ إليه رسوله ، ووُقِّفت[2] له الشّذا فى الموضع الذى سأل أن توقَف له ؛ فوافاها فى آخر الليل ومعه عياله وولده وجماعة من قوّاده ورجاله ، وشهَر أصحابه سلاحَهم ؛ وتلقّاهم قوم من الزّنج قد كان الخبيث وجّههم لمنعه من المصير إلى الشّذا . وقد كان خبره انتهى إليه ، فحاربهم شبل وأصحابُه ، وقتلوا منهم نفراً ؛ فصاروا إلى الشّذا سالمين ، فصِير بهم إلى قصر الموفق بالموفقية ، فوافاه وقد ابتلج الصبح ؛ فأمر الموفق أن يوصَل شبل بصلة جزيلة ، وخلع عليه خلعًا كثيرة ، وحمله على عدّة أفراس بسروجها ولُجُمها .

وكان شبل هذا من عُدد الخبيث وقدماء أصحابه وذوى الغَناء والبلاء فى نُصرته ، ووصل أصحاب شبل ، وخلع عليهم ، وأسنيت له ولهم الأرزاق والأنزال ، وضُموا جميعًا إلى قائد من قوّاد غلمان الموفق ، ووُجّه به وبأصحابه[3] فى الشّذا ، فوقفوا بحيث يراهم الخبيث وأشياعه . فعظم ذلك على الفاسق وأوليائه ، لمّا رأوْا من رغبة رؤسائهم فى اغتنام الأمان ، وتبين الموفّق من مناصحة شبل وجودة فهمه ما دعاه إلى أن يستكفيَه بعض الأمور التى يكيد بها الخبيث ؛ فأمره[4] بتبييت عسكر الخبيث فى جمع أمر بضمّهم إليه من أبطال الزّنْج المستأمنة ، وأفرده وإيّاهم بما أمرهم به من البيات ؛ لعلمهم بالمسالك فى عسكر الخبيث . ٣/٢٠٧١

فنفذ شبل لمّا أُمِر به ، فقصد موضعًا كان عرفه ، فكبسه فى السَّحَر ،

(١) ب : « وقلد » . (٢) ب : « ووقف » .
(٣) ب : « وأصحابه » . (٤) س : « وأمر » .

فوافَى به جمعًا كثيفًا من الزَّنْج فى عدّة [1] من قُوّادهم وحماتهم ، قد كان الخبيث رتّبهم فى الدفع عن الدار المعروفة بأبى عيسى ، وهى منزل الخبيث حينئذ ، فأوقع بهم وهم غارّون ، فقتَل منهم مقتلةً عظيمة ، وأسر جمعًا من قوّاد الزّنج ، وأخذ لهم سلاحًا كثيراً ، وانصرف ومَنْ كان معه سالمين ، فأتى بهم الموفّق ، فأحسن جائزتهم [2] ، وخلع عليهم ، وسوّر جماعة منهم .

ولما أوقع أصحاب شبل بأصحاب الخائن هذه الوقعة ذعرهم ذلك ذُعْراً شديداً ، وأخافهم ومنعهم النوم ؛ فكانوا يتحارسون فى كلّ ليلة ، ولا تزال النَّفْرة تقع فى عسكرهم لمـّا استشعروا من الخوف ، ووصل إلى قلوبهم من الوَحشة ؛ حتى لقد كان ضجيجهم وتحارسهم يُسمَع بالموفقيّة .

ثم أقام الموفق بعد ذلك ينفذ السرايا إلى الخبثة ليلا ونهاراً من جانبى نهر أبى الخصيب ، ويكدّهم بالحرب ، ويُسْهر ليلهم ، ويحول بينهم وبين طلب أقواتهم ، وأصحابه فى ذلك يتعرّفون [3] المسالك ، ويتدرّبون بالوغول فى مدينة الخبيث وتقحّمها ، ويصرُّون من ذلك على ما كانت الهيبة تحولُ بينهم وبينه ؛ حتى إذا ظنّ الموفق أن قد بلغ أصحابه ما كانوا يحتاجون إليه ، صحّ عزمه على العبور إلى محاربة الفاسق فى الجانب الشرقىّ من نهر أبى الخصيب ، فجلس مجلسًا عامًّا ، وأمر بإحضار قوّاد المستأمنة ووجوه فرسانهم ورجّالتهم من الزنّج والبيضان ، فأدخلُوا إليه ، ووقفوا بحيث يسمعون كلامه . ثم خاطبهم فعرّفهم ما كانوا عليه من الضلالة والجهل وانتهاك المحارم ، وما كان الفاسق ديَّن لهم من معاصى الله ؛ وأن ذلك قد كان أباح له دماءهم ، وأنه قد غفر الزّلّة ، وعفا عن الهفوة ، وبذل الأمان ، وعاد على مَنْ لجأ إليه بفضله ، فأجزل الصّلات ، وأسنى الأرزاق ، وألحقهم بالأولياء وأهل الطاعة ؛ وأن ما كان منه من ذلك يُوجب عليهم حقه وطاعته ؛ وأنهم لن يأتوا شيئاً يتعرّضون به لطاعة ربهم والاستدعاء لرضا سلطانهم : أوْلى بهم من الجدّ والاجتهاد فى مجاهدة عدوّ الله الخائن وأصحابه ، وأنهم من الخبرة بمسالك

٣/٢٠٧٢

(١) س : « عدد » .
(٢) بعدها فى س : « وأحسن إليهم » .
(٣) ب : « يعرفون » .

عسكر الخبيث ومضايق طرق مدينته والمعاقل[1] التى أعدّها للهرب إليها على ماليس عليه غيرهم ؛ فهم أحرياء أن يُمْحِضُوه[2] نصيحتهم ، ويجتهدوا فى الوُلوج على ٣/٢٠٧٣ الخبيث ، والتوغّل إليه فى حصونه ، حتى يمكنهم الله منه ومن أشياعه ، فإذا فعلوا ذلك فلهم الإحسان والمزيد . وإن مَنْ قصّر منهم استدعى من سلطانه إسقاطَ حاله وتصغير منزلته ، ووضع مرتبته . فارتفعت أصواتُهم جميعاً بالدّعاء للموفق والإقرار بإحسانه ، وبما هم عليه من صحة الضمائر فى السمع والطاعة والجدّ فى مجاهدة عدوّه ، وبذل دمائهم ومُهجهم[3] فى كلّ ما يقرّ بهم منه ، وأن ما دعاهم إليه قد قوّى نيّتهم ، ودلهم على ثقته بهم وإحلاله إياهم محلّ أوليائه ، وسألوه أن يُفردهم بناحية يحاربون فيها ، فيظهر من حسن نيّاتهم ونكايتهم فى العدوّ ما يعرف به إخلاصَهم وتورّعهم عما كانوا عليه من جهلهم، فأجابهم الموفق إلى ما سألوا ، وعرّفهم حُسن موقع ما ظهر له من طاعتهم ، وخرجوا من عنده مبتهجين بما أجيبوا به من حسن القول وجميل الوعد .

* * *

[خبر دخول الموفق مدينة صاحب الزنج وتخريب داره]

وفى ذى القعدة من هذه السنة دخل الموفق مدينة الفاسق بالجانب الشرقىّ من نهر أبى الخصيب ، فخرّب داره ، وانتهب[4] ماكان فيها .

* ذكر الخبر عن هذه الوقعة :

ذكر أن أبا أحمد لما عزم على الهجوم على الفاسق فى مدينته بالجانب ٣/٢٠٧٤ الشرقىّ من نهر أبى الخصيب ، أمر بجمع السفن والمعابر من دِجْلة والبَطيحة ونواحيها ليضيفها إلى ما فى عسكره ؛ إذ كان ما فى عسكره مقصّراً عن الجيش لكثرته ، وأحصى ما فى الشّذا والسُّميريات والرّقيّات التى كانت تعبر فيها الخيل ، فكانوا زهاء عشرة آلاف ملاّح ، ممن يجرى عليه الرزق من بيت المال مشاهرة ، سوى سفن أهل العسكر التى يحمل فيها الميرة ، ويركبها الناس فى حوائجهم ، وسوى ما كان لكلّ قائد ومن يحضر من أصحابه من

---

(١) س : « والمضايق » .
(٢) س : « فهو أحق بأن يمحضوه » .
(٣) س « وهجم » .
(٤) س : « وأنهب » .

السمّيريات والجريبيات والزّواريق التى فيها الملاحون الراتبة . فلمّا تكاملت له السفن والمعابر ، ورضى عددَها ، تقدّم إلى أبى العباس وإلى قوّاد مواليه وغلمانه فى التأهب والاستعداد للقاء عدوّهم ، وأمر بتفرقة السفن والمعابر إلى حمل الخيل والرّجالة ، وتقدّم إلى أبى العباس فى أن يكون خروجه فى جيشه فى الجانب الغربىّ من نهر أبى الخصيب ، وضمّ إليه قوّاداً من قُوّاد غلمانه فى زُهاء ثمانية آلاف من أصحابهم ، وأمره أن يعمد مؤخّر عسكر الفاسق حتى يتجاوز دار المعروف بالمهلبىّ ، وقد كان الخبيث حصّنها وأسكن بقربها خلْقاً كثيراً من أصحابه ؛ ليأمن على مؤخّر عسكره ، وليصعب على من يقصده المسلك إلى هذا الموضع .

٣/٢٠٧٥ فأمر أبو أحمد أبا العباس بالعبور بأصحابه إلى الجانب الغربىّ من نهر أبى الخصيب ، وأن يأتىَ هذه الناحية من ورائها ، وأمر راشداً مولاه بالخروج فى الجانب الشرقىّ من نهر أبى الخصيب فى عدد كثير من الفرسان والرّجّالة زُهاء عشرين ألفاً ، وأمر بعضَهم بالخروج فى ركن دار المعروف بالكرنبائىّ كاتب المهلبىّ ،وهى على قرنة نهر أبى الخصيب فى الجانب الشرقىّ منه ، وأمرهم أن يجعلوا مسيرهم على شاطئ النهر حتى يوافُوا الدار التى نزلها الخبيث ؛ وهى الدار المعروفة بأبى عيسى . وأمر فريقاً من غلمانه بالخروج على فُوّهة النهر المعروف بأبى شاكر ، وهو أسفل من نهر أبى الخصيب ، وأمر آخرين منهم بالخروج فى أصحابهم على فُوّهة النهر المعروف بجوى كور ، وأوعز إلى الجميع فى تقديم الرّجّالة أمام الفرسان ، وأن يزحفوا[1] بجميعهم نحو دار الخائن ؛ فإن أظفرهم الله به وبمَنْ فيها من أهله وولده وإلاّ قصدوا دار المهلبىّ ليلقاهم هناك من أمر بالعبور مع أبى العباس ؛ فتكون أيديهم يداً واحدة على الفسقة .

فعمل أبو العباس وراشد وسائر قوّاد الموالى والغلمان بما أُمِروا به ، فظهروا جميعاً ، وأبرزوا سفنهم فى عشيّة يوم الاثنين لسبع ليال خلوْن من ذى القعدة سنة تسع وستين ومائتين ، وسار الفرسان يتلُو بعضهم بعضاً ، ومشت الرّجّالة

---

(١) ب ، س : « يرجعوا » .

وسارت السفن فى دجلة منذ صلاة الظهر من يوم الاثنين إلى آخر وقت عشاء الآخرة من ليلة الثلاثاء ، فانتهوا إلى موضع من أسفل[1] العسكر ؛ وكان[2] الموفق أمر بإصلاحه وتنظيفه وتنقية ما فيه من خراب ودَغل ، وطَمِّ[3] سواقيه وأنهاره حتى استوى واتّسع ، وبعدت أقطارُه . واتخذ فيه قصراً وميداناً لعرض الرجال والخيل بإزاء قصر الفاسق ؛ وكان غرضه فى ذلك إبطال ما كان الخبيث يَعِد به أصحابه من سرعة انتقاله عن موضعه ؛ فأراد أن يُعلم الفريقين أنه غير راحل حتى يَحكم الله بينه وبين عدُوّه ؛ فبات الجيش ليلة الثلاثاء فى هذا الموضع بإزاء عسكر الفاسق ؛ وكان الجميع[4] زُهاء خمسين ألف رجل من الفرسان والرّجالة فى أحسن زيّ وأكمل هيئة ، وجعلوا يكبّرون ويهللون ، ويقرءون القرآن ، ويصلّون ، ويوقدون النار . ٢٠٧٦/٣

فرأى الخبيث من كثرة الجمع والعُدّة والعدد ما بهر عقله وعقول أصحابه ؛ وركب الموفق فى عشية يوم الاثنين الشّذا ؛ وهى يومئذ مائة وخمسون شَذاة قد شحنها بأنجاد غلمانه[5] ومواليه الناشبة والرّامحة ، ونظمها من أوّل عسكر الخائن إلى آخره ؛ لتكون حصناً للجيش من ورائه ، وطُرِحت أناجرها بحيث تقرب من الشطّ ، وأفرد منها شذوات اختارها لنفسه ، ورتّب فيها من خاصّة قوّاد غلمانه ليكونوا معه عند تقحّمه نهر أبى الخصيب ؛ وانتخب من الفرسان والرّجّالة عشرة آلاف ، وأمرهم أن يسيروا على جانبى نهر أبى الخصيب بمسيره ، ويقفوا بوقوفه ، ويتصرّفوا فيما رأى أن يصرّفهم فيه فى وقت[6] الحرب .

وغدا الموفق يوم الثلاثاء لقتال الفاسق صاحب الزّنْج ، وتوجّه كلّ رئيس من رؤساء قوّاده نحو الموضع الذى أمِر بقصده ، وزحف الجيش نحو الفاسق وأصحابه ، فتلقّاهم الخبيث فى جيشه ، واشتبكت الحرب ، وكثر القتل والجراح بين الفريقين ، وحامى الفسقة عما كانوا اقتصروا عليه من مدينتهم أشدّ محاماة ، واستماتوا[7] ، وصبر أصحاب الموفق ، وصدقوا القتال ؛ فمنّ الله عليهم بالنصر ، ٢٠٧٧/٣

---

(١) س : « أهل » .
(٢) س : « وقد كان » .
(٣) طم سواقيه : ردمها .
(٤) ب : « الجمع » .
(٥) ب : « غلمان قواده » .
(٦) س : « عند الحرب » .
(٧) س : « واستمات » .

وهزم المسقة ، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وأسروا من مقاتلتهم وأنجادهم جمعاً كثيراً .

وأتى الموفق بالأسارى ، فأمر بهم فضربت أعناقهم في المعركة ، وقصد بجمعه لدار الفاجر فوافاها ، وقد لجأ الخبيث إليها ، وجمع أنجاد أصحابه للمدافعة عنها ؛ فلما لم يغنوا عنها شيئاً أسلمها ، وتفرّق أصحابه عنها ، ودخلها غلمان الموفّق ، وفيها بقايا ما كان سلم للخبيث من ماله وأثاثه ؛ فانتهبوا ذلك كلّه ، وأخذوا حرمه وولده الذكور والإناث ؛ وكانوا أكثر من مائة بين امرأة وصبيّ ، وتخلّص الفاسق ومضى هارباً نحو دار المهلبيّ ، لا يلوى على أهل ولا مال ، وأحرقت داره وما بقى فيها من متاع وأثاث ، وأُتِيَ الموفّق بنساء الخبيث وأولاده ، فأمر بحملهم إلى الموفقية والتوكيل[1] بهم ، والإحسان إليهم .

وكان جماعة من قواد أبي العباس عبروا نهر أبي الخصيب ، وقصدوا الموضع الذى أمِروا بقصْده من دار المهلبيّ ، ولم ينتظروا إلحاق أصحابهم بهم ، فوافوْا دار المهلبيّ ، وقد لجأ إليها[2] أكثرُ الزّنج بعد انكشافهم عن دار الخبيث ؛ فدخل أصحاب أبي العباس الدّار ، وتشاغلوا بالنهب وأخذ ما كان غلب عليه المهلبيّ من حرم المسلمين وأولاده[3] منهنّ ، وجعل كلّ مَنْ ظفر[4] بشىء انصرف به إلى سفينته فى نهر أبي الخصيب .

٢٠٧٨/٣

وتبين الزّنج قلة مَنْ بقِيَ منهم وتشاغلهم بالنهب ، فخرجوا عليهم من عدّة مواضع قد كانوا كمنوا فيها ، فأزالوهم عن مواضعهم ؛ فانكشفوا ، وأتبعهم الزّنج حتى وافوْا نهر أبي الخصيب وقتلوا مِنْ فرسانهم ورجّالتهم جماعةً يسيرة ، وارتجعوا بعض ما كانوا أخذوا من النساء والمتاع .

وكان فريق من غلمان الموفق وأصحابه الذين قصدوا دار الخبيث فى شرقيّ نهر أبي الخصيب تشاغلوا بالنّهب وحمْل الغنائم إلى سفنهم ؛ فأطمع ذلك الزّنج فيهم ، فأكبّوا عليهم ، فكشفوهم واتّبعوا آثارهم إلى الموضع المعروف بسوق الغنم من عسكر الزّنج ، فثبتت جماعة من قوّاد الغلمان فى أنجاد

---

(١) س : « والتوكل بهم » .
(٢) س : « ولقد لجأ إليه » .
(٣) س : « وأولادهم » .
(٤) س : « أخذ وظفر » .

أصحابهم وشجعانهم ، فردّوا وجوه الزّنج حتى ثاب الناس ، وتراجعوا إلى مواقفهم ، ودامت الحرب بينهم إلى وقت صلاة العصر فأمر أبو أحمد عند ذلك غلماته أن يحملوا على الفسقة بأجمعهم حملةً صادقة ، ففعلوا ذلك ، فانهزم الزّنْج وأخذتهم السيوف حتى انتهوْا إلى دار الخبيث ؛ فرأى الموفّق عند ذلك أن يصرف غلمانه وأصحابه على إحسانهم ، فأمرهم بالرجوع ، فانصرفوا على هدوّ وسكون ؛ فأقام الموفق فى النهر ومَنْ معه فى الشّذَا يحميهم؛ حتى دخلوا سفنهم ، وأدخلوها خيلهم ، وأحجم الزّنْج عن اتّباعهم لما نالهم فى آخر الوقعة . ٢٠٧٩/٣

وانصرف الموفّق ومعه أبو العباس وسائر قوّاده وجميع جيشه قد غنموا أموال الفاسق ، واستنقذوا جمعًا من النساء اللّواتى كان غلب عليهنّ من حرم المسلمين كثيراً ، جعلن يخرجن فى ذلك اليوم أرسالا إلى فوّهة[١] نهر أبى الخصيب ، فيحمَلن فى السفن إلى الموفقيّة إلى انقضاء الحرب .

وكان[٢] الموفق تقدّم إلى أبى العباس فى هذا اليوم أن ينفذ قائداً من قوّاده فى خمس شذَوات إلى مؤخر عسكر الخبيث بنهر أبى الخصيب ، لإحراق[٣] بيادرَ ثمّ جليلٍ قدرها ، كان الخبيث يقوت أصحابه منها من الزّنْج وغيرهم ، ففعل ذلك وأحرق أكثرَه . وكان إحراق ذلك من أقوى الأشياء على إدخال الضعف على الفاسق وأصحابه ، إذ لم يكن لهم معوّل فى قوّتهم غيره ؛ فأمر أبو أحمد بالكتاب بما تهيأ له على الخبيث وأصحابه فى هذا اليوم إلى الآفاق ليُقرأ على الناس ، ففعل ذلك .

وفى يوم الأربعاء لليلتين خلَتا من ذى الحجة من هذه السنة وافى عسكر أبى أحمد صاعد بن مخلد كاتبه منصرفًا إليه من سامرّا ، ووافَى معه بجيش كثيف قيل إنّ عدد الفرسان والرّجّالة الذين قدموا كان زُهاء عشرة آلاف ؛ فأمر الموفّق بإراحة أصحابه وتجديد أسلحتهم وإصلاح أمورهم ؛ وأمرَهم بالتأهب[٤] لمحاربة الخبيث . فأقام أيامًا بعد قدومه لما أمِر به . ٢٠٨٠/٣

---

(١) ب : « فى فوهة النهر » .
(٢) س : « وقد كان » .
(٣) س : « بإحراق بيادر » .
(٤) س : « والتأهب » .

فهم فى ذلك من أمرهم ؛ إذْ ورد كتاب لؤلؤ صاحب ابن طولون مع بعض قوّاده ، يسأله فيه الإذن له فى القُدوم عليه ؛ ليشهد عليه حرب الفاسق . فأجابه إلى ذلك ، فأذن له فى القدوم عليه ، وأخّرَ ما كان عزم عليه من مناجزة الفاجر انتظاراً منه قدوم لؤلؤ ؛ وكان لؤلؤ مقيماً بالرّقة فى جيش عظيم من الفراغنة والأتراك والرّوم والبربر والسودان وغيرهم ، من نخبة أصحاب ابن طولون ؛ فلما ورد على لؤلؤ كتاب أبى أحمد بالإذن له فى القدوم[1] عليه ، شخص من ديار مضر حتى ورد مدينة السلام فى جميع أصحابه ، وأقام بها مدّة ، ثم شخص إلى أبى أحمد فوافاه بعسكره يوم الخميس لليلتين خلتا من المحرم سنة سبعين ومائتين ، فجلس له أبو أحمد ، وحضر ابنه أبو العباس وصاعد والقوّاد على مراتبهم ؛ فأدخل عليه لؤلؤ فى زىّ حسن ، فأمر أبو العباس أن ينزل معسكراً كان أعدّ له بإزاء نهر أبى الخصيب ، فنزله فى أصحابه ، وتقدّم إليه فى مباكرة المصير إلى دار الموفّق ، ومعه قوّاده وأصحابه للسلام عليه . فغدا لؤلؤ يوم الجمعة لثلاث خلوْن من المحرّم ، وأصحابُه معه فى السواد ، فوصل إلى الموفق وسلّم عليه فقرّبه[2] وأدناه ، ووعده وأصحابه خيراً ، وأمر أن يخلع عليه وعلى خمسين ومائة قائد من قُوّاده ، وحمله على خيل كثيرة بالسُّروج واللجُم المحلاّة بالذهب والفضّة ، وحمل بين يديه من أصناف الكسى والأموال فى البدُور ما يحمله مائة غلام ؛ وأمر لقوّاده من الصلات والحُملان والكُسى على قدر محلّ[3] كلّ إنسان منهم عنده ، وأقطعه ضياعًا جليلة القدر ، وصرفه إلى عسكره بإزاء نهر أبى الخصيب بأجمل حال ، وأعِدّت له ولأصحابه الأنزال والعلُوفات ، وأمره برفع جرائد لأصحابه بمبلغ أرزاقهم على مراتبهم ؛ فرفع ذلك ؛ فأمر لكلّ إنسان منهم بالضّعف مما كان يجرى له وأمر لهم بالعطاء عند رفع الجرائد ، ووفّوْا ما رسم لهم .

٢٠٨١/٣

ثم تقدّم إلى لؤلؤ فى التأهب والاستعداد للعبور إلى غربىّ دِجْلة لمحاربة الفاسق وأصحابه ؛ وكان الخبيث لما غلب على نهر أبى الخصيب ، وقُطعت

(١) س : « بالقدوم ».
(٢) : « فتعرفه » .
(٣) س : « محمل » .

القناطر والجسور التي كانت عليه أحدث سَكراً في النهر من جانبيه ، وجعل في وسط السَّكْر باباً ضيّقاً ليحتدّ فيه جرية الماء ، فيمتنع الشَّذَا من دخوله في الجزْر ، ويتعذّر خروجها منه في المدّ ، فرأى أبو أحمد أنّ حربه لا تتهيأ له إلا بقلع هذا السَّكْر ، فحاول ذلك ، فاشتدّت محاماة الفَسَقة عنه ، وجعلوا يزيدون فيه في كلّ يوم وليلة ، وهو متوسط دورهم ، والمؤونة لذلك تسهل عليهم وتغلظ على مَنْ حاول قلعه .

فرأى أبو أحمد أن يحارب بفريق بعد فريق من أصحاب لؤلؤ ، ليَضْرَوا[1] لمحاربة الزَّنْج ، ويقفوا على المسالك والطرق في مدينتهم ، فأمر لؤلؤاً أن يحضر في جماعة من أصحابه للحرب على هذا السَّكْر ، وأمر بإحضار الفَعَلة لقلعه ، ففعل . فرأى الموفق[2] من نجدة لؤلؤ وإقدامه وشجاعة أصحابه وصبرهم على ألم الجراح وثبات العدّة اليسيرة منهم ، في وجوه الجمع الكثير من الزَّنْج ماسرّه . فأمر لؤلؤاً بصرْف[3] أصحابه إشفاقًا عليهم ، وضنًّا بهم ، فوصلهم الموفق ، وأحسن إليهم ، وردّهم إلى معسكرهم ، وألحّ الموفّق على هذا السَّكْر ؛ فكان يحارب المحامين عنه من أصحاب الخبيث بأصحاب لؤلؤ وغيرهم ، والفَعَلة يعملون في قَلْعه ، ويحارب الفاجر وأشياعه من عدّة وجوه ، فيحرق مساكنهم ، ويقتل مقاتلتَهم ، ويستأمن إليه الجماعة من رؤسائهم .

٣/٢٠٨٢

وكانت قد بقيَتْ للخبيث وأصحابه أرَضُون من ناحية نهر الغربيّ ، كان لهم فيها مزارع وخُضَر وقنطرتان على نهر الغربيّ ، يعبرون عليها إلى هذه الأرَضين ، فوقف أبو العباس على ذلك فقصد لتلك الناحية ، واستأذن الموفق في ذلك ، فأذن له ، وأمره باختيار[4] الرّجال ، وأن يجعلهم شجعاء أصحابه وغلمانه ؛ ففعل أبو العباس ذلك ، وتوجه نحو نهر الغربيّ ، وجعل زيرك كمينًا في جمع من أصحابه في غربيّ النهر ، وأمر رشيقًا غلامه أن يقصدَ في جمع كثير من أنجاد رجاله ومختاريهم للنهر المعروف بنهر العميَّسيين ؛ ليخرج في ظهور الزَّنْج وهم غارّون ، فيوقع بهم في هذه الأرَضين . وأمر زيرك أن يخرج في

---

(١) ابن الأثير : « ليتمرنوا على قتالهم » .
(٢) س : « أبو أحمد » .
(٣) س : « فصرف » .
(٤) س : « بإحضار » .

٣/٢٠٨٣ وجوههم إذا أحسّ بانهزامهم من رشيق .

وأقام أبو العباس فى عدة شذوات قد انتخب مقاتلتها واختارهم فى فوّهة نهر الغربىّ ، ومعه من غلمانه البيضان والسودان عدد قد رضيه ؛ فلما ظهر رشيق للفجرة فى شرقىّ نهر الغربىّ ، راعهم فأقبلوا يريدون العبور إلى غربيه ليهربوا إلى عسكرهم ؛ فلما عاينهم أبو العباس اقتحم النّهر بالشّذَوات ، وبث الرّجّالة على حافتيْه ، فأدركوهم ووضعوا السيف[1] فيهم ، فقتل منهم فى النهر وعلى ضفّتيه خلْق كثير ، وأسِر منهم أسرى ، وأفلت آخرون ، فتلقاهم زيرك فى أصحابه فقتلوهم ، ولم يُفلت منهم إلاّ الشريد ، وأخذ أصحاب أبى العباس من أسلحتهم ما ثقل عليهم حمله ؛ حتى ألقوا أكثره . وقطع أبو العباس القنطرتيْن ، وأمر بإخراج ما كان فيهما من البُدود والخشب إلى دجْلة وانصرف إلى الموفق بالأسارى والرءوس ، فطيف بها فى العسكر ، وانقطع عن الفسقة ما كانوا يرتفِقُون به من المزارع التى كانت بنهر الغربىّ .

* * *

وفى ذى الحجة من هذه السنة . أعنى سنة تسع وستين ومائتين — أدخِل عيال صاحب الزّنج وولده بغداد .

وفيها سُمّىَ صاعد ذا الوزارتين .

* * *

وفى ذى الحجة منها كانت وقعة بين قائدين وجيش معهما لابن طولون كان أحدهما يسمّى محمد بن السراج والآخر منهما يعرف بالغَنَوىّ ، كان ابن طولون وجّههما ، فوافيا مكة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذى القعدة فى ٣/٢٠٨٤ أربعمائة وسبعين فارسًا وألفَىْ راجل[2] ؛ فأعطوا الجزّارين والحنّاطين[3] دينارين دينارين ، والرؤساء سبعة سبعة ، وهارون بن محمد عامل مكة إذْ ذاك ببستان ابن عامر ، فوافى مكة جعفر بن الباغمردىّ لثلاث خلَوْن من ذى الحجة فى نحو من مائتى فارس ، وتلقّاه هارون فى مائة وعشرين فارساً ومائتى

(١) س : « السلاح » . (٢) ب : « رجل » .
(٣) س : « والخياطين » .

أسود وثلاثين فارسًا من أصحاب عمرو بن الليث ومائتى راجل ممّن قدم من العراق ، فقوىَ بهم جعفر . فالتقوْا هم وأصحاب ابن طولون . وأعان جعفرًا حاجُّ أهل خراسان ، فقتِل من أصحاب ابن طولون ببطن مكة نحو من مائتى رجل ، وانهزم الباقون فى الجبال . وسلبوا دوابّهم وأموالهم ، ورفع جعفر السيف . وحوى جعفر مضرب الغنَوىّ . وقيل : إنه كان فيه مائتا ألف دينار . وآمن المصريّين والحنّاطين والجزارين ، وقُرِئ كتاب فى المسجد الحرام[1] بلعْن ابن طولون ، وسلِم الناس وأموال التجار .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة هارون بن محمد بن إسحاق الهاشمىّ . ولم يبرح إسحاق بن كنداج — وقد وُلِّىَ المغرب كله فى هذه السنة — سامرّا حتى انقضت السنة .

(١) ب : « الجامع » .

ثم دخلت سنة سبعين ومائتين

٢٠٨٥/٣

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجليلة

فى المحرّم منها كانت وقعة بين أبى أحمد وصاحب الزّنج أضعفت[(١)] أركان صاحب الزنج .

[ذكر الخبر عن قتل صاحب الزنج وأسْر من معه]

وفى صفر منها قتل الفاجر، وأسر سليمان بن جامع وإبراهيم بن جعفر الهمدانىّ واستريح من أسباب الفاسق .

* ذكر الخبر عن هاتين الوقعتين :

قد ذكرنا قبل أمر السّكْر الذى كان الخبيث أحدثه ، وما كان من أمر أبى أحمد وأصحابه فى ذلك . ذكر أن أبا أحمد لم يزل ملحًّا على الحرب على ذلك السّكْر حتى تهيّأ له فيه ما أحبّ ، وسهل المدخل للشّذا فى نهر أبى الخصيب فى المدّ والجزر ، وسهل لأبى أحمد فى موضعه الذى كان مقيماً فيه كل ما أراده من رُخص الأسعار وتتابع الميَر وحَمْل الأموال إليه من البلدان ورغبة الناس فى جهاد الخبيث ومَنْ معه من أشياعه ؛ فكان ممّن صار إليه من المطوّعة أحمد بن دينار عامل إيذَج ونواحيها من كُور الأهواز فى جمع كثير من الفرسان والرّجّالة ؛ فكان يباشر الحرب بنفسه وأصحابه إلى أن قُتل الخبيث . ثم قدم بعده من أهل البحرين — فيما ذكر — خلق كثير ، زُهاء ألفى رجل ، يقودهم رجل من عبد القيس ، فجلس لهم أبو أحمد، ودخل إليه رئيسهم ووجوههم ؛ فأمر أن يُخلع عليهم ؛ واعترض رجالهم أجمعين . وأمر[(٢)] بإقامة الأنزال لهم، وورد بعدهم زهاء ألف رجل من كُور فارس ، يرأسهم شيخ من المطوّعة يكنى أبا سلمة ، فجلس لهم الموفّق، فوصل إليه هذا الشيْخ ووجوه

٢٠٨٦/٣

---

(١) ب : « أضعف » .   (٢) س : « لهم » .

أصحابه ، فأمرلهم بالخِلع ، وأقرّ[1] لهم الأنزال ، ثم تتابعت المطوّعة من البلدان ؛ فلما تيسر له ما أراد من السَّكْر الذى ذكرنا ، عزم على لقاء الخبيث ، فأمر بإعداد السفن والمعابر وإصلاح آلة الحرب فى الماء وعلى الظَّهْر ، واختار مَنْ يثق ببأسه ونجدته فى الحرب فارسًا وراجلاً ؛ لضيق المواضع التى كان يحارب فيها وصعوبتها وكثرة الخنادق والأنهار بها ؛ فكانت عِدّة مَنْ تخيّر من الفرسان زُهاء ألفى فارس ، ومن الرَّجالة خمسين ألفاً أو يزيدون ، سوى مَنْ عبر من المطوّعة وأهل العسكر ، ممّن لا ديوان له ، وخلّف بالموفقيّة من لم يتسع السفن بحمله جمعًا كثيراً أكثرهم من الفرسان .

وتقدّم الموفّق إلى أبى العباس فى القصد للموضع الذى كان صار إليه فى يوم الثلاثاء لعشر خلوْن من ذى القعدة سنة تسع وستين ومائتين من الجانب الشرقىّ بإزاء دار المهلبىّ فى أصحابه وغلمانه ومَنْ ضمّهم إليه من الخيل والرجّالة[2] والشَّذا . وأمر صاعد بن مخلد بالخروج على النهر المعروف بأبى شاكر فى الجانب الشرقىّ أيضًا ، ونظم القوّاد من مواليه وغلمانه من فُوّهة نهر أبى الخصيب إلى نهر الغربىّ . وكان فيمن خرج من حدّ دار الكرنبائىّ إلى نهر أبى شاكر راشد ولؤلؤ، مولَيا الموفق ، فى جمع من الفرسان والرّجالة زُهاء عشرين ألفًا ، يتلو بعضُهم بعضاً ، ومن نهر أبى شاكر إلى النهر المعروف بجوى كور جماعة من قوّاد الموالى والغلمان ، ثم من نهر جوى كور إلى نهر الغربىّ مثل ذلك . وأمر شبلا أن يقصد فى أصحابه ومَن ضُمّ إليه إلى نهر الغربىّ ، فيأتى منه مؤازياً لظهر دار المهلبىّ ، فيخرج من ورائها عند اشتباك الحرب ، وأمر الناس أن يزحفوا[3] بجميعهم إلى الفاسق ؛ لا يتقدّم بعضهم بعضاً ؛ وجعل لهم أمارة الزَّحْف ؛ تحريك علم أسود أمر بنصبه على دار الكرنبائى بفُوّهة نهر أبى الخصيب فى موضع منها مشيد عالٍ ، وأن ينفخ لهم ببوق بعيد الصوت ، وكان عبوره يوم الاثنين لثلاث ليال بقين من المحرّم سنة سبعين ومائتين ، فجعل بعض مَن كان على النهر المعروف بجوى كور يَزْحف قبل ظهور العلامة ؛ حتى قرب

٢٠٨٧/٣

(١) س : « وأقيمت » . (٢) ب : « الرجل » .
(٣) ب : « يرجعوا » .

من دار المهلبيّ ، فلقيه وأصحابه الزّنْج فردّوهم إلى مواضعهم ، وقتلوا منهم جمعًا ، ولم يشعر سائر الناس بما حدث على هؤلاء المتسرّعين للقتال لكثرتهم وبعد المسافة فيما بين بعضهم وبعض .

فلمّا خرج القوّاد ورجالهم من المواضع التى أمروا بالخروج منها ، واستوى الفرسان والرجّالة فى أماكنهم ، أمر الموفّق بتحريك العلَم والنفخ فى البوق ، ودخل النهر فى الشّذا ، وزحف الناس يتلو بعضهم بعضًا ، فلقيهم الزّنج ٢٠٨٨/٣ قد حشدوا وجمّوا واجترءوا بما تهيأ لهم على من كان تسرّع إليهم ، فلقيهم الجيش بنيّات صادقة وبصائر نافذة ، فأزالوهم عن مواضعهم بعد كرّات كانت بين الفريقين ، صُرِع فيها منهم جمع كثير . وصبر أصحاب أبى أحمد ، فمنّ الله عليهم بالنّصر [1] ، ومنحهم أكتاف الفسقة ، فولّوْا منهزمين ، وأتبعهم [2] أصحاب الموفق ، يقتلون ويأسرون . وأحاط أصحاب أبى أحمد بالفجرة من كلّ موضع ، فقتل الله منهم فى ذلك اليوم ما لا يحيط به الإحصاء ، وغرق منهم فى النهر المعروف بجوى كور مثل ذلك ، وحوى أصحاب الموفّق مدينةَ الفاسق بأسرها ، واستنقذوا مَنْ كان فيها من الأسرى [3] من الرجال والنساء والصبيان ، وظفروا بجميع عيال علىّ بن أبان المهلبىّ وأخويه الخليل ومحمد ابنى أبان وسليمان بن جامع وأولادهم ، وعبر بهم إلى المدينة الموفقيّة . ومضى الفاسق فى أصحابه ومعه المهلبىّ وابنه أنكلاى وسليمان بن جامع وقوّاد من الزّنْج وغيرهم هُرّابًا ، عامدين لموضع قد كان الخبيث رآه لنفسه ومَنْ معه ملجأ إذا غُلبوا على مدينته ؛ وذلك على النهر المعروف بالسفيانىّ .

وكان أصحاب أبى أحمد حين انهزم الخبيث ، وظفروا بما ظفروا به ، أقاموا عند دار المهلبىّ الواغلة فى نهر أبى الخصيب ، وتشاغلوا بانتهاب ما كان فى الدار وإحراقها وما يليها ، وتفرّقوا فى طلب النهب ؛ وكلّ ممّا بقى للفاسق وأصحابه مجموعاً فى تلك الدار .

وتقدم أبو أحمد فى الشّذا قاصداً للنهر المعروف بالسفيانىّ ، ومعه لؤلؤ فى

---

(١) س : « بالظفر » . (٢) ب : « وأتبع » .
(٣) س : « الأسارى » .

أصحابه الفرسان والرجالة ، فانقطع عن باقى الجيش ، فظنّوا أنه قد انصرف ، فانصرفوا إلى سفنهم بما حَوَوْا ، وانتهى الموفّق فيمن معه إلى معسكر الفاسق وأصحابه وهم منهزمون ؛ فأتبعهم لؤلؤ وأصحابُه حتى عبروا النهر المعروف بالسفيانىّ ، فاقتحم لؤلؤ النهر بفرسه ، وعَبَر أصحابه خلْفه ، ومضى الفاسق حتى انتهى إلى النهر المعروف بالقريرىّ ، فوصل إليه لؤلؤ وأصحابُه ، فأوقعوا به وبمَنْ معه ، فكشفوهم ، فولّوْا هاربين وهم يتبعونهم ، حتى عَبَرُوا النهر المعروف بالقريرىّ ، وعبر لؤلؤ وأصحابه خلفهم وألجئوهم إلى النهر المعروف بالمساوان ، فعبروه واعتصموا بجبل وراءه .

٢٠٨٩/٣

وكان لؤلؤ وأصحابه الذين انفردوا بهذا الفعل دون سائر الجيش ، فانتهى بهم الجدّ فى طلب الفاسق وأشياعه إلى هذا الموضع الذى وصفنا فى آخر النهار ، فأمره الموفّق بالانصراف محمود الفعل ، فحمله الموفّق معه فى الشَّذا ، وجدّد له من البرّ والكرامة ورفع المرتبة ، لما كان منه فى أمر الفسقة حسب ما كان مستحقًّا . ورجَع الموفق فى الشّذا فى نهر أبى الخصيب وأصحاب لؤلؤ يسايرونه . فلما حاذى دار المهلبىّ ، لم ير بها أحدًا من أصحابه ، فعلم أنهم قد انصرفوا ، فاشتدّ غيظه عليهم ، وسار قاصدًا لقصره ، وأمر لؤلؤ بالمضىّ بأصحابه إلى عسكره[1] ، وأيقن بالفتح لما رأى من أمارته ، واستبشر الناس جميعًا بما هيأ الله من هزيمة الفاسق وأصحابه وإخراجهم عن مدينتهم ، واستباحة كلّ ما كان لهم من مال وذخيرة وسلاح ، واستنفاذ جميع من كان[2] فى أيديهم من الأسرى . وكان فى نفس أبى أحمد على أصحابه من الغيظ لمخالفتهم أمره ، وتركهم الوقوف حيث وقفهم ، فأمر بجمع قوّاد مواليه وغلمانه ووجوههم[3] ؛ فجُمعوا له ، فوبّخهم على ما كان منهم وعجّزهم ، وأغلظ لهم ، فاعتذروا بما توهّموا من انصرافه ، وأنهم لم يعلموا بمسيره إلى الفاسق وانتهائه إلى حيث انتهى من عسكره ؛ وأنهم لو علموا ذلك لأسرعوا نحوه ، ولم يبرحوا موضعهم[4] حتى تحالفوا وتعاقدوا على ألاّ ينصرف منهم أحد إذا توجهوا نحو

٢٠٩٠/٣

(١) س : « معسكره » . (٢) س : « ما كان » .
(٣) س : « ووجوه أصحابه » . (٤) س : « مواضعهم » .

الخبيث حتى يظفرهم الله به ؛ فإن أعياهم ذلك أقاموا بمواضعهم حتى يحكم الله بينهم وبينه . وسألوا الموفق أن يأمر بردّ السفن التى يعبرون فيها إلى الموفقيّة عند خروجهم منها للحرب ، لتنقطع أطماع الذين يريدون الرجوع عن حرب الفاسق من ذلك ، فجزاهم أبو أحمد الخير على تنصّلهم من خطئهم ، ووعدهم الإحسان ، وأمرهم بالتأهّب للعبور ، وأن يعظوا أصحابهم بمثل الذى وُعِظوا به . وأقام الموفق بعد ذلك يوم الثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة لإصلاح ما يحتاج إليه ؛ فلما كَمَل ذلك تقدّم إلى من يثق إليه من خاصّته وقُوّاد غلمانه ومواليه ، بما يكون عليه عملُهم فى وقت عبورهم .

وفى عشىّ يوم الجمعة ، تقدّم إلى أبى العباس وقوّاد غلمانه[1] ومواليه بالنهوض إلى مواضع سمّاها لهم ؛ فأمر أبا العباس بالقصد فى أصحابه إلى الموضع المعروف بعسكر ريحان ، وهو بين النهر المعروف بالسفيانىّ والموضع الذى لجأ إليه ، وأن يكون سلوكه بجيشه فى النهر المعروف بنهر المغيرة ؛ حتى يخرج بهم فى معترَض نهر أبى الخصيب ، فيوافى بهم عسكرَ ريحان من ذلك الوجه ، وأنفذ قائداً من قوّاد غلمانه السودان ، وأمره أن يصير إلى نهر الأمير فيعترض فى المَنصف[2] منه ، وأمر سائر قواده وغلمانه بالمبيت فى الجانب الشرقىّ من دِجْلة بإزاء عسكر الفاسق متأهبين للغدوّ على محاربته . وجعل الموفق يطوف فى الشَّذا على القُوّاد ورجالهم فى عشىّ يوم الجمعة وليلة السبت ، ويفرّقهم فى مراكزهم والمواضع التى رتّبهم فيها من عسكر الفاسق ، ليباكروا المصير إليها على ما رسم لهم .

٣/٢٠٩١

وغدا الموفّق يوم السبت لليلتين خلَتا من صفر سنة سبعين ومائتين ، فوافى نهر أبى الخصيب فى الشذا ، فأقام بها حتى تكامل عبورُ الناس وخروجهم عن سفنهم ، وأخذ الفرسان والرجّالة مراكزَهم ، وأمر بالسفن والمعابر فرُدّت إلى الجانب الشرقىّ ، وأذن للناس فى الزّحف إلى الفاسق ، وسار يقدمهم حتى وافى الموضع الذى قدّر أن يثبُت الفسقة فيه لمدافعة الجيش عنهم .

وقد كان الخائن وأصحابه لخبثهم رجعوا إلى المدينة يوم الاثنين بعد انصراف

---

(١) ب : « وقواده » . (٢) س : « النصف » .

الجيش عنها ، وأقاموا بها ، وأمّلوا أن تتطاول بهم الأيام ، وتندفع[1] عنهم المناجزة ، فوجد الموفّق المتسرعين من فرسان[2] غلمانه ورجّالتهم قد سبقوا أعظم الجيش ، فأوقعوا بالفاجر وأصحابه وقعةً أزالوهم بها عن مواقفهم ؛ فانهزموا وتفرّقُوا لا يلوى بعضهم على بعض ، وأتبعهم الجيش يقتلون ويأسرون مَنْ لحقوا منهم ، وانقطع الفاسق فى جماعة من حُماته من قُوّاد الجيش ورجالهم ، وفيهم المهلبىّ .

٢٠٩٢/٣

وفارقه ابنه أنكلاى وسليمان بن جامع ، فقصد لكل فريق ممّن[3] سمّينا جمع كثيف من موالى الموفق وغلمانه الفرسان والرَّجّالة ، ولَقِيَ مَنْ كان رتبه الموفق من أصحاب أبى العباس فى الموضع المعروف بعسكر ريحان المنهزمين من أصحاب الفاجر ، فوضعوا فيهم السلاح . ووافى القائد المرتب فى نهر الأمير ، فاعترض الفجرة ، فأوقع بهم . وصادف سليمان بن جامع فحاربه ، فقتل جماعة من حُماته ، فظفر بسليمان فأسره ، فأتى به الموفق بغير عهد ولا عقد ، فاستبشر الناس بأسر سليمان ، وكَثُر التكبير والضجيج ، وأيقنوا بالفتح إذ كان أكثر أصحابه غَناء عنه . وأسر بعده إبراهيم بن جعفر الهمدانىّ — وكان أحد أمراء جيوشه — وأسِر نادر الأسود المعروف بالحفار ، وهو أحد قدماء أصحاب الفاجر — فأمر الموفّق بالاستيثاق منهم وتصييرهم فى شذاة لأبى العباس . ففُعل ذلك .

ثم إن الزّنْج الذين انفردوا مع الفاسق عطفوا على الناس عطفة أزالوهم بها عن مواقفهم ، ففتروا لذلك ، وأحسّ الموفّق بفتورهم ، فجدّ فى طلب الخبيث ، وأمعن فى نهر أبى الخصيب ، فشدّ ذلك من قلوب مواليه وغلمانه ، وجدّوا فى الطلب معه .

٢٠٩٣/٣

وانتهى الموفّق إلى نهر أبى الخصيب ، فوافاه البشير بقتل الفاجر ؛ ولم يلبث أن وافاه بشير آخر ومعه كفّ زعم أنها كفه ، فقوىَ الخبر عنده بعض القوّة . ثم أتاه غلام من أصحاب لؤلؤ يركُض على فرس ، ومعه رأس الخبيث ،

---

(١) س : « تتدافع » .
(٢) س : « قواد » .
(٣) س : « فريق منهم » .

فأدناه منه ، فعرضه على جماعة ممن كان بحضرته من قوّاد المستأمنة ، فعرَفوه . فخرّ لله ساجدًا على ما أولاه وأبلاه ، وسجد أبو العباس وقُوّاد موالى الموفق وغلمانه شكرًا لله ، وأكثروا حمد الله والثناء عليه ، وأمر الموفّق برفع رأس الفاجر على قناة ونصبه بين يديه ، فتأمّله الناس وعرفوا صحة الخبر بقتله ، فارتفعت أصواتهم [1] بالحمد لله .

وذكر أن أصحاب الموفق لما أحاطوا بالخبيث ، ولم يبقَ معه من رؤساء أصحابه إلا المهلبيّ، ولّى عنه هاربًا وأسلمه . وقصد النهر المعروف بنهر الأمير ، فقذف نفسه فيه يريد النجاة ، وقبل ذلك ما كان ابن الخبيث[2] أنكلاى فارق أباه ، ومضى يؤمّ النهر المعروف بالدينارىّ ، فأقام فيه متحصّنًا بالأدغال والآجام ، وانصرف الموفق ورأس الخبيث منصوب[3] بين يديه على قناة فى شَذاة ، يخترق بها نهر أبى الخصيب ، والناس فى جنبتى النهر ينظرون إليه حتى وافى دِجْلة ، فخرج إليها[4] فأمر بردّ السفن التى كان عبر بها فى أول النهار إلى الجانب الشرقى من دِجْلة ، فرُدّت ليعبر الناس فيها . ٣/٢٠٩٤

ثم سار ورأسُ الخبيث بين يديه على القناة ، وسليمان بن جامع والهمدانىّ مصلوبان فى الشّذا ، حتى وافى قصرَه بالموفقيّة . وأمَر أبا العباس بركوب الشذا وإقرار الرأس وسليمان والهمدانىّ على حالهم والسير بهم إلى نهر جَطّى ، وهو أوّل عسكر الموفق ، ليقع عليهم عيون الناس جميعًا فى العسكر ، ففعل ذلك وانصرف إلى أبيه أبى أحمد . فأمر بحبس سليمان والهمدانىّ وإصلاح الرأس وتنقيته .

وذكر أنه تتابع مجىء الزّنج الذين كانوا أقاموا مع الخبيث وآثروا صحبته ، فوافى ذلك اليوم زُهاء ألف منهم ، ورأى الموفق بذل الأمان ، لما رأى من كثرتهم وشجاعتهم ، لئلا تبقى منهم بقية تُخاف معرّتها على الإسلام وأهله ، فكان من وافَى من قُوّاد الزّنج ورجالهم فى بقية يوم السبت وفى يوم الأحد

---

(١) س : « الأصوات » .
(٢) س : « من ابن الخبيث » .
(٣) س : « منصوبا » .
(٤) ب : « إليه » .

والاثنين زُهاء خمسة آلاف زنجيّ ؛ وكان قد قُتِل فى الوقعة وغرق وأسِر منهم خَلْقٌ كثير لا يوقَف على عددهم ، وانقطعت منهم قطعة زهاء ألف زِنجيّ مالوا نحو البرّ ، فمات أكثرهم عطشًا ، فظفر الأعراب بمَنْ سلم منهم واسترقّوهم.

وانتهى إلى الموفّق خبر المهلبيّ وأنكلاى ومقامهما بحيث أقاما مع مَنْ تبعهما من جِلّة قُوّاد الزَّنْج ورجالهم ، فبث أنجاد غلمانه فى طلبهم ، وأمرهم بالتضييق عليهم ؛ فلما أيقنوا بأن لا ملجأ لهم أعْطَوْا بأيديهم ، فظفر بهم الموفّق وبمَنْ معهم ، حتى لم يشذّ أحد . وقد كانوا على نحو العِدّة التى خرجت إلى الموفق بعد قتل الفاجر فى الأمان ، فأمر الموفق بالاستيثاق من المهلبيّ وأنكلاى وحبسهما ، ففعل . ٣/٢٠٩٥

* * *

وكان فيمن هرب من عسكر الخبيث يوم السبت ولم يركن إلى الأمان قرطاس الذى كان رمى الموفق بالسهم ، فانتهى به الهرب إلى رامَهُرْمز ، فعرفه رجل قد كان رآه فى عسكر الخبيث فدلّ عليه عامل البلد ، فأخذه وحمله فى وَثاق ، فسأل أبو العباس أباه أن يوليه قتلَه فدفعه إليه فقتله .

* * *

[ذكر خبر استئمان درمويه الزنجيّ إلى أبى أحمد]

وفيها استأمن درمويه الزنجيّ إلى أبى أحمد ، وكان درمويه هذا — فيما ذكر — من أنجاد الزَّنْج وأبطالهم ، وكان الفاجر وجّهه قبل هلاكه بمدة طويلة إلى أواخر نهر الفَهْرَج ، وهى من البصرة فى غربىّ دجلة ، فأقام هنالك[1] بموضع وَعْر كثير النخل والدَّغل والآجام[2] متصل بالبَطيحة ، وكان درمويه ومَن معه هنالك يقطعون على السابلة فى زواريق خِفاف وسُميريّات اتّخذوها لأنفسهم ، فإذا طلبهم أصحاب الشَّذا ولجوا الأنهار الضيّقة ، واعتصموا بمواضع الأدغال منها ، وإذا تعذّر عليهم مسلك نَهر منها لضيقها خرجوا من سفنهم وحملوها على ظهورهم ، ولجئوا إلى هذه المواضع الممتنعة . وفى خلال ذلك يُغيرون على قرى البَطيحة ومَا يليها ، فيقتلون ويسلبون

(١) ب : « هناك » . (٢) ب : « والآكام » .

مَنْ ظفروا به ؛ فمكث درمويه ومَنْ معه يفعلون هذه الأفعال إلى أن قتل الفاجر وهم بموضعهم الذى وصفنا أمره ، لا يعلمون بشىء مما حدث على صاحبهم . فلما فُتح بقتل الخبيث موضعه ، وأمن الناس[1] وانتشروا فى طلب المكاسب وحمل التجارات ، وسلكت السابلة دِجْلة ، أوقع درمويه بهم ، فقتل وسلب ، فأوحش الناس ذلك ، واشرأبّ لمثل ما فيه درمويه جماعة من شرار الناس وفُسّاقهم ، وحدّثوا أنفسهم بالمصير إليه وبالمقام[2] معه على مثل ما هو عليه ، فعزم الموفق على تسريح جيش من غلمانه السودان ومَنْ جرى مجراهم من أهل البَصَر بالحرب فى الأدغال ومضايق الأنهار ، وأعدّ لذلك صغار السفن وصنوف السلاح ؛ فبينا هو فى ذلك وافى رسول لدرمويه يسأل الأمان له على نفسه وأصحابه ، فرأى الموفق أن يؤمّنه ليقطع مادّة الشرّ الذى كان فيه الناس من الفاجر وأشياعه . ٣/٢٠٩٦

وذُكر أن سبب طلب درمويه الأمان كان أنه كان فيمن أوْقع به قومٌ ممن خرج من عسكر الموفق للقصد إلى منازلهم بمدينة السلام ، فيهم نسوة ، فقتلهم وسلبهم ، وغلب على النسوة اللاتى كنّ معهم ؛ فلما صِرْنَ فى يده بحثهنّ عن الخبر ، فأخبرنه بقتل الفاسق والظفر بالمهلبىّ وأنكلاى وسليمان بن جامع وغيرهم من رؤساء أصحاب الفاسق وقوّاده ومصير أكثرهم إلى الموفق فى الأمان وقبوله إياهم وإحسانه إليهم ؛ فأسقط فى يده ، ولم ير لنفسه ملجأ إلاّ التعوّذ بالأمان ومسألة الموفق الصفح عن جُرْمه ، فوجّه فى ذلك ، فأجيب إليه . فلما ورد عليه الأمان خرج وجميع من معه حتّى وافى عسكر الموفق ، فوافت منهم قطعة حسنة كثيرة العدد لم يصبها بؤس الحصار وضرّه مثل ما أصاب سائر أصحاب الخبيث ، لما كان يصل إليهم من أموال الناس وميرهم . ٣/٢٠٩٧

فذكر أن درمويه لما أومن[3] وأحسن إليه وإلى أصحابه ، أظهر كلّ ما كان فى يده وأيديهم من أموال الناس وأمتعتهم ، وردّ كلّ شىء منه إلى أهله ردّاً ظاهراً مكشوفاً ، فوفِق بذلك على إنابته ، فخلع عليه وعلى وجوه

(١) س : « وعلم موضعه الناس» . (٢) س : « والمقام » .
(٣) ب : « قد كان أومن » .

أصحابه وقُوّاده ، ووصلوا . فضمهم الموفق إلى قائد من قُوّاد غلمانه ، وأمر الموفّق أن يكتب إلى أمصار الإسلام بالنداء فى أهل البصرة والأبُلّة وكُور دِجْلة وأهل الأهواز وكوَرها وأهل واسط وما حولها مما دخله الزّنج بقتل الفاسق ، وأن يُؤمَروا بالرجوع إلى أوطانهم . ففُعل ذلك ، فسارع الناس إلى ما أُمِرُوا به ، وقدموا المدينة الموفقيّة من جميع النواحى .

وأقام الموفّق بعد ذلك بالموفقيّة ليزداد الناس بمقامه أمناً وإيناساً ، وولّى البصرة والأبُلّة وكُور دِجْلة رجلاً من قُوّاد مواليه قد كان حمِد مذهبه ، ووقف على حسن سيرته ، يقال له العباس بن تركس ؛ فأمره بالانتقال إلى البصرة والمقام بها .

وولّى قضاء البصرة والأبُلّة وكُور دِجْلة وواسط محمد بن حماد .

وقدّم ابنه أبا العباس إلى مدينة السلام ، ومعه رأس الخبيث صاحب الزّنْج ليراه الناس ، فاستبشروا ، فنفذ أبو العباس فى جيشه حتّى وافى مدينة السلام يوم السبت لاثنتى عشرة بقيت من جمادى الأولى من هذه السنة ، فدخلها فى أحسن زىّ ، وأمر برأس الخبيث فسِير به بين يديه على قناة ، واجتمع الناس لذلك .

٢٠٩٨/٣

وكان خروج صاحب الزنج فى يوم الأربعاء لأربع بقين من شهر رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين ، وقتِل يوم السبت لليلتين خلتا من صفر سنة سبعين ومائتين ، فكانت أيّامه من لدن خرج إلى اليوم الذى قتل فيه أربع عشرة سنة وأربعة أشهر وستة أيام ، وكان دخوله الأهواز لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة ست وخمسين ومائتين ، وكان دخوله البصرة وقتله أهلها وإحراقه لثلاث عشرة ليلة بقيت من شوال سنة سبع وخمسين ومائتين ، فقال — فيما كان من أمر الموفق ، وأمْر المخذول — الشعراء أشعاراً كثيرة ، فمما قيل فى ذلك قول يحيى بن محمد الأسلمىّ :

أقولُ وقد جاءَ البشيرُ بوقعةٍ أعَزّتْ من الإسلامِ ما كان واهِيا

جَزَى اللهُ خيرَ النّاسِ للناسِ بعْدَما أُبِيحَ حِمَاهمْ خيرَ ما كانَ جازِيا

تَفَرَّد إذ لم ينصر اللهَ ناصرٌ … بتجديدِ دينٍ كان أصبح باليا
وتشديدِ ملك قد وَهَى بعد عزِّه … وإدراكِ ثاراتٍ تبير الأعاديا
٢٠٩٩/٣ ورَدِّ عِمارات أُزيلتْ وأُخربتْ … ليرجع فَىْء قد تخرَّم وافِيا
ويرجعَ أَمْصارٌ أُبيحتْ وأُحْرِقَتْ … مِرارًا فقد أمست قِوَاءً عوافيا
ويُشفَى صدور المومنينَ بوقعةٍ … يقرُّ بها منا العيونَ البواكيا
ويُتلى كتاب الله فى كل مسجدٍ … ويُلقَى دعاءُ الطالبيّين خاسِيًا
فأَعرَض عن أَحبابهِ ونعيمِهِ … وعن لذةِ الدنيا وأَقبلَ غازِيا

فى قصيدة طويلة . ومن ذلك أيضاً قوله :

أَينَ نجومُ الكاذِب المارِق … ما كان بالطِّبِّ ولا الحاذقِ
صبَّحَهُ بالنحْسِ سعدٌ بدَا … لسيِّدٍ فى قولِهِ صادقِ
فخرّ فى مأْزِقِه مسلَما … إلى أُسُودِ الغابِ فى المازِقِ
وذاق من كأْسِ الردَى شرْبة … كريهةَ الطعْم على الذائِقِ

وقال فيه يحيى بن خالد :

٢١٠٠/٣ يابنَ الخلائفِ من أَرومَة هاشمٍ … والغامرينَ الناسَ بالإفضال
والذائدينَ عن الحريمِ عدوّهم … والمعلِمين لكل يومِ نِزالِ
ملِكٌ أَعادَ الدينَ بعدَ دروسهِ … واستنقذ الأَسْرَى من الأَغلالِ
أَنت المُجيرُ من الزمانِ إذا سَطَا … وإليك يَقصِدُ راغبٌ بسؤالِ
أَطفأْتَ نِيرانَ النفاقِ وقدعلَتْ … يا واهِبَ الآمال والآجالِ
لله درُّكَ من سَليلِ خلائفٍ … ماضِى العزيمةِ طاهرِ السِّرْبالِ
أَفنيتَ جمعَ المارقينَ فأَصبحوا … متلَدِّدِينَ قد ايقنوا بزوالِ
أَمْطرْتهم عزمات رأْيٍ حازمٍ … ملأَتْ قلوبَهُمُ مِنَ الأَهْوالِ
لمّا طَغى الرجسُ اللعينُ قصدته … بالمَشرَفِىِّ وبالقَنَا الجوَّالِ

وتركتَهُ والطيرُ يحْجُلُ حولهُ مُتقطِّعَ الأَوداجِ والأَوصال
يَهوِى إلى حَرّ الجحيمِ وقعرِها بسلاسلٍ قد أوهنَتْه ثِقالِ ٢١٠١/٣
هذا بما كسبتْ يداهُ وما جَنَى وبما أتَى من سيِّئ الأعمالِ
أَقرَرْتَ عينَ الدينِ ممّن قادَهُ وأذَلْتَهُ من قاتلِ الأَطفالِ
صالَ الموفَّقُ بالعراقِ فأَفزعتْ مَنْ بالمغاربِ صولةُ الأَبطالِ

وفيه يقول أيضاً يحيى بن خالد بن مروان :

أَبِنْ لى جواباً أَيُّها المَنزلُ القفرُ فلا زال مُنهلاًّ بساحاتِكَ القطرُ
أَبِنْ لى عن الجيرانِ أين تحمَّلوا وهل عادَتِ الدنيا ، وهل رجعَ السَّفرُ !
وكيف تجيبُ الدارُ بعد دروسها ولم يبقَ من أعلامِ ساكنِها سَطْرُ
منازلُ أبكانى مَغَانِىُّ أهلِهَا وضاقت بىَ الدنيا وأسلَمَنى الصبْرُ
كأنَّهُمُ قومٌ رغا البكرُ فيهمُ وكان على الأَيامِ فى هُلكِهم نُذرُ
وعاثَتْ صُرُوفُ الدهر فيهم فأسرعت وشَرٌّ ذوى الأَصعادِ ما فعل الدهرُ ٢١٠٢/٣
فقد طابت الدنيا وأينَعَ نَبتُها بيُمْنِ ولِىِّ العهدِ وانقلب الأَمر
وعاد إلى الأَوطانِ مَنْ كان هارباً ولم يبق للملعون فى موضعٍ إثْرُ
بسيف ولِىِّ العَهْد طالت يدُ الهدى وأشْرَق وجْهُ الدين واصطُلم الكُفْر
وجاهَدَهم فى اللهِ حقَّ جِهادِهِ بنفسٍ لها طولُ السلامة والنصرُ

وهى طويلة . وقال يحيى بن محمد :

عنّى اشتغالَكَ إنى عنكَ فى شُغَلِ لا تعذُلى مَنْ به وقْرٌ عن العذَلِ
لا تعذُلى فى ارتحالى إننى رجلٌ وقفٌ على الشَّدِّ والأَسفارِ والرِّحَلِ
فيمَ المُقامُ إذا ما ضاقَ بى بلدٌ كأَننى لحجالِ العينِ والكِلَلِ
ما استيقظتْ همّةٌ لم تلفِ صاحبها يَقظانَ قَدْ جانبَتْهُ لذةُ المُقَلِ
ولم يبتْ آمِناً من لم يبتْ وجِلاً مِنْ أن يَبيتَ له جار على وَجَلِ ٢١٠٣/٣

وهى أيضًا طويلة .

وفى هذه السنة فى شهر ربيع الأول منها ، ورد مدينةَ السلام الخبرُ أن الرّوم نزلت بناحية باب قلَمْيَة على ستة أميال من طَرَسُوس ؛ وهم زهاء مائة ألف ، يرأسهم بِطْريق البطارقة أندرياس ، ومعه أربعة أخَرُ من البطارقة ، فخرج إليهم يازمان الخادم ليلاً ، فبيّتهم ، فقُتِل بِطريق البطارقة وبِطريق القَبَاذيق وبطريق الناطُلق ، وأفلت بِطريق قرّة وبه جراحات ، وأخِذ لهم سبعة صلبان من ذهب وفضة ، فيها صليبهم الأعظم من ذهب مكلّل بالجوهر ، وأخِذ خمسة عشر ألف دابة وبغل ، ومن السروج نحو من ذلك ، وسيوف محلاّة بذهب وفضة وآنية كثيرة ، ونحو من عشرة آلاف علم ديباج ، وديباج كثير وبِزْيون ولُحُف سَمُور ، وكان النفير إلى أندرياس يوم الثلاثاء لسبع خلون من شهر ربيع الأول ، فكبِس ليلا وقتل من الروم خلق كثير ، فزعم بعضهم أنه قتل منهم سبعون ألفًا .

٣/٢١٨٤ وفيها تُوفِّىَ هارون بن أبى أحمد الموفق بمدينة السلام يوم الخميس لليلتين خلتا من جمادى الأولى .

ولستٍّ خلون من شعبان منها ، ورد الخبرُ بموت أحمد بن طولون مدينةَ السلام — فيما ذكر . وقال بعضهم : كانت وفاته يوم الاثنين لثمان عشرة مضت من ذى القعدة منهـــا .

وفيها مات الحسن بن يزيد العَلوىّ بطبرستان ، إما فى رجب ، وإما فى شعبان .

وللنصف من شعبان دخل المعتمد بغداد ، وخرج من المدينة حتى نزل بحذاء قُطرُبلّ فى تعبية ، ومحمد بن طاهر يسير بين يديه بالحربة ، ثم مضى إلى سامُرّا .

وفيها كان فداء أهل ساتيدَما على يدى يازمان فى سَلْخ رجب منها .

وفى يوم الأحد لِتسع بَقين من شعبان من هذه السنة شغَب أصحابُ

أبى العباس بن الموفق ببغداد على صاعد بن مخلد وهو وزير الموفق ، فطلبوا الأرزاق ، فخرج إليهم أصحاب صاعد ليدفعوهم ، فصارت رجّالة أبى العباس إلى رحْبة الجسر ، وأصحاب صاعد داخل الأبواب بسوق يحيى ، واقتتلوا ، فقتِل بينهم قتلى ، وجُرحت جماعة ، ثم حجَز بينهم الليل ، وبكّروا من الغد ، فوضِع لهم العطاء واصطلحوا .

وفى شوال منها كانت وقعة بين إسحاق بن كُنْداج وابن دعباش ، وكان ابن دعباش على الرّقة وأعمالها ، وعلى الثغور والعواصم من قِبَل ابن طولون ، وابن كُنْداج على المَوْصِل من قِبَل السلطان .

وفيها انبثق ببغداد فى الجانب الغربىّ منها من نهر عيسى من الياسرية بَثْق ، فغرّق الدباغين وأصحاب الساج بالكرخ ، ذكر أنه دقّ سبعة آلاف دار ونحوها .

وقتِل فى هذه السنة ملك الروم المعروف بابن الصقلبىّ .

وحجّ بالناس فى هذه السنة هارون بن محمد بن إسحاق الهاشمىّ بن عيسى ابن موسى بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن العباس

تمّ الجزء التاسع من تاريخ الطبرى

ويليه الجزء العاشر ، وأوّله :

ذكر الأحداث الكائنة فى سنة إحدى وسبعين ومائتين



فهرس الموضوعات

* * *

(١) طبع خطأ : « خروج الخبر » .

* * *

* * *

السنة الثلاثون بعد المائتين — صفحة

* * *

السنة الحادية والثلاثون بعد المائتين

* * *

السنة الثانية والثلاثون بعد المائتين

* * *

* * *

صفحة

* * *

السنة الثالثة والخمسون بعد المائتين

* * *

السنة الرابعة والخمسون بعد المائتين

* * *

السنة الخامسة والخمسون بعد المائتين

صفحة

* * *

السنة السادسة والخمسون بعد المائتين

* * *

السنة الثانية والستون بعد المائتين

* * *

السنة الثالثة والستون بعد المائتين

* * *

السنة الرابعة والستون بعد المائتين

صفحة

* * *

السنة الخامسة والستون بعد المائتين

* * *

السنة السادسة والستون بعد المائتين

* * *

السنة السابعة والستون بعد المائتين

صفحة

* * *

السنة الثامنة والستون بعد المائتين

* * *

السنة التاسعة والستون بعد المائتين

صفحة

* * *

السنة السبعون بعد المائتين

* * *

رقم الإيداع		١٩٧٩/٤٨٨٢
الترقيم الدولى	٩٧٧ - ٢٤٧ - ٨٤٧ - ١	ISBN

١/٧٩/٣٤٣

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)









